

السَّوْصُ الْفَائِقُ فِي الْمَوَاعِظِ وَالرَّقَائِصِ

تأليف

الشيخ شعيب الحريفيش

وبالهامش

١ - كتاب يتضمن أحاديث وآثار أموا عظ تتعلق بالموت وما بعده

لزين الدين المليباري

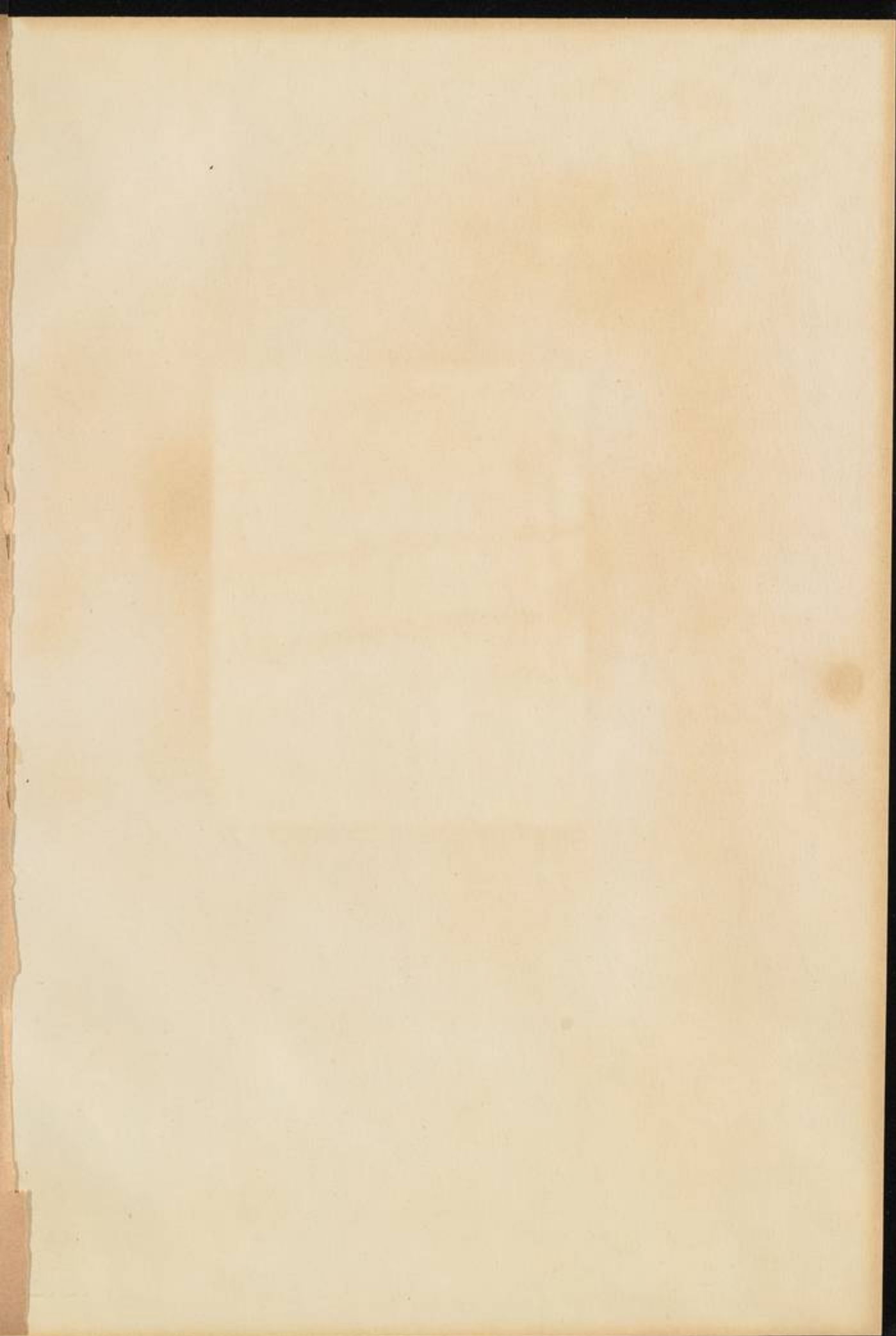
٢ - كتاب قرّة العيون ، ومفرح القلب المحزون

لأبي الليث السمرقندي

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES





السُّرُوصُ والفَائِقُ في المَوَاعِظِ وَالرَّقَائِصِ

تأليف

الشيخ : شعيب الحريفيش

وبهامشه كتابان جليلان :

١ - كتاب يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده

للشيخ : زين الدين بن عبد العزيز الملياري

٢ - كتاب قرّة العيون ، ومفرح القلب المحزون :

للإمام أبي الليث السمرقندي

رحمهم الله آمين

٥١٥٥

الطبعة الأخيرة

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

مكتبة المطبعة النجاشية في القاهرة

«أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْوَعظِ الْحَسَنَةِ»

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا كتاب [الروض الفائق ، في المواعظ والرقائق] يشتمل على خطب ونزاهات وأحاديث مرويات ، وقصائد وحكايات ، ورقائق ووعظيات ، ومناقب الصالحين ، وذكر المشايخ العارفين ، وتذكير أهل الذنوب والآثام ، وإيقاظهم من الغفلة والنمائم ، ورشيته بذكر سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورصعته بقصائد من نظم الأولياء ، وإشارات من كلام النضلاء ، وروق السامع ، وتلتذ بها السامع ، وتنشئ الحشوع ، وترسل الدموع ، وقصدت بذلك رحمة أرحم الراحمين ، والنفع لكافة المسلمين : للعبد الظالم لنفسه المعترف بذنبه : الراجي رحمة ربه [شبيب الحريفيش] غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا لهم بالرحمة والمغفرة آمين .

المجلس الأول

في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفضل بسم الله الرحمن الرحيم
اعلموا يا إخواني : أن هذه بضاعتى ، وها أنا أعرضها عليكم فمن رأى خيرا فليحمد الله تعالى وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن رأى غير ذلك فليقل : لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإنها جبر لنقص المقصرين ، وقلوب المنكسرين ، وقد ورد في صحيح السنة ، أنها كنز من كنوز الجنة .

واعلموا يا إخواني : أنه ما سلم من النقص والخلل ، والخطايا والزلل : إلا النبي صلى الله عليه وسلم المفضل ، والرسول المبجل ، صاحب الوصف الأكمل ، والقدر الأعديل ، وما صح الفضل والكمال ، إلا لمن جمعت فيه أشرف الخصال ، الذى أوتى جوامع الكلم وخص بالفضل والعلم والعقل والأفقال :

وهو الذى قد حاز كل الكمال وخص بالفضل وحسن المقال وهو الذى قد جاءنا رحمة

مفرقا بين الهدى والضلال محمد للبعوث من هاشم أفضل من حاز جميع الخصال

صلى عليه الله طول المدى ماعطر الكون نسيم الشمال

[عباد الله] : ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى على »

صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » .

أحاديث وآثار ومواعظ
تتعلق بالموت وما بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ،

ونصلى ونسلم على سيدنا

محمد رسولك وعبدك

وعلى آله وأصحابه الموفين

بعهديك .

[بعد] فهذا مختصر

ضمنت فيه بعض أحاديث

ذكر الموت وما بعده

في فصول متوسطات ،

بدأت أحاديث كل فصل

بما يناسبها من آيات ،

وأردفتها بآثار ومواعظ

زاجرات ، عسى الله

أن ينفعني به وأحبائي

والمسلمين والسلامات .

[فصل] قال الله تعالى

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا

أموالكم ولا أولادكم عن

ذكر الله ومن يفعل ذلك

فأولئك هم الخاسرون

وأنتقوا مما رزقناكم من

قبل أن يأتى أحدكم الموت

يقول رب لولا أخرتني

إلى أجل قريب فأصدق

وأكن من الصالحين ولن

يؤخر الله نفسا إذا جاء

[إخواني] : أحضروا قلوبكم ، وتفكروا وميزوا بقولكم وانظروا من هو الذي يصلي عليكم ويكافئكم ويجازيكم بالصلاة الواحدة عشرة ، فأى ربح أعظم من هذا الربح ، وأى تجارة أربح من هذه التجارة ؟ فيامعشر التجار الراغبين في كسب الدرهم والدينار ، لو قيل لأحدكم البلد الفلاني فيه بضاعة تكسب الدرهم درهمن ، والدينار دينارين لسارعتم إليها وتراحمتم عليها ، وبذلتهم فيها المجهود بالمزايدة لما فيها من الربح والفائدة ؟ فكيف لكم بهذه البضاعة الراجعة ، والتجارة الناجحة التي أخبركم بها الصادق الأمين عن رب العالمين أنسكم كلها صليتم على نبيكم صلاة واحدة صلى الله عليكم بها عشرة ، فانظروا هذا الربح واجنوا هذه الثمرة ، وينشد في المعنى :

من عامل الله لم تحسر تجارته وكل قلب خراب بالتقى عمره
وما تصلى على المختار واحدة إلا عليك يصلى ربه عشرة
فاغنم صلاتك يا هذا عليه تفز بالربح عند إله فاز من شكره

فيامعشر الفقراء الصادقين الكبراء ، منكم استفدنا ، وعنكم روينا ، وبكم رحمنا ، والله ما عرّضت بذكركم لكوني آمركم وأنهاكم ، وإنما تمثلت بقول القائل : أحياء القلوب ارحموا أموات القلوب ، ويكفيكم شرفا وغفرا أن الله تعالى قد مدحكم في كتابه وشرفكم بخطابه فقال تعالى « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض » وبهنيكم أن ذكركم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يامعشر الفقراء اصبروا حتى تلقوني على الحوض فانكم أول زمرة ترد على » فسبحان من أعطاكم وكل لكم السرور وحياكم وبلغكم القصد والسؤل بقول هذا السيد الرسول صلى الله عليه وسلم « فقراء أمتي تدخل الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام يأكلون ويشربون ويتنعمون والناس في كرب الحساب » فسبحان من رفع لهم قدرا ، ونشر لهم ذكرا ، وأعطاهم صبرا ، وضاعف لهم ثوابا وأجرا ، وما أحسن ما قل فيهم غلامهم الحريفيش :

هم الفقراء أهل الله حقا وقد حازوا بضيق الفقر غفرا هم الفقراء قد صبروا وأوذوا
معوّضهم بذلك الصبر أجرا هم الفقراء والسادات حقا ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
هم الفقراء عنهم فارو ذكرا وحديث عنهم سرا وجهرا فكم صبروا على ضم الليالي
فمعوّضهم بذلك الكسر جبرا وقد زاروا الحبيب وشاهدوه وقد سجدوا له حمدا وشكرا

فيا أيها الفقراء : بالذي أنعم عليكم وزاد في الإحسان إليكم إنا لنشتهي أن تجبرونا وتوافقونا وترفعوا أصواتكم معنا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرة . فهذه تسعة زائدة فأى ربح أعظم من هذا ، وأى فائدة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرة ، ومن صلى على عشرة صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفا ، ومن صلى على ألفا زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة » .

[إخواني] فماذا عسى أن يصف الواصف أو يقول ، وقد قال المصطفى الرسول الذي بين الكتاب والسنة « من صلى على ألفا زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة » :

صلاوا على الهادي البشير محمد تحظوا من الرحمن بالفران

فإنه قد أثني عليه مصرحا في محكم الآيات والقرآن

وقيل إنه من صلى عليه وهو قائم غفر له قبل أن يجلس ، ومن صلى عليه وهو قاعد غفر له قبل

أجلها والله خير بما تعملون) وفي كتاب الترمذي . قال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت » وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » ، وفي رواية مسلم : يبيت ثلاث ليال . قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنسكي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » أي لا تركزن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تستغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله .

أن يقوم ، ومن صلى عليه وهو قائم غفر له قبل أن يستيقظ من منامه ، وذلك أن العبد إذا عاش ما شاء الله وكان على غير التوحيد، فإذا أراد الله به خيرا ألهمه كلمة الشهادة فيأتي بعض المسلمين إليه فيلقنه الشهادة ويكررها عليه ثم يقول بعد ذلك صل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فعل ذلك وحسن إسلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان قائما غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم :

صلوا على خير الأنام محمد إن الصلاة عليه نور يعقد من كان صلى قاعدا يغفر له قبل القيام وللمتاب يجدد وكذلك إن صلى عليه قائما يغفر له قبل القعود ويرشد وقيل إنه من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم في نومه غفر له قبل أن يستيقظ كما جرى لأم أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أمه وكان في أول الليل فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وطاب لهم الحديث فدخل الليل ونامت أم أبي بكر ، فلما أراد الانصراف قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر كيف حالك ؟ فقال بخير يا رسول الله غير أن هذه أمي وليس لي عنها غنى فادع الله لها ياسيد الأنام أن يلهمها الإسلام ، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم يديه وهمهم بشفتيه ودعا لها ، فقال بعض من كان حاضرا والله لقد سمعناها تنطق بالشهادة وكلمة الإخلاص وهي نائمة ، فلما استيقظت رفعت صوتها وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فهذه يعني أم أبي بكر غفر لها قبل أن تستيقظ تصديقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا جرى كثيرا لمن كان على غير الإسلام فيرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فيسلم على يديه ويصلي عليه فينتبه وقد غفر له :

هنيئا لعين قد رأت نور أحمد وفازت جهار منه بالحسن والرؤيا
وقد أسعد الرحمن عبدا دعا له فأضحى سعيدا في المعات وفي الحيا
وبدل دين الشرك بالنور والهدى وبلغ ما يهوى من الدين والدنيا
وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى نبي حباه الله بالرتبة العليا
عليه صلاة الله ما طاف طائف بمكة بيت الله قصدا أتى سعيا
صلاة شذاها عطر الكون جهرة فمن قاسها بالمسك يوما فما استجيا

[وقال بعض الصوفية] كان لي جار مسرف على نفسه لا يعرف من سكره يومه من أمسه ، وكنت أعظه فلا يقبل ، وأمره بالتوبة فلا يفعل ؛ فلما مات رأيته في المنام في أرفع مقام ، وعليه من حلل الجنة لباس الإعزاز والإكرام فقلت له : بم نلت هذه المنزلة والمقام ؟ ، فقال حضرت يوما مجلس الذكر فسمعت المحدث يقول « من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته وجبت له الجنة » ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت أنا صوتي معه ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا في ذلك اليوم فكان نصيبي من المغفرة أن جاد علي مولاي بهذه النعمة :

يا فوز من صلى عليه فانه يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى
إن شئت من بعد الضلالة تهتدى صلى على الهادى النبي محمد
يا قومنا صلوا عليه لتظفروا بالبشر والعيش الهني الأرعند
ويخصكم رب الأنام بفضله والفوز بالجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله ملاح في الآفاق نجم الفرقد

ومن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه ، وكانت

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل . وقيل للحسن : ألا تغسل قميصك ؟ فقال الأور أعجل من ذلك .

واعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين إكثار ذكر الموت ، وينبغي أن يستعد له بالتوبة إلى الله تعالى ورد المظالم وللمريض أكد لأنه يرق قلبه ويخاف فيرجع عن المظالم ويقبل على الطاعات .

واعلم أن بني آدم طائفتان طائفة نظروا إلى شاهد خيال الدنيا وتسكوا بتأمل

تأمره بالخير ونهاه عن الفحشاء والنكر والقضاء غالب عليه فمات وهو مصرّ على ما كان عليه
فحزنت عليه أمه حزناً شديداً حيث مات على غير توبة فتمنت أن تراه في المنام فرأته وهو يعذب
فازدادت عليه حزناً. فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة في فرح وسرور فسأله عن حاله
وقالت يا ولدي: إني رأيتك تعذب فميت هذه المنزلة؟ فقال يا أماه اجتاز رجل مسرف على نفسه
بالترية التي أنا فيها فنظر إلى القبور وتفكر في البعث والنشور واعتبر بالموتى فبكى على زلته، وندم
على خطيئته، وتاب إلى الله عز وجل، وعقد التوبة معه أن لا يعود ففرحت بتوبته ملائكة السماء
في الله ما أحسن الصلح مع الحبيب ثم إنه لما تاب وعلم الله صدق توبته وتاب عليه قرأ شيئاً من القرآن
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين مرة وأهدى ثوابها لأهل التربة التي أنا فيها قسم ثوابه
علينا فتأني من ذلك خير فغفر الله لي به وحصل لي من الخير ما رين .

فاعلم يا أماه أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نور في القلوب، وتكفير للذنوب، ورحمة
للأحياء والأموات:

لأحمد فضل لا يحصى ولا يحصى ومن شأنه بين الوري أبداً يقص
هو القرشي الهاشمي الذي سري من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبي دنا من قاب قوسين مدينا فسبحان من وصي إليه بما وصي
عليه صلاة لا تنها لوصفها من الله ربي لا تحمد ولا تحصى

فسبحان من شرف سيد المرسلين على جميع المخلوقين، وجعله بالمؤمنين رءوفاً رحماً، وآتاه فضلاً
عظيماً وخلقاً كريماً، ودأوى به من أمراض الجهالة والضلالة قلوباً وجسوماً، وبلغه المراد، وهدى
به العباد صراطاً مستقيماً. وقال في حق تعظيماً لنا وتبجيلاً له وتعظيماً «إن الله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»:

الله زاد محمداً تكريماً وجاء فضلاً من لدنه عظيماً واختاره في المرسلين كريماً
ذا رافة بالمؤمنين رحماً صلوا عليه وسلموا تسليماً
يا أمة الهادي خصصتم بالوفا بين الوري والصدق أيضاً والصفاء صلوا على الهادي النبي الصطفى
فالله قد صلى عليه قديماً صلوا عليه وسلموا تسليماً
فحق أرى الحادي يبشر باللقا ويضمنا باب المحصب واللقا وأرى ضريح الصطفى قد أشرقاً
مولي رحماً لا يزال حلماً صلوا عليه وسلموا تسليماً
ثم الرضا عن آل الكرماء وكذلك عن أصحابه الخلفاء فهمو هموديني وعقد ولائي
قوما تراهم في المعاد نجوماً صلوا عليه وسلموا تسليماً

ثم إن أول ما فاه به اللسان، واستفتح به الإنسان اسم الملك المنان الذي أخبرنا به سيد الأكوان
يقوله «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم» أي مقطوع البركة في كل
أن، إذ اسم الله تعالى يعق به كل مكان، وهو نور البهجة في السر والعيان، وحرز مانع وأمان.
وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «كل أمر ذي بال لا يبدأ
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، وقيل أجذم» ومعناه ناقص قليل البركة. وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خير الناس وخير من يتبعني على
وجه الأرض العلماء، فانهم كلما خلق الدين جدّوه أعطوهم ولا تستأجروهم فإنه إذا قال المعلم للصبي
قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه من النار وبراءة للمعلم». وقال جابر

العمر الطويل ولم يتفكروا
في النفس الأخير، وطائفة
عقلاء جعلوا النفس الأخير
نصب أعينهم لينظروا ماذا
يكون مصيرهم وكيف
يخرجون من الدنيا
وفارقونها وإيمانهم سالم
وما الذي ينزل معهم من
الدينا في قبورهم، وما الذي
يتكونه لأعدائهم وينسقي
عليهم وباله ونكاله. وهذه
الفكرة واجبة على كافة
الخلق، وهي على الملوك
وأهل الدنيا أوجب،
لأنهم كثيراً ما زعجوا قلوب
الخلق وأدخلوا في قلوبهم
الزعب، فإن لحضرة الحق
تعالى ذكره غلاماً يعرف
بملك الموت لا مهرب لأحد
من مطالبته وتشبته، وكل
موكل للملك يأخذون
جعلهم ذهباً وطعاماً، وهذا
الوكيل لا يأخذ سوى
الروح جعلاً، وسائر
موكل السلاطين تنفع
عندهم الشفاعة، وهذا
الموكل لا تنفع عنده شفاعة
شافع، وجميع الوكلاء
يمهلون من يوكولون به
اليوم والساعة، وهذا

ابن عبد الله «لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب ، وماج البحر وأصفت البهائم بأذنيها ورجعت الشياطين وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك عليه ، ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة» :

اسم إذا قرع القلوب تمايلت طربا وتمت بالتسبيح أسرارها
وإذا حدا الحادى بطيب حديثه طابت وفاحت بالرضا أرهاها
رتاح إن ذكر اسمه وبهزها طربا إذا حفت به أوكارها
وإذا ابتدأت بذكره في حضرة حضر السرور بها وطاب مزارها

وروى مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال «إذا دخل الرجل بيته فذكر بسم الله عند دخوله ، قال الشيطان لاميت لكم ولاعشاء ، وإذا دخل ولم يذكر بسم الله عند دخوله ، قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء» فاسم الله تعالى يطرد الشيطان ، ويدرك البركة في المكان ، وبسم الله الرحمن الرحيم لها فضائل كثيرة وبركات غزيرة ؛ فلو أن أهل السموات والأرض يكتبون فضائل بسم الله الرحمن الرحيم لم يدركوا عشر عشر فضلها :

كرر على الذكر من أسائه واجل القلوب بنوره وضيائه

اسم به الكون استفاد ضياءه في أرضه وفضائه وسائه لا يحصر الوصف بعض صفاته
كلا ولا يدرون كنه سنائه حارت عقول القوم عند صفائه ضاءت قلوب الخلق من لآلئه
يارب باسمك أرتجى منك الرضا والعفو عن عبد رزى بخطائه أعد اسمه للعارفين تلاوة
تلقى به المعروف من آلائه يارب أسألك الإعانة في غدا بعظيم اسمك فهو عين دوائه

يارب عبدك قد براه سقامه قد حارت الأفكار في أدوائه
يارب باسمك أرتجى منك الشفا أنت المرجى دائما لشفاائه
يارب بالمهادى البشير المصطفى الصادق المصدوق في أنبائه
ارحم غريقا في بحار ذنوبه وأجره حقا من قيود عنائه
يارب صل على النبي محمد ملاح برق في دجى ظلماته

المجلس الثاني

يشتمل على قوله تعالى : الرحمن علم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظوف الرؤوف المنان . الكريم العظيم القديم الإحسان . العلى الغنى القوى
السلطان . الأول ولازمان . الآخر ولاأكوان . الباقي ولاإنس ولاجان . الذى كتب بأقلام
الأحكام . فى ألواح أرواح الأنام . آيات التوحيد والإيمان . أوقد مصابيح التوفيق ، لقلوب
أهل التصديق ، فأروا جمالا لايمثل للعيان ، ولايخيل للجنان ، أخرج ذرية آدم بأرض نيمان ،
وتسمهم إلى ذى حظ وحرمان ، فكهم حقير رفع ، وكهم عزيز هان ؟ صفى أسرار قوم ، وكدر أسرار
آخرين وشان . فأهل الكدر يتعادون وأهل الصفاء يتهادون ويتداعون كالأخوان ، ويتلاقون
بالقلوب وإن تباعدت الأوطان ، ويتعارفون بالغيوب فتحن إليهم القلوب ، وتتعاطف وإن لم ينطق
اللسان ، ويتلاقون بالإخلاص للضائر وإن نأى بهم المكان . ويحذر بعضهم بعضا مواطن الإنم

الموكل لايعمل نفسا واحدا .
وبروى أنه كان ملك كثير
السال قد جمع مالا عظيما
واحتشد من كل نوع خلقه
الله تعالى من متاع الدنيا
ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل
ماجمعه فجمع نعمًا طائلة
وبنى قصرا عاليا مرتفعا
ساميا يصالح للسلوك
والأمراء والأكابر
والعظماء وركب عليه باين
محكين وأقام عليه العلمان
والأجناد والحرس
والأجناد والبوابين كما
أراد ، وأمر بعض الأنام
أن يصطنع له من أطيب
الطعام وجمع أهله وحشمه
وأصحابه وخدمه ليأكلوا
عنده وينالوا رفده
وجلس على سرير مملكته
واتكأ على وسادته وقال
بانفس قد جمعت أنعم
الدنيا بأسرها فالآن افرغى
لذلك وكلى هذه النعم
مهنة بالعمر الطويل
والحظ الجزيل فلم يفرغ مما
حدث به نفسه حتى أتى رجل
من ظاهر القصر عليه ثياب
خلقة ومخلاته فى عنقه
معلقة على هيئة سائل

والحسران، ويتواسون بالبر والإيثار والفضل والإحسان. كما أمرهم بذلك خالق الخلق ومكون الأكوان. فقال تعالى في محكم القرآن «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» فسبحان من أظهر أسرار البيان. في تعليم تعظيم الرحمن علم القرآن. كتب مسطور الإلهام، بقلم الإلهام، في تعليم خلق الإنسان علمه البيان. دبر الأدوار بمقدار الأقدار، في تكوير النهار على الليل والليل على النهار، والشمس والنجم بحسبان. يسبحه الحجر والمدر، والشمس والقمر والنجم والشجر يسجدان، أظهر آثار صنعه لأبصار أهل معرفته، فكبا جواد العقل في يده قدرته، التي أبدعها لما علم أن السماء رفعها ووضع الميزان، فالحائفون واقفون على أقدام الألفاظ، متصفون بأحسن الأوصاف، يناديهم منادى العدل والإنصاف «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والعارفون محافظون على ملازمة الخدمة تحقيق تصديق وعد «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» فهم في محارب عبادتهم يتأيلون وقت السحر ميل الشجر بالأغصان، هز الشوق أفنان قلوبهم فتناثرت الأفنان، فاللسان يضرع والقلب يخشع، والعين تدمع، والوقت يستأن. خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان، سرورهم أموارهم والحشوع تيجان، خضوعهم حلاهم بدر ومرجان، باعوا الحرص بالقناعة فما ملك أنوشروان، طالت عليهم أيام الحياة، والحب إلى الحبيب ظمان، فإذا وردوا القيامة تلقاهم بشير لولاه ما طابت الجنان «يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان» فتلمح عين البصيرة أيها الإنسان، واجل مرآة السريرة تر البرهان، أين أنت منهم مانئهم كيفظان، كم بينك وبينهم، أين الشجاع من الجبان، مالمواعظ فيك موضع والقلب بالهوى ملان، قف على باب الحبيب وقوف ولهان، ونكس رأس الحياة تنكيس ندمان، واركب سفينة الصدق فهذا الموت طوفان، وأفق من خمار الهوى، فإلى متى أنت بخمار الهوى سكران. أتبيع ما يبق بما يقى! هذا والله عين الحسران، تالله لو أشرفت على وادي الرجاء لرأيت الأبطال والفرسان، ولو مررت على ركائب الأحاب لسمعت حداة الأظمان، ولو وقفت على طريق الأحاب لشاهدت الركبان:

يا غافلا يتأدى في الهوى كم هذا الزلل
لا تغتر بالدنيا فليس هي دار البقا
أبناء عشر تواسوا بالخير فيما بينكم
أبناء عشر من جدوا واستغنموا شبابكم
يا ابن الثلاثين بادر إلى الممات فرما
وأنت ماذا عذر لكذا الوقت يا ابن الأربعين
أبناء خمسين هذا وقت الرجوع عن الزلل
أبناء ستين كونوا من المنون على حذر
أبناء سبعين وافق جيش الشيب وما بقى
يا ابن الثمانين قل لي في الدهر ماذا تنتظر
أبناء تسعين فوزوا فقد كتب توقيعكم
وأنت يا ابن المائة قد حان وقتك ما بقى
قد حان وقت رحيلك فقم تجهز للسفر
غدا عليك ينادى يانا كذا خوان
الدار دار الآخرة فخذ في البنيان
فالخير لاشك عادة من الصغر قد بان
مادام غسن الشبية لكم رطب ريان
تأني المنايا بغسة وتحرم الإمكان
وقد بلغت أشدك فاسبق إلى الإحسان
فليس بعد الزيادة شيء سوى التقصان
فما أحد قد يعطى من المنون أمان
للزراع غير حصاده وينشر الدويان
قد حان وقت رحيلك وشالت الركبان
من ربكم بالإجابة والنفو والغفران
غير التوجه إلى الله في السر والإعلان
وحصل الزاد كي لا تجي غدا ندمان

قال أبو إسحق إبراهيم الخواص رحمة الله تعالى عليه: كنت في طريق مكة أسير على الوحدة فتهت

يسأل الطعام فجاء وطرق
حلقة الباب طريقة عظيمة
هائلة بحيث تزلزل القصر
وتزعزع السرير وخاف
الغلمان ووثبوا إلى الباب
وصاحوا بالطارق وقالوا
يا ضيف ما هذا الحرص
وسوء الأدب؟ أصبر إلى
أن تأكل ونعطيك مما
يفضل، فقال لهم قولوا
لصاحبكم ليخرج إلى فلي
إليه شغل مهم وأمر ملم،
فقالوا له تنح أيها الضيف
من أنت حتى تأمر صاحبنا
بالخروج إليك؟ فقال أتم
عرفوه ماذا كرت لكم،
فلما عرفوه قال هلا نهرعوه
وجردنم عليه وزجرعوه
ثم طرق حلقة الباب
أعظم من طرقته الأولى
فتنهضوا من أماكنهم
بالعصى والسلاح وقصدوه
ليجاريوه فصاح بهم صيحة
وقال الزموا أماكنكم فأننا
ملك الموت فرعبت قلوبهم
وطاشت حلومهم
وارتمدت فرائصهم
وبطلت عن الحركة
جوارحهم، فقال الملك:
قولوا له ليأخذ بدلا مني

عن الطريق فكنت أمشي يومين وليلتين حتى أدركني المساء فاغتممت بسبب الوضوء وقعد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا يقول: إلى يا أبا إسحق فدنوت منه ، فإذا هو شاب حسن الشباب نظيف الأثواب ، وعند رأسه ريحان مختلف الألوان ، فتعجبت من ذلك في تلك البرية كيف عنده الريحان وهو مطروح على الرمل وليس له حركة ، فقال لي: يا أبا إسحق قد دنت وفاني وإني سألت الله تعالى أن يحضر وفاني ولي من أوليائه فنوديت أن سيحضر وفاتك أبو إسحق الخواص وإنني لأرجو أن تكون أنت وأنا منتظر ، فقلت يا أخي ما الذي حبسك ؟ فقال كنت بين أهلي في عز ورقة عيش خطرت لي السفر واشتهيت العربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهر ، وقد حضرت الوفاة ، فقلت له ألك والدان ؟ قال نعم وأخت صالحة ، فقلت هل اشتقت إليهم قط أو خطروا ببالك ؟ قال لا إلا اليوم فاني أحببت أن أشم منهم رائحة وأجدد بهم عهدا فاجتمعت عندي وحوش كثيرة وأتوني بهذه الريحان وبكوا معي ، فبقيت متجبرا في أمره مفتكرا في حاله ، ووقع الشاب في قلبي وانجذب إليه سرى . فبينما أنا كذلك إذ أقبلت حبة عظيمة ، ومعها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أركى رائحة فوضعتها عند رأسه ، وقالت بلسان فصيح: يا إبراهيم اعدل عن ولي الله ، فإن الحق سبحانه وتعالى غيور ، قال فلحقني حال بما رأيت وصحت صيحة وغطيت على فما أقفت إلا والشاب قد فارق الدنيا ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذه حبة عظيمة كيف أصنع في غسله وتجهيزه فأرسل الله عليّ النعاس حتى تملكني فماتت فما أقفت إلا طلوع الشمس ، وأنا على الحالة التي أعرفها ولم أجد للشباب أثرا فبقيت محزونا عليه ، فلما قضيت الحج أتيت شمشاط فاستقبلني نساء عليهن مرقعات وفي أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب شعر ويدها ركوة ، وهي لا تفر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فما رأيت واحدة في النساء أشبه للشباب منها فنادتني يا أبا إسحق أنا في انتظارك منذ أيام حدثني عن أخى قرة عيني وثمرة فؤادي ، ثم بكت وارتفع بكاءها وبكيت لبكائها فوصفت لها الشاب وما شاهدت منه ومن الريحان ، فلما بلغت إلى قوله: أحببت أن أشم منهم رائحة ، قالت: هاه هاه بلغ النسم بلغ الشم ثم سقطت إلى الأرض ميتة فاحتوشها أربابها وأصحابها ، وقالوا يا أبا إسحق جزاك الله خيرا ، فلما دفنت أقيمت على قبرها إلى الليل فرأيتها في المنام وهي في روضة خضراء والشاب عندها وهما يقرآن « لمثل هذا فليعمل العالمون » .

قوم إذا عبث الزمان بأهله كان المهر من الزمان إليهم

وإذا أتيتهم لدفع ملحة جادوا عليك بما يكون لديهم

[وحكى] عن الشبلي رحمه الله تعالى عليه أنه رأى في بعض الأيام مجنوننا والصبيان يرمونه بالحجارة ، وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه ، فجعل الشبلي يزجرهم عنه قالوا: دعنا نقتله فإنه كافر يزعم أنه يرى ربه ويخاطبه ، فقال: كفوا عنه ثم تقدم إليه الشبلي فوجده يتحدث ووجهه يضحك ويقول: أجميل منك تسلط عليّ هؤلاء الصبيان ! ثم قال ما الذي يقولون عني ؟ قلت: يقولون يزعم أنك ترى ربك ويخاطبك فصرخ صرخة عظيمة ، ثم قال ياشبلي وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين ، قال الشبلي: فعلت أنه من الخواص أرباب الإخلاص ، فقلت له حبيبي ما حقيقة المحبة ؟ فقال ياشبلي لو قطرت قطرة من المحبة في البحار أو وضعت ذرة منها على الجبال لصارت هباء منثورا ، فكيف بقلب كساه القرام قلعا وزفيرا ، وزاده الهيام حرقا وتحسيرا :

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا وسقاه كأسا فاغسدا مخمورا

وعوضا عني ، فقال ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التي جمعها والأموال التي حوتها وخزنتها فتنفس الصعداء ، وقال لعن الله هذا المال الذي غرنى وأبعدني ومنعني من عبادة ربي وكنت أظن أنه ينفعني فالיום صار حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه وبقي لأعدائي فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأي سبب تلعنني ؟ العن نفسك فإن الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتزودني إلى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتركني بي على الضعفاء ولتعمري الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عونك في اليوم الآخر ، وأنت جمعتني وخزنتني ، وفي هواك أنفقتني ولم تشكر حتى بل كفرتني فالآن تركتني لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأني ذنب لي فتسبني وتلعنني ؟ ،

واعتاده حر اللبيب ولم يرد
يا فوز من كان الحبيب نديمه
وإذا رأيت محبه في سكره
من ذا يطيق الصبر عن محبوه
إلا الحبيب فمال منه حبورا
وغدا إليه في الجميع مشيرا
خلع العذار رأته معذورا
حاشا المحب يكون عنه صبورا

ثم إن ملك الموت قبض روحه
قبل أكل الطعام فسقط
عن سريره صريع الحمام :
تجهز الى الأحداث ويحك
والرسم

[إخواني] المحبة حبة بذرت في أرض القلوب ، وسقيت بماء النوبة من الذنوب ، فأنبقت سنابل
المحبة في كل سنبله مائة حبة ، فلو وضعت حبة منها لأطيار القلوب لهامت في هوى المحبوب فقه در
رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال :

عج بالعالم والربوع وأسأل بهن عن الرجوع أين الدين عهدتهم
يادار في العز المنيع والنهي والأمر اللطاع ع بذروة القصر الرفيع
إن لم تحبك ديارهم ياصاح بالأمر الفطيع فلسان حالهم يقول
مانظرون إلى الجموع قد أصبحت مهجورة من بعد منظرها البديع

جهاز امن التقوى لأطول
ماحبس
فانك لا تدري إذا كنت
مصباحا

هيات أن ينجو غدا يوم الحساب سوى المطيع

بأحسن ما ترجو لعلك
لا تمسى

فقه درهم من أقوام مالوا إلى الله وتركوا المال وأعرضوا عن الدنيا شغلا بالمال ، واعتبروا بمن
مضى وتغير الأحوال ، وساعدهم على اليقظة أكل الحلال

سأعقب نفسي كي أصادف
راحة

[قال ذو النون المصري رحمة الله عليه] مررت يوما ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة
على أربعة أنفس ، وليس معها أحد ، فقلت والله لأكون خامسهم لأنال الأجر والثواب ، فلما
أتوا الجبانة قلت يا قوم أين ولي هذا الميت فيصلى عليه ، فقالوا يا شيخ كلنا في الأمر سواء ليس منا
أحد يعرفه فتقدمت وصليت عليه وأزلناه في الحدة وحشونا عليه التراب ، فلما هموا بالانصراف
قلت لهم ماشأن هذا الميت ؟ فقالوا لا نعرف خبره غير أن امرأة اكترتنا لنحمله إلى هذا المكان ،
وهي لاحقة بنا الآن . فبينما نحن في الحديث إذ جاءت امرأة عليها سبيل الخير والصلاح وهي باكية
العين حزينة القلب ، فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ، ونشرت شعرها ، ورفعت يدها
إلى السماء وهي تتضرع وتقول كلاما وتدعو ساعة ، ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها ، ثم أفادت
بعد ذلك وهي تضحك . فقلت لها أخبريني عن خبرك وخبر هذا الميت وكيف الضحك بعد ذلك
البكاء الشديد ؟ . فقالت من أنت ؟ فقلت ذو النون : فقالت والله لولاك من أعيان الصالحين
لما أخبرتك : هذا ولدى وقرّة عيني كان تأمها بشبابه ، لابسا ثياب إعجاب ، لم يدع سيئة إلا ارتكبها ،
ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها ، وقد بارز مولاة السلام بالمعاصي والآثام ، فحصل له يوما من
الأيام ألم من الآلام منذ ثلاثة أيام ، فلما عاين الموت قال يا أماء : سألتك بالله إلا ما قبلت وصيقي :
إذا أنا مت فلا تعلني بموتى أحدا من أصحابي وإخواني ولا من أهلي وجيرانى فإنهم لا يترحمون على
لسوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى . ثم بكى وقال :

فان هوان النفس أكرم
لنفس

وأزهد في الدنيا فان
مقيمها

كظاعنها ما شبه الروم
بالأمس

[فصل] قال الله تعالى
(حق إذا جاء أحدهم الموت

قال رب ارجعون لعلى
أعمل صالحا فمات تركت

كلا إنها كلمة هو قائلها ومن
دراهم برزخ إلى يوم

يبعثون . فإذا نقض في الصور
فلا أنساب بينهم يومئذ

ولا يتساءلون) إلى آخر
السورة . وعن أبي سعيد

الخدري رضى الله عنه :

لى ذنوب شغلتنى عن صيامى وصلاتى تركت جسمى عيلا مات من قبل وفاتى
ليتقى تبت لربى من جميع السيئات أنا عبد يا لهى هائم فى القلوات
بجت جهرا يعبوى وذنوبى قاتلاتى قد توالى سيئاتى وتلاشت حسناتى
ثم بكى وقال يا أماء آه على ما فرطت فى جنب الله آه على قلبى ما أقصاه ، بالله عليك يا أماء إذا أنا مت
فضمى خدى على الأرض والتراب وضعى قدمك على الحدة الآخر ، وقولى : هذا جزاء عبد عصى
مولاه ، وخالفه وترك أمره واتبع هواه ، فإذا دفتنيتى فارفعى يدك إلى الله عز وجل وقولى : اللهم

إني رضيت عنه فأرض عنه فلما مات فعلت به جميع ما أوصاني به ، فلما رفعت رأسي إلى السماء ، سمعت صوتا بلسان فصيح : انصرفي يا أماء فقد قدمت على رب كريم غير غضبان علي ، فلما سمعت ذلك ضحكتم .

[قال منصور بن عمار رحمه الله عليه] إذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة أقسام : المال الوارث ، والروح لملك الموت ، واللحم للدود ، والعظم للتراب ، والحسنات للخصوم . ثم قال إن ذهب الوارث بالمال يجوز ، وإن ذهب ملك الموت بالروح يجوز ؛ فيأبى الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت ، فيكون فراقا من الرب سبحانه وتعالى ، نعوذ بالله من ذلك فإن كل فراق إلى اجتماع ، وفراق الرب سبحانه وتعالى صعب لا يدركه أحد .

[وعن محمد بن نعيم رضي الله عنه قال :] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جاءني جبرائيل عليه الصلاة والسلام إلا وهو يرتعد خوفا من الجبار ولما ظهر علي إبليس مظهر من المخالفة والطرده بعد القرب والحظوة والعبادة طفق جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يبيكان ، فأوحى الله تعالى إليهما ما لهما تبكيان هذا البكاء ، وإني لا أظلم أحدا : قالوا ياربنا إنا لأن آمن مكرمك : يعني قضاءك وحكمك بالبعد بعد القرب ، وبالشقاء بعد السعادة ، فقال الله تعالى لهما : هكذا كونا لاتأمننا مكرى » .

[وعن عمر رضي الله عنه] أنه خرج إلى صلاة الجمعة فلقه إبليس في صورة شيخ عابد . فقال إلى أين يا عمر ؟ فقال إلى الصلاة . فقال : فقد قضيت الصلاة وفاتت الجمعة فعرفه فأمسك بتلابيه وخنقه . وقال له ويلك : ألم تكن رأس العابدين ، وقود الزاهدين ، فأمرت بسجدة واحدة فأبيت واستكبرت وكنت من السكارين وأبعدت إلى يوم الدين ؟ فقال تأدب يا عمر ، هل كانت الطاعة يدي أم الشقاوة بشيئي ؟ أنا كنت أبسط سجادتي تحت قوائم العرش ، ولم أترك من السماء بقعة إلا ولي فيها سجدة وركعة ، ومع هذا القرب قيل لي : (اخرج منها فلنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) فإن كنت يا عمر قد أمنت مكر الله (فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) فقال له عمر : اذهب فلاتطاقة لي بكلامك .

[إخواني] أين الدين كانوا في اللذات يتقلبون ، ويتجربون على الخلق ويتكبرون ، ضربت لهم كؤوس النون فهم لها يتجرعون ، وتركوا الأموال التي كانوا لها يجمعون ، وفارقوا العيش الذي كانوا به يتمتعون ، فلو رأيتهم ياهذا في حلل الندامة يرفلون ، ويساقون إلى الموت وهم ينظرون (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) :

اليك من مكرك يا سيدي	كل البرايا دائما يحذرون	فكم ذنوب وغيوب مضت
ونحن عنها سيدي غافلون	نضيع العمر بكسب الخطا	فنحن في أوقاتها لاعبون
نشاهد الموت ولا نزعوى	ولأنهنا لرب المنون	بل غفلة تطمس أبصارنا
وشقوة خابت لديها الظنون	فنحن يارب الورى كلنا	إليك من زلاتنا هاربون

لكننا نسأل رب الورى عفووا وصفحوا كي تفر العيون

بالمصطفى الهادي شفيع الورى هوته يارب علينا يهون

[وعن عبد الله بن أحمد المؤذن رحمه الله] قال : كنت أطوف حول الكعبة وإذا برجل متعلق بأستارها وهو يقول : اللهم أخرجنى من الدنيا مسلما لا يزيد على ذلك شيئا . فقلت له : ألا تزيد على هذا الدعاء شيئا . فقال : لو علمت قصتي ! . فقلت له وما قصتك ؟ . قال : كان لي

« أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر إلى جنبه وآخر أبعد منه ، فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا الإنسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل » .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » ، وكتب الإمام أبو حامد الغزالي إلى الشيخ أبي الفتح بن سلامة قرغ سمعي أنك تاتمس مني كلاما وجيزا في معرض النصيح والوعظ وإنني لست أرى نفسي أهلا له فإن الوعظ زكاة نصابها الاعتنا فمن لا نصاب له ، كيف يخرج الزكاة ؟ وفقد النور كيف يستير به غيره . و : متى يستقيم الظل والعود أعوج .

أخوان ، وكان الأكبر منهما مؤذنا أذن أربعين سنة احتسابا ، فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا أنه يتبرك به ويقرأ منه شيئا فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه يرى بما فيه ، ثم تحول إلى دين النصرانية فمات نصرانيا . فلما دفن أذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الأخ الأكبر فمات على دين النصرانية أيضا ، فعوذ بالله من مكر الله ، وإني أخاف على نفسي أن أصير مثلهما . فأنا أدعو الله تعالى أن يحفظ على ديني . قال فقلت : ما كان ذنبهما قال كانا يتبعان عورات النساء وينظران إلى الشباب . يامطلقا نظره في الشهوات ، يامستبيحا للمحرمات ، يامغرورا بالذات الفانيات ، علا اعتبرت بأقوام أخرجوا من ديارهم وقد تمسكوا بجبل اغترارهم ، ولم يقبل منهم قول في اعتذارهم عند مانادي منادي إنذارهم ، (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .

واخجلة العبد من إحسان سيده
واخسرة الطرف كم يرنو لحائنه
فكم أسأت في الاحسان عاملني
وكم له من أباد غير واحدة
بلطفه وبفضل منه عرفني
يانفس كم تخفي اللطف عاملني
يانفس توبي من العصيان وانزجري
فقد كفي ماجري لي حسي الله

[وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله عليه] أنه كان إذا توشأ وتعت الزلزلة على أعضائه إلى أن يقوم إلى الصلاة يكبر فيسكت عنه ذلك ، فقيل له في ذلك . فقال إني أخاف أن تدركني الشقاوة فأخطي إلى كنائس اليهود والنصارى أو يجمعهم ، فعوذ بالله من مكر الله .
[وعن سفيان الثوري رضي الله عنه] أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في المحمل . فقال له شيبان الراعي : يا سفيان لم بكائك ؟ إن كان لأجل العصية فلا تعصه . فقال سفيان : أما الذنوب فما خطرت بيالي قط صغيرها ولا كبيرها ، وليس بكائي يا شيبان من أجل العصية ، ولكن من خوف الحاقة ؛ لأنني رأيت شيئا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة ، وجاور بيت الله الحرام سنين ، وكان تلمس بركته ويستسقي به القيث . فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات إلى الشرق كافرا فما أخاف إلا من سوء الحاقة . فقال له : إن ذلك من شؤم العصية والإصرار على الذنوب ، فلا تعص ربك طرفة عين :

يانفس توبي فان السوت قدحانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه
يانفس مالي وللا أموال أكنزها
مابالنا تنعamy عن مصارعنا
كم قد رأينا أناسا صالحين قضوا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
صاحت بهم حاديات الدهر فاقبلوا
أخلوا منازل كان العز مفرشها
واعصى الهوى فالهوى مازال فتنانا
ننسى بمصرعه آثار موتانا
خلقنا وأخرج من دنيا عريانا
ننسى بفعلتنا من ليس ينسانا
موتا وقد سلبوا ديننا وإيماننا
بسوء خاتمة الموت أعيانا
قد آن تقصيرها قد آن قد آننا
كانت تحمله الأذقان إذ عانا
مستبدلين من الأوطان أوطانا
واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا

وقد أوصى الله تعالى
عيسى ابن مريم عليهما
السلام : يا ابن مريم عظ
نفسك فان اتعظت فعظ
الناس وإلا فاستحي
مني ، وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم « تركت فيكم
ناطقا وصامتا فالناطق هو
القرآن . والصامت هو
الموت » وفيهما كفاية
لكل متعظ ومن لم يتعظ
بهما كيف يعظ غيره ،
ولقد وعظت نفسي بهما
فقبلت وصدقت قولاً
وعلماً وأبت وعمدت
تحقيقاً وفعللاً ، فقلت
لنفسى : أما أنت مصدقة
بأن القرآن هو الواعظ
الناطق وأنه كلام الله للنزل
الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ؟
فقلت بلى ، فقلت لها قد
قال الله تعالى (من كان
يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف إليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لا يخسرون أولئك
الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا
يعملون) فقد وعد الله

يارا كفا في ميادين الهوى مرحا ورافلا في ثياب الغنى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

[وعن حمزة بن عبد الله] قال شهدت : أبا بكر الشامي عندهم موتة فقلت له كيف حالك ؟ قال كسفينة تدور على العرق فلا أدري أنجو بالسلامة وتأتي الملائكة بالبخارة (أن لا تخافوا ولا تحزنوا) أم تفرق السفينة ، وتأتي الملائكة تقول (لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) أي بعدا بعدا فلا تصلح لنا . يا خبيث يا عاصي ابك على ظلام قلبك فإنه يضئ إذا بكى السحاب على الربا تبسمت ، ويحك تقول أنا تائب وتوقف ، انفض وبادر فتلاف خيرا فات إذا صدق التائب في توبته أنسى الله كاتبيه ما كتبنا ، وأوحى الله تعالى إلى الأرض أن اكتمى على عبدي :

يارب قد تبنت فأغفر زلتي كرما وارحم بعفوك من أخطاؤم ندمنا
لأعدت أفعل ما قد كنت أفعله عمرى غفد يدي يا خير من رحما
هذا مقام ظلم خائف وجل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفع بعفوك عمن جاء معتذرا واغفر ذنوب مسيء طالما اجترأ

[إخواني] الشيطان راصد يرصد في جميع المقاصد (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) لا تسمعوا قوله فإنه كذاب أشتر ، ولا تقبلوا نصحه فإنه غشاش (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وأعجب لمن كان في ظهر أبيه آدم كيف يدخل ناراً وقودها الناس والحجارة يا ابن آدم : إنما طردنا إبليس لأنه لم يسجد لأبيك ، فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا :

لا عذر لي قد أتى المشيب فليت شعري متى أتوب

إبليس قد غرني ونفسي ومسني منهما الغيوب إذا انقضى للشقاء ذنب
تجددت بعده ذنوب ومن ورأى حلول قبر ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا أتاني رسول ربي بما أوجب هل أنا عند الجواب متى
أخطئ في القول أم أصيب أم أنا يوم الحساب ناج أم لي في ناره نصيب
يارب جد لي على رجائي بمنة منك لا أخيب

[وحكي] أن مؤذنا أذن في منارة أربعين سنة ، فصعد يوما وأذن حتى بلغ قوله : حتى على الفلاح ، فوقع بصره على امرأة نصرانية فذهب عقله وقابسه ، فترك الأذان وذهب إليها فخطبها . فقالت مهري ثقيل عليك ؟ فقال وما هو . قالت تدخل في ديني وتترك دين الإسلام فكفر بالله ودخل في دينها . فقالت له إن أبي في أسفل الدار أنزل إليه واخطبني منه فزّل فزلت رجله فسقط ومات كافرا ولم يقض شهوته منها فعوذ بالله من سوء الخاتمة .

[وكذلك يروى] أن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه ، وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس في محرابه فتمثل له يوما . وقال يا أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة في حصر نفسك وإتعايب بدنك . وقد بقي من عمرك مثل ماضى فأطلق نفسك في شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد إلى العبادة فإن الله غفور رحيم . فقال العابد أنزل إلى أخي في أسفل الدار وأوافقه على الهوى واللذات عشرين سنة ، ثم أتوب وأعبده الله في العشرين التي تبقى من عمري فزّل ، وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنت عمري في المعصية وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأنوبن وأصعد إلى أخي وأوافقه في العبادة ما بقي من عمري فلعل الله يغفر لي فطلع على نية التوبة ، ونزل أخوه على نية المعصية ، فزلت رجله فوقع على أخيه فما تاجمعا في السلم فحشر العابد على نية المعصية ، وحشر المسرف على نية التوبة .

بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا ، فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألد الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنت منها أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى ؟ فإن كان كذلك فما أكفرك ، أم كان للرض أشد عليك من النار ؟ فإن كان كذلك فما أجهلك فصددت نيم ما تنفع ، بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت ، فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت إذ قال الله تعالى (تل إن اللوت الذي تررون منه فإنه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقالت لها هي أنك ملت إلى العاجلة أفلمست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قطعاً عليك ما أنت متمسكة به وسالبا

[إخواني] فرغوا قلوبكم للاعتبار ، فيما يجري في الليل والنهار ، كم من بعيد قرب ، وكم من قريب أبعد وجفاه الأهل والجار ، وكان حظ الأول الجنة وحظ الثاني النار . فاعتبروا بأولى الأبصار . ندم العابد على تغيير نيته بلاشك ولاخفا ، وبكى على تفريطه بعد عبادته إذ ذل وهفا . يود لو أن صافي وده . يرد ويرجع إلى الوفا وسيعلم أنه بنى على شفا جرف هار فاعتبروا بأولى الأبصار :

أناس أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى أساءوا ظنهم فينا فهلا أحسنوا الظنا
فإن عادوا لنا عدونا وإن خانوا فما خنا وإن كانوا قد استغنوا فإنا عنهم أغنى

[وقال الإمام أبو محمد رحمه الله تعالى عليه] خرج ثلاثة من الزهاد يريدون الحج إلى بيت الله الحرام في وسط السنة متوكلين بغير زاد فزلوا قرية فيها نصارى فوقع نظر رجل منهم على محاسن امرأة نصرانية فتعلق قلبه بها . فلما عزموا على السفر احتال منهم بخيلة وقعد وسار صاحباه وتركاه في القرية فأششى سره لأبي المرأة فقال له مهرها ثقيل عليك لا تقدر عليه فقال وما هو ؟ قال ترك دين الإسلام وتدخل دين النصرانية فتتصر وتزوجها وولد له منها ولدان ومات على دين النصرانية فرجع صاحباه من سياحتهما وسألا عنه ، فقيل له إنه توفي على دين النصرانية ودفنوه في مقابرهم فذهبا إلى المقبرة فوجدا امرأته وولديه يبكون على القبر فجعل صاحباه يبكيان من بعيد قالت لهما المرأة مم تبكيان ؟ فقصا عليها القصة وعبادته وزهده وصلاته . فلما سمعت ذلك رقت قلبها إلى الإسلام فأسلمت هي وولداها ، فقال الشيخ أبو محمد : سبحان الله مات من كان مسلما على الكفر وأسلم من كان كافرا فكذلك ينبغي أن يخاف السلم عاقبة أمره ، ويسأل الله تعالى حسن الخاتمة :

سبحان من خلق الأشياء وقدرها ومن يحود على العاصي ويستره
يخفي القبيح ويسدي كل صالحة ويعمر العبد إحسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله إذا أناب وبالفقرات يحسبه
ومن يلوذ به في دفع نائبة يعطيه من فضله عزا وينصره
* ولا يضيع مثقالا لمجتهد بل في المال يريه ويدخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنسا فبالدماع والتقوى يطهره
وليس للعبد تصريف وإن له مولاه إن شاء يغنيه ويفقره
فلا الحذر ينجي العبد من قدر يريده الله أو أمر يدبره
فنسأل الله حقا حسن خاتمة عند الممات وصفوا لا يكدره

[وقال منصور بن عمار رحمه الله تعالى عليه] كان لي أخ في الله يعتقدي ويזורني في شدة ورعاه وكنت أراه كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته أياما فقلت لي هو ضعيف فسألت عن داره فأثبت الباب فطرقته فخرجت إلي ابنته فقالت من تريد ؟ فقالت فلانا فدخلت واستأذنت لي ثم عادت وقالت ادخل فدخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شزرا وغشى عليه فقلت له ثانيا يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شذرا وغشى عليه فقلت له ثالثا يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ولئن لم تعلمها لا غسلتك ولا كفتك ولا صليت عليك ففتح عينيه وقال يا أخي يا منصور هذه كلمة حيل بيني وبينها فقلت لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قلت له يا أخي أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام ؟ فقال : يا أخي كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني وأذكر به وكنت أفعل ذلك رياء الناس فإذا خلوت بنفسني أغلقت

منك كل ما أنت راغبة فيه وإن كل ما هو آت قريب ، وإن البعيد ما ليس آت ، وقد قال الله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكأن منها قول لا يحصل وراء عمل ولم يجتهد قط في زود الآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ، ولم يجتهد في رضا الله تعالى كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستح من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشعر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فأنها لاتطمئن في أوائل الشتاء ما لم تنفصرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يغتطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا تصور أن تختطف منها . فقلت لها : أأنت

الباب وأرخت الستور وشربت الخمر وبارزت ربي بالمعاصي ودمت على ذلك مدة فأصابني مرض أسرفت فيه على الهلاك ، فقلت لابنتي هذه ناوليني المصحف ففعلت فأخذته فجعلت أقرأ فيه حرفا حرفا حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت : اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ما شفقتني وأنا لأعود إلى ذنب أبدا ففرج الله عني ، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو ، وأنساني الشيطان العهد الذي كان بيني وبين ربي وبقيت على ذلك مدة من الزمان فرضت مرضا أشرفت فيه على الموت فأمرت أهلي أن يخرجوني إلى وسط الدار على عادتي ، ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعتة وقلت : اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم ، من كلامك القديم ، إلا ما فرجت عني . فاستجاب الله مني وفرج عني . ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغى فوقع في هذا المرض فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما رأيته ؛ ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي فيه حرف واحد فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب عليّ فرفعت رأسي إلى السماء وقلت : اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عني يا جبار الأرض والسماء . فسمعت هاتفا يقول ولم أر شخصه :

تتوب من الذنوب إذا مرضت وترجع للذنوب إذا برئت إذا ما لصر مسك أنت باك
وأخبت ما يكون إذا قويت فكمن من كربة نجاك منها وكمن كشف البلاء إذا بليت
وكمن غطاك في ذنب وعنه مدى الأيام جهرا قد نهيت أما تخشى بأن تأتي النايا
وأنت على الخطايا قد دهيت وتنسى فضل رب جاد فضلا عليك ولا رعويت ولا خشيت

وكمن عاهدت ثم نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسيت
قدارك قبل ثقلك عن ديارك إلى قبر إليه قد نعت

[قال منصور بن عمار] والله ما خرجت من عنده إلا وعني تسكب العبرات فما وصات إلى الباب إلا وقيل لي قد مات فلان فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الخاتمة فسكن من نفس مكربها بعد أن كانت صائغة قائمة . [وحكى عن عبد الله الموصلي] قال : كان عندنا رجل موله يدعى بقضيب البان وكان لا يقدر أحد أن يكلمه من عظم حرمة وهيبته وكان كثير البكاء ، فجمعني به القادر في خلوة له فقالت ياسيدي بالذي شغلك به عمن سواه ما كان سبب تولك وانفرادك عن الناس ؟ فنظر إلى وبكى بكاء شديدا ثم اصفر لونه واضطرب وغشى عليه فظننت أنه قد مات ، فلما أفاق وآتسته بالكلام ولاطفته بالخطاب ، وسألته عن حاله وأقسمت عليه حدثني وهو يبكي وقال : كنت أخدم شيخي وكان من الأبدال فخدمته أربعين سنة وهو مجتهد في العبادة ؛ فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعاني وقال : يا ولدي يا عبد الله لي عليك حق ولك على حق ومن تمام حق عليك أن تصغي لما أقول وتحفظ وصيتي ، فقلت له حبا وكرامة ، فقال بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على غير فطرة الإسلام ، فإذا أنا مت فضعني في تابوت بتياني ، واحمل تابوتي في الليل إلى أرض كذا في ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس . فإذا رأيت جماعة قد جاءوا ومعهم تابوت فوضوه إلى جانب تابوتي وأخذوا تابوتي ومضوا فخذ التابوت الذي جاءوا به وعد إلى الزاوية فافتحه وأخرج الرجل الذي فيه وافعل معه ما كان يجب عليك أن تفعله معي والسلام ، فبكيت وقلت ياسيدي كيف يكون هذا الأمر ؟ فقال يا ولدي هذا جرى في اللوح المحفوظ والله الأمر من قبل ومن بعد (لايسئل عما يفعل) فلما كان بعد ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه ودار إلى ناحية الشرق وانكب على وجهه ومات فبكيت بكاء شديدا ولحقني عليه من الحزن ما لم يعلمه إلا الله عز وجل ثم ذكرت وصيته فوضعت في تابوت . فلما كان الليل خرجت به إلى الأرض التي سماها فوضعت ومكثت حتى طلعت

تستعدين للصيف بقدر
طوله وتصنعين آلة الصيف
بقدر صبرك على الحر ؟
قالت نعم . قلت : فاعصى
الله بقدر صبرك على النار
واستعددي للآخرة بقدر
بقائك فيها . فقالت : هذا
هو الواجب الذي لا يرخس
في تركه إلا الحق ثم
استمرت على سجيبتها
ووجدتني كما قال بعض
الحكماء : في الناس من
ينزجر نصفه ثم لا ينزجر
نصفه الآخر ، وما أراي
إلا منهم ، ولما رأيتها متقدمة
في الطغيان غير منتفعة
بعوظة الموت والقرآن
رأيت أهم الأمور التفتيش
عن سبب تماديها مع
اعترافها وتصديقها . فإن
ذلك من العجائب العظيمة
فطال فتفتيشي عنه حتى
وقفت على سببه وها أنا
موص نفسي وإياك بالخطر
منه فهو الداء العظيم ،
وهو السبب الداعي إلى
الغرور والإهمال وهو
اعتقاد تراخي الموت
واستبعاد هجومه على
القرب فانه لو أخبره صادق

الشمس ، فإذا بجماعة قد أقبلوا ولهم عويل ولهم عويل ومعهم تابوت فوضعوه إلى الأرض جانب ذلك التابوت وتقدم رجل منهم يحمل التابوت الذي كان معي ومضى فعلقته به ، وقلت لاسبيل لك إلى أخذ هذا التابوت حتى تخبرني بخبرك ؟ فقال : أنا خادم هذا الطريق منذ أربعين سنة . فلما كان قبل موته بثلاثة أيام أحضرني وقال يا ولدي لي عليك حق ولك على حق ومن تمام حق عليك إذا أنا مت بعد ثلاثة أيام فضعني في التابوت واحماني إلى المكان الفلاني وذكر هذا المكان فلذا وجدت تابوتا موضوعا فخذ وضع التابوت الذي أنا فيه مكانه واحمله إلى الكنيسة وما كان يجب عليك أن تفعله في حق فافعله مع صاحب ذلك التابوت والسلام ! فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلك وجهه بالفرح ونطق بالشهادة ومات مسلما ففعلت ما أمرني به وقد جئت به . قال عبد الله فحملت التابوت الذي جاء به ومضيت به إلى الزاوية ففتحتة فإذا فيه شيخ وعلى وجهه أنوار وشيبة بيضاء عليها وقار فأخرجته من التابوت وزعت ثيابه وغسلته أنا والفقراء وصلينا عليه ودفناه في الزاوية وكان يوما مشهودا فخرجت هائما على وجهي من خوف الخاتمة وسوء النقلب فهذا كان سبب تولي . فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ بالله من مكره تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون :

يا ويح من ضل سبيل الهدى	وفاته منك بلوغ الرام	ومن إلى حسنك آويته
فركنه في عزلة لا ينام	كم صالح قد صف أقدامه	في الليل يسكن بالدموع السجام
وماله حظ سوى أنه	أشقاء مولا بطول القيام	وكم قريب خاب سعي وما
نال سوى التعذيب والانتقام	وكم بعيد نال ما يرتجى	ونال في عقابه أعلى مقام
يا أيها اللوام كفوا فمن	دليله من جبره لا يلام	من لم يكن أهلا لوصل فما
يفيده القرب ولا الاعتصام	فسطوة الأقدار لا تعتدى	فاتقوا من نومكم يانيام
يا أيها المذنب قم واعتذر	وتب من الذنب وكسب الأنام	إلى متى أنت ترى غاديا
ورائحا في الله طوع الغرام	أنب إلى الله وتب واستقم	من قبل أن تشرب كأس الحمام
وإن تخف قبح ذنوب مضت	فلذ بمولى الحق خير الأنام	محمد المختار من هاشم
أفضل من حج وصلى وصام	صلى عليه الله ما أشرقت	طلائع الصبح وولى الظلام

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد نبيك العظيم ورسولك الكريم . والداعي إلى الصراط المستقيم . اللهم إنا قد توسلنا بجاهه إليك ، واعتمدنا بشفاعته لديك ، أن تؤمن خوفنا . وتستر عيوبنا . وتغفر ذنوبنا . إلهي إن كنت لتقبل إلا المجتهدين ؟ فمن للمقصرين ؟ وإن كنت لا ترحم إلا الطائعين ؟ فمن للعاصين والمذنبين ؟ . إلهي قد علمنا سوء من أنفسنا فتب علينا . إلهي هب لنا من فضلك ماتعينا به عمن سواك . ومن عفوك ماتؤوينا به إلى ركنك وحماك . إلهي ارزقنا توفيق الطاعة ونبذ العصية ، وإخلاص النية ، وحسن الطوية ، والرجوع إليك بالكلية ، وارحمنا رحمة تجبر بها كسرنا ، ونغني بها فقرنا ، وتكفر بها وزرنا ، وترفع بها قدرنا ، وانفعنا بما سمعناه من كلامك القديم ، وحديث رسولك الكريم ، وشفعه في تقصيرنا يوم لا ينفعنا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقباب سليم برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

المجلس الثالث

في ذكر الموت وزيارة القبور والترحم على أهلها

الحمد لله المستحق لغاية التمجيد ، التوحد في كبريائه من غير تسكييف ولا تخديد ، العلى القوي الولى الحميد ، الغنى الغنى المبدى العبد ، المعطى الذى لا ينفى عطاؤه ولا يبيد ، المانع فلا معطى لما

في يياض نهاره أنه يموت من ليله أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى ، فأنكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يأمل أنه عسى أو أمسى وهو يأمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويق ولم يقدر إلا على سير ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « صل صلاة مودع » ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلهه ، ومن غلب على ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ، ومن لم يخطر بخطرته قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسمعت نفسه فلا يزال في غفلة دأمة وفتور مستمر وتسويق متتابع إلى أن

منع ولا راد لما يريد . خلق الخلائق وسلكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد ، وصورهم فأحسن صورهم وبشرهم في الجنة بالنعيم والتخليد ، وبصرهم بعين الاعتبار وحذرهم من عذاب النار والوعيد . وألزمهم شكره وضمن لهم كثر فضله المزيد ، وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولا محيد ، فسكن أبكى خليلا بفراق خليله ، وكم أيتم وليدا وشغله بيكائه وعويله ، فهو لا يبدي بفرط حزنه ولا يعيد . هدم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار الأحرار منهم والعبيد ، أوحش المنازل من أقمارها ، ونقر طيور الأرواح من أوكارها ، وعوضهم من لذة العيش بالتغيص والنكيد . فالملك والمملوك والغني والصعلوك تساوت قبورهم في القفر والبيد . فسبحان من أذل بالموت من الجبارة كل جبار عنيد ، وكسره من الأكسرة كل بطل صنديد ، أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور وقطع جبل أمدهم المديد ، أخذ به الآباء والجدود والأطفال من اليهود ، فأسكنهم اللحد ، وغفر وجوههم في الصعيد وسأوى في اللوت بين الصغير والكبير والغني والفقير والمأمور والأمير والوالد والولد . أفنى به الكور والإناث فهم في سجن الأحداث إلى يوم الوعيد . أفلا يعتبر العاقل بمصرعهم . وقد أفناهم الموت بأجمعهم وفرق شملهم بالتبديد . فكيف يفتر الإنسان وهو عالم بأن الله تعالى على للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ولم يكن له عنه محيد . أما كانت نفوسهم بذلك عالمة ؟ وهي من اللوت غير سالمة (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) أين أهل المدن والحصون أين أرباب اللعان والفتون ؟ أين المحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد ؟ أين الأمم الماضية ؟ أين أرباب القصور العالية ؟ حق عليهم الوعيد ، فلو عاينتهم في قبورهم لعجبت من أمورهم ؛ قد غير إلى أحوالهم ومزق أوصالهم ، ولم يعرف منهم الأحرار من العبيد . أما أصبح منهم ذو الشدة والباس بعد القرب والإناس في ظلمة اللحد وحيد ، أما وعظهم الموت بمن أخذ من شق وسعيد وقريب وبعيد . أما أنذرهم قول الملك الحميد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) :

ويحك نبه نفسك واعمل لما تلقى غدا الموت يأتي بغتة وليس منه محيد
إن كنت يا صاح نائم لا بد في القبر تنبه وأنت فيه محير عما تريد بعيد
من لك إذا مت ملك من كان يهوى صحبتك وحزت لحدك وحدك مفلس غريب وحيد
أهل القبور يتمنوا ما أنت فيه مجتهد ولست تدري من هو منهم شقي وسعيد
فدع دموعك تجري قبل أن يقال لمن عصى ألم تسكن قبل تدري إن الحساب شديد
كل القلوب قد لانت لكن قلبك قد قسا كأن قلبك أضحي بين القلوب حديد
ويحك فعي زادك واحذر تفند يافتي قبل أن تسافر بغتة ما ينفع التفنيد
[وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه] قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار يا رسول الله من أكيس الناس ؟ قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة » .

[وعن عائشة رضي الله تعالى عنها] قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقلت يا رسول الله أكرهية للموت فكلنا نسكركه للموت . فقال : ليس ذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، والكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فسكره الله لقاءه » . وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، قال فإن كان لابد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة »

بدركه اللوت وبهلكه
حسرة القوت وأنا مقترح
عليه أن يسأل الله تعالى
أن يرزقني هذه الرتبة
فاني طالب لها وقاصر
عنها ، وأوصيه أن لا يرضى
من نفسه إلا بها وأن يحذر
مواقع التورر فيها ويحترز
من خداع النفس فان
خداعها لا يقف عليه إلا
الأكياس وقليل ما هم ،
والوصايا وإن كانت كثيرة
والمذكرات وإن كانت
كبيرة فوصية الله أكلها
وأفعمها وأجمعها وقد قال
الله عز وجل وعلا في محكم
القرآن (ولقد وصينا
الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)
فما أسعد من قبل وصية
الله تعالى وعمل بها
وآذنها لنفسه ليجدها
يوم مردها ومنقلبها .
وقال يزيد الرقاشي : كان
في بني إسرائيل جبار من
الجبارة وكان في بعض
الأيام جالسا على سرير
مملكته فرأى رجلا قد
دخل من باب الدار إذا
صورة منكورة وهيئة هائلة

خير الى وتوفى ما كانت الوفاة خيرا الى « فاجتهد أيها العبد في العمل الصالح واشفق من كأس لا بد
أنك ذائقه وارحل عن عيش لا بد أنك مفارقة ، يا ناسيا للرحيل وقد حث نجيب الرحيل سائقه اعتبر
عن سبقك فأعما يعطى المني سابقه .

فاشدد خوفه من هجومه

وهيئته وقدمه فوثب

في وجهه ، وقال له من

أنت أيها الرجل ومن

أذن لك في الدخول الى

داري ؟ فقال أذن لي

صاحب الدار ، وأنا الذي

لا يحجبني حاجب ولا أحتاج

في دخولي على الملوك الى

إذن ، ولا أرهب سياسة

السلطان ولا يفزعني جبار

ولا لأحد من قبضتي فرار ،

فلما سمع هذا الكلام

خرّ على وجهه ووتعت

الرعدة في جسده . وقال

أنت ملك الموت ؟ قل

نعم . نال أنفم عليك بالله

إلا أمهلني يوما واحدا

لأتوب من ذنبي وأطلب

العذر من ربي وأردّ

الأموال التي أو دعها

خزائني الى أربابها ولا

أتحمل مشقة عذابها .

فقال كيف أمهلك وأيام

عمرك محسوبة وأوقاته

مشتبة مكتوبة ، فقال أمهلني

ساعة ؟ فقال إن الساعات

في الحساب وقد عبرت

وأنت غافل وانقضت وأنت

ذاهل وقد استوفيت

ألا أيها القلب الكثير علاقه ألم تر أن الدهر تجري بواقته

رويدك لاتنس المقابر والبلى وطعمة كأس الموت إنك ذائقه

ألا أيها الباكي على الليت بعده رويدك لاتعجل فانك لاحقه

إذا اعصم الخلق من فتن الهوى بخلقه أنجاه منهن خالقه

أرى صاحب الدنيا مقبلا بحيله على ثقة من صاحب لا يفارقه

فلا تتمن الموت يا صاح إنه سيأتيك منه عن قريب طواره

[وروى] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ملئت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة

تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها » وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي

ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فان كان

صالحا أجاب عنه بحب القبر ، فيقول : أرايت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

فيقول القبر إذا تحوّل عليه روضة خضراء ويعود جسمه نوراً وتصعد روحه إلى الله عز وجل » .

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بشيا ونسأل بعده عن كل شي

[وروى] اسمعيل بن محمد عن كعب الأحبار رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يمر أحد في المقابر إلا وتناديه أهل القبور يا غافل لو علمت ما نحن نلذ لك وجسمك كما

يذوب الثلج على النار » . وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يزور قبرا فليزره ، ولا يقول إلا خيرا

فإن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحي » .

[وروى] عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما من رجل يمر على قبر أخيه المؤمن كان

يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام .

تتاجيك أموات وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت أيا جامع الدنيا لغير بلاغه

لمن تجمع الدنيا وأنت تموت وإنكمو إذا ما علينا تسلموا نرد عليكم واللسان صموت

وقل سليمان بن عبد الملك لأبي حازم يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ قال لأنكم عمرتم الدنيا

وخرتم الآخرة ، فأتم تسكروهن النقلة من العمران إلى الخراب . قال يا أبا حازم كيف القدوم

على الله تعالى ؟ قال : يا أمير المؤمنين . أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحا ، وأما المسيء فكالعبد

الآبق يأتي مولاه خائفا محزوناً .

[وقال أبو سلمان الداراني رحمه الله عليه] قلت لأمر هرون العابد أن يحين أن توفي ؟ قالت

لا . قلت ولم ؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقا لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جل جلاله ؟ .

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله فيأخذ منه ظلمه لعباده

ويجزيه بالخير الذي هو فاعله وكيف يلذ العيش من كان صائرا إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله

ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه قريبا ويسلى جسمه ومفاصله

[وقال أبو بكر السكتاني رحمه الله عليه] كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياها فحسب

يوماً ستينته فوجدتها ستين سنة فحسب أيامها فوجدتها أحد وعشرين ألف يوم وخمسة يوم فصرخ وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : يا ويلتاه وأنا آتيت ربي بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسة ذنب يقول هذا لو كان في كل يوم ذنب واحد ، فكيف بذنوب لا تحصى . ثم قال آه علي عمرت دنياي وخربت آخرتي وعصيت مولاي الوهاب . ثم لا أشتى القلة من العمران إلى الخراب ، وكيف أقدم في يوم الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب ؟

منازل دنياي عمرتها وخربت دارى في الآخرة

فأصبحت أنكر دارى الخراب وأرغب في دارى العامرة

ثم شق شمة عظيمة وقع على الأرض فركوه فإذا هو ميت ، رحمة الله عليه .

[وقال أبو عمر الضرير] حدثني سهل أخو حازم ، قال : رأيت مالك بن دينار في المنام بعد موته فقلت له : يا أبا يحيى بماذا قدمت على الله عز وجل ؟ قال قدمت عليه بذنوب كثيرة محاسنها حسن ظني بالله عز وجل .

يظن الناس بي خيراً وأنا أشد الناس إن لم تغف عني

ومالي حيلة إلا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني

[وسئل] بعض الزهاد كيف حاله ؟ فقال كيف حال من يريد سفراً بلا زاد ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ، ويقدم على مالك قادر بغير حجة :

تعطف بفضل منك يا مالك الوري فأنت ملاذى سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبغى بها رضاك وإن العفو منك يقيني

[وبروي] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : أنه وقف على قبر فبكى ، فقيل له إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فان ينجم منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينجم منه فما بعده أشد منه » ووجد على قبر مكتوباً :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس ولم يشربوا من بارد الماء نهلة

ولم يطعموا من كل رطب ويابس ولم يك منهم في الحياة منافس طويل المني فيها كثير الوسواس

ألا ليت شعري أين قبر ذليلكم وقبر العزيز الشامخ للتشاسوس لقد سكونوا في موحش التراب والثرى

فهاهم بها ما بين راج وآيس ولو عقل المرء المنافس في الذي تركتم من الدنيا له لم ينافس

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم

عنك بعد الموت ومن ذا يتوضأ عنك بعد الموت ؟ . ثم يقول : أيها الناس لم لا تبكون على نفوسكم

بأقرب حياتكم ، فمن يكن الموت موعده والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع ذلك

ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله وكيف يكون ماله . ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه :

ماذا يكون مال المرء بعد هنا عيش وآخره موت سيعقه

والدهر يفجعه فيمن يسره والموت عن كل ما هوواه يحجه

وحادثات ليلته زوعه جهرا فيمزج بالتغص مشربه

يلهو ويحسب أياما يغربها وللنية قرب ليس يحسبه

أنفاسك ولم يبق لك نفس

واحد . فقال من يكون

عندي إذا قلتي إلى لحدى ؟

فقال لا يكون عندك

سوى عملك . فقال مالي

عمل ، فقال لا جرم يكون

مقبلك في النار ، ومصيرك

إلى غضب الجبار ، وقبض

روحك غرق عن سريره

وعلا الضجيج من أهل

مملكته وارتفع ولوعهوا

ما يصير إليه من سخط ربه

لكان بكأؤم عليه أكثر

وعويلهم أوفر .

[فصل في طول الأمل]

قال الله تعالى (ألم يأن

للذين آمنوا أن تخشع

قلوبهم لذكر الله ومازل

من الحق ولا يذكروا

كالذين وتوا الكتاب

من قبل فطال عليهم الأمد

فقت قلوبهم وكثير منهم

فاسقون) وعن أبي بن

كعب رضي الله عنه قال

« كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا ذهب ثلث

الليل قام ، فقال يا أيها الناس

اذكروا الله جات الراجعة

تتبعها الرادفة جاء الموت

بما فيه » وعن ابن عباس

[ويروي] أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة في قلبها فقالت لها : أكرهى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فشكرت عائشة رضي الله عنها .

ومرض أبو الدرداء رضي الله عنه ، فقالوا له أى شيء تشتهي ؟ قال الجنة قالوا : أندعوك طيبيا قال الطبيب أمرضني . فقال له رجل من أصحابه : يا أبا الدرداء أنت تهوى أن أساهرك الليلة ؟ فقال له أبو الدرداء : أنت معافي وأنا مبتلى والمعافاة لاتدعك أن تسهر والبلاء لا يدعني أن أنام . ثم قال : أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر .

وإذا ابتليت بشدة فاصبر لها صبر الكرام فما يدوم مقامها فاقه يبلى كي يشيب فلا تضق

ذرا بنازلة جرت أحكامها ولرب يوم نازلتك خطوبها ثم انجلي قبل الظلام ظلامها

ولئن جزعت فليس ذاك بنافع إن الأمور قضى بها علامها

[وفي بعض الخطب المروية] أيها الناس : إن الآمال تطوى ، والأعمار تنفى ، والأبدان تحت التراب تبلى ، وإن الليل والنهار يترا كضمان كركض البريد . يقربان كل بعيد ويبيلان كل جديد وفي كل ذلك عباد الله ما ألهمى عن الشهوات . وسلى عن اللذات ورغب في الأعمال الباقيات الصالحات .

خابلي إن العمر وافي بلجة له دائما نحو النيسة انجال

وأرواحنا الأرزاق والموت ساحل ومن دونه من عاصف الخطب احوال

حقيقة ذى الدنيا محال وباطل ويتبعنا فيها حقوق وآجال

وفي الباقيات الصالحات كفاية لمن قصرت منه على الدهر آمال

[وروي] في الخبر « إن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكرباته . وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك » وقيل لحسان بن أبي سنان كيف تجددك ؟ قال بخير إن نجوت من البار . قيل له ما تشتهي ؟ قال ليلة طويلة أصلها كلها . وقال عبد الله بن عتبة عدت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت له كيف تجددك ؟ فأشدني :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقول الحاملون جنازتي

وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجلي إليهم كرامتي

كأهموم لم يعرفوا قط صحبتي غداة أتى يومى عليه وساعتي

[وقيل] دخل للزنى على الشافعي رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي مات فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال أصبحت عن الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى ربي سبحانه وتعالى واردا ولا أدري روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم أنشد :

ولما قسا قلبي وضقت مذاهبي جعلت الرجا منك لعفوك سلما تعاضمتني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

فلولاك لم يغوى بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدمما

فياليت شعري هل أصير لجنة فأهني وإما في السعير فأندما

[ويروي] أن رجلا جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع ف رأى في منامه صاحب القبر فقال له يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل والله لأن تكون ركعتان في صحيفتي أحب إلي من الدنيا وما فيها .

[ويروي] أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فأشده يقول :

رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء فيقيم بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب ؟ فيقول :

ما يدريني على لا أبلغه . وعن أنس قال النبي صلى الله عليه

وسلم « يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان : الحرص

على المال ، والحرص على

العمر » وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « مثل

ابن آدم إلى جنبه تسع

وتسعون منية إن أخطأته

لنأيا وقع في الهرم » وروي

أن الحسن قيل له إن فلانا

مات بغتة . فقال ما يعجبكم

من ذلك لو لم تمت بغتة مرض

بغتة ثم مات . قال الغزالي

رحمة الله عليه : وعليك

أن تجتنب طول أملك فانه

إذا طال هاج أربعة

أشياء : الأول ترك الطاعة

والسكسل فيها يقول

سوف أفعل والأيام بين

يدي . الثاني ترك التوبة

وتسويها يقول : سوف

أتوب وفي الأيام سعة وأنا

شاب وسنى قليل والتوبة

بين يدي وأنا قادر عليها

مضى رمتها ، وربما اغتاله
الحمام على الإصرار
واختطف الأجل قبل
صلاح العمل . والثالث
الحرص على جمع الأموال
والاشتغال بالدنيا عن
الآخرة يقول أخاف الفقر
في الكبر وربما أضعف
عن الاكتساب ولا بد لي
من شيء فاضل أدخره
لمرض أو هرم أو فقر هذا
ونحوه يحرك إلى الرغبة في
الدنيا والحرص عليها
والاهتمام بالرزق تقول إيش
آكل وإيش ألبس هذا
الشتاء وهذا الصيف
ومالي شيء ولعل العمر
يطول فأحتاج والحاجة
مع الشيب شديدة ولا بد
لي من قوت وغنية عن
الناس ، وهذه أمثلها
تحرك إلى طلب الدنيا
والرغبة فيها والجمع لها
والنعم لما عندك منها .
والرابع النسوة في القلب
والنسيان للآخرة لأنك
إذا أملت العيش الطويل
لأنك الموت والنهر .
وعن علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنه : أخوف

مالي مررت على القبور مسلما قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أملت بعدى خلة الأصحاب لو كان ينطق بالجواب لقال لي
قال فهتف بي هاتف من جانب القبر يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
وحجبت عن أهلي وعن أصحابي فعليكم مني السلام تقطعت عني وعنكم خلة الأصحاب
وتمزقت تلك الجلود صفائحاً ياطلما لبست رفيع ثياب وتنصت تلك الأنامل من يدي
ما كان أحسنها لحظ كتابي وتساقطت تلك الثيابا لؤلؤا ما كان أحسنها لردّ جوابي
وتساقطت فوق الحدود نواظري ياطلما نظرت بها أحبابي

[وقال ثابت البناني رضي الله عنه] دخلت المقابر لأزور القبور وأعتبر بالموتى وأنفكر في البعث
والنشور وأعظ نفسي لعلمها ترجع عن التني والفجور ، فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون
وفرادي لا يتزاوون فأبست من مقامهم واعتبرت بأحوالهم ، فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول :
يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها .

[وقيل] مرّ داود الطائي بامرأة تبكي على قبر وهي تنشد هذه الأبيات :

عدمت الحياة فلانلتها إذ أنت في القبر قد أوسدوكا

وكيف ألدّ بطعم الكرى وهأنت في القبر قد أفردوكا

ثم قالت : يا أبتاه بأيّ خديك بدأ الدود ؟ قال : غفر داود مغشياً عليه .

[وقيل] لما حضرت حسن بن هاني الوفاة وأيقن بالموت وتحقق لقاءه أنشد :

دب في السقام سفلا وعلاوا وأراني أموت عضوا فعصوا ليس من ساعة مضت بي إلا

نقصتني بمسرها بي حزوا لهف قلبي على ليال تقضت وسنين مضين لعبا ولهاوا

قد أسأنا كل الإساءة جهرا ومن الله نطلب الآن عفوا

[إخواني] انتبهوا من رقدة المجوع وافزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والخشوع . فكأنكم بالموت
وقد فرق الجموع ، وأخلى النصور والربوع ، وأمطر عليهم سحاب الدموع ، وناداهم الشوق بطرف
بك وقلب موجوع :

معارف في الثرى هجوع فالقلب من بعدهم صدوع تكدرت بعدهم حياتي

فأوحشت منهم الربوع كانوا سروري ونور عيني فما لها بعدهم هجوع

ماتوا فأودى لذيذ عيشي وبالأسي ذابت الضاعو يانفس كم من جوع وصل

فرقها البين والولوع يانفس لدوت فاستعدى فاموت إتيانه سريع

فلا مليك ولا شريف في الدهر يبقى ولا وضيع ولا سعيد ولا شقي

ولا عصي ولا مطيع يانفس إن الأصول ماتت فما عسى تلبث الفروع

[قال مالك بن دينار رحمه الله عليه] أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكّر ، والتفكير في الموت
والاعتبار ، فتمنيت من يخبرني عنهم بخبر ، أو يقص لي من آثارهم بعض أثر ، فقامت بلسان أحزاني
ما قدحت زناد أشجاني من الفكر :

أتيت القبور فنأيتها فأين المعظم والمحقّر

وأين المدل بسلطانه وأين العزيز إذا ما افتخر

قال : فتوديت من بين القبور ، وأنا بالوجد مغمور :

تفانوا جميعا فلا تحسب وماتوا جميعا وصاروا عبر وعادوا إلى ملك عادل
عزير مطاع إذا ما أمر تروح وتغدو بنات الثرى فتمجى محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيمن مضى معتبر

قال مالك بن دينار : فرجعت أبكي بالدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أى اعتبار .

[وقال بعض الصالحين] زرت مرة القبور حين عيج قلبي لهيب النار : فأقمت عندها برهة من
الزمان أنظر إليها بعين الاعتبار ، وأناجى صرعاها بالشئ والإبكار ، وأجلس إليها فى الأصائل
والأسحار ، فخال فكبرى فى مجال الفكر والاعتبار بخطاب نظمته من محاسن الأشعار :

أحبابنا فارتطمونا فأوحشت قلوب لنا من بعدكم وديار
فكم قد تذكرونا محاسن من مضى فجاءت دموع للفرار غزار
نضوا وقضيتهم ثم قضى فلا بقا لحى وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نرور مقابرا ومتم فزركم وسوف نزار
سقت ديمة الرضوان ريارا كوا وسحت لها فى ساحتيه بحار

أجاب لسان الحال فى الحال عما أبدت من المقال :

يقول لسان الحال إذ أخرس الردى لسانا لهم منه الفصيح يغار
شربنا بكأس أسكرتنا مريرة ألا رب سكر ماحواه عقار
فلا يغتر بالله من عاش بعدنا بعيش فأيام الحياة قصار
وإننا وجدنا خير أزوادنا النقى هو الربح حقا ماعدها خسار
وما العيش إلا زورة الطيف فى الكرى وما هذه الدنيا الدنية دار

يا من ركن إلى الدنيا بإقامة وثبات احذر أسد الموت فإن له وثبات كيف تركن إلى اللذات وقد جاء
فى طلبك المات واعتبر يا هذا بمصارع المالكين فقيمهم لدى التفكير عظات :

لقد زرت أقواما كراما أحبهم وهم تحت أطباق الثرى فيه أموات
وواصلتهم من بعد بين وفرقة فكان لنا فيهم عظات وإنصات
وأعجب شئ فى الوجود اجتماعنا ونحن على ذلك التواصل أشتات

[وروى] أنه وجد على قبر مكتوب :

اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرحا وحزنا مرة لا الحزن دام ولا السرور

[وقال الأصمعى رحمه الله عليه] كنت كثير التفكير فى عجائب الأمور . وأجبل الفكر فى البعث
والنشور . وأنسلى بقراءة الكتابة على القبور . فئن ذلك رأيت ثلاثة قبور على صف وعليها لوح
مكتوب عليه :

ألا قل لماش على قبرنا غفول لأشياء حلت بنا
سيندم يوما لتفريطه كما قد ندمننا لتفريطنا

وقال أيضا وجدت على حجر مكتوبا فى المقبرة :

وقفت على الأجنة حين صفت قبورهمو كأفراس الرهان
فلا أن بكيت وفاض دمعى رأت عيناي بينهمو مكاني

ما أخاف عليكم اثنان :

طول الأمل واتباع الهوى

ألا إن طول الأمل ينسئ

الآخرة واتباع الهوى

يصدك عن الحق فإذا

يصير فكرك فى حديث

الدنيا وأسباب العيش وفى

صحبة الخلق ونحوها فيتسو

القلب . فيسبب طول

الأمل تقل الطاعة وتتأخر

التوبة وتكثر العصية

ويشتد الحرص ويتسو

القلب وتكظم الغفلة فتذهب

والعياذ بالله إن لم يرحم الله

الآخرة فأى حال أسوأ

من هذه وأى آفة أعظم

من هذه وإنما رقة القلب

وصفوته بذكر الموت

ومفاجأته والقبر والثواب

والعقاب وأحوال الآخرة

وروى أن ذا القرنين

اجتاز بقوم لا يعلكون

شيئا من أسباب الدنيا وقد

حفروا قبور . وتاهم على

باب دورهم وهم فى كل

وقت يتعهدون تلك القبور

وينظفونها ويوزرونها

ويعبدون الله تعالى بينها

ومالهم طعام إلا الحشيش

ونبات الأرض فبعث

قال : ومشييت قليلا ودمعي مسكوب ، وقلبي من فراق الأحباب مسلوب ، فوجدت على قبر لوحا وعليه مكتوب هذه الآيات :

يا أيها الناس كان لي أمل قصري عن بلوغي الأجل فليتيق الله ربه رجل
أمكنه في حياته العمل ما أنا وحدي جعلت حيث ترى كل إلى ما هات ينتقل
وقال وجدت على قبر مكتوبا :

قف واعتبر فقريا تحل هذا الحلا هذا مكان يساوي فيه الأعز الأذلا
وقال وجدت امرأة تبكي على قبر ولدها وتنشد :

بالله يا قبر هل زالت محاسنه وهل تغير ذلك المنظر النضر
يا قبر ما أنت لاروض ولا فلك فكيف يجمع فيك الشمس والقمر

وقال أيضا : مررت يوما بقبور كنت أعرف أهلها أهل سرور ولذات ورفاهية وشهوات . فرأيت في لوح منها مكتوبا هذه الآيات :

أيها الماشي بين هذي القبور غافلا عن معقبات الأمور
ادن مني أنبيك عنى ولا ينبيك عنى يا صاح مثل خير
أنا ميت كما تراني طريح بين أطباق جندل وصخور

أنا في بيت غربة وانفراد مع قربي من جبرتي وعشيري ليس لي فيه مؤنس غير سعي
من صلاح سعيته أو فجور فكذا أنت فاعتبرني والا صرت مثلي رهين يوم النشور

[وروي عن الفضيل بن عياض ، وقيل ابن الموفق رحمه الله عليه] قال : كنت آتي قبر أبي المرة والمرة وأكثر زيارته فشيئت يوما جنازة إلى المقبرة التي أبي فيها وكان ورأى شغل فتجلت الرواح فلم أزره . فلما كان الليل رأيته في المنام . فقال يا بني إنك أتيت بالأمس ولم تأتني . فقلت : يا أبت وإنك لتعلم بي إذا أتيتك . فقال : إي والله يا بني إنك لتأتني فلا أزال أنظر إليك حين تجوز القنطرة إلى أن تصل إلي وتقع عندى ثم تقوم فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

[ويروي] أن فارسا مر بسلام فسأله يا غلام أين العمران ؟ فقال له اصعد الشرف فصعد فأشرف على المقبرة فقال : إن هذا الغلام إما جاهل أو حكيم فرجع إليه فقال له : سألتك عن العمران فدلتني على المقابر ؟ فقال الغلام : إنى رأيت أهل تلك ينقلبون إلى هذه ولم أر أحدا ينقلب من هذه إلى تلك وإنما ينقلب من الحراب إلى العمران ولو سألتني عما يواريك وذابك لدلتك ثم أنشد :

نفس زوري القبور واعتبريها حيث فيها لمن يزور عظام
وانظري كيف حال من حل فيها بعد عز وهم بها أموات
حرصوا أملوا كحرصك يا نفس ووافقهم الحمام فماتوا
فالسراة العظام منهم عظام في بطون الثرى حطام رفات
فكان قد حلت في مصرع القو م وحات بجسمك اللات

[وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا وملك الموت يهتف في المقابر فينادي يا أهل القبور من تحسدون اليوم ؟ فيجيبونه فيقولون : نحسد أهل المساجد في مساجدهم يصلون ولا تقدر أن نصلي . ويصومون ولا تقدر أن نصوم . ويتصدقون ولا تقدر أن تتصدق . ويذكرون ولا تقدر أن نذكر فيندمون على ماضي من زمانهم » :

رب يارباه هذا جسدي تحت أطباق الثرى مرتها ما أرى لي عملا لكن أرى

إليهم ذو القرنين رجلا
يستدعي ملكهم فلم يجبه
وقال مالي إليه حاجة فغاء
ذو القرنين إليه وقال :
كيف حالكم ؟ فاني لأرى
لكم شيئا من ذهب
ولافضة ولا أرى عندكم
شيئا من نعم الدنيا ؟ فقال
نعم لأن نعم الدنيا لا يشبع
منها أحد قط . فقال لم
حفرتم القبور على أبوابكم ؟
فقال لتكون نصب أعيننا
فننظر إليها فيتجدد لنا
ذكر الموت ويرد حب
الدنيا في قلوبنا فلا نشغل
بها عن عبادة ربنا ، فقال
كيف تأكلون الحشيش
فقالوا : لأننا نكره أن نجعل
بطوننا مقابر للحيوان
ولأن لذة الطعام لا تتجاوز
الحلق ثم مديده إلى طاقة
فأخرج منها قحف رأس
آدمي فوضعه بين يديه
وقال يا ذا القرنين تعلم
من كان هذا ؟ فقال لا
قال كان صاحب هذا
القحف ملكا من ملوك
الدنيا وكان يظلم رعيته
ويجور على الضعفاء
ويستفرغ زمانه في جمع

ياإلهي فيك ظني حسنا وعلى عفوك ياذا الفضل قد كنت في ديناي أحسنت الثنا

فأقل عثرة عبد مذنب وتجاوز واعف عنه محسنا

الدنيا فقبض الله روحه

وجعل النار مقره وهذا

رأسه ثم مديده ووضع

فحفا آخرين يديه ، وقال

له أتعرف هذا ؟ فقال لا .

فقال كان هذا ملكا عادلا

مشفقاعلى رعيته محبا لأهل

مملكته فقبض الله روحه

وأسكنه جنته ورفع درجته

ثم إنه وضع يده على رأس

ذى القرنين ، وقال ترى

أى هذين الرأسين يكون

هذا الرأس فبكى ذو القرنين

بكاء شديدا وضمه إلى

صدره وقال له إن أنت

رغبت فى صحبتى فإني أسلم

إليك وزارتى وأقاصيك

مملكى . فقال هيأت مالى

فى ذلك رغبة ، فقال لم ؟

قال لأن جميع الخلق كلهم

أعداؤك بسبب المال

والمملكة ، وجميعهم

أصدقاؤى بسبب القناعة

والصلصة والله در القائل :

دليلك أن النقر خير من

الغنى

وأن قليل المال خير من

الثرى

لغاؤك عبدا قد عصى الله

بالغنى

ولم تلق عبدا قد عصى الله

بالفقر

[وعن الأوزاعى رحمه الله عليه] قال : مرّ ميسرة بن الحسين بالمقابر يوما وكان يسكن المصيبة وقائمه يقوده وكان مكفوف النظر حتى إذا صار إلى المقبرة قال له قائده هذه المقبرة ياميسرة فقال السلام عليكم يا أهل القبور أتم لنا سلف ونحن لكم خلف ، فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم وبارك لنا ولكم فى القدوم عليه إذا صرنا إلى ما صرتم إليه ، قال فرد الله تعالى الروح إلى رجل منهم فأجابه بلسان فصيح ، فقال : طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون فى الشهر أربع مرات . قال ميسرة وكيف نخرج فى الشهر أربع مرات يرحمك الله ؟ قال المشى إلى الجمعة ، أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة ؟ قال . فأخبرنى بما قدمتم عليه وتقدم يرحمكم الله ؟ . قال الاستغفار لأهل الدنيا أنفع الأشياء فى الآخرة . قال فما منعكم أن تردوا السلام علينا ؟ . قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلا حسنة تزيد ولا سيئة تنقص ، وقد رضينا منكم بقولكم رحم الله فلانا للتوفى ، فاعتنموا يرحمكم الله الأعمال الصالحة واجتنبوا الأعمال الخبيثة واصرفوا همكم عن عمارة ما يقى إلى عمارة الأجداث فكنائكم بساقى اللينة ، وقد أدار كأسه على الكور والإناث .

يا آمن الأقدار بادر صرفها واعلم بأن الطالبين حثا خذ من رائك ما استطعت فأنما

شركاؤك الأيام والوراث المال مال المرء ما بلغت به الشهوات واندفعت به الأحداث

ما كان منه فاضلا عن قوته فليوقن بأنه مسيراث

مالى إلى الدنيا الغرورة حاجة مات الكور بها ومات إناث

[وقالت عائشة الأندلسية رحمه الله عليها وكانت من الصالحات] : مات ولد لى فكنت أزوره

فى كل أسبوع مرة ، فكنت إذا قربت من قبره سمعت جيرانه من الموتى يقولون : يا فلان هذه

أمك قد جاءت إليك ، فكنت أنظر إلى قبره كأنه يضحك لى فأسر بذلك .

لو كلم الميت من يشيعه لقال لا تغتر فأنت أنا

قد كنت ألهو وغرني أملى عاجلى الموت ما بلغت منى

[وقال الحرث بن نهان رحمه الله] : كنت أخرج إلى الجبانات فأترحم على أهل القبور وأتفكر

فيهم وأعتبر بأحوالهم ، فأنظر إليهم سكوتا لا يتكلمون وجيرانا لا يتزاورون قد صار لهم من بطن

الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى : يا أهل القبور محبت من الدنيا آثاركم وما محبت عنكم

أوزاركم وسكنتم فى دار البلى فتورمت أقدامكم . قال ثم أبكى بكاء شديدا ثم أميل إلى قبة فيها

قبر فأنام فى ظلها . قال فيينا أنا نائم الى جانب القبر وإذا بصاحب القبر وفى عنقه سلسلة ، وقد

ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول : يا ويلتى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا لما ركبوا معاصى

الله عز وجل أبدا طولبت والله بالذات فأوثقتى ، وبالخطايا فأغرقتنى ، فهل من سامع أو مخبر أهلى

بأمرى ؟ قال الحرث : فاستيقظت وأنا مرعوب وكاد أن يخرج قلبى من هول ما رأيت ، فمضيت الى

دارى وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت ، فلما أصبحت قلت دعونى أعود الى الوضع الذى كنت

به بالأمس لعلى أجد به أحدا من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيت . فلما مضيت إلى المكان الذى

كنت فيه بالأمس لم أجد به أحدا فتمت وإذا بصاحب القبر يسحب على وجهه وهو يقول : يا ويلتاه

ماذا حل بى ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أجلى ، قد غضب على رب الأرباب ، فالويل لى إن

لم يرحمنى وينقذنى من العذاب . قال الحرث فاستيقظت وقد توله عقلى مما رأيت وصممت فرجعت

إلى دارى وبث ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبر لعل أجد أحدا من زوار القبور فأعلمه الذى رأيت ، فلم أجد أحدا من زوار القبور ، فأخذنى النوم فرأيت صاحب القبر ، وقد قرن بين قدميه وهو يقول : ما أغفل أهل الدنيا عنى ضوعف على العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب وغضب على رب الأرباب ، وغلق فى وجهى كل باب فالويل لى إن لم يرحمنى العزيز الغفار الوهاب . قال الحارث فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف وإذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقمار فتباعدت عنهن وتواريت عن التربة لئلا أسمع كلامهن ، فتقدمت الصغرى حتى وقفت وقالت : السلام عليك يا أبتاه كيف أصبحت وكيف هددوك فى مضجعتك وكيف قرارك فى موضعك ؟ ذهبت عنا بودك وانقطع عنا خير سؤالك ، فما أشد حزننا عليك وشوقنا إليك ، ثم بكت بكاء شديدا ، ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ، ثم قالتا : هذا قبر أبنينا الذى كان شقيقا علينا والرحيم بنا آنسك الله برحمته وصرف عنك شر عذابه ونقمته ، يا أبتاه جرت بعدك أمور وهوم لوعايتها لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا ، وقد كنت أنت تسترها . قال الحارث : فبكيت لما سمعت كلامهن ، ثم قمت مسرعا إليهن فسلمت عليهن وقلت لمن أيتها الجوارى : إن الأتغال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل أيبكنا المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره مأحزنى واطلعت من حاله على ما أبكبنى وأهمنى . قال الحارث : فلما سمعن كلامى كشفن عن وجوههن وقلن يا أبتاه العبد الصالح وما الذى رأيت ؟ قلت لى ثلاثة أيام أتردد الى هذا القبر أسمع صوت المفعمة والسلسلة فيه . قال فلما سمعن ذلك قلن لى : هذه بشارة مأضرها ومصيبة مأحرها نحن نقضى الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار ، فوالله لا قرلنا قرار ولا أخذنا نوم ولا اضطرب حتى تنزع الى الكريم الغفار فقله يعق أبانا من النار ثم مضين يعثرن فى أذيالهن . قال الحارث فمضيت إلى دارى وبث ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده وأنا متفكر فى حاله ، فغلبنى النوم فمضت فإذا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجله نعل من ذهب ودهمه خدم وغلمان . قال الحارث فسلمت عليه وقلت له يرحمك الله من أنت ؟ قال : انا الرجل الذى عاينت من أمرى مأحزتك واطلعت من حالى على ما أرجفك فجزاك الله عنى خيرا ، فما أبرك طلعتك على فقات له وكيف كان حالك ؟ . فقال لما اطلعت على وأخبرت بناتى بالأمس بحالى ، ورجعن إلى منازلهن أمهلن عيونهن وأرسلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب واستوهبن من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والأوزار وأتقضى من النار وأسكنى دار القرار بجوار النبي المختار فاذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وما كان من قصتى ليذول عنهن روعهن ويفارقهن حزنهن ، أعلمهن أنى صرت الى جنان وقصور وولدان وحوور ومسك وكافور وفرحة وسرور ، وقد عفا عنى العزيز الغفور . قال الحارث : فاستيقظت فرحا مسرورا لما رأيت وسمعت ، فمضيت الى دارى وبث ليلتى . فلما أصبحت أتيت القبور فوجدتهن حافيات الأقدام عليهن آثار الحزن والاعظام ، فسلمت عليهن وقلت لمن أبشرن ، فقد رأيت أبا كن فى خير عظيم وملك مقيم ، وقد أخبرنى أن الله تعالى أجاب دعاء كن ولم يخيب مسعا كن ، وقد وهب لكن أبا كن فاشكره على ما أولا كن . فقالت الصغرى اللهم يامؤنس القلوب ويأسر العيوب ويا كاشفا عنا الكروب ويا غافرا الذنوب ويا عالم العيوب ، قد علمت ما كان من مسألتى ومسكنتى واعتذارى فى خلوتى وإقالتى من زلتى وتنصلى من خطيئتى وأنت اللهم تسلم همى والمطاع على نيتى والعالم بطوبى ومالك رقتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى مطايبى ورجائى عند شدتى ووثقى فى وحدتى وراحى فى غربتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى ، فان كنت قصرت فى طاعنى وارتكبت ماعنه نهيتنى فبجاهك حميتنى وبسترك سترتنى : فيا أكرم

[فصل] اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير متيسر إذ الإباء إذا كان مملوءا بشئ لا يكون لشيء آخر محل فيه ، ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وكأشرف والغرب بقدر ما تقرب من أحدها تبعد من الآخر . قال الله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) وقال تعالى (فلا تفرسكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال

الأكرمين ، ويا منتهى غاية الطالبين ، ومالك يوم الدين ، أنت تعلم ما أخفى في الضمير وتدبر أمر الصغير والكبير ، فإن كنت قضيت حاجتي بفضلك وشفعتني في عبدك أبي الفقير الدليل الحقير ، فأقبض إليك روحي وأنت على كل شيء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها . ثم تقدمت الثانية فنادت بأعلى صوتها : اللهم يارب الأرباب ويا معترك الرقاب من النار والعذاب فرج كربتي وخلص من الشك قلبي ، يا من أقامني من صرعتي وأقالني من عثرتي ودلني من حيرتي وأغانني في شدتي إن كنت قبلت دعوتي وقضيت حاجتي وعمرت بذكرك قلبي فألحقني بأختي ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها . قال : ثم تقدمت الثالثة فنادت بأعلى صوتها : يا أيها الجبار الأعظم والملك الأكرم والعالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم ؛ العزيز من أعززه ، والدليل من أذلته ، والشريف من شرفته ، والسعيد من أسعدته ، والشقي من أشقته ، والقريب من أدينته ، والبعيد من أبعدته ، والمحروم من حرّمته ، والراغب من وهبته ، والخاسر من عذبتة : أسألك باسمك العظيم ، ووجهك الكريم ، وعلمك المكنون ، الذي بعد عن إدراكه الأفهام ، وخفي عن مناولته الأوهام ، وأسألك باسمك الذي جعلته على الليل فدجا ، وعلى النهار فأضاء ، وعلى الجبال فتدكدكت ، وعلى الرياح فعصفت ، وعلى السموات فارتفعت ، وعلى الأرض فسطحت ، وعلى الملائكة فسجدت ، اللهم إن كنت قضيت حاجتي وأنجحت طلبتي وأجبت دعوتي فألحقني بأخوتي ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليهن . قال الحارث : فتعجبت من أحوالهن وتقارب آجالهن . فله در أقوام أمروا فامثلوا وعملوا فقبلوا وعلى مرادهم حصلوا ، طلبوا وصاله فبجل حبه وصلهم ، ودعوا مولاهم فاستجاب لهم ؛ أخلصوا في خدمته قولا وفعلًا وقضوا في طاعته فرضًا ونفلا ، وطلبوا لقاءه فأحب لقاءهم ومنحهم قربًا ووصلا وما تواروا على دين حبه لما كانوا لذلك أهلا .

تجلى لهم سرًا فأفنى وجودهم	ولم يبق من أجسادهم مفصلا أصلا
وأضحوا نشاوى من مدامة حبه	وأرواحهم تسمو إلى الملاء الأعلى
تفانوا على دين الغرام فأصبحوا	بسيف الهوى في حب محبوبهم قتلى
سقاهم كؤوس الحب صرفا وحبذا	كؤوس بصافي الود من حبه غلا
وناداهم والليل قد مدّ ستره	وأوردتهم من فضله المورد الأحلى
وأشهدهم أنوار حسن جماله	وبوأهم من قربه الفضل والوصلا
فهاموا به لما رأوه صبابة	وقد عدموا في حبه الدهن والعقلا
وقال ابشروا ثم انظروا وعتعوا	فهذا جمالي قد بدا لكم يحلى
فيامعشر الأحباب يهنيكم اللقاء	فسعدكم وافي وحننكم ولى
فيارب بالهادى البشير محمد	نبي زكا فرعا كما قد زكا أصلا
ومن قدر رقي نحو السماء مشرقا	وفضله حقا وألمهته عدلا
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا	فنحن أتينا منك نستعطر الفضلا
عليه سلام الله ماسرت الصبا	وما لاح نور من محاسنه يحلى

المجلس الرابع

في مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي اختار من عباده من صلح للعبادة وانتقى ، وجعلهم خداما وقسمهم أقساما وفرقا ،

والتشرف لدينه » وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر ، فسكت حتى ظننا أنه ينزل عليه ، قال فمسح عنه الرخصاء ، وقال أين السائل وكأنه حمده ؟ وقال إنه لا يأتي الخير بالشر وإن مما يثبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرناها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ، وإن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضع في حقه فنعيم العونة ، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » يعنى مثال كثرة المال كمثال ما يثبت في فصل الربيع فإن بعض النباتات حلو في فم اللذبة وهى حريصة

خصهم بغيرته ونظر إليهم ورعاهم برعايته ، وأخذ عليهم عهدا وموثقا ، صاقاهم فاصطفاهم وناداهم فأدناهم ؛ وحياهم بالوصل واللقاء . رفعهم من حضيض نفوسهم إلى حضرة أنيسهم وسقام بكأس تسبيحهم وتقديسهم شرابا قديما مروقا ، فطاب كل منهم لنشوة شرابه وسكر عند سماع خطابه ، وسما إلى حضرة أحبابه وارتقى ، وتبلى لهم على طور السحرفتملى الحب وفاز بالنظر وخر كلهم الوجد منهم صغقا ، أفناهم عن الوجود بخادوا بالموجود ولم يتركوا رمقا ؛ أودعهم سر أرحمته خفاقوا من غيرته فجعلوا عليهم بابا مغلقا ، ففاح أرجها إلى مشام القلوب ، فاستنشقت من جانب المحبوب نثرا عبقا ، وسرى سرها الخفي وأرجها الزكي إلى سر سرى السقطي ، فسار على الآثار مستبقا ، وإلى الشبلى قبات لعرائس المحبة يستجلى ، وإلى أبي يزيد فطلب المزيد وازداد حرقا ، وإلى الجليل فأضحى في قيد المحبة موثقا ، وإلى الفضيل فشمروا في خدمته الذليل وسار مذ وافي الليل على خيل التوفيق بعد قطع الطريق موثقا ، وإلى الخواص ففاص في بحار الإخلاص وأضحى من جواهر الخواص متقى ، وإلى ممنون فظهر عليه من المحبة والوجد فنون ، فهام في الجبال كالمجنون ونادى بلسان أشواقه ودموع آماقه تتدفق تدفقا :

أطعمتموني في الوصال وفي اللقا وهجرتموني فالتبت تحرقا
يامالكي رقي وغاية مطلبي رققا فقد ذاب الفؤاد تشوقا
حاشا كمو أن تطردوني سادتي وبحبك قلبي غدا متعلقا
ياسادتي لم يهن لي من بعدكم عيش ولا عاينت شيئا موثقا
إن مت من وجدى وفرط صباي شوقا إلى رؤياكم لكم البقا
يانفس قد زال العنا فتمتعي بوصال من تهوى فقد زال الشقا
وجلا الحبيب جماله فلاجل ذا أصبحت من وجدى به متمزقا
ها كم فؤادى فقتوه فان روا فيه لغيركموهوى وتشوقا
فتحكموا فيسه بما يرضيكمو يامنيتى إن خان يوما موثقا
وإذا فنت بحبك فيحق لي إن الفناء بحبك عين البقا

[وقال عبد الرحمن بن المهذب رحمه الله عليه] مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالة ينادى على عبد ويقول أبيع على عيبه . فقلت للدلال : ما العيب الذى فيه ؟ فقال سله يامولاي فدنوت من الغلام وقلت له : ما العيب الذى فيك ؟ فقال ياسيدي عيوني كثيرة فلا أدرى بأبها أشهرونى ، فقلت للدلال أخبرنى ما العيب الذى فى هذا الغلام ؟ فقال به داء الجنون ، فقلت للغلام كيف يأتىك هذا الصرع ، أفى كل سنة أم فى كل جمعة أم فى كل شهر ؟ فقال : يامولاي إذا استولى داء المحبة على القلب سرى فى الأعضاء كلها ، وإذا استولى على الجوارح انتشر سمار المحبة فى سائر الجسد فطاش العقل بذكر الحبيب وأحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقه الجاهل جنونا . قال عبد الله ، فعلمت أن الغلام من أولياء الملك العلام ، فقلت للدلال : كم ثمن هذا الغلام ؟ فقال مائتا درهم . قلت : ولك عشرون ، فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به إلى الدار وأمرته بالدخول ، فأبى وقال : ياسيدي ألك أهل ؟ قلت نعم ، قال ومن يستطيع أن ينظر إلى غير محرمه ؟ فقلت له قد أبحت لك ذلك ، فقال معاذ الله : لست مهتما كان لك من حاجة قضيتها وأنا دون الباب فسكت عنه وتركته ، ثم أخرجت له طعاما فقال إنى صائم ، فلما كان الليل أخرجت له عشاء فقال إنى طاو وقام عندي فى دهليز الدار ، فخرجت إليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى

على أكله ، ولكن ربما تأكل كثيرا فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب ، فإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يطيقه كرشها فتأكل وترك الأكل حتى ينضم ما أكلت وحتى تبول وتروث روثا وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرها الأكل ، فكذلك من يحصل له مال كثير فإن حرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتجمل فيقسو قلبه وتكبر نفسه ، ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولا يخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار فمن كانت هذه صفته لاشك أن المال شر له ويبعده من الجنة ويقربه من النار ، ومن أدى حقوق المال ولا يحتقر الناس ولا يفتخر عليهم ولا يشغل بجمع المال

ولم يشعر بي ، فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا ، فسمعت من مناجاته : إلهي أغلقت الملوك
أوابها وبابك مفتوح للسائلين . إلهي غارت الأجود ونامت العيون وأنت الحي القيوم ، الذي
لأناخذ سنة ولا نوم . إلهي فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المحمدين يا أنيس
المستوحشين . إلهي إن طردتني عن بابك فألى باب من ألتجى ، وإن قطعتني عن خدمتك فخدمة
من أرتجى . إلهي إن عذبتني فأني مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عني فأنت أهل الجود
والكرم ، ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال : يا سيدي لك أخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون
وبرحمتك أذاب القصورون : يا جميل العنود أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وإن لم أكن أهلا لذلك
فأنت أهل التتوي وأهل المغفرة ، فدخلت الدار ولم أشوش عليه . فلما أصبح الصباح خرجت إليه
فقات له كيف نمت البارحة ؟ فقال : يا سيدي أو ينم من يخاف النار والعرض على الملك الجبار
والتوبيخ غدا على الذنوب والأوزار ؟ ثم بكى طويلا فقات اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ،
فبكى وقال : يا سيدي كان لي أجران أجر العبودية وأجر الخدمة ، وقد ذهب عني أحدهما أعتقك
الله من نار جهنم ، قال ثم دفعت إليه نفقة فأبى قبولها ، ثم قال إن المتكفل بالأرزاق حي لا يموت
ثم خرج هائما على وجهه لا أدري أين ذهب ، فواشوقاه إلى أبواب القلوب وواحنائه على قواف
الطلوب . يا محبوسا في سجن الغفلة لو أشرفت على وادي الرجاء لرأيت خيم القوم مضروبة على
شاطئ بحر (كانوا قليلا من الليل ما يهجمون) وسمعت أطيار أشجانهم على أغصان أحزانهم
تترنم بأصوات (وبالأسحار هم يستغفرون) لذلمهم السهر ، وصفا وقته من الكدر ، وراق لهم
وقت السحر ، وخلوا بالمحبوب ، وفازوا بالمشاهدة والنظر :

هذا الحب مع المحبوب قد حضرا	وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته	صرفا يكاد سناها يخطف البصر
ياسعد كرر لنا تذكاره فاقد	بلبلت أسماعنا يا مطلب الفقرا
وما لركب الحى مالت معاطفه	لا شك أن حبيب القوم قد حضرا
غدا غدا تنظر الأعلام قد رفعت	أمامهم علم للوصول قد نشرا
ومجلس الأنس بالمحبوب يجمعهم	والكاس دائرة ما بينهم سحرا
ومن مقام تجلى لاشييه له	حاشاه يشبه شمسا لا قمر
منزه عن شريك في جلالتيه	موحد في علاه ليس فيه مرا
فمن أناه فقيرا لا مراد له	سواء يكتبه من جملة الأمر
هذا السماع الذي تشفى الصدور به	هذا الحبيب الذي قد هم الفسكرا
صوفية عند ماضات صدورهم	أزال عنهم جميع الشك والكدر

[وقال محمد بن الفضيل] رأيت شابا راقدا على الأرض ، وقد افترش التراب وهو يئن أنينا
شديدا ، فقلت لصاحبي اعدل بنا إليه فإنه عليل ، فقال ما هذا عليل ، هذا في الباطن من المحبين ، وفي
الظاهر من المجانين قلبه بحب مولاه مفتون وهو يدعى بعبيد المجنون ، فتقربت إليه فإذا هو شاب نحيف
الجسم وعليه جبة صوف بالية وهو يقول : عجبا لمن ذاق حلاوة محبتك كيف ينقطع عن خدمتك ،
ثم لم يزل يردد ذلك القول حتى غشى عليه ، فقات لصاحبي والله ما المجنون إلا الذي لم يصل إلى هذا
المقام ، فلما أفاق من غشيته قال ما بالك تنظرون إلي ؟ قلنا لعل دواء يشفي من الداء الذي تجده
قال إن الذي ابتلى بالداء عنده الدواء ، ولكن الذي يريد أن يتداوى يحتفى . قلت بماذا ؟ قال

بحيث يفوت عنه طاعة
ويحسن إلى الناس فماله
خير له كما قال عليه الصلاة
والسلام « نعم المال الصالح
للرجل الصالح » . فإذا
عرفت هذا فقد عرفت
أن الخير والشر لا يحصل
للرجل من عين المال ،
بل نفس الرجل هي التي
تصرف المال فيما فيه خيره
أو شره ، قاله المظهرى .

وقال صلى الله عليه وسلم
« لكل أمة فتنة وفتنة
أمتي للمال » وقال صلى الله
عليه وسلم « إن الله تعالى
يقول : ابن آدم تفرغ
لعبادتي أملا صدرك غنى
وأسد فقرك وإن لم تفعل
ملائت يدك شغلا ولم أسد
فقرك » .

[وحكى أن رابعة العدوية
رضي الله عنها] كانت
تقول لكل يوم وليلة
هذه ليلتي التي أموت فيها
فلا تنام حتى تصبح وتقول
للهار كذلك فلا تنام حتى
تمسى . وقال أبو بكر بن
عياش : ختم القرآن
في هذه الزاوية ثمانية
عشر ألف ختم . وصام

بترك الحرام وتجنب الآثام ، ومراقبة الملك العلام ، والتمسك بالليل والناس نيام ، ثم بكى بكاء شديدا طويلا وبكىنا معه وقلنا له نحن أضيافك ، فادع لنا . فقال : ما أنا من خيل هذا الميدان فأقسمنا عليه . فقال تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال ، وجعل قراكم الغفرة ، وجعل مثواكم الجنة ، وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال ، ثم انصرفنا عنه ، وقد عجبتنا من حسن لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه . يا هذا هذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف حالك أيها العاقل اللبيب ؟ يدعوك مولاك فلا تجيب ويأمرك بالإجابة فلا تنيب ويستحضرك إلى حضرات قربه وأنت في الغيب ، إلى متى تضيع عمرك وما نلت من نصيب ؟ إلى متى أنت بعلقة زلتك ولا ترفع قصة غصتك إلى طيب ؟ ويحك بادر بالتوبة إلى باب ، وعفر الخد على أعتابه فهو منك قريب ، واسأله الهداية والتوفيق ، واقتصد في تفريغ الهم والضيق ، فقاصده لا يجيب ، وتقرب إليه بما يرضيه واحذر من معاصيه ، فإنه حاضر لا يغيب ، وادعه حين تناجيه ، فإنه لداعيه مجيب ، وتب في هذه الساعة إليه وتضرع بين يديه بالبكاء والنحيب ، فعسى أن يجتنبك لطاعته ويهديك بهدائه (فإن الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) . [كان وكان]

تصلى وتعلق بابك	كيلا يرونك تفضح	نسيت أنى حاضر	ولى عليك رقيب
ترغم بأنك عاقل	وأنت من أهل الدكا	وبعت حضره بنظره	ماذا فسل لبيب
عمرك مضى وتفضى	بقي القليل وترحل	فخذ أن كان رأيك	في الحزم رأى مصيب
فانهض وهي زادك	تسل مرادك والى	وراع غصن شباك	مادام غصن رطيب
وقف بيباب الولى	وادعوه في وقت السحر	فالوقت رائق لائق	والرب منك قريب
مولى تجافيه يخو	وإن نسيته يذكرك	وإن دعاك تولى	وإن دعوت يجيب
فاضرع إليه ونادى	بذلة ياسسيدي	يا من عليه اتكلى	ومن إليه أنيب
أنا المقصر بذنبى	وأنا المسىء لشقوى	حاشا رجائى وظى	يارب فيك يجيب
وليس لى من شفيع	إلا النبي المصطفى	ومن لدنك اصطفتيه	دون الأنام حبيب
صلى عليه وسلم	رب السموات العلى	ماسار سائر إليه	بناقة ونجيب

[قال الجنيد رحمه الله عليه] جلست يوما بين أحناء تنذاكر عباد الله الصالحين ، فقال السرى كنت يوما جالسا في بيت المقدس عند الصخرة ، وكانت أيام العشر وأنا متحسر على التخلف عن الحج في تلك السنة . فقلت في نفسي : إن الناس قد توجهوا إلى مكة ولم يبق إلا أيام قلائل وأنا هنا مقيم فبكيت على فوات نصبي وتخلنى ، فسمعت هاتفا يقول : يا سرى لا تبك فإن الله تعالى يقيض لك من يوصلك إلى الحج . فقلت : وكيف يكون ذلك وقد بقي أيام يسيرة وأنا بيت المقدس ؟ فقال : لا تحزن إن الملك القدير يهون عليك العسير ، فسجدت شكرا لله تعالى وجلست أنتظر صدق الهاتف ، وإذا بأربعة شباب قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تطلع من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه هبة وجلالة وهم خلفه وعليهم لباس الشعر ، وفي أرجلهم نعال الخوص ، فدنوا من الصخرة ودعوا الله تعالى ، فامتسلا للمسجد من أنوارهم فقامت معهم وقلت يارب : لعل هؤلاء الذين رحمتهم بهم ورزقتهم صحتهم ، فدخلوا القبة والشاب أمامهم وهم خلفه ، فصلى كل واحد منهم ركعتين والشاب قائم يناجى ربه ، فدنوت منه لأسمع مناجاته فبكى ، ثم كبر وصلى صلاة سلبت قوادى ولبي ، فلما فرغ جالس وجلس الثلاثة بين يديه فدنوت منهم . وقلت : السلام عليكم . فقال الشاب : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ،

ابن الصنم أربعين سنة وقام ليها ، ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة . وصلى عبدالقادر الجيلاني رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولزم الغزالي إلى الانقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا يمضى لحظة منها إلا في طاعة من التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث خصوصا البخاري وإدامة الصيام والتجهد وبجالة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى . ولم يضع النووي رحمه الله جنبه على الأرض نحو سنتين ، وكان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق ويجيئه يشتغل في تكرار ومطالعة وحكاياتهم في المبادرة إلى الخيرات كثيرة يكفي من وفقه الله ما ذكرنا ، وكل ذلك من نتيجة قصر الأمل .

اعلم أن مما يعينك على

ياسرى يا صاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك بأن لا يفوتك الحج في هذه السنة ، فكذبت
أن أصعق وامتلأ قلبي فرحا وسرورا . فقلت : نعم ياسيدى هتف بى هاتف قبل ورودكم بساعة .
فقال نعم ياسرى كنا قبل أن يهتف بك الهاتف بساعة في بلاد خراسان قاصدين بغداد ، فقضينا
حوادثنا وعزمنا على القصد إلى بيت الله الحرام . فأحببنا زيارة قبور الأنبياء بالشام ثم تقصد مكة
شرفها الله تعالى وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتيننا إلى ههنا زور البيت المقدس ، فقلت له ياسيدى
وما كنتم تصنعون بخراسان ؟ فقال : لأجل الاجتماع بإبراهيم بن آدم ومعروف الكرخى إخواننا
في الله عز وجل جئنا إلى بغداد نقصد البيت الحرام ، جئت أنا إلى بيت المقدس لأجل الزيارة وذهبا
عما من طريق البادية . فقلت : يرحمك الله من خراسان إلى بيت المقدس مسيرة سنة فقال : ولو كانت
الطريق ألف سنة ، العبيد عبيده ، والأرض أرضه ، والسماء سماؤه ، والزيارة لبيته والقصد إليه ،
والإبلاغ عليه ، والقوة والقدرة له . أما ترى الشمس كيف تسير من الشرق إلى المغرب في يوم واحد ؟
أهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وإرادته . فإذا كانت الشمس وهى حماد لاحتساب عليها ولا عقاب
تقطع من الشرق إلى المغرب في يوم واحد ، فليس بعجيب أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان إلى
بيت المقدس في ساعة واحدة ، فإن الله تعالى له القوة والقدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار .
ياسرى عليك بجز الدنيا والآخرة ، وإياك أن تصل إلى ذل الدنيا والآخرة ، فقلت يرحمك الله
أرشدنى إلى عز الدنيا والآخرة ؟ فقال : من أراد غنى بلامال ، وعلم بلا تعلم ، وعزا بلا عشيرة ،
فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن إليها ولا يطمئن بها ، فإن صفوها بمزج بكدرها ، وحلوها
منعس بمرها . فقلت له ياسيدى بالذى خضك بأنواره ، وأطلعك على أسرارها أين تقصد ؟ قال الحج
إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام . فقلت والله لأفارقك فإن
فراقك أشد من فراق الروح للجسد . فقال بسم الله ، فخرجت معهم من البيت المقدس إلى البادية ولم
نزل نسير حتى قال : ياسرى هذا وقت الظهر أما نصلى ؟ فقلت بلى ، فعزمت على التيمم بالتراب .
فقال إن ههنا عين ماء ، فعدل عن الطريق وإذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت . فقلت
والله لقد سلكت هذا الطريق مرارا ولم يكن ههنا عين ماء . فقال : الحمد لله على لطفه بعباده فصلينا
الظهر ، ثم سرنا إلى وقت العصر فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا حيطانها . فقلت : هذه أرض
الحجاز . فقال لى قد وصلت إلى مكة فأخذنى البكاء والحجيب ، ثم قال ياسرى تدخل معنا ؟ قلت نعم
فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب . فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه
وقالا : الحمد لله على السلامة . فقلت يرحمك الله من هؤلاء ؟ قال : أما الكهل فإبراهيم بن آدم ،
وأما الشاب فعرف الكرخى ، فصلينا صلاة المغرب والعشاء ثم قام كل منهم إلى الصلاة . فقامت أنا
ووافقهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم في السجود . فلما انتهيت لم أر أحدا منهم فبقيت كالجنون الهائم ،
وطفت عليهم في المسجد وفي مكة وفى منى فلم أجدهم ، فرجعت باكيا حزينا لتخلي عنهم ، وفوت
نصيبى منهم :

سريت ولم لاتصحبونى فى الركب
وأعلم حقا أن بعدى عنكم
وحرمة ركب أحرموا وتوجهوا
يحنون نحو الشعب شوقا وما لهم
وما زال حادى الشوق يحرق قلوبهم
فياجنف لا تبخل عن الصب بالصب
لذنب جرى لكفى تبت من ذنبى
لمحبوبهم أكرم بذلك من ركب
مراد ولا قصد سوى ساكن الشعب
ويسرى بهم إذا وصلوا الحب بالحب

ذكر الموت أن تذكر
من مضى من أقاربك
وإخوانك وأصحابك
وأترابك الذين مضوا
قبلك ، كانوا يحرصون
حرصك ويسعون سعيك
ويعملون فى الدنيا عملك
فقضت النون أعناقهم ،
وقلعت أعراقهم ، وقصمت
أصلاهم ، وجفت فيهم
أحبابهم ، فأفردوا فى قبور
موحشة ، وصاروا جيفا
مدهشة ، والأحداق سالت
والألوان حالت ، والفصاحة
زالت ، والرءوس تغيرت
ومالت ، مع فتان يقعدهم
يسألهم عما كانوا يعتقدون
ثم يكشف لهم من الجنة
والنار مقعدهم إلى يوم
يبعثون ، فيرون أرضا
مبدلة ، وسما مشققة ،
وشمس مكورة ، ونجوم
منكدة ، وملائكة منزلة
وأهوالا مذعرة ، وصحفا
منشرة ، ونارا زافرة ،
وجنة مزخرفة ؛ فعد
نفسك منهم ولا تغفل
عن زاد معادك ولا تهمل
نفسك سدى كالبهايم ترع
ولا تدرى (ذرهم يأكلوا

وقد ذلوا تلك الوجوه لعزه وقد عفروا تلك الوجوه على التراب
 ورب الصفا والطافين بيته يلوذون بالأستار منه وبالجب
 لقد أوحشوا الصب المشوق ببعدهم ولكنهم بالذكر قد آنسوا قلبي
 [إخواني] اسمعوا صفات هؤلاء الأقوام كتموا الغرام ، ولزموا الهيام ، وأنشوا السلام ، وبذلوا
 الطعام ، وأداموا الصيام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، وجانبوا الآثام ، وانفردوا عن الأنام ، وخلوا
 لمناجاة الملك الغلام . أطاعوه في الخلوات ، فمجانهم السيئات ، ورفع لهم الدرجات . ركبوا بحر
 الندامة ، وأقلعوا بريح الملازمة ، فوصلوا إلى بر السلامة . طهر قلوبهم وستر عيوبهم وغفر ذنوبهم ،
 وبلغهم مطلوبهم . عرفوه فألقوه ، ورأوه أهلا للعبادة فعبده ، ووجدوا الريح في معاماته فعاملوه ،
 وعلى الصدق والوفاء بايعوه ، فهم في حكم قبضة التدبير حيارى ما بين قتيل وأسير ، قد أسبلوا العبرات
 على الوجنت وواصلوا الزفرات بالحسرات ونادوا : يا من لا تحيط به الجهات ولا تختلف عليه الأصوات
 أقصدنا من ظلم الآفات إلى نور إدراك الصفات . يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات :

قوم بحبهم في دهرهم شغلوا وفي محبته أرواحهم بذلوا
 وخرّبوا كل ما بقى وقد عمروا ما كان يسقى في أحسن الذي عملوا
 لازينة الأرض تلهمهم وتعجبهم ولا جناها ولا حلى ولا حلل
 تاهوا عن الكون من وجد ومن طرب وما استقل بهم ربع ولا طلل
 داعى التشوق ناداهم فألقهم فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
 وشقة اليد تطوى في السرى لهمو وكل قاص دنا حتى به اتصلوا
 وافت لهم خلع التشريف يحملها عرف النسب الذي من شره عملوا
 هم الأجابة أدانهم لأنهم عن خدمة الصمد القيوم ماغفلوا

[جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم] أنه قال « الشاب الثائب حبيب الله » فهذه المحبة من الله
 تعالى للعبد إذا كان شابا ثائبا فإن الشاب مثل العنصر الرطب ، فإذا تاب وقت شيبوته وتنعمه بالشهوات
 واللذات والرغبة فيه من كل الجهات وهو وقت إقبال الدنيا عليه وترك جميع ذلك طلبا لرضا الله
 تعالى استحق المحبة ، وكان من الأولياء المقبولين عنده . وقيل إن الشاب إذا تاب ورجع إلى الله
 تعالى أوقد له بين السماء والأرض سبعون قديلا ، واصطفت الملائكة يضجون بالتسبيح والتفديس
 فإذا سمع إبليس اللعين بذلك قال : ما الخبر ؟ فيناهى مناد من السماء : إن العبد قد اصطاح مع مولاه
 فيذوب اللعين كما يذوب الملح في الماء :

هذا أوان الصلح ما أقعدك عن باب من بالخير قد عودك
 فان محوت اليوم ماسطرت أيدي خطاياك فما أسعدك

[وقيل] إذا طلعت صحيفة العبد مملوءة بالسيئات يقول الله عز وجل للملائكة : ما في صحيفة عبدى
 وهو أعلم ، فيقولون : إلهنا إنها لا تصلح للعرض عليك ، فيقول الله تبارك وتعالى : إذا كانت لا تصلح
 للعرض على فرحمى تصلح له ، أشهدكم يا ملائكتي أنى قد غفرت له وتبت عليه وأنا التواب الرحيم :

مازلت أعرف بالإساءة دائما ويكون منك العفو والغفران
 لم تهتصنى إن أسأت وزدتنى حتى كأن إساءتى إحسان
 تولى الجميل على القبيح تكرما أنت الإله النعم الثان

ويتمتعوا ويلهمهم الأمل
 فسوف يعلمون - إذ
 الأغلال في أعناقهم
 والسلاسل يسحبون في الحميم
 ثم في النار يسجرون) :

يا باني القصر الكبير
 بين الدساكر والقصور
 ومجرد الجيش الذي
 ملا البسيطة والصدور
 ومدوخ الأرض التي
 أعت على مر الدهور
 أما فرغت فلا تدع
 بنيان قبرك في القبور

وانظر إليه تراه كي
 فإليك معترضا يشير
 واذكر رقادك وسطه
 تحت الجنادل والصحور
 قد بددت تلك الجيو
 ش وغيرت تلك الأمور
 واعتصت من لين الحر
 رخسوة الحجر الكبير
 وتركت مرثنا به
 لآمال ويك ولا عشر

حيران تعلقن بالأسى
 لهفان تدعو بالثبور

ودعيت باسمك بعدما
 قد كنت تدعى بالأمير
 [فصل : في سكرات الموت]
 قال الله تعالى (كل نفس
 ذائقة الموت وإنما توفون

مالي إليك وسيلة يأسدي إلا الذي شرفت به عدنان

المصطفى المختار أكرم شافع في الخلق حين تسعر النيران

لم لا وآدم عمه لما استجا ر بجاهه من ربه الإحسان

وكذلك إدريس النبي بجاهه هي له فوق السماء مكان وكذلك نوح في السفين دعا به

فنجنا وعمم قومه الطوفان وغدت لإبراهيم روضا مزهرا لما حلت بصلبه النيران

وإلى الذي سحقت يا خير الوري ففداه من كأس الردى الرحمن وأبوك عبد الله من ذبح نجنا

وأزيل عنه بجاهك الأحزان ياسيد الكونين يعلم الهدى يامن به تتشرف الأكوان

صلى عليك الله جل جلاله ما اهتز في روض الحمى الاغصان

المجلس الخامس

في فضل شهر رمضان وصيامه

الحمد لله المتوحد بجلال البهاء ، المنفرد بدوام البقاء ، المتعالى عن الزوال والفناء ، المقدس عن الآباء والأبناء ، المتردى برداء العظمة والكبرياء ، العليم بجميع الأشياء ، الذى جل عن الابتداء والانهاء ، السميع الذى لا تشبهه عليه الأصوات المختلفة فى الدعاء ، البصير الذى يبصر ديباب النمل على الرمل فى الليلة الظلماء ، العليم الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، الحليم الذى يسبل على من عصاه جميل الستر والغطاء ، النعم على من اتفاه بجزيل النعم والعتاء ، الحكيم الذى رفع السماء بغير عمد فى جو الهواء ، وبسط بساط الأرض بحكته على تيار الماء ، الذى تعالى عن الأضداد والأنداد والقرناء ، وجل عن الصاحبة والأولاد والشركاء ، المطلع الذى لا يستتر عنه سر الضمير فى جميع الأوقات والآناء ، ولا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء :

جل ربّ أحاط بالأشياء واحد ما جدد بغير خفاء جل عن مشبه له ونظير

وتعالى حقا عن القرناء عالم السر كاشف الضريعفو عن قبيح الأفعال يوم الجزاء

ما على بابه حجاب ولكن هو من خلقه سميع الدعاء له به أيها الغفول وبادر

تحظ من فضله بنيل العطاء

فسبحان من قدر الأزمان ، وفصل الفصول ، وأغرق فى بحر معرفته الأفكار والعقول ، وحير فى كنه ذاته الأفهام ، فما لها إلى معرفة صمديته وصول ، وخص شهر رمضان بالغفو والغفران والبشر والرضوان والسرور والقبول ، ووعد من صامه بيلوغ المقصود والمأمول ، فطوبى لمن تلقاه بالعمل الصالح ، وظهر فيه الجوارح من الشك والغلول ، فانتبه أيها الغافل من سنة الغفلة ، وبادر وفى الوقت مهلة قبل مسير القفول :

قد مضى العمر فبادر يا غفول واذكر الرب الذى ليس يزول وضع الحد على باب الرجا

وابك فى الليل بدمع كالسول واجتهد فى صوم ذا الشهر عسى تلتقى فيه من الله القبول

واتبع خير سبيل واقتدى بالنبي المصطفى الهادى الرسول

فعليه الله صلى كلما سارت النوق إليه بالحوول

فسبحان من اختص أقواما بخدمته وشغلهم بمحبته ، فما لهم بغيره اشتغال ، صاموا عن الشهوات فحبا عنهم السيئات ، وبلغهم المقاصد والآمال ، أعانهم على الصيام فصاموا وأقامهم فى الظلام فقاموا إلى خدمته فى الليال الطوال ، سمعوا فى صبيح السنة أن الصوم جنة فحموا نفوسهم من قبيح الفعل والقال .

أجوركم يوم القيامة فمن

زحزح عن النار وأدخل

الجنة فقد فاز وما الحياة

الدنيا إلا متاع الغرور)

وقال تعالى (وجاءت سكرة

الموت بالحق ذلك ما كنت

منه تحيد) روى البخارى

فى صحيحه أن عائشة رضى

الله عنها قالت « إن رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان

بين يديه علبسة فيها ماء

فجعل يدخل يديه فى الماء

فيمسح بهما وجهه ويقول

لا إله إلا الله ، إن للموت

لسكرات ثم نصب يده

فجعل يقول الرفيق الأعلى

حتى قبض » وفى صحيحه

« لما تقل صلى الله عليه وسلم

جعل يتغشاه الكرب

فجعلت فاطمة رضى الله

عنها تقول : واكرب أبتاه ،

فقال صلى الله عليه وسلم :

لا كرب على أبيك بعد

اليوم » وروى « أن النبي

صلى الله عليه وسلم دخل

على مريض ، فقال إني

لأعلم ما ياتى ما فيه عرق

إلا وهو يألم بالموت على

حدثه » وروى عن

فيساعدة من قبلت منه في شهره الأعمال ، وياشقاوة من فرط في صيامه بالإهمال ، ولم يحظ في شهره بقطره على شيء من الحلال ، ولم يزل منكبا عن الطريق مكبا على ما يلبق من قبيح الحلال ، اسمع يا من هذه صفاته وقد قربت وفاته وهو لاعب بطل [كان وكان] :

أيا من عمره طال إلى كم أنت بطل جميع الدهر تقال على ظهرك أنقال
تبارز بالمعاصي وعنا أنت قاصي وتدعو بالخلاص وما عندك إقبال
إلى الغيبة ترتاح وما عندك إصلاح وما يرضيك يصاح سوى قيل وقال
تمد الطرف في الصوم ولا تخشى من اللوم ليكتب منك في اليوم وفي الليلة أفعال
فتبذا الشهر كي تحظى وكل صومه فرضا لعل الله أن يرضى ويصلح منك أحوال

فسيحان من اقترض صوم شهر رمضان على أمة الإسلام وحباهم بالفضل والإحسان ، وخصهم فيه بالعتق من النيران فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) فجعله صحة للأبدان ، ومطهرة للقلب واللسان ، من الذنوب والعصيان ، وأنزل فيه على سيد البشر ترخيصا في الصوم لمن أصابه مرض أو ضرر (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

فسيحان اللطيف المنان ، الذي من على هذه الأمة بتمام إحسانه ، وجاد عليها بفضله الوافر وامتنانه ، وجعل شهرها مخصوصا بعفوه وغفرانه (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) :

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان والعتق والفوز بسكنى الجنان شهر شريف فيه نيل المني
وهو طراز فوق كم الزمان طوبى لمن صامه واتقى مولاه في الفعل ونطق اللسان
ويا هنا من قام في ليله ودمعه في الحدي يحكي الجمان
ذاك الذي قد خصه ربه بجنة الخلد وحوار الحسان

أحمد على صنوف الإنعام والإحسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان . قال الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) سمى الشهر شهرا شهرته يقال شهر فلان سيفه : إذا أخرجه من غمده وأظهره ، وسمى رمضان لأنه يرمض الذنوب : أي يحوها . وقوله تعالى (الذي أنزل فيه القرآن) يعني أنزل في فرض صومه القرآن ، وقيل أنزل فيه القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما بحسب الوقائع قاله ابن عباس وابن شهاب رضي الله عنهما . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » رواه البخاري ومسلم . وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، ونادى مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ولله تعالى عتقاء من النار في كل ليلة من رمضان » وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم جل جلاله

مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن شجرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لما نوا بإذن الله تعالى » وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال : نعم يا أمير المؤمنين هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبته رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وكان على رضي الله تعالى عنه يحض على القتال في سبيل الله ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ، وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالتقريض وعلى في القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم .

يقول كل حسنة يعملها ابن آدم تضاعف له من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. يدع شهوته وأكله وشربه من أجله ، والصوم جنة من النار ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ، فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل أنا صائم» رواه الترمذي ، وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وقد جاء في الصحيحين « إن الغيبة تفطر الصائم » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » رواه البخاري ومسلم :

وقد صمت عن اللذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

[إخواني] هذا شهر رمضان شهر الصفاء والمعاملة والوفاء ؛ فطوبى لأقوام صاموا عن الشهوات ، وقاموا في الخلوات يتلون من آيات ذكره صحفا ، ضاعف لهم بصيامهم أجورا ووعدهم في الجنة تصوروا وغرفا ، وقبل اليسير من أعمالهم وتجاوز عن قبيح أفعالهم وعفا ، وبإخية الغافلين قد حرموا الوصال وخصوا بالقطعة والحفا :

يا ناضين العهدكم هذا الحفا توبوا فقد وفاكم شهر الصفا شهر الرضا والعفو عن زلاتكم
والله فيه عن الجرائم قد عفا شهر على الأيام فضل قدره وعلا على كل الشهر مشرقا
فاحبوا لياليه للنسرة كلها واجروا الفرقته الدموع تأسفا
فمسي الإله يحود فيه بفضلته فهو الذي يهب الذنوب تلطفا

[وعن ابن عباس رضي الله عنهما] قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » أخرجه البخاري ، وعن أبي هريرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر الصحابة ويقول قد جاءكم شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه وسمي لكم قيامه ، إذا جاء شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، وتقل فيه الشياطين ، وفيه ليلة خير من ألف شهر » .

[إخواني] هذه بشارة للمؤمنين في الجنات على الصبر عن الشهوات بالصيام والصبر على الطاعات ، فمن صبر نال أجرا ومن شكر وجد بعد العسر يسرا ، ومن تصدق نال فضلا وبراً ومن أحسن إلى العباد أعد للمعاد ذخرا ، ومن أخلص لله في صيامه وقيامه كفر عنه ذنبا ووزرا ، ومن ذكره في نفسه جدد له بين ملائكة قدسه ذكرا ؛ ومن لزم التقوى نال الفوز والبشرى ، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) :

أيام شهر الصوم وافسكم البشرى وقد نشر الباري بمدحكمو ذكرا
خصصتم بشهر فيه عتق ورحمة وقد أجزل الرحمن للصائم الأجر

مساجده مأنوسة بتلاوة وذكر وكانت قبله تشتكي الهجرا والله في العشر الأواخر ليلة لقد عظمت قدرا كما ملئت خيرا فطوبى لقوم أدركوها وشاهدوا تنزل أملاك السما آية كبرى وفازوا بفقران الإله فأصبحوا يشم عليه من شذا عرفها عطرا

يا هذا اغتنم زمان الأربع فأيام اللوامس معدودة ، استدرك ما بقى من ليالى الصوم فساعاته مشهودة ، جد في طلب الغنائم فأعمال الصائم منقودة ، وقد قيل « إن الصائم نومه عبادة وقسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » وكيف لا يكون ذلك كذلك ، وقد منع نفسه الشهوات وترك اللذات ، فأثر نصيب مولاه على نصيبه من الملاذ والشبهات ، وأطلع أمره بمعبوده وتلذذ بركوعه

ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له : كيف وجدت الموت ؟ قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوأنا عليك . وعن موسى صلوات الله عليه لما صار روحه إلى الله عز وجل قال له : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كشاة حية بيد القصاب تسليخ . وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، فإنهم كانت فيهم أعاجيب ، ثم أنشأ يحدث قال : خرجت طائفة فأثروا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصيلنا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال ففعلوا ؛ فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلى ؟ فوالله لقد مت منذ مائة

وسجوده كما قيل: « إن العبد إذا نام في سجوده يباهي الله عز وجل به الملائكة فيقول سبحانه: يا ملائكتي انظروا إلى عبدی روحه عندی وجسده بین یدئ أشهدكم أنني قد غفرت له ». ما أحسن سجود الساجدين ، وما أعز أنفاس الصائمين ، وما أنفع مناجاة القائمين ، وما أرحم بضائع العابدين ، وما أطيب منادمة المحبين ، وما أنفع جوع أكباد الصائمين ، كما قيل « إن العبد إذا كان نائماً وهو جيعان هرب منه الشيطان » فكيف إذا كان مستيقظاً ؟ فإذا كان مستيقظاً وهو شعبان جرى منه الشيطان مجرى الدم ، فكيف إذا كان نائماً ، فانظر يا هذا بركة الجوع ونفعه على الإنسان كيف يفر منه الشيطان .

[حكى] أن بعض الصالحين كان يعيش إلى المسجد فرأى رجلاً يصلي في المسجد ورجلاً نائماً على باب المسجد والشيطان قائم يتحير ويلتهب ، فقال له الرجل الصالح: مالي أراك حائراً ؟ فقال : في هذا المسجد رجل قائم يصلي كلما هممت أن أدخل إليه أغويه وأشغله عن صلاته تمنعني أنفاس هذا النائم الذي على باب المسجد . فله در أنفاس الصائمين كيف تحرس القلوب والأجساد من كيد الشيطان فلا يصل إليها ولا يقدم عليها ، فسبحان من وفق الأحاب للهداية والصواب :

أنت وفقت من إليك أنابا أنت أصلحت من أصاب الصوابا أنت حبيت ماتحب إليهم
ثم أعطيتهم عليه ثوابا أنت عرفتهم كنوز المعالي فغدوا يبحثون عنها طلابا
[وقيل] إن الله عز وجل خص شهر رمضان بخصائص كثيرة: منها أن جعله شهراً عظيماً مباركاً وفيه ليلة خير من ألف شهر . جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بمحبة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الواساة وشهر يزداد فيه رزق المؤمن . من فطر فيه صائماً كان كمن أعتق رقبة ، ومن أشبع فيه صائماً وسقاه شربة ماء سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم شربة لا يظمأ بعدها أبداً ويعطى الله عز وجل هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمر ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتان لا غنى لکم عنهما . فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه في جميع الأحيان ، أما الخصلتان اللتان لا غنى لکم عنهما فتسألون الله الجنة وتعتودون به من النار .

[إخواني] آه على من كانت النار مثواه . آه على من عصى مولاه . آه على من باع آخرته بديناره . آه على من كان التعذيب عقابه . آه على من استهواه غيه فاستعبده هواه . آه على المظروود في هذا الشهر ثم أواه :

آه على المذنبين أواه آه على من جفاه مولاه آه على من عصا بغفلته
جهرا وماتاب من خطاياهم آه على المذنب الحزين إذا لم يخف الله ثم يخشاه
آه على من يفوته أسفا في مثل هذا الشهر عفو مولاه
* آه من يبسيع معتبنا بدار دنياه دار أخراه

[كان وكان] :

سبحان من تصدق عليكم بصيامكم وخصكم بالعطايا يأمة المختار
تأتون يوم القيامة وصومكم من فوقكم حيث أنجهم توجه وحيث سترتم سار
محمول فوق الغنائم على يد الملائكة شعاعه يتلأ من كثرة الأنوار

سنة فما سكنت عن حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت » وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: لوددت لو أتى رأيت رجلاً ليبياً حازماً قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت ، فلما أنزل به الموت قيل له يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أني رأيت رجلاً ليبياً حازماً قد نزل به الموت ، وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه ؟ فقال : أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسي تخرج على تقبيرة . ويروي أن إبراهيم الخليل عليه السلام قل الملك الموت هل تستطيع أن تربي الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر ؟ قال أنطبق ذلك ؟ قال بلى ، فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان فتشى على إبراهيم

وتقدمون الموقف تجلوا على كل الأمم
وقد صفا الوقت لما نادا كو مولاكم
هذه جمالي تبدى والحجب عنكم رفعت
وموا تعالوا تعالوا بالوصل يازوار
ونورنا قد تجلى وزالت الأقدار

ثم أفاق ، وقد عاد ملك
الموت إلى صورته الأولى .
فقال : يا ملك الموت لولم يلق
الفاجر إلا صورة وجهك
لكان ذلك حسبه . وروى
عن أسلم مولى عمر بن
الخطاب رضى الله عنهما
قال : إذا بقى على المؤمن من
ذنوبه شيء لم يبلغه عمله
شدد عليه الموت ليلبلغ
بسكراته وشدته درجته
في الجنة ، وإن الكافر إذا
كان عمله معروف في الدنيا
هون عليه الموت ليستكمل
ثواب معروفه في الدنيا ثم
يصير إلى النار . وروى
البخاري أن عمر رضى الله
عنه قال : لو أت لي تلح
الأرض ذهباً لافتديت به
من قبل أن أراه ! وقيل :

[إخواني] أين من صام عن الحرام وأفطر على الحلال ؟ أين من منع لسانه من الغيبة والنميمة وكفه
عن القيل والقال ؟ أين من غض بصره عن الشهوات واتبع حسن الحلال ؟ أين من أخلص صيامه
وقيامه لمولاه ذى الجلال ؟ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول : إذا دخل أول ليلة من شهر
رمضان : مرحباً بشهر كله صيام نهاره وقيام ليله ، النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله تعالى . وعن أنس بن
مالك رضى الله عنه أنه قال : يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون برائح صيامهم يخرج من
أنفهم أطيب من ريح المسك تنقل إليهم اللوائد والأباريق مخنونة أفواهاها بالمسك فيقال لهم : كلوا
فقد جعتم حين شبع الناس ، واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس ، واستريحوا فقد تعبتم حين
استراح الناس . قال فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس مشغولون في الحساب في عناء وظمأ .
[إخواني] هذه بشارة للصوام في شهر رمضان ، إذا حووا نفوسهم من الزلل والعصيان ،
وأخلصوا صيامهم للواحد المنان ، فكيف حال المفرط الذي يصوم ويأكل لحوم الإخوان ، ويصلى
وجسمه في مكان وقلبه في مكان ، ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان وفلان ؟ فيأمن أصبح
إلى ما يضره متقدماً ، وأمسى بناء أملة بكف أجله متهدماً ، ستعلم من يأتي غدا متندماً ، ويبكى على
تفريطه في شهره بدل الدموع دماً . أترك أيها الصائم أعددت عدة حازم لقبرك ؟ أم حصات عملاً
ينجيك في حشرتك ؟ أم حفظت حدود صومك في شهرتك ؟ أم هتكت حرمة الحمى ؟ كم من صوم فسد
فلم يسقط به القرض ؟ وكم من صائم يفضح الحساب يوم العرض ؟ وكم من عاص في هذا الشهر
تستغيث منه الأرض ؟ وتشكو من أعماله السماء . فيألت شعري من القبول ومن المطرود ؟ ومن
المقرب ومن البعد المذود ؟ ومن الشقي ومن السعود ، لقد عاد الأمر مبهماً ، تالله لقد سعد في هذا
الشهر بحراسة أيامه ، من كف جوارحه عن كسب آثامه ، ولقد خاب من لم ينله من صيامه
إلا الجوع والظمأ :

شهر الصيام لقد علوت مكرماً
ياصائى رمضان هذا شهركم
يا فوز من فيه أطاع إلهه
فالويل كل الويل للعاصى الذى
وغدوت من بين الشهور معظما
فيه أياحكم المهيمن مغنا
متقرباً متجنباً ما حسرما
في شهره أكل الحرام وأجرما

فله در أقوام وفقهم ، ولاهم للصيام فصادوا ، وأعانهم على القيام فقاموا ليلاً ، طويلاً أظمئوا لأجله
الأكباد ، فأراحهم من جميع الأنكاد ، وكان لهم يلوغ المراد كفيلاً ، شغلهم به عن سواه ، والسعيد
من بات بخدمة مشغولاً ، ولندهم بطيب المناجاة فقالوا فضلاً جزيلاً . يامن يحزنون لمفارقة شهر
الصيام . ويتأسفون على انقضاء ليالى التهجد والقيام ؛ لأنه موسم يلقون فيه رحمة وقبولا :

شهر الصيام لقد كرمت زياراً
والقوز فيه لمن أراد قبولاً
طوبى لعبد صح فيه صيامه
متبتلاً لإلهه تبتيلاً
وشفيت من كل القلوب عليلها
فيه الجنان تفتحت لقدمه
ودعا اليمين بكرة وأصيلها
شهر يفوق على الشهور بلبلة
من ألف شهر فضات تفضيلاً
فاجهد عسالك تنالها فيما بقي
بالجد واحذر أن تكون غفولاً

لم يلق ابن آدم أشد من
الموت وما بعده أشد منه .
وفي الوسيط للواحدى
بإسناده عن ابن عباس
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « الأمراض
والأوجاع كلها بريد الموت
ورسل الموت فإذا حان
الأجل أتى ملك الموت
بنفسه فقال : أيها العبد كم

[إخواني] كيف لا يرغب في صيام شهر رمضان وقيامه؟ كيف لا يتأسف على شهر تكفر فيه جميع ذنوب العبد وأثامه؟ كيف لا يبكي على شهر يفوت فيه ربح العامل وفرصة اعتقانه؟ فقد قيل «إن الله تعالى موضعا حول العرش يسمى حظيرة القدس؛ وهو من النور وفيه ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل عبادة لا يفترون ساعة فإذا كان ليالي رمضان استأذنوا ربهم عز وجل أن ينزلوا إلى الأرض ويحضرُوا مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا» فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: نحن أحق بهذا الفضل والأجر فجمع الناس على صلاة التراويح في شهر رمضان:

فطوبى لمن أَرْضَى الإلهَ مسارعا إلى سبيل تهديه للرحلة الأخرى
وقام وصلى في الدياجي ودمعه على خده يحسرى بمقلته العبرا
وأخلص لله العظمى قيامه وعاهده سرا وراقبه جهرا
وصاحفه حقا ملائكة السما فنال بهذا في الورى العز والنفرا
وأحيا ليلالى شهره بقيامه إلى ربه في الليل وامتلأ الأمرا
فذاك بمحمد الله في طيب عيشة يفوز بها صوما ويحظى بها فطرًا

وقال محمد بن أبي الفرج: احتجت في شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام فوجدت في السوق جارية ينادى عليها بـشمن يسير وهي مصفرة اللون نحيفة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها إلى المنزل، فقلت لها خذي أوعية وامضي معي إلى السوق لنشتري حوائج رمضان، فقالت ياسيدي أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلت أنها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان. فلما كانت آخر ليلة قلت لها امضي بنا إلى السوق لنشتري حوائج العيد؟ فقالت يامولاي: أى حوائج العيد؟ حوائج العوام أم حوائج الخواص؟ فقلت لها: صفى لي حوائج العوام وحوائج الخواص! فقالت ياسيدي: حوائج العوام الطعام المعهود في العيد، وحوائج الخواص الاعتزال عن الحلق والتفريد والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعات للملك المجيد والتزام ذل العبيد. فقلت لها: إنما أريد حوائج الطعام. فقالت ياسيدي: أى الطعام تعنى؟ طعام الأجساد أم طعام القلوب؟ فقلت صفيهما لي فقالت: أما طعام الأجساد فهو القوت المعتاد، وأما طعام القلوب فترك الذنوب وإصلاح العيوب والتنع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المقصود والمطلوب، وحوائج الحشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع إلى الولي والتوكل عليه في السر والنجوى. ثم إنها قامت تصلى فقرأت في الركعة الأولى سورة البقرة إلى آخرها ثم شرعت في سورة آل عمران، ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله تعالى (يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) ثم لم تزل تردد هذه الآية وهي تبكي إلى أن أغشى عليها ووقعت إلى الأرض فحركتها فإذا هي ميتة رحمة الله عليها. فله درهم من أقوام غسلوا وجوههم بدموع الأحزان، وأسهرُوا عيونهم في الليل بالذكر وتلاوة القرآن، ونصبوا أقدامهم في خدمة الملك الديان، واجتهدوا في العمل وبادروا الزمان فكل زمانهم رمضان:

طوبى لهم فازوا بذكر حبيبهم وتمتعوا بدنوه ووصاله فهو لهم لا ينقضى وغرامهم
وكذا محبة كل صب واله ذلوا لمر حبيبهم واستهنوا ما كابدوا في الحب من أهواله
وبه قد اشتغلوا وباشرى لمن قد أصبح المحبوب من أشغاله

خبر بعد خبر وكم رسول
بعد رسول وكم بريد بعد
بريد؟ أنا الخبر ليس بعدى
خبر، وأنا الرسول ليس
بعدى رسول، أجب ربك
طائعا أو مكرها فإذا قبض
روحه وتصارخوا عليه
قال: على من تصرخون؟
وعلى من تبكون؟ فوالله
ما ظلمت له أهلا ولا أكلت
له رزقا بل دعاه ربه فليك
الباكي على نفسه فإن لي
فيكم عودات وعودات
حتى لأبقى منكم أحدا.
وعن أنس بن مالك قال:
لقي جبريل ملك الموت بنهر
فارس فقال: يا مالك للموت
كيف تستطيع قبض
الأنفس عند الوباء ههنا
عشرة آلاف وههنا كذا
وكذا؟ فقال له ملك
الموت: تزوى لي الأرض
حتى كأنهم بين يدي
فألقطهم بيدي.

اعلم أنا لو انتظرنا ضربة
شرطى لتكدر عيشنا،
وفي كل نفس يمكن مجيء
الموت بشدائده وهو أمر
من ضرب بالسيوف
وشمر بالمناشير، ويود

[إخواني] ما أحسن من خلع عليه مولا خلع القبول . وما أنعم بال من بلغه غاية المقصود
والسؤل ، وما أشق من رد عليه صيامه وأحصى عليه قبيحه وآثامه . ومضت في البطالة شهوره
وأعوامه وآثر شهوة نفسه على خدمة ربه إلى أن ذهبت ساعاته وأيامه . قيل : مكث بشر الحافي
خمسین سنة يشتهي هريسة ففتح عليه في بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشتريها به فسمع
الهراس ينادي : ماذا خبيء للصوام فرجع باكيا ولم يشتر شيئا ، فبقي مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى
السوق ثانيا ليشتريها وإذا بالهراس ينادي بقي القليل . فبكى ورجع وعاهد الله تعالى أن لا يذوقها :
لله در السادة الزهاد في كل بر مقفر أو نادى هجروا المراقدة في الظلام لربهم
واستبدلوا سهرا بطيب رقاد كنتموا الضنى حفظالمهم وتحملوا فأنت عليهم حرقه الأكباد
ألوانهم تنبيك عن أحوالهم ودموعهم منهلة كنواد لا يفترقون إذا الدجى وافهمو
من كثرة الأذكار والأوراد نظروا إلى الدنيا تقرب أهلها لوصالها وتكررا بالإبعاد
فترحلوا عنها وجدوا في التقى وتزودوا من صالح الأزواد ومشوا على سنن النبي المصطفى
خير الأنام الهاشمي الهادي بالله كرر ذكره وحديثه وأجده بالتلحين لي يا حادي
ردد بعيشك لي حديث محمد فلذاذة الإسراع في السرداد ولواء ماهجر الأنام ديارهم
كلا ولا صبروا عن الأولاد فتي أزور جنبه وضريحه وأبث ما عندي له وأنا دى
ياسيد الكونين يا من حبه حقا أقام بمهجتي وفؤادي ياربنا فبقه وبجساهه
وبآله الأنجاد والأعجاد اغفر لنا كل الذنوب تفضلا يا خير جواد وأبث ما عندي له وأنا دى
يا رب صل على النبي محمد ماسار مشتاق بليل هادي

إلهي وقف السائلون ببابك ، ولاد الفقراء بجنابك ، ووقت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك
يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمتك . إلهي إن كنت لا تسكرم في هذا الشهر الشريف إلا من
أخلص لك في صيامه ، فمن لئذنب القصر إذا غرق في بحر ذنوبه وآثامه . إلهي إن كنت لا ترحم
إلا الطائعين فمن للعاصين ، وإن كنت لا تقبل إلا العاملين فمن للقصرين . إلهي ربح الصائمون وفاز
الغائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون ، فارحمنا برحمتك وجد علينا بفضلك ومنتك واغفر
لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السادس

في وداع شهر رمضان جعلنا الله وإياكم ممن تقبل فيه عمله وغفر له خطاياهم وزلله
الحمد لله الذي عزت معرفته فلا يدرك بالمعقول خافيا ، وجلت صفته فلا يتكدر بالمنقول صفو
صافيا ، وتمت كلمته فلا يرد حكم قاضيا ، وعات سلطنته فجلى تعاليها ، ودامت أزلته فمن ذا يضاهاها ؛
توحده الكائنات ونواحيها ، والسموات ودراريها . قدر الأعوام والشهور والأيام ولياليها ، وجعل
واسطة عقد الأيام أياما اختارها باريها ، وفضل شهر رمضان وجعله معظما فيها ، وأنزل فيه السور
ومثانيها ، وفتح فيه باب العزة وأنزل منه آيات جللت عن كلام يحاكيها . فقال تعالى في محكم الآيات
ومبانيها (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) تفضيلا لهذه الأمة إذ لأمة تباهاها . هل كان لغيرها
من الأمم غير «الصوم لي وأنا أجزي به» والجزاء تمتع الأبصار بنور باريها . هل قيل لغيرها بالإعلان
«لصائم فرحتان» وأسمع ذلك قاصيهما ودانيها . هل بشر سواها ببليلة القدر التي تنزل للملائكة والروح
فيها ؟ هل أعطى غيرها فضل هذه الأيام من شهر رمضان ولياليها ؟ ففي أول ليلة منه تفتح أبواب

لو قدر على صياح وأنين ،
ويجذب روحه من كل
عضو وعرق فتبرد قدما .
ثم نخذه ، وهكذا حتى
يباغ الخقوم فعنده ينقطع
نظره إلى دنياه ويعلق
عنه باب توبته . فقد قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إن الله تعالى يقبل
توبة عبده ما لم يغرر» :
أي فرقة الأحياء لا بد لي
منك

ويادار دنيا إنني راحل عنك
ويانصر الأيام مالي وللي
وياسكرات الموت مالي
وللضحك

فما لي لا أبكي لنفسى بعبدة
إذا كنت لا أبكي لنفسى
فمن يبكي
ألا أي حى ليس بالموت
موقنا

وأى يقين أشبه اليوم بالشك
﴿فصل : في عذاب القبر
للكفار ولبعض عصاة
المؤمنين﴾ قال الله سبحانه
وتعالى (النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم
تقوم الساعة أدخلوا آل
فرعون أشد العذاب)
وفي كتاب الترمذي : كان

الجنان وتقبل الحور والولدان من سائر نواحيها ، ويقولون لرضوان : يا أمين الرحمن مبال الجنان قد أشرفت مغانيها ؟ فيقول لهم : هذه أول ليلة من شهر رمضان الذي تبلغ النفس فيه أمانها . ثم تغلق أبواب النيران وتصفد مرده الجن وتمنع من تصرفها وتدانيها . وتكتب أسماء العتق وتأتي الملائكة بالبشارة لهذه الأمة وتهنيها . وفي كل ليلة منه يسلم رب العزة على نفوس الصوام ويحييها . فإذا كانت ليلة القدر ينزل جبريل عليه السلام ويقول للملائكة : بشروا الصائمين فقد أنالهم مولا لهم خيرات لا تستطيع الأنفس تحصيلها ، وتفتح في تلك الليلة أبواب السموات وتنزل الملائكة من أول الليلة وتقوم تلك الليلة في الأرض ويحييها ، وتصافح الصوام الذين عكفوا على القيام تحت دياحيها وتعلن تسبيحا وتنزيها لباريها :

هذي ليلالى تجلى سره فيها على نفوس رأت أنوار ساقيا
شهر الصيام صفت للقوم حضرته دارت كؤوس التدانى والرضا فيها
ياحبذا شهر فضل عرف خلوته يفسوح مسكا فلا طيب يضاهيها
وفيه أوقات قرب نور جلوتها قد نور العرش والدنيا وما فيها
ياغافلا وليالى الصوم قد ذهبت زادت خطاياك قف بالباب وابكيها
واغم بقية هذا الشهر تحظ فما غرسته من ثمار الخير تجنيها
وتب لعلك تحظى بالقبول عسى أن تبلغ النفس بالتقوى أمانها
وقل إلهى أنا العبد الدليل وقد أتيت أرجو أجورا فاز راجيها
فلا تكنلى إلى علمى ولا عملى واغفر ذنوبى فانى غارق فيها

[وروى أبو أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » .

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم كان فطر صيائى

[وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » فيأمن يبارز بالعصيان ولم يستحى من رقيه . وقد دنا فراق شهر رمضان وما فاز بمصالحة حبيبه . وقد هب نسيم القبول ومانشق عرف طيبه . أما سمعت قول للملك اللنان فى فضل شهر رمضان وترغيبه « الصوم لى وأنا أجزي به » :

من كان يشكو عظم داء ذنوبه فليأت فى رمضان باب طيبه ويفوز من عرف الصيام بطيبه
أوليس قال الله فى ترغيبه الصوم لى وأنا الذى أجزي به
يا صائمى رمضان فوزوا بالمنى وتحققوا نيل السعادة والنهى وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا
أوليس هذا القول قول إلھنا الصوم لى وأنا الذى أجزي به

من صام نال الفوز من رب العلا وبوجهه أضحى عليه مقبلا يأمن يوم توسلا وتوصلا
صم رغبة فى قول رب قد علا الصوم لى وأنا الذى أجزي به
يا فوز من الصوم قام بحقه وأتى بحسن القول فيه وصدقه ومن الجحيم نجا وفاز بعقه
فأله قال عن الصيام خلقة الصوم لى وأنا الذى أجزي به

[وقيل] إن العبد إذا مات ونزل به عذاب القبر جاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، وإذا احتوشته الشياطين جاءه ذكر الله تعالى فخلصه من أيديهم ؛ وإذا احتوشته ملائكة الغضب جاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ؛ وإذا تلهب عطشا فى القيامة جاءه صوم شهر رمضان فسقاه .

عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ، فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما رأيت منظر أقط إلا والقبر أقطع منه » وفى كتاب أبى داود والنسائى عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يأتية ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا)

[إخواني] انظروا إلى بركات شهر رمضان ونفعه لكم في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا فيحكيكم من الشهوات الموجبة للنار والعذاب . وأما في الآخرة فتفوزون بالعفو والرضا من الملك الوهاب :

ما أحسن العفو من القادر والصفيح عن منادمة الغادر

بأنه يأمن تاب ثم اثني لا تفسد الأول بالآخر

[وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله عليه] أنه صام يوما في الحر ثم نام فرأى قائلا يقول له : أتبيع ثواب صومك في هذا اليوم بمائة ألف دينار ؟ فقال لا وعزة ربي . قيل فبأي شيء تبيعه ؟ فقال : لأبيع الثواب بالدنيا وما فيها ولكن أبيع بالنعمة بالنظر إلى الولي ، فقيل له : صم فستوفى تراه إن شاء الله تعالى :

إذا اجتمع الأحباب في خلوة الرضا بمقعد صدق والنساء عاظره

ترى أعين العشاق نحو حبيبهم إلى ذلك الوجه المقدس ناظره

فيأقش هذا مشرب القوم فأشربني عسى أن تكونني عند ذلك حاضره

يقول الله تعالى في كتابه المنزل : يا عبدى تأهب للقائي فمن قريب أفاك ، وأقبل على خدمتي فاني أنا مولك ، بأي عين يراني من بارزني وعصاني ؟ بأي وجه يلقيني من نسي عظمتي شاني ؟ لقد خاب من حبيبته عني إذا قربت الصادقين مني ، وشقي من طردته عن جنابي إذا كشفت حجابي فتجليت للمتقين من أجباني . يا عبدى قف على بابي فأنا الكريم ، ولد بجنابي فصراطى مستقيم :

بادر إلى الأعمال ما دمت بذى الدنيا مقبم يأمن يحدث نفسه بدخول جنات النعيم
إن كنت متقيا فأنت على صراط مستقيم لا ترجو سلامة من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين وظن خيرا بالكريم واذكر وقوفك خائفا والناس في أمر عظيم
إما إلى دار الشقاوة أو إلى العز المقيم فاعلم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم
[إخواني] هذا شهر رمضان قد عزم على الانصراف والانصرام ، ونوى النقلة عنكم والرجيل

بعد المقام ، وهو شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، طالما عمرت به القلوب ودرست به معالم الذنوب والآثام . وقد كان لكم نعم الضيف . فهل أضعتم حقه أو قمت بما يجب له من الإكرام ؟ فاعمل المسووف فيه بالتوبة لا يدركه بعد هذا العام والمغتر بالإهمال لانهمله المتنون إلى استكمال التمام ، فيندم حين لا ينفعه الندم ويتأسف على التفريط إذا زلت به في القيامة القدم :

فاستدركوا فائت ما قد مضى فأما الدنيا كمثل المنام

وحصلوا التوبة في شهركم فقد دنا رحال شهر الصيام

فالسعيد من بادر هذه البقية بالاعتناء ، والشقي من جعل هذه البقية بغفلة كالإعدام . وكيف لا يدرك الخير من قام في ليلة القدر التي هي سلام ؟ فكانت أمامه ومفاتيح صلات الصلاة من جعل التقوى إمام . أما هذه ليالي القبول فلم يغتر المفرط فيها بالأحلام ؟ أما هذه ليالي القدر وليالي القبول فإلى متى أنت مشغول فيها بطبيب المنام ؟ [كان وكان] :

انهض وداوى سقامك هذى ليالى التغرير وامح قبيح آثامك في سالف الأعوام

لو كنت تعرف قدرك وأنت من أهل الوفا مانعت ليلة قدرك وفاتك الإنعام

ثم الصلاة جهارا على النسي المصطفى الهاشمي التهامي الصائم القوام

قال بعض الصالحين رحمه الله عليهم : حضرت مجلس منصور بن عمار الواعظ رحمه الله عليه في آخر جمعة من شهر رمضان فذكر فضل صيامه وأجر قيامه وما أعد الله فيه لمن أخلاص الأعمال

بالقول الثابت في الحياة

الدنيا وفي الآخرة قال

فينادي مناد من السماء :

أن صدق عبدى فافرشوه

من الجنة وألبسوه من الجنة

وافتحوا له بابا إلى الجنة

فيأتيه من روحها وطيبها

ويفسح له فيه مدبصره .

وأما الكافر فذكر موته

قال ويعاد روحه في جسده

ويأتيه ملكان فيجلسانه

فيقولان : من ربك ؟

فيقول هاهاه لا أدري .

فيقولان ماديتك ؟ فيقول

هاهاه لا أدري . فيقولان

ما هذا الرجل الذي بعث

فيكم ؟ فيقول هاهاه

لا أدري . فينادي مناد من

السماء : أن كذب فافرشوه

من النار وألبسوه من النار

قال : وافتحوا له بابا إلى

النار . قال فيأتيه من حرها

وسمومها . قال ويضيق

عليه قبره حتى تختلف عليه

أضلاعه ثم يفيض له أعمى

أصم معه مرزبة من حديد

لوضرب بها جبل لصار

ترابا فيضربه بها ضربة

يسمعهما ما بين المشرق

والغرب إلا الثقلين فيصير

وتجنب الإهمال فكأنه يقدح زبد وعظه على صم الأحجار لا والله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) فما حرك في مجلسه بك ولا شكاً عظم ذنبه شاك . فلما رأى جمود مجلسه قال : يا قوم ألا بأك على ماظهر من عبوبه ؟ ألا راغب إلى الله تعالى في غفران ذنوبه ! أما هذا شهر التوبة والغفران ! أما هذا معدن العفو والرضوان ! أما فيه تفتح أبواب الجنان ! أما فيه تغلق أبواب النيران ! أما فيه يصفد كل مارد وشيطان ! أما فيه تفرق خلع الإحسان ! أما فيه يتجلى الملك الديان ! أما فيه يعتق كل للة عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار ؟ فالحكم عن ثوابه ضالون وفي ثياب الخالفة رافلون ! (أنسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون :

إذا وجد الإنسان للخير فرصة ولم يقتنمها فهو لاشك عاجز وهل مثل هذا الشهر للعفو موسم ولكن فأين العامل المتناهب

قال فهاج المجلس بالبكاء والنحيب . وقام إليه شاب وهو بك على ذنوبه حزين كئيب وقال : يا سيدي أترأه يقبل صياحى أو يكتب مع القاطنين قياحى بعد أن جرى منى ما كان من الذنوب والعصيان فقد انقضى عمرى فى كسب المعاصى وغفأت بشقوتى عن يوم الأخذ بالنواصى ؟ فقال له الشيخ : يا ولدى تب إليه فقد قل فى محكم الكتاب (وإني لغفار لمن تاب) ثم أمر الشيخ القارىء بقراءة (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) فصرخ الشاب وقال : واطرباه واشوقاه إلى من لم يزل إحسانه واصلاً إلى ذليل حله مسبلاً على وأنا مع ذلك أزيد فى العصيان ولا أراجع عن طريق النسي والخذلان ! وهل يكون مثل هذا الوقت وقد صفا ؟ والحبيب قد تجاوز وعفا ! ثم صرخ ووقع ميتاً رحمة الله عليه :

روح دعاها للوصال حببها فسعت إليه تطيعه وتجييه
يامدعى صدق المحبة هكذا فعل الحبيب إذا دعاه جيبه

[كان وكان]

يا من تقضى عمره	دع	عنك نوءك والكسل	واعلم بأن أعمالك	تعرض على الديان
كم ذا تبهرج بفعالك	وليس يخفى بهرجك	غدا تبان الفضائح	وينصب الميزان	
إن كنت تطلب توبة	انهض فهذا وقتها	فبعد خمس ليال	يقال فرغ رمضان	
يرحل وما أودعته	إلا زخارف العمل	واحسرتك حين يشهد	عليك بالحسرة	
تصم نهارك ولما	تفطر تحصل فايتك	تشبع وتنسى الجائع	هذا هو الخذلان	
تخضر صلاة التراوىح	بالجسم حاضر إنما	القلب غائب يسعى	فى كان فلان وفلان	
تقطع صيامك غيبة	والصوم قبوله من عجب	تأكل لحوم العالم	وترجى الإحسان	
من ليس يحفظ لسانه	ولا الجوارح عن زلل	ماله من الصوم إلا	يقضى النهار جيعان	
نصحت جهدى ولكن	النصح يصعب على الشقي	بنصح حالك والله	عمرى مضى بحان	
بالله عليك قم وودع	شهر الصيام قبل السفر	ولا تخله يرحل	وهو عليك غضبان	
بيض سواد الصحيفة	فالموت أدنى من نفس	وخف إهلك تحظى	منه غدا بأمان	

[إخوانى] كيف لا يبكى على فراق شهر رمضان ؟ كيف لا يتأسف على شهر العفو والغفران ؟ كيف لا يحزن على شهر العتق من النيران ؟ :

وقد قيل : إن الجنة تترن من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فيصفق ورق الجنة وحلق المصارع فيسمع لذلك طنين

رأباً، ثم يعاد فيه الروح»
وفى كتاب الترمذى عن
أبي سعيد الخدرى قال :
« دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم لصلاة فرأى ناساً
كأنهم يكثرُونَ ، قال : أما
إنكم لو أكثرتم ذكر
هازم اللذات لشغلكم عما
أرى فأكثرُوا ذكرهازم
الذات الموت فإنه لم يأت
على القبر يوم إلا تكلم فيه
فيقول : أنا بيت العربة وأنا
بيت الوحيدة وأنا بيت
التراب وأنا بيت الدود .
فإذا دفن العبد المؤمن قال
له القبر مرحباً وأهلاً . أما
إن كنت لأحب من يعيش
على ظهري إلى فاذا ولينك
وصرت إلى فسترى صنعى
بك . قال فيسمع له مذبصره
ويفتح له باب إلى الجنة .
وإذا دفن العبد الفاجر أو
الكافر قال له القبر لا مرحباً
ولا أهلاً ، أما إن كنت
لأبغض من يعيش على ظهري
إلى . فإذا ولينك اليوم
وصرت إلى فسترى صنعى
بك . قال فيلتئم عليه حتى
يلتقى عليه وتختلف
أضلاعه » .

لم يسمع السامعون أحسن منه وتزين منه الحور العين ويقمن بين شرافات الجنة فينادين: هل من
 خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه الله عز وجل ثم يقطن: يارضوان ماهذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية.
 ثم يقول ياخيرات حسان: هذه أول ليلة من شهر رمضان ويقول الله عز وجل: يارضوان انتج أبواب
 الجنان للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وعلمهم
 بالأغلال ثم اقف بهم في الحج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم صومهم. ويقول
 الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر
 له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من داع فأستجيب له. والله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان
 عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فإذا كان في اليوم الأخير من شهر
 رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره.

إخواني: ارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب، وودعوا شهر رمضان فقد عزم
 على الذهاب، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الباب. فهذا شهر رمضان قد أرف رحيله، وحان
 تحويله، ولم يبق إلا كضيف طارق، أوحيب عما قليل مفارق. فأكثرُوا فيه من العمل الصالح وزودوه
 وشيعوه بالسكاء والأسف وودعوه. فقه در أقوام صاموا عن الشهوات وقاموا في كل الخلوات.
 يرتلون القرآن ترتيلاً، فلورأيتهم وقت السحر هذا يبكي ويعدد، وهذا يقرأ ويردد، وهذا يترنم
 بالقرآن فيطرب أسماعاً ويسبي عقولاً، وهذا قد تردى بكفائه، وهذا قد التحف بأحزانه، وهذا
 يبكي فيمطر من أحفائه سيولاً:

شهر الصيام لقد كرمت نزيلاً	ونويت من بعد المقام رجلاً	وأقت فينا ناصحاً ومؤدباً
وشفيت منا بالفؤاد غليلاً	نبكيك يا شهر الصيام بأدمع	تجري فتحكي في الحدود سيولاً
أسفا على الأنس الذي عودتنا	وصنيع فعل لا يزال جميلاً	شهر الأمانة والصيانة والتقى
والفوز فيه لمن أراد قبولاً	تبكي للساجد حسرة وتأسفاً	إذ عطلت من أنسه تعطيلاً
فيه الجنان تفتحت لقدمه	وترينت ولدائها تحفيلاً	وتفأت أشجارها بظلالها
وقطوفها قد ذلت تذليلاً	والحور للصوام يشقن الاقلام	والوصل والتقريب والتعجلاً
والنار يغلق بابها من أجله	إذ زاده رب العلا تيجلاً	والمارد الشيطان فيه قد غدا
عن صائمه مصفداً مغلولاً	طوبى لمن قد صبح فيه صيامه	ودعا الميمن بكرة وأصيلاً
وبليله قد قام يختم ورده	متبئلاً لإلهه تبتلاً	يرتاح فيه إلى الخطاب وقد غدا
يتلو الكتاب مرتلاً ترتيلاً	يبكي لفرقة شهره أسفاً على	تقصيره إذ لم ينل تحصيلاً
شهر يفوق على الشهور بليلاً	عن ألف شهر فضلت تفضيلاً	هي ليلة مستغنى أوقاتها
وتزلت أملكها تنزيلاً	يا فوز عبد قد رأها مرة	في عمره إذ أدرك السأمولاً
من قامها يغفر له ما قد مضى	من ذنبه وينال فيها السولاً	فاجهد عساك تنالها فيما بقي
بالجد واحذر أن تكون غفولاً	واسأل إلهك بره ونواله	يعطيك فضلاً من لده جزيلاً
ثم اقتدى بالهاشمي المصطفى	أزكى الوري في العالمين أصولاً	المتجني المختار أفضل من غدا
في المذنبين مشفعاً مقبولاً	صلى عليه الله جل جلاله	مادام نجم في السماء أفولاً

[إخواني] مضى شهر رمضان وكأنه ما كان، وشهد على السيء بالإساءة وعلى الحسن بالإحسان.
 وحصل كل على ما قسم له من ربح وخسران. فيا حيرة المفرط لقد أضاع الزمان. وبأخية السوف كأنه
 أخذ من اللوت الأمان. أعلم أن القضاء بهله إلى رمضان ثان. هذا شهركم قد انتصب لكم مودعا

قال: وقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بأصابعه
 فأدخل بعضها في جوف
 بعض. قال: ويقض له
 سبعون تيناً لو أن واحداً
 منها نفخ في الأرض
 ما نبات شيئاً ما بقيت الدنيا
 فينشه ويحدثه حتى يقضى
 به إلى الحساب» قال: وقال
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم «الفبر روضة من
 رياض الجنة، أو حرة من
 حفر النار» وروى أن
 رجلاً دخل على عمر بن
 عبد العزيز رضى الله عنه
 فرآه قد تغير لونه من كثرة
 العبادة فجعل يتعجب من
 تغير لونه واستحالة صفته
 فقال له عمر: يا ابن أخي
 وما يعجبك مني؟ فكيف
 لو رأيته بعد دخول قبري
 بثلاث، وقد خرجت
 الحدقتان فسالتا على الحدين
 وتقلعت الشفتان عن
 الأسنان، وخرج العديد
 والود من الناحر والفم
 وانتفخ البطن فعلاً على
 الصدر، وخرج الدبر من
 الصلب لرأيت إذ ذاك شيئاً
 أعجب مما رأيته الآن.

وسار مسرعا فأين البكاء لرحيله ؟ وأين الاستدراك لقليله ؟ وأين الاقتداء بفاعل الخير ودليله ؟ فقه ما كان أطيب زمانه في صوم وسهر . وما كان أصفى أوقانه من آفات الكدر . وما كان ألد الاشتغال فيه بالآيات والصور . فبالت شعري من قام بواجباته وسننه . ومن اجتهد في عمارة زمنه . ومن الذي أخلص في سره وعقله . ومن الذي تخلص من آفات الصوم وفتنه .

[إخواني] راحة الغريب عن الديار في البكاء والضراعة . إخواني : كيف من نسي أهله وإخوانه وأتباعه ؟ إخواني : سودت وجوهنا الزلات ، فثقي تبيض بالطاعات ؟ إخواني : أكثروا من التضرع إلى الله عز وجل في هذه الساعة . وقولوا برفع الأصوات : إلهنا لا تحرمنا من نيك الشفاعة . واجعل التقوى لنا أريج بضاعة . ولا تجعلنا في شهرنا هذا من أهل التفریط والإضاعة . وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة . برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس السابع

في فضائل ليلة القدر أعاد الله علينا وعليكم من بركاتها

الحمد لله الذي أحكم الأمور وقدرها وقدر الأشياء ودبرها . ودبر الموجودات وصورها . وصور الخليقة وأظهرها . وأظهر الأسرار وطهرها . وطهر القلوب ونورها ونور الكواكب وسيرها وسير الأفلاك وسخرها وسخر الرياح وشرها وشر السحب وأمطرها وأمطر الرياض وأزهرها وأزهر الأشجار وأثمرها وطيب أنفاس الأسحار بطيب الأذكار وعطرها وفضل مواسم الطاعات على سائر الأوقات وللخير والبركات يسرها وشرف شهر رمضان على جميع الشهور وخص لياليه بالفضل المشهور وتوفير الأجور شهرها وميزها بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر فطوب لمن عظمها ووقرها ، يالها من ليلة ما أكرمها وأنورها ! وما أكثر خيراتها وأعزرها ! تفتح فيها أبواب السموات ! وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام ! ومنع جفونه من المنام وأسهرها ! فيافوز من تلذذ فيها بالمناجاة وتلى ! وتهدى فيها بطاعات مولاه وتجلي ! وشاهد أنواره لما تجلى ! وسجدت له جميع المخلوقات وقد أذهلها في أنواره وحيرها ! فيا لها من ليلة مارفعت إليه فيها قصة محتاج إلا نظرها ! ولا وصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها ! ولا صعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ! ولا انتهت إليه شكاية ماهوف إلا أزال عنها الحرج وأناها بالفرج وبشرها ! ولا تضرعت بين يديه معتذرة إلا قبلها وعذرها ! ولا توجهت من أجله قلوب منكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبرها ! فسبحان من اطلع في هذه الليلة الشريفة على الدروب فغفرها ! وعلى العيوب فسترها ! وعلى القلوب فسكنها وعمرها ! وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها :

شهدت بالقهر له الأفلاك	مع الأملاك فسخرها	وأنت بالباب ذوو الحاجا
ت تروم الفضل فيسرها	كم قدر فت قصصا وشكت	غصصا للشوق فبشرها
هامت في الليل به الأحبا	بخط الحجب وسامرها	ولقد نظرت لما حضرت
في حضرته إذ أحضرها	كأنا يلى وسنا يحلى	لقلوب القوم فأسكرها
تاهت وبه باهت وانقد	سهرت في الحب فساها	وجلا أقداح كؤوس الذك
بر لها فلهذا استأثرها	فله نظرت لما اشهرت	بمحبتته إذ أسهرها
ما أسعدها ما أزهدا	ما أوشدها ما أذكرا	ما أجملها ما أكملها
ما أحلها ما أصبرها	فليالى القدر لها كشفت	ولها الباري قد أظهرها

وكان بكر العابد يقول
لأمة : يا أمة ليتك كنت
بنى عقبا إن لانبك في القبر
حسبا طويلا ، وإن له من
بعد ذلك رحىلا .

[وقال] حاتم الأصم : من
مر ببناء القبور ولم يتفكر
في نفسه ولم يدع لهم فقد

خان نفسه وخانهم . قال

القشيري : سمعت أبا علي

الدقاق يقول : دخلت على

الإمام أبي بكر بن فورك

عائدا فلما رآني دمعت

عيناه ، فقلت له : إن الله

يعافيك ويشفيك ، فقال

لي أتراني أخاف من الموت

إنما أخاف مما وراء الموت .

وسمعت بعض الفقهاء

يقول : إن سبب زهد

داود بن نصر الطائي أنه

سمع نائحة تنوح ، بأى

خديك يبدأ البلاء ، وأى

عينيك إذا سالا ؟ وأعجبا

لو وصف طبيب لك داءك

ودواءك لاستمعت إليه

ولأطعته ، وهذا دواء

دائك العظيم الدفين ، الذي

يصلى صاحبه نار جهنم فلا

تسمع إليه حق الاستماع .

وربما إن طال المجلس

فتعالى رباً مقتدراً خلق الأشياء وقدرها
وقضى الآجال مع الأعما ل لكل الخلق وقدرها

نعمت أوتكلمت مع أنه
ورد لمن التكم ولو كنت
في لهو أو أمر دنيا لم تنسى
بل ارتحت له ، وما ذاك
إلا حب سريرتك وضعف
إيمانك أين أبأوك وأبنأوك
وأين إخوانك وأحبابك؟
سكنوا بطون الأرض ،
وصاروا أكلا للهوام ،
ولا يقدرّون على دفع
ما يلقون من العذاب:

هو الدهر فاصبر ما طي
الدهر معتب
وليس لنا من خطة الموت
مهرب
ولا بد من كأس الحسام
ضرورة

ومن ذا الذي من كأسه
ليس يشرب
وما يعمّر الدنيا الدنية
حازم
إذا كان فيها عامر العمر
يخرب

وإن علياً ذمها في كلامه
وطلقها والجاهل الغر
يخطب
ولما أتى بالكوز والناس
حضر
فقال لهم يا لرجال تعجبوا

أحمد على نعمه التي شرها وأعزرها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لمن
عنده ادخرها . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أيد الله له الشريعة ونصرها . وهدى الأمة إلى
طريق الصواب وبصرها . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها الله تعالى من
الرجس وطهرها . قال الله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) إلى آخرها . قال ابن عباس رضي الله عنهما :
أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان .
قال المفسرون : بيت العزة في سماء الدنيا . وفي تسميتها بليلة القدر خمسة وجوه : أحدها أن القدر هو
العظمة وهي ليلة عظيمة . الثاني أنه الضيق فهي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون
من السماء . الثالث أن القدر هو الحكم فإن الأشياء تقدر فيها . الرابع أن من لم يكن له قدر يصير
بمراعاتها ذا قدر . الخامس أنه نزل فيها كتاب ذو قدر وملائكة ذوو قدر . واختلفوا هل ليلة القدر
باقية إلى زماننا هذا ؟ أم كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ؟ على قولين : أحدهما أنها باقية
إلى زماننا هذا وأنها في شهر رمضان . واختلفوا أي الليالي أخص بها على ستة أقوال : أحدها أن
الأخص بها أول ليلة من شهر رمضان . الثاني هي ليلة الحادي والعشرين . الثالث هي ليلة الثالث
والعشرين . الرابع هي ليلة الخامس والعشرين . الخامس هي ليلة السابع والعشرين . السادس هي
ليلة التاسع والعشرين . وقيل إنها تنتقل في أفراد العشر الأواخر من شهر رمضان . قوله تعالى (وما أدراك
ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها
ليلة القدر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني
إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر في سبيل الله فتعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك عجباً شديداً وتعموا أن يكون لهم مثل ذلك فدعا ربه أي رب أنت جعلت أمي أقصر الأمم
أعماراً وأقلها أعمالاً فأعطاء الله ليلة القدر ، فقال يا محمد ليلة القدر خير من ألف شهر وأعطيتك
وأمتك هذه الليلة في كل سنة خيراً لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة في كل شهر رمضان ليلة خير
من ألف شهر ، وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر قال تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها)
جبريل عليه السلام (بإذن ربهم من كل أمر) قال المفسرون : ينزلون بكل أمر قضاء الله تعالى في تلك
السنة وقدره إلى قابل (سلام هي) أي سلامة لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان (حتى مطلع
الفجر) أي إلى طلوع الفجر .

هي ليلة القدر التي شرفت على كل الشهور وسائر الأعوام من قامها يحو إليه بفضلها
عنه الذنوب وسائر الآثام فيها تجلى الحق جل جلاله وقضى القضاء وسائر الأحكام

فادعوه واطلبوا فضله تعطى التي وتجاب بالإنعام والإكرام
فإنه يرزقنا القبول بفضلها ويجود بالتفرات للصوام
ويذيقنا فيها حلوة عفوه ويميتنا حقاً على الإسلام

(روى أبو هريرة رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام ليلة القدر إيماناً
 واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وعن ابن عمر رضي الله عنهما
 أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر من رمضان فمن كان

متحررها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه البخاري ومسلم . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا الليل كله وأيقظ أهله » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله ، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني كنت رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان في الوتر من لياليها ، وهي ليلة طلقة بلجة لاحارة ولا باردة كأن فيها قفرا لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها » وقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو ؟ قال قولي « اللهم إنك عفوك كريم تحب العفو فاعف عني » :

(وعن محمد بن كعب رضي الله عنه) قال : بينما عمر رضي الله عنه جالس في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين إذ ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها وعبد الله ساكت . فقال له عمر رضي الله عنه : مالك لا تتكلم يا ابن عباس ؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة ، فقال : إن الله تعالى وتر يحب الوتر ، وإياه جعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وجعل فوقنا سبع سموات ، وجعل تحتنا سبع أرضين ، وجعل البحار سبعا ، وجعل ما يقع في السجود من أعضائنا سبعا ، وحرم من نكاح الأقرنين سبعا ، وقسم الموارث بينهم على سبع ، وأعطى نبيه صلى الله عليه وسلم المائتين سبعا ، ورعى الخمار بسبع . فأظها والله أعلم في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فتعجب عمر رضي الله عنه وقال : يا قوم من كان يروي هذا كرواية ابن عباس رضي الله عنهما ؟ . ويقال : إن عدد كلمات هذه السورة ثلاثون كلمة ، وقوله (حتى مطلع الفجر) آخرها «هي» الكلمة السابعة والعشرون فدل أنها ليلة السابع والعشرين . ويقال : خست تلك الليلة وفضلت بنور ينزل من السماء مثل العلم من نور الله عز وجل ، ويقال ذلك النور مثل خيمة عظيمة . فقال بعضهم هو من نور شجرة طوبى ، وقال بعضهم هو من نور الرحمة ، وقال بعضهم من نور لواء الحمد ، وقال بعضهم من نور أجنحة الملائكة ، وقال بعضهم من نور الطاعات ، وقال بعضهم من نور أسرار العارفين ، وقال بعضهم من نور الهيبة . ثم إن ليلة القدر ليلة مرغوة وهي أفضل الليالي :

لليلة القدر عند الله تفضيل وفي فضائلها قد جاء تنزيل فجد فيها على خير تنال به أجرا فلخير عند الله تفضيل واحرص على فعل أعمال تسر بها يوم المعاد ولا يغتررك تأميل فكمر رأينا صحيح الجسم ذا أمل في ليلة القدر لم يبلغه تنويل فتب إلى الله واحذر من عقوبته عن كل ما فيه توييح وتنكيل ولا تنسرك الدنيا وزخرفها فكل شيء سوى التقوى أباطيل وقال بعضهم في قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) يعني الرحمة في هذه الليلة وحدها خير وأكثر من الرحمة في ألف شهر ، وإنما سميت ليلة القدر لوجهين : أحدها أنها ليلة لها قدر وجاه ومنزلة وشرف عند الله تعالى فسميت ليلة القدر ، وقال أبو الفضل : يعني ليلة القدر يقدر فيها الأرزاق والآجال والأمراض والمصائب والبلايا والعافية والفرح والسرور والريح والخسران وما يكون في مثل هذه الليلة إلى مثلها من عام قابل ، وعن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام معهم ومعهم أربعة ألوية فينصب لواء منها على قبري ولواء منها على طور سيناء ولواء منها على ظهر المسجد الحرام ولواء منها على ظهر بيت المقدس ولا يدع بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا أدخله وسلم عليه ، يقول

ألا إله هذا الكوز فيه مواضع

لمحظ من ظلة القبر يهبط فكم فيه من ثمر وعين كحلة

وخذ أسيل كان يهوى ويطلب

وكم من عظيم القدر صارت عظامه

إناء ومنه الماء يقوم يشرب وينقل من أرض لأخرى هدية

فوالجبا بعد البلى يتغرب اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد ولادة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

فصل في أحوال بعض المولى

قال ابن عباس رضي الله عنهما « مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين . فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة

يا مؤمن ويا مؤمنة: السلام يقرئك السلام فإذا طلع الفجر فأول من يصعد جبريل عليه السلام حتى يكون على الوجه الأعلى بين السماء والأرض فيبسط جناحه فتصبح الشمس لا شعاع لها حتى يدعو ملكا ملكا فيصعدون فيجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام فتصبح الشمس بيضاء لا شعاع لها فيقوم جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة بين السماء والأرض يومهم ذلك في دعاء واستغفار للمؤمنين والمؤمنات . فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا : مرحبا بأشرافنا وساداتنا من أين أقبلتم ؟ فيقولون أقبلنا من عند أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون : ما صنع الرب سبحانه وتعالى في وجوئهم ؟ فيقولون غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع صالحهم في طالحهم فيصيحون إلى الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتقديس شكرا لما أعطاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يسألونهم عن رجل رجل وامرأة امرأة فيقولون : ما فعل فلان ما فعلت فلانة ، فيقولون : وجدنا فلانا عام الأول متعبدا ووجدناه هذا العام مبتدعا فيكفون عن الاستغفار له ، ووجدنا فلانا عام الأول مبتدعا ووجدناه هذا العام متعبدا فيستغفرون له ويدعون له ، ووجدنا فلانا يذكر الله تعالى ، ووجدنا فلانا راكعا ووجدنا فلانا ساجدا ، ووجدنا فلانا تاليا لكتاب الله تعالى ، ووجدنا فلانا باكيا فيدعون لهم ويستغفرون لهم ، ثم يصعدون إلى السماء الثانية فهم في كل سماء يوما وليلة في دعاء واستغفار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى ينتهوا إلى مكانهم من سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : أين غبتم هذه الأيام ؟ فيقولون : كنا عند نزول رحمة الله تعالى على أهل الأرض في ليلة القدر ، فتقول لهم : ما صنع الرب بهم ؟ فيقولون : غفر لحسنهم وشفعه في مسيئهم . قال فهتز سدرة المنتهى وتثنى على الله تعالى بالتسبيح والتقديس والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فتسميها جنة المأوى وهي مظلة عليها فتقول يا سدرة المنتهى لم اهتزت ؟ فتقول : أخبرني سكانها عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم في مسيئهم فتصبح جنة المأوى والتقديس والثناء والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فتسميها جنة النعم وهي مظلة عليها فتقول : يا جنة المأوى لم صحت ؟ فتقول أخبرني سدرة المنتهى عن سكانها عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم في مسيئهم فتصبح جنة النعم كذلك ثم جنة عدن ويسمع منها الكرسي ، فيقول كذلك ، ثم يسمع العرش . فيقول يا كرسي لم صحت ؟ فيقول : أخبرني جنة عدن عن جنة النعم عن جنة المأوى عن السدرة عن سكانها عن جبريل عليه السلام أن الله تبارك وتعالى غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفع محسنهم في مسيئهم قال فهتز العرش طربا ويصيح . فيقول الجليل جل جلاله لم صحت ؟ وهو أعلم فيقول : يارب أخبرني الكرسي عن جنة المأوى عن السدرة عن سكانها عن جبريل عليه السلام أنك يا أرحم الراحمين قد غفرت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وشفعت صالحهم في طالحهم فيقول الله عز وجل : صدق جبريل وصدقت سدرة المنتهى وصدقت جنة المأوى وصدقت جنة النعم وصدقت جنة عدن وصدق الكرسي وصدقت يا عرش ، أعددت لأمة محمد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

[إخواني] انظروا ما خصكم الله به من الإكرام والاحسان وحبكم به من العطايا والجسام وشرفكم بنبي الرحمة ورسول الهدى وأتهدكم ببركته من الردي ووهب من أسرف في الذنوب واعتدى لمن أحسن وعمل صالحا ثم اهتدى . فاستدركوا رحمكم الله مواسم العمر بخادي الموت بالرحيل قد حدا ، واغتنموا ليلة القدر فاعملوا أن تكتبوا في ديوان السعداء ، فإنها ليلة تفوق ليالي الدهر وهي خير من

اقال لعله أن يخفف عنهما

ما لم يبسا .

[ورؤى] بعض الموتى في

النوم فقيل له كيف كان

حالك ؟ فقال صليت يوما

بلا وضوء فوكل على ذئب

يروغنى في قبري فخالي

معه في أسوأ حال .

[ورؤى] آخر في النوم

فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال دعني فاني لم أتمكن

من غسل يوما من الجنابة

فألبسى الله ثوبا من النار

أقلب فيه ليلا ونهارا .

ومر عيسى ابن مريم عليه

السلام بعقيرة فتأدى رجلا

منهم فأجابه الله فقال من

أنت ؟ فقال كنت حمالا

أفعل للناس ففعلت يوما

لإنسان خطيئا وكسرت منه

خلالا ونخلت به فأنا

مطالب به منذ مت .

[ورؤى] سفيان الثوري

في المنام وله جناحان يطير

بهما في الجنة من شجرة

إلى شجرة فقيل له : بهم نلت

هذا ؟ فقال بالورع . ووقف

حسان بن أبي سنان على

أصحاب الحسن ، فقال أي

شيء أشد عليكم ؟ فقالوا

ألف شهر ، مداد الله فيها داء إلا أحابه وبلغه أملا ومقصدا ، ولا سألته سائل إلا أعطاه سؤله وجاد عليه بالفضل والندی . فيافوز من أحياها وبإسعاد عبد رآها لقد نال غرا وسوددا . وقد جاء في صحيح الإسناد أنها تلتبس في ليالي الأفراد فاطلبوها في هذه الأعداد تظفروا بحسن القبول ونيل للراد غدا ، فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تخاف عاقبة الردى ! أما سمعت الحادى وقد حدا ! أما أن أن تسلك طريقا رشدا ! أما تنعم ليالى القدر التى تجلو عن قلبك الصدا :

يا أيها العبد قم لله مجتهدا وانفض كما نهضت من قلبك السعدا
هذه ليالى الرضا وافت وأنت على فعل القبيح مصرّا ماجلوت صدا
قم فاعنم ليلة تحيا النفوس بها ومثلها لم يكن فى فضلها أبدا
طوبى لمن مرة فى العمر أدركها ونال منها الذى يبغيه مجتهدا
فليلة القدر خير قال خالقنا من ألف شهر هيا من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزله إلى السماء وقد خاب الذى جحدا
فى ليلة القدر جلّ الله أنزله بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن يرى من الكشف من يعطى بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من عند المهيمن لن تحصى لهم عددا
يا فوز عبد رآها إنه رجل قد عاش فى الدهر عيشا دائما رغدا
وقاز بالأمّن والفران مغتبطا ونال ما يرتجى من ربه أبدا
فاطلب من الله إن وافيتها سحرا جنات عدن تكن من جملة السعدا
وابك ونح وتضرع فى الدجى أسفا ولذ بجاه شفيع للذنبين غدا
خير البرية من نعيم ومن عرب محمد خير مبعوث بدين هدى
الهاشمى الذى شاعت رسالته جهرا وأسخى الورى بالمكرمات يدا
هو البشير النذير المستضاء به ومن بإحسانه عمّ الأنام ندى
وأنه خير من يمشى على قدم وخير من فاق مولودا ومن ولدا
صلى عليه إله العرش ما طاعت شمس وما سار سار فى القلا وحدا

إلهى وقف السائلون ببابك ، ولاذ الفقراء بجنابك ، ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك ، رجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمك ، إلهى إن كنت لأرحم فى هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك فى صيامه وقيامه فمن للذنب القصر إذا غرق فى بحر ذنوبه وآثامه ، إلهى إن كنت لأرحم إلا المطيعين فمن للعاصيين ، وإن كنت لا تقبل إلا العاملين فمن للمقصرين ، إلهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون فارحنا برحمتك وجد علينا بعفوك ومنتك واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس الثامن

فى ذكر حجاج بيت الله الحرام وما أعد الله لهم من الإفضال والإنعام ، جعلنا الله وإياكم فى هذا العام بمن فاز بحج البيت الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام الحمد لله الذى (لا إله إلا هو الحى القيوم) سبحانه وتعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) ولا يخشى فناء ولازوالا (له ما فى السموات وما فى الأرض) شهود على عظمته لا يجد العقل له شبيها ولا مثالا

الورع . فقال : ولا شئ أخف علىّ منه فقالوا : فكيف ؟ فقال لم أرو من نهركم أربعين سنة . وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد مامات فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها . وكان لعبد الواحد بن يزيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة ، وكان فى ابتداء الأمر كيالا ، فلما مات ورؤى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : خيرا غير أنى محبوس عن الجنة . وقد خرج علىّ من غبار القفير أربعون قفيرا .

[وروى] أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى المنام فقال . يا هذا إنكم تعملون ولا تعملون ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتك فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا وما فيها .

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بذنه) ولا يطيق أحد بين يديه جوابا ولا سؤالا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وفوقاً وتحتاً وبيناً وشمالاً (ولا يحطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ولا يدرك أحد لسكنه مثلاً (وسع كرسيه السموات والأرض) وكل يدي من هيئته خوفاً وإجلالا (ولا يؤوده حفظهما) وإن كانا ثقلاً (وهو العليّ العظيم) الذي تعالى وتعاظم عزا وجلالا :

جلّ رب في عزه قد تعالى وسما قدره وعزّ مثلاً
أحد ماجد كريم عظيم ليس يخشى على الدوام زوالاً
جل عن مشبه له ونظير ليس تحصى له العقول مثلاً

فسبحانه من إله افترض حج بيته الحرام على عباده فشدوا إليه رحلاً ، دعاهم لقربه فما استبعدوا في حبه بعيداً ولا استهولوا أهوالاً ، سار بهم الدليل فكيف يضلون السبيل ووجوههم في ظلام الليل تتلألا ، فلورأت النياق يا هذا كيف تعدّ بوادي العقيق الأعناق فتشر أشواقاً وتطوى رمالاً . فإذا وصلت إلى شريف حرمة وحطت لباب كرمه رحلاً ، نادى منادى القبول عند الوصول ارتحالا :
قد دعا الشوق للحبيب رجلاً قطعوا في السرى إليه رمالاً حبذا قد أتوه شعثاً وغبرا يرتحون التوال وإفضالا قد أتوا يهرعون من كل فج فارقوا في رضا أهلا ومالا
ثم نادوا بجمعهم في حماء يا كريماً إذا استقبل أقالا
فسبحان من شرف البيت العتيق ، بركن من ركن إليه نجا من الهم والضيّق ، وبياب من دخل إليه كان آمناً وكتب له توقيع التوفيق ، وبميراب تنصب منه الرحمة على من سلك إلى الخير أقوم طريق ، وبحجر يشهد لمن قبله بالوفاء والتصديق ، وبحجر سبي العقول بالحبّة إليه والنشويق ، وبحجر نأتى إليه الوفود مشاة وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

عن أيمن الشعب بوادي العقيق لاح السنن من نحو ذاك الفريق
وقد بدت أعلام وادي القما والقلب مأسور ودمعى طليق
طوبى لقوم أدركوا قصدهم وكابدوا كل عسير وضيق
ويعموا البيت فبشراهمو لما أتوا من كل فج عميق

فسبحان من شرف بيته على سائر الأماكن والأقطار ، وجعل ربه جلاء للأبصار . ووعد من طافه بتضعيف الأجر والثواب وأن يسقيه من شراب الاقتراب رحيقاً سلسيلاً ، هذه صفة كعبة الله التي من عظمها كان معظماً مبجلاً ، ومن أقبل إليها كان مولاه عليه مقبلاً ، فكم من محب مات شوقاً إليها ولم يبلغ منها أملاً ، فلسان حاله يقول عند ما لبست من خلع القبول حلالاً :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا شوقاً إليك ورام الوصول ما وصلا
قد تمت بعده الأولاد حين سرى وظل يبكي بدمع فاض منهما
فكم غريق بحار في هوالك غدا وآخر ظل في البداء منجدلا
وأتمو معشر الزوّار قربكم إلى مقام به أمن لمن دخل
فلا تخافوا فأنتم في ضيافته فهو الكريم الذي بالجود ما خلا

فقد در أقوام دعاهم مولاهم إلى جنبه فساروا إلى بابه شعثاً وغبرا ، وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا له حمداً وشكراً ، فإذا زمزم لهم الحادى بذكر زمزم والعقيق وقصدوا ذلك الفريق ألقى في قلوبهم من الشوق لها وجراً ، ونادى الصب الكئيب وقلبه بذكر الحبيب مغرم ومغرى :

[وقال] بعض الصالحين :

مات لى أنخ فى الله فرأيت
فى النوم فقات له يافلان
عشت : الحمد لله رب
العالمين . قل لى لأن أقدر
أن أقولها يعنى : الحمد لله
رب العالمين أحب إلى من
الدنيا وما فيها ، ثم قال ألم
تر حيث كانوا يدفنونى
فإن فلان جاء فصلى ركعتين
لأن قدر أن أصليهما
أحب إلى من الدنيا وما فيها
وذكر أبو سبرة أن منكراً
ونكيراً أتيا رجلاً إلى قبره
وقالا إنا ضاربوك مائة
ضربة ! فقال الميت إني
كنت كذا وكذا وتشفع
بعض أعماله الصالحة حتى
حطا عنه عشرة ولم يزل
يتشفع حتى حطا الجميع إلا
ضربة فضربه ضربة
فالتب القبر عليه ناراً
فقال لم ضربتاني ؟ فقالا :
مررت بمظلوم فاستغاث
بك فلم تفعه .

[وقال] عبد الله بن عمر

رضى الله تعالى عنهما
وجاعة من أهل بيته إنا
كنا ندعوا لله تعالى ليرينا
عمر فى المنام فرأيت فى المنام

بشري بأيام الوصال لك البشري عساك رأيت الحى والحيم الحمرا
وشاهدت سكان العقيق وحاجر وبانت لك الأعلام والقبة الخضرا
ولاح لك الحسن البديع صفاته وأصبحت مشلى هائما مغرما مغرى
بعيشك حدثى وقل لى عن الحى وعن أهله إن شئت أن تنعم الأجر
رعى الله أياما تنقضت بقربكم وطيب ليل ماعرفت لها قدرا

فيا أيها الغافل ونسم القبول قد هب من الأراضى الحجازية وأنى بطيب أخبارها ، وروى أن
عروس الكعبة العظيمة قد جلست فى حلل أستارها وتجلت للطائفين ففاضوا بمشاهدتها وقرب مزارها
وأدركوا السعود بالصعود إلى عرفات وفازوا فى منى برى جمارها فواشوقه إلى ليلالى منى فقد طالت
على مدة انتظارها :

واحسرتى ضاع الزمان باطلا ولم تصل روحى إلى أوطارها وقد تذكرت زمان وصلها
فهاجت الأشجان من تذكراها متى أرى الكعبة تجلى جهرة ويقرب البعيد من مزارها
وأحتليها بعد طول حسرة فى حلل البهاء من أستارها وبعدها اسعى إلى خير الورى
مستقذ الأمة من أوزارها المجتنبى الهادى الرسول الرضى محمد المختار من نزارها
صلى عليه الله ما هبت صبا وضوعت شذاه فى أقطارها

قال الله عز وجل (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى
عن العالمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما : معنى السبيل أن يصح بدن العبد ويكون له زاد وراحلة
من غير أن يحجف به ، وقوله تعالى (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) يعنى من كفر بالحج فلم ير
حجه برا ولا تركه إثمًا ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أتى
هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجعت كيوم ولدته أمه » وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنوهم
يباهى بهم الملائكة ، فيقول ما أراد هؤلاء ؟ فيقولون ياربنا يريدون الغفر والمغفرة ، فيقول الله تعالى :
يا ملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم وغفوت عنهم » فله در أقوام رأوا خدمة مولاهم فى دنياهم ربها
ومعنا ورأوا تضييع الأوقات فى غير الطاعات خسرا ومغرما ، أوقفهم على عرفات قربه فأضحى كل
منهم بحبل حبه معتصما ، غفر ذنوبهم وباعهم مطلوبهم ونشر لهم بالسعادة علما :

يا فوز قوم قد أتوا لجنابه فأباحهم منه الرضا والمغنا قوم على عرفات قد وقفوا وقد
باهى بهم ذوالعرش أملاك السما إذ قال يا أهل السموات انظروا وفدى وكل قد أضرب به الظما
أشهدتكم أنى قد غفرت ذنوبهم وغفوت عنهم أجمعين تسكروا

[وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه] قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها
الناس إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أى كل عام يا رسول الله ؟ فسكت . فقال
يا رسول الله أى كل عام ؟ قال : لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » رواه مسلم وأحمد
والنسائى رضى الله تعالى عنهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد » رواه النسائى
رضى الله عنه ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار
وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » رواه ابن ماجه ، وفى لفظ آخر « الحجاج والعمار وفد
الله إن سألوه أعظامهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شفّعوا شفّعوا » :

بعد اثنتى عشرة سنة كأنه
قد اغتسل ، وهو متلفع
بأزار فقلت يا أمير المؤمنين
كيف وجدت ربك ؟
وبأى حسنتك حالك ؟
فقال يا عبد الله كم لى منذ
فارقكم ؟ فقلت اثنتا عشرة
سنة ، فقال منذ فارقتكم
كنت فى الحساب وخفت
أن أهلك إلا أن الله غفور
رحيم جواد كريم . فهذا
حال عمر ولم يكن له فى
دنياه شىء من أسباب
الولاية سوى درة

[وروى] أنه زنى أبو شحمة
ولد عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فخلده مائة جلدة
فمات فلما كان بعد أربعين
يوما قال حذيفة بن اليمان
رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المنام وإذا
اللقى معه وعليه حلتان
خضراوان . وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أقرى عمر منى السلام ،
وقل له : هكذا أمرك أن
تقرأ القرآن ، وتقيم
الحدود ، وقال النمام :
يا حذيفة أقرى أبى منى
السلام ، وقل له طهرك الله
كما طهرتنى والسلام .

فهمو وفدى إذا محضروا عند بيتي يطلبون الزلفا أعظمهم ماسألوني جهرة
وألههم من جنابي غرفا وإذا ما اجتمعوا أسمعهم من جنابي إن مولاكم عفا
فابشروا بالفوز مني والرضا قد دنا الوصل وقد زال الجفا

[وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه البخاري ومسلم. قال العلماء: الحج المبرور: الذي ليس بعده معصية كما قال الفضيل بن عياض لبعض من حج: يا هذا إن الله تعالى يختم على عمل الحاج بطابع من نور فأياك أن تفك ذلك الختم بمعصية الله عز وجل.

أبشر فخجك مقبول ومبرور وكل سعيك محمود ومشكور وماتصدقت في أرض الحجاز به فأجره لك عند الله مدخور وكل سعي وما قدمت من عمل فإنه لك بعد الربح موفور فان حججت ولم تأتي بمعصية نلت المراد وأنت اليوم مسرور

[وعن أبي زرير العنقبي رضي الله تعالى عنه] أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة فقال «حج عن أبيك واعتمر» رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي رضي الله عنهم، وعن عائشة رضي الله عنها. قالت «قلت يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة».

[إخواني] كيف تتخلفون عن الحج وقد فرضه الله على العباد، وكيف لاترغبون فيه وهو ذخيرة لكم يوم للعاد، وكيف لاتهتمون به وقد قيل ليدخلن الجنة ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الموصى بها والمنفذ لها والحاج عنه؟ وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال «جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كلمات أسأل عنهن، قال اجلس، وجاء رجل من ثقيف فقال يا رسول الله كلمات أسأل عنهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك الأنصاري، قال الأنصاري إنه رجل غريب وإن لأغريب حقاً فأبدأ به فأقبل على الثقيفي، فقال: إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل، وإن شئت سألتني وأخبرك، فقال يا رسول الله بل أخبرني عما جئت أسألك فإنه أعجب قال جئت تسألني عن الركوع والسجود والصلاة والصوم، فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما أخطأت مما كان في نفسي شيئاً، قال: فإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك ثم فرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه، وإذا سجدت فمكّن جبهتك ولا تنقر تقرا واصل أول النهار وآخره، فقال يابني الله فإن أنا واصلت بينهما، قال فأنت إذا مصل، وصم من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره ونم أول الليل وقم أوسطه ونم آخره، فان قمت من أوسطه إلى آخره فأنت إذا مصل، فقام الثقيفي ثم أقبل الأنصاري، فقال: إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل وإن شئت سألتني فأخبرك فقال يابني الله أخبرني عما جئت أسألك، قال جئت تسألني عن الحاج ماله حين يخرج من بيته وماله حين يقوم بعرفات وماله حين يرمي الجمار وماله حين يخلق رأسه وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت، فقال يابني الله: والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئاً، قال فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لاتخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة، فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا، فيقول انظروا إلى عبادي شعناً غيبراً أشهدوا أنني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج، وإذا رمى الجمار لا يدري أحد ماله حتى يوفاه يوم القيامة، وإذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه ابن ماجه في صحيحه، وفي لفظ آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «جاء رجل

[وروي] عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لباش بعد توبته ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله؟ قال نبشت إنساناً فوجدته قد صم بمسامير في جميع جسده ومسامير كبير في رأسه وآخر في رجليه، وقيل لآخر ما سبب توبتك؟ قال رأيت جمجمة إنسان قد سبب فيها الرصاص. وروي أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبراً، فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى. وقيل: روى الأوزاعي في المنام فقل ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء، ثم الحزوين. وروى أبو عبد الله النداد في المنام فقل له: ما فعل الله بك؟ فقال أوقفني وغفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحداً استحييت أن أقر به فوقسني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقل له وماذا لك؟ فقل

نظرت الى شخص جميل
فاستحييت أن أذكره .
[وروى] عن هشام بن
حسان أنه قال مات لي ابن
حدث فرأيت في النوم
فاذا شيب في رأسه ، فقلت
يا بني ما هذا الشيب ؟ قال
لما قدم علينا بلان زفرت
جهنم لقدومه زفرة لم يبق
أحد منا إلا شاب . وقيل
لما مات كرز بن وبرة روى
في المنام : كأن أهل القبور
خرجوا من قبورهم وعليهم
ثياب جدد بيض ، فقيل
ما هذا ؟ فقالوا إن أهل
القبور كسوا لباسا جديدا
لقدوم كرز عليهم .

[وروى] أن بعض
الصالحين قال كان لي ابن
استشهد فلم أره في المنام
إلا ليلة توفي عمر بن عبد
العزیز رضي الله عنه
إذ تراءى لي تلك الليلة ،
فقلت يا بني ألم تكن ميتا ؟
فقال لا ولكنني استشهدت
وأنا حي عند الله تعالى
أرزق فقلت ما جاء بك ؟
فقال نودي في أهل
السموات أن لاني يبق
ولا صديق ولا شهيد إلا

من الأنصار يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء رجل من ثقيف يسأله أيضا ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أخا ثقيف إن أخاك الأنصاري قد سبقك بالمسألة فاجلس كما نبداً بحاجة الأنصاري
قبل حاجتك فتغير وجه الثقيفي ، فقام الأنصاري . فقال : يا رسول الله ابدأ بحاجة الثقيفي قبل حاجتي
فأني رأيت في آتفا تغير وجهه وأخاف أن يكون قد وجد عليك وما يسرني ذلك فأخبرني ، فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم للأنصاري بخير ، ثم قال يا أخا ثقيف سل عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذي جئت
تسألني عنه ، فقال يا رسول الله أخبرني فهو أعجب إلي ، فقال جئت تسألني أي الشهر تصوم وأي
الليل تقوم وجئت تسألني كيف تصنع في ركوعك وكيف تصنع في سجودك ؟ فقال : والذي بعثك
بالحق إنه الذي أردت أن أسألك عنه ، فقال صم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ونم أول
الليل وقم وسط الليل ونم آخر الليل ، فان قمت في وسطه الى آخره فأنت إدامصل وإذا ركعت فضع
يديك على ركبتيك وفرّج بين أصابعك ، فإذا سجدت فمكّن جبهتك من الأرض ولا تنقر تقرا ، ثم
قال يا أخا الأنصار سلني عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذي جئت تسألني عنه ، فقال : يا رسول الله
حدثني كما حدثت صاحبي فهو أعجب إلي ، قال جئت تسألني عن خروجك من بيتك تؤم المسجد
الحرام مالك فيه من الأجر وجئت تسألني عن وقوفك بعرفات مالك فيه من الأجر وجئت تسألني
عن رميك الجمار مالك فيه من الأجر وجئت تسألني عن حلقك رأسك مالك فيه من الأجر وجئت
تسألني عن طوانك مالك فيه من الأجر وجئت تسألني عن شيء غيره فقال : والذي بعثك بالحق
إنه الذي أردت أن أسألك عنه . قال فان خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام يكتب الله لك بكل
خطوة تخطوها حسنة ويحط عنك بها خطيئة ويرفع لك بها درجة ، وأما ركعتك للطواف فسكرت
رقية ، وأما سعيك بين الصفا والمروة فسكرت سبعين رقبة ، وأما وقوفك بعرفات فإن الله تبارك
وتعالى يطلع على أهل عرفات فيقول عبادي أتوني شعثا غبرا أتوني من كل فج عميق فيباهي بهم
للائكة ، فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وعسد نجوم السماء وقطر البحر والطر غفرها
لك ، وأما رميك الجمار فانه مدخور لك عند ربك أحوج ما تكون إليه ، وأما حلقك رأسك فان لك
بكل شعرة تقع منك نورا يوم القيامة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك وهو طواف الصدر فتطوفه
ولا ذنب عليك ويأتي ملك فيضع يده بين كتفيك ثم يقول لك قد غفر الله لك ماضى فأحسن فيما
بقي أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعت فيه « فله در الفائزين بالحج ، لقد بلغوا الأمانى وأدركوا الأمان
وساعدتهم على نيل مقاصدهم الزمان ، فازوا بحج البيت الحرام ، وقد كفر عنهم مولاهم الذنوب والآثام .
يا فوزهم قد سرت بهم للطايا وحط عنهم ثقل الخطايا والعصيان ، وفازوا بنيل الطلوب وحصول
القبول والرضوان [وينشد من كان وكان] :

فازوا بنيل الأمانى وأدركوا مطلوبهم من الإله وطافوا بالبيت والأركان
وبالقمام تملأوا وبالخطيم تمتعوا وشاهدوا النور يجل فيهِ بكل مكان
طوبى لهم إذ تناولوا مرادهم لما سعوا بين الصفا والمروة في طاعة الرحمن
يا بالغين مناهم وفائزين بحجهم بشرا كمو قد أراكم كل الرضا بأمان
فزتم بما أملتم والله عنكم قد غفا عن كل ما قد فعلتم في سالف الأزمان
وقال الشبلي رحمه الله : الحج حرفان : حاء وجيم ، فالحاء من الحلم والجيم من الجرم والاشارة فيه
كأنه يقول : يا رب أنتيتك بحر مني وجفاني إلى حلمك ورحمتك فان لم تنفّر لي جرمي فمن يغفر لي ؟
[إخواني] ما كل مسافر حاج ولا كل جبل عرفات ولا كل بيت مكة ولا كل زاد يوصل .

[إخواني] سار الأحباب في ليل العزم ونعم وربحوا في معاملتهم وماغنمتم لو تفسركم فيما فاتكم لندمتهم ، يامنقطعين عن القوم إن لم تنهضوا للحاق الإخوان فابكوا معي على البعد والحرمان :

إذا مادنا دواعي البيت والحجر أجابته أجفان مدامعها تجري
ولي كلما دار الحبيج إلى في حنين وأشواق تجلّ عن الحصر
جسمي مقيم في الديار ومهجتي بخيف مني مع كل ركب له يسرى
أعلل بالصبر الفؤاد وإن دنا أو ان مسير الركب لم يغني صبرى
وأذكر أهوال الطريق وأجرها فيسهل عندي ما أخاف من العسر
وإن خفت من فقر تقول عزيزي تقدم فكم بالفخر فاز أخو فقر

وقيل : ثلاثة لا تردّ لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمريض حتى يعافى ، والحاج حتى يقدم .
وقيل من توضع فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليماني ليستلمه خاض في الرحمة ، فإذا استلمه وقال :
بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله غمرته الرحمة ، فإذا طاف
بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة .

[إخواني] اغتنموا هذه الفوائد والريح ، فمن اجتهد وجد وليس من سهر كمن رقد
والفضائل والفوائد تحتاج إلى وثبة كوثبة أسد .
[إخواني] من أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام ، ومن تغرب في بادية الشوق ظهرت
له الحيام .

إذا ما الحيام البيض لاحت لشيء فرج فلما بعدها بقليل
تراني على الأطناب صرعى من الهوى تكسكف دمعا لانتقاد خليل
وكم أنة أردفتها بتحسر وكم عبرة أتبعها بعويل *
قفوا وانظروا ذلي وعز معذبي تروا عجا من قاتل وقبيل

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكمة في أفعال الحج وما في المناسك الشريفة من المعاني
اللطيفة ؟ فقال : ليس من أفعال الحج ولو أزمه شيء إلا وفيه حكمة بالغة ونعمة سابعة ونبا وشأن
وسريّة عن وصفه كل لسان . فأما الحكمة في التجرد عند الاحرام فإن من عادة الناس إذا قصدوا
أبواب الخلوات لبسوا أغر ثيابهم من اللباس فكأن الحق سبحانه وتعالى يقول القصص إلى بابي
خلاف القصص إلى أبوابهم لأضعف لهم أجورهم وثوابهم ، وفيه أيضا أن يتذكر العبد بالتجرد عند
الاحرام التجرد عن الدنيا عند نزول الحمام كما كان أولا لما خرج من بطن أمه مجردا عن الثياب ،
وفيه شبه أيضا بحضور الوقف يوم الحساب كما قال الله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة - ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) .

تجرد عن الدنيا فانك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد
وتب من ذنوب وبقات جنيتها فما أنت في دنياك هذى مخلد

وأما الاغتسال عند الاحرام فلحكمة ظاهرة الإحكام ، وهو أن الله تعالى يريد أن يعرض الحاج
على الملائكة ليأخى بهم الأنام فلا يعرضون على الملائكة السكرام إلا وهم مطهرون من الأدناس
والآثام ، وفيه أيضا حكمة أخرى وهي أن الحاج يضع أقدامه الأنياء الأبرار
فيكونون قبل ذلك قد اغتسلوا لينالوا بركتهم في تلك الآثار كما قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين
(إن الله يحب المتطهرين) :

ويحضر الصلاة على عمر
ابن عبد العزيز جئت
لأشهد الصلاة ثم جئكم
لأسلم عليكم .

[وروي] عن عبد الواحد
ابن عبد المجيد الثقفي قال
رأيت جنازة يحملها ثلاثة
رجال وامرأة ، قال فأخذت
مكان المرأة وذهبتا إلى
القبرة فضلينا عليها
ودفناها ، فقالت للمرأة
من كان هذا منك ؟

قالت ابني ، قلت : أولم
يكن لك جيران ؟ قالت
نعم ولكنهم صغروا أمره
فقالت وإيش كان هذا ؟
فقالت هو مخنت . قال
فرحمته وذهبت بها إلى

منزلي وأعطيتها دراهم
وحنطة وثيابا ونمت تلك
الليلة فرأيت كأنه أتاني آت
كأنه القمر ليلة البدر
وعليه ثياب بيض فجعل
يشكرني فقالت من أنت ؟
فقال المخنت الذي دفتمونني
اليوم رحماني ربني باحتقار

الناس إياي ، تزود لنفسك
يا أخى بالتنوي ، ومن
عرف ما بين يديه لم يؤثر
الهوى ، ومن تفكر

تطهر من الذنب يا مذهب إذا شئت من بابه تقرب
وكن راضيا بالذي يرتضى فان رضا الحب يستعذب

وأما الحكمة في التلبية فان الإنسان إذا ناداه إنسان جليل القدر أجابه بالتلبية وحسن الكلام ،
فكيف بمن ناداه مولاه الملك العلام ودعاه الى جانبه ليكفر عنه الذنوب والآثام ، وإن العبد إذا قال
ليك يقول الله تعالى ها أنادان إليك ومتجبل عليك فسل ما تريد فأنا أقرب إليك من جبل الوريد :

عبد دعاه لقربه مولاه فأجابه باللفظ حين دعاه
وأنى يليه بفرط تذلل يافوزه بالريح إذ لباه

وأما الحكمة في الوقوف بعرفة وأخذ الحجار من المزدلفة فان فيه أسراراً لدوى العلم والمعرفة
فعنه كان العبد يقول : سيدى حملت حجرات الذنوب والأوزار ، وقد رميتها في طاعتك بالإقرار
إنك أنت الكريم الغفار :

إليك من هجرك أبغى القرار وأنت ما زلت مقيل العثار

فاغفر لعبد راح في قلبه من ألم الأوزار وقد الحجار

وأما الحكمة في الذكر عند الشعر الحرام وما فيه من الأجور العظام فكان الحق تعالى
يقول : اذكرونى أذكركم ، من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملا ذكرته
فى ملا خير من ملته ، فإذا ذكرته عنى عند الشعر الحرام ذكرتك بين ملائكتى الكرام ،
وكتبت لكم توقيع الأمان من حاول الانتقام :

ذكرتك يا سؤلى وغاية مقصدى وأنت لنا يا سيدى خير ذاكر

نجد قبول منك أرجو به للمنى فذكرك فى قافى وسرى وخاطرى

وأما الحكمة فى حاق الرأس بنى ففیه حكمة يبلغ بها العبد جميع النى ، وذلك أن فيه نقطة
وتذكيراً لا يفهمهما إلا من كان عالماً بنحريرا لأن الحاج إذا وقف بعرفة وذكر الله عند الشعر الحرام
وضحى بنى وحلق رأسه وطهر بدنه من الأدناس والآثام كتب الله عز وجل له ثواباً وضاعف له
أجورا ووقاه جحما وسعيرا ، وجعل له بكل شرة يوم القيامة نورا وأعطى توقيع الأمان كما قال الله
تعالى فى كتابه المسكنون (محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) :

إلى بابكم أسمى وإنى مقصر فقير إليكم فارحموا زلة العبد

فان تطردونى ليس لى غير بابكم وإن أنتموعنى رضيتم فياسعدى

وأما الحكمة فى الطواف وما فيه من المعاني والألطف ، فان الطائف بالبيت يقول بلسان حاله
عند دعائه وابتهاله : سيدى أنت المقصود ، وأنت الرب العبود ، أتيت اليك مع جملة الوفود ، وطفقت
بيتك المشهود ، وقتت ببابك أرجو الكرم والجود ، وقد سبق خطابك لحليلك الأمين فى محكم
كتابك المبين (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) :

بسجود الجباه فى الأرض ذلا بطواف الحجاج عند القدوم

جد علينا بتوبة يا لهلى ثم فرج عنا جميع الهموم

وأما الحكمة فى الوقوف بعرفات ، وما فيه من المعاني البديعة الصفات ، فان فيه تنبيها وتذكيرا
بالوقوف بين يدى الحق سبحانه وتعالى يوم القيامة حفاة عراة مكشوفى الرأس واقفين على أقدام
الحسرة والندامة يضحجون بالبكاء والعيول ويدعون ، ولاهم دعاء عبد ذليل كما قيل :
وقفت بالذل فى أبواب عزكمو مستشفعا من ذنوبى عندكم بكمو

فى رحيل من كان لديه صار
البروض مستيقنا عليه ،
كم مغرور بشبابه وصحة
حاله اختطفه الموت من
خلاله ، كم من مائل إلى
جمع ماله تركه تركه ومرا
بأثقاله ، هل رحم الموت
مريضا لضعف أوصاله ،
هل ترك كاسبا لأجل
أطفاله :

لقد أخبرتك الحادثات
ترونها

ونادتك إلا أن سمعك

ذو وتر

تنوح وتبكي للأحبة

إن مضوا

ونفسك لا تبكى وأنت على

الأثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا

وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا

ولا تمرضنا وأكرمنا

ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر

علينا إنك على كل شىء

قدير

(فصل فى أشرط الساعات)

قل الله تعالى (اقرب

للناس حسابهم وهم فى

غفلة معرضون ما يأتينهم

من ذكر من ربهم محدث

إلا استمعوه وهم يلعبون

أعفر الحد ذلا في التراب عسى
فإن رضيتم فياعزى وياشرفي
لأبغ الله عيني طيب رؤيتكم
إن مت في حبكم شوقا فيأشرفي
وإن نويت اضطبارا عن محبتكم
نسيت كل طريق كنت أعرفها
أنا المقر بذنبي فاصفحوا كرمًا
لا تطردوني فإن قد عرفت بكم

فله در أتوام دعاهم مولا هم إلى البيت العتيق ، فأجابوا داعي الوجد والتشويق ، وساروا إليه مشاة على قدم الصديق ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق :

ما أشوقني إلى نسيم الرند يشني سقمي إذا أتني من نجد
والشيخ فانه مشير الوجد شوق شوق لهم ووجدى وجدى

[قال علي بن الموفق رحمه الله عليه] حججت إلى بيت الله الحرام فطفت به أسبوعا وقيت الحجر الأسود وصليت ركعتين واستندت إلى جدار الكعبة وأنا أبكي وأقول : كم أردت إلى هذا البيت وأحضر ولا أدري : هل قبلت أم لا ثم غلبتني عيناي فتمت نوما خفيفا ، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت هاتفا يقول : يا علي بن الموفق قد سمعنا مقاتلك أفتدعوانت إلى بيتك إلا من تحب ؟ :

الناس بطيب وصلهم قد سعدوا وأنا للضنى بهجرهم منفرد
هم ما وجدوا بحبهم ما أجد ما جن بحبهم جنوني أحد

[وقيل] وقف بكر ومطرف بعرفات ، فلما عجز الحجاج بالبكاء والضجيج بكى بكر ، وقال : ما أحسنه من مقام لولا أني فيهم ، وقال مطرف وقد تغير وجهه وانتفع لونه : اللهم لا تردهم من أجلي :

ماضر ريح الصبا لو نسعت حرق واستفدت مهجتي من أسر أشواق
داء تقادم عندي من يعالجه ومن يكون له من هجرهم راق
نمضي الليالي وآمالى مقسمة ممن أحب على مطل وإلاق
واضية العمر لا لماضي انتفعت به ولا حصلت على شيء من الباقي

[ويروى عن محمد بن النكدر] أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة ، فلما كان آخر حجة حجها قال وهو بعرفات : اللهم إنك تعلم أنني قد وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة واحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يا رب أني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم تتقبل منه ، فلما دفع من عرفات ونزل بالمزدلفة نودي في المنام يا ابن النكدر أتتكرم على من خلق الكرم ؟ أتجود على من خلق الجود ؟ إن الله تعالى يقول لك : وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخاق عرفات بألني عام :

مذ تجلى لنا أنار الوجودا مانح يمنح المحبين جودا ودعا أمة الغرام إليه
فأتاه أهل الوفاء وفودا وأن اللذنبون ما بين بالك خدد اللمع من جواه خدودا

ثم نادوا يادائم الجود يا من لم يزل محسنا كريما ودودا
أنت قدما وعدت من تاب بالعمو وما قد جئتكم نرجوا الوعدا
صمموا القول قد محونا الخطايا ورحمنا المهجور والطرودا

لا هية قلوبهم) وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة الفقيم » وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اتخذ الفتي دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرما وتعلم لغير دين الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاستقمهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والماعزف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا ريحا حمراء وزلزلة وخسفا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه تتابع » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ذكر رسول

وجبرنا بالعفو كل كسير كان قدما يشكو الجفا والصدودا

[وعن علي بن الموفى رحمة الله عليه] قال: حججت في بعض السنين فنمت بين مسجد الخيف ومعنى قرأت ملكين قد نزلا من السماء . فقال أحدهما لصاحبه يا عبد الله أتعلم كم حج بيت ربنا في هذه السنة ؟ قال لا . قال ستائة ألف ، ثم قال له أتدري كم قبل منهم ؟ قال لا . قال ستة أنفس ثم ارتفعا في الهواء فقامت وأنا مرعوب ، وقالت واخيبتاه أين أكون أنا في هذه الستة أنفس ، فلما وقفت بعرفة وبت بالمزدلفة رأيت الملكين قد نزلا من السماء على عادتهما فسلم أحدهما على الآخر ، وقال يا عبد الله أتدري ما حكم ربك في هذه الليلة ؟ قال لا . قال فانه وهب لكل واحد من الستة المقبولين مائة ألف وقد قبلوا جميعا . قال فانتبهت وبني من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى إذ قبل الحجاج جميعهم ومنحهم برا وجودا ولم يجعل منهم شقيا ولا محروما ولا مطرودا .

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متسديا لا تأسن من الجميل فعندنا فضل ينيل التائبين تكريما يامعشر العاصين جودى واسع توبوا ودونكم النى والغنى لا تختشوا من قبح ذنب سالف إني أحب بأن أجود وأرحما

[وقيل إن رابعة العدوية رحمة الله عليها] حجت إلى بيت الله الحرام حافية تمشي على الأقدام وتؤثر بما يفتح الله عليها من الطعام ، فلما وصلت إلى الكعبة خرت مغشيا عليها ، فلما أفاقت وضعت خدها على البيت وأنشدت تقول :

هذه دارهم وأنت محب • مابقاء الدموع في الآفاق

ثم إنها طافت وسعت ، فلما أرادت الوقوف بعرفة حاضت فبكت وقالت : ياسيدي ومولاي لو وقع لي هذا من غيرك لشكوته إليك ، فكيف وقد وقع لي منك ؟ فسمعت هاتفا يقول : يا رابعة قد قبلنا الحجاج كلهم من أجلك وجبرناهم لأجل كسرك :

أقام الهوى العذرى لي فيكمو عذرا فمن أجل ذالم أستطع عنكمو صبرا
وأصبحت مشغوبا أتبه على الورى وأوسع من قد لامني في الهوى عذرا
فإن كنت أضغى للعذول فعاذر على أنه بالحال من غيره أدري
ولى قمر في أرض نجد محله على أنه قد أخجل الشمس والبدر
ولما تبدى حسنه وجماله ولاح لعيني نور طلعتيه الغرا
وهبت له روحى وقلت لك الحشا محلك يامن حسنه حير الفكر
إذا قال يا عسدى أقول ذكرتنى وميمتى عبدا وشرفتنى قدرا
ومن أنا يامولاي حتى ذكرتنى لقد تم إسعادى وذأ أول البشرى
فيارب بالمهادى البشير الذى رقى على ذروة الأفلاك فى ليلة الإسرا
وأرسلته فينا بشيرا ومنذرا وما زال فى يوم العاد لنا ذخرا
أذقنا جميعا برد عفوك واهدنا إلى خير أسباب بها نعتم الأجر
وشفعه فينا من ذنوب تراكت وقد أثقلت منا الكواهل والزهرا
نبى له فى المعجزات خوارق تحير فى إدراكها العقل والفكر
فضائل لو أن الورى كلفوا بها يانا وحصرها ما أطاقوا لها حصرا
عليه سلام الله ماهبت الصبا وما حملت من طيبة للورى نشر

الله صلى الله عليه وسلم
« بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتى وأهل بيتى فيملا به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجه حتى يتمنى الأحياء الأموات يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين »
وفى صحيح مسلم عن حذيفة ابن أسيد الغفارى قال :
« اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاكر فقال ما نذكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات . فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وبأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة

المجلس التاسع

في فضائل السكبة التي شرفها الله تعالى وجعلنا وإياكم من القادمين عليها في هذا العام
ومن الفائزين بزيارة قبر نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

الحمد لله الذي أرشد العقول إلى توحيدده وهداها ، وجعل توحيدها سببا للنجاة في سفينة السلامة ،
وقال الموحدين : بسم الله مجراها ومرساها ، فأتصلت بمجربها وظفرت بمطلوبها ومنها ، وسارت في بحر
مشاهدته فاستغرقت في لذة منادته عند مناداه ، أسمعها خطابه فطابت وأجابت لما دعاها ، أشهدا
عجائب حكمته وأراها آثار قدرته في أرضها وسماها ، فالأفلاك بمشيئته سخرها والأملاك بإرادته دبرها
عند ما يراها ، فسبحانه من ملك عظيم أزلته كأبدته لاتنفذ ولا تنأى ، أحديته كأزليته لاتمائل
ولا تضاهي ، جل مقتدرا وعز ربا وتعالى إلها ، رفع السماء بغير عمد وبمحسن الإتقان بناها ، وبسط
الأرض على الماء بحكمته ودحاها ، وجعل السكبة البيت الحرام أشرفها بقعة وأعظمها رفعة ، وأكثرها
بركة ووجاهة وجاها ، ودعا إليها نفوس أهل محالته ففاضت بمؤانسته وصفا عيشها عند الصفا لما
صفاها ، وهيمها في أودية وجدها عند ما رفع عنها حجاب بعدها وإلى مقام قربه رقاها ؛ وزمزم لها
مززم الشوق عند زمزم ومن رائق زلاله سقاها وألبسها خلع التكريم عند الخطيم فخط عنها كل
ذنب عظيم وعفا عن زللها وخطاياها ، فلما انتهى الزوار من جميع الأقطار نادتهم بلسان حلها وقد
رفعت الأستار عن جمالها وأبدت نورها وسناها :

إلى إلى يا عشاق حسنى فهذا الوقت وقت لا يضاى فكأس وصلها قد دار صرفا
وشمس جمالها أبدت سناها وقالت دونكم قربي تملوا تروا بجنابنا عزنا وجاها
فأين يصاب مثل عروس حسنى وما في الكون معشوق سواها
وقد سعدت عيون قد رأتها وقد شقيت عيون لا تراها

فسبحان من شرف السكبة البيت الحرام وخصها بالإجلال والإعظام واصطفها ، وجعلها حى
مباحا وجنابا رجبا لمن حام حول حماها ، وحرما آمنا لمن دخل إليه ووفى ما عليه حين وافاها ، ووجهة لمن
واجهها وأراد عنده جاها ، وهى التي هاجر منها الحبيب وما هجرها ولا قلاها ، وما تقاب قلبه إلى قبلة
سواها ، حتى أنزل عليه في آيات سمعها وتلاها (قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) :

فولى وجهك الحسن القدى إليها حيثما كنت أتجاها فإن أبك إبراهيم قدما
لأجل رضاك حقا قد بناها وإسماعيل طاف بها ولبي وطهرها لمشتاق أتاها
هو البلد الأمين وأنت حل فطأها يا أمين فأنت طاها ووجه حيث كنت إذن إليها
ولا تعدل إلى شئ سواها فوجه الله قبلة كل حى من شهد الحقيقة واجتلاها
وهذا البيت بيت الله فيه تسر النفس إذ بلغت مثاها وهذا الحجر والحجر القدى
وزمزم والخطيم ومازهاها فهل عند مشهده كفاها وزمزم عند زمزمه شفاها
فيا حجاج بيت الله طوفوا بكعبته ولبوا في ذراها فطوبى ثم طوبى ثم طوبى
لنفس في منى باغت منهاها فقلل للناسكين بكل فج لكم ثم وعج في رباها

فلا يحدى سوى الإخلاص حقا ونيتته التي فيها نواها *
وإنلاع عن العصيان جهرا وتجريد لنفسك عن هواها
* وإرفاق وإنفاق وبذل لدى الحاجات مما قد عراها

العرب وآخر ذلك نار
تخرج من اليمن تطرد
الناس إلى محشرهم .

(فصل) في صحيح مسلم :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ثلاث إذا
خرجن لا ينفع نفسا إيمانها
لم تكن آمنت من قبل :
طلوع الشمس من مغربها
والدجال ودابة الأرض »
واختلف في أول الآيات :
فقيل أولها طلوع الشمس
من مغربها وخروج الدابة
وجاء من رواية ابن أبي
شيبه عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« وأيتهما كانت قبل
صاحبها فالأخرى على
أثرها » ودابة الأرض
طولها ستون ذراعا ذات
قوائم ووبر ، وقيل مختلفة
الحلقة تشبه عدة من
الحيوانات تتصدع بجبل
الصفا فتخرج منه ليلة جمع
والناس نزول إلى منى ،
وقيل تخرج من أرض
الطائف ومعها عصي
موسى وخاتم سليمان عليهما
السلام ، لا يدركها طالب

وتقوى الله أفضل كل زاد
قل بلسان عزمك في ربها
إليك شددت يامولاي رحلي
وها أنا جار بيتك يارجاني
والجيران والضيفان حق
إليك شفيعنا الهادي القدي
شفيع الخلق يوم الحشر حقا
رسول الله أقوى الناس جاها
عليه من المهيمن كل وقت صلاة غير منحصر مداها

ولا يعجزها هارب تضرب
المؤمن بالمصافينكت في
وجهه مؤمن ، وتطبع
الكافر بالخاتم فينكت في
وجهه كافر . وفي صحيح
مسلم عن النوفاس بن سمعان
قال « ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدجال
فقال إن يخرج وأنا فيكم
فأنا حجيجه ، وإن يخرج
ولست فيكم فامرؤ حجييج
نفسه والله خليفتي على كل
مسلم ، إنه شاب قطط عينه
طافية كأن أشبهه بعبد
العزى بن قطن ، فمن
أدركه منكم فليقرأ عليه
بفواتح سورة الكهف
فإنها جواركم من فتنته ،
إنه خارج من خلة بين
الشام والعراق ، فعات يميناً
وعات شمالاً . يا عباد الله
فانبتوا ، قلنا يا رسول الله
وما لبث في الأرض ؟ قال
أربعون يوماً يوم كسنة
ويوم كشهر ويوم بكعبة
وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا
فذلك اليوم الذي كسنة
تكفينا فيه صلاة يوم ؟
قال لا ، اقدروا له قدره
قلنا يا رسول الله وما أسراعه

قوله عز وجل (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات
مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن
الله غنى عن العالمين) قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) هي الكعبة وضعا الله تعالى في الأرض قبالة البيت المعمور كما روى
أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة وحج البيت لقبيته الملائكة ، فقالت له بر حجك يا آدم لقد
حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام . قال فما كنتم تقولون ؟ قالوا كنا نقول : سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر . فكان آدم عليه السلام يقولها في طوافه ثم يقول . اللهم اجعل لهذا البيت
عمارا من ذريتي ، فأوحى الله تعالى إليه : إني معمر بيتي من ذريتك بنبي اسمه إبراهيم أتخذ خليلًا ،
وإني لأقضي على يديه عمارته . فلما جاء الطوفان في عهد نوح عليه السلام رفع الله عز وجل البيت إلى
السما الرابعة ، وكان من زمردة خضراء وفيه قناديل من قناديل الجنة وأخذ جبريل الحجر الأسود
فأودعه في جبل أبي قبيس صيانة له من العرق . فكان مكان البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السلام
فلما ولد له إسماعيل وإسحق أمره الله تعالى ببناء بيت يذكر فيه فقال : يارب بين لي صفته فأرسل الله
تعالى سحابة على قدر الكعبة فسارت معه حتى قدم مكة فوقف في موضع البيت ، ونودي : يا إبراهيم
ابن علي ظلها لا تزد ولا تنقص فكان جبريل عليه السلام يعلمه وإبراهيم بنبي وإسماعيل يناوله الحجارة
ذكره ابن عباس وابن شهاب وقائدة . وقوله تعالى (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) أي آيات واضحات
دالات على توفير الأجور والثواب . وقوله تعالى (من دخله كان آمنا) يعني آمنا من النار ، وقيل آمنا
من الفزع الأكبر ، وقيل آمنا من الشرك . وقوله عز وجل (والله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا) الاستطاعة أن يكون قادرا على الزاد والراحلة ، وأن يصح بدن العبد ، وأن يكون
الطريق آمنا . ثم قال تعالى (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) أي من كفر بالحج فلم ير حجه برا
ولا تركه إنما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من
مات بأحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمين » وفي الحديث « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه
من أفضل شيء تجددونه في صحبكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه » وفي الخبر « من طاف أسبوعا
في الطر غفر له ما تقدم من ذنبه » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه ابن جبان
في صحيحه .

[وقيل] إن الله تعالى وعد البيت بأن يحجه في كل سنة ستائة ألف فان تقصوا كلهم من الملائكة ، وإن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها . وفي الحديث « إن الحجر الأسود ياقوتة من من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به فيشهد لمن استلمه بحق وصدق » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا ، وقبله عمر رضي الله عنه وقال اني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ، فقال علي كرم الله وجهه لا تقل كذا ، بل هو يضر وينفع ، فقال له يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتجاب الدعوات ، فقال علي يأمير المؤمنين ، بل هو يضر وينفع باذن الله تعالى ، قال وكيف ؟ قال لأن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود ، وهو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماننا بك وتصديقنا بكتابتك ووفاء بهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة وصوم يوم بها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف :

يا كعبة الله لي غرام إليك لم يثنه سلام أنت لنا تشفعين حقا
عند حبيب له ذمام تضاعف الحسنات فيك دوما وزوارك الكرام

وجاء في الحديث « إن الله تعالى ينظر كل ليلة الى أهل الأرض وأول من ينظر إليهم أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طافعا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه مستقبل الكعبة غفر له » . وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الحجر والبقيع يؤخذ بأطرافهما ويثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة » وعن ابن مسعود رضي الله عنه « وقف النبي صلى الله عليه وسلم على ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة . فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صبر على حر مكة ساعة من نهار تابعت عنه جهنم مسيرة مائة عام » وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا البيت دعامة الإسلام من يخرج من بيته يطلب هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة إن قبضه وإن رده رده بأجر وغنيمة » وقوله تبارك وتعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) لأنه خلق قبل الأرض بألفي عام وسمى البيت عتيقا لأن الله تعالى أعتقه من أيدي الجبابرة فلم يسلط عليه جبارا قط ، بل كل من قصده بسوء هلك . وقال أبو بكر الواسطي إنما سمي عتيقا لأن من طاف به صار عتيقا من النار :

طوبى لمن طاف بالبيت العتيق وقد
ونال بالسعي كل القصد حين سعى
ولما إلى الله في سر وإجهار
وطاف جهرا بأركان وأستار
ذلك السعيد الذي قد نال منزلة
عليه في دهره من كل أوطار
وكل من طاف بالبيت العتيق غدا
بين الوري معتقا حقا من النار

في الأرض ؟ قال كائنت
استدبرته الريح ، فيأتي
القوم فيدعوهم فيؤمنون
به فيأمر السماء فتمطر
والأرض فتنبت فتروح
عليهم سارحتهم أطول
ما كانت درأ وأسبغ
ضروعا وأمد خواصر .
ثم يأتي القوم فيدعوهم
فيردون عليه قوله فينصرف
عنهم فيصيحون محملين
ليس بأيديهم شيء من
أموالهم ويمسرون بالحربة
فيقول لها أخرجي
كنوزك فتبعه كنوزها
كيعاسيب النحل ، ثم
يدعو رجلا ممثلا شبابا
فيضربه بالسيف فيقطع
جزئين رمية الغرض
ثم يدعو فقبل ويتהל
وجهه يضحك ؛ فينها هو
كذلك إذ بعث الله المسيح
ابن مريم فينزل عند المنارة
البيضاء شرقي دمشق بين
مهرودتين واضعا كفيه
على أجنحة ملكين إذا
طأ رأسه قطر ، وإذا
رفعه تحدر منه مثل جمان
كالؤلؤ فلا يحل لكافر
يحسد ربح نفسه إلامات

وسمى أبو بكر الصديق عتيقا ، فمن لم يتوجه إلى السكبة لم تقبل صلاته ومن لم يشهد بولاية أبي بكر الصديق لم تقبل زكاته . وعن عبد الله بن سلمان . قال : طاف آدم عليه السلام بالبيت سبعا حين نزل على الأرض ، ثم صلى ركعتين ثم أتى المنزم ، فقال : اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فاغفر ذنوبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلى ، اللهم إني أسألك إيماننا بياشر قلبى وبقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قد دعوتى بدعوات فاستجبت لك ، ولن يدعوا بها أحد من ولدك إلا كشفت غمومه وغمومه وكشفت عنه ضيقه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه ورزقته من حيث لا يحتسب وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريد ها . وعن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : لما كان بعد الطوفان الذى أغرق الله به قوم نوح ورفع البيت المعمور الذى كان بناء آدم عليه السلام إلى السماء السادسة أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يأتى إلى موضع البيت ويبنى على أثره فانطلق إبراهيم عليه السلام فلم يره أثره وخفى عليه مكانه ، فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر البيت الحرام فى الطول والعرض فيها رأس له لسان يتكلم وعينان تقامت على ظهر البيت بحاله ، ثم قالت : يا إبراهيم ابن على قدرى وحيالى قال فأخذ إبراهيم عليه السلام على ظهر قدرها وحيالها ، فأسس عليها البيت الحرام فذهبت السحابة ، ثم بناء حتى فرغ منه فطاف به أسبوعا فأوحى الله تعالى إليه أن أذن فى الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال يا إبراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ . وفى رواية : عليك الأذان وعلينا البلاغ ، فلما أمره بذلك صعد إبراهيم على جبل أبى قبيس ونادى يا عباد الله ألا إن ربكم قد بنى بيتا وأمركم بحجه فحجوه فأتبع الله عز وجل من فى الأرض وأجابه الانس والجن والحجر واللدن والشجر والجبال والرمال وكل رطب ويابس ، وأتبع من فى الشرق والغرب وأجابه من بطون الأمهات ومن أصلاب الرجال كل يقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ، فانما يحج اليوم من أجاب يومئذ ، فمن لى مرة حج مرة ومن لى مرتين حج مرتين ومن لى ثلاثا حج ثلاثا ومن لى أكثر حج بقدر ذلك : وقوله تعالى (يا أتوك رجالا) أى رجالة (وعلى كل ضامر) أى ركبانا على ضمير من طول السفر (من كل فيج عميق) أى بعيد غامض :

لما رأيت مناديتهم ألم بنا شددت مئزر احرامى ولبيت
وقلت للنفس جدى الآن واجتهدى وساعدنى فهذا ما عنيت
لوجئتكم قاصدا أسعى على بصرى لم أوف حقا وأى الحق أوفيت

[وعن محمد بن كعب رضى الله عنه] عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال « كنت طائفا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت الحرام فقلت : فذاك أبى وأمى ما هذا البيت ؟ قال لى يا على أسس الله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتى ، فقلت : فذاك أبى وأمى ما هذا الحجر الأسود ؟ قال تلك جوهرة كانت فى الجنة أهبطها الله تعالى إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مستها أيدي المشركين »

[إخوانى] ما كل بيت كعبة ولا كل جبل عرفات ولا كل زاد بوصل ، فيامن فاته الحج ولم يجد إليه سبيلا ومضى عمره فى اللهو ، وقد حمل من الذنوب حملا ثقيلا ، وجر فى ميدان النصيان بالغفلة منه ذيو لا ، وطلب النجاة فلم يجد إليها وصولا ، بادر بالحج إلى بيت الله الحرام واجعل لك نور الإسلام دليلا . فقد قال من لا تدركه الأبصار ولا تحصى له العقول ولا الأفكار عديلا ولا مشيلا :

ونفسه ينتهى حيث ينتهى
طرفه فيطلبه حتى يدركه
يباب له فيقتله ، ثم يأتى
عيسى قوم قد عصمهم
الله منسه فيمض عن
وجوههم ويعدتهم
بدرجاتهم فى الجنة ، فيبنا
هو كذلك إذ أوحى الله
إلى عيسى : أنى أخرجت
عبادا لى لا يدان لأحد
بقتالهم فأحرز عبادى لى
الطور وبعث الله بأجوج
ومبأجوج وهم من كل
حذب ينسلون فيمر
أوأظلم على بحيرة طبرية
فيشربون ما فيها ويمس
آخرهم فيقول لقد كان
بهذه ماء ، ثم يسرون
حتى يتنوا إلى جبل
الحجر وهو جبل بيت
القدس فيقولون ، لقد
قتلنا من فى الأرض هلم
فلنقتل من فى السماء
فيرمون بنشابهم إلى السماء
فيرد الله إليهم بنشابهم
محضوبة دما ويحضر نبي
الله وأصحابه حتى يكون
رأس الثور لأحدهم خير
من مائة دينار لأحدكم
اليوم فيرغب نبي الله عيسى
وأصحابه فيرسل الله عليهم

(وقه على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فطوبى لمن حجه فأدرك ربها ومغنا ودخل
حرمة الذي هو آمن لمن دخله وحى . أماشاقه الركب إذا سار الى ذلك الجنب ميمما ، أما أطربه
الحادى إذا حدا باسم الحبيب مترنما وغنى بذكره مزمزا :

ياساقا غن النياق وزمزا أبشر فقد جئت المقام وزمزا
كم كنت تذكرنا منازل مكة وتقول إن بها المنى والمغنا
بردد بماء سقاية العباس ما كابدته طول الطريق من الظما
وانهض وهول بين مروءة والصفاء وادخل الى الحجر الكريم مسدا
ومقام إبراهيم زره مبادرا وبجرر إسماعيل صل معظما
وانظر عروس البيت بجلى حسنها للناظرين ولذبحها مستعصما
ففى التى ظهرت فضائلها فلا تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنسان إلا با كيا فرحا بها أو ضاحكا متبها
والنور من أرجائها لا يخفى أبدا وإن جن الظلام وأعا
ومن العجائب أنها محروسة والصيد فيها لا يزال محرما
والطير لا يعلو على أركانها إلا ليشفى إذ غدا متألما
تختال فى حلل السواد وبابها بالنور دام مبرقا وملما
هى كعبة الولي الكريم وكل من وافى إليها حققه أن يكرما
يارب قد وقفت ببابك عسبة يرجون منك فضلا وتكرما
مامنهمو إلا ذليل خاضع باك على زلاته متسدا
ذاطالب فضلا وذا متصل مما جناه من الذنوب وقدا

[قال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه] مكتوب فى التوراة : إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة
سبعمئة ألف ملك من الملائكة المقربين بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب الى البيت الحرام
فيقول لهم : اذهبوا فزموه بهذه السلاسل ، ثم قودوه الى المحشر فيأتونه فيردونه بتلك السلاسل
ويعدون وينادى ملك يا كعبة الله سبرى فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلى فينادى ملك من جو
السما سلى فتقول الكعبة يارب شفنى فى جيرانى الذين دفنوا حولى من المؤمنين فتسمع النداء :
قد أعطيتك سؤلك ، قال فتحشر موتى مكة بيض الوجوه كلهم محرمين مجتمعين حول الكعبة يلبون .
ثم تقول الملائكة سبرى يا كعبة الله فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلى فينادى ملك من جو
السما سلى تعطى فتقول الكعبة يارب عبادك المذنبون الذين وفدوا الى من كل فج عميق شعما غربا
تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقا الى زائرين مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم
كما أمرتهم فأسألك أن تشفنى فيهم وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولى ، فينادى الملك فان
فيهم من ارتكب الذنوب بعدك وأصر على الكبائر حتى وجبت له النار فتقول : يارب أسألك
الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار حتى وجبت لهم النار فيقول الله تعالى
قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك فينادى ملك من جو السما ألا من زار كعبة الله فليعتزل عن
الناس فيعتزلون فيجعلهم الله تعالى حول البيت الحرام بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون ويلبون .
ثم ينادى ملك من جو السما ألا يا كعبة الله سبرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك والخير كله
بيديك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . ثم يدونها الى المحشر

النفى فى رقابهم فيصحبون
فرسى موت نفس واحدة .
ثم يهبط نبي الله عيسى
وأصحابه إلى الأرض فلا
يجدون فى الأرض موضع
شبر إلا ملأه زعمهم .
وروى زعمهم بضم الزاى
وفتح الهاء جمع زهمة ،
وهى الريح المتتنة وتتهم
فيرغب نبي الله عيسى
وأصحابه إلى الله فيرسل
الله عليهم طيرا كأعناق
البخت فتحملهم فتطرحهم
حيث شاء الله ، ويروى
تطرحهم بالنهيل ويستوقد
المسلمون موت قسيم
ونشأهم وجعابهم سبع
سنين ، ثم يرسل الله مطرا
لايكن منه بيت مدر
ولا وبر فيغسل الأرض
حتى يتركها كالزلفه ، ثم
يقال للأرض أنبى عرتك
وردى بركتك فيومئذ
تأكل العصابة من الرمانة
ويستظلون بقحفها وبارك
فى الرسل حتى إن اللقحة
من الإبل لتكنى الفئام
من الناس واللقحة من
البقر لتكنى القبيلة من
الناس واللقحة من الغنم

فسيحان من جعل الكعبة البيت الحرام أمنا على من كان لها من الأنام أهلا ، وخص بزمزم والمقام من قام بواجبه فرضا ونفلا ، واصطفى للبروة والصفاء من سعى على أقدام الوفا واستبدل من الجفا وصلا ، فيألفها من عروس حنت إليها النفوس فراح المحزون من جيبها أسرى وقتلى ونادى منادى الحبيب بالترحيب أهلا وسهلا :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بهروس على المحبين تجلى لبست خلعة الجمال وزفت
سابت له شوق قلبا وعقلا قد هجرنا الديار والأهل شوقا وقطعنا القفار وعرا وسهلا
وأثينا شعنا وغسبرا نابي ودموع الأشواق زداد هطلا ثم بعنا النفوس بيع سماح
وعلمنا بأن وصلك أغلى كم مشوق قد رام منك وصلا قبل موت فلم ينل منك وصلا

تحت ظل الأراك أضجى طربحا باكي العين عن حماك مخلى
عاقه حظه فعاد حزينا وزمان السرور عنه تولى
أى شيء يكون فى الأرض جمعا من طواف القدوم والسعى أحلى
والترام الستور والدمع يجرى من سرور وكعبة الله تجلى
رفعت برقع الجمال ونادت ألف سهلا بالقاديين وأهلا
قد عفا الله عنكم وحباكم برضاه وزادكم منه فضلا
فاشكروا الله مذكراكم إليها وأعاد العسر يا قوم سهلا
بادروا الآن للطواف وقوموا قد صفا الوقت والحبيب تجلى
ما ترى الصيد عندها كيف يحمى وكذا الطير فوقها ماتلى
عن قريب نسير فى عرفات ثم زى من المآثم حملا
وينادى بالبشر فينا مناد عند ما تنظر النهار تولى
قد عفا الله عنكم وحماكم من جحيم بها العصاة أذلا
فانفروا بارك اللهم فيكم واركبوا النجم يا كراما أجلا
فأثينا عند الصباح جميعا نحو وادى منى وأرض الصلى
ورمينا الجمار لما قدمنا وأنانا السرور والحزن ولى
وحلقنا الرؤوس من بعد نحر واتبعنا فعال من كان قبلا
وقضينا مناسك الحج حتى عاد ما حرّم الله من حلا
وشددنا المطى نحو نبي أطيب العالمين فرعا وأصلا
أحمد المصطفى شفيع البرايا فاز من زار قبره وتملى
فعليه من الإله صلاة وسلام على المدى ليس يلى

المجلس العاشر

فى ذكر ما جاء فى البكاء والبكاين من خشية الله تعالى

الحمد لله الذى أبكى عيون الخائفين خوف الوعيد فخرت عيونهم كالعيون ، وأجرى سحب الدماع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فهم من خوف القطيعة يبكون ، أخذوا فى النوح والتعديد خوف الوعيد فهم من مكره خائفون ، جعلوا التقوى لهم أنفرا لباس فأطار الخوف نومهم والنعاس فهم عند ما يفرح الناس يحزنون ، قد منع الدمع نومهم والهجوم فهم يبكون بفؤاد موجوع وقلب محزون ، قد جعلوا البكاء لهم دأبا والدمع شرابا يقطعون النهار حزنا والليل استجابا فهم

لتسكنى الفخذ من الناس ، فينبأهم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحير فعلمهم تقوم الساعة » وأنشد بعضهم :

مثل قلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور قد كورت شمس النهار وأضعفت

حرا على رأس العباد تفور

وإذا الجبال تعلقت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير

وإذا العشار تعطت عن أهلها

خات الديار فما بها مغرور وإذا النجوم تساقطت وتناثرت

وتبدلت بعد الضياء كدور وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت

وتقول للأملأك أين تسير فيقال سيروا تشهدون فضاخا

وعجايبا قد أحضرت وأمر

عن البكاء لا يفترون ، فسبحان من أضحك وأبكى وأمات وأحيا وعلم ما كان وما يكون ، عاهدوا مولاهم فوجدوه وفيما وعاملوه فوجدوه مليا . فهم الذين (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) قد غفر كل منهم في التراب وجهه المصون ، إذا خلا حزينهم بنفسه أن وشكا . وإذا تفكر في ذنوبه تضرع وبكى ، وقرح بالدماع الجفون ، فكلمهم في حضرة الملك الديان يمتطرون الدمع من سحائب الأجفان ويخرون للأذقان يبكون ؛ سمعوا ما قيل لأهل الصدق والوفاء «إن لم تبكوا فتباكوا» فهم من البكاء لا يملون ، أقلقهم الخوف فهم سائحون ، وأحرقهم الوجد فهم هائمون ، لزموا الحذر فهم في النهار صائمون ، وألفوا السهر فهم في الليل قائمون ، دموعهم شرابهم وصمتهم جوابهم فهم في الفتنة سالمون ، يبكي كل منهم على زلته وكلهم يخافون من سطوته (وهم من خشيته مشفقون) فسبحان من ابتلى عباده بأنواع الابتلاء من جميع الفنون ، ولم يعف من ذلك الأنبياء وهم القربون ، فأدم عليه السلام بكى أربعين عاما لما أخرج من الجنة وهو أبو البشر وصاحب العرض للصون . ويعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن وقال لباقي أولاده لما حجبه عنه (إنما أشكوا بشي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) ولما علم إخوة يوسف من أبيهم محض الود له وفرط الحب ألقوه في غيابة الحب (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وداود عليه السلام بكى أربعين يوما على خطيئته ولم يرفع فيها رأسه إلى السماء من خجائه ، فنودي : يا داود أما الذنب فقد غفرناه وأما الود فلا يعود في الدنيا ولا يكون ، ولسان الحال يقول من فرط الحزن والشجون :

بكيت من حزني حتى جرى لما ألقى من عيوني عيون

ياسادة أغضبتهم ساهيا	عسى إلى حال الرضا يرجعون	بكيت بالدمع على ماضي
من زمن ولي وعيش مصون	فيارعى الله ليالى مضت	بكم وقرت بلقاكم عيون
رضيت ما يرضاه لي سيدي	وما أراد الله مني يكون	والله ما استصعبت ما نالني
في حبه والصعب عندي يهون	ياهل ترى يرجع عيش مضى	بمن لقلبي في لقاءه سكون
من قبل أن أعصاك ياسيدي	ياليتني لاقيت ريب النون	لكنني تبت ومالي سوى
بابك إذ يقصده الثابون	وقد تشفت بخير الوري	ومن لديه لا تخيب الظنون

صلى عليه الله ما غردت ورقاء عند الصبح فوق العصون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين : قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله» وقال صلى الله عليه وسلم «كل عين باكية يوم القيامة لا عين غضت عن محارم الله تعالى وعين سهرت في سبيل الله تعالى وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى» وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم ارزقني عينين هطالتين يبيان الدمع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دما والأضراس حجرا» .

[إخواني] يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : وعزتي وجلالي لا يبكي عبد من خشيتي إلا أبدلته ضحكا في نور قدسي ، قل للبكاكين من خشيتي أبشروا فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا زلت ، قل للمذنبين من عبادي يجالسوا البكاكين من خشيتي لعل أن أصيهم برحمتي إذا رحمت البكاكين ، وقال النضر بن سعد رحمه الله : ما غرورقت عين بمائها من خشية الله تعالى إلا حرم الله تعالى وجهه صاحبها على النار فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة يوم القيامة ، ولو أن محزوننا بكى من خشية الله تعالى في أمة من الأمم لرحم الله تعالى بيكاته تلك الأمة ، وما من عمل إلا وله وزن إلا للدمعة

وإذا الجنين بأمه متعلق
خوف الحساب وقلبه
مذعور

هذا بلا ذنب يخاف لهوله
كيف القيم على الذنوب
دهور

﴿فصل﴾ قال الله تعالى
(ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن
في الأرض إلا من شاء الله
ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم
قيام ينظرون . وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالبينين

والشهداء وقضى بينهم
بالحق وهم لا يظلمون .
ووفيت كل نفس ما عملت
وهو أعلم بما يفعلون .

وسيق الذين كفروا إلى
جهنم زمرا حتى إذا جاءوها
فتحت أبوابها ، وقال لهم

خزنتها ألم يأتكم رسول
منكم يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن
حقك كلمة العذاب على

الكافرين . قيل ادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها
فأس مشوى المتكبرين .

وسيق الذين اتقوا ربهم

فانها تطفى بجورا من النار . وقال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : لأن أدمع دمعة من خشية الله تعالى أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

[إخواني] إذا تمكن الخوف من أرض القلوب والضلوع جرت سواقي الدموع فسقت بستان الخشية ، فأزهر بالندم وأثمر بالتوبة . كان داود عليه السلام يبكي الليل والنهار على خطيئته فخلع خلع الفرح ولبس جلباب الحزن فأسكت الحمام بنوحه وشغلها عن صدحها بصوته وأقلق الأفتدة بشجنه وروى العشب من دموعه . وكان يقول في مناجاته : خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداؤوا قلبي من داء عنتي فكلهم عليك دلي . إلهي امدد عيني بالدموع وضعني بالقوة حتى أبلغ رضاك عني :

يا من تجنبت صبري من تجنبه هب لي من الدمع ما أبكي عليك به
حتى متى زفرأتني في تصعدها إلى الممات ودمعي في تصيبه
وبني فؤاد إذا طال الغرام به هام اشتياقا إلى لقيا معذبه
قال فما زال يغسل العين من عين العين وهو يستغيث وينادي حتى ألقى الحاضر والبادي :

إن شفيعي إليك متى دموع عيني وحسن ظني
فبالذي قادني ذليلا إليك إلا عفوت عني

[وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله] البكاء من الخوف والاضطراب من الرجاء والشوق . وكان محمد بن المنكدر رضى الله عنه إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ، فقيل له في ذلك ، فقال بلغني أن النار لانا كل موضعا مسته الدموع ، يا هذا البكاء يطفي حمر الذنوب ويحيي زرع القلوب ويوصلك إلى المطلوب ، فابك في خلواتك على جفواتك ، ابك بعبراتك على عثراتك ، ابك في أيامك على ذنوبك وآثامك ، ابك في لياليك على غيك وعماديك :

بكى وحق له إرسال دمعته عبد تباعد عن مولاه واتزح
سفته لوعته أنواع عبرته إذا انقضى قدح أهدت له قدحا
كذا الحب إذا صحت مودته أيام فرقته لا يعرف الفرحا

[قال أبو بكر الكنانى رحمه الله] : رأيت في المنام شابا لم أر أحسن منه فقلت له من أنت ؟ فقال أنا التقوى ، فقلت له فأين تسكن ؟ فقال في كل قلب حزين بكاء . وقيل رأى يزيد الرقاشي في نومه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه . فقال له : هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال أحمد بن أبي الخوارى رحمه الله : رأيت في المنام جارية مارأيت أحسن منها يتلأأ وجهها بهاء وجمالا ، فقلت لها : ما أنور وجهك ؟ فقالت : أتذكر الليلة التي بكيت فيها من خشية الله عز وجل ؟ قلت نعم . قالت حملت إلى دمعتك فمسحت بها وجهي فصار كما ترى .

[وحكى] عن عطاء السلمي أنه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : لم لأبكي ووثاق الموت في عنقي والقبر منزلي والقيامة موقفي والخصوم حولي يقولون لي يا مرأى بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء . وبكى يزيد الرقاشي عند موته فقيل له : مم تبكي ؟ فقال . أبكى على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار وحضور مجالس الذكر . ولما احتضر عامر بن قيس رضى الله عنه بكى فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : والله إنما أبكى على صيام هواجر الصيف وقيام ليالي الشتاء . وبكى أبو الشعثاء رحمه الله عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : اشتقت إلى قيام الليل . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله عليه : مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوذ فجعل يتنفس ويتأسف . فقلت له : على ماذا تتأسف ؟ فقال على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى . وبكى بعض العباد عند موته فسئل عن ذلك

إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وترى لللائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين . وفي كتاب النسائي : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التزم القرن وأصغى بسمعته وحتى يجبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ ؟ قالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » ، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، قلت يا رسول الله

ذلك ؟ فقال : أبكى بأن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، ويصلي الصالون ولست فيهم .

[إخواني] انظروا إلى هؤلاء السادة كيف يتأسفون على القوت ، ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت ، فاستدرك ما بقى من عمره كأيها الإنسان ، واعلم أنك كما تدين تدان . أما تمرون على قبورهم الدوارس وتعتبروا ! أما ترونهم في قبورهم قد أسروا يتمنون العود إليكم وهيئات ! ويسألون التدارك وقد فات ، وكم وعظ الزمان من أبواب ، وكم أنذر الشيب من شباب ، وكم أباد الموت من آراب ! وكم فرق بين أحباب ! أما لك سمع للواعظ يسمع ! أما لك عين على فراق الحباب تدمع ! أما لك قلب من الخوف يخشع ! أما لك في التوبة إلى الله مطمع :

كم رأينا من أناس هلكوا فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لموت بعدهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سقوه ورأينا سقوة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلما فاستداروا حيث دار الفلك

[وقيل] أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم : يا شعيب هب لي من رقبك الخضوع ومن قلبك الخشوع ، ومن عينيك الدموع ، وادعني فيني قريب . وقيل بكى شعيب عليه السلام مائة عام حتى ذهب بصره فردّه الله تعالى عليه فبكى مائة أخرى حتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه يا شعيب ما هذا البكاء إن كان خوفا من نارى فقد أمتك منها ، وإن كان شوقا إلى جنتى فقد أبحتك إياها . فقال : وعزتك وجلالك يارب ما بكأني شوقا إلى جنتك ولا خوفا من نارك ولكن عقد حبك في قلبي عقدة لا يخلها إلا النظر إلى وجهك الكريم . فقال الله تبارك وتعالى : إذا كان ذلك كذلك فلا يحنك النظر إلى وجهي ولا بعثن إليك عاجلا عبدا من عبادى يخدمك عشر سنين ثم أجعله كليا ببركة مناجاتك :

هل سبيل للتلاقي فلقد طال اشتياقي بعد وصل واجتماع وحديث واتفاق
قد سقاني البين كأسا طعمه مرّ المذاق فدموعي فوق خدى في انسكاب واندفاق
ليتني متّ ولم ألق مرارات الفراق

آه على قلوب أذا بها حرّ الغليل ، آه على نفوس أفاها البكاء والويل ، آه على جوارح قابلت بفعلها القبيح الفعل الجميل ، آه على أكباد لم تقطع خيفة من الملك الجليل ، آه على قلوب لم تفكر في يوم الموت والرحيل ، آه على جنة عدن وظل ظليل ، آه على قسوة سلكت بالقلب إلى النار بش السبيل ، آه على شراب من ساسبيل ، آه على نعم نعم مقيم ، آه على قلب بالذنوب عليل ، آه على من شدّ عظمه للطاعة فأصبح وهو نبيل ، آه على سائق إلى الرشد دليل ، أما أن لك يامسكين أن تغلغ عن هواك ! أما أن لك أن ترجع إلى باب مولاك ! أنسيت ما خلوك وأعطاك ! أما خلقتك فسواك ! أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك ؟ أما ألهمك إلى الإسلام وهداك ! أما قربك بفضل وأدناك ! أما برّه في طرفه عين يغشاك ! فقابلت ذلك بالغفلة وركوب الشهوات ، والمبادرة بالخطايا والزلات ، فنقضت عهده ، وعصيت أمره ، ودمت على الإضرار ، وأطعت هواك وخالفت الجبار ، أما أن لك أن تستحي ممن شاهدك على العصية ورآك ومع هذا الحرمان والبعد عن مولاك إن عدت إليه قبلك وارضاءك ، وإن لزمت خدمته قربك وأدناك :

تغسل من الطبع ثوبك تخشى من الناس تنظره وقلبك أضحى أسود ماتغسله بمتاب

النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض . وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركباناً وصنف على وجوههم . قيل يا رسول الله وكيف يحشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يحشهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق راغبين وراغبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ،

الناس تنظر ثيابك والحق ينظر باطنك يا ناقض العهد تعلم بأن ربك مشرف للهو تخلى سرك وتسلل مسامعك أفنيت في اللهو عمرك فقم وبادر بتوبة يا عبدنا كم تعرض وعزتي يا عبدى لقد أرى من فعلك لك أنجود بحلى عليك علك تنصلح وبعد هذا تأتي إلى تائب أقبلك وإن خشيت الفضيحة يوم القيامة فالذي فانهض بعزم صادق وأخلى لحوف باطنك وابكى ونح وتضرع وتب وبادر واعتذر [وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله] دخلت يوما على أبي سليمان الداراني فوجدته يبكي فقلت ما يبكيك ؟ فقال يا أحمد وكيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه استنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربها وارتفعت هممها إلى ذي العرش واقترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي ملكهم في مناجاتهم ورددوا كلامه بأصوات محزونة وجرت دموعهم على خدودهم فتقطرت في محاريبهم خوفا واشتياقا إليه فأشرف عليهم سبحانه ونظر إليهم وناداهم : أحبابي العارفين بي اشتغلتم بي ، وتقيتم عن قلوبكم ذكر غيري ، أبشروا فإن لكم السرور والقرب يوم تلقوني ، ونادي الجليل جل جلاله : يا جبريل بعني من تلذذ بكلامي ، واستراح إلى وأناس يفتناني فإني مطاع عليهم في خلواتهم أجمع أنينهم وبكاهم وأرى تقلبهم واجتهادهم فناديهم فيهم : ما هذا البكاء الذي أسمع ؟ وما هذا التضرع الذي أرى منكهم ؟ هل سمعتم أو أخبركم أحد أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار ! أم بلغكم أني أطرد من لاذني واستجار ؟ أو عزتي لأبيحنكم دار القرار ، ولأرفقن لكم حجب والأستار ، ولأعوضنكم بدموع الفرح والاستبشار :

مانح في أعلى العصور الهزار
ولا سرى من نحوكم بارق
والأجريت الدموع الغزار
وأين هاتيك الليالي القصار
واحر قلباء متى نلتقى
وتنطق من داخل القلب نار
وأفطر الأحباب قد واصلوا
قد واصل الحب وقر الفرار

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يخرج من عينيه دموع وإن كانت مثل رءوس الذباب من خشية الله تعالى فتصيب شيئا من حروجه إلا حرمه الله تعالى على النار » وقال وهب بن منبه رضي الله عنه : سجد آدم عليه السلام على جبل الهند مائة عام يبكي حتى جرت دموعه في وادي سرنديب وأثبت الله في ذلك الوادي من دموعه الدارصين والفرقل وغير ذلك من الطيب وجعل طير ذلك الوادي الطواويس ، ثم جاء جبريل عليه السلام فقال له ارفع رأسك فقد غفر لك فرفع رأسه وأتى السكبة فطاف بها أسبوعا فما أتمه حتى خاض في دموعه . فيا أيها العاصي تفكر في حال أيك وتذكر ما جرى له يكفيك :

وتصبح معهم حيث أصبحوا
وتنسى معهم حيث أنسوا
وفيه قال صلى الله عليه وسلم
« يقبض الله الأرض يوم
القيامة ويطوى السماء
بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك
أين ملوك الأرض » وفيه
قال : « يحشر الناس يوم
القيامة على أرض بيضاء
عفراء كقرصة النقي » قال
سهل أو غيره : ليس فيها
معلم لأحد ، وصح أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « يبعث الميت في
ثيابه التي مات فيها » قيل
للإمام بالثياب العمل ،
وحمله أبو سعيد الخدري
على ظاهره . وفي صحيح
مسلم عن القنادين الأسود
قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « تدنو
الشمس يوم القيامة من
الخلق حتى تكون كمقدار
ميل » قال سليم بن عامر :
فوالله ما أدرى يا بني بالميل
أمسافة الأرض أو الميل
الذي يكتحل به العين ؟

قال فيكون الناس على
قدر أعمالهم في العرق ،
فمنهم من يكون إلى كعبيه ،

بكت عيني وحق لها بكاءها على نفسي التي عصت الإلهما
ومن أولى بطول الحزن منها وبالألام قد قطعت مداها
فلا تقوى تصدّ عن المعاصي ولا تخشى الإله ولا تناهي
توب من الاساءة في صباح وتنقض قبل أن يأتي مساهها
وتنكث عهدها حيناً فحيناً كأن الله فيه لا يراها
وتفعد عن حقوق الله عمداً وتبغى دائماً مالا وجاهها

[وقال مجاهد] بكى داود عليه السلام أربعين يوماً وهو ساجد لا يرفع رأسه حياء من الله عز وجل حتى نبت من دموعه المرعى وحتى غطى رأسه فنودي يا داود أجاجع أنت فتطمع أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى أم مظلوم فينتصر لك ؟ فنحب نجبة فهاج مائم من الزرع فأزّل الله إليه التوبة والغفرة . فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لغيره إلا رآها مقابلته وكان يؤتى بالقدهح وثلاثاء ماء فاذا تناوله رأى خطيئته فلا يضعه حتى يفيض من دموعه . فقال يارب أما ترحم بكائي ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت خطيئتك وذكّرت بكاءك . فقال إلهي كيف أنسى خطيئتي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء عن جريانه وسكن هبوب الريح وأظلتني الطير على رأسي وأنت الوحوش إلى محرابي . إلهي وسيدى فما هذه الوحشة التي بيني وبينك ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، يا داود آدم خلق من خاقي خلقته يدي ونفخت فيه من روحي ، وأسجدت له ملائكتي ، وألبسته ثوب كرامتي ، وتوجته بتاج وقارى وشككا إلى الوحدة فزوجه حواء أمي وأسكنته جنتي فعمصاني ، فأخرجته من جوارى عريانا ذليلاً حائراً لا يدري أين يذهب فظل يبكي أربعين عاماً ، ولو وزنت دموعه لعدلت دموع الخلائق :

بكت عيني على ذنبي وملاقيت من كربى فيبذلنى ويأخجلى إذا ما قال لى ربى
أما استحييت تعصيتى ولا تخشى من العتب وتخفى الذنب من خلقى وتأتى فى الهوى قربى
فتب مما جئت عسى تعود إلى رضا الرب

[وكان فتح الموصلى رضى الله عنه] يبكي الدموع ، ثم يبكي الدم ، فلما مات رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفنى بين يديه ، وقال لى يافتح هذا البكاء لماذا ؟ قلت يارب على تخلفى عن واجب حقك ، قال فلم بكيت الدم ؟ قلت يارب خوفاً على دموعى أن لا تصح لى . قال يافتح ما أردت بذلك كله ؟ . قلت ياسيدى أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع بى ما شئت . فقال وعزنى وجلالى لقد صعد لى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلا لبسك لباس التكريم ولأمتعنك بالنظر إلى وجهى الكريم :

فاذا جلا ذاك الجمال عليهم جهر أفاق الصب من غمراته
مولى إذا المشاق حار دليلهم وجدوا الهدى والرشد فى آياته
ما فى جميع الكون إلا عاشق وموله فى حسنه وصفاته

هؤلاء والله هم الخواص من العبيد ، وهؤلاء صفوة الملك المجيد ، فهم السابغون إلى المقصود والمتزهنون فى حضرة شاهد ومشهود ، فكيف حالك أيها الشقى الطرود ، للنقطع عنهم بمخالفة الملك المعبود ؟ بالله عليك نوح على نفسك وابك بكاء من أصبح عن الجنب وهو مبعد مطرود :
دع المفرط يبكى عسى المدامع تنفعه فالدمع لاشك أشقى لقلبي المكهود

ومنهم من يكون الى
ركبته ، ومنهم من يكون
الى حقوه ، ومنهم من
يلجمهم العرق إلجما
وأشار بيده صلى الله
عليه وسلم الى فيه « ،
وفى مسند أبى بكر البزار
عن جابر بن عبد الله قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن العرق
ليأزم المرء فى الوقف حتى
يقول يارب إرسالك بى
الى النار أهون علىّ مما
أجد وهو يعلم ما فيها من
شدة العذاب » وقال
بعض السلف : لو طاعت
الشمس على الأرض كرهيتها
يوم القيامة لأحرقت
الأرض وأذابت الصخر
ونشفت الأنهار . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « سبعة يظلمهم الله
تعالى فى ظله يوم لا ظل
إلا ظله : إمام عادل ،
وشاب نشأ فى عبادة الله ،
ورجل قلبه معاق بالمسجد
إذا خرج منه حتى يعود
إليه ، ورجلان تحابا
فى الله اجتمعا عليه وتفرقا
عليه ، ورجل ذكر الله

أنا الشقي المفرط قد ضاع عمري في الهوى وقد شقيت بفعلی ورأى المفسود
من المفرط إذا ما رأى الحباب واصلوا أحبابهم وهو عنهم دون الوری مبعود
يا غارقا في المعاصي قد ضل عن طرق الهدى إلى متى يامعنى تبارز العبود
انظر عبيد الطاعة كيف استنار قلوبهم قوم يبيتون ركع لربهم وسجود
قاموا وصاموا وادوا واستوهبوا مليكهم جميع ما قد أرادوا وحصلوا المقصود
قوم أطاعوا الولي وشمروا واستيقنوا بأن ماذی الدنيا للمرء دار خلود
ما تستحي من ربك تأتي غدا يوم الجزا والخلق يبيض الصبايف وأنت صفك سود
تقدر بأنك تجحد وأن حالك يخفى استيقظ إن كنت نائم ماذا يوم جحد
أملك ربك تكتب جميع ما قد تفعله وكل أعضاءك تنطق وهم عليك شهود
واخجلني من وقوف في وقت عرضي للقضا وقد تسود كتابي في النظر للشهود
هناك تبدو الفضائح وينظروا ما قد جنوا وعند ذلك يبين الشقي من السعود
فكم ترى ذا شبيه يسحبه الزبانية وكم فقى بالدله والمعصية مطرود
وكم وجوه تقلب في النار مع خزانها وكم جلود تبدل من حرها بجلود
وليس ينجي الخلائق من هول ما قد شاهدوا إلا الذي بالشفاعة من ربه موعود
رسول رب البرايا المصطفى الهادي الذي يسقى عطاش الأمة من حوضه للورود
صلى عليه الباري ماسارت الذوق في القلا وماسرت كل عام إلى حماه وفود

المجلس الحادي عشر

في فضائل الفقراء رضى الله عنهم

الحمد لله الذي جعل الأولياء صفوة خلقه ، فهم إلى لقاءه يتأهبون ، تسلاوا بالصلوات عن الشهوات
ومحلاوة التلاوة عن الذات ، خبى في قلوبهم مصون ، صفحات وجوههم تنبيك عن أنوار قلوبهم ؛
فينور جمال جلاله يعرفون ، مسك أنفاسهم قد عطر السكون . فهم في خيمة العزلة يتسكنون ، ونسيم
السحر يحمل ذلك العطر فله الخلائق يستشقون ، فلو ذاق الملوك قطرة من شربهم لكانوا للدنيا
يطلقون ، وإذا ترنوا بكلام الحبيب رأيتهم محبة سكارى يغنيون ويحضرين ، وإذا هاج شوقهم
هاموا في الجبال فلو رأيت أحدهم قلقت إنه مجنون وإنما هو بحب مولاه مقتون ، فالجبال أوتاد
الأرض وهم أوتاد الجبال فلو لام لمادت الأرض بالخلائق حين يعصون ، فلا أخلى الله الأرض منهم
ولا برج بيننا الصالحون ، يسلم عليهم الجبل وتستأنس بهم الوحوش وبهم البهائم يتبركون ، تتوسل
بهم الأشجار وتصافحهم سمات الأسفار ، تحرق أنفاسهم الشياطين فلا يصلون إلى سجادة أحدهم
ولا يتقربون ، تعرض الدنيا كنوزها عليهم فلا يميلون إليها ولا يلتفتون ، يفتخر الجبل على الجبل بوطء
أقدامهم ويصير تراه كحلا للعيون ومخائف أعمالهم الظاهرة إذا صعدت بها الملائكة المقربون
تعطر بطيبها السموات وتنتظر إليها الملائكة ويتعجبون . وأما سرارهم فلا يطلع عليها الكروبيون
ولا الروحانيون ، وإنما الحق جل جلاله يقول : ما عندكم سوى فانا الحبيب وأتم المحبون . تحزن
الدنيا على فراقهم والجنة من شوقها اليهم تسأل الله تعالى متى عليها يقدمون ، وفي غرفها ينزلون
وبكاساتها يشربون وبحورها يتمتعون وفي حدائقها يتبخثون وفي روضاتها يجرون وعلى نجائها
يركبون وللكلام الحق يسمعون ولوجهه الكريم ينظرون ، فهذه مقاماتهم ، فما أدرهم أيها
القصور (مثل هذا فليعمل العاملون) .

تعالى خاليا ففاضت عيناه
ورجل دعت امرأته ذات
حسب وجمال فقال إني
أخاف الله ، ورجل
تصدق بصدقة فأخفاها
حتى لا تعلم شماله ما تنفق
عينه « قال الحسن البصري
رحمه الله : فما ظنكم
بيوم قاموا فيه على أقدامهم
مقدار خمسين ألف سنة
لم يأكلوا فيها أكلة ولم
يشربوا شربة حتى انقطعت
أعناقهم عطشا ، واحترقت
أجوافهم جوعا ، ثم
انصرف بهم إلى النار
فسقوا من عين آية :
أى متناهية في الحرارة
أوقدت عليها جهنم منذ
خلقها .
فصل . في الشفاعة
المختصة بمحمد صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى
(من ذا الذي يشفع عنده
إلا بأذنه) وفي صحيح
البخارى ومسلم عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال
« أتى النبي صلى الله عليه
بالحج فرفع اليه الذراع
وكانت تعجبه فنهس منها
نفسة ، ثم قال : أنا سيد

أتم بقاي أيها الراحلون جودوا بعود أيها الغائبون متى أرى أشخاصكم في الحى
وأجتلى ذاك الجمال المصون متى أنادى عند ما تقدموا أهلا وسهلا أيها القادمون
يا جيرة الحى وحق الذى صير صبرى عنكم ولا يهون إن غرامى واشتياقى بكم
زاد إلى أن قيل عنه جنون وما تعوضت بديلا بكم وذلك شئ في الهوى لا يكون
نحن المسيئون ومن ذنبنا اليك يارب الورى تائبون فلا تؤخذنا بأفعالنا
إنا على أنفسنا مسرفون قد مسنا الضر ولا راحم سواك يامن لا تراه العيون
لانشكى إلا إلى راحم يطعم في رحمته للذنبون

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الحرف ثلاث : الفقر والعلم والزهد » وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قل « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ما الفقر ؟ قال خزاة
من خزان الله ، ثم قال الثانية ما الفقر يا رسول الله ؟ قال كرامة من كرامات الله ، ثم قال الثالثة ما الفقر
يا رسول الله ؟ قال شئ لا يعطيه الله تعالى إلا نبيا مرسلًا أو كريما على الله عز وجل » ، وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « الفقير هو الذى لا يعلم الناس بجوعه ومرضه ، وخلق الله تعالى الخلق من طين
الأرض وخلق الأنبياء والفقراء من طين الجنة ، فمن أراد أن يكون في عهد الله تعالى فليكرم
الفقراء » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للجنة ثمانية أبواب سبعة منها للفقراء وباب منها
للأغنياء ، وللنار سبعة أبواب ستة منها محرمة على الفقراء حل للأغنياء وباب منها للفقراء . وروى
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب الخلق إلى الله تعالى
الفقراء ، لأنه كان أحب الخلق إلى الله تعالى الأنبياء وابتلاهم بالفقر » وعن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه أنه قال : أيها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرنى في زمرة المساكين »
وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى ينظر من هذه الأمة إلى العلماء والفقراء ، فالعلماء
ورثي والفقراء أحبائي » . وعن شقيق الزاهد رضي الله عنه أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء
والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء
تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب :

طيبوا المذات الهوى في الشجون ولم يزل سر هواكم مصون يا فقراء الحب قوموا اشهدوا
حسن حبيب عنه لا تحجبون في حضرة فيها لكم كل ما تهوون من فوز وما تشتهون
قد خضكم فيها برضوانه وروضة أتم بها تحبسون وقد صفا الوقت لكم فاشربوا
كأسا وساق حسنه تشهدون في جنة دانية المجتنى قطوفها قد ذلت والغصون
أنهارها تجري بنيل المنى وكم بها قد جفرت من عيون
هذا هو الملك وهذا العطا وغير هذا مثله لا يكون

قال بعض السلف : والدليل على فضل الفقراء قول الله تبارك وتعالى (أقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة) يعني أقيموا الصلاة لى ، وأدوا الزكاة إلى الفقراء ، فقرن حق الفقراء بحق نفسه ويقال الفقير
طيب القلب وقصاره ورسوله وحارسه : قيل هو طيبه ، لأن الغنى إذا مرض يتصدق على الفقير
فيدعوله فيبرأ من مرضه ، وإنما قيل هو قصاره لأن الغنى إذا تصدق على الفقير يدعوله فيطهر الغنى
من ذنوبه ويظهر ماله ، وإنما قيل هو رسوله لأن الغنى إذا تصدق على الفقير بصدقة عن والديه

الناس يوم القيامة وهل
تدرون مم ذلك ؟ يجمع
الله الأولين والآخرين
في صعيد واحد يسمعهم
الداعى وينفذهم البصر
وتدنو الشمس فيبلغ
الناس من الغم والكرب
ملا يطيقون ولا يحمّلون ،
فيقول الناس ألا ترون
ما بلغكم ألا تنظرون إلى
من يشنع لكم إلى ربكم ؟
فيقول بعض الناس لبعض
أبوكم آدم ، فيأتون آدم
فيقولون أنت أبو البشر
خلقك الله بيده وشفخ
فيك من روحه وأمر
اللائكة فسجدوا لك
اشفع لنا إلى ربك ألا ترى
ما نحن فيه ألا ترى ما قد
بلغنا ؟ فيقول آدم : إن
ربى قد غضب اليوم غضبا
لم يغضب مثله قبله ولن
يغضب بعده مثله وإنه قد
نهانى عن الشجرة فعصيته
نفسى نفسى اذهبوا
إلى غيرى اذهبوا إلى نوح
فيأتون نوحا فيقولون
أنت أول الرسل إلى
الأرض وقد سماك الله
عبدا شكورا ، أما ترى

أو عن أحد من أقاربه فيصل ذلك الى الموتى فصار الفقير رسوله ، وإنما قيل هو حارسه لأن الغنى إذا تصدق على الفقير فدعاه له تحصن مال الغنى بدعائه :

قوم هو في الدجى للناس أقمار وهم لمن هجر الأوطان أنصار وأين حلوا محل الحصب ساحتهم كأنهم مثل ما قد قيل أمطار صفوا فلا غرو أن تصفو مشاربهم وفي المصافة للعشاق أسرار

يروى عليل الصبا عنهم صبح هوى من الشذا فهو نعال ومطار

هم العيون فإن تبصر هدى فيهم وفي الهدى ليس بعد العين آثار

سألهم وسل عنهم وإن كنت ذاو طر فعندهم لذوى الحاجات أوطار

وانعم إذا كنت تهوامهم بعيشهم واصحبهمو إن نأت يوما بك الدار

واحلل بساحتهم تسعد فهم عرب يحموا النزول ولا يؤذى لهم جار

[وحي] أنه لما مات ثابت البناني رحمه الله ودفن وسوى عليه اللبن انكسرت لبنة . قال جعفر بن الحسين رحمه الله فددت يدي لأخذها من اللحد فلم أجده في لحد فتحيرت ولم أخبر بذلك أحدا وبقيت أفكر في ذلك حتى أتيت منزله وعزيت ابنته وسألها عما كان يكثر من القول والدعاء ؟ فقالت كنت أراه يبكي كثيرا ويقول (رب لا تنزني فردا وأنت خير الوارثين) فقلت قد استجاب الله تعالى دعاء الشيخ ، وقيل لما مات ودفن قيل له : من ربك وما دينك ؟ فسمعوا هاتفا من قبره يقول :

ولو ناديتني ميتا لبيتك من قبري ولو فقتت في سرى وجدت اسمك في صدري

رجائي فيك مدخور ليوم البعث والحشر وما أبدى وما أخفى من الاعلان والسر

فأتم سادتي أدري به والغير لا يدري وهأنا رهن عفوكمو ليوم الحشر والنشر

[وقال بعض السلف رضى الله عنهم أجمعين] رأيت شابا في سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تجري على خدوده ، فقلت له من أنت ؟ فقلت له من أنت ؟ قال عبد آبق من مولاه ، فقلت يعود ويعتذر . قال العذر يحتاج إلى إقامة حجة ، فكيف يعتذر القصر ؟ قلت يتعاق بمن يشفع له . قال كل الشفعاء يخافون منه . قلت فمن هو ؟ قال مولى رباني صغيرا فعصيته كبيرا فواحيائى منه حين أنفاه من حسن صنعه وقبح فعلى ، ثم صاح وخر ميتا ، فخرجت عجوز وقالت : من أعان على قتل البائس الحزين ؟ فقلت أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه فقالت خله ذليلا بين يدي قاتله عسى يراه ذليلا فيرحمه .

حاشاك تكسر قلبا أنت جاره أو يشتكى خذلا من أنت ناصره

أنت العزيز وذلى فيك يشفع لى من عظم ذنب وجرم أنت غافره

ياسيدى عبدك المسكين ليس له سواك من شؤم قبح أنت ساتره

يلقاك في الحشر بالسرم المصون ولم ينس الوداد ولا خانت ضمايره

لا يشتكى وحشة من أنت ، ونسه ولا يخب عيبك أنت ذاكره

فأول العمر قد ضيعت وأسفا عطفك على ما بقى قد حان آخره

[وقال يوسف بن الحسين رحمه الله] كنت قاعدا عند ذى النون المصرى رحمه الله وحوله الناس وهو يتكلم عليهم والناس يبكون وشاب يضحك ، فقال له ذوالنون مالك أيها الشاب الناس يبكون وأنت تضحك ؟ فأنشأ يقول :

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظا جزيلا

أوبأن يسكنوا الجنان فيضحوا في رياض ويشربوا سلسيلا

الى ما نحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومي نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك ، أما ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسائله وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ، أما ترى الى ما نحن فيه فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أوامر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى

ليس في النار والجنان مراعى أنا لا أتسنى بحجى بديلا

فقال ذو النون: فإن طردك فما تصنع؟ فأنشأ يقول:

فإذا لم أجد من الحب وصلا رمت في النار منزلا ومقيلا ثم أزعجت أهلها بيكأى
حيث عذبت بكرة وأصيلا قاتلا والشرام حشو ضلوعى حيث لم ألتقى لفوزى سيلا
معشر المذنبين نوحوا على من لم يجد للوصال منهم وصولا عذبونى أو اعتقوا كل ما في
سه رضاكم وجدته مقبولا إن أكن بالذى ادعيت محقا فعنى نظرة تعيد الجميلا
أو أكن كاذبا ودعواى زور فأجازى به عذابا طويلا

فهتف هاتف يقول: إذا النون هكذا يكون المخلصون في جهنم لربهم محبوبونه في السراء والضراء
ويشكرونه على النعماء والبلاء:

أهل الصلاح وأهل البر قد سعدوا لما ملوا همو دون الورى قصدوا
ما صدهم عن بلوغ القصد إذ رغبوا فيه من الفوز لأهل ولاول
فأصبح القوم في كد وفي تعب أحلى من الشهد بل مامثله الشهد
فطالما كابدوا في حب سيدهم وما اثنوا عن ورود القرب إذ وردوا
فليس يرتحلون الدهر من بلد إلا ويكى عليهم ذلك البلد

[وقال ذو النون الصرى رحمه الله] بينا أنا سائح في بعض الجبال إذ سمعت صوتا يئن ويستغيث
ويكى فتبعته الصوت فإذا هوشاب خشن الثياب عليه مدرعة من الشعر وقد افترش الرماد وهو يتمرغ
عليه ويقول في مناجاته: إلهى وسيدى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك محالفتك وما عصيتك إذ
عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا بعقوبتك مستخف ولكن سوت لى نفسى وغلبت على شقوتى وغرنى
سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك بسفهى فالآن من عذابك من يستنقذنى وبجمل من أعتصم
إذا قطعنى وأبعدتنى، واسوأناه من الوقوف بين يديك، واجتاتاه من العرض عليك فكلم أتوب
وأعود وأعاهد وأنتض العهد:

خنت العهد وقد عصيت تعمدا واخجلتى وفضيحتى منه غدا
واخجلتى ممرى رانى دائما أعصى ويسترنى على طول المدى
فليندمن المذنب العاصى إذا لم ينتبه من قبل أن يأتى الردى
ما الأمر سهل فاستعد إلى الأقا واعلم بأنك لا تكون مخلصا
واذ كرو قوفك في المعاد وأنت في كرب الحساب وجئت عبدا مفردا
سوفت حتى ضاع عمرك باطلا وأطعت شيطان الغواية والعدا
فانهض وتب بما جنيت وقم إلى باب الكريم ولده به متفردا
وادعوه في الأسحار دعوة مذنب واعزم ولا تترك في التائب مفندا
وإذا طردت عن الجناب فقم على أعتابه بالنوح منك معددا
فلعل رحمته تعم فانها تسع العباد ومن يغنى ومن اعتدى
وإذا أردت بأن تفوز وتتقى نار الجحيم وحرها المتوقدا
لن بالنبي الهاشمى محمد خير الورى نسباً وأكرم محتدا
صلى عليه الله ماسرت الصبا وشدا الهذارى على الفصون وغردا

اذهبوا إلى عيسى فيأتون
عيسى فيقولون: يا عيسى
أنت رسول الله وكلته
ألقاها إلى مريم وروح
منه وكلت الناس في الهدى
اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى
إلى ما نحن فيه؟ فيقول
عيسى: إن ربى قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله
ولم يذكر ذنبا فيأتون محمدا
صلى الله عليه وسلم. وفي
رواية فيأتون فيقولون:
يا محمد أنت رسول الله
وخاتم الأنبياء، وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر اشفع لنا إلى ربك
ألا ترى إلى ما نحن فيه؟
فأطلق وآتى تحت العرش
فأقع ساجدا لربى ثم يفتح
الله على من محامده وحسن
الثناء عليه ما لم يفتح على
أحد قبلى، ثم يقال يا محمد
ارفع رأسك سئل تعطه
واشفع تشفع فأرفع رأسى
فأقول: أمتى يارب أمتى
يارب أمتى يارب، فيقال
يا محمد أدخل من أمتك
من لأحساب عليهم من
الباب الأيمن من أبواب

المجلس الثاني عشر

من كلام الشيخ عز الدين المقدسي

الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسى بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى » وفي الصحيحين « يدخل الجنة من آدمي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون » وفي رواية في صحيح مسلم « سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا » قال في المفاتيح : التوكل نوعان خاص وهو أنت يترك التداوى والاسترقاء والكي انما يعقته بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله من النفع والضرر وهو عام ، والمراد هنا أنه يجب على الكل أن يعلم أن لا مؤثر إلا الله فالطعام لا يشبع والأدوية لا تشفى إلا بأمره ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء وكسب المال بالاجارة والحرف .

الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسى بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى » وفي الصحيحين « يدخل الجنة من آدمي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون » وفي رواية في صحيح مسلم « سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا » قال في المفاتيح : التوكل نوعان خاص وهو أنت يترك التداوى والاسترقاء والكي انما يعقته بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله من النفع والضرر وهو عام ، والمراد هنا أنه يجب على الكل أن يعلم أن لا مؤثر إلا الله فالطعام لا يشبع والأدوية لا تشفى إلا بأمره ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء وكسب المال بالاجارة والحرف .

وحياة قلبي وقلبي في القسم تمويه الذكر للقلب والمعنى لمن هو فيه
هذا حبيب عظيم جل عن تشبيهه وقد كتبت هواه لم أطق أبدية
ناديته وفؤادي في لظى يصلية إن مات قلبي غراما فاللقا يحية
العبد قانع بنظرة منكوت تكفيه والقلب طامع بزورة منكوت تشفيه
أتم علمت بما أبدى وما أخفيه وحياتكم في فؤادي منكوت مافيه
إلهي أنت سؤلى ومنائى . وأنت في الظلمات نورى وضائى . إلهي مالي سواك وكم لك سوائى
عصيتك بجهلى ودعوتك على قبيح فعلى فأجبت بفضلك دعائى . ولم تخيب في قصدك رجائى ، وشكوت
إليك مقام قلبي فأزلت كربى وعجبت شفاى . وكم وقعت في الشدائد والأخطار . فأعنتنى بالأنصار
ونصرتنى على أعدائى ، فلك الحمد يا عدنى في شدتى ورخائى :
يا مالكا ليس لى سواه كم لك في الخلق من سوائى

أنت غنى وبى افتقار إليك ياسامع الدعاء

إن كنت أذنبت فيك ذنبا ولتقى منك واحيائي عبدك بالباب مستجيرا
قد قرح الجفن بالبكاء ليس له عنك من براح فى العسر واليسر والرخاء
عسى الذى قد قضى يعدى يسمح بالقرب واللقاء أراك بالهجر تعتمدنى
حاشاك ما هكذا رجائي يبغيه القلب يامرادى يامنتهى القصد يامنائى
ياراحة الروح يا حيائى يانور عيني وياضائى أنت الذى حزت كل أين
بلا ابتداء ولا انتهاء قد كنت من قبل كل كون بغير أرض ولا سماء
ولا سحاب ولا حجاب ولا فضاء ولا هواء بغير عرش بغير فرش
بغير نار بغير ماء جل عن الكيف فى وجود وفى شهود وفى بهاء
وفى اقتراب وفى احتجاب وفى نزول وفى استواء وعن قيام وعن قعود
وعن هبوط أو ارتفاع ظهرت فى السكل لست تخفى وأنت أخفى من الخفاء
فى كل شئ أراك حقا بلا جدال ولا مرأى وحيثما كنت أنت منى
كقاب قوسين غير ناء من عن يمينى وعن شمالي ومن أمامى ومن ورأى

يا طيب ما عنك حدثتني نسائم الصبح والمساء

[قال الجنيد رحمه الله عليه] عزمت على الحج فى بعض السنين فركبت ناقى ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى فلوت عنقها وردت إلى نحو القسطنطينية فردتها مرارا وهى تعود فقات فى نفسى لله عز وجل فى ذلك سر خفى فأطلقتها أين تريد وقلت : إلهى وسيدى ليس لى حيلة إن كنت تريد أن تردنى عن بيتك فالأمر كله إليك . قال : وجعلت الناقة تسير سيرا سريعا حتى دخلت القسطنطينية ، فلما دخلت البلد رأيت الناس فى هرج ومرج ، فسألت بعض أصحابى : ما سبب الذى هم فيه ؟ فقالوا : إن ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون لها طبيا يداويها فقلت فى نفسى : وعزة ربى لهذا الأمر صرفنى عن الحج فى هذا العام ، فقلت لهم أنا طبيب ، فقالوا : أنت تداويها ؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى فأخذوا ييدى وأدخلوني على الملك فأشترط على الشرط فاستعنت بالله تعالى فأدخاني محذرا ، فسمعت فيه خششة الحديد وقائلا يقول : يا جنيد كم تجدد بك الناقة إلينا وأنت تردنا نحو الكعبة فطاش عقلى من ذلك الكلام ، ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الرأى أحسن منها وهى مقيدة مسلسلة ، فقلت ماهذه الحالة ؟ فقالت يا طبيب القلوب صف لى صفة أنجوها من الكروب فقلت لها قولى : لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فتساقطت الأغلال والقيود عنها وتفككت الحديد . فلما رأى أبوها ذلك قال : ما أحسنك من طبيب وما أحسن دواءك ! بالله عليك داوئى بالدواء الذى داويتها به ؟ فقلت : قل لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أتت أمها وفرحت وأسلمت وأسلم كل من كان فى البلد معهم . فخدمت الله عز وجل على ذلك وعزمت على الخروج فقالت الجارية يا جنيد لا تعجل على الخروج فإنى سألت الله عز وجل أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تقف وتصل على وتقف على دفنى ، ثم تشهدت وخرت ميتة رحمة الله عليها :

يامنقذ الجهال من ظلمتها ياخير من حطت به التزال من ذاق حبك لم يزل متاهجا
أنت الإله القادر الفعال أنشأتى وهديتني ورحمتني فاغفر فأنت المنعم الفضال
ومنت بالإيمان منك تفضلا أنت الإله وما عداك محال

﴿ فصل فى الحساب ﴾

قال الله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين . وبرزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو يتصرون فكبكبوا فيها هم والغاؤون . وجنود إبليس أجمعون) وقال الله تعالى (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبد الله قال النبى صلى الله عليه وسلم « يؤتى بهم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وفى صحيح البخارى « يحاء بنوح يوم القيامة فيقال له : هل بائت فيقول نعم يارب ، فيسأل أمته هل باعكم ؟ فيقولون (ما جاءنا من نذير) فيقال من شهودك ؟ فيقول محمد وأمته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيجاء بكم فتشهدون ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة

[وقال عبد الرحمن بن جعفر] كنت بالبصرة أصلي الصلوات الخمس في مسجد بجوارى يعرف بمسجد الحشابين وكان له إمام مغربي يدعى أبا سعيد مشهور بالخير ، وكان يتكلم في المسجد بعد صلاة الصبح فخرجت بعض السنين حاجا إلى بيت الله الحرام وكانت تلك السنة حرا شديدا فكنت في الليل أسبق الركب وأنام حتى يلحقني رفقائي فمعت في بعض الليالي وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم تشعر بي رفقتي ونمت حتى طلعت الشمس ثم انتبهت وأنا لا أدري كيف الطريق فقلت سيدي ومولاي إلى هنا حملتني وعن بيتك قطعني ، ثم سرت حتى أعيت وقوى الحر فأيست من الحياة وانطرحت على كتيب رمل أنتظر الموت وإذا إنسان ينادي باسمي فمعت فإذا هو الشيخ أبو سعيد فقال أنت جائع ؟ فقلت نعم فناولني رغيفا سخنا فأكلته فاستد رmq فعطشت فناولني ركة فيها ماء الله من الشهد وأبرد من الثلج فشربت وغسلت وجهي فمادت إلى روقي ثم قال اتبعني فبعته قليلا ، وإذا أنا بمحدران مكة شرفها الله تعالى ، فقال البث هنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولني رغيفا ومضى فكنت آكل من ذلك الرغيف لقمة فأشبع فأقام الرغيف معي ثلاثة أيام إلى أن جاء الركب ، فلما وقفت بعرفة رأيت الشيخ أبا سعيد واقفا عند الصخرات وهو مشغول بالدعاء فسلمت عليه ، فلما فرغ رد على السلام ، وقال ألك حاجة ؟ قلت ادع لي فدعا لي ثم نزلنا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج سرت إلى البصرة ودخلت منزلي وبت ، فلما أصبحت صليت الصبح في المسجد خلف الشيخ أبي سعيد ، فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وصاحفته فصاحفني وعصر يدي ففهمت عنه أن أكرم السر ، وكان في المسجد مؤذن يخدمه كثيرا فسألته عن غيبة الشيخ عن المسجد في أيام الحج خلف أن الشيخ أبا سعيد لم يقطع الصلوات الخمس في هذا المسجد ، فعلمت أنه من الأبدال السادة الرجال ، وينشد :

أنت في الموضع البعيد قريب هل منيب إلى رضاك يثوب

كل وصل خلاف وصلك هجر كل حب خلاف حبك حوب يا إلهي وعدتي ورجائي
بك ياسيدي تزول الكروب بغيث من جمال وجهك مرأى ليس إلا به النفوس تطيب

أنت روح القلوب أنت شفاها بك تحيا وتستريح القلوب
بك يدنو البعيد من كل أمر بك تنأى عن السوء الذنوب
تسمع الصوت حين لا يسمع الصوت ومن حينها دعيت تحجب
أنت رب العباد مالك في الملك شريك ولا عليك رقيب
يادواء القلوب أنت المداوي يا شفاء السقام أنت الطبيب
جد بعفو ورحمة لكثير ليس يشكو إلا إليك الكثير

[قال عبد الصمد البغدادي] كنت أبحر من بغداد إلى بلاد اليمن وأحج في كل سنة فبينما أنا في بعض السنين في الطريق بين منى وعرفة ، إذ رأيت شابا حسن الشباب نقي الأثواب كأن وجهه قنديل ، وهو راقد على الرمل وتحت رأسه حجر وهو يعالج سكرات الموت فتقدمت إليه وسلمت عليه وقلت له : ألك حاجة ؟ قال نعم : تقيم عندي ساعة حتى أفضي نحي وألحق بربي فقلت له ما الذي تريد ؟ فقال : إذا أنا مت فوارني التراب وخذ هذه العضدة من كنفى ، فإذا وصلت إلى صنعاء اليمن فسل عن دار الوزارة فإذا خرجت إليك عجوز وبنات فادفع إليهن هذه العضدة وقل لهن عنان الغريب يقرنكن السلام ، ثم غاب عن حسه ساعة ثم أفاق وهو يقرأ (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ثم شق شقة فارق فيها الدنيا فغسلته وكفنته ووجهه يضئ ويتلأأ نوراً ثم صليت عليه في جماعة ودفنته ،

وسطاً) قال عبدولا
(لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا) وقال مقاتل
في قوله تعالى (وامتازوا
اليوم أيها المجرمون) أي
اعتزلوا اليوم ، يعنى
في الآخرة من الصالحين .
وقال السدي : كونوا على
حدة ، وفي الصحيحين قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يقول الله : يا آدم
قم فابعث بعث النار فيقول
ليبك وسعديك والخير
في يديك وابعث النار ؟
فيقول : من كل ألف
تسعمائة وتسعة وتسعين .
قال حينئذ يشيب الوليد
(وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد) فاشتد
ذلك عليهم فقالوا يا رسول
الله أينما ذلك الرجل ؟
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : تسعمائة وتسعة
وتسعون من يأجوج
ومأجوج ومنكم واحد ،
فقال الناس : الله أكبر .

ثم أخذت اللعضة فلما وصلت إلى صنعاء اليمن سألت عن الدار فخرجت إلى عجوز وبنات فدفعت إليهن اللعضة . فلما رأيتها أخذن في البكاء والنحيب وخرت العجوز مغشيا عليها ، فلما أفاق قالت : وأين ذهب صاحب هذه اللعضة فأخبرتها بخبره وما كان منه ، فقالت هو والله ولدى عثمان وهؤلاء أخواته ترك أهله وحشمه وخدمه وزهد في الدنيا وخرج سائحا على وجهه لاندري أين ذهب؟ فجزاك الله عني وعن ولدي خيرا ، ثم بكت وجعلت تقول :

يا قفيدا أضحي وحيدا غريبا يا عزيزا أمسى ذليلا كشيئا قد هجرت الديار من بعد أنس
وسكنت الففار فردا سليا وتغربت في البسلاذ حزينا باقتراد ولست تدعو مجيبا
منذ فارقتني تنفص عيشي ولقد كنت لي خيلا حيبا ليتني مت قبل يومك جهرا
ليتني كنت من حماك قريبا فعليك السلام مني حقا كلما حرك النسيم قضيبا
[إلهي] إن كنت لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين ، وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للخطيين ، وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن للسيئين . إلهي ما أعظم حسرتي أذكر غيري وأنا الغافل ، مولاي ما أشد مصيبتى ، أنه غيري وأنا النائم . سيدى ما أغرب قصتى ، أدل غيري وأنا الحائر . إلهي جد بالعفو على مذكر متكاف وسامع متخلف ، إلهي إذا دلت السالكين عليك فوصلوا بحسن مواعظي إليك ، أترك تقبل المدلول وترد الدليل ، إلهي إن لم يكن كلامي خالصا لوجهك ففي مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك الكريم وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثالث عشر

في ذكر جهنم ، أعاذنا الله وإياكم منها والمسلمين
الحمد لله الذي وعد من أطاعه بنعيم جناته ، وتوعد من جحد به بحيم نيرانه وقهر من كفر بقوى سلطانه وستر من فجر بحميل إحسانه وعذر من اعتذر من قبيح عصيانه وغفر لمن عبر إلى حرم غفرانه وجبر من انكسر لأجل رضوانه ونصر من انتصر بعظيم شانه وشكر من ذكر بجزيل امتنانه يسبحه الملك بأعوانه والملك بدورانه والبرق بلمعانه والسحاب بسريانه والريح بخفقاته والنهر بجريانه والشجر بأغصانه والزهر بألوانه والطير بأشجانه والروض بغدراناه والبر بكبشانه والبحر بمحيطانه كل يسبح بغريب لغته ولسانه :

وكل مقر في فصيح بيانه بتسيحه جهرا بفتاق لسانه
هو الواحد الذي قد تفردت صنائعه في خلقه وزمانه
له الفرش والعرش الرفيع على العلا له للشل الأعلى علوا لسانه

فسبحانه من إله عظيم حي قيوم ، قدر الرزق القسوم ، والأجل المحتوم ، والوقت المعلوم ، وحير في إدراك معرفته العقول والفهوم : خلق الجنة من نور رحمته لأقوام سقاهم من الرحيق المحتوم . وخلق النار من سطوة غضبه لأقوام كتب لهم بالشقاوة للرسوم لهم فيها دمار وعذاب وتوبيخ وعقاب لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فسبحانه من إله لم يزل عظيما قويا جليلا بهيا واحدا في ملكه سرمديا جعل الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا والزوار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا وجعلها مسكن المشركين والكفار وماوى الأشقياء الفجار كما قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فكيف الخلاص منها ، وقد قال حين تحققها منكراها وجاحدها (وإن منكم إلا واردها كان على ربك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنى لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، والله إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبر الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض » وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم « لتؤذن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجمعاء من الشاة القرناء » قال السكبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع : كن ترابا فقسوى بهن الأرض فمئذ ذلك يتمنى الكافر أن لو كان ترابا كما قال الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) وفي كتاب الترمذي وغيره عن أبي هريرة الأسلمي رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأل عن أربع :

حتمًا مقضيا) فهي بيت الأحران، والحزى والهوان، ليس لجاحدها منها أمان، وحق عليهم الخلود فيها والنسيان، ينادون فيها وهم يسمعون (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن) يالها من دار محتوم بلاؤها، معدوم رجاؤها، مظلم مسالكها، مبهم مهالكها شراب أهلها الحميم، وعذاب أهلها أبدا مقيم، لهم فيها بالويل ضجيج، وبالثبور دعاء وعجيج أمانهم فيها هلاك، ومالهم من أسرها فسكك، ينادون من فجاجها وشعابها، من ترادف عذابها: يامالك حق علينا الوعيد. يامالك قد أثقلنا الحديد، يامالك قد فضجت منا الجلود، يامالك أخرجنا منها فإلانا نود، قد أثقلتهم القيود، وأيقنوا فيها بالخلود، وباءوا بغضب الملك المعبود، وقد جاوروا القجار، وخالطوا السكار، فأوردتهم النار، وبشس الورد المورود، مسكن أهل الجحود، والارتياح، طعامهم فيها الزقوم، وشربهم فيها الصديد والرصاص المذاب (كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)

النار منزل أهل الكفر كلهم	طباقها سبعة مسودة الحفر	جهنم ولظى من بعدها حطمة
ثم السعير وكل الهول في سقر	وتحت ذلك جحيم ثم هاوية	تهوى بهم أبدا في حر مستعر
في العقارب والحيات قد تركت	جلودهم كالبغال الدم والحمر	فيها السلاسل والأغلال تجمعهم
مع الشياطين جهرا جمع متعهر	لهم طعام من الزقوم يعلق في	حلقهم شوكة كالصاب والسير
سوداء مظلمة شعاعا موحشة	دهماء محرقة لواحة البشر	
أعاذنا الله منها ثم عوضنا	بجنة الخلد بين الروض والزهر	

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى دعا جبريل فأرسله إلى الجنة، وقال له انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها ورجع فقال وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا دخلها خفت بالمكاره فقال له ارجع فرجع فقال وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، ثم أرسله إلى النار وقال له انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها فنظر إليها وقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد خفت بالشهوات، ثم قال له عد إليها فانظر فعد ورجع فقال وعزتك وجلالك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم». وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من تلك النار ولولا أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعت منها بشيء». وروى مسلم من حديث شقيق عن عبد الله بن عمر، قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» وفي حديث مسلم عن أبي هريرة قال «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجية، فقال أتدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال هذا حجر رمي في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى في النار إلى الآن حتى وصل إلى قعرها».

[إخواني] أما تعتبرون بهذه الأحوال أما تشفقون من نار جهنم والأسكال، أما تحذرون سلاسلها والأغلال، وأعجبا لمن كان في الجنة في ظهر آية آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة:

إذا برزت لوم العرض نار	لها الناس الوقود مع الحجارة
يفرّ الرء حقا من أخيه	وينكر في الميعاد من استزاره
فلا الحلل الحميم يغيث خلا	ولا الجار الحخير يحير جاره

عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن علمه فيم عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال من مخاطبة العبدربه يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول بلى. فيقول إني لأجيز على نفسي إلا شاهدا مني. فيقول كفي بنفسك اليوم عليك حسيديا - وبالسكرام الشاهدين عليك شهودا. قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي، قال فتطرق بأعماله ثم ينجلي بينه وبين الكلام فيقول: بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل»، وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه

وقد برز الجليل لفصل حكم
فيفضح السيء بقبح فعل
ونشرت الصحائف مستطاره
ومن يك محسنا فله البشارة

فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر
بين يديه فلا يرى إلا النار
تلقاء وجهه فاتقوا النار
ولو بشق ثمرة » ، وفي
الصحيحين عن عائشة رضي
الله عنها قالت : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « من
حوسب يوم القيامة عذب ،
فقلت : أليس قد قال الله تعالى
(فسوف يحاسب حسابا
يسيرا) قال : ليس ذلك
الحساب إنما ذلك العرض
من نوقش الحساب يوم
القيامة عذب » فتفكر
رحمك الله سؤال ربك لك
بغير واسطة عن كل قليل
وكثير وبقير وقطير وقول
اللائكة : يا فلان هلم إلى

[وروى] أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على
أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أهل الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حتما فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، وينادى أصحاب النار
أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله
حرمهما على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار قاله بعض المفسرين
في قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون) وذكر الترمذي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم « لو قطرت قطرة من الزقوم في الدنيا لأفسدتها وأفسدت على أهلها معاشهم ، فكيف
من يكون ذلك طعامهم » وذكر الترمذي من حديث ابن عباس أيضا ، قال قال : النبي صلى الله
عليه وسلم « غاظ جلد الكافر اثنتان وسبعون ذراعا وضره مثل جبل أحد وإن مجلسه من
جهنم كما بين مكة والمدينة » أعادنا الله وإياكم من النار ، ومن مقام الكفار فيها والفجار فلورأيت
أهل جهنم وشراهم الحميم ، وكلا اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلا من ضريع ، يا أهل الذنوب والخطايا
ألكم صبر على النار ؟ كلا إنها لظى يساقون إليها من كل مكان (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا) فلورأيتهم (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار)
حلت بهم المحن وظهر عليهم العبار وجرت دموعهم من سحاب جفونهم كالأمطار والقلق قد أحاط
بهم من جميع الأقطار :

أما سمعت بأكبادهم صعدت
أما سمعت بضيق في مجالسهم
أما سمعت بحيات تدب بها
فيا إلهي بأحكام وما سبقت
أدعوك أن تحمي العبد الضعيف فما
والشمس مالى عليها قط من جلد
خوفا من النار فأنحطت إلى النار
ولا قرار لهم ياصاح في النار
إليهم خلقت من مارج النار
به قديما من الجنات والنار
للعبد من جسد يقوى على النار
فكيف يصبر ذو ضعف على النار

الموقف ، وقد روى عنه
عليه الصلاة والسلام « إن لله
ملكاً ما بين شفرة عينيه
مسيرة مائة عام » فما ظنك
بنفسك إذا شاهدت مثل
هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك
ليأخذوك إلى مقام العرض
فترتعذر أئسك وتضطرب
جوارحك وتتمنى حملك
إلى جهنم ولا تعرض قبائحك
على ربك تعالى فتوهم نفسك
في أيدي الموكلين بك حتى

ويروى من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سيق أهل النار إلى
النار فتلقطهم بعنف فتنفجهم فتحة لم تترك لها على عظم إلا آباته عن العروق » وهم في توبيخ وعتاب
وفي سجن وعذاب وفي حزن وعقاب » كما قال الله تعالى في محكم الكتاب (إن الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فإنهم كانوا يفرحون
بدار الغرور وينسون النفخ في الصور ويقترون بالأمان والزور ، قال في حقهم من يعدل في حكمه
ولا ينجور (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزى كل كفور) لهم فيها بكاء وزفير ، وعذاب سعيير (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كننا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا ثأنا للظالمين

من نصير) فيامن سمع بذكر النار حتى كأنه شاعدها عيانا ، ما هذا الأمل والرحيل قد تدانى ؟
يا مقبلا على لئاته ولم يأخذ من هول الموقف أمانا :

اذكر وقوفك يوم الحشر عريانا مستضعفا فارغ الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حرق على العصاة وتلقى الرب غضبانا
في موقف قد تجلى فيه حاكمه وقال فيه لمن قد بل طغيانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل وانظر إليه ترى فيه الذى كانا
لما قرأت كتابا لا يغادر لى ما كان فى السر أو ما كان إعلانا
قال الجليل خذوه ياملائكتى مروا به لأليم النار ظمأنا
يارب لاتخزنا يوم المعاد ولا تجعل لنا نارك فىنا اليوم سلطانا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا وإنها تتعوز من نار جهنم فى كل يوم سبعين مرة » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذكروا من النار ما شئتم فلا تذكرونها شيئا إلا وهى أشد منه » وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن أهل النار ليدعون مالكاً فلا يرد عليهم جواباً أربعين عاماً ثم يرد عليهم (إنكم ما كنتم) يعنى دائمون أبداً ، ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا لئن ظالمون) فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا تم يجيبهم (اخشوا فيها ولا تكلمون) . قال فوالله ما ينطقون بعدها بكلمة واحدة ولم يكن لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق فى النار، شبه أصواتهم بأصوات الجمر أو لها زفير وآخرها شهيق. قال قتادة يا قوم هل لكم بدأ طاقة أم هل لكم على هذا صبر؟ يا قوم طاعة الله عليكم أهون من هذا فأطيعوه . وعن ميمون بن مهران أنه قال لما نزلت هذه الآية (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) وضع سلمان يده على رأسه ثم خرج هائماً ثلاثة أيام لا يقدر عليه أحد حتى جرى به . وروى أن أهل النار يحزعون ألف سنة ثم يقولون كنا فى الدنيا إذا صبرنا أماناً الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم شيئا فيقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) فيدعون ألف سنة فلا يأتيهم الغيث لما بهم من العطش وشدة العذاب لى يزول عنهم بعض الحرارة من العطش فيتضرعون ألف سنة ، فإذا تضرعوا يقول الله تعالى لجبريل يا جبريل أى شئ يطلبون وهو أعلم ؟ فيقول يارب يطلبون الغيث فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون بها فيرسل الله عليهم فيها العقارب كأمثال البغال فتلدغ الواحد منهم لدغة فلا يذهب الوجع ألف سنة ثم يسألون الله الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذه سحابة المطر فيرسل الله عليهم فيها حيات كأمثال الإبل كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة وهذا معنى قوله تعالى (زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون) يعنى بما كانوا يكفرون ويعصون الله ، فمن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فعليه بالصبر على شدايد الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره والنار قد حفت بالشهوات .

[إخوانى] مثلوا أنفسكم وقد وقتم على النار وقلتم (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) كلها ثم صحت (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) وقد صرفتم هممتكم فى طلب الدنيا وأعرضتم عن أخراكم بالكلية ، فكيف بكم (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ؟) :
يا نفس توبى فإن الموت قد حانا واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا

انتهوا بك إلى عرش الرحمن
فرموك من أيديهم وناداك
الله عز وجل بعظيم كلامه :
يا ابن آدم اذن منى فدنوت
بقلب خائف محزون وجل
وطرف خاشع ذليل وأعطيت
كتابك الذى (لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها) فليت شعرباى
قدم تقف بين يديه ، وبأى
لسان تجيب ، وبأى قلب
تعدل ما تقول ، وماذا تقول
إذا قال : أما استحييت منى
وظننت أنى لأزالك؟ وعن
الفضيل : إنى لا أغبط أن
أكون ملكاً مكرراً بأولانبياء
مرسلاً ، ولا عبداً صالحاً :
أليس هؤلاء يتعاقبون فى
القيام إنا أغبط من لم يخفق
وأنشد بعضهم :

مثل وقوفك يوم الحشر
عريانا
مستضعفا قلق الأحشاء
حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن
حنق
على العصاة وتلقى الرب
غضبانا

[حكى] أنه لما دخل هرون الرشيد حرم مكة ابتداءً بالطواف ومنع الناس من الطواف فسبقه أعرابي وجعل يطوف معه فشق ذلك على أمير المؤمنين والتفت إلى حاجبه كالسكر عليه ، فقال الحاجب يا أعرابي خلّ الطواف ليطوف أمير المؤمنين ، فقال الأعرابي إن الله ساوى بين الأنام في هذا المقام والبيت الحرام ، فقال تعالى (سواء العاكف فيه والباد . ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابي أمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه ثم أتى إلى المقام ليصلي فيه فسبقه فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته وطوافه قال للحاجب اتقني بالأعرابي فأتى الحاجب الأعرابي وقال له أجب أمير المؤمنين ، فقال مالى إليه حاجة إن كانت له حاجة فهو أحق بالقيام إليها ، فانصرف الحاجب مغضبا ثم قص على أمير المؤمنين حديثه ، فقال صدق نحن أحق بالقيام والسعى إليه ثم نهض أمير المؤمنين والحاجب بين يديه حتى وقف بازاء الأعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له الرشيد : يا أخا العرب أجلس هنا بأمرك ؟ ، فقال له الأعرابي : ليس البيت بيق ولا الحرم حرّمى ، البيت بيت الله ، والحرم حرم الله ، وكلنا فيه سواء إن شئت تجلس وإن شئت تنصرف . قال فعظم ذلك على الرشيد حيث سمع ما لم يخطر في ذهنه وما ظن أحداً يواجهه بمثل ذلك ، فجلس إلى جانبه وقال له يا أعرابي أريد أن أسألك عن فرضك فإن قلت به فأنت بغيره أقوم وإن عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز . فقال له الأعرابي : سؤالك هذا سؤال متعلم أو سؤال متعنت ؟ قال فعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال متعلم . فقال الأعرابي : قم واجلس مقام السائل من المسؤل . قال فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدي الأعرابي ، فقال له : قد جلست سل عما بدا لك . فقال : أخبرني عما فرضه الله عليك . فقال له : تسألني عن أى فرض ؟ أعن فرض واحد أم عن خمسة فروض ، أم عن سبعة عشر فرضاً ، أم عن أربعة وثلاثين فرضاً ، أم عن أربعة وتسعين فرضاً ، أم عن واحدة من أربعين ، أم عن واحدة في طول العمر ، أم عن خمسة من مائتين ؟ قال فضحك الرشيد مستهزئاً به . ثم قال سألتك عن فرض فأنتيتى بحساب الدهر . قال ياهرون لولا أن الدين حساب لما أخذ الله الخلاق بالحساب يوم القيامة قال تعالى (فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قال فظهر الغضب في وجه أمير المؤمنين ، وتغير من حال إلى حال حين قال له ياهرون ، ولم يقل له يا أمير المؤمنين وبأنه ذلك مبلغاً شديداً ، غير أن الله عصمه من ذلك الغضب ورجع إلى عقله لما علم أن الله هو الذى أنطقه بذلك ، ثم قال له الرشيد : وتربة آبائى وأجدادى إن لم تفسرلى ما قلت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة ، فقال له الحاجب يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى لأجل هذا المقام الشريف . قال فضحك الأعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه ، فقال له الرشيد مم تضحك ؟ قال عجبا منسكماً فإن أحداً كما يستوهب أجلاً قد حضر والآخر يستعجل أجلاً لم يحضر ، فلما سمع الرشيد ما سمع منه هانت عليه الدنيا ثم قال له سألتك بالله إلا ما فسررت لى ما قلت ، فقد تشوقت نفسى إلى شرحه . فقال الأعرابي : أما سؤالك عما فرض الله على فقد فرض الله على فروضاً كثيرة ، فقولى لك عن فرض واحد فهو دين الإسلام ، وأما قولى لك عن خمسة فروض فهي الصلوات الخمس ، وأما قولى لك عن سبعة عشر فهي سبع عشرة ركعة في اليوم واليلة ، وأما قولى لك عن أربع وثلاثين فهي السجودات ، وأما قولى لك عن أربع وتسعين فهي التكبيرات ، وأما قولى لك عن واحدة من أربعين فهي الزكاة دينار من أربعين ديناراً ، وأما قولى لك عن واحدة في طول العمر فهي حجة واحدة في طول العمر على الإنسان ، وأما قولى لك عن خمسة

اقرأ كتابك يا عبدى على

مهل

وانظر إليه ترى هل كان

ما كانا

لما قرأت كتابا

لا يغادر لى

حرفا وما كان فى سر

وإعلانا

قال الجليل خذوه

يا ملائكتى

مروا بعبدى إلى النيران

عطشاناً

يا رب لا تخزنا يوم الحساب

ولا

تجعل لنا نارك فينا اليوم

سلطاناً

فصل: فى الميزان قال الله

تعالى (القارعة مالمقارعة.

وما أدراك مالمقارعة. يوم

يكون الناس كالنراش

المبثوث وتسكون الجبال

كالهمن للنفوس فأما من

ثقلت موازينه. فهو فى

عيشة راضية. وأما من

خفت موازينه فأما هاهوية.

وما أدراك ماهية. نار

حامية) وذكر أبو بكر البرز

رضى الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: «ملك

موكل بالميزان فيؤتى بابن

آدم فيوقف بين كفتى

من مائتين ففي زكاة الورق ، قال فامتلاؤا الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الأعرابي وعظم فطنته واستعظمه في عينه ، ثم إن الأعرابي . قال للرشيد : سألتني فأجبتك فإذا سألتك أنا تجيبني ؟ فقال الرشيد : سل ، فقال له الأعرابي ، ما يقول أمير المؤمنين في رجل نظر إلى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراما ، فلما كان الظهر حلت له ، فلما كان العصر حرم عليه ، فإذا كان المغرب حلت له ، فإذا كان العشاء حرم عليه ، فإذا كان الفجر حلت له ، فإذا كان الظهر حرم عليه ، فلما كان العصر حلت له ، فلما كان المغرب حرم عليه ، فلما كان العشاء حلت له ؟ فقال له الرشيد : لقد أوقعني في بحر لا يخلصني منه غيرك ، فقال له الأعرابي : أنت أمير المؤمنين ، وليس أحد فوقك ، ولا ينبغي أن تعجز عن شيء ، فكيف تعجز عن مسئلتني ؟ فقال له الرشيد : لقد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك ، فأريد أن تفسر لي ماذا كرت إكراما لي ولهذا البيت الشريف . فقال الأعرابي : حبا وكرامة : أما قولي لك في رجل نظر إلى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراما ، فهذا رجل نظر إلى أمة غيره فهي عليه حرام ، فلما كان الظهر اشتراها خلعت له ، فلما كان العصر أعتقها فحرم عليه ، فلما كان المغرب تزوجها خلعت له ، فلما كان العشاء طلقها فحرم عليه ، فلما كان الفجر راجعها خلعت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الإسلام فحرم عليه ، فلما كان العصر استتبع فرجع خلعت له ، فلما كان المغرب ارتدت هي فحرم عليه ، فلما كان العشاء استتبع فرجعت خلعت له . قال فتعجب الرشيد وفرح به واشتد بحبه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما حضرت قال لا حاجة لي بها ردها إلى أصحابها ، قال فهل تريد أن أجرى لك جراحة تكفيك مدة حياتك ؟ قال الذي أجرى عليك يجري علي ، قال فإن كان عليك دين قضياه فلم يقبل منه شيئا ثم أنشأ يقول :

هب الدنيا تواتينا سنينا فتكدر تارة وتلد حينا
فما أرضى بشيء ليس يبق وأتركه غدا للوارثينا
كأنني بالتراب عليّ يحيى وبالاخوان حولي نأحينا
ويوم تزفر النيران فيه وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقي وجلال ربي لأتقمن منكم أجمعينا

فلما فرغ من إنشاده تأوه الرشيد وسأل عنه وعن أهله وبلاده فأخبروه أنه موسى الرضا ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وكان زيا بزى الأعراب زهدا في الدنيا وتورعا عنها فقام وقبله بين عينيه ، ثم قرأ (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

[إخواني] هؤلاء قوم كانوا يخفون حالهم بين الأنام وهم شعث غبر لا يؤبه لهم وهم عند الله في أرفع مقام ، هذه صفاتهم إذ قبلوا فكيف صفاتك يا مردود ؟ هذه صفاتهم إذ قبلوا فكيف صفاتك يا مطرود ؟ هذه صفاتهم ففتح على نفسك يا منكود ، ويحك يا مسكين أنت في النهار في البطالة وفي الليل من جملة الرقود ، وينشد :

يا عاليا بما يكن الضمير أنت نعم المولى ونعم النصير
من لعبد قد أوبقته الخطايا من عذاب يا سيدي يستجير
هل لأهل الذنوب عنك محيص ونفوس الوري إليك تصير
حسبنا في غد من الذنوب مولى علمنا أنه الرحيم الغفور

للبران ، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان مسعدة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد أحدا : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يشقل ، وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرأوا كتابي حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم . وفي الوسيط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليعذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير ، يقول الله يا آدم لولا أني لعنت

باب صفة الفقير

من صفة الفقير في الدنيا أن يكون صائما قائما راكعا ساجدا طالبا راغبا صبورا شكورا رحيما لطيفا وحيدا ، قليل الكلام ، قليل الطعام ، كثير الذكر مليح الفكر بعيد الأوطان ، قليل الإخوان ، كثير الأحزان ، معرضا عن متاع الدنيا وشبهاتها ، مخاضا من مكرها وشهواتها ، لا يبيع ولا يشتري ، ولا أخذ له ولا إعطاء ، إن حضر لا يعرف ، وإن غاب لا يذكر ، كثير الخلوة غزير الدعة لا يملك شيئا ولا يملكه شيء محاسبا لنفسه مراقبا لربه ، أنفاسه محروسة وربوع قلبه مأنوسة ، لا يطيل في الدنيا فسكره ، وينظر فيها بعين العبرة ، قليل الشهوات ، تارك الشهات ، ملازم الطاعة ، كثير القناعة ، تارك الحيلة ، قليل الوسيلة ، ليس له حاجة بالناس أبد الأبد ولا يؤخر من يومه إلى غد متوجها لمولاه ، لا يبعد إلا إياه ، خرج من الدنيا خروج صحيح ، وأقبل على الله بوجه مليح ، ليس له باغة ، ولا يملك ذرة ، مشتغلا بالله ، معرضا عما سواه ، لا يعرف النفاق ، ولا يعيش في الأسواق يسلك الطريق بلا تعويق ، بدنه نحيف ، وجسمه لطيف ، ونظره غفيف ، علم العلم والعمل ، وترك الدنيا وانعزل ، جاهد فشاهد ، مسارعا إلى المكوث ، مراقب الحى الذى لا يموت لا يموت لا يموت مرحا ولا يرى فرحا ، بعيدا من الناس وأكثر منهم الإيثار سلم فسلم لا متكبيرا ولا متجبرا صادق للقال حسن الفعال فارق العالم وراح وتركهم واستراح ، أنس بوحوش الغلا وأيس من الملا يطوف السهل والجبل قصير الأمل لا يملك من الدنيا حبة ولا ينظر إليها بعين الحبة هجر الأحباب والأصهار وأنس بوحوش القفار أقام على نفسه الحد ولزم طريق الجد ، علم أن القلب بيت الرب فطهره وأخلاه فتجلى فيه اذ لم يجد فيه سواه ولو أعطى الدنيا بما فيها لم ينظر إليها فهذا هو الفقير . وقيل أربع من كنوز الجنة : كتمان الصيبة وكتمان الفاقة وكتمان الصدقة وكتمان الألم . وقيل من كمال المرء خصلتان : لا يدخله الرضا في الباطل ولا يخرج منه الغضب عن الحق . وقيل : العجلة من الشيطان إلا في ستة أشياء تعجيل الصلاة إذا دخل وقتها وقرى الضيف إذا دخل وتجهيز الميت إذا مات وتزويج البنت إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب والتوبة من الذنب إذا وقع .

المجلس الرابع عشر

في ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء والأولياء

رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم

الحمد لله الذى ذرأ وبرأ ، وصور العالم صورا ، وخلق من الماء بشرا ، وخرق له سمعا وبصرا وأمضى بقدرته قضاء وقدره ، وأظهر بحكمته من آياته عبرا ، وألبس العمال من ملابس الأعمال ثوبا ، ففتخرا ، وجبر من خضع لديه ووقف بالدلة بين يديه منكسرا ، وأغنى بفضله من تمسك بحبله وأمسى إليه مفتقرا ، فسبحانه من إله ليس في قدرته مرا ، ولا في وحدانيته امترا ، وهو السميع البصير الذى يسمع ويرى ، نظر إلى الماء فعاد من الهمية حجرا ، وإلى الجماد فسال برحمته كالسيل وجرى ، ورفع قبة السماء بنير عمد كما ترى ، وجعل فيها سراجا وقررا ، ورصعها بدرارى الكواكب فحكت درارها دررا ، وأرسل الرياح بين يدي رحمته نشررا ، وأذن للنجم أن يسرى فسرى ، وإلى السحاب أن يحمل مطرا ، وحرس قلعة السماء بحراسة الشهب ، فلم يسمع مسترق السمع منها خبرا ، وحير الفكر في إدراكه فرجع مقهقرا ، وبقي في بيداء التيه محيرا ، وعذب من كفر واجترا ، وقرب من أناب ووجد وتذلل ولم يبد تسكيرا ، وأرسل الصواعق على مقدمة نعمته عبرا ، وألح البرق

السكابين أو أبضت الكذب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم وللدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ، ولكن حق القول منى ثلث كذبت رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ويقول الله عز وجل : يا آدم اعلم أنى لا أدخل من ذريتك النار أحدا ولا أعذب منهم بالنار أحدا إلا من قد علمت بعلمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ، ويقول عز وجل : قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما رفعت اليك من أعمالهم فمن رجع منهم خيره على شربه مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لا أدخل منهم النار إلا ظالما . وفى الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتندرون من الفلاس ؟ قالوا : الفلاس فينا من لا درهم له ولا متاع ،

بترادف تألف نعمته مبشرا ، وأنطق الرعد بعواصف قواصف قدرته مزجرا . هبت من خزان كرمه تفحات نبات نعمه فاستنشق العارفون منها عبيرا عطرا ، فجاء بالسر المألوف معروفا منكرا ، وجعل لأبي يزيد التأييد فأصبح على دنياه بقواه منتصرا ، وبات الشبلى لعرائس المحبة يستجلى فظل متمزقا متحيرا ، وجند الجنيد من أجاده الى لقاء أنداده عسكرا ، فشمروا في الخدمة الدليل وظل با كيا طول الليل متحسرا ، وخص ذا النون بالسر المصون فهام ولم يجد مصطبرا ، وشرب الحلاج صرف الزاج جفري منه ماجرى ، فلما حصل لهم من المحبة الدوق هبت عليهم نبات الشوق ، وروت لهم عن الحبيب خبرا ، وأخبرتهم أن حبيبهم نظر اليهم وتجلى عليهم مسحرا ، فالراجي في الليل الداجي قد بسط كفا منكسرا ، والجاني بالقلب العاني قد نكس رأسا معتذرا ، والعاصي قد خاف من يوم الأخذ بالنواصي فأطرق حياء وحذرا ، والمذنب ينوح على ذنوبه ويقطع الليل بالبكاء على عيوبه بكاء وسهرا :

لاذقت يا صاح لذيد الكرى أو يصفح الرحمن عما جرى
ويبعد الهجر ويدنو اللقا ويفرج القلب بطيب القرى
ويرجع الود الذي بيننا والعيش صاف بعد ما كدرا
متى بشير الصلح يأتي لنا ويرجع العود وقد أعمرا
وألصق الخد بأبوابهم معفرا في رب ذاك الثرى
ها قد بسطت راحتي سائلا وقدمدت الكف مستمطرا
ياسادني قد تبنت من زلي وقد أتيت الآن مستغفرا
فسامحوني كرمنا منكم فعهديكم عندي وثيق العرى
مالي سوى أبوابكم سادني وقد تشفت بخير الوري

قيل لما آن نزول البلاء على سيدنا أيوب المبتلى ، أتى طاوس الملائكة جبريل بأمر الملك الجليل ، فقال له يا أيوب سينزل بك مولاك من البلاء والأهوال ما يعجز عن حمله الجبال ، فقال أيوب عليه السلام إن دمت على مواصلة الحبيب ، سأصبر حتى يقال عجب عجيب ، فنودي يا أيوب استعد لبلائي ، واصبر لنزول حكمي وقضائي . وكان السبب في ابتلائه أن إبليس لعنه الله حسده وتحيل عليه بأنواع المكر والحيل فلم يقدر عليه ، فقال إلهي إنما شكر أيوب وسبب طاعته لك أن وسعت عليه في الأموال والأرزاق والأولاد والعاقبة . فلو سلبته ذلك ما أطاعك طرفة عين ، فقال له الحق جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وإنه لم يغيره ذلك فأول يوم ابتلاه أخذ الأولاد فزاد في الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد ، وفي اليوم الثاني أخذ الأموال فأحرقها ومزقها ، فقال السيد أيوب العطايا عطايا إن شاء سلبها وإن شاء أطلقها ، وفي اليوم الثالث نفخ إبليس في جسده وهو في صلاة الفجر فلعب الدود في جميع بدنه ولم يزل يذكر الله في سره وعلنه فلما تمكن البلاء من جسده بعد ذهاب ماله وولده قال الحمد لله الذي اصطفاني لخدمته ، ومن علي بفضلته وخيرته ، فلم يشغلني غيره ، ولم يزل أيوب ذا كرا ولربه حامدا وشا كرا إلى أن تمزق جلده وذاب لحمه ودق عظمه وصار الدود يغدو في جسده ويروح وهو بالشكوى لا يبدى ولا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة الى الأرض ردها الى مكانها ويقول لها كلّي أيتها الدودة فهذا مائدة جسدي ممدودة ، فنزل عليه الأمين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام ثم سلم عليه ثانيا فرد عليه السلام ، فقال له جبريل عليه السلام يابني الله مامتك من رد السلام في المرة الأولى ؟ فقال يا أخى يا جبريل :

فقال : إن الفلاس من أمق من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسنة ، وهذا من حسنة ، فان قنيت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي الصحيح « إن أول ما يقضى في السماء » وفي معالم التنزيل ، روى عن عبد الله بن مسعود قال : « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ، ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلة فليجيء الى حقه فليأخذها فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وإن كان صغيرا ، ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل . (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم

النداء ياموسى قوميد بذلك قربا وأنسا وظل متفكرا فى أى جهة يقرب أو يأتى فسمع النداء من جميع الجهات : ياموسى لا بأس عليك (فأخضع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) موضع لا يطرقة من المعاصى تدنس لاجاءة مستوحش إلا يأنس ثم سمع النداء ، ياموسى (إني أنا الله) فأعزفتنى (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، وأنا إلهك العظيم فعظمنى ، وأنا الملك الرزاق فلا تسأل غيرى واسألنى ، وأنا شديد العقاب فأحذرنى) وأنا الجليس لمن ذكرنى فاذا ذكرنى . قال موسى : يارب دللتنى عليك وقربتنى إليك (فأرني أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وينشد :

طلعت شموس شواهدي لما شهدت خيامهم

وبدت لواعج لوعى لما سمعت كلامهم وفنت عن بشرتي

لما بدت أعلامهم ماضهم لو أرسلوا مع النسيم سلامهم

[إخواني] الطريق عشرة المسالك ، ضيقة على السالك ، فبكى فيها آدم ، ونوح لأجلها نوح ، ورمى في النار إبراهيم الخليل ، وأضجع للنبي إسماعيل ، ويضع يوسف ، ونشر زكريا ، وذبح يحيى وابتنى أيوب ، وهام مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر محمد عليه الصلاة والسلام . يا أخى أول قدم في الطريق بذل الروح ، هذه الجادة ، فأين السالك ، هذا الفميص ، فأين يعقوب . هذا جبل طور سيناء ، فأين موسى يا جنيد احضر يا شبلى اسمع يا ابن آدم أقبل :

قف بالديار فهذه أطلالهم تبكى الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل مخبرا عن أهلها أوصادقا أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من هوى فخر الملتقى

[قال الشبلى رحمة الله عليه] بينا أنا أسير في بعض الجبال إذ رأيت ريحانة العابدة ، وعى تشد هذا البيت :

أحضرتني فيك لكن غيبتني في التجلي

قال فنظرت يمينا وشمالا وفقت عليها فرأيتها فسلمت عليها فردت على السلام . فقلت ريحانة : فقالت ليبيك يا شبلى . فقلت على من تفقشين ؟ فقالت على ريحانة ، فقلت لها ألسنت ريحانة ؟ قالت بلى ولكن يا شبلى منذ قرب ودنا وقعت في العنا وصرت لا أعرف أين أنا ، فغبت عن وجودي ، وضعت مني وصرت أسائل الركبان عني فلا أجد من يخبرني عني فقلت عودى يجمع عليك فقد رفعت الأعلام اليك فقالت يا شبلى لقد سألت عناصرى ، فلم أجد فيهم أحدا ناصرى ، وسألت الخواص فاذا هم سكارى من غير كاس ، وسألت فعمى فدلتني على وهمي ، وسألت سرى فقال لأدرى وسألت فؤادى فما بلغنى مرادى ، وسألت قلبى فاستغرق وقال حسبي لا أتكلم ولا أبدي ، ثم قالت يا شبلى من هية ربي لم يبق حى إلا وسألته أن يوصلني إلى ويدلني على فمجز السلك عن لفظي وترك حظي ، فإن كنت يا شبلى تعرف مكانى فقد دعاني ترجماني فقلت لها يا ريحانة قرارة مكانك عند رحيمك ورحمانك ، قال فصرخت صرخة وأتبعها زفرة فخركتها فاذا هي ميتة فأسندتها إلى صخرة وأصعدت في فلاة من الأرض لعل أرى من يعينني على تجهيزها فلم أر أحدا فعدت إلى الأثر فلم أجد لها خبرا لكن رأيت لها نورا تشعشع وبروقا تلعب ، فقلت ياليت شعري ما فعل بهذه الأمة ؟ فنوديت يا شبلى من أخذناه منه في حال حياته غيبناه عن الأعين في مماته . قال الشبلى فلما كانت تلك الليلة رأيتها في المنام فقلت ريحانة ما فعل الله بك ؟ فقالت يا بطل زال العنا ونلنا للمنى وتحققنا مالنا وبلغنا قصدنا

صكوا له صكا إلى النار .

وذكر الترمذى من

حديث عبد الله بن عمرو بن

العاص رضى الله عنهما

قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « إن الله

سيخلص رجلا من أمتي

على رؤوس الخلائق يوم

القيامة فينشر عليه تسعة

وتسعين سجلا كل سجل

مثل مد البصر ، ثم يقول

الله أتنسك من هذا شيئا

أظلمك كتبني الحافظون

فيقول لا يارب فيقول الله

أفلك عذر فيقول لا يارب

فيقول بلى إن لك عندنا

حسنة فانه لا ظلم عليك

اليوم فتمخرج له بطاقة فيها

أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمدا رسول

الله فيقول احضر وزنك

فيقول يارب ما هذه

البطاقة مع هذه السجلات ؟

فيقال إنك لا تعظم . قال

فوضع السجلات في كفة

والبطاقة في كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة

قال فلا يشقل مع اسم الله

تعالى شيء « أى من كان

معه ذكر الله فلا يقاومه

شيء من المعاصى ، بل

يترجم الله ذكره على المعاصى .

وآمالنا ، وإن كنت تريد العز السكلى فمت مثلى :

شهدت بعين الفسك في حان ضرتى ومنذ تجلى للقلوب فجت
سقانى بكاس من مدامة حبه فكان من الساقى خمارى وخمرتى
وخطبى سرا فنادت جهرة ألا يا عباد الله فزت ببغيتى
فغبت عن الأكوام شغلا بنشوتى ونهت عن العشاق جهرا بسكرتى
شغلت بمن أفضى فؤادى محله ولم يك شغلى بالرباب وعلاوة
ولم ترض روحى بالديار وإنما إلى عالم الأسرار زمت مطيقى
فشاهدت معنى لو بدا كشف سره لصم الجبال الراسيات لدكت
وها أنا قد ألهمت قصة شكوتى فوقع فضلا منه غفران زلتى

[قال بعض السادة] حججت إلى بيت الله الحرام فى بعض الأعوام فلما قضيت الحج وأردت

الرجوع رأيت شابا قد نحل جسمه واصفر لونه وخفى رسمه وقد وقف على الراحة وتنفس تنفس الحزين . وقال هل فيكم من يحمل كتاب الغريب الذى طالت غربته واشتدت زفرته وقويت حسرته من أجل عجز أفتت عمرها فى تربيته وطال اشتياقها إلى رؤيتي فهل فيكم من يحمل كتابي ويوصله إلى أحبائي وينغم أجري وثوابي ؟ :

هذا كتابي إليكم مخبرا لكم بأننى لم أطق تسطيرها ييدى
لأن إحداها مشغولة أبدا بمسح دمعى والأخرى على كبدى
فإن تعوضت واستبدلت بعدكم يوما فلا قالنى الرحمن من كبدى
ثم قال بالله عليكم إذا وصلتكم سالمين فأوصلوا إليها كتابي وأخبروها بما بي ثم أنشد يقول :

وقولوا تركنا العامرى مولها بنار الأسى والشوق قد بلغ الجهدا
فإن سألوكم كيف حالى بعدكم فقولوا لهم والله ما نقض العهدا

قال فرق قلبى له وأخذت كتابه من يده وقالت له ما الذى يمنعك عن الوصول إلى والدتك ؟ ،

فقال لى ياسيدى إذا كانت الأقدار تعوق فما يصنع المخلوق ، ثم أنشد يقول :

خرجت وفى أملى عودة ولكننى لست أدرى متى
وإن قد تلذذت فى غربتى بأنس حبيبى لما أنى
ولكننى أرتجى فى غد بها الاجتماع كما شئت

قال فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فاجتمع أهل القافلة إليه ، ثم أفق بعد ساعة وهو يقول : هيهات هيهات إنما توعدون لآت قرب المزار ودنت الديار وكان اللقاء وأن الرحيل إلى دار البقاء ، ثم صرخ صرخة عظيمة أخرى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه . قل فجزناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه وسرنا طالبين البصرة فلما قربنا منها خرج أهل البلد لتلقى غيابهم والتهنئة بسلامة أصحابهم وإذا فى آخر الناس عجوز ضعيفة البصر وقد أضرب بها الكبر قلبها بذكر الله متعش وهى تمشى وترتمش وتقول أما آن قدوم الغائب المنتظر أما له فى القافلة من خبر ؟ . قال ثم نادى يامعشر القادمين هل فيكم حامل كتاب فيه من ولدى خبر أوجواب ؟ ثم أنشأت تقول :

يعود إلى أوطانه كل غائب ونجلى مع الغياب ليس يعود
لقد ذهبت عيناى من كثرة البكا ونيران قلبى بالفراق تزيد
لقد كنت أرجو أن يعود ولتلقى ولكننى عما أريد بعيد

فتضكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك ، واعلم أن من لاسيثة له فله الجنة ، ومن لاحسنة له ، فله النار ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعريض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع قيل إذا تعلق المظلوم بالظالم الأبواب وهو الذى ألق عن الذنب فلم يعد إليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للمظلوم ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا بقصر عظيم يلوح فيقول ما هذا يارب فيقول إنه للبيع فاشتره منى فيقول مامعنى ثمنه فيقول أن تبرى مظلة أخيك فاقصر لك فيقول قد فعلت يارب :

[وحكى] أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى ، فقال له ابنه ما يبكيك

قال فقعدت إليها وقلت لها : أيتها العجوز الحزينة الغريبة الضعيفة الكئيبة معى كتاب من شاب غريب يشكو البعاد ويذكر أن أهله في هذه البلاد ويشتاق إلى أم كانت له كثيرة الوداد ، فعند ذلك صرخت العجوز صرخة عظيمة وقالت هذه والله صفة ولدى الغريب فناولنى الكتاب ليرد ما بقاى من اللهب والا ككتاب . قال فناولتها الكتاب فجعات تقبله وتأمله وتضعه على عينيها وقلها وتقول يارسول ولدى الغريب ما فعل بسيدى الحبيب ؟ فقلت لها قد قضى نحبى ولحقى ربه . قال فلما سمعت أن ولدها أضحى غريبا وحيدا بكت بكاء شديدا ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت سيدى وولاي إنما كنت أحب البقاء فى الدنيا رجاا الاجتماع بولدى واللقاء ، والآن لا حاجة لى بعده فى البقاء ثم صرخت صرخة ووقعت على الأرض ميتة فعزمت على تحميرها وإذا بقائل يقول أسمع صوته ولا أرى شخصه : يا هذا هون عليك فليس أمرها إليك وأنشد يقول :

سأبكي عليكم بالدعوى تأسفا وأندب أياها بوصلى تقضت
ولمقى على ريع خلا من أنيسه وصاح به داعى النوى والتشتت
ودار لنا بالرقتين عهدتها بها كان أحبابى وأهل مودى
ولى زفرات بالغرام تأججت لها فى فؤادى نار شوق أمضت
فإن لم تعودوا إلى وأنظر حسنكم إذا أفض نحي من عذابي وحسرتى
فيامعشر الإخوان رقوا لمدنف غريب بلى بالذل فى أرض غربة
فيارب بالهادى البشير محمد نبى رقى حقا لأرفع رتبة
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا وشفعه فينا فربو خير البرية
عليه سلام الله ما أظلم الدجى وما لاح برق لامع فى الدجسة

قال الأستاذ أبو محمد الفراء : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشئ كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنا ، ورجل يموت على الكفر ، ورجل فى قلبه خوف الفقر . وقال الأستاذ الجنيد : يا معشر الفقراء إنكم تكرمون الله وتعرفون بالله فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتكم به ، وقيل نعمت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره وأداء فرضه ، وصيانة فقره . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام تريد أن تكون لك فى القيامة مثل حسنات الخلق أجمع ؟ قال نعم يارب . قال عد المرضى وكن لثياب الفقراء قال يا جعفر موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يلقى ثيابهم ويعود المرضى .

[قال عبدالله بن المبارك] إظهار التنى فى الفقر أحسن من الفقر . وقيل أقل ما يلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء : علم يسوسه وورع يحرزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه . قال أبو حفص لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ ، وليس السخاء أن يعطى المعدم الواجد ، وقال ابن الجلال : فلولا شرف التواضع كان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر ، وقال بعضهم رأيت القيامة قد قامت وكان قائلا يقول ادخل يا ابن دينار ومحمد بن واسع الجنة . قال فنظرت إليها أيها يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه قد كان له قميص واحد ولما لك بن دينار قميصان ، وقال يحيى بن معاذ : لا يوزن غدا الفقر والتنى إنما يوزن الشكر والصبر فتعالوا نصبر ونشكر :

يا معشر الفقراء رب حاكم لما احتميم عن سواء حماكم
أبدتيمو فقرا إليه وأتممو أركى الورى سبحان من أعطاكم
ماشأنكم فى شأنكم فقر ولا ضرر إذا مولاكم والاكم

ياأبت ؟ فقال يا بنى لست أبكى على الدنيا ولا على نعيمها ، ولصكن على ماأماى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكثود ، وازداد القليل ، والجار الثقيل ، ولا أدري أمحط عنى ذلك الجمل حتى أبائنه القاية أم أثقل حتى أساق إلى النار فلهذا أبكى ومات رحمه الله ، وأنشد بعضهم :

أرأنى إذا حدثت نفسى بتوبة
تعرض لى من دون ذلك عائق

تقضت حياتى فى اشتغال وغفلة

وأهمال سوء كلها لا توافى طردت وغيرى بالصالح مقرب

ودون بلوغى مسلك متضايق

وكيف وزلات السوء كثيرة

أيقرب عبد من مواليه أبى

إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى

عليه الهوى واستأصلته العلائق

وإذا السلوك تذلت لجنايكم
يافوز من صافاكم في يومه ليفوز في غده بصدق ولاكم

ولي حزن يزاد في كل
لحظة

ودمع جفوني للبكاء يساق
فإن تغفر الذنب الذي قد
أثبته

فذاك رجائي والظنون
توافق

علامة ما يولي من الفضل
إن أنا

هجرت لدنا أوقلت إنك
طالق

هنالك يبدو كل سر معظم
ليسنى وتفشاني هناك
الحقائق

فصل : في المرور على
الصراط والحوض قال

الله تعالى : (فورك
لنحسرتهم والشياطين ثم

لنحسرتهم حول جهنم جثيا
ثم لنزعن من كل شيعة

أهم أشد على الرحمن عتيا .
ثم لنحن أعلم بالدين هم أولى

بها صليا . وإن منكم إلا
واردها كان على ربك

حكما مقضيا . ثم تنجي الدين
اتقوا ونذر الظالمين فيها

جثيا) . واختلف في
ورودها فقيل هو الدخول

فيها وهي خامدة فيعبر
المؤمنون وتنهار بغيرهم .

ياأخي من يتصف بأوصافهم ولم يكن بهم مقتديا لا يكون فيه أحد معتقدا . وقيل إنه كان بعض
الشايع معه جماعة من الفقراء المسمين بالصوفية رأى في المنام كأن السماء قد انشقت ونزل جبريل
عليه السلام ومعه ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة بأيديهم الطشوت والأباريق وكانهم
يسبون الماء على أيدي الفقراء وأرجلهم ، فلما بلغوا إلى مددت يدي لصبوا على فصبوا على وعلى
الفقراء الحاضرين . قال سهل رحمة الله عليه ٧ لودخل هذه الصفة بالصدق ولو يوما واحدا حتى أبلغ
إلى السرقه أو غيرها لوجب على نصرته ولو قطع يدي :

ملوك الأرض أبواب الرعايا ونحن عبيد خلاق البرايا إذا رفخوا قدودا كالعوالي
ركنا في قدود كالحنايا وإنا في الثرى وهو سواء إذا نزلت بنا رسل النايا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

المجلس الخامس عشر

في مناقب الأولياء رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي جعل الفقراء صفوة خلقه ، ورفع لهم منزلة وقدر ، وفوا له بالعهد فنشر لهم
في الوجود ثناء وذكر ، زين بهم الزمان وملا بعرف عرفانهم الأكوان عطرا ، جعل قربه غاية
مطلوبهم وصير حبه لكسرفلوبهم جبرا ، نكسوا بين يديه رءوسهم وكسروا بالذل نفوسهم فأجرى
لهم أجرا ، استعذبوا التذيب في رضا الحبيب واستحلوا ما كان مرا ، تاهوا على الوجود ، فجادوا
بالموجود ، وأضحوا في قيود محبة أسرى ، عرضت عليهم الكنوز فرفضوها ، وحدت إليهم الدنيا
فتركوها ، واختاروا فاقة وفقرا ، ابتلاه بالحن فشكروه على هذه المنن ولزموا صبرا ، تحيل عليهم
الشیطان فلم يكن له عليهم من سلطان ولا أطاق لهم كيدا ولا مكرا ، فهم الفقراء إلى الله الأغنياء بالله
الدين حجبتهم عن الأغيار ، ورفع لهم في الأسفار حجابا وسترا :

هم الفقراء عنهم فارو ذكرا	وقف واسمع لهم خبرا وخبرا
بذكرهم القلوب تهيم وجدا	ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
إذا ما الحب ناجاهم تراهم	يميلوا في الدجى طريا وسكرا
وإن سكروا لهم حال عجيب	يحير حالهم عقلا وفكرا
عن الدنيا تجافوا فاستراحوا	وقد قطعوا بها الأعمار صبرا
على وجنتهم كتبوا إليه	بأدمعهم حروفا ليس تقرا
وقد فتمخوا على الأكوان تها	وإعجابا بحالمهم وغفرا *
إذا سهروا تراهم في الدياجي	يدعمون الخضوع لديه جهرا
وإن ناموا تولاهم حبيب	بأسرار القلوب إليه أسرى
حبيب كلما راموا لقاه	تجلى للقلوب وشال سترا
فدعهم ياعنول ولا تلههم	فساقهم بهم لاشك أدري
هم الفقراء والحقراء حقا	هم الأمراء إذا حققت أمرا

[قال أبو الأشهل السائح رحمه الله عليه] رأيت غلاما بطريق مكة شرفها الله تعالى قائما يصلي

عند بعض الأميال قد انقطع عن القافلة . قال : فوقفت أنظره فأطال ، فلما سلم قلت له سلام عليك قال وعليك السلام ، فقلت له إنك قد انقطعت عن الراكب أنك رفيق يؤانسك حتى تلحقه ؟ فبكي وقال نعم . فقلت وأين هو ؟ قال أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي . قال فعرفت أنه عارف . قلت : أمعك زاد ؟ قال نعم . قلت : فأين هو ؟ قال في قلبي إخلاص لي . قلت : هل لك في مرافقتي ؟ قال الرفيق يشغل عن الله تعالى ولا أحب أحدا يشغلني عنه طرفة عين . فقلت فمن أين تأكل ؟ قال الذي غذاني في ظلمة الأحشاء صغيرا قد تسكفل برزقي كبيرا فمتى احتجت إلى الطعام والشراب حضر بين يدي . قلت فهل من حاجة ؟ قال نعم : إذا رأيته بعد هذا اليوم فلا تسكنني ، فقلت ادع لي . قال حج بك الله عن كل معصية وشغلك بما يقربك إليه . قلت فأين اللقاء بعد هذا اليوم ؟ قال ما بقي بعد هذا اليوم لقاء ، فإن كنت من أهل القرب فأطلبني غدا في منازل للقريين ، ثم غاب عني فلم أراه بعدها فأنا متأسف عليه طول عمري :

هو قدحوا العرام بلا زناد فطار الشوق من شغل الفؤاد
إذا لم يطفثوا نيران شوقي بوصل صار قلبي كالرماد
عذولي لا تنزع في العذل وقتي فلت بقاطع جبل الوداد
ويا حادي النياق لأهل نجد إذا ماجزت في تلك البوادي
فقل للحب بالجرعاء عني مقالة مغرم الأحشاء صادى
أياراحي وربحاني وروحي أنسهرني وتسليني رقادى
ظلام الليل أحسن من ضياء إذا نظرت المحب بلا انتقاد
يقوم به المحب إلى حبيب عظيم العفو منسكب الأيادي
وسار العارفون إلى رضا يحثهم البكا والشوق حادى
وقد جعلوا الحنين لهم حديثا وتذكروا الأجابة خير زاد

[قال مالك بن دينار رحمه الله عليه] كان لي جار مسرف على نفسه فاجتمع الجيران إلى يشكونه فأحضرتهم وقلت له : إنه قد كثرت عسيانك ، فإذا أن توب وإما أن أخرج من هذه المحلة ؟ فقال : أنا في ملكي ما أخرج منه . قلت نشكوك إلى السلطان ؟ فقال أنا من أصحابه . قلت : فندعو الله عليك ؟ فقال ربني أرحم بي منك ثم نهض من عندي ، فلما كان الليل رفعت يدي في وقت السحر وقلت : سيدي قد آذانا هذا الرجل فاصنع اللهم به وافعل فتهتف بي هاتف لا تدع عليه فانه من أوليائنا . قال فقمعت من ساعتى وطرقت عليه الباب فخرج وظن أني جئت أخرجه من المحلة فخرج يبكي ويعتذر ويقول : يا سيدي السمع والطاعة أنا أخرج من هذه المحلة . قال فقلت : ماجئت لك لهذا ، وإنما الساعة تضرعت إلى الله تعالى فتهتف بي هاتف لا تدع عليه فانه من أوليائنا ، فبكي بكاء شديدا وتاب وحسنت توبته فأصبح الناس يزورونه ويبركون به وكثروا عليه فخرج إلى مكة شرفها الله تعالى ماشيا فأقام بها فحججت في العام المقبل . فبينما أنا في وقت الظهيرة في المسجد الحرام أستظل بمخاطط وإذا بجماعة قد اجتمعوا في جانب المسجد فقمعت إليهم فإذا هم قد أحرقوا رجلا فتألمته فإذا هو صاحبى وهو ملقى على التراب وهو يجود بنفسه فجلست عند رأسه أبكي ففتح عينيه فرآني فقال يا مالك ترى يعفو عن تلك السيئات ويرحم هذه العبرات إنما خرجت من تلك المحلة وفارقت وطني وأهلى حياء منك وأنت مخلوق مثلى فكيف أقف غدا بين يدي الخالق ثم تنفس ومات رحمه الله عليه [كان وكان]

ما كل وصل يواصل ولا العنا يدنى لنا هذى سوابق لواحق لمن يشا الوهاب

وقيل هو الجواز على الصراط فانه ممدود عليها وصححه النووي رحمه الله ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أو حذيفة بعد ما ذكر حديث الشفاعة التي لجأ الناس إليه صلى الله عليه وسلم فيها وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد . قال « فيأتون محمدا فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميننا وشمالا فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الریح ثم كمر الطير وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبىكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول : رب سلم رب سلم حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة بأمرورة بأخذ من أمرت فخدوش ناج ومكدوس في النار ، والذي نفس أبى هريرة بيده إن قرع جهنم لسبعون خريفا » قال في إكمال المعلم تفسيره الحديث الآخر « إن الصخرة العظيمة لتلقى

قل لي إذا لم تصبر وتحتمل إيش لك عمل تقدر بقوة عزمك تغالب الغلاب
سلم قيادك تسلم واخضع لمالك مهجتك إذا عنى بك أتى بك من أقرب الأبواب
كم من موفق تائب قد بان له سبل الهدى وكم شقى عاصى إلى الساعة ماتاب
ويحك عروس النايا لبيت لحدك خبت وذا مشييك وافي في جملة الخطاب
كأس النايا دأب على البرايا كلهم فقل لمن هو حاضر يقل لمن قد غاب
غدا تبين القضاء ويشهر من قد جنى وفي القيامة ينادى هل من قصدنا خاب
[وحكى عن الجنيد رحمة الله عليه] قال : سافرت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام فبينما أنا

في الطريق وإذا بصوت موزون من كبد محزون فبادرت إليه وسلمت عليه فقال لي وعليك السلام يا جنيد فقلت له يا حبيبي ومن أعليك باسمي ؟ فقال التقت روحى وروحك في الملكوت فأعلمني باسمك الحى الذى لا يموت ثم إنه قال يا جنيد إذا أنا مت فغسلنى وكفننى في ثيابي هذه واطلع على هذه الراية وناد الصلاة على الغريب يرحمكم الله . قل وإذا بالشاب قد عرق منه الجبين واشتد به الأنين ، فقال بالله عليك يا جنيد إذا أنت قضيت حجاجك ورجعت فارجع إلى بغداد واسأل عن درب الزعفرانى واسأل عن أمى وعن ولدى وقل لهم الغريب يقرئكم السلام لا إلى بيته أوصله ولا معكم تركه وإذا أنا بالشاب قد فارق الدنيا رحمة الله عليه . قال الجنيد : فغسلته وكفنته وطلعت على الراية وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله وإذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق فصلينا عليه وواريناه تحت التراب فلما قضيت حجاجى رجعت إلى بغداد وسألت عن درب الزعفرانى فأرشدت إليه وإذا أنا بصبيان يلعبون فنهض إلى من بينهم صى وقال لي يا عماء اهلك أنت الذى أتيت تخبرنا بموت والدى ؟ قال الجنيد فمعجبت من كلام الصبي وأخذ يدي وأتى بي إلى الدار فطرقت الباب فخرجت إلى عجوز وقالت يا جنيد أين مات ولدى ؟ لعله مات بعرفة قلت لها لا . قالت لعله مات بالبادية تحت شجرة أم غيلان قالت لها نعم . فقالت يا ولده لا إلى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم تأوهت وأشدت تقول :

أرأيت كيف جنى على زمانى وبأى سهم بالبعاد زمانى فارقت أحبابا على أعزة
كانوا بقلبي فى أعز مكان فرزيت بعد فراقهم برزية فمحت أصول السر من كتمانى

فلئن بكيت ولم تفرض عيني دما لفراقهم يوما فلما أفسانى
فتفلسوا الصعدا وقالوا يافى أفرحت جفن العين بالمحلاى
ما أنت أول من مضت أحبابه وجرت عليه نواب الخدان
الدهر ما يسبق بحال واحد لا بد من فرح ومن أحزان

ثم شرفت شهقة ففارقت الدنيا فنظر الصبي إليها ، وقال : اللهم لامع أبى أخذتنى ولامع جدتى خلفتنى إلهى الخلقى بهما إنك على كل شىء قدير . قال فشرق الصبي شهقة فمات رحمة الله عليهم أجمعين :

مدامعى تجري كفيض الغمام وقد جفا جفنى لذيد المنام
من أجل جيران لنا قد نأوا والوجد عندى بعدهم قد أقام
كم قالت للحادى وقد جد فى سير المطايا لبـ دور التمام
بالله قف بى ساعة نشتنى ونشتكى الشوق لأهل الحيام
ما كان أهنى عيشنا بالحى لله طيب العيش لو كان دام

[قال أبو بكر بن الفضل رحمه الله] سألت بعض أصدقائى ، وكان أصله روميا عن سبب إسلامه فامتنع أن يحدثنى فمازلت به حتى حدثنى قال : نزل بنا عسكر المسلمين فحاصرونا سنين فخرجنا إليهم

في شفيع جهنم فتهاوى فيها سبعين عاما حتى تفضى إلى قرارها . وفى صحيح البخارى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا عذبوا وتهاوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحد هم أهدى لمنزله في الجنة منه لمنزله كان في الدنيا » وفى رسالة القشيري قال معاذ بن جبل : إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم . وكان أبو ميسرة رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدننى ، ثم يبسكى فقيس ما يبكيك ؟ فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها ، وبكى عبد الله بن رواحة وقال : آية أنزلت ينبئني فيها ربى أنى وارد النار ، ولم ينبئني أنى صادر عنها ، فذلك الذى أبكاني .

وقالتناهم قتلوا منا وقتلنا منهم جماعة وأسرنا منهم جماعة كما جرت عادة العساكر في القتال فأسرت
أنا وحدي عشرة من المسلمين وكانت لي في الروم الميزة العظمى فسلمت العشرة إلى غلماني فقيدهم
وحملوهم على البغال ، فرأيت في بعض الأيام أحد الموكلين بهم قد أخذ من أحدهم شيئا وتركه يصلي
فأخذت الموكل به وضربته وقلت أخبرني ما الذي أخذته من هذا الأسير؟ فقال: إنه في وقت كل صلاة
يدفع إلي دينارا وأطلقه يصلي فقلت وهل معه شيء؟ قال لا ولكنه إذا صلى وفرغ من صلاته ضرب
الأرض بيده ودفع إلي دينارا فأحببت أن أعرف حقيقة ذلك فلما كان من الغد لبست ثياب الموكل
ووكلت نفسي بذلك الرجل وقلت للموكل به رح عنه فاني اليوم أتوكل به حتى أنظر حقيقة ما ذكرت
لي ، فلما كان وقت صلاة الظهر أومأ إلي أنه يريد الصلاة ويدفع إلي دينارا فقلت لا تأخذ إلا دينارين
فقال نعم فتركته فصلى فلما فرغ من صلاته رأيته وقد ضرب بيده الأرض ودفع إلي دينارين جديدين
فلما جاء وقت صلاة العصر أشار إلي كلمرة الأولى فأشرت إليه لا تأخذ إلا خمسة دنائير فقال نعم فتركته
فصلى فلما فرغ من صلاته ضرب بيده الأرض فأعطاني خمسة دنائير جددا . فلما كان وقت صلاة الغروب
أشار إلي كمادته فقلت لا تأخذ إلا عشرة دنائير فقال نعم ثم صلى . فلما فرغ من صلاته ضرب بيده
الأرض فأعطاني عشرة دنائير جددا . فلما كان وقت صلاة العشاء الآخرة أشار إلي على عادته فقلت
لا تأخذ إلا عشرين دينارا فقال نعم وقام فصلى . فلما فرغ من صلاته ضرب الأرض بيده ودفع إلي
عشرين دينارا جددا . وقال اطلب ماشئت فإن سيدي غني كريم لا يبخل علي بما أسأله فيه فبتت تلك
الليلة وقد داخلني من أمره شيء عظيم وعلمت أنه من أولياء الله تعالى فيهمته ودخلني منه هبة عظيمة
ففسكت قيده من رجليه . فلما أصبحت دعوته وبجلته وأكرمه وألبسته ثوبا جديدا كان علي حسنا
وخيرته في الإقامة عندنا في بلادنا في أعز مكان وأكرم محل ويكرم غاية الإكرام والرجوع إلى بلاد
الإسلام فاختار الرجوع إلى بلده فأحضرت له بغلا ودفعت له زادا وحملتة بنفسى على البغل فقال لي
توفاك الله على أحب الأديان إليه . فوالله ما استم هذه الكلمة حتى وقع دين الإسلام في قلبي ثم أنفذت
معه من وجوه أصحابي وغلماني عشرة وأوصيتهم بإرساله إلى بلده مبعجا معظما مكرما بحيث لا يسوء شيء
ولا يعترضه عارض وأن يعتلوا منه جميع ما يأمرهم به ويفعلوا له كل ما يختاره ولا يخالفوه في شيء يريد
ودفعت إليه دواة وقرطاسا وجعلت بيني وبينه علامة يكتبها إلى إذا وصل سالما إلى أمانته ، وكانت مسيرة
ما بيننا وبين بلاده خمسة أيام . فلما كان اليوم السادس قدم أصحابي علي ومعهم القرطاس مكتوبا بخطه والعلامة
أقرب بيني وبينه في القرطاس فسألته عن سرعة حضورهم فقالوا: لما خرجنا من عندك وهو معنا وصلنا
في ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب أصابنا وأقمنا في الحجى خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت
عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دين الإسلام حق ثم خرجت من
بلاد الروم إلى بلاد الإسلام وصار أمرى إلى ماصار إليه ، والمحمد لله على الهداية والتوفيق:

هكذا الأولياء عزوا وذلوا وأشاروا إلى الطريق فدلوا فهمو للأمان مزن وغيث
وهمو للقلوب برد وظل هجرو الخلق في رضاه وساحوا ليس للقوم في الخلائق خل
وصلوا الصوم والصلاة فهما مل ذو السكد كده لم يملوا حسبوا أنهم كثير فلما
طلبوا في مهامه الأرض قلوا فبهم يدفع البلاء عن الخلق وهم من أهلها حيث حلوا
إلهمي إن كنت لا تحرم إلا المجتهدين فمن للعصرين ، وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للخططين
وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن للسيئين ، إلهي توسلنا إليك بحسن الظنون فاعف عن جميع زلاتنا
يا من لا تراه العيون ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السادس عشر

في قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي حوضاً وإنهم ليقبضون أيهم أكثر واردة ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » . وفي صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أما فرطكم على الحوض من مرى على يشرب ومن شرب لم يظم أبداً ، ليردن على أنوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم » وزاد أبو سعيد الخدرى . فقال : « فأقول إنهم ، فى ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي » قوله لم يظم : أى لم يعطش ، وفيه أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وفيه أن الواردين المارين عليه كلهم يشربون وإنما يمنع الذين ينادون عن الورود والمرور عليه ، وسحقاً : أى بعداً ، وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين لأنه يشفع للعصاة

الحمد لله العلى المجيد ، الولي الحميد ، المبدى العبد ، الفعال لما يريد للتوحد في جلال كبريائه من غير تكليف ولا تحيد ، الذى لا ينفد ملكه ولا يبيد ، خالق الخلائق وسلوكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد ، فصورهم فأحسن صورهم وبشرهم في الجنة بالتنعيم والتخليد ، بصرهم بعين الاعتبار وحذرهم عذاب النار والوعيد ، وألزمهم شكره ، وضمن لهم من فضله المزيد ، وحكم عليهم بالموت لما لأحد عنه محيص ولا محيد ، فكلم أئكل خليلاً بفراق خليله ؛ وكلم أئتم ولداً وشغله ببيكاته وعويله ، فهو لا يبدى بعد رحيله ولا يعيد ، حكم بالموت على أهل هذه الدار وجعلهم غرضاً لسهام الأقدار ، الأحرار منهم والعبيد ، أوحش المنازل من أبقارها ، ونثر طيور الأرواح من أوكارها ، وعوضهم عن لذة العيش بالتنغيص والتنكيد ، فالملك والملوك والغنى والصملاوك كلهم سواء في القفر والبيد ، فسبحان من أذل بالموت من الجبارة كل جبار عنيد ، وكسره من الأكاسرة كل بطل صديد ، أخرجهم من سعة القصور ، إلى ضيق القبور ، وقطع جبل أمدهم المديد ، أخذ به الآباء والجدود ، والأطفال من اليهود ، وأسكنهم اللحد ، وغفر وجوههم في التراب والصعيد ، وساوى في الموت بين الصغير والكبير ، والغنى والفقير والمأمور والأمير والولد والولد ، أحمده ذكر الذكور والإناث فهم في سجن الإحداث إلى يوم الوعيد ، أفلا يعتبر العاقل بمصرعهم ، وقد ساروا بأجمعهم إلى منازل التفريد ؟ أين أهل المدن والحصون أين أرباب المعاني والفنون ، أين المتحصنون بكل حصن منيع ، وقصر مشيد ؟ ، أما أصبح منهم ذو الشدة والبأس بعد القرب والائناس ، فى ظلمة اللحد وهو وحيد ، أما وعظهم الموت بمن أخذ منهم من شق وسعيد ، وقريب وبعيد ، أما أنذرهم قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[كان وكان]

ويحك تنبه لنفسك واعمل لما تلقى غدا فالموت يأتي بغتة وليس له عنه محيد
من لك إذا ما ملك من كان يهوى محبتك وحزت لحدك وحدك مفلس غريب وحيد
إن كنت يا صاح نائم يوم القيامة تنبه إذا رأيت الخلائق فى موقف التهديد
وقيل لك اقرأ كتابك كفى بنفسك شاهده وقد أتيت الموقف بسائق وشهيد
ندع دموعك تجري قبل أن يقال بين الملا ألم تكن قبل تدري أن الحساب شديد
ترى الخلائق حيارى من هول ما قد شاهدوا وليس تدري من هو منهم شق أو سعيد
فمن أطاع المولى فذاك منه قد قرب ومن عصاه وخالف فذاك منه بعيد
كل القلوب قد لانت لكن قلبى قد قسا كأن قلبك أضحى بين القلوب حديد
ويحك فراق ربك واسمع كلامى واتعظ عسى قساوة قلبك تلين بالتشديد
فيا غافلاً عن الموت وقد هدم ركن عمره للشيد ، إلى متى أنت فى نوم غفلتك لا تبدى ولا تعيد ، أما هيجك الوعد أما أنذرك الوعيد ، أما سمعت قول العزيز الحميد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) قوله تعالى « وجاءت سكرة الموت بالحق » يريد بذلك وعد الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ظهور ملك الموت وجنوده وانشقاق السقف وأن يكشف له عن مقعده إما فى الجنة أو فى النار ، وذلك عند محيى سكرة الموت ، وهو الحق الذى ذكره المصطفى

صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالغيب ، ثم من بعده سؤال القبر بمنكر ونكير ، وهو أول ما يلقى
 لليت إذا أُلحِد . وأما سكرة الموت فهو اسم مفرد للجنس لأن الموت سكرات . ولما كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يعالج سكرات الموت ، كان يقول « إن للموت سكرات » وسكرات الموت بحسب كل
 شخص بما فعل في دار الدنيا ، وسُميت سكرة لأنها تذهل العقول عند ظهورها فيبقى الإنسان كالسكران
 وذلك أن أعمال العبد تظهر له عند الموت صفاتها في الحسن والقبح يريد جزاء العمل . فلقتاب
 تقرض شفاؤه بمقاريض من نار ، والسماع للغة يسلك في أذنيه نار جهنم ، والظلم تنفرد روحه
 بكل مظلوم ، وآكل الحرام يقدم له الزقوم ، وكذلك إلى آخر أفعال العبد كل ذلك يظهر عند
 سكرات الموت ، فليت يحوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها تقبض روحه وهو قوله تعالى (ذلك
 ما كنت منه تحيد) يعني تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء في دار الدنيا . وعن أبي سعيد الخدري
 رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أناسا يضحكون فقال أما إنكم لو ذكرتم
 هاذم الذات لشغلتم عما أرى ثم قال أكثروا من ذكر هاذم الذات وإنما القبر روضة من رياض
 الجنة أو حفرة من حفر النار » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب
 حدثنا عن الموت ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل
 شوكه بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فجذبها جذبة شديدة فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى .
 وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال : كان أبي رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول :
 إني لأعجب من الرجل نزل به الموت ومع عقله ولسانه كيف لا يحدث به ويصفه ؟ قال : فلما نزل به الموت :
 قلت له يا بئس كنت تقول كذا وكذا قال يا بني الموت أعظم من أن يوصف ولكن سأصف لك منه
 شيئا ، واهل لكان على كتفي جبال رضوى وتهامة ولكان روحى تخرج من ثقب إبرة ولكان
 في جوفى شوك القناد ولكان السماء أطبقت على الأرض وأنا بينهما . وروى عن عيسى عليه السلام
 أن بنى إسرائيل أنوا إلى قبر سام بن نوح عليه السلام فقالوا له يا روح الله ادع الله تعالى أن يحيى لنا
 صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت فجاء عيسى عليه السلام إلى قبره فصلى ركعتين ، ودعا
 الله تعالى أن يحيى سام بن نوح فأحياه الله تعالى فقام وإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا فقال له ماهذا
 الشيب فإنه لم يكن في زمانك ؟ قال سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من
 الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة وما ذهبت مرارة الموت عني . وقال وهب
 ابن منبه رضى الله عنه بلغنا أنه مامن ميت يموت حتى يرى الملسكين الذين كانوا يحفظان عمله في الدنيا ،
 فإن صحبهما بخير قالوا جزاك الله عنا خيرا ، فكم من مجلس خير قد أجلسنا وعمل صالح قد أحضرنا
 وإن كان رجل سوء قال له لا جزاك الله عنا خيرا فكم من مجلس شر قد أجلسنا ومن كلام سوء قد
 أسمعنا قال فذلك الذى يشخص بصر الميت ثم لا يرجع إلى الدنيا أبدا . وروى عن البراء بن عازب رضى
 الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فأتينا إلى القبر
 ولم يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ويده عود
 ينكت به الأرض فرفع رأسه وقال استعينوا بالله من فتنة القبر ومن عذابه مرتين أو ثلاثا ثم قال :
 إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة واقطع من الدنيا نزلت إليه اللائكة بيض الوجوه
 كأن وجوههم الشمس معهم كف من أكلان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مدة
 البصر ثم يحيى ملك الموت فيجلس عند رأسه ويقول : أيتها النفس المطمئنة الزاكية اخرجى إلى

وهم بأمرهم ولا يقول
 لهم مثل ذلك . وفي صحيح
 البخارى عن أبي هريرة
 رضى الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال :
 « بينا أنا قائم عند الخوض
 إذا أقبل إلى زمرة حتى
 إذا عرفتهم خرج رجل
 من بيني وبينهم . فقال لهم
 فقلت إلى أين ؟ قال
 إلى النار والله ، قلت :
 ما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا
 بعدك على أدبارهم القهقري
 ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم
 خرج رجل من بيني وبينهم
 فقال لهم فقلت إلى أين ؟
 قال إلى النار والله ، قلت :
 ما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا
 على أدبارهم القهقري فلا
 أراه يخلص فيهم إلا مثل
 حمل السم . قال السكراني
 في السكواكب الدراري :
 والهمل بفتحيتين : ما يترك
 مهملا لا يتعهد ولا يرضى
 حتى يضيع ويهلك ؛
 أى لا يخلص منهم من النار
 إلا قليل ، وهذا مشعر
 بأنهم صنفان كفار وعصاة .
 وفي صحيح مسلم عن أبي
 هريرة رضى الله عنه

مغفرة الله ورضوانه قل فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونها ولا يدعونها في يده طرفة عين فيجعلونها في ذلك السقف والحنوط فيخرج منها أطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ماهذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في عليين وأعيدوه إلى الأرض (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم أهو رسول الله ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك به ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته . قال فينادي مناد من السماء : صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وروحها ورائحتها ويفسح له في قبره مدَّ البصر ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الرائحة فيقول له : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده . فيقول من أنت ؟ فيقول : أنا عمالك الصالح ، فيقول : ربِّ أقم الساعة شوقا إلى ما يرى من النعم » :

نحن في عيشة الوصال الهنيئ
نحتلى الراح في الكؤوس السنيئ
قد هجرنا دار الفناء وسرنا
لديار حياتها أيدي *
آنستنا هياكل النور لما
فارتقتا الهياكل البشرية
وسمعنا الخطاب طيبوا فلاحز
ن عليكم ولا تخافوا مني
قد حظيت برؤيتي وخطابي
وسكنتم دار الجنان العلي

[قال] وأما العبد الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت إليه ملائكة سود الوجوه ومعها السوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يحيى ملك الموت فيجاس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه فتفرق في الأعضاء كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فتقطع الأعضاء كلها فيأخذها فلا يدعونها في يده طرفة عين فيأخذونها فيجعلونها في تلك السوح وتخرج منها رائحة منتنة كأنهن رائحة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : هو فلان بن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ويقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في سجين ثم تطرح روحه طرعا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يشرك بالله فسكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ، ثم يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لأدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لأدرى ! فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لأدرى ! فينادي مناد من السماء : كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيدخل عليه من حرها وسومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مننن الريح فيقول له : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده . فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عمالك الخبيث السيء في دار الدنيا فيقول : رب لاتقم الساعة » :

قال «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى القبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . وددت أنا قد رأينا إخواننا . قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال بل أنتم أعمامى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد . قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : رأيته لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزدان رجال عن حوضى كما يزداد البعير الضال أناديهم : ألا هلم ألا هلم ، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا » . وفي كتاب الترمذى عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم « حوضى من عدن إلى عمان الباقاء ، ماؤه أشدَّ بياضا من اللبن وأحلى من

واطول حزن الأنفس الشقية إذا أتاها طارق النية
وياحيها ساعة العرض على علم أسرار الورى الخفية
ماحلتها إن دخلت دار البقا وخلدت في نارها مجزية
وألبست من السعير حلة لم تبق من أوصافها بقية
أعمالها خبيثة من أجل ذا خست بدار الحزن والرزيه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سكرات الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وإن بعده سبعين هولاً كل هول أشد من الموت بسبعين ضعفاً» وقال الحسن البصري رحمه الله عليه: فكرت ليلة في الموت والقبر فرأيت تلك الليلة كآتي في القابر والأدوات في لجوهم ولهم فرش ورائحة طيبة فقلت من هؤلاء؟ فقلت لي: هم المطيعون وهم في كرامة الله إلى يوم يبعثون. قلت: فأين المذنبون؟ فقلت لي غارت بهم الأرض في ظلمات الوحشة ومهاوى القطيعة لا يرون ولا يرون، شتان بين الطائفتين من كانت الدنيا سجنه كان القبر فرجه، ومن كانت فرجه كان القبر سجنه ومحتته، مانالوا حلالة الوصل وراحة الوجد إلا بعد مرارة التعب، ما طربوا على سماع الإيقاع إلا بسد السمع، ولا شاهدوا وجه الجلال إلا بفض البصر، ولا سكروا من المحبة إلا بعد شراب الشوق:

عج بالمعالم والربوع وأسأل بهن عن الجوع
من سادة في دهرهم صبروا على الضيم القطيع
أين الذين عهدتهم يادار في العز المنيع
إن لم تجبك ديارهم عن ذا ولا القصر الرفيع
فلسان حالهم يقو ل أما نظرت إلى الربوع
قد أصبحت مهجورة من بعد منظرها البديع
هيئات أن يسجو غدا يوم الحساب سوى المطيع

[إخواني] ماهذه الغفلة وإلى البلى المصير! وما هذا التواني والعمر قصير! وإلى متى هذا التماهي في البطالة والتقصير؟ وما هذا الكسل وقد أُنذرتك النذير؟ خلقك الله عن باب الحبيب سوء التدبير فإلى متى تتبرجج والناقد بصير! يا هذا جولانك في البطالة حيرك، وركونك إلى اغترارك غيرك، وهروبك عن صورتك إلى النار صيرك! أنسيت مصرعك في القبر لا بد لك، وقد سود العصيان قلبك وبد لك! أمانتك ساعة يعرق لها لولها الجبين، وتخرس من جأها الألسن، وتقطر قطرات الأسف من الأعين، فتذكروا رحمكم الله فالأمر شديد، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد).

[إخواني] أين أحبابكم الذين سلفوا، أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا، أين أرباب الأموال وما خلفوا، ندموا على التفريط باليهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) واعجبا كلما دعيت إلى الله توائمت، وكلما حركتك المواعظ إلى الخيرات أبييت وتماذيت، وكلما حذرَكَ النون فما انتهيت، يا من جسده حي وقلبه ميت ستعابن عند الحشرات ما لا تريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يا أخى كم أزعج النون نفوساً من ديارها، وكلما أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها، وكلما نقل إلى الخفاير أرواحاً بأوزارها، وكلما أدل في التراب خدوداً بعد مزارها. فإليك يا أخى على نفسك قبل بكاء لا يفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) انتبه يا هذا فالله الدنيا أضغاث أحلام، ودار الفناء لا تصلح للمقام

العسل وآتيت عدد نجوم السماء، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعات ولا تفتح لهم السدد» فقال عمر بن عبد العزيز: لكنى نكحت متنعات وفتحت لي السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، لاجرم أن لا أغسل رأسي حتى يتشعث وأن لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ. وفي صحيح البخاري: كان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نقسن عن ديننا.

[واعلم] أن الحوض لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم على باب الجنة يسقى منه المؤمنون، وهو مخلوق اليوم. فتب يا أخى إلى ربك واتقه ليخرجك من همك واسأله أن يقيك من فتنة تقع في دينك فتفاد عن حوض نبيك.

قيل إن الله ستر ثلاثا في ثلاث: ستر رضاه في طاعته فلا يحقرن أحدكم من الطاعة شيئا قرب محقر من الطاعة فيه رضا الله ، وستر غضبه في معصيته فلا يحقرن أحدكم شيئا من المعصية قرب محقر من المعصية فيه غضب الله ، وستر وليه في خلقه فلا يحقرن أحدكم أحد من خلق الله قرب من لا يؤبه له وهو ولي الله ، وستر أيضا رابعا وهو الإجابة في الدعاء فلا يحقرن أحدكم شيئا من الدعاء على أي حال كان وفي أي موطن كان :

قف على الباب طالبا
وذر الدمع ساكبا
وتوسل إليه وار
جمع عن الذنب تائبا
تلق من حسن صنعه
عند ذاك العجائبا
لا تخف أن ترد عن
كرم الله خائبا
فهو يجزي على اليسر
سرويعطى الرغائبا
شرف المرء بالتقى
فاجعل الصدق صاحبا

(١) غافسه : أي فاجأه وأخذته على غرة أهقاموس

ستفهم قولي بعد قليل من الأيام ، وما غاب عنك بعضه ستره على التام ، إذا جاء الكشف وذهب التقليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ويحك أما علمت أنك ترحل في كل مرحلة ، أما علمت أنه يحصى عليك من الأعمال خردلة وكم من مؤمل خانته في الحساب ما أمله غافسه (١) من القضاء وعاجله ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامرضا عن المولى إلى متى هذا الإعراض ، وقد ولي شبابك في طلب الأعراض ، أما علمت ويحك أن عمرك في إعراض وقواك كل ساعة في انتقاض ، ويحك تزود فالسفر والله بعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامن يجلس في المجالس وقلبه في الأسباب ، يامن تنقضي المواعظ وهو ماتاب ، يامن كسته المعاصي ظلمة الحجاب ، يامن أغلق الهوى في وجهه الأبواب ، نوح على نفسك فرما ينفع التعديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أما علمت أن الموت لك بالمرصاد ، أما صاد غيرك ولك سيصطاد ، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد ، أما حذرك غفلتك عنه في كل موطن وواد ، أما سمعت قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) عباد الله تدبروا القرآن المجيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، ولازموا طاعة الله فهذا شأن العبيد ، واحذروا غضبه فكم قسم من جبار عنيد (إن بطش ربك لشديد) أين من بنى وشاد وطول وتأمر على العباد وسار في الأول ، وظن جهلا منه أنه لا يتحول ، فسقوا اذ فسقوا كأسا على هلاكهم عول آتاهم لم يسمعوا الإذار بالموت والتهديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فيامن أنذره يومه وأمه وحادثه بالعبر قرره وشمسه ، وهو مصر على الخطايا وقد دنا رسمه ، وهو غافل عما جاء بالزجر والوعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أما علمت أيها الإنسان ، أنك مسئول عن الزمان ، ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللسان ، وتشهد عليك الجوارح والأركان ، بما فعلت في زمن الإمكان ، أما علمت أن الموت لك بالمرصاد ، وهو أقرب إليك من جبل الوريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فيامن ينظر العبر بعينه ويسمع للمواعظ بأذنيه ، وكله مهدودة عليه ونذير الموت قد دنا إليه بالاسراع والتأكيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق وتأسفت على ترك الأول والآخر الأسف الشديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) [كان وكان]

ويحك تهدم عمرك وربع قلبك قد خرب أما ترى الشيب أبيض والقلب في التسويد
من عن عينك كاتب لكل خير فعله كذا لك للشر حاسب على الشمال قعيد
تروغ مثل الثعلب إذا أشرت بتوبتك وإن بدت لك شهوة وثبت كالصنديد
ويحك تقرب قلبك إلى سبيل الموعظه عسى قسوة قلبك تايين بالتشديد
فكل قلب قاسي يلين عند الموعظه يرجى له الخير فافهم إشارة التجريد
إن كان مالك عده ولا سلاح يحملك فأحرص عسى تسلم لك علامة التوحيد
إلهي إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك ، فإن حسن الظن قد أطمعنا في ثوابك ، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك ، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك : إلهي إن كنت لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين ، وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للمخطئين ، وإن كنت لا تكرم إلا الحسنين فمن للمسيئين ، إلهي ما أعظم حسرتي أذكر غيري وأنا الغافل ، مولاي ما أشد مصيبتني أنه غيري وأنا النائم ، سيدي ما أبلغ قصتي أذل غيري وأنا الخائر ، إلهي جد بالعفو على مذكري متكلف وسامع

متخلف ، إلهى إذا دلالت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتي اليك أترك تقبل المدلول وتترد
الدليل ، إلهى إن لم يكن كلامي خالصا لوجهك ففي مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تصيرى
بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السابع عشر

في إثبات كرامات الأولياء رضى الله عنهم

الحمد لله الذى نصب لأهل محبته على باب خدمته خياما وأعلاما ، فإذا نامت الخلق جذبهم إليه
فباتوا بين يديه سجدا وقياما ، فما أحسنهم أول الليل خداما ، وما ألطف شئائهم آخر الليل ندائى ،
فلو رأيتمهم وقد فتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب وأنعم عليهم بمشاهدته إنعاما :

حادي الركب إن وصلت الخياما أقرعنى تلك الوجوه السلاما

قبل الأرض ثم قل أنا والله على العهد ما نقضت اللهاما

كيف أختار مذر حلتهم بديلا وهو أكم بمهجتي قد أقاما

[اعلم] إن من أجل الكرامات التى تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من
المعاصى والمخالفات ، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات للأولياء قوله تعالى فى قصة
مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا
قل يا مريم أتى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وقال تعالى
لمريم عليها السلام (وهزئى إليك بمذبح النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وكان ذلك فى غير أوان
الرطب ، ومن ذلك ما ظهر للخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه
مما خفى سره على موسى عليه السلام كل ذلك أمور خارقة للعادة اختص الخضر بها ولم يكن نبيا ،
وإنما كان وليا . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « بينا رجل يسوق
بقرة قد حمل عليها التففت إليه وقالت إنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث » . وقال الحسن البصرى :
رحمة الله عليه كان بعبادان رجل فقير أسود يأوى الى الخربات فحصل معى شئ فطلبتة ، فلما
وقعت عينه على تبسم وأشار بيده الى الأرض فصارت الأرض كلها ذهباً تلعب ، ثم قال هات ما معك
فناولته وهالتي أمره فهربت . وعن أبي يزيد ، قال دخل على أبو على السندى وكان أستاذه ويده
جراب ففصها فاذا هى جواهر فقلت له من أين لك هذا ؟ قال وائيت واديا ههنا فإذا هو يضىء
كالسراج فحملت هذا منه فقات : كيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى . قل وقت فترت عن
الحالة التى كنت فيها . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أ كبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما
من أخلاقك بخلق حسن . وقال ذوالنون المصرى : رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود
فدنوت منه وقلت له : إنك لتكثر الصلاة . فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف . قال فرأيت
رقعة سقطت مكتوب فيها من العزيز الغفور الى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر . وقال جابر الرجبى رحمه الله كان أ كثر أهل الرحبة على الإنكار فى باب الكرامات
فركبت السبع يوما ودخلت الرحبة . وقلت : أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى ؟ قال فكفوا
بعد ذلك عني ، وقال بكر بن عبد الرحمن رحمه الله كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فزلنا تحت
شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الوضع لو كان فيه رطب ! فتبسم ذوالنون ، وقال تشتهون رطبا
وحرك الشجرة ، وقال أقسمت عليك بالذى أنبتك وخلقك شجرة إلا ما نثر علينا رطبا جنيا ثم

واحتشم أن يراك رب

لك للذنوب راكبا

إن للدهر أسهما

للرزايا صوائبا

وخطوبا تنابت

فثارت نوابيا

فارض بالله واعتصم

واسأل الله راغبا

(فصل : فى الشفاعة)

قال الله تعالى (يومئذ

لانفع الشفاعة إلا من

أذن له الرحمن) . وقال :

(ولا يشفعون إلا لمن

ارتضى) ذكر أبو بكر

البراز عن النبي صلى الله

عليه وسلم ، قال « يحمل

الناس يوم القيامة على

الصراط فيتفادع بهم جنبا

الصراط فتفادع الفراش

فى النار ، ثم يؤذف

اللائكة والبيّن والشهداء

والصالحين فيشفعون

ويخرجون من فى النار » .

روى فى الصحيح « إن

أول من شفّع المرسلون ،

ثم النبيون ، ثم العلماء »

وفى كتاب الترمذى :

قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « يدخل الجنة

بشفاعة رجل من أمتى

كثير من بنى تميم ، قيل

حركها فنثرت رطباً فأكلنا وشبعنا ثم نمنا واتينا وحررنا الشجرة فنثرت علينا شوكة :

أيامن كلما نودى أجابا ومن بحلاله ينشئ السحابا وكلم في الدجى موسى بلطف
كلما ثم ألمه الخطابا ويامن رد يوسف بعد بعد وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويامن خص أحمد واصطفاه وأعطاه الرسائل والكتابا وقربه وسماه حبيباً
وأعتق في شفاعته الرقابا لك الفضل المبين على عطاء مننت به وضاعفت الثوابا

يا رسول الله سواك ؟ قال
سواي « وفي مسند الزار
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن من أمتي
من يشفع للفقام من
الناس ، ومنهم من يشفع
للعصبة ، ومنهم من يشفع
للقبيلة ، ومنهم من يشفع
للرجل وأهل بيته »
وروي الدارقطني عن
أبي أمامة قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « نعم الرجل أنا
لشرار أمتي ، قالوا كيف
لخيرها ؟ قال أما خيرها
فيدخلون الجنة بأعمالهم
وأما شرار أمتي فيدخلون
الجنة بشفاعتي » وروي
عن عوف بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أتاني آت من
عند الله يخبرني بين أن
تدخل نصف أمتي الجنة ،
وبين الشناعة فاخترت
الشفاعة ، وهي لمن مات
لا يشرك بالله شيئاً » . وفي
الوسيط للواحدى عن
جابر قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يقول « إن الرجل يقول

وقيل كان جماعة مع أيوب السخيتاني في سفر قاعياهم طلب الماء . فقال أيوب أنسترون على
ماعشت ؟ فقالوا نعم فدور دائرة فنبع الماء ، قال فشربنا فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن
زيد ، فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم . وقيل حج سفيان الثوري مع شيبان
الراعي فعرض لهما سبع . فقال سفيان لشيبان أمتري هذا السبع ؟ فقال لا تخف فأخذ شيبان أذنه
فعر كها فبصص وحر ك ذنبه . فقال : سفيان ماهذه الشهرة . فقال : لولا خفاة الشهرة لوضعت زادي
على ظهره حتى آتى مكة . وقال جعفر بن تركان رحمه الله كنت أجالس الفقراء ففتح عليّ بدينار
فأردت أن أدفعه إليهم ، ثم قلت في نفسي لعلني أحتاج إليه فهاج بي وجع الضرس فقلت سنا فوجعت
الأخرى فقلعتها فهتفت بي هاتف إن لم تدفع إليهم الدينار لم يبق في فمك سن واحدة . وقال أحمد بن
منصور رحمه الله : قال لي أستاذي أبو يعقوب السوسي : غسلت مريدا فأمسك إبهامي وهو على
الامتسل فقلت يا بني خل يدي أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هي نقلة من دار إلى دار ، نفلى
يدي . وقال الشبلي رحمه الله : عقدت عقدا مع الله تعالى أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور
في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل منها فنادتني الشجرة : احفظ عليك عقدك
لأننا كل مني فاني ليهودي .

[وقال عبد الله بن حنيفة رحمه الله] دخلت بغداد قاصدا الحج ولم آكل الخبز أربعين يوما
ولم أدخل على الجنيد وكنت على طهارة فرأيت ظيما على رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشانا ،
فلما دنوت إلى البئر ولي الظبي . فإذا الماء في أسفل البئر فمشيت ، وقلت ياسيدي مالي محل هذا
الظبي فنوديت من خلفي جربناك فلم تصبر فارجع وخذ ، فرجعت فإذا البئر ملاءة ماء فملأت ركوتي
فسمكت أشرب منه وأنظهر إلى المدينة ولم ينقد ولما استقيت سمعت هاتفا يقول : إن الظبي جاء
بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة ، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر
الجنيد عليّ قال لو صبرت ولو ساعة لنبيع الماء من تحت رجلك :

غرس الحب غرسا في فؤادي فلا أسلو إلى يوم التنادي
جرحت القلب بالهجران مني فشوقي زائد والحب بادي
سقاني شربة أحيا فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وداي

[وقال محمد بن سعيد البصري رحمه الله] بينا أنا أمشي في طريق البصرة إذ رأيت أعرابيا
يسوق جملا له فالغت فإذا الجمل وقع ميتا ووقع الرجل والقتب فمشيت ثم التفت ، فإذا الأعرابي
يقول يا مسبب كل سبب ويأماؤل كل ذي طلب رد عليّ ماذهب يحمل الرجل والقتب فإذا الجمل
قام والرحل والقتب فوقه .

[وقال أبو بكر الهمداني رحمه الله] بقيت في برية الحجاز أياما ولم آكل شيئا فاشتيت باقلا حارا
وخبزا من باب الطاق فقلت أنا في البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم كلامي إلا وإذا أنا

بأعزائي من بعيد ينادي يا باقلا حار وخبر فتقدمت إليه وقلت له عندك باقلا حار وخبر؟ قال نعم وبسط
مزررا كان عليه وأخرج خبرا وبقلا، وقال لي كل فأكلت ثم قال لي كل فأكلت ثم قال لي كل فأكلت،
فلما قال لي الرابعة قلت: بحق الذي بعثك لي الإماقات لي من أنت؟ قال أنا الخضر ثم غاب عني فلم أره.

كفاني سبق علمك بي كفاني وحسبك من سؤالك أن تراني
ولي في كل وقت منك بر يبشر بالأمان وبالأمان
وما حاولت رزقا منك يوما على بعد المدى إلا أتاني

[وقال إبراهيم الخواص رحمه الله عليه] دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة شرفها
الله تعالى بالليل فاذا فيها سبع عظيم شفت منه فهتف بي هاتف اثبت فان حولك سبعين ألف ملك
يحفظونك. وقال أبواب الجحيم رحمة الله: كان أبو عبد الله الديلمي رحمه الله إذا نزل منزلا في سفر
عمد إلى حمارة، وقال في أذنه كنت أريد أن أربطك فالآن لا أربطك وأرسلك في هذه الصحراء
لتأكل السكلا فاذا أردنا الرحيل فتعال، قال فاذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار. وقال آدم بن
أبي إياس رحمه الله عليه: كنت بعسقلان وكان يغشانا شاب ويغاشنا ويتحدث معنا، فاذا فرغنا
قام إلى الصلاة يصلي فودعنا يوما، وقال أريد الاسكندرية فخرجت معه فناولته دراهم فأبى أن
يأخذها فألححت عليه فألقى كفا من الرمل في ركوته واستقى من ماء البحر فقال لي كله فنظرت
فاذا هو سويق وسكر كثير، فقال من كان حاله مثل هذا يحتاج إلى دراهمك؟ ثم أنشأ يقول:

ليس في القلب والفؤاد جميعا موضع فارغ لتعير الحبيب
هو سؤلى ومنيق ومرادى وبه ماحيت عيشى يطيب
فاذا ما السقام حل بقلبي لم يكن غيره لسقمى طيب

[فصل] إذا هب على القوم نسيم عناية الحق فأحيا القلوب التي أماتها الجهالة والغفلة سقاها
بكأس التوفيق رحيق التحقيق فسرت في أرواحهم آثار المسرة والأفراح، ولاح عليهم أثر الوجد
والارتياح، نظروا إلى الدنيا بعين الاعتبار فرأوها ليست لهم بدار، فاغتموا البدار إلى الآخرة
بالجد والاعتدال، قطعوا النهار بالصيام والليل بالقيام والأذكار، فإذا التذ الغافلون بالنوم تلهذوا
بمنجاة السكرين في الأسحار، قد بذل لهم الحبيب رضاه فأثروا حبه على ماسواه، فسقام بكأس
المصافة، وتجلي عليهم في خلوة السحر فتلذذوا بمشاهدته ورؤياه، وناداهم عبادى وأجاني هلموا إلى
بابي فقد رفعت لكم حجابي وأبختكم جناني وأعطيت كلا منكم قصده ومناه.

قوم على مولا همو أقبلوا وأعرضوا عن كل شيء سواه
وحرّموا نوم الدجى رغبة فيما لديه كي ينالوا رضاه
دموعهم فوق خدودهم تجري اشتياقا منهمو في لقاءه
قد طلقوا الدنيا بلا رجعة وآثروا فوق هواهم هواه
يامن أضع العمر في غفلة ولم ينل من فعل خير مناه
بادر إلى التوبة من قبل أن تعدم والله سبيل النجاة
وازرع ليوم البعث زرع التقى لعل أن ينمو وتجنّى جناه
وإن تخف من قبح ذنب مضى فلتد بمن تأوى إليه العصاة
محمد المختار خير الورى من طبق الأرض جميعا شذاه
صلى عليه الله ما أشرقت شمس وما حنت إليه الحداة

في الجنة: ما فعل صديق
وصديقه في الجحيم،
فيقول الله عز وجل
أخرجوا له صديقه إلى
الجنة، فيقول من بقي
فيها فمالنا من شافعين
ولا صديق حميم. وفي
صحیح مسلم عن أبي سعيد
الخدري قال: «إن ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى
ربنا يوم القيامة؟ قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعم، قال هل تضارون
في رؤية الشمس بالظهيرة
صحوا ليس معها سحب
وهل تضارون في رؤية
القمر ليلة البدر صحوا
ليس فيها سحب قالوا لا
يا رسول الله؟ قال
ما تضارون في رؤية الله
تعالى يوم القيامة إلا كما
تضارون في رؤية أحدهما،
إذا كان يوم القيامة أذن
مؤذن لتتبع كل أمة
ما كانت تعبد فلا يبقى
أحد كان يعبد غير الله
من الأصنام والأنصاب
والأوثان إلا يتساقطون
في النار، حتى إذا لم يبق
إلا من كان يعبد الله

المجلس الثامن عشر

في قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

من بر وفاجر وغير أهل الكتاب . فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنهم سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار . ثم تدعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار لهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبده الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة . إن التي رأوه فيها ، قال : فماذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا ربنا

الحمد لله الذي تعرف إلى أوليائه بنعوت الجمال فعرفوه ، دلهم به عليه فوافقهم بالأنس فأفوه ، ألهم أسرارهم أسماءه فذكره لهم ذكره ، يباهى بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبههم وأحبوه ؟ حتى إقليم قلوبهم من طوارق الغفلة فلا يتركوه ، أحرزوا حاصل العمر في صندوق الإخلاص وختموه ، تفقدوا دفتر أعمالهم من غلط الخطايا وصححوه ، خافوا الفضيحة يوم الحساب حفظوا الأمانة فيما اتهموه ، نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ما طلبوه ، والمحروم في تيه الحرمان حرموه وما رحموه ، واخجلته في المحشر وسرايل الدلّ ألبسوه ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، والحمد لله الذي اخترع الوجودات بلا شريك ولا معين ، تعالى في علو شأنه عن صفات التمكن والتكوين ، استوى على العرش وينزل إلى السماء لاستغفار المستغفرين والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) أبدعه من نقطة حقيرة وسفره في أقاليم الأطوار (فإذا هو خصم مبين) سلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين ، فأهل المعاصي جنت من عبونهم دموع العبرات فلامعين ولا معين ، والأحباب بالباب يناديهم حبيهم نداء المحبين (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) والحمد لله الذي لا يغيره الحوادث ولا يلبيه تعاقب الأزمان والدهور . الأول لا من عدد ، الآخر لا بالمدد ، الظاهر لا بالرصد ، الباطن فلا يحد (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ليس يحسم ولا جوهر ولا عرض ولا عنصر ، تقدس من حجاب النور ، المعطل أكمه والجاحد أعمى والمجسم أعشى وللشبه في سجن الجهل مأسور ، أنزل من العصورات ماء أحيابه النبات منظمومه والمشور ، نقله إلى الأغذية فتولد منه المني لإيجاد الإناث من الحيوان والذكور ، ليظهر فيهم فضله وعدله فهذا مجبور وهذا مكسور ، نقش في ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الجبور والنبور ، فكل منهم يجري لما لا يدري ، غيب عنهم عواقب الأمور ، ثم رامهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور ، ثم عزاهم بقوله ليعلموا عدله في قضائه وأنه لا يجور (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) فسبحان من يقضى ولا يقضى عليه يكسر الصحيح ويجبر المكسور ، أحمدته حمد من يرجو رحمته لعله أنه الرحيم الغفور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أعدّها ليوم النشور ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمم يوم يبعث من في القبور ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مادامت الأزمان والعصور .

[إخواني] لقد خسر من طلب الفاني وهو عنه راحل ، أما يشاهد حادى الجديدين وهو يطوى من العمر المراحل ، أما الليل والنهار مرصدان لحمل الأعمار بالرواحل ، أما ترى من قال تحت ظلها كيف زال بظلمها الزائل ؟ أما ترى من عمر ألف عام إذا سئل قال : لبثت أياماً فلائيل ؟ أما ترى من شيد الحصون وعقل العقائل ؟ أبادهم يسيف الحما فكل عن ملكه زائل ؟ أين روح وعاد وثمود وتبع والملوك الأوائل ؟ أين من ملكها شرقاً وغرباً رحل وما حظى منها بطائل ؟ نقل إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السلطان والحامل ، اندرست معالمهم وعادت دروسا تدرس ليعتبر الظالم والجاهل أما تسمع نداءهم وهم صموت ؟ أما تتعظ بهم يا عاقل ؟ أين شداد والنعمان ؟ أين كسرى والإيوان ؟

أين ملوك بابل؟ أبادهم الحدثنان ليوم يقومون فيه على ما قدموه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه).

[كان وكان]

لاتأمنن الدنيا وقد أرتك خداعها كم من رفيع شامخ إلى البلى جلبوه
فازرع إذا شئت تحصد وجد في طلب العلا وثق بوعد المولى في كل ما ترجوه
واعلم بأن الناجي يوم القيامة من لظى قوم أطاعوا المولى جهرا ولم يعصوه
قد خص أهل السعادة بنور علم المعرفة وزاد أهل الشقاوة جهلا فما عرفوه
فاعمل ليوم آوّد فيه الوجوه من الشقا كذا لأهل السعادة تبيض فيه وجوه

[قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله] سألت الله تبارك وتعالى ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة
فرايت كأن قائلا يقول لي: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هي؟ قال
في آل بني فلان بالكوفة. قال فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل هي بجنوبة بين ظهرايننا
ترعى غنيات لنا. فقلت أريد أن أراها فقالوا أخرج إلى الجبال فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وبين
يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشتري وإذا الغنم مع الذئب فلا الذئب
تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئب. فلما رأيته أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يا ابن زيد ليس
للموعد ههنا، إنما الموعد في الجنة، فقلت يرحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد؟ فقلت: أما علمت
أن الأرواح جنود مجدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف! فقلت لها عظيمي فقالت:
واعجبا بواعظ يوعظ! ثم قالت يا ابن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لحبستك بمكنوم
مكون ما فيها، يا ابن زيد إنه بلغني أنه مامن عبد أعطى من الدنيا شيئا فابتغى إليه ثانيا لإسلبه الله
عز وجل حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الآنس الوحشة، ثم أنشأت تقول:

يا واعظا جاء بالعبوب يزجر قوما عن الذنوب تنهى وأنت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب لو كنت أصلحت قبل هذا عيبك أو تبت من قريب

كان لما قلت يا حبيبي موضع صدق من القلوب

تنهى عن الفنى والتماذى وأنت في النهى كل قريب

فقلت لها: إني أرى هذه الذئب مع الغنم فلا الغنم تفر من الذئب ولا الذئب تأكل الغنم فأنى
شيء هذا؟ فقلت: إليك عني فأنى أصلحت ما بيني وبين سيدي، فأصلح ما بين الذئب والغنم، ثم
أنشأت تقول:

لو كنت لي يوم اللقا معينا لم يردوا ماء اللوى معينا

لولا الهوى لم أدر ما طعم الردى ولا أذعت سرى الصونا

تصد لي كل يوم جنوة تبد لنا من الأسى فتونا

بانوا في الأحشاء منهم لوعة يمنعها الغرام أن تبينا

لهفى على بعد الحمى وقد أرى تلهفى من بعدهم جنونا

حرمتمو طرفي على النوم فما أظن نومي يعرف الجفونا

حاشا لسمعي أن يرى مستعيا عذلا وحاشا أن يرى مفتونا

[إخواني] هذه علامات الصادقين، إخواني هذه مدائح المؤمنين، إخواني هذه آثار المتقين،
إخواني هذه روضات السابقين، يا من تحير في طريق المعاصي الطريق قريب، يا من أوقته الزلات
بأدر بالتوبة تصيب، يا من توالى في المعاصي ارجع فإلى دعائك يجب، إخواني كأنكم بقاطع الآمال

فارقنا الناس في الدنيا أفقر
ما كنا إليهم ولم نصاحبهم،
فيقول أنار بكم، فيقولون:
نعوذ بالله منك لا تشرك بالله
شيئا مرتين أو ثلاثا حتى
إن بعضهم ليكاد أن ينقلب.
فيقول: هل بينكم وبينه
آية تعرفونه بها؟ فيقولون
نعم فيكشف عن ساق
فلا يبقى من كان يسجد لله
من تلقاء نفسه إلا أذن الله
له بالسجود ولا يبقى من
كان يسجد اتقاء ورياء
إلا جعل الله ظهره طبقة
واحدة كلما أراد أن
يسجد خر على قفاه، ثم
يضرب الجسر على جهنم
وتحل الشفاعة، ويقولون
اللهم سلم سلم، فيمر
المؤمنون كطرفة العين
وكالبريق وكالريح وكالطير
وكأجاويد الخيل والركاب
فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكدوس في نار
جهنم حتى إذا خلاص
المؤمنون من النار،
فواللهي نفسي بيده مامن
أحد منكم بأشد مناشدة
في استيفاء الحق قد تبين
لكم من المؤمنين لله يوم

قد هجم ، وتقلبك إلى بيت الديدان والظلم وفرق من شمل الأحباب ما انتظم ، وقد ندم القفرط حيث لا ينفعه الندم على ذهاب الأعمار في الأيام الخالية (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ويحك أمتأخذ من بوعيده حذر ، أمتستحي بمن أوجدك وصورك كأتى بك والله وقد نسيتك الحبيب وأفردك ، وإلى ضيق قبرك أوردك ، وعادت قلوب حزنة عليك سالية (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) :

واحسرتي واشوقي من يوم نشر كتاييه واطول حزني إن أكن أوتيته بشماليه
وإذ سئلت عن الخطا ماذا يكون جوابيه واحر قلبي أن يكون مع القلوب القاسيه
كلا ولا قدمت لي عملا ليوم حسابيه بل إنني لشقاوي وقساوي وعذابييه
بارزت بالذلات في أيام دهر خاليه من ليس يخفى عنه من قبح المعاصي خاليه
أستغفر الله العظيم وتبت من أفعاليه فغسى الإله يجود لي بالعفو ثم العافيه
وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شيع جنازة ، فلما اصطفت الناس تأخر عنها ، فقال
له أصحابه يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها ؟ فقال إنى متأخرت عنها إلا لأن القبر
نادانى من خافى يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة ؟ قلت له : وما صنعت بهم ؟ فقال :
خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم ، ألا تسألنى ما صنعت بالأوصال ؟ فقلت
له : ما صنعت بها ؟ قلت : فرقت الكتفين من الدراعين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين
ثم بكى عمر ، وقال : إن الدنيا بهاؤها قليل وعزیزها ذليل وغنيها فقير ، وشبابها يهرم وحيها يموت ،
فلا يفرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدارها ، أين قراء القرآن ؟ أين حجاج بيت الله الحرام ؟ أين
صوام شهر رمضان ؟ ما صنع الزراب بأبدانهم والديدان بأجسادهم والبلى بعظامهم وأوصالهم ؟
كانوا والله في الدنيا على أسرة ممهدة ، وفرش منضدة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون . أليس
هم بعدها في مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل فارقوا الأهل والوطن ، قد فارقوا الحدائق
وصاروا بعد السعة في المضائق ، وتزوجت نساؤهم وترددت في الطرقات أبنائهم وتوزعت القربات
ديارهم وراثتهم . فمنهم والله الموسع له في قبره ، ومنهم والله المضيق عليه في لحده . هيهات هيهات
يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ، وبما كمن الليث وحامله ، يا محل في القبر وراجعا عنه ليت شعري
أى خديه يبدأ البلى ، ثم بكى حتى غشى عليه وما بقي إلا جمعة ومات رحمة الله عليه :

ضعوا خدي على لحدي ضعوه ومن غفر التراب فسودوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقا وفي الرمس البعيد فتبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد مالت نواظر مقلتيه على وجنته ورفضتموه
وقد نادى البلا هذا فلان هلموا فانظروا هل تعرفوه
حببيكم وجاركم المقدي تقادم عهد ففسيتموه

[أخى] دنا والله من زرعك الحصاد ، فإلى متى هذا التمدد والرقاد ، وبين يديك أهوال يوم
المعاد ، يوم يفر الوالد فيه من الأولاد ؟ واحزنه عليك إذ تبدد شمل أعمالك من الأرباب ، فأصبح
هشما تذروه الرياح ! فإلى متى هذه الغفلة وعلم القبول قد لاح ! يا غريقا في بحر هواه اركب سفينة
النجاة واقطع عن أفعالك القبح ، وألق نفسك إلى ساحل الندم تجد مولاك أهل السكرم والسماج .

[كان وكان]

تم في الدياجي وناحي مولاك في وقت السحر إن كنت يامتخلف إلى السحر تبتاح

القيامه لإخوانهم الذين
في النارية ولون : ربنا كانوا
يصومون معنا ويصاؤون
معنا ويحجون ! فيقال
لهم : أخرجوا من عرفم
فيحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا ،
ثم يقولون : ربنا ما بقي
فيها أحد من أمرتنا به .
فيقول ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من
خير فأخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ، ثم يقول :
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال نصف دينار من
خير فأخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ، ثم يقول :
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال ذرة من خير
فأخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ، ثم يقولون : ربنا
لم ندر فيها خيرا . فيقول
الله شفعت الملائكة وشفع
النبون وشفع المؤمنون ،
ولم يبق إلا أرحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار
فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط قد عادوا حما
فيلقبهم في نهر في أفوا
الجنة ، يقال له نهر الحياة

إلى متى أنت تائه في ظلم ليل المعصية ارجع إلينا فقد لك من نورنا مصباح
إلى متى كم تبارز مولاك بالفعل الردي انفض وبادر بتوبه وما مضى فسيح
وقم وصالح حبيبك فذا أوان صلاحه فهو الكريم السامع والواهب الفتحاح
يدعوك في كل ليله لعل حالك ينصلح وأنت نائم غافل ماتقبل الإصلاح
فانفض إذا شئت تريح واسبل دموعك في الدجي
هذا طريق السلامة ومعبدن الأرباح *

[يا إخوتائي] ابسطوا الأيدي إلى المولى بالذل والضعافة، وتضرعوا بالذل والانكسار في هذه
الساعة، ونادوا: يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة، نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح
والخسران بالأرباح، وأن تعاملنا بالعرف والسماح، يا من مثل نوره كشكاة فيها مصباح، برحمتك
يا أرحم الراحمين. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين.

المجلس التاسع عشر

في مناقب الصالحين رضي الله عنهم

الحمد لله الواحد الكريم الماجد، القديم الواحد المنزه عن الولد والوالد، المقدس عن المشارك
والمساعد، المتعالي عن الصاحب والمائل والمضاد والمعاود، المشكور على جميع النعم المحمود بجميع
الحامد، الذي يسبل مآثره الجليل على العاصي وهو ناظر إليه ومشاهد، ويمن برفده الجزيل، على
عبده الدليل، ويبلغه جميع المقاصد. فسبحان مفجر الأنهار من صم الأحجار والجلامد، ومطلع
الأشجار ومزهي الأزهار من المود اليابس الجامد، مخرج رطب الثمار من أفنان الأغصان مختلفة
المطاعم والألوان صنوان وغير صنوان تسقي بماء واحد. هذه بعض آثار قدرته وعجائب حكمته
وصنعتة، ومن ذلك فليشاهد:

أيامن جلّ عن كيف وأين وعن ندّ وعن ولد ووالد
ملك الكائنات بحسن صنع ولانت من مخافتك الجلامد
أذنت لها تكون فاستكانت وأنت على جميع الخلق شاعد
وكنيت بحيث لا كون وعون وحاشي أن تحيط بك العاهد
وأنت بحيث أنت وليس أين ولا كيف تمثله الشواهد
أحطت بحملة الأشياء علما وأنت لكل مافيه مراصد
فيا من ماله في الملك ثان ولا مثل وليس له مضاد
أجرنا من عذابك واعف عنا وبلغنا إلى نيل المقاصد
فقد عودتنا الإحسان لطفا وصعب عندنا قطع العوائد

[قال يحيى بن الجلاب] سمعت أبي رحمة الله عليه يقول: كنت عند معروف السرخي رضي
الله عنه فدخل عليه رجل، فقال له يا أبا محفوظ رأيت في هذه الليلة عجايبا. قال وما هو؟ قال أشتى
على أهلي سمكة فذهبت إلى السوق فاشتريتها لهم وحملتها مع حمالي صبي ومشى معي، فلما سمع
أذان الظهر، قال لي يا عم هل لك أن تصلي؟ فكأنه أيقظني من غفلة فقلت نعم فوضع الطبق الذي
فيه السمكة على باب المسجد ودخل، فقلت في نفسي: هذا الغلام قد جاد بالطبق أفلا أجود أنا
بالسمكة فلم يزل يتركم حتى أقيمت الصلاة فصلينا جماعة وترك بعد الصلاة، ثم خرجنا فإذا الطبق

فيخرجون كما تخرج الحبة
في حميل السيل فيخرجون
كالؤلؤ في رقابهم الخواتم،
فيقول أهل الجنة: هؤلاء،
عتقاء الرحمن أدخلهم الله
الجنة بغير عمل عملوه
ولا خير قدموه، فيقال
لهم: لكم ما رأيتم ومثله.
[اعلم] أن الشفاعة خمس:
أولها الإراحة من هول
الموقف وتعجيل الحساب
وهي مخصصة بمحمد صلى
الله عليه وسلم. والثانية
في إدخال قوم الجنة بغير
حساب وهي أيضا وردت
له صلى الله عليه وسلم.
والثالثة قوم استوجبوا
النار فيشفع فيهم نبينا
ومن شاء الله له أن يشفع
له. والرابعة في زيادة
الدرجات في الجنة لأهلها.
والخامسة فيمن دخل النار
من الذين فيشفع فيهم
نبينا وغيره من الأنبياء
واللائكة وإخوانهم
المؤمنين، ثم يخرج الله كل
من قال لا إله إلا الله من
غير شفاعته شافع حتى
لا يبقى فيها إلا الكافرون
كما في حديث أنس.

في مكانه لم يبرح جثت إلى البيت وأخبرت أهلي بالذي جرى مني ، فقالوا لي قل له يا كل معنا من هذه السمكة ، فقلت له فقال أنا صائم ، فقلت له : تفطر عندنا ؟ قال نعم أرني طريق المسجد فأرنيته فدخل المسجد وجلس إلى أن صليت المغرب جثت إليه وقلت له تقوم إلى المنزل ، فقال حتى نصلي العشاء الآخرة فقامت في نفسي هذه ثانية ، فلما صليت جثت به إلى منزلي وفيه ثلاثة أبيات ، بيت فيه أنا وأهلي ، وبيت فيه صبية مقعدة منذ عشرين سنة ، وبيت فيه صيفنا فيينا أنا مع أهلي ، وإذا بالباب يطرق في آخر الليل . قلت : من ؟ قالت أنا فلانة ، قلت إن فلانة مقعدة منذ عشرين سنة وهي قطعة لحم مطروحة في البيت كيف يستوى لها أن تمشي ، فقالت أنا هي افتحوا لي ففتحنا لها فإذا هي قاعة مستوية فقلنا لها أخبرينا بخبرك ؟ فقالت سمعتمكم تذكرون صيفنا هذا بخير فوقع في نفسي أن أتوسل إلى الله تعالى به في كشف ضري فقلت : اللهم بحرمة صيفنا هذا عندك إلا ما كشفت ضري وعافيتني فاستويت قاعة كما ترونني ، قال فقامت إليه فلم أجده في البيت جثت إلى الباب فوجدته مغلقا بحاله ، فقال معروف رضى الله عنه نعم فيهم صغار وكبار ، يعني بذلك أولياء الله تعالى رضى الله عنهم أجمعين .

عبرت بشعره واهمورج الصبا
وتضوعت أنفاسهم ولظالمنا
قوم إذا تزلوا بواد مجذب
وإذا بد البحر الأجاج لشارب
علم المحبة في هواهم مذهب
وجدوا فؤادي منزلا لهواهمو
قوم لهم نبأ وحال يقتضي
فيهم يزول عن السقيم سقامه
يحزون بالنفو الجليل مسيهم
هم أولياء الله حقا في الوري
وإلى شذاهم كل قلب قد صبا
صمت اللسان بها فأصبح معربا
تفر تأرج بالعسير وأعشا
منهم يعود من المدامة أعشا
فلذلك أصبح حبهام لي مذهبا
فلذلك خيم في حشاي وطنبا
شرف الجلال إذا سألت عن النبا
لما غدا يجنبهم متحسبا
والصفح عن عبد لهم قد أذبا
وغدا يقال لهم جهارا مرجبا

فله درهم من أقوام عبده لحيته لاجنته ، وخدموه لوصله لالمنحته ، فهم بنور المعرفة إليه ناظرون ، وبأجنحة الشوق إليه طائرون ، وبمناجاة في الأسحار ينادون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال أبو عامر الواعظ رحمة الله عليه : بينا أنا ذات ليلة أسبغ في بعض الجبال إذ سمعت صوتا يئن ويصيح ، من قلب قريح ويقول يا دليل الحائر في الفلوات يا أنيس للمستوحشين في الخلوات ، أنت أنسى إذا استأنس البطالون وأنت غفري إذا افتخر الجاهلون . قال فأسرعت نحوه وسلمت عليه ، فرد علي السلام وقال لي من أين أقبلت في سواد هذا الليل وإلى أين تريد ؟ قلت رجل ضل عن الطريق ، وقد سمعت منك كلاما أنار بقلبي أحزانه وهيج وجده وأشجانه فصاح صيحة وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق أخذ في البكاء . قلت ما هذا البكاء ؟ قال إني أكره الأماني وضياح الزمان في الفاني ، ثم ولي فاتبعته فأشرف على واد جفلس وهو يبكي فقلت رحمك الله إني على غير الجادة فاشتد بكأؤه وصياحه ، وقال ويحك وأين الجادة أين ذات اليمين ، أين مراتب عليين ؟ ثم ضرب على يدي وتخطى ، فاذا نحن بجانب الوادي . قلت هذا الفجر قد طاع ونحن نحب الوضوء فضرب يده الأرض فانفجرت عين ماء عذب ، فقال دونك فتوضأ وتوضأت ، ثم أذن وأقام الصلاة وصلينا ، فلما سلم قال يا عبد الله قد دنت مفارقتك فمليك السلام فقلت بالذي أباحك

ثم أعود الرابعة فأحمده
بتلك الحماد ، ثم آخر له
ساجدا فيقال : يا محمد
ارفع رأسك ، وقل تسمع
وسل تعطه واشفع تشفع
فأقول يارب ائذن لي
فيمن قال لا إله إلا الله .
قال ليس ذلك إليك لكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لأخرجن من
قال لا إله إلا الله : أي
أفضل بإخراجهم دون
شفاعة شافع فهو لاء هم
الذين معهم مجرد الإيمان
وهم الذين لم يؤذن في
الشفاعة فيهم . وإنما دلت
الآثار أنه أذن لمن عنده
شيء زائد على الإيمان
من عمل صالح أو ذكر
خفي أو عمل من أعمال
القلب من شفقة على
مسكين وخوف من الله
ونية صادقة في عمل فانه
جعل للشافعين من الملائكة
والنبيين دليل عليه ،
وتفرد الله بعلم ماتكته
القلوب والرحمة لمن ليس
عنده سوى الإيمان ،
فقوله متفصل ذرة من
إيمان ومن خير . الصحيح

الوصول إليه والإقبال عليه إلا مامنت على بدعوة ثم أوملت الى مزودي . فقال أجائع أنت ؟ قلت نعم ، قال شغلت قلبك عن التفكير في اللسكوت بطلب القوت لو ذقت طعم اليقين ، وما أعد الله للمتقين لدام خشوعك ، وسكن جوعك ثم ضرب بيده الأرض فاذا برغيف كأنما أخرج من نار . فقال كل فأكلت وأنا متعجب ، وفي نفسي أريد أن أسأله عن ذلك . فقال : يا بطل إن لله رجلاً صدقوا في ترك الشهوات فأخدمهم الأكوام في الحياة والمات ثم غاب عني فلم أراه :

اصطفاهم لقربه واجتباهم	وحامهم من فتنة الشيطان
ودعاهم لبابه وسبقاهم	بكنؤوس من خمرة العرفان
وجزاهم بخنة ونعيم	وقصور والخور والولدان
فهموا لا يرون هذا نعيماً	لا ولا شوقهم لخور حسان
إنما قصدهم تجلى حبيب	ليروا إذا الجمال رأى العيان
ويناديهمو عبادى هلموا	تظفروا بالأمان والإحسان
فهذا النعيم تاهوا دلالة	وتباهوا به على الأكوام
فبهم يدفع البلاء عن النا	من ويحمون من سائر الحداث
وبهم يستقى الإله تعالى	غيثه عند حاجة الظلمان
فأجرنا بحقهم بإلهي	من أليم العذاب والنيران
وتجاوز عما جنيناه جهلا	من قبيح الذنوب والعصيان
واعف عنا فائنا قد أسأنا	ثم سامع بالغفو والغفران

فله درهم من رجال ، ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال . قال ذو النون المصري رحمه الله عليه : بينا أنا أسبح في بعض الجبال إذ مررت بواد كثير الأشجار والنبات والثمار فجعلت أفكر في قدرة الله تعالى وحسن صنفته فسمعت صوتاً أهطل مدامعي وهيج نار أضالعي ، فاتبعت الصوت إلى باب مغارة في سفح الجبل ، وإذا الكلام يخرج من داخل المغارة فدخلت فرأيت رجلاً من أهل التعب والاجتهاد قد برأه النحول ، وعليه آثار القبول فسمعت يقول : سبجان من أحيا قلوب المشتاقين بالمناجاة بين يديه ، وكفى نفوسهم مؤنة الطلب فهي لا تعتمد إلا عليه وأفردها لمحبه فهي لا تحن إلا إليه ، فلما أحسن بي ، قلت السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان فقال : وعليك السلام ، ما الذي أوصلك إلى من أفرده الخوف عن الأنام ، واشتغل بحاسبة نفسه عن التنطع في الكلام فقلت أوصلي إليك الرغبة في التصفح والاعتبار ، والتزهد في رياض أسرار الأولياء الأخيار . فقال يافتي إن لله عبداً قدح في قلوبهم زناد الشغف بمحبوبهم فأرواحهم لشدة الشوق إليه تسرح في اللسكوت وتنظر الى ما دخر لها في خزائن الجبوت فأعينهم الى جماله ناظرة وقلوبهم بحبه عامرة وأرواحهم الى لقاءه طائرة فهم ملوك الدنيا والآخرة ، ثم بكى وقال ياسيدي لأعمالهم وقفتي وبهم فألحقني ثم صاح ووقع إلى الأرض ميتاً ، هذه واقعه صفات الخائفين رحمه الله عليه ، وهذه علامة العارفين :

لله قوم أطاعوه وما قصدوا	سواه إن نظروا الأكوام بالعبر
والوجد والشوق والأفكار قوتهم	ولازموا الجد والادلاج في البكر
وبادروا لرضا مولاهم وسعوا	قصد السبيل اليه سعي مؤتمر
وآمنوا واستقاموا مثل مأمروا	واستغرقوا وقتهم في الصوم والسهير

أن معناه شيء زائد على مجرد الايمان ، لأن مجرد الايمان الذي هو التصديق لا يتجزأ . فعليك يا أخي بالايمان : بأن تعتقد بقلبك دين الإسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين فان اقتصررت على أحدهما خللت في نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة ولا تنفعك شفاعة شافع ، ثم عليك أن تحترز من المعاصي فان للمعاصي يريد الكفر ، فقد حكى أن تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس . فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ، ثم لقنه فقال قل لا إله إلا الله . فقال لا أقولها لأنني برى منها ومات على ذلك ، فدخل الفضيل منزله . وجعل يبكي أربعين يوماً لم يخرج من البيت ، ثم رآه في النوم وهو يسحب به إلى جهنم . فقال بأي شيء نزع الله للمعرفة عنك ، وكنت أعلم تلامذتي ؟ فقال بثلاثة

وجاهدوا واتهوا عما يباعدهم عن بابه واستلوا كل ذي وعز
جنات عدن لهم ما يشتهون بها في مقعد الصدق بين الروض والزهرة
لهم من الله ما لا شيء يعدله سماع تسليمه والقوز بالنظر

[وعن عبد الرحمن الأزدي] قال كنت أطوف في ساحل بيروت فمررت برجل جالس على البحر ورجلاه في الماء ، وهو يقول : سبحان من في السماء عرشه ، سبحان من في الأرض حكمه ، سبحان من في الهواء قدرته ، سبحان من في البحر سلطانه ثم سكنت ، فقلت له مالك جالساً وحده ؟ فقال اتق الله عز وجل ولا تقل إلا حقاً ما كنت قط وحدي منذ خلقت ، وإن معي ربي حيث كنت ومعى ملكان يحفظان على فقلت له أين مقامك ؟ قال ليس لي مقام معروف ولا مكان مخصوص ، قلت فمن أين تأكل ؟ قال إذا عرضت لي حاجة إلى ربي سألته بإياها بقلبي ولم أسأله بلساني فيأتيني بها . قلت فبم نلت هذه المرتبة ؟ قال بصدق التوكل عليه والالتجاء دون الناس إليه ، قلت قد وجب عليك أن تدعوا لنا فقال ما أنا من خيل هذا الميدان ، ولكن أنت أحق بذلك فقلت لا بد أن توصيني بشيء فقال قف ذليلاً على بابه ولا تبرح عن جنبه يوصلك إلى حضرة أحبابه ثم مشى على البحر حتى غاب عن عياني :

شاهدوه وقد تجلى فتابوا وحلا له حب فيه العذاب
شربوا شربة فأضحوا سكارى ليت شرى ياصاح ماذا الشراب
كتبوا بالدموع قصة شوق فأتاهم من الحبيب الجواب
ركبوا بحر حبه ثم ساروا ودعاهم لوصله فأجابوا
فهو بالجووم بين البرايا حضروا عند جهم ثم غابوا
وهو في الثياب لم يبق منهم غير رسم تضمه الأنواب
فاقتفى أثرهم وجز بحمامهم يأتك القوز واللى والصواب

[إخواني] عبارات النسيم لا يفهمها إلا الشواق وحديث البروق لا يروى إلا للعشاق ، خلوا والله بالحبيب في دار المناجاة فكساهم ثياب الواسلة وضمخهم بطيب المعاملة وغاليتهم السحر غالية (يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً) فيصبحون وقد كساهم السحر نحولاً وسقاماً ، فازوا بالله ثم بالريح والغنائم وأنت يامسكين في بيداء الغفلة نائم ، ألك علم بما جرى للقوم يأسير الغفلة والنوم ؟

[حكى] أن علي بن بكار وأبا إسحق التزاري وكانا من الأولياء الصالحين كانا يحفظان ويأكلان من كسبهما فاتفقا أن يصعدا إلى الجبل من الغداة فيحطبا ويساعد بعضهما بعضاً فسبق علي بن بكار إلى الجبل فاحتطب حزمة وأبطأ عليه رفيقه فجعل يطوف عليه الجبل فرآه وهو جالس متربع وفي حجره رأس أسد وهو ينش الذباب عنه فقال يا أبا إسحق ما هذا فقال له التجأ إلى فرحمته وأنا أنتظره لينتبه وألحقك فتركه علي بن بكار ومضى فرأى صخرة عليها كيس فيه ألف دينار وقد علاه الغبار والتراب فقال في نفسه آخذته وأتصدق به فنزل من الجبل فمر بعد أسود وهو مطروح على وجهه وهو مكسور الرجل وعند رأسه حزمة حطب كان يروم بيعها فقال ما أجد لأصرف هذا الذهب موضعاً أحق من هذا العبد فأخرج من الكيس عشرة دنانير وأتى إليه وقال له خذ هذه واستعن بها على حالك فرفع العبد رأسه إليه ، وقال له ضع هذا الذهب مكانه ولا تصدق بغير كسبك فأنا والله في سنة أمر كل يوم على هذا الكيس وهو ملقى على الصخرة ولم أعلم ما فيه فكيف رغبت أنت في الدنيا وأخذت ما لا يحل لك آخذته ؟ ، قال علي فخجلت من كلامه وعلمت أنه من الأولياء ثم رددت

أشياء : أولها بالجملة ،
فإني قلت لأصحابي خلاف
ما قلت لك . والثاني
بالجسد حسدت أصحابي .
والثالث كان بي علة خفاء
إلى طبيب فسألته عنها ،
فقال اشرب في كل سنة
قدحاً من خمر فإن لم تفعل
تبقى بك العلة ، فكنت
أشربه ، نموذجاً من
السخط الذي لاطاقة لنا
به . قال بعضهم :

إذا أبقت الدنيا على المرء
دينه
فما فاته منها فليس بضائر
اللهم ارحمنا ولا تعذبنا ،
ووفقنا ولا تخدنا ولا تسلب
منا الإيمان عند خواتيمنا
فانه لاملجأ لنا إلا إليك
ولاموئل لنا إلا عليك
يا أرحم الراحمين .

(فصل) قال الله تعالى
(فالدِّينَ كَفَرُوا قَطَعْتَ
لَهُمْ ثِيَابَ مِنْ نَارٍ يَصُبُّ
مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ .
يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ
حَدِيدٍ كُلًّا ارَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا
فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

السكيس إلى مكانه ورجعت إلى العبد فلم أره فسألت عنه فقيل لي إنه يأتي في كل أسبوع مرة بمحزمة حطب فيبيعها بدرهم فيتقوت به باقي الأسبوع ولا يأخذ من أحد شيئاً فهذه والله أحوال الزاهدين وهذه صفات الصالحين . قال بعض السادة خرجت ليلة من المسجد الحرام أريد جبل أبي قبيس فصحبني عبد أسود عليه أطمار رثة ، وهو يقول : أنت أنت ياهو ياهو لا يزيد على ذلك شيئاً . فلما أكثر من القول قلت ياهذا أجنون أنت ؟ فقال ياشيخ إنما المجنون من عشى ألف خطوة ولم يذكر مولاه ، فقلت له أفضل الذكر عند المحققين ما كان بالقلب فقال صدقت ، ولكن القلب إذا امتلأ بالذكر فاض على اللسان ثم غاب عن عيني فلم أره فقدمت على جفائي عليه ، فلما كان الليل ونمت هتف بي هاتف ، وقال ياشيخ إن لذلك العبد الأسود يوم القيامة نوراً يملأ ما بين السماء والأرض فله در أقوام أعيادهم قبول الأعمال ومرادهم بلوغ الآمال وأحوالهم تجري على تمام وكال وجمالهم بالتقوى وباله من جمال إذا رجع الناس إلى لذاتهم رجعوا إلى عبادتهم وإذا سكن الخلق إلى أوطانهم سكنوا إلى حركات أشجانهم وإذا أبل التجار على أموالهم أقبلوا على تفقد أحوالهم وإذا التذ الغافلون بالنوم على جنوبهم تلهذوا في الدجى بكلام محبوبهم ، مثلوا الآخرة بين أيديهم فجذوا ، ومثلوا المنادي يناديهم فاستعدوا ، وأقبلوا بالصدق إلى باب مولاهم فما ردوا ، ألقاهم ذكر الذنوب فما ناموا ، وحرركم رجاء المطلوب فقاموا ، وذكروا العرض (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فاستقاموا ، وتفكروا في قصر الأجل فاجتهدوا في الخدمة وداموا ، وتذكروا سالف الذنوب فوبخوا أنفسهم ولاموا ، وراموا السلامة في دار المقامة فبلغوا ما أملوا وراموا ، فانتبه ياهذا من رقدة إعراضك وتجاهليك وأصلح ظاهرك بالتقى قبل أن يعسر تلافيك ، وتزود لرحيل فالقليل لا يكفيك ، وامح ذنوبك بكف الانابة لعل مولاك من خطاياك يعفيك ، وداو أمراض أملك بشراب ذكر أجلك ، وسل المولى لعله يشفيك .

تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخوت أولئك الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يسجرون . والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . فذوقوا ثم الظالمين من نصير . إن شجرة الزقوم طعام الأثيم . كلهم مل يغلي في البطون كغلي الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) : أي وسطها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم . وظل من محموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الخث العظيم . وكانوا يقولون إننا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون .

لكم مهجتي والروح والجسم والقلب
وأنتم أحبائي على كل حالة
نأيتم فعيى دمعها متواصل
وكم أتعنى أن أسير إليكم
خليلى إن عايننا أرض يثرب
فقلوا له يا أحمد يا محمد
عسى جاهك المقبول يكشف غمه
فأنت الذى لولاك لم يخلق امرؤ
ووجهك بدر فى سما الحسن مشرق
على وجهه ستر الغمامة مسبل
على شط بحر النور جبريل قائل
دنا فتدلى حين فى النور زجه
جلاه على الأملاك جبريل فى السما
إلهى بما فى قاب قوسين ناله
وكن لى فى من عذابك مشفق
وصل على خير الأنام محمد

وكلى لكم ملك وإنى بكم صب
فيا فرحتى إن صبح لى فىكم الحب
عليكم وقل لا يفارقه الكرب
فيمعنى حظى وما تنفع الكتب
وعند رسول الله قد نزل الركب
محب عن الزوار عوفه الذنب
جهاك يا مختار رضى به الرب
ولا فلك يجرى ولا غصن رطب
أضاءت به الآفاق والشرق والغرب
لكيل آتاه الشمس تسكف أو تخبو
مقامى هذا ما على صادق عتب
بلا كيف لكن حيث شاء له الرب
وكانت له من قبل مبعثه تصبو
أجرنا فان النار تعذيبها صعب
بأحمد داركنى إذا عظم الخطب
وأصحابه فى جمعهم وجب الحب

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المجلس العشرون

في قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه لمشاهدة مشاهد عجائب الاعتبار والعبر ، واستخلص همهم بصفاء المناجاة ولذة المصافاة من شواغل الأسباب وشوائب الكدر ، ثقلهم يد الألفاظ في مهد اللطف فترضعهم ندى العطف وتغطمهم عن الشهوات المانعة نور البصائر والبصر ، فأصبحت قلوبهم راضية بتعاقب الأحكام وتدير المشيئة وتقدير الإرادة وتصريف القدر ، مهد لهم فرش الأعمال بلين الصفاء فاستعذبوا طيب الخلوة مع الحبيب (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يتلذذون بالسهر ، لا تغيرهم محدثات الحوادث وتحول الأحوال لاستغراق أسرارهم في أودية التذكر وبخار الفكر ، زهوا نفوسهم عن عبادة الهوى فأضحت أطياف أرواحهم تسرح في رياض اللسكوت بين جنات المعارف ونهر ، لاحظوا إشارة التوحيد في الأكوان فاستوى عندهم الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم والسهل والوعر ، فسبحان من هداهم إلى نهج منهاج الخلاص بالاخلاص فتخلصوا من شبك الأكوان وطاروا إلى أوطار القرب لا يحزنهم الفزع الأكبر ، أحمده وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة إليه براءة من اعترف بالتقصير وأقر ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شاهد جمال الحضرة المقدسة واستحضر بحسن الخاتمة خضر ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وصفوة المرسلين ، وإمام المتقين وسيد البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في دين الله حتى ارتفعت أعلامه على الأديان وظهر .

[إخواني] كم يحملون أحمال الأوزار وهي تقال ، وكم تبارزون بالمعاصي ذا الجلال وكم تتمللون بالتسويق والآمال . وكم تتبعون الشهوات وهي خيال . وكم تطمعون في البقاء وقد دنا الانتقال وكم قيدتمكم الأماني من التواني بالأغلال . وكم أنذركم من رجل من الأجيال بالارتجال . أين من حصن الحصون وشيئها ؟ أين من جمع الأموال وعددها ؟ أين من عمر الحقائق وغرسها ؟ أين من قاد الجيوش وساسها ؟ أزعجه والله هازم اللذات من غير اختياره . وأخرجه كرها من أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره . وقطعه عن آماله وأوطاره . وحال بينه وبين أعوانه وأنصاره . كم دموع من الأسف عند الحمام سواكب على ماضي من أيام البطالة في اللصائب . وقد شابت في الشهوات الدوايب . فياله من وقت لا ينفع فيه الجباب . ولا ينفي فيه النائم والنادب . قضى الأمر فما ينفع العتاب للمعائب . يامغترأ بالآمال رب أمل خائب . كم ينام المطلوب ولا ينم عنه الطالب . ستدرى في ظلمة اللحد عاقبة العواقب . وما أمليت من أعمالك على الكاتب . وبعده هول الموقف بين يدي المحاسب . ويبدو لكل مستوف أملة الكاذب . هنالك والله تضيق المذاهب . وتبدو الحيلة والحسرة والمصائب . فاغتموا رحمكم الله أيام أعماركم الفانية ، فسيندم والله أهل القلوب القاسية ، إذا فاز المتقون (وخسر هنالك البطلون) وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (الانذار هو التخويف ، ويوم الحسرة هو يوم القيامة : أي يوم يتحسر للسوء إذ لم يحسن والتقصير في الخيرات إذ لم يتزايد . ومعنى قضى الأمر : أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار وهم في غفلة ، هذا خطاب في الدنيا . وهم لا يؤمنون خطاب

أو آباؤنا الأولون . قل إن الأولين والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم . فمالمثلون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهميم هذا ترهيم يوم الدين نحن خلقناكم فلولاً تصدقون - خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوته ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فأسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون - هل أباك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلي نازا حامية . تسقى من عين آتية . ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن ولا يغني من جوع (وفي كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الجنة قال لجبريل

في الآخرة : أي لم يردوا فيؤمنوا . روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى صورها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون بمنزلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرتينا كان أهون علينا . قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالمعاصي وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطونني من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم تجلوني ، فالיום أذيقكم ألم عذابي مع ما حرمتكم من ثواب الآخرة » . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في تواييت والتواييت في تواييت فلا يظن أحدهم أنه بقي في النار من يعذب سواء ، وليس نفس يوم القيامة الا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار ، يقال لهؤلاء لو عملتم ، ويقال لأهل الجنة لولا أن من الله عليكم . وقال أبو هريرة رضى الله عنه كآني بكم صادرين عن الخوض يلقى الرجل الرجل فيقول أشربت ؟ فيقول نعم ، ويلقى الرجل الرجل فيقول واعطشاه ، وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : إن ملكا موكل بالميزان ، فإذا نزل ميزان إنسان نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خفت موازينه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا . وقال قتادة رضى الله عنه لم يحرم أحد فيخفى جرمه على أحد يوم القيامة .

[إخواني] أهل القبور قد أسروا ، وأكثر القوم في تجارتهم خسروا ، فمروا أتم عليهم واعتبروا ، وتفكروا في أحوالهم وانظروا ، يتمنون العود وههنا ، ويسألون التدارك وفدقات ، يامطلقا اذكر قيودهم ، يامتحركا قد عرفت همومهم ، خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فانك مطلوب ، وتذكر بقلبك يوما تتقلب فيه القلوب ، قبل أن يمسك اللسان ويتحير الانسان ويذول العرفان ، وتشر الأ كفان وتزول الحضرة وتطول السفرة ويأتي منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلقى العبد ما أسلفه وينساه من خلفه ، ويبقى هنالك أسيرا إلى أن يعود فيقوم عريانا حسيرا ، حينئذ تساب الكرائم ، وتنشر الجرائم وتعظم المصائب ، وتنسد المذاهب ، وتبين العجائب وتسود الوجوه ويفوت العاصي ما يرجوه وتثقل على الظهور الأوزار ، ويؤخذ الكتاب باليمين أو اليسار ، وليس لأحد هنالك قرار إلا الجنة أو النار ، فبادروا رحمكم الله بالكتاب قبل ما تعينون هذه الأحوال وتشهدون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) . قال مسعود بن عاصم رحمه الله . بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن حرب وسلمان بن الأعرج على بعض السواحل فبكي كلاب حتى خشيت أن يموت ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائه وبكيت أنا والله لبكائهم لا أدري ما أبكاهم ؟ فلما كان بعد ذلك سألت عبد العزيز ما أبكاك ؟ فقال إني والله العظيم نظرت إلى أمواج البحر فذكرت أطباق جهنم وزفراتها فذاك الذي أبكاني ثم سألت كلابا فقال مثل ذلك ثم سألت سلمان فقال ما كان في القوم شر مني ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم :

قف يا صاح نبكي الدمنا	بعد من قد كان فيها سكنا
ونسادي من غرام مقلقي	بعدهم في دارهم واحزنا
طلما كنا بها في دعة	نحتني من وصلهم ما يجتني
كم بلغنا من أكناف الحمى	من لبانات التي ماسرنا
وافرقنا فكأننا لم نكن	أبدا في الدار نولى للنسا
ليت روحى قبل أن فارقتهم	فارقت من قبل ذاك البدنا

اذهب فانظر إليها فذهب
فنظر إليها وإلى ما أعدت
الله لأهلها فيها ثم جاء فقال
إي رب وعزتك لا يسمع
بها أحد إلا دخلها ثم خفيها
بالمكاره ثم قال يا جبريل
اذهب فانظر إليها فذهب
فنظر إليها ثم جاء فقال :
إي رب وعزتك لقد
خشيت أن لا يدخلها أحد
قال فلما خلق الله النار قال
يا جبريل اذهب فانظر إليها
قال فذهب فنظر إليها فقال
إي رب وعزتك لا يسمع
بها أحد فيدخلها خفيها
بالسهوات ثم قال يا جبريل
اذهب فانظر إليها فذهب
فنظر إليها فقال إي رب
وعزتك لقد خشيت أن
لا يبقى أحد إلا دخلها
وفي صحيح مسلم قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يا أيكم هذه التي
يوقدان آدم جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم قالوا
والله إن كانت لكافية
يا رسول الله ، قال فاتها
فضأت عليها بتسعة وستين
جزءا كلها مثل حرها »
وذكر سفيان بن عيينة
عن أبي هريرة قال صلى
الله عليه وسلم « ناركم
هذه جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم ولولا أنها

يا أضيحاني اتهاوا واتهزوا فرصة الأوقات فالموت دنا

[إخواني] كأنني بكم وقد بلغتكم يومكم الوعود وغافلكم ما لم تفتقدوا منه بوالد ولا مولود، مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجوارح والجلود، ولا يوجد التجلد على النار والجمر (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال الجنيد رحمه الله عليه: دخلت على سري السقطي عند الموت وكان ممن أحرقت قلبه الخوف فقات له كيف تجددك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لأروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق؟ ثم أنشد:

القلب يحترق والدمع مستبق والكرب يجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله ومات رحمه الله.

[إخواني] ما الذي أعدتكم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت، وما الذي قد متموه من من زاد التقوى قبل حلول الموت، وما الذي حجب أسباع الغافلين عن سماع الصوت، يا من خلا بالمعاصي ليتك ما خلوتكم ينادي الغافلين منادى المواعظ فلا يستجيبون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) قال إبراهيم التيمي رحمه الله: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ثم قلت لنفسي ما تريدني؟ قالت أردت إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمانة فأعملني:

يا نفس قد طاب في إمهالك العمل فاستدركي قبل أن يدنوك الأجل

إلى متى أنت في لهو وفي لعب يغرك الخادعان الحرص والأمل

وأنت في سكر لهو ليس يدفعه عن قلبك الناحقان العتب والعذل

تزودي لطريق أنت سالكة فيها فعا قليل يأتك للشل

ولا تنرك أيام الشباب ففي أعقابها الموبقان الشيب والأجل

يا نفس توبني من العصيان واجتهدي ولا يغرنك الإبعاد وللل

ثم احذري موقفا صعبا لشدة يغشى الورى التلفتان الحزن والوجل

ويختم القم والأعضاء ناطقة ويظهر الفصحان الخط والخطل

ويحكم الله بين الناس معدلة فتذكر الحالتان البر والزلال

[إخواني] تداركوا ما فرطتم في أيام البطالة فسيلا كل عامل منكم أعماله يوم يستقبل فلا

يجاب إلى الإقالة ويض أنامله بالندم على الضلالة فيألفها حسرة ما أهولها ورقدة في التراب ما أطلوها بالله عليكم نوحوا على أيام الغفلات بالله عليكم تفكروا في مصارع الأموات بالله عليكم بادروا باب الحبيب قبل الفوات فسكاني بكم قد غافلكم النوم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون).

[إخواني] فكوا أنفسكم من أسر الشهوات، وأيقظوا عقولكم من سكرة الغفلات، واستعدوا

لدار البقاء قبل الفوات فكأنني بكم وقد وافاكم حادى النوم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) ستجري والله دموعك أسفا وحزنا ويشخص لملك الموت البصير الذي صرورنا وتبقى على الصراط بأعمالك مرتبنا وتبدو قبائح أفعالك من السر إلى الجهر وتذرف منك والله العيون (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) هيهات بعد

ضربت بالماء مرتين

ما كان لأحد فيها منفعة

وفي كتاب الترمذي عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «أوقد على النار

ألف سنة حتى احمرت ثم

أوقد عليها ألف سنة حتى

ايضت ثم أوقد عليها

ألف سنة حتى اسودت فهي

سوداء مظلمة» وفي صحيح

مسلم عن أبي هريرة رضي

الله عنه: قال «كنا مع

رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذ سمع وجبة. فقال

النبي صلى الله عليه وسلم:

«أندرون ما هذا؟» قال قلنا

الله ورسوله أعلم. قال هذا

حجر رمي به في النار منذ

سبعين خريفا فهو يهوى

في النار الآن حتى انتهى

إلى قعرها فسمعتم وجبتها»

وفي كتاب الترمذي عن

عبد الله بن عمرو بن العاص

قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «لو أن روضة

مثل هذه وأشار إلى مثل

الجمجمة أرسلت من السماء

إلى الأرض في مسيرة

خمسمائة سنة لبلغت الأرض

قبل الليل ولو أنها أرسلت

من رأس السلسلة لسارت

أربعين خريفا الليل والنهار

قبل أن تبلغ أصلها أو

فوت الأعمار لاتتفع الحسرة وعند انقطاع الآمال لاتنفيد الفكرة ليت شعري ما جوابكم يوم الحيرة إذ نودى (هذا يوم لا ينطقون .. وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) إلهي من لعبيد أخطئهم المعاصي والذنوب من لآبق أبعده عن الباب قبيح الزلات والعيوب عنفوك يا علام الغيوب فقد حسنا برحمتك الظنون . إلهي ما أعظم حسرتي إذ ذكر غيري وأنا الغافل ، مولاي ما أشد مصيبي أنه غيري وأنا النائم سيدي ما أبلغ قصتي أدل غيري وأنا الحائر . إلهي جد بالعمو عن مذكر متكلف وسامع متخلف . إلهي إذ ادلت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتي إليك أترك تقبل المدلول وتردّ الدليل . إلهي إن لم يكن كلامي خالصا لوجهك في مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

المجلس الحادي والعشرون

في قوله تعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)

الحمد لله الذي برهن باهر قدرته على إثبات ثبات وحدانيته يبرهان وجود الموجودات الباطنية والظاهرة ، جعل دلائل الحكم وبراهين القدم وآيات الابداع وشواهد الاختراع نطقا لقاري الأفكار على سطور الكائنات الواردة والصادرة كتب رسول القضاء بقلم القدر في درج الموجودات لاتقرأ كتابة أسرارها إلا باللسنة الأرواح الصافية الطاهرة . بعث كواكب النهم ليمون العقول فشاهدت عجائب الجبر وخرائب القهر في اثبات الكسب في ديوان (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) سكر العقل من خمرة العجز وظهر له خيالات الصور من وراء ستر العيب على بساط الحركات والسكنات مقهورة في باطنها وفي ظاهرها قاهرة ، أطلق لمريد العقل طرف الطرف على أرض الفكر ليصل إلى مدينة الإدراك فاقض عليه فارس القدر فأوقفه على حدّ العقول حد يقف عنده فلم أن قواه عن الإدراك قاصرة ، رفع العقل بصر الأبصار فشاهد مراتب الأملاك في مناصب الأتلاك فساجد بالهيبة وراكم بالعظمة وقائم بالقدرة وذاهل بالحبة وشاخص لامثال الأمر في البسائط والركبات والأدوار الدائرة ، وخفض مرآة الاعتبار فقابلت صور الكائنات عن العدم بارادة القدم فظهر له سرار الصنعة في إقامة برهان الأشكال من مشكلات الطبائع المتعاعدة للتناثرة شاهدنا الحرارة وماء البرودة مجموعة في خزائن الحيوان ، فلا الحرارة تبقى البرودة ولا البرودة تبقى الحرارة قدرة قادر قدرته في اللقدورات باهرة ، حير الألباب في قسمة أجزاء الغذاء الواحد تنفصل منه الحرارة للحرار والبرودة للبارد بأوزان من المقادير فالماء واحد والغذاء واحد وسرّ القسمة مختلف بحكمة لاتشاهدها البصائر الباصرة ، نادى حكيم حكيمته أسمع العقول (إنا كل شيء خلقناه بقدر) من الأرزاق والآجال والشقاوة والسعادة والقرب والبعد فيا ليت شعري بم سبق الكتاب ؟ وكيف الخلاص من هذه الدائرة ، قدرة قادر لاتتعلق يد النقائص بذيل حكيمته ولا تنشب أنامل الإباداة في تغيير صمديته ولا يطمع طامع الغير في تبديل كلمته ولا تتعلل العقول أسرار مشيئته ، فان عللت بقيت في ليل الجهل حائرة ، قدم بين يدي تقديره زمام أم الكتاب ، وأمر كاتب القضاء بقلم القدر بكتابة أسرار المقرّبين والمباعدين فقرب بلا علة وأبعد بلا سبب وختمه بخاتم السابقة فهي غائبة حاضرة ، محا وكتب ونسخ وأثبت وأبعد وقرب وهدي وأضلّ وأعزّ وأذلّ وأمر أفهام العقول بفهم الرموز ، وكيف تدرك العقول الفاصرة . فبالله يا أخى كيف الحيلة وما السبب . وبم سبق الأقدار ، ومن الرابع في أعماله ومن أعماله خاسرة ؟ فسبحان من غمض بصائر الباصرين ، عن مشاهدة أسرار بستر التركيب ، وحجب الطبائع في سرادقات التكليف فاقتفرت إلى مرشد الرسالة على توالى الدهور والداهرة . أحمدوه وأؤمن

تعرها » وفي صحيح البخارى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما فى الأرض من شيء أكنيت فتتدى به ؟ فيقول نعم . فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك » وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشرا كان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى الرجل ماري أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » وفيه عن حمزة بن جندب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه » . وفي مسند البراز عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم

به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة إليه ، براءة عبد معترف بما كسبت يده من الزلات
مفتقر إلى رحمته العامرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتزه عن الكم والكيف
والأين والزمان والمكان والكل والجزء والفوق والتحت واليمين والشمال والوراء والأمام . فهذه
صفات الأجسام الفانية الفائرة . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين والمرسلين
وسلطان الصديقين وإمام المقرّبين ، وقائد المرّ المحجلين إلى جنات النعيم ، التي قال في حقها ذو القدرة
الباهرة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته
وأَنْصاره صلاة تؤمن روعنا يوم ترى القلوب من الأهوال خائفة طائرة . أيها الناس أين الذين
جمعوا الأموال ولم ينهم ما جمعوا ، أما كلهم في القبور جمعوا ، أين الذين قطعوا أيامهم في الشهوات
وما شعبوا ، أتراهم أعجبهم المقام أم حبسوا فما رجعوا ؟ أين الذين غرّتهم الدنيا خذلوا والله بالشهوات
وخذعوا ، أين الذين نصبت لهم الأسباب شباك الغفلة حتى وقعوا ؟ نزل بهم مفرق الأبواب فذلوا
لسطوته وخضعوا ، أزعجهم من بين الأهل والأحباب وقد خفوا ، يكيه أهله وأحبابه ياليتهم نجحوا ،
أفردوه بأعماله ونسوه وانقطعوا ، يناديهم بلسان الحشرات ياليتهم سمعوا ، ارحموا من صار رهينا
في التراب بلا عمل ينجيهِ ولا مفرج يؤويه هيهات شربوا كأس الأسف والندامة وتجرعوا ، مزقت
الديدان أوصالهم فقطعوا يودون لورود الفصام والبهار وبالليل ما هجموا ، هيهات والله قد حصدوا
من أعمالهم ما زرعوا ، فبادروا رحمكم الله فبين أيديكم الصراط والحساب ، وأهوال من سكرات الموت
صعاب . ويوم تنقطع فيه الأرحام والأنساب ، ولا ينفع فيه الأهل والأموال والأسباب ، إيمانهم
في الجنان أو تقلب في العذاب ، وكل ينادي بلسان الحشرات يا ويلتنا ما لهذا الكتاب . فيامن قادتهم
الشهوات إلى الخفا ، يامن دنس الحرام منهم البواطن والظواهر ، ويامن أعمسهم الهوى فعميت
منهم البصائر (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) قوله تبارك وتعالى « ألهاكم التكاثر » أي شغلكم ،
يقال لها بمعنى لعب ولهي عن الشيء غفل ، والتكاثر هو تكاثف الكثرة ، والتكاثر أيضا التفاضل
بالكثرة في المال والأولاد والأنساب حتى أدرككم الموت . وهذا خطاب ظاهر في الدنيا إذا كان معنى
زرتم مستقبلا ، أي حتى تزوروا المقابر ، وباطن هذا الخطاب هو قوله تعالى لجامعي الأموال وأهل
التفاخر (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا) أي ليس الأمر الذي يكون التكاثر عليه ، ويحتمل
أن يكون توكيدا ينوب عن اليمين ، ويحتمل أن يكون ردعا وزجرا عن التكاثر والافتخار (سوف
تعلمون) أي ستعلمون بعد هذا ما يحاسب عليه أهل التكاثر في عرصات القيامة (ثم كلا سوف تعلمون)
ذكر المفسرون من طريق العربية أنه تكرار وتأكيّد لاوعيد وتغليظ للنهي عنه (كلا لو تعلمون)
أيها الناس مالكم عند الله وعليكم إذابت سكرات الموت ونشر ديوان العمل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
(علم اليقين) وهو الموج الصدور بما يرتفع به الشك وجواب لو محذوف تقديره لشغلكم ذلك عن غيره
(لترونها الجحيم) في دار القبر لأنه يعرض على كل آدمي مقعده في النار فإن كان سعيدا عرض عليه
وبشر بنواله ، وإن كان شقيا عرض عليه وقرّر له (ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن
النعم) قيل عن الصحة والفراغ ، وقال مجاهد وقتادة : كل ما لئذ به فهو نعم . يامن سبقه القوم
وتخلف في الشهوات ، يامن قطع زمانه في التسويف والبطالات ، يامن قسا قلبه بالمعاصي وجمدت
عيناه عن العبرات يامن شابت ذوائبه ، وهو مقيم على الزلات ، كم تبارزون بالمعاصي من علم خفيات
السرائر (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اكتسب
مالا من حرام فتصدق به أو وصل به رحما أو أنفق في الله تعالى جمع ذلك كله وقذف به في جهنم »

تنفس رجل من أهل النار
لأحرقهم . وفي كتاب
الترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنهما . قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لو أن قطرة من
الزقوم قطرت في دار
الدنيا لأفسدت على أهل
الدنيا معاشهم فكيف بمن
يكون طعامه » وعن أبي
سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« لسرادق النار أربعة جدر
وكثف كل جدار مسيرة
أربعين سنة » قال صلى الله
عليه وسلم « لو أن دلو من
غساق تهرق في الدنيا
لأتت أهل الدنيا » قال
العلماء : الغساق عرق أهل
النار وصديدهم . وقيل
دموعهم يسقونها مع الحميم ،
وقال صلى الله عليه وسلم
« ويل واد في جهنم يهوى
الكافر أربعين خريفا قبل
أن يبلغ قعره ، والصعود
جبل من نار يصعد فيه
سبعين خريفا ويهوى
كذلك أبدا » وقال صلى الله
عليه وسلم « لو أن مقعما
من حديد وضع على الأرض

ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكتسب العبد مالا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار » وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطثوا الرزق واتقوا الله وأجلوا في الطلب فخذوا ما أحل الله تعالى وذرّوا ما حرم الله تعالى » وأعجبنا كما بسط المولى بساط النعم قابله بالعصيان ، كم ترك يا عبدي ترك مجالسك وتجالس الشيطان ، كم أعطف عليك بالآلاء وأنا للناس ، يا عبدي أحب أن أواصلك وتحب البعاد عني والمهجران ، ما حيلتك إذا حلّ عليك غضبي وفرت منك الأهل والعشائر (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى عليه : حجبت سنة من السنين فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة مدلهمة وإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول : إلهي وعزّتك وجلالك ما أردت بعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بمكانك جاهل ولكن خطيئي عرضت لي وسوّلت لي نفسي وأعاني عليها شقائي فغرتني سترك المرخي على فقصيتك بجهلي وخالفتك لشقوتي ، فمن عذابك من يستغفني ، وبجل من اعتصم إن قطعت جملك عني ؟ واحسرتا إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين خطوا . أتراني مع المخفين أجوز أم مع المثقلين أخط ؟ وبلي كلما كبر سنني كثرت ذنوبي ، وبلي كم أتوب وكم أعود ، أما أن لي أن أستحي من علام الغيوب :

ما اعتذارى وأمر ربّي عصيت حين تبدى صحافتي ما أثبت
ما اعتذارى إذا وقت ذليلا قد نهاني وما رآني انتهيت
ياغنيا عن العباد جميعا وعليما بكل ما قد سعت
ليس لي حجة ولا لي عذر فاعف عن زلتي وما قد جنيت
ثم قال :

يا رب أنت أمرتني ونهيتني وأريتني طرق الضلالة والهدى
وعلمت أني لأفتر من الذي قدرت لي إن كان خيرا أوردني
وسلكت بي ماشئت للشيء الذي في الخلق ما أخفيتهم عنهم سدى
ودخلت من غير اختياري تحته والعبد محكوم عليه وإن عدا
فاقبل بفضلك توبتي لك مخلصا وارحم فاني قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذي يأسى قد جاء معترفا وعاش موحدا

[قال منصور] فبكيت لما سمعت كلامه وقرأت قوله تبارك وتعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) قال : فسمعت دك دكة عظيمة واضطرابا كثيرا ثم انقطع الحس ، فلما أصبحت مررت على الباب فرأيت جنازة رجل وامرأة تدخل وتخرج وهي تقول : يا بني يا قاتل القرآن ، يا بني يا قاتل الأحرار ، فدنوت منها وقلت : يا أمة الله من هذا الميت ؟ فقالت ولدي وقرّة عيني ، كان يعمل الخوص فينفق على ثلثا وثلثا يأكله وثلثا يتصدق به ! فمرّ به رجل فقرأ عليه آية من كتاب الله تعالى فمات فما حيلتي ؟ :

قف بنا نبكي ديارا أقفرت فهي تبكي بعدهم إذ هجرت وتناغت عندها غربانها
وهي من قبل النوى قد زجرت آه من أكبانا لو حفظت عهد سكان الحمى لا نظرت

فاجتمع الثقلان ما تهلوه
من الأرض ، وقال لوضرب
الجليل بقمع من خديد لقت
وصار غبارا « وفي كتاب
الترمذي عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج عنق من
النار يوم القيامة له عيتان
تبصران وأذنان تسمعان
ولسان ينطق يقول : إني
قد وكلت بثلاث : بكل
جبار عنيد ، وبكل من
دعا مع الله إلها آخر ،
وبالمصورين » وفي كتاب
الترمذي عن أبي أمامة
رضي الله عنه . عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى « (يسقي من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه)
قال . يقرب إلى فيه فإذا
أدنى منه شوى وجهه
ووقعت فروة رأسه فإذا
شربه قطع أمعاءه حتى
يخرج من دبره يقول الله
تعالى (وسقوا ماء حميا
نقطع أمعاءهم) ويقول
جل وعلا (وإن يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه) » وفيه عن أبي

لانس من حالهم خلفا فقد خربت أطلالها ماخبرت فكأن الأهل ماسروا بها
وكأن الدار ما قد حضرت لطف قلبي لليال سلفت تزعج القلب إذا ما ذكرت
خربت دارهم من بعدهم وبهم كانت قديما عسرت وبرغمي أن أرى أطلالهم
ووحوش البين فيها حشرت لو رأت أعينهم مانالهم لبكت من حزنها واستعبرت
[إخواني] أما آن لدى السفر أن يعد له الزاد؟ أما آن لدى العاصي أن يتوب قبل المعاد؟
ويحك ما ينفعك غدا أهل ولا مال ولا أولاد، فإلى متى هذه العفلة وإلى متى هذا الرقاد؟ تولت أيام
شبيبتهك وليس لك من أعمالك ناصر، (ألهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر) كان خليل العصري
رحمة الله عليه يقول: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها
عاملا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا، فعلم تعرجون وما عسيتم تنتظرون، الموت أول
وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا:

سيروا إلى ربكم فالعمر مندروس والموت قد خاف والأيام تختلس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط بلقعة صرعى وماشي الوري من فوقهم بطس
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا قد مات ذكرهم بين الوري ونسوا
والله لو أبصرت عينك ما صنعت يد الليالي بهم والدود يفسترس
لما انتفعت بعيش بعدهم أبدا أما هم من جنى الدنيا فقد يثسوا

يا هذا إلى كم تضحك ونوادب الحمام تبكي عليك أسفا، غيرك يا محروم على الجادة وأنت من البعاد
على شفا، ستبكي زمان الوصال وما صفا، أما آن لك أن تصالح مولاك؟ أما كفي عمت بصيرتك
عما أنت إليه صائرا! (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر). ويحك كم تحضر المجالس بحسبك وقلبك عن
الحضور غائب! ويحك علا بطنك من الحرام وتطلب من الوهاب الوهاب، ويحك إن خرجت
من المجلس وما تبنت فأنت من القسمة خائب! هذا باب التوبة مفتوح والتواب ينادي هل من تائب
فبادروا قبل أن يغلق الباب وتبلى السراير (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) إلهي ما أعظم حسرتي
أذكر غيري وأنا الغافل، مولاى ما أشد مصيبتى أنه غيرى وأنا النائم، سيدى ما أبلغ قصتي أدل
غيرى وأنا الخائر، إلهي جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف. إلهي إذا دللت السالكين
عليك فوصلوا بحسن موعظي إليك أترك تقبل المدلول وترد الدليل. إلهي إن لم يكن كلامي خالصا
لوجهك ففي مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك، وارحمنا أجمعين
برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

المجلس الثاني والعشرون

في صدقة التطوع

قال الله تبارك وتعالى (إن الصدقين والصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم
أجر كريم) وقال تبارك وتعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا
ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خلل الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع

هريرة رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال
«إن الحميم ليصب على
رؤوسهم فينفذ الحميم حتى
يخلص إلى جوفه فيسلت
ما في جوفه حتى يبرق من
قدميه وهو الصهر ثم يعاد
كما كان» وفيه عن أبي سعيد
الخدري رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال
«(وهم فيها كالخون) قال
تشويه النار فتتقاص شفته
العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخي شفته السفلى
حتى تضرب سرته» وفي
كتاب الترمذي نال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «إن
غلظ جلد الكافر اثنان
وأربعون ذراعا وإن
ضمره مثل أحد وإن
مجلسه في جهنم كما بين مكة
والمدينة» وفي صحيح مسلم
قال «ضرس الكافر أو
ناب الكافر مثل أحد
وغلظ جلده مسيرة ثلاث»
وقال «ما بين منكبي
الكافر في النار مسيرة ثلاث
لراكب السريع» وروى
عن ابن عمر رضى الله

أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وأما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم »
 رواه الترمذى رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن
 الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمخذور »
 وروى سعيد بن مسعود الكندى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن رجل
 يتصدق يوماً أوليلة إلا حفظ أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بقة » وعن أنس بن مالك رضى
 الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة » وقال
 بعض العلماء : يتصدق العبد بالصدقة ويكون البلاء قد نزل فتنقطع الصدقة فيتلاقيان فلا البلاء يغلب
 الصدقة ولا الصدقة تغلب البلاء فهما يقتتلان بين السماء والأرض إلى أن يشاء الله تعالى . وروى
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى : عبدى استطعمتك فلم تطعمنى ، واستسقيتك
 فلم تسقنى ، واستكسيتك فلم تكسنى ، فيقول العبد : وكيف ذلك يارب ؟ فيقول : مررت بك فلان
 الجائع وفلان العارى فلم تعد عليه بشيء من فضلك فلا تمنعك اليوم من فضلى كما منعتك من فضلك »
 وقال الحسن رحمه الله عليه : لو شاء الله لجعلكم فقراء لا غنى فيكم ، ولو شاء لجعلكم أغنياء لا فقر
 فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « صدقة السر تطفى غضب الرب » وصنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصلة الرحم
 تزيد في العمر وتوسع في الرزق » وقال سالم بن الجعد رحمه الله عليه : إن الصدقة لتدفع سبعين باباً
 من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفاً . وقيل إن الصدقة أربعة حروف : صاد ودال وقاف
 وهاء . فالصاد منها تصون صاحبها عن مكاره الدنيا والآخرة ، والدال منها تكون دليلاً على طريق
 الجنة غذا عند تحير الخلق ، والقاف منها للقرابة تقرب صاحبها إلى الله تعالى ، والهاء منها للهداية
 يهدى الله تعالى صاحبها للأعمال الصالحة ليستوجب بها رضوانه الأكبر . وعن أبي القاسم المذكور
 رحمه الله عليه قال : كان من خلق إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بخير ما يجد وأفضله وأحسنه
 ف قيل له لو تصدقت بدون هذا لكفى . فقال : لا يرانى الله تعالى أطلب خير ما عنده بشر ما عندى .
 وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى ثم قرأ
 هذه الآية (الشيطان يعدكم الفقر) يعنى ينهاكم عن الصدقة (ويأمركم بالفحشاء) يعنى بالمعاصى (والله
 يعدكم مغفرة منه وفضلاً) يعنى يأمر بالطاعات وبالصدقة لتنالوا منه مغفرته وفضله (والله واسع عليم)
 يعنى عايم بثواب من يتصدق . وعن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه قال : ما على الأرض صدقة تخرج
 حتى تفك لحي سبعين شيطاناً كلهم ينهأ عنها ، وعن عكرمة رضى الله عنه قال : كان فى بنى إسرائيل
 رجل ذو مال ، وكان ذا معروف فى ماله فمات وترك امرأة وابناً . فقالت للمرأة : ما أرى لما بقى من ماله
 وجهاً أفضل مما كان يصنع فتصدقت به لإمامتى درهم ادخرتها لولدها ، فلما أدرك الغلام قال يا أمه :
 أى رجل كان أبى ؟ قالت : من خيار بنى إسرائيل . قال : ماترك مالا ؟ قالت بلى ولكنه كان يفعل
 المعروف وألحقته سبيله . قال ما كان لك أن تصدق بمالى فما أبقيت منه ؟ قالت مائتى درهم . قال
 هاتينى أبتغى بها فضل الله تعالى فأخذها منها ومضى ، فخرج فمات بميت عريان مطروح على وجه
 الأرض . فقال ما وضع المال فى أفضل من هذا ، فاشترى له كفناً بمائة وثمانين وكفنه وواراه
 التراب ومضى بالعشرين فإذا هو برجل على الطريق ، فقال له أين تريد ؟ فقال : خرجت أبتغى
 فضل الله تعالى . فقال له إن دلتك على شيء تصيب فيه فضل الله تعالى فجعل على فيه نصف ما تصيب ؟

عنهما قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إن
 الكافر ليسحب لسانه
 الفرسخ والفرسخين
 يتوطأ الناس » وفى كتاب
 الترمذى وغيره عن
 أنس قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 « أيها الناس ابكوا فإن
 لم تبكوا فبناكوا فإن
 أهل النار يكون فى النار
 حتى تسيل دموعهم على
 وجوههم كأنها جداول
 حتى تنقطع الدموع
 فتسيل السماء فتخرج
 العيون فلو أن سفناً
 أجزيت فيها لجرت » .
 [وحكى] عن شقيق
 البلخى : أنه كان يوماً
 يعاتب نفسه ويوصيها
 ويقول : يا شقيق لا تعص
 الله إلا على حسب ما تطيق
 من عذابه ، واعمل
 لآخرتك على قدر حوائجك
 إليها ، واظب الرزق على
 قدر مقامك فى الدنيا ،
 واعمل لدار لا فساد لها ،
 فسوف ترى إذا انجلى
 الغبار ، أفرس تحتك أم
 حمار ؟ .

قال نعم . قال فانطلق الى هذه المدينة فانك ستجد امرأة معها سنور تبعه فاشتره منها بعشرين درهما ، ثم اذبحه واحرقه بالنار ، ثم اجمع رماده واذهب بذلك الى المدينة الأخرى ، فان ملكها قد ذهب بصره فأكله يرجع اليه بصره فذهب ففعل ذلك ، فقال الملك أوردوه الوادى الذى فيه الكحالون ، ثم خبروه إن أبرأى فله ماشاء وإلا قتلته فان شاء أن يقدم وإن شاء أن يرجع فنظر الى الكحالين وهم مقتولون . فقال إني أكله فسكره . فقال كأي أرى شيئا ، ثم كله ثانيا ، فقال رأيت شيئا ، ثم كله ثالثا فرجع اليه بصره ، فقال ما أبرك بشيء أجل من أن أزوجك ابني وتسال حاجتك فأعطاه كل ما أحب من المال فمكث عنده مدة ، ثم تذكر أمه فاستأذن الملك فى الانصراف فقال نعم واحمل معك أهلك ومالك ثم بالرجل الذى على الطريق . فقال له أتعرفنى ؟ فقال لا ، فقال أنا الرجل الذى كنت وصفت لك كذا وكذا ، فنزل وقامه كل شيء معه . فقال الرجل قد بقي لى شيء ، فقال وما هو ؟ قال امرأتك فأنشدك الله إلا ماوفيتنى . قال وكيف نصنع ؟ قال تنشرها بمنشار قال أفعل ، فلما وضع المنشار على رأسها قال قف فإني رسول الله اليك حفظك الله حيث حفظت عهده ثم رد عليه ماله .

[كان وكان :

من عامل الله يربح وكل من يصدق نجا ومن وفى بالأمانة يكتب من الأخيار ومن عرف ما يطلب هان الذى يذل عليه ومن يخاطر ويحسر قد أدرك الأوطار ومن زرع فى الدنيا يحصد غدا فى الآخرة ويحتلى فى الجنة عرائس الأ Bakar ومن يسلم أموره الله يعطيه الرضا ويتحفه بالعناية وكل ما يختار وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن امرأة من بنى إسرائيل كان لها زوج وكان غائبا وكان له أم فأولعت بامرأة ابنها فكرهتها فكتبت كتابا على لسان ابنها الى امرأة ابنها بغراقها ، وكان لها ابنان من زوجها . فلما انتهى ذلك إليها لحقت بأهلها مع ولديها وكان لهم ملك يكره إطعام المساكين فمر بها مسكين ذات يوم وهى على خبزها . فقال أطعمنى من خبزك فقالت أما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين ؟ قال بلى ولكنى هالك إن لم تطعمنى أنت فرحمته وأطعمت قرصين وقالت له لا تعلم أحدا أنى أطعمتك فانصرف بهما فمر بالحرس ففتشوه وإذا بالقرصين معه ، فقال له من أين لك هذا ؟ فقال أطعمتنى فلانة فانصرفوا به إليها . فقالوا لها أنت أطعمتيه هذين القرصين قالت نعم ، قالوا لها أو ما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين قالت بلى ، قالوا فما حملك على ذلك . قالت رحمته ورجوت أن يغنى ذلك فذهبوا بها الى الملك وقالوا هذه أطعمت هذا المسكين قرصين . فقال لها أنت فعلت ذلك ؟ فقالت نعم ، فقال لها الملك أو ما كنت علمت أنى حرمت إطعام المساكين ؟ قالت نعم . قال فما حملك على هذا ؟ قالت رحمته ورجوت أن يغنى ذلك وخفت الله فيه أن يهلك فأمر بقطع يديها فقطعتا وانصرفت الى منزلها وحملت ابنها حتى انتهت الى نهر يجرى . فقالت لأحد ابنها اسقى من هذا الماء ، فلما هبط الولد لبسقيها غرق . فقالت للآخر أدرك أخاك يابنى ، فنزل لينفذ أخاه فغرق الآخر فبقيت وحدها فأتاها آت فقال يا أمة الله ماشأتك ههنا إني أرى حالك منكرا ، فقالت يا عبد الله دعنى فان ما بى شغلنى عنك فقال أخبرنى بحالك . قال فقصت عليه القصة وأخبرته بهلاك ولديها . فقال لها أينما أحب اليك أرد إليك يديك أم أخرج لك ولديك حين ، فقالت بل تخرج ولدى حين فأخرجهما حين ، ثم رد عليها يديها وقال إنما أنا رسول الله اليك بعنى رحمة لك فيداك بقرصين وابناك ثوبا لك من الله تعالى برحمتك لذلك المسكين وصبرك على ما أصابك واعلمى أن زوجك لم يطلقك فانصرفى اليه فهو فى منزله قدمات

[وروى] أن الربيع بن خيثم كان يذهب الى ابن مسعود ثم بمخاتوت حداد فرأى الحديد الحماة فى الكبر ففتى عليه ولم يبق الى القد ، فلما أفاق سئل عن ذلك ؟ فقال : تذكرت كون أهل النار فى النار .

[إخواني] محجوا الإيمان وهو تصديق القلب ، ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم ، واحرصوا كل الحرص على الإتيان بكامل خصال الإسلام حتى تنجوا من دخولها رأسا :

أيا عاملا للنار جسمك لين فجر به تمرينا بحجر الظهيرة ودرجه فى لسع الزناير يجترى على نهش حيات هناك عظيمة فان كنت لاتقوى فويلك مالدى دعاك الى إسقاط رب البرية

أمة فأنصرفت إلى منزلها فوجدت الأمر كما قيل لها :

جعلت على لطفك المتكلم وأعرضت عن فكرتي والحيل ومادام لطفك لي لم أخف
عدوا إذا كادني أو خذل ولطفك رد الذي أختشى كما كشف الضر لما نزل
وياسيدي كم مضيق فرجت بلطف تيسره من عجل ملاذني يبابك لاحت عنه
وياوحي من عنه يوما عدل وقتت عليه بذل السؤال وماخاب بالباب من قد سأل
قوله تبارك وتعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال أهل التفسير : إن
بنی إسرائيل لما مات موسى عليه السلام أخذوا في التخليط فأعزلت عنهم فرقة ، وسألوا الله تعالى
أن يباعدهم عن أهل التخليط ، فظهر لهم سرب أسفل الأرض فساروا فيه حتى إذا هم في فضاء
من الأرض فنزلوا فيه وبنوا عليه وتناسلوا في ذلك المكان وداموا فيه إلى أن سار إليهم ذوالقرنين
فلما وصل إليهم آراهم في ذلك المكان وكانوا من أطول الناس أعمارا وليس بينهم فقير وقورهم
على أبواب دورهم ومساجدهم بعيدة وليس على دورهم أبواب ولا عليهم أمير ولا حاكم ، فقال لهم
ما شأنكم فيما تفعلونه ، فقالوا أيها الملك : أما طول أعمارنا فإن الله تبارك وتعالى يبارك لنا فيها
فإننا قوم منصفون فطول أعمارنا لإنصافنا ، وأما يسرنا جميعا فنحن قوم نقوم بالمواصاة ، فإذا
أصيب واحد منا بفقر جمعنا له من بيننا أجمعين حتى تجبر ثلثه ولا ييسين علينا ذلك فنحن بأجمعنا
أغنياء ، وأما قبورنا فجعلناها على أبواب دورنا لأننا أخبرنا عن علمائنا وأنبئائنا أن القبر يذكر الحى
الموت ، وأما مساجدنا فبعدنا عنا لأننا رويناه وصنعنا عن علمائنا أن الخطأ إذا كثرت إلى المساجد
كثرت الحسنات ، وأما دورنا فليس عليها أبواب لأننا لا تلصص ولا يسرق بعضنا بعضا فلا نحتاج
إلى الباب ، وأما الحاكم والأمير فلا يظلم بعضنا بعضا ونحن نتناصف فلا نحتاج إلى أمير مانع ولا حاكم
رادع . فقال ذو القرنين ما رأيت قوما مثلكم ولو أردت استيطان بلد كنت أستوطن بلدكم هذا
لحسن معاشرتكم ، وجميل أخلاقكم . وروى أن عابدا من بنی اسرائيل عبد الله في صومعته كذا
وكذا سنة فاطلع من صومعته يوما فرأى خضرة وماء جاريا في وسطها فاهتزت نفسه إلى النزول من
صومعته فنزل وشرب ماء وقعد متشوقا فمرت به امرأة مزينة خارجة من قرية إلى قرية فافتتن بها ثم
إنه مر به سائل ، وكان له كل يوم قرصتان فأثره بذلك وجوع نفسه ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى
نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العابد أبطلت عمالك كله بمأزنتي ، ثم أحييته كله بصدقتك بالقرصين
وإيثارك المسكين على نفسك فهذا ثواب صدقتك إنى قبلت ذلك منك ورددتك إلى حالتك :

ردوا علينا لبالينا التي سلفت واحموا الذي قد جرى منا بفضلكم
فكم زلت وأنتم تصفحوا كرمكم وكم أسأت وأرجو حسن عفوكم
مالي سواكم وأنتم مشتكي حزني وقد جهلت ومالي غير ستركم
ولم أمل عنكم يوما إلى أحد وليس لي في البرايا غير قصدكم
ذلي لكم شرف في الحب أظهره وما أرجى ودادا غير ودكم
لو أن ألف لسان لي أثبت بها شكركم لكم لم أقم يوما بشكركم
إحسانكم لمسى في الهوى دنف مثلي ومالي سوى عادات خيركم
عودوا وجودوا كما كنتم فليس أرى يحلو بسمعي حديثا غير ذكركم
إن كنت أذنبت فاعفوا سادتي كرمكم فمن يرجى لعفو الذنب غيركم

تبارزه بالمنكرات عشية
وتصبح في أثواب نسك
وعفة

فأنت عليه منك أجرا على
الورى

بما فيك من جهل وخبث
طوبة

تقول مع الصبيان ربي
غافر

صدقت ولكن غافر
بالمشيئة

وربك رزاق كما هو
غافر

فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من

غير توبة
ولست ترجى الرزق إلا

بمحيلة
على أنه بالرزق ككفل

نفسه
لكل ولم يكفل لكل

بجنة
إلهي أجرا من عظيم

ذنوبنا
ولا نخزنا وانظر إلينا

برحمة
وخذ بنواصينا إليك

وهب لنا
يقينا يقينا كل شك

وربية

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته .

المجلس الثالث والعشرون

في صدقة الفطر وما أعد الله لخرجها من الأجر

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ، ومكمل الأجر ، وجاعل ظلام الليل ينسجه نور الفجر ، المحيط علما بخائنة الأعين وخافية الصدر ، ومعلم الإنسان ما لم يعلم به ولم يدرك ، المتعالى عن إدراك خواطر النفس وهو اجس الفكر ، المولى رزقه فلم ينس الخلق في الرمل ولا القرخ في الوكر ، جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر ، وتقدر أن يخفى عنه باطن السر وظاهر الجهر ، منته تيجان الرؤوس وقلائد النحر (هو الذى يسيركم في البر والبحر) أحصى عدد الرمل في القياقي والتل في الفقر ، وشاء فأجرى كشاء تقدير الإيمان والسكفر ، أغنى وأفقر برأيه وقوع الغنى والفقر ، وأصم وأسمع بمشيئة إدراك السمع ومنع الوقر ، أبصر فلم يخف عليه ديب التدر في البر ، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر في السر ، وقدر فلم يحتج إلى معين يمد له بالاعانة والنصر ، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات العصر ، قسم بين الخلائق كما أراد أسباب العسر واليسر ، وسير الرزق في بحار الحكم ولولم يشأ لم يسر ، هدايا إليه ودلنا عليه بقويم البيان وسليم الفسر ، وخصنا من بين سائر الأمم بشهر الصيام والصبر ، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه وأنالنا عيد الفطر ، أحمده حمدا لا منتهى لعدده ، وأشكره شكرا لا يحصى موصول مدده ، وأتوكل عليه توكل عبد على سيده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محاص في متعده ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من يمين أصابع يده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابى مقصده صلاة تدوم إلى يوم يفر الوالد من ولده وسلم تسليما كثيرا لا ينقضى مدى الزمان ، بل يتجدد بتجدده : عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر » رواه الترمذى رحمه الله . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مناديا في جفاج مكة « ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير مدان من قمح أو صاع من طعام » رواه الترمذى رحمه الله . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر على الله كره والأنتى والحر والمملوك صاعا من تمر أو صاعا من شعير » رواه البخارى ومسلم والترمذى رحمهم الله . وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا باخراج الزكاة قبل صلاة العيد يوم الفطر » وهو الذى استحب أهل العلم أن يخرج الرجل صدقة الفطر قبل صلاة العيد لقوله صلى الله عليه وسلم « أغنواهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم » . ويستحب يوم الفطر للإنسان أن يغتسل ويلبس أحسن ثيابه ويخرج صدقة الفطر ويأكل شيئا ثم يتوجه إلى الصلوة ماشيا وأن لا يركب إلا من عذر وأن يكون خروجه إلى الصلوة من طريق ويرجع من طريق آخر لأن الله تبارك وتعالى يبعث ملائكة يحلسون في الطريق يكتبون اسم كل من مر عليهم فلذلك استحب الخروج من طريق والرجوع من أخرى . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج يوم العيد من طريق رجع من غيره »

إلهى أهذا فيمن هديت
وخذ بنا
إلى الحق نهجا في سواء
الطريقة
وكن شغلنا عن كل شغل
وهنا
وبقيتنا عن كل هم
وبقية
وصل صلاة لاتناهى على
الذى
جعلت به مسكا ختام
النبوة
﴿ فصل : في الخلود في النار ﴾ قال الله تعالى
(والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون) وفي
كتاب الترمذى عن أبي
البرداء رضى الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « يلقى على
أهل النار الجوع فيعدل
ماهم فيه من العذاب
فيستغيثون بالطعام فيعانون
بطعام من ضريع لا يسمن
ولا يغنى من جوع
فيستغيثون بالطعام فيعانون
بطعام ذى غصة فيذكرون
أنهم كانوا يميزون
النصع في الدنيا بالشراب
فيستغيثون بالشراب

رواه الترمذى رحمه الله . وعن بريدة عن أبيه قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي» . رواه الترمذى رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر على تمرات يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى» وعن أم عطية رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الأبقار والعواتق وذوات الخدور والحيف في العيدين . فأما الحيف فيعتزلان المصلى ويشهدن دعوة المسلمين . قالت إحداهن يا رسول الله إن لم يكن لها جلباب ؟ قال فلتعرها أختها من جلايينها» رواه الترمذى رحمه الله ، وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل» . وروى عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : أكره الخروج اليوم للنساء في العيدين فإن أبت المرأة إلا الخروج فليأذن لها زوجها أن يخرج في أطعارها ولا تزين ، فإن أبت أن تخرج كذلك فلزوج أن يمنعها عن الخروج . وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلتي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أعظم الليالي ليلة الأضحى والفطر» . وعن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربع ليال يفرغ الله تعالى فيهن الرحمة على عباده إفرافا : أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة الأضحى» وإنما سمى العيد عيدا للعود إلى الفرح والسرور ، وقال بعضهم : سمى عيدا لأنه يوم شريف كريم فلعلنا أن يستقبله بالتعظيم والتبجيل لله تعالى ويكثر من ذكر الله تعالى لأن يوم العيد مثاله كيوم القيامة يسمع فيه النفخة والصعقة ، فضررب الطبول تذكرا لها والنفخ في البوق تذكرا للنفخ في الصور ، واجتماع الناس في المصلى تذكرا لاجتماع الناس في القيامة على اختلافهم واختلاف أحوالهم ، فنههم لابس بياض ، ومنهم لابس سواد ، ومنهم راجل ، ومنهم راكب ، ومنهم فرح ، ومنهم محزون ، ومنهم من ينقلب إلى نعمة ، ومنهم من ينقلب إلى نقمة ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «يحشر الناس من قبورهم على ثلاثة أثلاث : ثلث على الدواب ، وثلث يحشون على أقدامهم ، وثلث يسحبون على وجوههم» . والناس في المصلى ينتظرون الإمام كذلك في الحشر والوقوف في العرصات انتظار ما وعد الله تعالى ، والإشارة في الخطبة هو أن الإمام يخطب والناس سكوت كذلك البارئ سبحانه وتعالى يحاسب الناس ويعاقب ونحن سكوت ومراتبهم في المصلى تشبه مراتبهم يوم القيامة منهم القاعدون في الظل ، ومنهم القاعدون في الشمس كذلك في القيامة منهم من يلجمه العرق ، ومنهم من يكون في ظل العرش ، وكذلك انصرفهم من المصلى بعضهم مقبول وبعضهم مردود . وعن وهب بن الورد رضى الله تعالى عنه : أنه خرج يوم العيد فجعل يحشو التراب والرماد على رأسه ، فقيل له : هذا يوم السرور والزينة ؟ فقال : هذا يوم السرور والزينة لمن قبل صومه . وخرج حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى يوم عيد ، فلما عاد قالت له زوجته : كم من امرأة حسناء قد رأيت ؟ فقال : والله ما نظرت إلا في إيهامى منذ خرجت من عندك إلى أن رجعت إليك ، وإنما بالغ السلف في غض البصر حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته . وقال بعضهم : إيك والنظر فانه ينقش في القلب صورة المنظور ، وإنما الدنيا عيوبها بادية كم فتحت باب بلية ولا حيلة كحلة عين كحلة :

فيرفع اليهم الخيم بكلايب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم فيقولون (أو لم تك تأنيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ، قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) قال : فيقولون ادعوا فيقولون (يا مالك ليقتض علينا ربك) قال : فيجيبهم (إنكم ما كنون) قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام . قال : فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) قال فيجيبهم (اخشوا فيها ولا تكلمون) قال : فعند ذلك يثبوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل وروى «أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا

العين أصل عنها فتنة النظر والقلب كل أذاه الشغل بالفكر

كم نظرة نشت في القلب صورة من راح القواد بها في الأسر والخطر
والمرء مادام ذا عين يقلبها في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقاتله ماضر مهجته لامرحبا بسرور جاء بالضرر
فالقلب يحسد نور العين إذ نظرت والعين تحسده حقا على الفسك
يقول قلبي لعيني كلما نظرت كم تنظرين رمالك الله بالسهر
فالعين تورثه هما فتشغله والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما فاحكم فديتك بين القلب والبصر

[وكان الربيع بن خيثم] من شدة غضبه لبصره وإطرافه يظن الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود رضى الله عنه عشرين سنة فإذا طرق الباب خرجت إليه الجارية قتراء مطرقا غاضا بصره فتقول لسيدها صديقك ذاك الأعمى قد جاء فكان ابن مسعود رضى الله عنه يتبسم من قولها. وكان إذا نظر إليه يقول وبشر الخبيثين أما والله لو رأيك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وأحبك. وكان بعض الصالحين رحمه الله يقول ياقوم غرقت السفينة ونحن نيام هذا آدم لم يسمع بلقمة وداود لم يتساهل له في نظرة فكيف بنا ونحن على مانحن عليه من سوء الفعل وقبح القفال وأشد الوبال والنكال والنظر إلى غير الحلال، ثم قال :

يا من رأى سقمي يزيد وعاقى تعي طيبي لاتعجبين فهكذا تجنى العيون على القلوب

[قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله] فأما عقوبة النظر فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشلىل دما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ؟ قال مرت بي امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها نظري فاستقبلني جدار فضر بي وصنع بي ما ترى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا عجل له عاقبه في الدنيا » فكم من أناس صالوا في أول الشهر صلاة الزاوية وأوقدوا في الساجد طلبا للأجر الصايح وملثوا بالعبادات المكان الفسيح ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح. اقتنصهم عن آخرهم الصائل فقمروا وأسروهم الصائد فأسروا وغسهم التلف في بحاره فمقلوا ولم ينفعهم المال ولا الآمال لما نقلوا، رحلوا والله عنا قدما ونقض ما بنوه من الدنيا هدماء أدارت عليهم النون رحاها وأحلت وجوههم الثرى فحاجها، اتهمتهم الآفات من غير تعويض ونظرت إليهم بطرف غضيض فقطعت حبل المني الموصول وفرت جميع الأمل المحصول أعدمتهم والله صوما وفطرا وجعلت قورهم لمهب الرياح قطرا وزودتهم الخنوط عطرا وأصبح كل منهم في الاحد سطرا وهكذا حالك عن قريب فتتقظ وهكذا مالك فاجتهد وتحفظ يا قليل الاعتبار وكم قد سمع ورأى، ياطويل الأمل ورفيقه قد نأى ياهشغولا باللهو ومفتونا بالمنى يامتعلقا بما يوقن أن عقباه الفناء، أما تعد بتوبتك فقل لى متى، إنما الشيب رسول من النون قد أتى، أما أكثر العمر في التسوييف قد مضى، أما أنت غرض سهم القدر والقضا يا من راح إلى المعاصي كثيرا وغدا الأمر مجموع وسيفصل غدا، يا قليل الزاد وحادى رحيله قد حدا تأهب للتلف ونهيا للردى :

أما المشيب فقد كساك رداءه وأزال عن كتفك أردية الصبا
ولقد مضى القوم الذين عهدتهم لسبيلهم ولتلاحقن بمن مضى
ولعلنا تبقى فكن متفطنا ولعلنا يصفو سرورك إن صفا
وهو السبيل نخذ لذلك عدة فكان يومك عن قليل قد أتى

على الجنة وبينهم حجاب
فنادى أصحاب الجنة أصحاب
النار أن قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم
فأذن مؤذن بينهم أن لعنة
الله على الظالمين. ونادى
أصحاب النار أصحاب الجنة
أن أفيضوا علينا من الماء
أو مما رزقكم الله قالوا إن
الله حرمها على الكافرين
فتردهم ملائكة العذاب
بقامع الحديد إلى قعر جهنم
قال بعض المفسرين : هو
معنى قول الله عز وجل
(كلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها وقيل لهم
ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون) وفي
الكشاف وأنوار التنزيل
عن ابن عباس رضى الله
عنهما : أن لهم ست دعوات
إذا دخلوا النار يقولون
ألف سنة (ربنا أبصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا) فيجابون (لقد
حق القول منى) فيقولون
ألفا (ربنا أمتنا اثنتين
وأحينا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل إلى خروج

لا يشغلنك لو وليت عن الذي أصبحت فيه ولا لعل ولا عسى
خالف هواك إذا دعاك لريبة فلب خير في مخالفة الهوى
علم المحجة بين لمريده وأرى القلوب عن المحجة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا
وعجبت إذ أخشى الحمام وليس لي دون الحمام وإن تأخر منتهى
مع أن ساعات النهار تدب لي رسلا وإن لا أزال على الخطأ
فلئن نجوت فلما هي رحمة الرب الرحيم وإن هلكت فبالجزا
يا ساكن الدنيا أنت زوالها ولقد ترى الأيام دائرة الرحا
أين الذين بنوا الحصون وجندوا فيها الجنود وأوتقوا فيها العرا
وذوو الفاخر والنابر والمحا ضروالعساكر والساكروالقرى
أنفسهم ملك للملوك فأصبحوا ما فيهم أحد يحسن ولا يرى
حقى متى لا ترعوى يا صاحبي حقى متى وإلى متى وإلى متى

[قال أبو يعقوب النهر جوري رحمه الله] رأيت في الطواف زجلا بعين واحدة وهو يقول
في طوافه أعوذ بك منك ، فقلت له ما هذا الدعاء ؟ فقال أنى مجاور خمسين سنة فنظرت إلى شخص
يوما فاستحسنته فإذا بلطمة وقعت على عيني فسالت على خدي ، فقلت آه فوكت أخرى ، فإذا قائل يقول
لو زدت لزدناك . وقال محمد بن عبد الله كنت مع أستاذي أبي بكر رحمه الله فمر حدث فنظرت إليه فرآني
أستاذي وأنا أنظر إليه . فقال يا بني لتجدن غيبا ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ذلك
الغيب فتمت ليلة وأنا متفكر فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن كله وقائل يقول لي هذا غيب تلك النظرة
[وقال أبو بكر السكتاني رحمه الله] رأيت بعض أصحابنا في المنام . فقلت له ما فعل الله بك قال
عرض علي سيثاني . وقال فعلت كذا وكذا ، فقلت نعم قال : وفعلت كذا وكذا . فقلت نعم قال
وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقر . فقلت له ما كان ذلك الذنب ؟ فقال مررت بى غلام حسن الوجه
فنظرت إليه فأقمت بين يدي الله عز وجل بها سبعين سنة أتصيب عرقا من خجلي منه ثم عفا عني
بفضله . وروى عن أبي عبد الله الزراد أنه رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي كل
ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقيل
له ما كان ذلك الذنب ؟ قال نظرت إلى شخص جميل ، وقال بعضهم في النظر وخطراته :

عائبت قلبي لما رأيت جسمي نحىلا فأزرم القلب طرفي وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي بل أنت كنت اللبلا فقلت كفا جميعا تركتاني قتيلا
وقد أطلت نواحي عليكما والعويلا ومن رضى بالذي لا يحل كان جهولا
يستهنون الأمر فيه يراه أمرا مهولا فيفتدى القلب منه جهرا سقيا عيلا
فتب إلى الله مما جنيت تعط القبول ولا يسر ثم عسدا إليك يلقى سيلا

فيا ابن آدم عيوبك مطلقة في الحرام ، ولسانك منهمل في الآثام وجسدك يتعب في كسب الحطام
كم من نظرة محقرة زلت بها الأقدام ، واعلموا عباد الله أن يوم العيد يوم سعيد يسعد فيه ناس
ويشقى فيه عبيد فطوبى لعبد قبلت فيه أعماله والويل لمن عمله عليه مردود وهو يوم يهنا فيه
المقبول ويعزى فيه الطرود فاجتنبوا رحمكم الله فيه قبيح الأعمال ، واسعوا في مرضاة الملك ذي الجلال

(من سبيل) فيجابون (ذلكم
بأنه إذا دعى الله وحده
كفرتم) فيقولون ألفا
(يا مالك ليقض علينا ربك)
فيجابون (انكم ما كنون)
فيقولون ألفا (ربنا أخرنا
إلى أجل قريب نجب
دعوتك) فيجابون (أو
لم تكونوا أقسمتم من قبل
مالك من زوال) فيقولون
ألفا (ربنا أخرنا نعمل
صالحا) فيجابون
(أو لم نمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم
النذير) فيقولون ألفا
(رب ارجعوني لعلنا عمل
صالحا فيما تركت كلا إنها
كلمة هو قائلها) فيجابون
(اخسئوا فيها ولا تكلمون)
نم لا يكون لهم فيها إلا
زفير وشهيق وعواء ، وفي
صحيح مسلم عن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إذا صار أهل
الجنة إلى الجنة وصار أهل
النار إلى النار أتاني بالموت
حتى يجعل بين الجنة والنار
فيذبح ويقال : يا أهل
الجنة لا موت ، ويا أهل

عسى ينجيكم من ردى الأعمال ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان ليلة القدر سميت ليلة الجائزة . فإذا كانت غداة القدر بيعت الله تعالى الملائكة في كل بلد فيهبطون إلى الأرض فيقفون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فتقول الملائكة : إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتي : أشهدكم أنني قد جعلت مواهبهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضاي ومغفرتي فيقول الله تبارك وتعالى سلوني فوعزتي وجلالي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم هذا شيئا آخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وعزتي وجلالي لأسترن عليكم عيوبكم فلا أخزيكم ولا أفضحكم بين يدي أصحاب الحدود فانصرفوا مغفورا لكم قد أَرْضِيتُمُونِي وَرَضِيتَ عَنْكُمْ فَتَفَرَّحَ الْمَلَائِكَةُ وَاسْتَبْشَرُوا بِمَا يُعْطَى اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ إِذَا أَفْطَرُوا [اخواني] ما أحسن حال من خلعت عليه خلع القبول وبلغ غاية مقصوده ونهاية مطلوبه وما أشقى من ردى عليه ماضى صومه وسالف تعبهِ ولم يحظ فيما أسلفه إلا بشدة نصبه ، واعجبا كيف يفرح بالعيد مطرود ومهجور . قال وهب بن منبه رضى الله عنه : خرج ثلاثة أخبار إلى العيد . فقال أحدهم اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نعتق العبيد في هذا اليوم ، ونحن عبيدك فاعتق رقابنا من النار ، وقال الآخر : اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن لا نرد للساكنين ونحن مساكنك فلا تردنا ، وقال الآخر : اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا أن نغفو عن ظلمنا ونحن عبيدك قد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت أرحم الراحمين :

عبدى مقيم وعيد الناس منصرف	والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى عنهما خلف	طويل الحنين وعين دمعها يكف
والعيد عودى إلى مولاي أتصد	وإنى بالخطا والذنب أعترف
لعل يشفع لى ذلى ومسكنى	فيه عسى ينجلى ضرى وينكشف
فهو الكريم الذى عمت واهبه	لجاءنا من هدايا فضله تحف

المجلس الرابع والعشرون

في ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

الحمد لله الذى قرَّب من عبادِهِ إلى حضرة وداده ، واصطفى واجتبي من أحبائه من صلح لحضرة اقترابه وسقاه من صفو ثراه ماصفا ، ومن على من اجتبا من خلقه وجعل منهم أنبياء وأصفياء وأولياء وخلفاء ، واختار المختار محمدا صلى الله عليه وسلم وميزه على سائر الخلق قبل أن يكونوا فى الأصلاب نطقا ، فاصطفاه منعا ومتحفا ، وأعطاه بكرمه فخرا وكان له عينا ومردفا ، توسل به آدم إلى ربه فقبل توبته وعفا ، ودعا به نوح فنجاه فى يمه وكان لقومه مغرقا متلقا ، واستجار به الخليل إلى ربه من نار نمرود ففك عنه القيود وخمد لهيبها وانطقا ، وتوسل به إسماعيل فأغيث بالهدا ، وكان له من الردى معينا ومسعفا ، وسأل به موسى الكليم ، عطاف الملك الكريم فعاد عليه متعطفا ، والتبس بركته عيسى فكساه مولاة عقدا نفيسا إذ جاء مبشرا بأحمد المصطفى ، فهو سيد الكونين ، وإمام الثقلين ، ومن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدة المنتهى ، إلى قاب قوسين معظما مشرفا ، وكان البراق مركبه وجبريل يحجبه والملائكة ترقبه ويهدي إليه من البشر والهنأ طرفا

الدار لاموت ، ويزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، وأهل النار حزنا إلى حزنهم ، وفى كتاب الترمذى « فلو أن أحدا مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزناً لمات أهل النار » فاتق الله يا أخى ولا تصغر ذنبا ولا تلق مثل هذا خلف ظهرك ظنا منك أنه إنما يلحق الكفار ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا المؤمن » وأنه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » وقال الغزالي رحمه الله ، وكان شيخنا يقول : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فإن الأمر على الخطر ولا تدرى ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك فى حكم

وتخفا ، فلما وصل ركابه إلى السجد الأقصى وجدته الأنبياء مرتصا ، فأم بهم وكل منهم دعا له ووصى فقال في حق من خصه بالاسراء خصا (سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا من السجد الحرام إلى السجد الأقصى) فكان ذلك فخرا له وشرفا ، ثم نصب له للعراج إلى السماء فرقى وسما وصار مبيجا مفتحا ، موقرا معظما مكرما مؤيدا ، مقدما حاكما متصرفا ، هذا وجبريل في ركابه لا يبغي عنه في ذهابه حولا ولا تحرفا ، فاستفتح أبواب السماء بالعظيم والتبجيل ؟ فقبل من معك يا جبريل ، فقال محمد المصطفى ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا ولعم الحبي جاء متوجا مشرفا فتلقته الملائكة السكرام ، وسلم على الأنبياء بالاحترام فكل رجب به وأضحى من بركة بركته مترفا ، فتجاوزهم وسار وقطع الرسوم والآثام ، ولم يبلغ تلبثا ولا توقفا فسمع صرير الأقلام وتسبيح الأملاك ورأى الجنة والنار ، وما أعد الله فيهما للأبرار والفجار ، فحمد لمحب النار ببركة قدومه وانظفا ، وعطر رضوان في الجنة قصورا وغرفا ، ثم رفع إلى البيت المعمور ، وعين الضياء والنور ، فرآه يدخله في كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى (يوم بعض الظالم على يديه) ندما وأسفا فلما وصل به جبريل إلى سدره المنتهى تأخر عندها ، فقال له الرسول الجليل يا جبريل أهبطنا بترك الخليل الخليل متخلفا ؟ فقال ياسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، أنت صاحب السر المسكوم ، والعلم المرقوم ، ومن ههنا تنطمس الرسوم وتندرس العلوم ، فهذا مقامى المفهوم ، ومأمننا إلا له مقام معلوم ، فسرى في مطالع طوالع سعدك مشرفا ، وارق من أنوار عزك ومجدهك رفرقا رفرقا :

رقى رفرق الأنوار والليل قدصفا وهب نسيم الوصل وانتسخ الجفا

وطاب له ذكر الخطاب منادما وراق له ذلك الشراب تلطفا

فما زال المختار يتجاوز حجب الأنوار ، ويخترق الأستار ، ويرقى رفرقا رفرقا ، إلى أن ذهب الأين واختفى ، وزال البين واتفى ، وسلك المصطفى صلى الله عليه وسلم حسن الأدب واقتفى وشاهد جمالا مازال بالوحدانية معرفا ، وبالفرسانية متصفا ، فوقف موقف الحضور ، وقد ألبس خلع الضياء والاور ، مطرزة بطراز السرور ، مرقومة برقوم الجور ، وقد وصل جبل الوصل واتفى الجفا ، فبداه السلام بالسلام متخفا ، وحياه بالانعام والإكرام تلطفا ، وقال له العلى الأعلى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وذاعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) فسراج نبوتك يضى على أمتك إلى يوم القيامة ماوهن ولا انظفا ، فأنت الشاهد وأنا المشاهد ، وقد فزت بأشرف المشاهد ، والشاهد لا يكون في تحقيق شهادته مترددا ولا متوقفا ، فاشهد بما رأيت لتكون للناس بالوحدانية معرفا وللى بالعبودية معترفا ، فقد أسمعك كلامي شفاها وجعلته لك شفا ، وأشهدتك جمالي وكنت إليه متشوقا ، ولذلتك بخطابي فكان لسمعك مشفعا ، وسقيتك من لذيذ شرابي كأسا راق ومن الأكداد قد صفا ، فقل لمن نام عنى وغفا ، وتعوض عن وصلى بالجفا :

يا ذا الذى قد نام وهنا أو غفا ماذا يفوت النائم من الوفا

قم يا غفولا عن وصال حبيبيه واذر الدموع على الحدود تأسفا

واسمع ودع عنك التكلف إنه ما طاب من أضجى هواه تكلفا

لى بالعقيق وبين جرعاء الحمى بدر رشيق القد أسبر أعيفا

أعياء عيون الناظرين بحسنه وقضى لطرف ناله أن يطرفا

إن يسد فى ليل ترى بدرا بدا أو ينثى قلت الحسام المرهفا

الغيب ، ولا تغتر بصفاء الأوقات فان تحتها غوامض الآفات . وعن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أنه قال هي الموت على غير الشهادة . قال أبو حنيفة الحداد : المعاصى يريد الكفر كأن الحمى يريد الموت ، وقال حاتم الأصم : لا تقرب موضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم فيها مالمقى ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبه لقي مالمقى ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذالقى ، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أصعب من المصطفى صلى الله عليه وسلم فلم ينفع بلقائه أقاربه وأعداؤه ، وقيل لما ظهر على إبليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يكيان زمانا طويلا فأوحى الله إليهما مالمكى تبكيان كل هذا البكاء ؟

ولقد علمت بأن طه أحمدا
هو سيد الكونين والنور الذي
وهو المشفع في القيامة وحده
هو صاحب الخلق العظيم فلا يرى
هو صاحب العراج من أسرى به
مثلت به الآفاق نورا باعرا
كانت ملائكة السما خدما له
أوحى إليه الله جل جلاله
باسيد الكونين جثك أشتكى
أنوى السير إليك وهو يصدني
والعمر قد ولى ضياغا حصرة
ففسى لديك عزمة نبوية
صلى عليك الله يا علم الهدى

فقال يارب لا تأمن مكرك
فقال الله تعالى : هيكذا
كونا لا تأمننا مكرى وعن
أبي بكر الوراق رحمه الله
تعالى أنه قال : أكثر
ما ينزع الايمان من العبد
عند الموت ، فنظرنا في
الذنوب فلم نجد أزع
للايمان من ظلم العباد :
اقنع فديتك بالقليل

والزم مقارنة الحول
واملك هو الك مجاهدا

وتنح عن قال وقيل
فلسوف تسأل يوم يحش

مرك المليك عن الفتيل
والمرء في شغل بذا

لكن المصاحب والجليل
لا بد تجزى ماصنه

مت من الدقيق وبالجليل
نحما استطعت على ذنو

بك بالعدو وبالأصيل
إن كنت ترغب في الجنا

ن وظل مولاك الظليل
[قال في إكمال المعلم] اعلم

أن الاجماع قد وقع على
أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم

ولا يثابون عليها بتخفيف
عذاب ولا بنعيم ، لكنهم

بإضافة بعضهم إلى الكفر
كبائر المعاصي ، وأعمال

[وروى] الطبري في كتابه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ إحدى وخمسين سنة
وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم وللقام إلى بيت المقدس وشرح صدره بأمر الملك العلام ،
واستخرج قلبه فغسل بماء زمزم الشافي من الآلام ، ثم أعيد مكانه بعد أن حشى إيمانا وحكمة بلطف
وسلام ، ثم أسرى به إلى أشرف مقام ، وكان السر في الأسراء به خفيا عن الأنفاس ، دقيقا على
الأنام ، وذلك أنه لما أنزل عليه قوله تبارك وتعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارب أنت شرعت لي أن الشاهد لا يشهد إلا بما يرى ، فأوحى الله
تعالى إليه أيها السيد نحن نسرى بك إلينا لتشهد الملكوت الأعلى وتخبر عن العيان بما رآه العيان في
الجنان والنيران . وقيل لما أصدده وأشهده قال له : يا أيها النبي قد شهدت لي فاشهد لي ، قال يارب
وبم أشهد عليك ؟ قال اشهد على أنه من جاني وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله
غفرت له كل ذنب عمله في سره وجهره . وقيل كشف الله تعالى له الموانع وأزال له الحجب المعترضة
وطوى له الأرض وقرب المسجد الأقصى إليه وأحضره بين يديه ثم قال يا محمد انظر وأخبرهم فكان
كلما سأله عن شيء نظر إليه وقال لهم على العيان والمشاهدة ، والله على كل شيء قدير ، فانقطعوا
وأخرسوا ثم قص عليهم صعوده من بيت المقدس إلى السماء فلما لزمهم الحجة بتحقيق الأسراء إلى
بيت المقدس من مكة في ساعة واحدة من الليل ، وبينهما شهر للسفر السريع لزمهم الإقرار بصعوده
إلى السماء ، لأن من قدر على طي الأرض وهي تراب كثيف فهو أقدر على طي الفضاء والهواء
وهو شيء لطيف . وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله سمعنا منك أن عيسى بن
مريم كان يمشي على الماء قال نعم ولو أراد المشي على الهواء ولكن لزم الأدب مع صاحب الأسراء إذ
كان ذلك مخصوصا بالمصطفى حين رقى السموات وقطع الفلوات وكشف له ألف حجاب من ظلمة
وألف حجاب من نور ، والمشى في الهواء أعجب من المشي على الماء لأنه أطف من الماء ، وأيضا
فلما يمشي عليه الأبرار والفجار والمؤمنون والكفار بواسطة خشبة أو لوح أو سفينة ، والهواء
لا يقدر أحد أن يمشي عليه بشيء من ذلك إلا بعناية ربانية وموهبة إلهية . قال بعض العلماء كان رفيقه
جبريل ، والآخذ بركابه ميكائيل ، والغاشية بيد إسرافيل ، والداعي له الرب الجليل ، والمدعو محمدا

المصطفى الرسول الجليل ، وموضع الدعوة قاب قوسين أو أدنى ، والخلاعة الشفاعة في العصاة من أمته
ولذلك قال الله تعالى (ولستوف يعطيك ربك فترضى)

يكفيه فخرا بأن الله فضله
وكم له دون خلق الله معجزة
وإسلة الوصل كم في طيها عجب
كانت على غير وعد من زيارته
أوحى إليه الذى أوحى فلا أحد
أعطاه فوق الذى رضى وخصه
وعطر الكون والآفاق أجملها
بطيب نفحة ريا نشره العطر

[وذكر الشيخ الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله في بعض كتبه] أن الله سبحانه وتعالى
أوحى إلى جبريل عليه السلام : أن قف على أقدام عبوديتي ، واعترف بعز ربوبيتي ، وامرح في
ميدان شكرى ، واعرف عظم شأنى وقدرتى ، هاقد مننت عليك ، فاسمع ما أوحى إليك ، فقال :
إلهى أنت اللطيف ، وأنا الضعيف ، وأنت المقدر ، وأنا الفقير ، فقال الله تعالى يا جبريل خذ علم
الهداية ، وبرايق العناية ، وخلاعة القبول والولاية ، ولباس الرسالة ، ومنطقة الجلالة ، وأنزل مع سبعين
ألف ملك إلى باب شفيع الأمم ، سيد العرب والعجم ، الموصوف بالفضل والكرم ، فقف ببابه ولد
بجناحه فأنت الليلة صاحب ركابه ، ويا ميكائيل خذ بيدك علم القبول . وأنزل في سبعين ألف ملك إلى
باب حجرة الرسول . فأنت الليلة صاحب غاشيته والندوب إلى خدمته . ويا إسرافيل ويا عزرائيل
افعلوا كما فعل جبرائيل وميكائيل . فكونوا الليلة مطرقتين بين يدى سيد الأولين والآخرين .
ويا جبريل زد من ضوء الشمس على نور القمر . ومن نور القمر على نور الكواكب . واجعلهما
شمعتين بين يدى سيد الكونين . فقال : إلهى قرب قيام الساعة ؟ قال : ولكن حبيب أريد أن أقربه
وأطلعه على الأسرار . وأخلع عليه خلاعة الضياء والأنوار . وهو محمد المصطفى المخصوص بالصدق
والوفا . فأنزل إليه . وقبل الأرض بين يديه . وكن له في هذه الليلة خادما . ولركابه ملازما ، فنزل
إليه جبريل بالبشر والنهاني ، وهو راقد في بيت أم هانئ . فناداه يا أيها النبي المختار . قم إلى حضرة
الكريم الغفار . فان الملائكة لك في الانتظار . فقام على أقدام الأشواق ، فأركبه جبريل البراق
فركبه وساق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وقطع سفرا لا يحده ولا يحصى وسارت الملائكة
بين يديه . وأكثروا من الصلاة والسلام عليه . ونادوه أيها السيد الكريم والرسول العظيم التفت
بنظرك إلينا . وتفضل بحسن عطفك علينا . فقال . من نقل قدما إلى غير المحبوب تعب . ومن
خطا خطوة لغير المطلوب نصب . ومن وصل إلى هذا المقام الأعلى . كيف يلتفت إلى غير المولى ؟
فلما سحت عزائم إرادته . واشتغل بالخالق عن سائر مخلوقاته . أذعن لسان شكره وماونى . وقال إن
أنا أفرطت في خدمته فمن أنا . فلما انصف بصفات الأدب والتعليم . أدناه إلى مراتب التعظيم فدنا
فقدلى فكان قاب قوسين أو أدنى :

هنيئاً له لما تلى بنسوره
فأودعه سرا وقد فهم المعنى
فشاهد معنى لا يعد لواصف
مناقب فضل لا تبديد ولا تنفى
وفاز من الرضوان بالمرز الأسنى
وأحضره المولى بحضرة قدسه
وأدناه منه قاب قوسين أو أدنى
وقال له ها قد منحتك رؤيتي
ترقى به الروح الأمين إلى العلا
فيا حبذا المولى ويا حبذا المعنى
فكم لك عند الله يا خير مرسل
فمن نال منى نظره فقد استنى

الشر وأذى المؤمنين
يزدادون عذابا كما قال الله
تعالى (ماسلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم
نك نطعم المسكين وكنا
نفخوس مع الخافضين وكنا
نكذب بيوم الدين حتى أتانا
اليقين . فما تنفعهم شفاعة
الشافعين) فليس إذا عذاب
أبى طالب كعذاب أبى
جهل . وذكر عند الحسن
أن آخر من يخرج من النار
يقال له هناد عذب ألف
عام ينادى يا منان فبكى الحسر
وقال ليتنى كنت هنادا
اتعجبوا منه فقال ويحكم
أليس يوما يخرج ، ولا شك
أنه رحمه الله كان عالما
بأحكام الآخرة . قال يحيى
ابن معاذ : لا ندرى أى
المصيبتين أعظم أفوت
الجنان أم دخول النيران ؟
أما الجنة فلا صبر عنها وأما
النيران فلا صبر عليها ،
وعلى كل حال فووت النعيم
أسير من مقاساة الجحيم
ثم الظامة الكبرى والمصيبة
العظمى هي الخلود إذ أى
قلب يحتمله وأى نفس
تصبر عليه ؟

ثم نوى يا محمد أنت اليلة ضيفنا وقد جئت إلى حضرتنا وتمتعت بقربنا فما ضيفتك وما الذي تريد ؟ فقال : إلهي كل ماجدت به على الأنبياء قبل خلق مستعملة لأريدها : قيل له فما الذي يرضيك أيها الحبيب وما الذي نفسك به تطيب ؟ فقال له بلسان حاله عند تحقيق آماله : يا ذا الكرم والجود أنت أعلم بالمطلوب والمقصود ، فقبل له : أيها السيد المشفع الشافع ، وإن كنت تريد خلعة لم يصل إليها واصل ولم يطمع فيها طامع ولا طرق ذكرها سمع سامع فدونك فادخل خزائن كرمنا وتحكم في ملابس فضلنا ونعمنا فكانت خلعتك (مازاغ البصر وما طغى) طرازها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) توج بتاج (ما كذب القواد ما رأى) ثم قيل يا محمد أندري أين أنت وفي أي مقام ؟ فقال أنت أعلم وأنت العلام ، قال : ما رأى مقامك هذا أحد من الأنام فقلت من منزل إلى منزل ومن عالم إلى عالم ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق في ملكوت السموات والأرض عجيبة إلا أطلعك عليها ولا منحة غريبة إلا أوصلتك إليها :

تعالى الله عن قرب وبعد وعن قدر يقدر بالمكان وجل بعزه عن كل وصف
يقدر في العقول وفي العيان فلا الأحاط تدركه تعالى ولا الألفاظ منا والمعاني
فمذا كله في الله يفنى وجل عن التباعد والتداني

فلما حضر في الحضرة الأزلية وشرب بكاسات الصمدية أنارت بطلعته الكائنات وبشرته بياض فصدده ملائكة السموات فنودي ولم ير أحدا : الله حافظك ومولاك فاشكره على ما أولاك قال فألهمت قول : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . فأجبت : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فأشركت إخواني من الأنبياء وأمتي فيها خصصت به موت الفضل الوافر والثواب الباهر ، فأجابت الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . ثم نوديت : ادن يا محمد فدنوت قيل دنا محمد بالمعرفة فقرب إلى الرب بالحبة (ثم دنا فتدلى) دنا محمد بحبه فتدلى عليه الوحي من ربه دنو رحمة ولطافة لادنو قطع مسافة بل ذهب الأين من الين واللغنى (فكان قاب قوسين أو أدنى) فالتفتي المكان والزمان وكان معه حيث لا جهة ولا مكان ولا وقت ولا زمان ولا حين ولا أوان ولا أملاك ولا أكوان :

كان من قبل أن يكون مكان وأوان وقبل كل زمان
أول آخر سميع بصير وفرد منز عن ثان
بالنبي الكريم أسرى إليه سيد الرسل من بني عدنان
ثم أدناه قاب قوسين منه ثم أوتى الكتاب بالتيبين
ثم أوحى إليه أسرار علم باهرات بأوضح البرهان

فلما رجع المختار من سفر الأسرار بالإسراء قد عمه الفرح والاستبشار والغبطة والسرور وقد تم له السعد والجور اعترضه صاحب الطور موسى الكليم فقال له يا أيها النبي الكريم ماذا افترض ربك على أمتك من الصلوات ، يا سيد الكائنات ؟ فقال خمسين صلاة في اليوم واليلة فقال يا سيد الأنام عد إلى ربك فاسأله لهم التخفيف فإن فيهم العاجز والضعيف ، فلم يزل يردد موسى عليه السلام حتى جعلها خمس صلوات على الدوام :

وإنما السر في موسى يردده ليجتلي حسن ليلي حين يشهده
يبدو منها على وجه الرسول فيا لله در رسول حين أصد

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مآتمنى وخلا بمشاهدة مولاه وتنهى ، قيل له ممن

فصل : في الجنة

وما لأهلها من النعيم
قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون - والسابقون) أي إلى المحجرة أو الخير (السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة) أي منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر (متكئين عليها متقابلين) وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) لا يشيرون ولا يتغيرون (بأكواب) جمع كوب : إناء لاعروة ولا خرطوم له (وأباريق وكأس من معين - لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أي لا ينشأ عنها صداغهم ولا ذهاب عقلهم (وفاكهة مما يتخيرون ولحم

واطلب ما تريد منا ، فقد أبحنا لك الطلب وبلوغ المرام ، فقال أريد أن يصيب أمتي من شريف خلعتي لينالهم من مواهب رحمتي جزيل الإنعام ، قيل له . يا سيد الكائنات ، ويا من تشرفت بوطء أقدامه الأرض والسماوات ، قد خلطنا عليهم خمس خلع ، وقد أشرق كوكب سعدهم من أفق مجدهم وطلع وهن الخمس صلوات ، التي يرتاحون إليها في الخلوات . فقال : وماصفة هذه الخلع ، وما أسماؤها التي ظهر على الآفاق نورها وسطع ؟ فقيل له اجلس على مراتب التقريب ، يا أيها الحبيب . فيهاى ترف بين يديك ، وتجلي عليك ، فأول عروس جليت عليه عروس مشرقة الأنوار عالية المقدار ، قد فاح عطرها في الأفطار ، ولاح نورها لدى العقول والأبصار ، فنودى عند ذلك : يا من أمن بوصلنا من الصدود والهجر ، وحصل لأمته يركته جزيل الثواب والأجر ، تسمى هذه الخلعة صلاة الفجر . ثم جليت عليه عروس في حلل البياض ، وقد أمن من الصدود والإعراض ، فنودى عند ذلك يا صاحب المناقب الزهر ، ومن فضلت أمته على سائر الأمم بالصلاة والظهر ، تسمى هذه الخلعة صلاة الظهر . ثم جليت عليه عروس في حلل النور الباهر . وقد أشرق الكون بنور وجهه الزاهر فنودى عند ذلك يا من ليس لصفاته حد ولا حصر . ومن قلد بسيف القهر والنصر . تسمى هذه الخلعة صلاة العصر . ثم جليت عليه عروس في حلل الكمال . وقد بلغ جميع المقاصد والآمال فنودى عند ذلك يا أشرف من هذب ، وأفضل من أدنى وقرب تسمى هذه الخلعة صلاة المغرب . ثم جليت عليه عروس في حلل الوفا وقد نال عزا وشرفا وبلغ نهاية الاجتناء والاصطفاء فنودى عند ذلك يا أحسن من تشا وأفضل من هرول ومشى تسمى هذه الخلعة صلاة العشاء ، فهذه خمس صلوات في التكليف وخمسون بالأجر والتضعيف وقد زدتك يا صاحب الحوض والكور أنى لا أقبل ذكر من ذكرنى حتى تذكر . فلما جليت عليه خلع الصلوات وعرائس الصلوات ناداه منادى القبول طوبى لمن حافظ عليها وفاز ببلوغ المقصود والمأمول فقل لمن لم يجد من أسر هواه خلاصا ولا فسكا ولا وجد له سبيلا ولا حراكا ابك على نفسك بدمع الأسف على ماسلف وان لم تبك فتباكى :

يا غاديا نحو الحبيب عسا كا
تقرا السلام إذا وصلت هنا كا
وعساك تجرى ذكر مثلى عنده
فهو الشفاء لدائنا ولدا كا
وقل السلام عليك يا خير الورى
من شيق طول اللدى يهوا كا
أنت الذى لولاك ماسرت الصبا
كلا ولا عرف الهدى لولاك
لولاك ماغفرت لآدم زلة
لما التجا فى وقته لحما كا
لولاك مارفعت ليونس رتبة
لما نجا من حوته بهذا كا
لولاك ماكان ابن عمران ارتقى
طور الخطاب ونال من نجوا كا
ولقد سررت إلى الهيمن ليلة
والله ما أحد سرى مسرا كا
بالجسم كان سراك لأعن ريبة
وتحكمت فى ملكه عينا كا
وطلبت تخلع نعل رجلك هية
فأتى النداء لا تخلعن نعلك
ورقت تخترق السماوات العلا
متوصلا حتى بلغت منا كا
ناداك جبريل الأمين مخاطبا
لك بالكرامة عن رضا مولا كا
إن كان آدم صفوة من خلقه
فقد اصطفاك لحبه وهذا كا
أو كان نوح قد نجا بسفينة
فمن العدا فى الغار قد نجا كا
أو كانت ابراهيم أعطى خلة
فقد اجتباك الله إذ نادا كا

طير مما يشتهون وحور عين
كأمثال الأولؤ المسكون
أى المصون عما يضر به .
(جزاء بما كانوا يعملون .
لا يسمعون فيها لغوا) عبثا
باطلا (ولا تأثنا) أى
ما يوقع فى الإثم (إلا قتيلا
سلاما سلاما) أى إلا التسليم
منهم بعضهم على بعض .
(وأصحاب اليمين . ما أصحاح
اليمين) هم الأبرار دون
المقربين (فى سدر مخضود)
أى لا شوك له أو مثنى العنبر
من كثرة الحمل (وطاح)
موز (منضود) متراكم
قد تضد بالحل من أسفله
إلى أعلاه (وظل ممدود)
أى منبسط أو دائم
وفى الحديث « إن فى الجنة
شجرة يسير الراكب فى ظلها
مائة عام ما يقطعها » (وماء
مكروب) أى مصبوب
يجرى على وجه الأرض
من غير أخذود (وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة) فى
زمان (ولا ممنوعة) من
أحد (وفرش مرفوعة) كما
بين السماء والأرض (وجوه
يومئذ ناعمة) ذات بهجة
(لسيما) فى الدنيا (راضية)

أو كان إسماعيل جاء له النداء من ربه فكما فداء فداكا
أو كان موسى للإله مناجيا فبيلة المعراج قد ناجاكا
أو كان عيسى نال قبلك رتبة فتراتب المجموع قد أعطاك
قد نالت بالمعراج كل فضيلة ورأيت رحمن السما ورآكا
فعليك ياخير الأنام تحية تأتيك بالإقبال من مولاكا

فلما رجع من معراجهم ومراقه ، وقد أشرق الكون بنوره وسناه ، وتعطر الوجود بطيب نشره
وشذاه ، تحدث بما أولاه موله من الفضل والجاه ، وخصه به من الشرف واصطفاه ، فصدقه الصديق
وبشره وهناه ، ولم يشق فيما نقله ورواه ، واطلع عليه ورآه :

حبيب سرى وهنا فيا طيب مسراه وقد فاحت الاكوان من طيب رياه
وخادمه جبريل عند ركابه على متن ظهر للبراق ترقاه
وصلى بجمع الأنبياء وكلهم لرتبته العلياء حن للقياء
فلما علا السبع الطباق تحفه ملائكة الرحمن والنور يغشاه
تجاوز حدا لا يحدا لواصل ولاحاسب في عده قط أحصاه
وفارقه جبريل عند مقامه وقال له هذا الحبيب ومولاه
هناك تجلى للحبيب مشاهدا بلا كيف لكن حيث شاء تلقاه
فأدهشه ذلك الجمال فلم يطق جوابا فنودى بالسلام خياه
وأدناه منه قاب قوسين إذ دنا وناداه ياخير الأنام أنا الله
منحتك فانظر هذه ليلة الرضا فهل لي كما ظن المشبه أشباه
فبانق وقل إن كنت عنى محدثا رأيت حبيبا ليس يعبد إلا هو
يجود على العاصي ويستر أهله ويعفو عن الذنب الذى ليس يرضاه
بجاهك ياخير الأنام تشفعوا فخط عن المحزون منهم خطاياهم
عليك سلام الله ياخير مرسل سلام شريف فى الحقيقة ترضاه

فسبحان من خص هذا الحبيب بخلق التشريف والتقريب ، وجعله قلة للطاعة وكعبة للشفاعة من
النار والالهي ، ووعد من صلى عليه باجابة دعائه واشترح صدره الرحيب ، فقال تعالى (وإذا
سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب) اللهم بجاهه العظيم وبما كان بينك وبينه ليلة الخاوة والجلوة
والتقريب والتكريم ، اغفر لنا كل ذنب عظيم ، وألبسنا ملابس القبول ، وبلغنا نهاية المسئول وجميع
المأمول ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المجلس الخامس والعشرون

فى حكايات الصالحين وما فيها من الرقائق والاعتقاد على الخالق

فمن ذلك ما قال محمد بن السماك الواعظ رحمه الله : وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته
فى بيت ، وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصا بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ردّا
ضعيفا ، ثم قال من أنت ؟ فقلت محمد بن السماك قال الواعظ قلت نعم فألقى الخوص من يده وقال يا ابن
السماك ان الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل فاعرض على شيئا من وعظك فقلت له يا شيخ

فى الآخرة لما رأيت من ثوابها
(فى جنة عالية) المحل أو
القدر (لا تسمع فيها الاغنية)
لغوا (فيها عين جارية فيها
سرر مرفوعة) رفيعة
السملك إذا أراد أن يجلس
عليها صاحبها تواضعت له
ثم ترتفع (وأكواب
موضوعة) بين أيديهم
(ونمازق) وسائد مصفوفة
بعضها يجنب بعض (وزرائى)
بسط فاخرة (مبنوثة)
مبسوطة وفى صحيح مسلم
عن أبى هريرة رضى
الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « قل
الله تعالى : أعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر . واقرءوا
إن شئتم) فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرّة
أعين) « قال أهل اللغة
قرّة أعين : يعبر بها عن
السرة ورؤية ما يحب
الانسان ويوافقه وفى صحيح
البخارى عن أبى هريرة
رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم « إن
فى الجنة لشجرة يسير

أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يحى ، ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربة وأنكال ، فأولها ظلمة القبر ، ثم ظلمة النشر ، ثم ظلمة الحشر ، ثم ظلمة الصراط . ثم وزن الأعمال ، ثم قطع الآمال ، ثم سطوة الملك المتعال . فبكى بكاء شديدا . وقال لى يابن السماك وما بعد ذلك ؟ قلت حمل الأوزار والورود على النار ، وأعظم من ذلك تويسخ الملك الجبار ، فصاح صيحة عظيمة ثم سقط في قبره فخرجت إليه عجوز كبيرة وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول بأنى وأمى هاتان العينان طالما سهرتا فى طاعة الله ، وطالما بكنا من خشية الله . ثم حركناه فإذا به قد مات فخرجت من المنزل فإذا أنا بسرى السقطى وإبراهيم بن أدهم والجنيد وجماعة من وجوه العباد فقالوا لى مات أبو يزيد الخوارزمي ؟ قلت نعم فدللهم على المنزل فدخلوا ليخرجوه من قبره يغسلوه ويكفونوه فوجدوه مغسلا مكفنا مطيبا فصلى عليه المسلمون ، ثم رجعت إلى منزلى وقد صغرت عندي نفسى .

إلى كم ذا التراخى والتماذى وحادى الموت بالأرواح حادى
فلو كنا حمادا لا تعظنا ولكننا أشد من الحماد
تنادينا المنية كل وقت وما نصغى إلى قول المنادى
وأفئاس النفوس إلى انتقاص ولكن الذنوب إلى ازدياد
إذا ما الزرع قارنه اصفرار فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى وبالأخرى مناديا ينادى
وقالوا قد قضى فأقروا عليه سلامكمو لى يوم التناد

[قال عبد الله بن واسان رحمة الله تعالى عليه] عبرت يوما فى أزقة البصرة فوجدت صبيا يبكي وينتحب فقالت له يا ولدى ما الذى يبكيك ؟ فقال خوفا من النار فقلت يا ولدى أنت صغير السن وتخاف من النار . فقال يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار . فقلت لها يا أمه لم تقدمين الصغار قبل الكبار ؟ فقالت يا ولدى ما تشعل الكبار إلا بالصغار فهذا الذى أبكاني وهيج لوعتى وأحزاني فقلت له يا ولدى هل لك فى صحبتى فتعلم ما ينفعك ؟ فقال على شرط إن قبلته فأنى أحبك وأتبعك . قلت وما هو ؟ قال إن جعت تطعمنى ، وإن عطشت تسقىنى ، وإن زلت تغفر لى وإن مت تحيىنى . فقلت له يا ولدى لا أقدر على ذلك كله . فقال يا عم دعنى فأنى على باب من يقدر على ذلك كله :

منك أرجو ولست أعرف ربا أرغبى منه بعض مامتك أرجو
وإذا اشتدت الشدائد فى الأر ض على الخلق فاستغاثوا وضجوا
وابتليت العباد بالخوف والجوع فصروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لى سواك ربى ملاذ وتيقنت أننى بك أنجى

قيل لما بلغ سفيان الثوري رضى الله عنه من العمر خمس عشرة سنة قال لأمه يا أمه هبىنى لله تعالى فقالت يا ولدى إنما يهذى لعلوك من يصلح لهم . وأنت ما فيك شىء يصلح لله فاستجيا ودخل بيتا فأقام فيه خمس سنين متوجها إلى الله تعالى بالعبادة فدخلت عليه أمه بعد ذلك فوجدته مجتهدا فى العبادة وعليه آثار السعادة فقبلت بين عينيه وقالت يا ولدى الآن قد وهبتك لله فخرج عنها وغاب عشر سنين فى سياحته متلذذا بعبادته فاشتاق إلى أمه فزارها ليلا فلما طرق الباب نادته من وراء الحجاب ياسفيان من وهب لله شيئا فلا يعود فيه وأنا قد وهبتك إليه فلا أراك إلا بين يديه :

الراكب فى ظلها مائة سنة
أقروا إن شئتم (وظل
ممدود) ولقصاب قوس
أحكم فى الجنة خير مما
طلعت عليه الشمس أو
تغرب « وفى كتاب
الترمذى « ما فى الجنة
شجرة إلا وساقها من ذهب »
وفى كتاب الترمذى عن
أبي هريرة قال « قلت
يا رسول الله مم خلق الخلق
قال من الماء ، قلنا الجنة
ما بناؤها ؟ قال لبننة من
ذهب ولبننة من فضة
وملاطها للسك الأذفر
وحصبهاؤها اللؤلؤ
والياقوت وترابها الزعفران
من يدخلها ينعم ولا
يبؤس ولا يخلد ولا يموت
ولا يفنى شبابهم ولا تبلى
ثيابهم » وفى صحيح مسلم
قال : « إن أول زمرة
يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم الذين
يلونهم على أشد كوكب
درى فى السماء إضاءة قلوبهم
على قاب رجل واحد
لا اختلاف بينهم ولا
تباغض لكل امرئ منهم
زوجتان من الحور العين

ولا تحسبوا أني نسيت ودادكم
 حفظنا لكم عهدا قديما وحرمة
 ونحن على ماتعهدون من الوفا
 يودكمو قلبي وبالغيب يرعاكم
 ولست بناس عهدكم بعد بعدكم
 ومادام قلبي عندهم كيف ينساكم

[قل منصور بن عمار رحمه الله] تكلمت في بعض مدائن العراق بكلام يذوب منه الجساد وتنفطر منه الأكباد ، فلم يجر لأحد في مجلسي دمة ولا كان كلامي طرق سمعه ، فبينما أنا أحسدو يباقي القلوب وأسوق الأرواح إلى حضرة المحبوب إذا أنا بشاب حسن الثياب قد قام في المجلس وصرخ ثم جلس وزعق فزلزل بصرخته أركان الأفكار وخلا في سره بحال الغفار فنزلت عن منبري ثم امتهلت حتى أفاق من سكر غرامه وصحا من راح هيامه ، ثم تقدمت إليه وقلت له سيدي إلى أين وصلت خيل طربك ، فقال وصلت خيل طربي إلى بلوغ طلبي ، قلت وبماذا اتصت ؟ قال براحتي بعد تعبي ، قلت وعلى ماذا حصلت ؟ قال على كثر مقصودي ومطلي . قلت فهل مررت على حضرة القرب قال نعم ومنها كان مشربي . قلت فهل شاهدت رجال الوقار ، وخلفت معهم العذار . فقال يا ابن عمار وهل خلع العذار لإلا مذهبي . قلت فكيف تحملت حتى إلى الدخول توصلت . قل وقفت بالباب ولزمت أدبي فنظر الساقى الباقي إلى فرط أشواق فرحني ولطف بي وفتح لي الباب ورفع لي الحجاب وناداني تمل بمشاهدتي عند رفع حجبي ، ثم أنشأ يقول :

إن كنت من أهل عصبة الطلب بادر إلى شرب خمرة الطرب
 وقم إلى نحوها لعلك أنت تحصل من صرفها على الأرب
 راح على أربع العناصر قد سمت إلى أن علت على الرتب
 رقت وراقت وروقت وصفت وقدست نسبة عن العنب

[قيل] إن أبا القاسم الجنيد رحمه الله عليه حج هو وجماعة من الفقراء الصوفية فاقطع عنهم الماء أياما حتى أشرفوا على الهلاك وكانوا تحت جبل . فقال لأحدهم خذ هذه الركوة واصعد إلى ذروة هذا الجبل فخذ لنا ترابا طيبا طاهرا حتى نتييم به فقد حان وقت الصلاة فأخذ المريد الركوة وصعد إلى الجبل فجعل يأخذ التراب ويجعله في الركوة وإذا بصوت يناديه فالتفت فإذا هو راهب في دير يناديه ماتصنع بهذا التراب . فقال نحن مسلمون محمديون إذا عدنا الماء تبعنا بالتراب فقال عندي بر عذب شراب خذ منها واشرب وتوضأ فقال المريد نحن جماعة تحت الجبل فقال انزل إليهم واعرض ذلك عليهم فنزل إلى الجنيد فأعلمه بذلك فقال اصعد إليه وقل له نحن في سبعين مرقعة أنحملنا فصعد إليه وقال له ذلك فقال أحملهم ولو كانوا ألفا إكراما لمحمد وأمتة فاني أحبهم فنزل المريد إلى الجنيد وأخبره بقول الراهب فصعد هو والجماعة وفتح لهم الراهب باب الدير فوجدوا بئرا منقورة وفيها ماء عذب طيب فاستقوا منها وشربوا وتوضأوا وصلوا فلما فرغوا قدّم لهم الراهب صحفا على عددهم فيها أنواع الطعام فأكلوا وقدّم لهم الطست والإبريق فغسلوا أيديهم وطيبهم بالماورد والمسك فلما استقروا سألهم هل فيكم من يقرأ شيئا من القرآن على حسب الحال فأمر الجنيد بعض مريديه فاستفتح وقرأ (إن الذين سبقتم من الحسنى أولئك عنها مبعدون) فصرخ الراهب وقال اصطلحنا ورب الكعبة فلما أتم القاري قراءته سألهم وأقسم عليهم هل فيكم من يحسن أن يقول شيئا فاني أحب السماع فأشار الجنيد إلى بعض الريدين فأنشد :

أقام على الإبعاد حينما من الدهر فعرفه كيف الطريق إلى العذر

يرى مخ سوقهن من وراء
 العظم واللحم من الحسن
 يسبحون الله بكرة وعشيا
 لا يسقمون ولا يبولون ولا
 يتغوطون ولا يتفانون ولا
 يمتخطون آنيتهم الذهب
 والفضة وأمشاطهم الذهب
 ووقود مجامرهم الألوة
 وأزواجهم الحور العين
 وشرحهم المسك على خلق
 رجل واحد على صورة
 أبيهم آدم ستون ذراعا
 في السماء وفيه قال « يا كل
 أهل الجنة فيها ويشربون
 ولا يتفانون ولا يبولون
 ولا يتغوطون ولا يمتخطون
 قالوا : فما بال الطعام ؟ قل
 جشاء وشرح كرشح
 المسك يلهمون التسبيح
 والتحميد كما تلهمون
 النفس » وفي الصحيحين
 قال « إن أهل الجنة
 يتراءون أهل العرف من
 فوقهم كما تتراءون
 الكواكب الدري الغابر
 في الأفق من المشرق
 والمغرب لتفاضل ما بينهم
 قالوا يارسول الله : تلك
 منازل الأنبياء لا يبلغها
 غيرهم قال بنى والذي نفسي

وأشفق أن يبقى على حالة الجفا فيغرق في بحر الصدود ولا يدرى
لأن جراحات الجناة بالوفا وإن برئت لا ينمحي موضع الأثر
فبكي الراهب طويلاً ثم قال زيادة فأنشد له ثانياً :

ليكن يامن في القديم دعائي وإليه بالطف الخفي هداي

فصرخ الراهب . وقال لبيك سيدي لبيك وها أنت قد دعوتني إليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله وقطع الزنار وخلع ما كان عليه فألبسه الجنيد دلقه وفرح بإسلامه هو
والجماعة وخلص عنقه من النار ثم أخرج لهم ألف دينار كانت مذكورة عنده ثم ترك الدبر وما فيه
وساح على وجهه هائماً لا يدرون أين ذهب فلما وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى ودخلوا الحرم فطافوا
واجتمعوا وإذا شخص متعلق باستار الكعبة وهو يقول : سيدي بكشفك حجابك لي حتى شهدتك
وباستدعائك لي حتى أجبتك فيا من عرفني به فعرفته هب لي من الحجيج من لا قبلته . فقال الجنيد لبعض
مريديه انظروا من القائل لهذا الكلام فمضى إليه فوجده الراهب . فقال له يا هذا اذهب إلى الجنيد
وأقرمه غنى السلام وقل له إنني لما فتحت لكم المقام وبذلت لكم الطعام ناداني الملك العلام إلى الإسلام وخلع
عليّ خلع الإكرام حتى لبست ثياب الاحرام ودخلت البلد الحرام ولى عنده حرمة وذمام فعاد الريد إلى
الجنيد فأخبره بذلك فقام إليه وضمه وقبل بين عينيه وقال له جيبى كيف رأيت لذة الوصول إليه
فقال ياسيدي لما هجرت الطول وتبعت القفول هبت على نسائم القبول ففتح لي مولاى باب الوصول
فصلت على المحصول وبلغت القصد والسؤل ثم صاح وسقط إلى الأرض فخركناه فإذا به قد مات .
هذه والله الجذبات الربانية ، وهذه أمارات الاخلاص في الوحدة :

غلب الغرام عليه حتى إنه مساوى هو له ليله بنهاره
وسطا عليه السكر حتى قد غدا متهكاً في الحب بعد وقاره
ولهان بين معنف ومؤفف فرحان من طرب بخلع عذاره
أضحى بخمرة حبه متايلاً بخماره شوقاً إلى خماره
وكلم شوق كم له من زورة يرجو شفا أوزاره بمزاره
في طور طور القلب حاول نظرة ففضى الهوى بالبعد عن أوطاره
لا عار للضطر أن يبدى الجوى ويبت ما يلقاه من أضراره

[قال بعض العارفين] رأيت غلاماً قد افترش الرماد وهو يتمرغ عليه ويئن أنيناً شديداً
فقلت لصاحبي اعدل بنا إلى هذا العليل نعوذه فقال ليس هذا عليلاً ولكنه من المحبين يدعى بعبيد
المجنون قال فتقدمت إليه فإذا هو فتي وعليه جبة صوف بالية وهو يقول سيدي عجباً لمن وصل إلى
معرفتك وذاق حلاوة محبتك كيف ينقطع عن خدمتك ثم لم يزل يردد ذلك القول حتى غشى عليه
فقلت لصاحبي إنما المجنون والله من لم يصل إلى هذه المنزلة فلما أفاق من غشيته نظر إلينا وقال
ما بالكم تنظرون إليّ ؟ قلنا لعل داؤه يشفى من الداء الذي نجده . فقال ان الذى ابتلى بالداء عنده
الدواء ولكن يطلب الذى يتداوى أن يحتفى أو لا فقلت بماذا . قال بترك الحرام وعدم التعرض
للآثام ومراقبة الملك العلام والتجهد بالليل والناس نيام وأخذ القليل من البلغة والصبر على البلا في
حال السخط والرضا والتعفف والتقناعة عند وجدان الاستطاعة والاستعداد للموت وإعداد الجواب
لمسئلة منكر ونكير والوقوف بين يدي الملك الجليل القدير ثم إما إلى الجنة وإما إلى السعير

يسده رجال آمنوا بالله
وصدقوا المرسلين « وفي
مسند البزار عن عبد الله
ابن مسعود قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « إنك لتنظر إلى
الطير في الجنة فتشبهه
فيجيء مشواً بين يديك »
وفي كتاب الترمذى عن
علي رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ان في الجنة لغرفاً
يرى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها .
فقام إليه أعرابي فقال :
لمن هي يا رسول الله ؟ فقال
هي لمن أطاب الكلام وأطعم
الطعام وأدام الصيام وصلى
بالليل والناس نيام » وفي
كتاب الترمذى عن سعد
ابن أبي وقاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « لو
أن ما يقبل ظفرهما في الجنة
بدا لتزخرفت له ما بين
خوافق السموات والأرض
ولو أن رجلاً من أهل الجنة
اطلع فبدا أساوره لطمس
ضوؤه ضوء الشمس كما
تطمس الشمس ضوء
النجوم » وفي كتاب الترمذى
رضي الله عنه عن علي رضي
الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم

ثم بكى حتى علا بكاءه وبكىنا معه ، وقلنا له نحن أضيالك فادع لنا . فقال : لست من خيل هذا الميدان ، فأقسمنا عليه فقال : جعل الله قراكم الجنة ، وجعل ذكر الموت مني ومنكم على بال . قال فانصرفنا عنه وقد عاشت قلوبنا من حسن لفظه وموعظته ، وارتاحت النفوس لعذب كلامه ومحبه .

[إخواني] هذه أحوال المجانين ، فأين عقلك أنت أيها السكيب الحزين المسكين ؟ :

يامن بديع جماله الفتان يسبي عقول أعززة الفتان
لولا وصالك لي لما علق الهوى بحشاشتي وثني إليك عناني
لاحظني نظرا تضمن جلتي فعجبت من داعيك حين دعاني
بانظرة أهدت لسر سرأري شوقا فلم ينظر إلى إنسان
فتراسلت أسرارنا ونجوهرت أرواحنا وسرت عن الجنان
مالي وللبرق الحفي يهيجني وجدا وإن سجع الحلم شجاني
لولاك ماهز الغرام معاطفي طربا ولا أصبو إلى الألحان
أشتاقه لأعن مسافة بيننا لكن يحن إلى لقاء جناني
ماقلت آه تألما من وجده لكن لفسرط لذادة الوجدان

[قيل] جلس عبد الله بن مشرف وزير هرون الرشيد بين يديه ، فقال يأمر المؤمنين لو استغاث بك رجل في رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده إليه ؟ قال بلى . قال فأنا عبد قد فررت إلى خدمة سيدي فأركني له فقد أردت الرجوع إليه . فبكى الرشيد ومن حضره ، وقال : هذا رجل قد نجا من بيننا ، ونحن جلوس ننظر إليه ، ثم خلى سبيله فخرج من وقته محرما يقول : لييك اللهم لييك . فلقية سفيان الثوري في بعض الطريق وهو نائم على الأرض والريح ترفع اتراب على وجهه فسلم عليه وقال يا عبد الله ما الذي عوضك الله عما تركت ؟ فقال ياسفيان عوضني الرضا بما أنا فيه . فلما بلغ شيوخ الحرم قدومه خرجوا للسلام عليه ؟ فرأوا شعته وجهه ، فقالوا له : كيف رأيت جهديك وصبرك على قطع المماوز ؟ فقال : وكيف يأتي العبد المحرم إذا قاد نفسه إلى باب مولاه لو قدرت جئت أسعى على رأسي . ثم أخذ في البكاء ، فقيل له وما هذا البكاء ؟ فقال : شفيع قدمته لعله يقبل . فلما وقع بصره على البيت شفق شهقة ومات ، رحمه الله تعالى :

جنوني بكم حلم وغبي بكم رشد وحب الوري هزل وحب ليكم نجد
رضيت بما ألقاه في السخط والرضا ولو كان سما فهو من أجلكم شهد
وحقكم ما سرني من سواكمو دنو ولا من غيركم ساءني بعد
وما صمحت بالصبر عنكم حشاشتي ولا نخلت بالدمع أجناني الرمد
وإني لأهوى الشوق حتى كأنما على كبدي من حر نيرانكم وقد
وأستشق الأرواح من نحو أرواحكم وأسأل عنكم من يروح ومن يغدو
حنوا وجودوا وارحموا وتعطفوا وكونوا كما شئتم فما منكمو بد

[قال محمد بن السماك رحمه الله عليه] وصف لي عابد في بعض جبال الشام فسرت إليه وسلمت عليه فرد علي السلام ، وقال لي يا ابن السماك من أوردك إلى هذا المكان ؟ قلت : سمعت بك فجئت أزورك ، فقال غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى من غيرى . قال عاقل يا ابن السماك من يجتهد في الخلاص والفكاك قبل الهلاك . فلما سمعت كلامه بكيت . فلما عزمتم على الانصراف قلت : هل لك من حاجة ؟ قال : من جلس في هذا المكان لم يبق له حاجة إلى إنسان . ثم قال يا ابن السماك هل لك أنت من حاجة ؟

«إن في الجنة لسوقا يجتمعها ما فيها شراؤها ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها» وفي كتاب الترمذى عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة من خيل ؟ قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا حملت ، وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل ؟ فقال : إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتئت نفسك ولدت عينك » . وفي كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ردّون بنى ثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبدا ، وكذلك أهل النار ، وقال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . وفي كتاب الترمذى . قال صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة

قلت له: سألتك بالله إلما أخبرتنى ، ما الذى تحب من الدنيا والآخرة ؟ فبكى وقال : والله لولا أقسمت على ما أخبرتك . فأما الذى أحبه من الدنيا فقرة على الطاعة ، وزهد وقناعة ، ونفس بعيدة عن الهوى ، وقلب حشوه الخوف والجوى . وأما الذى أحبه من الآخرة فسماعى من سيدى : اذهب فقد غفوت لك . ثم تأوه ووقع على الأرض ميتا فبغت من حاله وحررت فى أمره وحممت بغسله وتجهيزه فسمعت هاتفا من خلفى يقول : يا ابن السماك هون عليك فليس أمره إليك ثم غيب عنى فسمعت صب الماء عليه وأنا لا أنظر إليه وسمعت قائلا يقول هنيئا لك أيها الولي المحبور بالأمن من الخوف يوم النشور : لما رأيتك حاضرا فى القلب زادنى الحمار فبقيت فيك محيرا والقلب ليس له قرار يا صاح هات مدامتى صرفا فلما عنها اضطبار لطفت فلما ذاقها الأحباب نحو الحب طاروا بذلوا إليه نفوسهم كلا وما فى الموت عار وإليه فى بحر الهوى ركبوا وبالأرواح ساروا طلبوه حقا بالقلوب بفعندها نظروا وحاروا

[قال منصور بن عمار رضى الله عنه] وكان واعظ العراق : بينا أنا فى بعض اللبالي نائم إذ رأيت بابا فى السماء مفتوحا وقد نزل منه ملك كثير الأنوار ، فقال لى يا ابن عمار يسلم عليك الملك الجبار ، خالق الليل والنهار ، ويقول لك انصب غدا منبرك فى الحان ، وتكلم بعزم وجنان ، فلنا فى ذلك سرّ ونبا ، ونشهدك من آياتنا عجبا . قال ابن عمار : فاستيقظت من منامى وأنا فزع ولا أجيب . وقات : إن هذا لشيء عجيب . هذا أمر ما أظنه يكون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . كيف تورد الأحاديث الصحاح . على غير أهل الصلاح ؟ وكيف يتلى القرآن بين الدنان والأفداح ؟ أم كيف تجلى عرائس الأذكار والآيات ؟ على أهل الحور وفى الحانات . فأعدت الوضوء وصليت ركعتين . ثم نمت وإذا بالملك قد عاد وقال : يا منصور ماجئتك إلا بأمر الملك العنور وهو يقول لك قم وتكلم فى الحان . وعلينا الضمان . فاستيقظت من منامى وأنا من هذا الأمر أتعجب وأتفكر . وقلت : أريد حمال المنبر فإذا به قد حضر وطرق الباب . فقلت من ؟ فقال ياسيدى أنا حمال المنبر تريد أن أنصب لك المنبر فى وسط الحان ؟ أم بين الدنان ؟ فقلت : ومن كشف لك عن هذا السرّ المصون ؟ فقال : الذى يقول للشيء كن فيكون . اعلم ياسيدى أن الملك الذى جاء إليك البارحة جاء إلى بعدك وقلدى الأمانة . وأمرنى أن أنصب لك المنبر فى الحانة . قلت : حبيى إن كان الأمر كما تقول فافعل ما أمرك به الرسول فلما أسفر الصباح . ونشر عطره الفياح . سارعت إلى امتثال الأوامر . فإذا شيوخ الحان قد عقدوا الدساكر فصعدت منبرى بين جلاسى . وأطرقت ساعة ثم رفعت رأسى وقلت : الحمد لله الذى جذب قلوب أحبابه . إلى حضرة اقترابه . وأدخلهم إلى حانة وصله وسقام شراب عتابه . وشغلهم به عمن سواه . والمح لا يشغل بغير أحبابه وتجلى عليهم فدهشوا عند مشاهدة جماله ورفع حجابيه . فبأبها السكارى بخمر الهوى لودخلتم حانة الحب وعانيتم دنان القرب لرأيتم رجال الوقار فى حضرة الملك الفقار . وأفداح الأفراح عليهم تدار . وكاسات المصافة تمنيمهم عن شراب العقار . فأقداحهم أفرأحهم وخمارهم أذكأرهم . وريحانهم قرآنهم ووردتهم وردهم . وشمعهم سمعهم ومزمارهم استغفارهم . فإذا جن الليل وغابت الرقباء والأغيار . تجلى عليهم الملك الجبار . ورفع لهم الحجب وكشف لهم الأستار . فشاهدوا جمالا لا تسكيه العقول ولا تله الأفكار . فتأملوا يا أولى الأبواب . كم بين القشور واللباب . واعلموا أن محرك أغصان القلوب . الجامع بين يوسف ويعقوب . ما أمرنى بالجلوس فى هذا المكان إلا وقد عفا عما كان من الذنوب والعصيان . وجاد بالعفو والرضا . وصفح عما مضى . وسمح للجاني

مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس « وحكى أن أصحاب الثورى كلوه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله ، فقالوا يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا إن شاء الله تعالى . فقال سفيان : كيف لأجهد ؟ وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضىء له الجنان النمان فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين ، فينادون أنت ارنعوا رؤوسكم ليس الذى تظنون إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها « ثم أنشأ يقول :
ماضى من كانت الفردوس مسكنه
ماذا تحصل من بؤس وإقتار

وقبل المطرود والعاني . فالحبيب قد حضر ، وبين الرضا إليكم قد نظر ، وقد انتهت إليكم التوبة ، فهل فيكم من يعزم على التوبة ؟ فقد دارت كؤوس المصالحة ، وهبت نسائم السامحة . قال ابن عمار فما استكملت كلامي إلا وشاب قد وقف أمامي وهو سكران وفي يده قدح بالخرملان وهو مثل نشوان ، وقال يا ابن عمار ترى الملك المتعال ؟ يقبلني وأنا على هذا الحال ؟ فقلت له يا حبيبي كيف لا يقبلك بإفضاله وإسعاده . وقد قال تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) قال فرمى القدح من يده وخرج هائما ، واستيقظ من غفلته بعد أن كان نائما . ثم قام إلى شيخ مخمور ويده طهور ، وقال يا ابن عمار هل يقبل الاعتذار ؟ لمن ضيع عمره في المعاصي والأوزار ؟ فقلت له ياسيدي كيف لا يقبل الاعتذار ؟ وقد قال تعالى (وإنى لغفار) فأبشر من التوبة بالنجاح ، فقد فتح باب السماح . فلما سمع كلامي رمى الطنبور وصاح . وخرج على وجهه هائما وساح . ثم قام إلى غلام قد لعبت به المدام ، واستولى عليه الوجد والغرام ، وقال يامنصور إن الملك الغفور ، قد أمرك أن تأخذ على اليهود . فقد مضت دولة الصدود ، وأنجزت الوعود ! وآن أوان حصول المطلوب والتقصود ! فقات له يا غلام ومن أوصلك إلى هذا المقام ؟ فقال أنا الذي خوطبت من أجله في المنام ! وأتاك الملك في شأنه من عند الملك العلام ! فقلت له : حبيبي ومن كشف لك عن هذا السر المستور ؟ فقال الذي (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) ثم قال يامنصور من هبت عليه نسيات اللطافة لم يعجز عن حصول المكاشفة ! قلت سيدى فتي هبت عليك هذه النسائم ؟ قال البارحة وأنت نائم ، ثم قال يا ابن عمار أنت كنت السبب في دلالتى عليه وقرئى لديه ؟ فهل لك من حاجة إليه ؟ قلت : سيدى فألى أين عزمك ؟ فقال يامنصور إلى حضرة الملك الغفور ! بين ندمان عليهم كؤوس الأنس تدور بين ذاكر ومذكور ! وقد رفعت الحجب والستور ! فإن أحببت يا ابن عمار أن ترانى فهناك غدا تلقانى ثم خطا في الهواء خطوات ، وقد نهى النفس عن الشهوات ، فغاب عن عياني ، فجعلت أرمقه بإنساني ؟ فسمعته يقول :

دعوى فالذى أهوى دعانى	ونادانى ومنه الوصل داني
وقال تريد ماذا قلت كأسا	أهم بسكرها طول الزمان
وأنظر نظرة يانور عيني	أراك بها على قرب التداني
فقد لبي عظيم الشوق منى	ولم يخطر سواك على لساني
ومذ ناديتي للوصل جهرا	أجبت وقد أتيت بلا تواني
وكنيت على القبايح مستعرا	كثير الذنب مضى القلب عاني
فلاطفني حبيبي حين داوى	فؤادى بالوصل وما جفاني
وكنيت على شفا جرف المعاصي	فداركني حبيبي واجتبانى
وعرفنى الطريق إليه جهرا	فقلت القصد منه والأمانى
فها أنا بعد ذلى في اعتزاز	وعندى كل أسباب التفانى

المجلس السادس والعشرون

في مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله المتعزز بجلاله ، المتفرد بكلامه ، التوحد بديع أفعاله ، الذى أودع جواهر حكمته في صناديق قلوب أهل معرفته ، وقفل عليهم بوثيق أفعاله ، دعاهم إلى حضرة قدسه ، وتولاهم بنفسه ، فخرج

تراه يمشى كئيبا خائفا
وجلا

إلى للساجد يمشى بين
أطمار

ياقن مالك من صبر على
النار

قد حان أن تقبلى من بعد
إدبار

[وقيل] لو هب بن منبه:

أليس لإله إلا الله مفتاح

الجنة ؟ قال بلى ، ولكن

ليس مفتاح إلا له أسنان

فإن جئت بمفتاح له أسنان

فتح لك وإلا لم يفتح لك

ذكره البخارى في صحيحه

وروى «أن الله عز وجل

أوحى إلى موسى : ما أقبل

حياء من يطعم في جنتي

بغير عمل ، كيف أجود

برحمتي على من يدخل

بطاعتي ؟ وعن شهر بن

حوشب : طلب الجنة

بلا عمل ذنب من الله نوب

وانتظار الشفاعة بلا سبب

نوع من الغرور ، وارتجاء

الرحمة بمن لا يطاع حمق

وخذلان ، وعن رابعة

البصرية أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك

مسالكها

إن السفينة لا تجرى على

البيس

كل منهم عن أبناء جنسه وأشكاله ، قنعوا في المسير باليسير ، ونشطوا في الليل كما ينشط الأسير من عقاله ، قاموا في الدجى على أقدام التهجد بين يدي مولاهم ، فأصبحوا وقد أولاهم من فضله ونواله ، استعذبوا التعذيب في رضا الحبيب وصبروا على مرارة أهواله ، تجافوا عن الجفاء والعدو ، وداموا على استعمال الصبر وما كل أحد يقدر على استعماله ، جادوا في محبته بالأموال والأرواح فحصل لهم السرور والأفراح وما برح المحب يحود بروحه وماله ، سقام بكأس منادمتهم ، فأضحوا نشاوى من فرط محبته ، لا يعرف أحدهم يمينه من شماله ؛ فالعارف قد ترك لذة هجوعه ، والخائف قد ردى برداء ذله وخضوعه ، والمذنب قد بكى بفيض دموعه ، والهاثم قد خرج عن ربوعه وأطلاله ، والطرود قد غص ببعده ، والعاصي قد احترق بنار وجده ، والواجد قد خرج عن حده ، ونادى بلسان حاله :

يا من سقى قلبى شراب وصاله وأباحه نظرا لحسن جماله
عودته منك الجميل فأجسره كرما على عادات حسن مناله
حاشاك تمنعه رضاك وقد آنى متصلا من عظم قببح فعاله
لا تبتليه بالعباد وبالخفا يا سيدي أنت العليم بحاله
يا أيها العاصي السيء إلى متى تعصى الإله وتفتدى بنواله
قم في الدياجى طالبا لأمانه واخضع وذل لعزه وجلاله
واضرع إليه وناده بتذلل يا من يحود على الكتيب الواله
يا من إذا سأل القصير عفوه فهو المحب بفضل له لسواله
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وتشفعى بمحمد وبآله
المصطفى المختار أكرم شافع فيمن يرجيه ليوم مآله
صلى عليه الله ماجن الدجى وبدا الصباح بنور حسن جماله

[إخواني] أين الدين (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ؟) أين الذين قيل في حقهم (وبالأسحار هم يستغفرون ؟) أين الدين (تجافى جنوبهم عن المضاجع ؟) أين من بات وهو لربه ساجد وراكع ؟ أين الذين سبقت لهم العناية بالتوفيق والهداية . قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله عليه : خرجنا جماعة من الفقراء نريد مسفرا في البحر فعصفت الريح بنا فطرحتنا على جزيرة في البحر فرأينا فيها رجلا يعبد صنما من دون الله تعالى ، قلنا له : أي شيء تعبد ؟ فأومأ بأصبعه إلى الصنم ، قلنا له : يا مسكين إن معنا في السفينة من يحسن صنع مثل هذا ، وإن هذا ليس بالله يعبد . قال : فأتتم من تعبدون ؟ قلنا نعبد الله . قال وما الله ؟ قلنا الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سيده وفي الأحياء والأموات قضاؤه ، فقال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولا أخبرنا بذلك . قال فما فعل الرسول ؟ قلنا : لما أدى رسالة الملك قبضه إليه ، قال فما ترك عندكم علامة من الملك ؟ قلنا بلى ترك عندنا كتاب الملك . قال أورني كتاب الملك ؟ فإن كتب الملوك تكون حسانا . قال فأتيناها بالمصحف . فقال : لأحسن أقرأ هذا فقرأنا عليه سورة فما زال يسمع ويبكي إلى أن ختمنا السورة . فقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى فأسلم وحملناه وعلمناه شرائع الإسلام وشيئا من القرآن . فلما أقبل الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا للنوم . فقال : يا قوم الإله الذي دلتهموني عليه ينام ؟ قلنا لا يعبد الله هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . قال فبئس العبيد أتم تنامون ومولاكم لا ينام ، فأعجبنا كلامه . فلما وصلنا إلى عبادان وأردنا أن نفرق جمعنا له دراهم وقلنا له : أنفق عليك هذه فنظر إلينا مغضبا . وقال : لا إله إلا الله دلتهموني على طريق ولم تسلكوها أنا كنت

قال الشيخ اليافعي رحمه الله عليه :

فيا عجباً ندرى بنار وجنة وليس لدى نشاق أو تلك نحذر

إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا

فإذا بقي فينا من الخير يدكر ولسنا لخر صابرين ولا بلا

فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حسرة

على تلك فليتحسر للتحسر فأف لنا أف كلاب

مزابل إلى تقها نعدو ولا تدبر

ينبع خطيرا بالحقير عمية وليس لنا عقل وقلب

منور فتوبى لمن يؤتى الفناء والتقى

وأوقاته في طاعة الله يعمر اللهم اجعلنا من المتقين

الوارثين لجة ، ولا تحرمنا من رفدك ورحمتك

يا عظيم المنة .

فصل : في صفة الحور العين ﴿ قال الله تعالى

(وحور حين كأمثال اللؤلؤ

في جزيرة في البحر أعبد صنما من دونه فلم يضعني فكيف الآن وقد عرفته ثم تركنا ومضى . قال عبد الواحد : فلما كان بعد أيام أتاني آت فأخبرني عنه أنه بأرض كذا وهو يعالج سكرات الموت فجئته ، وقلت له ألك حاجة ؟ قال قد قضى حوائجي من عرفتي به ، فبينما أنا أكله إذ غلبتني عيناي فتمت فرأيت في المنام روضة وفي الروضة قبة وفيها سرير وعليه جارية أجمل من الشمس والقمر وجهها وهي تقول سألتك بالله إلا ما عجبت علي به فانتبهت فإذا به قد مات فجهرته ودفنته في قبره فلما نمت رأيته في المنام في القبة التي رأيته أولا والجارية الى جانبه وهو يتلو قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) :

صب قضى في الهوى العندري مشتاقا ولم يخن لأهيل الحى ميثاقا
ومات وجدابهم من بعد ما عطفوا عليه حين غدا بالذنب منعاقا
له الهنا وله البشرى غداة غد ينسى بطيب التلاقي كل مالاقي
ويشهد الحسن في كل الوجود بدا والحجب قدر فت والوقت قد راقا
وخمرة الأنس دارت والمدير لها أعارها منه أنوارا وإشراقا
كم نور تبصر أكم جوهرت فكرا كم أيقظت في ظلام الليل أحداقا
وقد نجى لأهل الحب فافتتنوا وأصبحوا كلهم للحسن عشاقا

[إخواني] لا تزدروا حلل الفقرقان عليها أنوار المهابة (ولسكنم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) « رب أشعت أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »

[قال محمد بن النسكر] رحمة الله عليه كان لي سارية في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلس إليها بالليل فحفظ أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يستقوا ، فلما كان الليل صليت العشاء في المسجد ثم جئت فاستندت الى السارية فجاء رجل أسود تعلوه صفرة مزر بكساء فتقدم الى السارية وأنا خلفه ولم يشعر بي فصلى ركعتين ثم جالس ، فقال يارب خرج أهل حرم نبيك صلى الله عليه وسلم يستسقون فلم تسقمهم وأنا أقسم عليك بجاء محمد صلى الله عليه وسلم وآله أن تسقمهم قال ابن النسكر فما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جادت السماء بالمطر حتى أغمى الرجوع الى أهلي ، فلما أحس بالمطر حمد الله وأثنى عليه بمحامد لم أجمع بمثلها ثم قام فلم يزل يصلي حتى قرب الفجر فأوتر وصلى ركعتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الناس وصلى معهم ، فلما سلم الإمام خرج مسرعا فركضت خلفه حتى انتهى الى باب المسجد فجعل يرفع كساءه ويخوض في الماء فيل يبي ويبيته فلم أدر أين ذهب فبقيت متأسفا عليه متشوقا إليه :

نهارى ولى دأى الحزن والبكاء على جيرة في ذى النازل قد كانوا
لقد رحلوا عني وإنى لبعدهم كئيب حزين واله القلب حيران
نأوا فبقلي حرقة لفراقهم وفيه من الوجد المبرح نيران
فوا حسرتي ولى الزمان ولم أفز برؤية أحباب عن العين قد بانوا
نسيم الصبا بلغ سلامي اليهم فقد مضى منهم صدود وهجران
وإن لم أطق صبرا عليهم فإيس لي سوى من له حلم وعفو وغفران
يفرج احزاني ويغفر زلتي ففي القلب من فقد الأحبة أحزان

[إخواني] ما كل مسافر حاج ، ولا كل بيت مكة ، ولا كل زاد يبلغ ، ولا كل جبل عرفات ، ولا كل واقف واقف .

السكون . جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (كأنهم الباقوت والرجان) وقال (إنا أنشأناهم إن شاء فجعلناهم أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لابرام الآخرون يطوف عليهم المؤمن ، وجنتان من فضة آيتيهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آيتيهما ومافيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» : أي صفة الكبرياء والعظمة ، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن فيرونه فيها ، وفي صحيح مسلم . قال «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم

[قال ذوالنون المصري] حجبت سنة إلى بيت الله الحرام ، فلما وفقت بعرفة رأيت شابا عليه آثار الاصفرار والنحول والقلق والذبول ، فعلمت أن عنده من المحبة محصول فسمعتة يقول : سيدى كيف ألييك بلسان عصاك أو قلب جفاك ، سيدى ما أجل هذه الساعة إذ أنت تناجينى وفى هذا الوقف تنادينى . قال ذو النون فتقدمت إليه ، فلما رآنى قال مرحبا يا ذا النون فقلت له ومن أين تعرفنى ؟ فقال عرفنى بك من عرفنى وأخبرنى بك من آسنى ، ثم قال يا ذا النون حبه تيمنى وهجره أنحلنى فمضى أظفر بقربه ويحود لى الحبيب برفع حجه ؟ قلت من أين جئت ؟ قال من بلد القلب أقصد حضرة الرب قلت فمى تزودت قال بقطرة من شراب أنسه أرجو أن أصل بها إلى حضرة قدسه قات فهل كانت لك مطية . قال نعم صفو النية والانتقطاع عن الدنيا بالسكينة والتزهد فى مقامات حضرة السنية ، ثم قال إليك عنى يا ذا النون فما أقبح ساعة تمر فى غير طاعة . ثم تركنى ومضى . فلما جئت منى رأيت من ينظر الى الناس وهم ينحرون ضحاياهم فحرت دموعه وتزايد ولوعه وعظم خوفه وخشوعه ، ثم قال سيدى : كل أحد تقرب اليك بنسكه وتقدم بملكه وأنا ما أملك غير هذه النفس العانية العاقلة الساهية وإنى أقربها اليك بالدلة والمسكنة بين يديك ، فان تكرمت بقبولها جدد بوصولها وأسرع فى تعجيلها فأنت دليلها الى سبيلها ثم صاح وتأوه وسقط الى الأرض ميتا فسمعت قائلا يقول يالها ركضة الى الفردوس الأعلى . قال ذوالنون فوقت عند رأسه ساعة أتفكر فيه ، وإذا بعجوز قد أقبلت اليه وألقت نفسها عليه ثم أجرت الدموع أسفا وأظهرت حزنا ولهفا ثم قالت هنيئا يا من كان دأبه النسك والوفا ، وما غفل عن خدمة سيده ولا هفا ، وطالما قام فى الليل برداء الطاعة ملتخفا بمسكى كشيئا ويصبح مدقفا . قال ذوالنون فقلت لها من يكون لك هذا الشاب ؟ قالت هو ولدى سائح فى الفلوات أجمع أنا وهو كل سنة فى الموسم والميقات ، فلا أعود أراه الى العام المقبل ، فلما وفقت فى هذه الساعة بعرفت طلبته على سالف العادات فهتف بى هاتف أنه قد مات ، وقد رفعت روحه الى أعلى الدرجات ، ثم قالت ياسيدى بما بينى وبينك فى خلونى وبما أودعت من محبتك فى مهجتي إلا ما خلصت نفسى العانية من هذه الدار القانية وأوصلتني مع ولدى الى الدار الباقية قال ذو النون ثم تنهدت وخرت ميتة إلى جانب ولدها ، رحمهما الله تعالى :

فاز المحبون بالمحبوب وانصلوا	ولم يغب منهمو فى قصدهم أمل
وافوا ومحبوبهم وفى أجورهم	وأقبلوا وهو والله قد قبلوا
ومن رضاه عليهم ألبسوا خلعا	بديعة الحسن فيها يضرب المثل
يا جبرتي وأصبحاني بخيف منى	مضى تعود لنا أيامنا الأول
ما كان أحسن ذاك الشمل مجتمعا	والوصل متصل والهجر منفصل
والوقت صاف وساقى القوم سامرهم	لما تجلى على أسرارهم ذهلوا
ناداهم هو قد بلغتم كل قصدكم	فاليوم لاصد تخشوه ولا ملل
ها قد خلعت عليكم من خزائن ما	دخرته خلعا ينأى بها الوجمل
فاستبشروا بنعيم لا تقادله	على الدوام وجنائى لكم نزل
هم الأحبة أذناهم لأنهمو	عن خدمة الصمد القيوم ما غفلوا
باعوا النفوس بخينات فبايعهم	لما اشتري منهمو فى جهنم قتلا
عند الهيمن أحياء وقد رزقوا	طيب الجنان على لذاتها حصلوا

فيزدادون حسنا وجمالا
فيرجعون إلى أهلهم ،
وقد ازدادوا حسنا وجمالا
فيقول لهم أهلهم :
والله لقد ازددتم بعدنا
حسنا وجمالا وفى كتاب
الترمذى . قال «إن أول
زمرة يدخلون الجنة يوم
القيامة ضوء وجوههم
على مثل ضوء القمر ليلة
البدر ، والزمرة الثانية
على مثل أحسن كوكب
درى فى السماء ، لكل
رجل منهم زوجتان على
كل زوجة سبعون حلة
يرى مخساقها من ورأها»
وفى كتاب النسائى عن
أنس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «يعطى
المؤمن فى الجنة قوة كذا
وكذا من الجماع . قيل
يا رسول الله أو يطبق
ذلك ؟ قال يعطى قوة
مائة » . وفى كتاب
الترمذى عن على قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن فى الجنة
لمجتمع للجنور العين يرفعون
بأصوات لم يسمع الخلائق
مثلها يقلن : نحن الخالدات

وجاوروا المصطفى الهادي الذي رغبوا في حبه وله أرواحهم بذلوا
سعوا إلى بابه راجي شفاعته يوم المعاد إذا كل الوري ذهلوا
داعي التشوق ناداهم وأقلقهم فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
وشقة اليد تطوى في السرى لهمو وكل قاص دنا حتى به اتصلوا
ياسيدي يارسول الله خذ يدي يوم الحساب إذا ضاقت بنا السبل
صلى عليك إله العرش ماهتفت ورق الحمام وما سارت لك الابل

[حكاية] كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله عليه صاحب خراسان ، فبينما هو ذات يوم راكب على جواده في معرك جلاده بين عسكره وأجناده ، إذ سمع من قربوس سرجه مناديا ينادي يا إبراهيم مالهذا خلقت عبادي ولا بهذا أمرت أهل وادى ، فترك مرادك لمرادى وإلا فأنت من أهل عنادى ، قال إبراهيم فأصابني السهم في مقتل فؤادى فتغربت عن بلادى وتشتت عن أولادى وخرجت هائما إلى من عليه توكلى واعتمادى .

أهيم بحبكم في كل وادى وأسأل عنكمو في كل نادى
وأندب كلما عاينت ربعا حدالهمو بوشك اليبين حادى

فلما انفصل إبراهيم عن مملكه وممالكه واتصل بخالقه ومملكه دخل البادية وأشجانه عليه بادية واقطع في الطريق عن الرفيق وبقي سبعة أيام لا يتناول شربة من الماء ولا لقمة من الطعام فغار الشيطان على صدقه والشيطان غيور ، وإنما يغار من الأكبر ملوك الحقيقة وسلاطين الطريقة وحق له أن يغار لأنهم ألبسوا خلعتة التي انخلع منها وولايته التي انعزل عنها فظهر له الشيطان في هيئة شيخ صالح ، وقال له يا إبراهيم اسمع منى فانى لك ناصح : إن الحبيب الذي تركت من أجله الممالك وركبت في محبته الممالك قد ضيعك حتى أشرفت على الموت ، فقال : لا بأس بالموت إذا حصل الأمان من القوت .

يالأمى لو بذلت الروح مجتهدا وجملة المال والدنيا وما فيها وجنة الخلد والفردوس أجمعها بساعة الوصل كان القلب شاريها لانسلكن طريقا لست تعرفها بلا دليل فتھوى في مهاوئها فالروح أول موجود تجوده والنفس أسير شىء فيه تفنها وما عليك إذا ماتت بغصتها من القرام فان الوصل يحياها

فبينما إبراهيم في دهشة حيرته إذ ظهر له شخص من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا ، وقال له يا إبراهيم تريد أن أعلمك الاسم الأعظم فتسقى به وتطعم ، فقال نعم فعلمه إياه ، فقال له من أنت ؟ قال أنا أخوك الخضر تريد أن أحببك ، قال لا ؟ قال ولم ؟ قال ، لأن الصلبة لا تحصل إلا بالشركة وأنا لا أريد أن أشرك في مصحوبى ولا أحب غير محبوبى ، فانى أخاف أن أحب غيره وهو شديد الغيرة فلا حاجة لى في ذلك :

ها كم فؤادى فان أقيتمو أترا لغيركم فاجعلوا التعذيب مأواه
وها لسانى فان أنباكمو خبرا عن غيركم صححو بالكذب دعواه
فمن تكن أنت دون الناس بغيته فامنن عليه ولو يوما بليغاه
فأنت للصب أقصى ما يؤمله وأنت للقلب أحلى ما يمناه

وكان إبراهيم لما انفصل عن أهله فارق زوجته وهى حامل فولدت له ولدا سموه أدهم باسم جده فلما كبر وترعرع قال لأمه يا أماه : أما كان لى أب . قالت بلى ، والله يابنى كان لك أب وأبى أب .

فلانيد ، ونحن الناعمات
فلانبؤس ونحن الراضيات
فلانسخط فطوبى لمن كان
لنا وكنا له ، وفي كتاب
الترمذى قال صلى الله عليه
وسلم « لغدوة في سبيل
الله أروحة خير من
الدنيا وما فيها ، ولقاب
قوس أحسكم أو موضع
يده في الجنة خير من
الدنيا وما فيها ، ولو أن
امراة من نساء أهل الجنة
اطلعت إلى أهل الأرض
لأضأت ما بينهما ولملأت
ما بينهما ريحا ولنصفها
على رأسها خير من الدنيا
وما فيها » قال في الصحاح :
النصف الخمار ، وفي
كتاب الترمذى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« أدنى أهل الجنة الذى
له ثمانون ألف خادم
واثنان وسبعون زوجة
وتنصب له قبة من لؤلؤ
وزبرجد وباقوت كما بين
الحاجية إلى صنعاء » وفي
مسند البزار عن أبى
هريرة رضى الله عنه قال
« قيل يارسول الله أنفضى
إلى نساءنا في الجنة ؟ فقال :

فقال أين ذهب ؟ قالت يا بني ذهب في طلب ربه . فقال يا أمه دعيني أذهب وأطلب ما طلب أبي :
لعل أفوز بأربي . فقالت بالله عليك يا ولدي ، إن أباك قد أحرق قلبي بفراقه فلا تحرق أنت قلبي
بفراقك فمكث رعية لأمه حتى ماتت فبقي حزينا لا أم له ولا أب ، فخرج حافيا وعن الناس خافيا
بييت بالمساجد المهجورة ويسأل اللقمة من الأبواب إلى أن وصل إلى مكة شرفها الله تعالى ، فبينما
إبراهيم في الطواف ومعه بعض مريديه : إذ نظر الشيخ إلى الشاب وجعل يحدق بالنظر إليه ،
فأنكر للمريد عليه ، وقال له ياسيدي ماهذه الغفلة في هذا المكان والوقت تحديق بالنظر إلى صورة
مستحسنة ، فبكى الشيخ . وقال للمريد اذهب إليه وسله من هو ؟ فذهب المريد إليه وسلم عليه وقال
له من أين أنت أيها الشاب ؟ فقال من بلاد العجم من بلخ ، فقال ابن من ؟ فقال لأدري إلا أن
أُمِّي قالت لي إن اسمه إبراهيم بن أدهم ، ثم تناثرت دموعه على خده . قال للمريد فرجعت إلى
إبراهيم فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فجلست عند رأسه حتى أفاق . فقلت له يا شيخ الله يأخذ
حق هذا الشاب منك ، فقال هذا والله ولدي تركته لله تعالى فلا أعود فيه . فقالت له أيها الشيخ
سألتك بالله إلا ماقت إليه فقام إليه . فقال له الصبي من أنت ؟ فقال أنا أبوك إبراهيم بن أدهم ، ثم
ضمه إلى صدره وقال : إلهي هذا ولدي وقطعة من كبدي وقد جاء في طلبي ، وقد علمت موضعه
من قلبي وأنا لا أتفرغ له وأنت أعلم بمصالح عبادك ، فما مضت على الشاب سبعة أيام حتى قضى نجه
فغسله إبراهيم بيده وكفنه في قطعة كساء غليظ ، كلما غطي رأسه بانت رجلاه ، وكلما غطي رجله
بانت رأسه وهو يقول قرة عيني الله يجمع بيني وبينك يوم القيامة :

إن كنت لا أبالي من فقدت ولا أرجو سواك ولا ألوى على أحد
ولو فسكت دمي عمدا بلا سبب يا برد ذاك الذي ترضى على كبدي
أهل الهوى كلهم في الحب قدوردوا لكنه ليس ورد الظبي كالأسد
كم وارد ملئت كأس الوصال له وواقف دون ذلك الورد لم يبرد
وقد مددت يدي بالذل خاضعة وقد عجزت فيا مولاي خذيدي
وقد تشفعت بالهادي الشفيع ومن ترجى شفاعته في اليوم ثم غد
محمد المحبتي المختار من مضر ومن جلا كل قلب بالذنوب صدي
صلى عليه إله العرش خالقه وزاده منحاجلت عن العسد

المجلس السابع والعشرون

فيما يحلو القلوب من القسوة : بذكر أخبار النسوة

الحمد لله الذي أنشأ العالم واخترعه وابتدعه ، وأتقن كل شيء صنعه وأحكم متفرقه وجمعه .
[أحمده] على ما أولى من إحسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه [وأشهد] أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بشه بالبيان مرشدا يهدي
الخيران مؤيدا بمعجزة القرآن فأظهر دينه على سائر الأديان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة
دائمة في كل وقت وأوان . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين . (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات)
وقال الله تعالى (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين
والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين
والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة

إلى والذى تقضى بيده
إن الرجل ليفضى في اليوم
الواحد إلى مائة عذراء »
وعن أبي سعيد الخدري
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « أهل
الجنة إذا جامعوا نساءهم
عادوا أبكارا » ، وفي
صحیح مسلم عن الغيرة بن
شعبة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « سأل
موسى عليه السلام ربه
مأذني أهل الجنة منزلة ؟
فقال هو رجل ينجى بعد
مأذخل أهل الجنة الجنة
فيقال له ادخل الجنة
فيقول : إني ورب وكيف
وقد نزل الناس منازلهم
وأخذوا أخذاتهم فيقال له
أرضى أن يكون لك مثل
ملك من ملوك الدنيا
فيقول رضيت ربي فيقول
هذا لك وعشرة أمثاله
ولك ما شئت نفسك
ولدت عينك فيقول
رضيت ربي قال رب
فأعلام منزلة ؟ قال
أولئك الذين أردت
غرس كرامتهم بيدي
وختمت عليها فلم ترعين

وأجرا عظيما) فقرن الله سبحانه ذكر النساء الصالحات بالرجال الصالحين . وللنساء أحوال وزهر وخير وصلاح كما في الرجال ، وفي النساء من لهنّ الأوراد واللياحات والكشف وغير ذلك من الخصوصيات التي خصهن الله تعالى بها كمن مضيّن منهنّ في الصدر الأول مثل رابعة العدوية وشعوانة وريحانة وأمّ الخير وغيرهنّ من النساء المشهورات وغير المشهورات كما حكى عن رابعة العدوية رحمها الله تعالى : أنها كانت إذا وصلت العشاء قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ، ثم قالت : إلهي نارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلّا كل حبيب بحبيبه . وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت : إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا أم رددتها عليّ فأعزى ، فوعزت لك هذا دأبى ما أحيتنى وأعنتى ، وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك ثم أشدت :

يا سرورى ومنيّ وعمادى وأنيسى وعدنى ومرادى أنت روح القود أنت رجائى
أنت لى مؤنس وشوقك زادى أنت لولاك يا حيّاتى وأنى ماتشتت في فسيح البلاد
كم بدت منه وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأبادى حبك الآن بقيت ونعيتى
وجلاء لعين قايى الصادى ليس لى عنك ما حييت براح أنت منى ممكن في السواد
إن تكن راضيا عليّ فاني يامنى القلب قد بدا إسماعدى

[وقال سعد بن عثمان] كنت مع ذى النون المصرى رحمه الله في تيه بنى إسرائيل وإذا بشخص قد أقبل ، فقلت يا أستاذ شخص قد أتى ، فقال لى انظر من هو ؟ فانه لا يضع أحد قدمه في هذا المكان إلا صدّيق فنظرت فإذا هى امرأة ، فقال صديقة ورب الكعبة فابتدر إليها وسلم عليها فقالت ما للرجال ومخاطبة النساء ؟ فقال أنا أخوك ذوالنون ولست من أهل الهم ، فقالت مرحبا حياك الله بالسلام . فقال لها ما حملك على الدخول في هذا اللوضع ؟ فقالت آية من كتاب الله عز وجل قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) . فقال لها صنى لى المحبة ؟ فقالت : سبحان الله أنت عارف بها وتكلم بلسان المعرفة وتسالنى عنها . فقال لها : للسائل حق الجواب ، فأشدت تقول :

أحبك جبين حب الهوى وجبا لأنك أهل لها كا
فأما الذى هو حب الهوى فذكر شقات به عن سوا كا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا وفى ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا
يا حبيب القلب مالى سوا كا فارحم اليوم مذنباً قد أتاك
يا رجائى وراحتى وسرورى قد أبى القلب أن يحب سوا كا

[وآخر]

[وقيل] إنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن الحسن البصرى فى الدخول عليها هو وأصحابه فأذنت لهم وأرخت سترا وجلست وراءه ، فقال لها أصحابه إنه قد مات بعلك ولا بدّ لك من زوج وقد انقضت عدتك فاخترارى من هؤلاء الزهاد من شئت منهم ، فقالت جبا وكرامة من هو أعلمكم حتى أزوجه نفسى ؟ قالوا الحسن البصرى ، فقال له إن أحببتى عن أربع مسائل فأنا لك أهل فقال لها سلى فأنا أجيب إن وفقنى الله تعالى قالت : ما يقول الفقيه العالم إذا أنا مت هل خرجت من الدنيا مسلمة أم كافرة ؟ فقال هذا غيب والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، قالت فما يقول إن وضعت فى القبر وسألنى منكر ونكير أفأقدر على جوابهما أم لا ؟ قال وهذا أيضا غيب ، قالت : فإذا حشر الناس

ولم تسمع أذن ولم تخطر
على قلب بشر قال
ومصادقه من كتاب الله
تعالى (فلا تعلم نفس ما
أخفى لهم من قرة أعين)
وفى صحيح مسلم : عن أبى
سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « إن
الله تعالى يقول لأهل
الجنة يا أهل الجنة فيقولون
ليسك ربنا وسعديك
والخير فى يديك فيقول
هل رضيتم ؟ فيقولون
ومالنا لا نرضى يارب وقد
أعطيتنا ما لم تعط أحدا
من خلقك ، فيقول ألا
أعطيتكم أفضل من ذلك
فيقولون يارب وأى شئ
أفضل من ذلك ؟ فيقول
أحلّ عليكم رضوانى
فلا أسخط عليكم بعده
أبدا . أخوانى أتركوا
الدنيا وأكدها والآخرة
وارفضوا حب نساء الدنيا
واشتروا الخور الفاخرة
فانها تدرك بأيسر الأثمان
وتكون معكم مخلدة فى
الجان ، وروى عن مالك
ابن دينار رضى الله عنه

في القيامة وتطارت الكتب فيعطى بعضهم كتابه يمينه ويعطى بعضهم كتابه بشماله فأعطى كتابي يميني أم بشمالى؟ قال وهذا أيضا غيب، قلت فإذا نودي في الخلائق فريق في الجنة وفريق في السعير فمن أى الفريقين أكون؟ قل لها وهذا أيضا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، فقالت له فإذا كان الأمر كذلك وأنا في قلق وكرب من هذه الأربعة فكيف أحاج إلى الزوج وأتفرغ له، ثم أنشدت:

راحق يا إخوتي في خلوتي وحيبي دائما في حضرتي لم أجدي عن هواه عوضا
وهواه في البرايا محسنى حينما كنت أشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلي
إن أمت وجدا وما ثم رضا واعنائى في الورى واشتوى يا طبيب القلب يا كل اللى
جد بوصل منك يشفى مهجتي يا سرورى وحيانى دائما نشأتى منك وأيضا نشوى
قد هجرت الخلق جمعا أرئى منك وصلا فهو أقصى مني

[قال صالح المرمى رحمه الله عليه] رأيت جارية وهى تغنى بالطار فمررت يوما بقارى يقرأ (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين). قال فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها، فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت في العبادة والاجتهاد حتى شاع ذكرها. قال صالح فدخات عليها يوما فسكمتها في الرفق بنفسها فبكت وقالت ليت شعري أهل النار من قبورهم كيف يخرجون وعلى الصراط كيف يعبرون، ومن أهوال يوم القيامة كيف يخلصون، وللحجيم كيف يتجرعون، ولتو يسبح المولى كيف يسمعون؟ ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها، فلما أفاقت قالت مولاي وسيدى عصيتك وأنا غضة رطبة وأطعتك وأنا يابسة خشنة أراك تقبلنى؟ ثم قالت أوأه كم من فضيحة تكشفها القيامة غدا، ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد في المجلس حتى غشى عليه من شدة البكاء مما صنعت بنفسها، ثم أنشدت تقول:

أما والذي قد قدر البعد بيننا وعذبتى بالشوق وهو شديد
وخصكو بالصبر دونى وخصنى بحزن عليكم يبتدى ويعيد
وصيرنى مهبها شممت نسيكم أشد قلبي راحق وأميد
لقد ذاب قلبي من دموعي عليكمو على أنه في الثائبات جليد
فيا ليت شعري هل على ما لقيته وكابدت من جور الفراق مزيد
لئن عاد ذاك الوصل أو عاد بعضه وملتم إليه إتنى لسعيد
على أنها الأقدار قد تبعد الفقى قريبا وقد تدنيه وهو بعيد

[قال ذو النون النصرى رحمه الله عليه] كانت أم داب من كبار الصالحات العابدات إلى أن بلغ عمرها تسعين سنة وهى تخرج في كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة فكف بصرها، فلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنها ويتعمن لها في كف بصرها فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت إلهى وعزتك لئن قدمت نور بصرى بين يديك ما تقدمت أنوار شوقى إليك ثم أحرمتم وقالت لبيك اللهم لبيك وخرجت مع صواحبها فكانت تمشى بين أيديهن فتسبقهن في السير. قال ذو النون فتعجبت من حالها فتهتف بى هاتف: يا ذا النون أعجب من ضيقة اشتاقت إلى بيت مولاهما فحملها إليه بلطفه وقواها:

همو قد حوا الغرام بلا زناد فطار الشوق من شغف الفؤاد
إذا لم تطفئوا نيران شوقى بوصل صار قلبي كالرماد

أنه كان ماشيا في أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيدعك مولاك؟ فقالت كيف قلت يا شيخ؟ قال أبيعك مولاك؟ قالت ولو باعنى كان مثلك يشتري. قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها فحمل فدخلت إلى ولاها، خبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه فأدخل ألفت له الهية في قلب السيد، قال ما حاجتك؟ فقال بعتى جارتك، قال أو تطيق أداء ثمنها؟ قال نعم عندي نواتان مسوستان فضحكوا، قال وكيف كان ثمنها عندك هذا؟ قال لكثرة عيوبها قال إن لم تتعطر دفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تتعطر وتدهن قتلت وشمت وإن تعمرت عن قليل هربت، ذات حيض وغائط وبول وأقدار وحزن وغم وأكدار

عذولي لاتضع في العذل وقتي
وياحادي النياق لأرض نجد
فقل لأحب بالجرعاء عني
أياراحي وريحاني وروحي
ظلام الليل أحسن من ضياء
يقوم به الحب إلى حبيب
وسار العارفون إلى رضاه
وقد جعلوا الحنين له حذاء
فتسمع صوتهم والعيس تسرى
أجل الخلق أنساباً وأعلى
هو الهادي البشير هو الرجي
عليه من المهيمن كل وقت
فلست بقاطع جبل الوداد
إذا ماجزت في تلك البوادي
مقالة مغرم الأحشاء صاد
أنسهرني وتسلبني رقادى
إذا نظر الحب بلا انتقاد
عظيم العفو منسكب الأيادي
فوقهم البكا والشوق حادى
وذكرهم الأوبة خير زاد
بهم نحو الذى فيه رشادى
وأعظم حرمة يوم التنادى
شفيع الخلق في يوم المعاد
صلاة ماحدا بالركب حادى

ولعلها لا تودك إلا لنفسها
ولا تحبك إلا لتنعمها
لاتتقى بعهدك ولا تصدق
في ودك ولا يخلف عليها
أحد بعدك إلا رأته مثلك ،
وأنا آخذ بدون ماسأت
في جارتك من الثمن جارية
خلقت من سلالة الكافور
ومن للسك والجوهر
والنور لومزج بريتها
أجاج البحر لطاب ،
ولو دعى بكلامها ميت
لأجاب ولو بدا معصمها
للشمس لأظلمت دونه
وكسفت ولو بدا في الظلاء
لأثارت به وأشرقت ولو
واجهت الآفاق بخليها
وحللها لتعطرت بها
وتزخرفت نشأت من بين
رياض السك والزعفران
وقضبان الياقوت والرجان
وقصرت في خيام النعم
وغذيت ماء التسليم
لاتخلف عهدا ولا تبدل
ودها فأيهما أحق برفع
الثن ؟ قال التي وصفت :
قال فأنها الموجودة الثمن
الفرية الخطب في كل زمن
قال فما عنها رحمك الله ؟
قال أيسر المبدول ليل

[قال محمد بن مروان] وكان من أهل الفقر والورع : كنت عند الركن اليماني بالكعبة شرفها
الله تعالى وقد خف الطواف وإذا بأربع جوار قد أقبلن وعليهن سيا القبول فتعلقت الكبرى منهن
بالأستار ، وقالت بلسان الدالة والإنكسار :

اليك حجي لا للبيت والحجر ولا طواف بأركان ولا جدر

ثم رفعت رأسها وقالت : إلهي الشوق أفلقني اليك ، والحب هيحن وجداء عليك ، وها أنا بين
يديك ، إلهي إن كانت زلت تطردني ، فحجني إلى بابك تجذبني ، وإن كان ذنبي عن بابك يبعدني
فرجائي في عفوك يقربني وإن كانت خطاياي تقيدني ، فاخلصني في مثالي اليك يطلقني ، إلهي فتي
اليك أصل ، وإلى حضرة جمالك أصل ، يا أنيس المستوحشين ، يا حبيب المحبين ، يا أمان الحائضين ،
ويا راحم الذنبيين ، ويا قابل التائبين ، ويا أرحم الراحمين ارحمني برحمتك ، واشمئني بمغفرتك ،
ثم تهتدت وأنشدت :

أستغفر الله مما كان من زلالي ومن ذنوبي وتفرطى وإصراري

يارب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت جبل الرجا يا خير غفار

ثم جلست وهي كشيبة عانية فقامت الثانية فتململت وتقلقت وبكت ومادت ونادت يا منتهى
الآمال ، يا حامل الأبرار على نجب الأعمال ، يا مخرج قناديل الود في قلوب العارفين ، يا أنيس
المستوحشين ، يا طبيب القلوب ، يا غافر الذنوب ، قد ذاب جسمي من اشتياقي اليك ، وقد استحييت
من إقدامي عليك فارحمي . واعف عني يا أرحم الراحمين ، ثم جالت وقالت :

أيتيك أشتكي سقمي ودائي وعندك يا مني قلبي دوائي

فلا أحد سواك إليه أشكو فيرحم عبرتي ويرى بكائي

فيا مولى الورى جدلى بعفو ومن بنظرة فيها شفائي

ثم جلست وهي من وجدها عائنة ، فقامت الثالثة فبكت طويلا وأبدت عويلا ثم قالت : إلهي
ذنوبي طردتني عن بابك ، ودوام الغفلة أبعدني عن جنابك ، وقد وقعت يابك بالدلة والافتقار ،
ورجوت العفو عن ذنوبي والأوزار ، وقد هربت منك اليك وها أنا بين يديك ثم تهتدت وأنشدت
ببابك ربى قد أنحت ركائبي ومالى من أرجوه يا خير واهب

سواك فجلى بالذى أنت أهله لأعطى من الافضال أسنى الواهب
إذا لم أمت شوقا إليك وحسرة عليك فلا بلغت منك مآربى

ثم جلست وعيونها بالبكاء دامعة ، فقامت الرابعة فبكت وتحسرت واستقلت من ذنوبها وقالت :
إلهى أمرت المجتهدين بالوقوف على بابك وما أظن أنى منهم ، إلهى لولا أن العفو من صفاتك لما
ابتليت بالذنوب أهل ولايانك ، إلهى إن كنت غير مستأهلة لما أرجوه من مغفرتك ، فأنت أهل
أن تجود على بسعة رحمتك ، يا من لا تخفى عليه خافية ، ويا من نعمه لم تزل وافية ، استر على ما خفى
من ذنوبى ، فأنت غاية مقصدى ومطاولى ثم أنشدت :

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذى سيدى ومعينى
لئن أبعدتني عن جنابك زلتى فان رجائى فيك حسن يقينى
وظنى جميل أتى منك أرتجى عواطفك الحسى غنذ يمينى

قال محمد بن مروان فلقد أطربتنى بما أسمعنى وأبكين أعينى بما وعظنى

[قيل] كانت امرأة مجاورة بمكة شرفها الله تعالى يقال لها حكيمة وكانت إذا نظرت الى باب
الكعبة يفتح صرخت صرخة عظيمة وأغمى عليها ففتحت الكعبة يوما في غيبتها . فلما جاءت قيل لها
يا حكيمة فتح اليوم بيت ربك ، فلو رأيت الطائفين به يطوفون وهم محرمون ملبون ، والباب
مفتوح ، وكل منهم قلبه من الشوق مجروح ، ومن الوجد مقروح . وهم ينتظرون من ربهم الرحمة
والغفرة ، ويككون بالذلة والعذرة ، لكأن تقرأ عينك ، فصرخت صرخة أزجعت بها القلوب ،
ولم تزل تضطرب حتى ماتت أسفا على ما فاتها من بلوغ المطلوب ورؤية الكعبة التى شرفها الله تعالى
بين الملا ، ولم يجعل لها فى الدنيا عوضا ولا بدلا :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا شوقا اليك وعنك لم يرم بدلا
يمسى ويصبح محزونا ومكتئبا ويهجر الأهل والأوطان والاطلا
لولاك ماسارت الركبان من طرب كلا ولا قطعت سهلا ولا جبلا
ولا دأت كل ضيق فيك متمسعا كلا ولا خف عنها كل مائتلا
باعوا النفوس رخيصا فى هالك وما تغلوا النفوس بوصل منك إن حصلا

[قال ذو النون المصرى رحمه الله عليه] بلغنى أن بالجليل للمقطم جارية متعبدة ، فأحببت أن
أزورها فخرجت الى الجليل أطلبها فلم أجدها ، فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهن عنها ، فقالوا
أنسأل عن المجانين ، وترك العقلاء ؟ فقلت دلونى عليها وإن كانت مجنونة ؟ فقالوا تراها تجوز بنا تقع
مرة وتقوم مرة وتصيح مرة وتسكت مرة وتبكي مرة وتضحك مرة . فقلت دلونى عليها فقال أحدهم
تراها فى الوادى الفلانى ، فخرجت فى طلبها . فلما أشرفت عليها سمعت لها صوتا ضعيفا وهى تقول :
يا ذا الذى أنس القوادى بذكره أنت الذى ما إن سواه أريد يا منبقى دون الأنام وبغيت
يا من له كل الأنام عبيد تنفى اللبالب والزمان بأسره وهو لك غض فى القوادى جديد
قال ذو النون فاتبعت الصوت . فاذا أنا بالجارية ، وهى جالسة على صخرة عظيمة ، فسلمت
عليها فردت على السلام وقالت : يا ذا النون مالك وللمجانين ، فقلت لها أجنونة أنت ؟ قالت لولم
أكن مجنونة لما نودى على بالجنون . قلت : وما الذى جننت به ، قالت : يا ذا النون حبه خبانى
ووجدته ألقنى وشوقه تبعنى ، فقلت : وأين محل الشوق منك ؟ فقالت : يا ذا النون الحب فى القلب
والشوق فى القوادى والوجد فى السر ، ثم بكت بكاء شديدا حتى غشى عليها . فلما أفاقت قالت :

الخطير المأمول أن تنفرغ
ساعة فى ليلك فصلى
ركعتين تخلصهما لربك
وأن يوضع طعامك فتذكر
جائعا فتؤثره لله تعالى على
شروتك وأن ترفع حجرا
أو قدرا وأن تقطع أيامك
بالبلغة والفلة وترفع همك
عن دار التورور والغفلة
فتعيش فى الدنيا بعز
القناعة وتأتى الى موقف
الكرامة أمانغا وتزول
فى الجنة دار النعيم فى جوار
المولى الكريم مخلدا .
فقال يا جارية أسمعته مقال
شيخنا هذا ؟ قالت نعم ،
قال أفصدق أم كذب ؟
قالت : بل صدق وبر
ونصح . قال فأنت إذا حرة
لله تعالى وضعية كذا
وكذا صدقة عليك وأتم
أيتها الخدم أحرار ، وضعية
كذا وكذا لكم وهذه
الدار بما فيها صدقة مع
جميع مالى فى سبيل الله ثم
مد يده الى مستر خشن
كان على بعض أبوابها
فاجتذبه وخلع جميع
ما كان عليه واستتر به
فقال الجارية لا عيش

أَوَّاه من فرط المحبة ، إذا النون هكذا موت الحبين ، ثم صاحت صيحة عظيمة وسقطت إلى الأرض فركتها فاذا هي ميتة رحمة الله عليها :

يا حبيب القلوب مالي سواكا ارحم اليوم مذنباً قد أناكا أنت سؤلى ومنيتى وسرورى
قد أبى القلب أن يحب سواكا يارجائى وغائى واعتمادى طال شوقى متى يكون لفاكا
ليس قصدى من الجنان نعماً غير أنى أريدها لأراكا يا حبيب القلوب جدلى بعفو
وأنتنى يانور عيسى رضاكا أنا أهواك ماحيت وإن متت فبعدى يافوز من يهواكا
ليس لى عنك ماحيت براح وفؤادى على المدى يرهاكا كل من فى حماك يهواك لسكن
أنا وحدى كل من فى حماكا جئت يامنيتى إليك ومالى غير ذلى إليك لالسواكا
فبذلى ولوعتى وانكسارى واقتقارى وفاقتى لعناكا هب لى الفوز واعف عنى لأنى
فى البرايا أصبحت من أسراكا ليس لى قرينة إليك من الخلق سوى المصطفى الذى ناجاكا
أحمد المرتضى شفيع البرايا سيد الكون خير من ناداكا
فعليه الصلاة فى كل وقت كلما حرك النسيم الأراكا

[عن جعفر الخالدى رحمه الله عليه] قال سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول : حجبت سنة من السنين على الوحدة وجاورت بمكة شرفها الله تعالى فكنت إذا جنّ الليل دخلت الطواف فينا أنا أطوف إذا بجارية تطوف بالبيت وهى تقول :

أبى الحب أن يخفى وكى قد كتمته فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتدّ شوقى هام قلى بذكره وإن رمت قريبا من حبيبى تقربا
ويمجنى وصلا فأحيا به له ويسكرنى حتى ألته وأطربا

[قال الجنيد] فقلت لها يا جارية : أما تتقين الله تسكمين بمنثل هذا الكلام فى مثل هذا المقام فالتفتت إلىّ وقالت : يا جنيد لا تدخل بينه وبين محبيه . ثم أنشدت تقول :

لولا التقي لم ترى هجرت طيب الوسن إن الهوى شرّ دنى
كما ترى عن وطنى قد همت من حبي له غبه هيمنى

ثم قالت يا جنيد أنت تطوف بالبيت . فهل ترى رب البيت ؟ فقلت : هذه دعوى تحتاج إلى إقامة حجة فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك سبحانك ، ما أعظم شأنك ، وما أعزّ سلطانك ، خلق كالأحجار يطوفون بالإنكار على أهل الأسرار ، ثم أنشدت :

يطوفون بالبيت العتيق تقرّبا إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
فلو يخلصون السرّ جادت صفاتهم وقامت صفات الحق منهم على الذكر
قال الجنيد : فأغنى علىّ من كلامها ، فلما أفقت طلبتها فلم أجدها :

إذا الذى آنسى فى السواد وحرّم النوم وطيب الرقاد أنت الذى أسهرتني دائما
وقد حلالى فيك طيب السهاد إذا الذى قد لافنى فى الهوى ماتتني الهجر وطول البعاد
إن كنت تبغى قرينة فاجتهد ولله يجه المصطفى فى المعاد طه شفيع الخلق يوم الالف
إذا أتوا فى الكرب يوم التناد صلى عليه الله ما أورت أغصان أشجار وما سار باد
[قال ذو النون المصرى رحمه الله عليه] وصف لى عابدة من الزهاد ، ذات عمل واجتهاد ، فقصدتها فاذا هي صائمة النهار قائمة الليل لا تفتر عن العبادة ، ولا تملّ من العمل ، وهى مقيمة فى دير

خرب . فلما جن الليل ، سمعتها تقول : سيدى لا ينام ، ولا ينبغي له المنام ، فكيف الجارية تنام ؟

بعدك يا مولاي فرمت
بكسوتها ولبست ثوباً خشنا
وخرجت معه فودعهما
مالك بن دينار ودعا لهما
وأخذ طريقاً غيره فتعبدا
جميعاً حتى جاء الموت
فتقلّهما على حال العبادة
رحمهما الله ورضى عنهما
ونفعا بهما وبسائر
الصالحين . اللهم يسر علينا
مناجيتهم وأوصل إلينا
فوتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم
وألقنا بهم واحشرونا
فى زميرهم واهدنا هداهم
وأسلكننا طريقهم آمين .
(فصل : فى اللقاء)
قال الله تعالى (وجوه يومئذ
ناضرة إلى ربها ناظرة .
ووجوه يومئذ باسرة
تظن أن يفعل بها فاقرة)
وفى صحيح مسلم عن صهيب
عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال «إذا دخل أهل
الجنة الجنة يقول الله تبارك
وتعالى : أريدون شيئاً
أزيدكم ؟ فيقولون : ألم
تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا
الجنة وتنبنا من النار ؟
قال : فيرفع الحجاب
فينظرون إلى وجه الله تعالى

والخديم لا ينال ؟ لا وعزتك وجلالك ليس لي في هذه الليلة منام . فلما أصبحت سلمت عليها فردت على السلام . فقلت لها يا تجارية تسكنين في مساكن النصارى وأنت على هذه الحالة ؟ فقالت : يا ذا النون لا تتكلم بمثل هذا الكلام السقيم ، وأنت على هذا القدم العظيم ، فلا يخطر غير الله في بالك ، ولا تتوهم غيره في خيالك . فقلت لها : أما تستوحشين في هذا الدير ؟ فقالت : والذي ملا قلبي من لطيف حكمته ، وهيمني في محبته ، ما علمت في قلبي موصفا لغيره ، ولا في جسدي عرقا إلا وهو ملاّن بمعرفته ؟ فكيف لأستأنس بذكره ؟ وأنا دائما في حضرته . فقلت لها : قد أرشدتني إلى الطريق فاسلكي في مسالك القوم ، فاني والله في بحر ذنوبي غريق . فقالت : يا ذا النون اجعل التقوى زادك ، والآخرة مرادك ، والزهد والورع مطيتك ، والانشطاع إلى الله تعالى سجيّتك ، وارم هذه الدنيا عن قلبك ، فهو سبب الرجوع إلى ربك ، واسلك طريق الخائفين ، وأترك طريق المذنبين تكتب في ديوان الموحدين ، وتلقى الله تعالى وليس بينك وبينه حجاب ، ولا يردك عنه بوّاب . قال ذا النون : فأمر كلامها في قلبي ، وكان سبب رجوعي إلى ربي ، ثم تركتني ومضت وهي تسبح ، وتقول في سياحتها :

هو الحبيب الذي بالوصل قد وعدا وحقه لاسلته مهجتي أبدا
كررت على مسمعي ذكره تطربني روحى الفداء لمن باسم الحبيب حدا
هو الحبيب فلا شيء يماثله تالله مامثله للقلب حين بدا
إن مت في حبه شوقا فلا عجب يا حباذا إن أكن من جملة السعدا
يا من يروم وصلا منه يغنمه اهجر منامك ما وصل الحبيب سدى
وانظر لأهل التقى في الليل قد وقفوا في طاعة الله كل ربه عبدا
هذه صفاتهم نالوا الذي طلبوا وكل راج لما يبغيه قد وجدا

المجلس الثامن والعشرون

في قوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض

إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)

الحمد لله الذي لا تدركه الأوهام ولا الظنون ولا تحويه الأبصار ولا العيون ، ولا تناله الآفات ولا النون ، الذي أنزل الكتاب السكون ، وأرسل السحاب الهتون ، وأخرج رطب الثمار من يابس الغصون ، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) تسكنت بقدرته الأشياء ، وتوالت برحمته الآلاء ، وانشقت بحكمته الأرض والسماء . وكتب بعشيقته السعادة والشقاء (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تعلقون) الشافي صدور أولى الألباب ، النافي بإتقان مصنوعاته كل شك وارتباب (ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنظرون) أنشأ بحكمته أصناف المبتدعات ، وقدر الأشياء من ماض وآت ، وغفر بالمتاب سائر الخطيئات (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) مبدع الدهور بالأحداث ، ومصوّر الذكور والإناث ، وباعث من في القبور فينهضون بالانبعاث (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون - جعل الشمس سرابا) وأنزل من العصارات ماء ثجاجا . ولو شاء لجعله أجاجا فلو لا تشكرون . الكريم الشكور الرحيم الغفور المنزه في أفضيته عن أن يظلم أو يمحور (الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) مالك الأشياء بالطول والأرض ، وقبل من عباده السنن والفرض ، وإليه الملك والعرض (وله من في السموات

فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال العلماء الحسنى الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ، اللهم ارزقنا ذلك بفضلك . وروى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) . وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر ، قال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم

والأرض كل له قاتنون) أتقن خالق الإنسان وأبدع ، وركب فيه قوى حركاته وأودع (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أوضح سبيل الرشاد وبين مسالكه ، وأسبغ على العباد نعمه المتداركة ، ونور وجوه الموحدين فهو (مسفرة ضاحكة لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم وعدون) أرسل من المصبرات الماء إلى الأرض وأزل ، وأسبغ بفضل الآلاء وخول ، وقضى على خلقه بما شاء وأجزل (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) أتقن صنعة خلق العالم وأحكم ، وجاد عليهم بفائض رزقه وأنعم ، ويدرك منهم السر للكون البهي (لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون سرب المشرقين ورب المغربين) ومنور الكون بالنورين ، (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) حجب أبواب العقول عن تحديده فتأهوا ، وبصرهم بوحده فلم يشاققوا ولم يضاعوا ، وألهمهم ذكر تمجيد فنطقوا بذكره وقاعوا ، الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أفاض على أوليائه من جزيل نعمائه فضلا ونوالا ، وأعد لأعدائه من عذابه وبالا ونكالا ، وحجبهم عن إدراكه فلا يتوهمون له شيئا ولا مثالا (سبحانه) تعالى عما يشركون - ليس كمثل شيء) ولا لنشر فضله طي ، ولا يعترى المهتدى إلى سبيله غي (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) ، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) :

فنون المحبة فيها فنون	ولكن لقوم بها يعرفون
ففيها رموز لأهل الهوى	وفيها صفات الجمال للصون
تعلم فيها رجال الوفا	عالم الصفا فيها يعماون
وعرفهم كيف طعم الهوى	وطرق الهدى فيه يعرفون
وفيها إشارات سر الغرام	وسر الغرام لديه فنون
عجيب لمن لا منى فيهمو	يهون باللوم مالا يهون
ويقطع بالتعب أوقاته	ويطلب في الكون مالا يكون
فسبحان من لا اله في الورى	شريك وكل الورى يشهدون

أحمد حمدًا يتقرب به للتقربون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي العربي الأمين المأمون ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون . قوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) النافخ إسرافيل والصور قرن ، وقيل جمع صورة على قراءة الحسن لأنه قرأ (ونفخ في الصور) بفتح الواو . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : صاحب الصور لم يطرف ، أى لم يطبق جفنا على جفن منذ وكل به ينظر تجاه العرش يخاف أن يؤمر قبل أن يلتقى جفناه وهذه هى النفخة الأولى ، ومعنى (نصعق) ماتوا من الفزع وشدة الصوت ، وقوله (إلا من شاء الله) قيل هم الشهداء ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وقيل حملة العرش ، وقيل الملائكة ، وقيل هم الحور العين . ثم نفخ فيه أخرى يريد نفخة البعث ، وفي حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الأجساد تثبت كنبات البقل فتخرج الأرواح كأثمار النحل فتدخل الحياشيم فتدب كدبيب السم في اللدغ فإذا هم قيام ينظرون إلى أهوال ما كانوا يوعدون » .

[إخوانى] رحل الأحباب إلى القبور وستر حلون ، وتركوا الأموال والأوطان وستركون ، وتجرعوا كأس الفراق وستجرعون ، وقدموا على ما قدموا وستقدمون ، وندموا على التفريط

قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) ، وفى كتاب الترمذى عن سعيد بن المسيب « أنه لقي أبا هريرة فقال له أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد : أفيها سوق ؟ قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدي لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم دنى ، على كسبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكرامى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قالت يارسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال نعم ، هل

في الأعمال وستندمون . وتأسفوا على أيام الإهمال وستأسفون ، وشاهدوا ما لهم عند المنون
وستشهدون ، ووقفوا يصائرهم على الأحوال وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستسألون ، ويود أحدهم
لو يفتدى بالمال وستودون . فبادروا للكتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكانكم بأيام الشباب
قد أبلتها يد المنون ، وقد أظلمكم من حجة الموت ما كنتم توعدون ، (ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) فكيف بك
يا ابن آدم (إذا نفخ في الصور ، وبعث ما في القبور ، وحصل ما في الصدور) وضاعت الأمور ، وظهر
الستور ، وخرج الخلائق من القبور (فإذا هم قيام ينظرون) ياله من يوم عظيم فيه الزلزال (وسيرت
الجبال) وترادفت الأحوال وانقطعت الآمال . وقل الاحتياك وخسر أصحاب الشمال ، وخرجوا من
القبور بنفخة الصور يرجفون (فإذا هم قيام ينظرون) يوم زل فيه الأقدام وتبذل فيه الأفهام ويطول
القيام وتظهر الآثام وينقطع الكلام ويخرجون من اللحد أحياء بعد شرب كأس المنون (فإذا هم قيام
ينظرون) فهو يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يوم الزلزلة والطامة ، يوم يشاهد العاصي ذنوبه
وآثامه ، يوم يخرجون من الأجداث بالانبعاث إلى ما يوعدون (فإذا هم قيام ينظرون) - يوم تبلى
السرائر وتكشف الضمائر وتظهر الجواهر وتعمى البصائر ، ويبعث الحائر ، ويفتضح أهل الكبار
ويبعثر ما في القبور فيخرج المؤمن والكافر والبر والفاجر إلى الموقف يهرعون (فإذا هم قيام ينظرون)
كان محمد بن السهالك كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية في القرآن أبكتني (وبدأ لهم من الله ما لم
يكنوا يحسبون) كيف لاتذوق العيون من البكاء ألمها ؟ وهي لاتدرى ما ينجم لها ؟ .

[إخواني] سار المتقون ورجعنا ، ووصلوا واقطعنا ، وأصابوا وامتنعنا ، ونجوا من الإشرار
وواتعنا ، تعالوا ننظر في آثارهم وندرس دارس أخبارهم ونبكي على ما نابنا ، وتندب على ما لحقنا وأصابنا :

تذكرت أيامي وما كان في الصبا	من الذنب والعصيان والجهل والحقا
وكيف قطعت العمر سهوا وغفلة	فأسكيت دمعى حسرة وتلهفا
وناديت من لا يعلم السر غيره	ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه	فجاد عليه بالجيل تعطفنا
أغثنى الهوى وأعف عني فأننى	أبيت ككثير نادما متلهفا
وخد يدي من ظلمة الذنب سيدى	وجدلى بما أرجوه منك تطفنا

[إخواني] زرع أعمالكم قد دنا للحصاد ، وزاد أيامكم قد أذن بالنفاد ، ونوم غفلتكم قد أطال
الرقاد ، فستندمون يوم يفر الوالد من الأولاد . وتختلف الأمور ونفخ في الصور فأين الحشرات على
فوات أمس ؟ أين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس ؟ أين ما أعددتوه ليوم لا تجزى فيه نفس عن نفس ؟
ستذهل إذا خشت الأصوات فلا تسمع إلا همس ، وتعلق الصحائف في النحور وتغلى النيران
في الصدور ونفخ في الصور . قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : في قوله تعالى (وإن تدع مثقلة
إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) قال تلقى الوالدة ولدها يوم القيامة . فتقول له يا بني
ألم يكن بطنى لك وعاء ؟ ألم يكن ندي لك سقاء ؟ فيقول بلى يا أمه . فتقول : قد أنفقتى ذنوبى فتحمل
عنى منها ذنبا واحدا ؟ فيقول : إليك عني فأنا مشغول بنفسى عنك وعن غيرك :

أنا مشغول بذنبي	عن ذنوب العالمينا	وخطايا أنفقتى	ركت قلبى حزينا
ولقد كنت جليلا	في عيون الناظرينا	صرت في ظلمة قبرى	ثاويا فيها رهينا
بعد عز وسرور	فوق وصف الواصفينا	فأتى الموت علينا	بعد هذا ففينا

تبارون في رؤية الشمس
والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا
قال كذلك لا تبارون
في رؤية ربكم ، ولا يبق
في ذلك المجلس رجل
إلا حاضره الله محاضرة
حتى يقول للرجل منهم
يا فلان بن فلان أتذكر
يوم قلت كذا وكذا ؟
فيذكره ببعض غدراته
في الدنيا فيقول : أفلم
تغفر لي ؟ فيقول فبسة
مغفرتي بلغت منزلتك
هذه . فبينما هم على ذلك
غشيتهم سحابة من فوقهم
فأمطرت عليهم طيبا لم
يجدوا مثل ريحه شيئا قط
ويقول ربنا قوموا إلى
ما أعددت لكم من
الكرامة فخذوا ما اشتبهتم
فيأتون سوفا قد حفت
بهم الملائكة فيها ما لم تنظر
العيون إلى مثله ولم تسمع
الأذان ولم يخطر على
القلوب ، فيحمل لنا
ما اشتبهنا ليس يباع فيها
ولا يشتري وفي ذلك السوق
يلقى أهل الجنة بعضهم
بعضا . قال فيقبل الرجل
ذو المنزلة المرتفعة فيلقى

وعلمنا ففهمنا مالنا الآن نسينا أن حيا ليس يبقى غير رب العالمينا
والذي صح لدينا وعلمناه يقينا كل حي سوف يفنى غير محي المتينا

[إخواني] قلوبنا بالقلعة رحلت عن الأجساد ، إخواني إلى متى أتحدث وليس في الحى إلا الحيام ، إخواني أما تنظرون إلى ما فعلت بنا الزلات والآثام ، إخواني قيدنا التقصير وقد دنا اللحم ، فأواه علينا من هول يوم النشور ، ونفخ في الصور ، بالله يا إخواني إلى متى تؤخرون للتاب ، هذا للشيب أتى وقد تولى الشباب ، متى تصالح ، ولاك متى تقف بالباب ؟ أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب ، وما حدث بعد ذلك من الأمور ، ونفخ في الصور ، قيل إنه إذا رجع الشاب إلى سيده وتاب تبشر الملائكة بعضهم بعضا فيقولون ماذا وقع ؟ فيقال لهم شاب استيقظ من نوم غفلته ورجع إلى الله بتوبته فينادى مناد زينوا فراديسكم لقدوم توبته ، وفي الحديث : ان الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعبوبه عند سيده ومحبوبه . وقال إلهي أنا أسأت فيقول الله تعالى وأنا سترت . فيقول إلهي وأنا ندمت . فيقول الله تعالى وأنا علمت . فيقول : إلهي رجعت . فيقول الله تعالى قبلت ، أيها الشاب إذا تبت . ثم نقضت فلا تستحي أن ترجع إلينا ثانيا وإذا نقضت ثانيا فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثا ، وإذا نقضت ثالثا ، فارجع إلينا رابعا فأنا الجواد الذي لا أبخل ، وأنا الحليم الذي لا أعجل ، وأنا الذي أستر على العاصي وأقبل التائبين ، وأغفو عن الخطئين ، وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين . من ذا الذي أتى إلى بابنا فرددناه ؟ ومن ذا الذي لجأ إلى جانبنا فطردهناه من ذا الذي تاب إلينا وما قبأناه ؟ من ذا الذي طلب منا وما أعطيناه ؟ من ذا الذي استقال من ذنبه فما غفرناه ؟ أنا الذي أغفر الذنوب ، وأستر العيوب ، وأغيث المكروب ، وأرحم الباكي الذنوب وأنا علام الغيوب ، يا عبدي قف على بابي أكتبك من أحبابي ، تمتع في الأسحار بخطابي أجعلك من طلاي ، لئلا بخضرة جناني أسفك من لذيذ شرابي ، اهجر الأغيار ، والزم الافتقار ، وناد في الأسحار ، بلسان التلة والانكسار ، وقل إن كنت من المحبين أهل الاشفاق والاشتهار :

يا من فؤادي عنه لا يساو وخاطري منه فما يخلو قد انقضى عمري بلا موعد
يعلل القلب ولا وصل انظر إلى حالي بعين الرضا فالعيش بالهجران لا يحاو
واسمح على قدرك ياسيدي حوشيت أن يفسدك الفضل كل عذاب فيك مستعذب
وكل صعب هين سهل لي بك عن كل الوري شاغل يافوز من أنت له شغل

[إخواني] جزاء الأعمال بالميزان عسير ، والوقوف بين يدي المولى بظلمة المعاصي خطير ، فإلى متى في المطال والعمر قصير ، لا تدري هول ما أنت إليه تصير ، وستندم إذا بعثر ما في القبور ، ونفخ في الصور وحصل ما في الصدور :

ما احتياي وأمر ربى عصيت حين تبدى صحائفى ماجنيت ما احتياي إذا وقت ذليلا
قد نهاني وما رأيته انتهيت يا غنيا عن العباد جميعا وعليا بكل ما قد سعت

ليس لي حجة ولا لي عذر فاعف عن زلي وما قد أتيت

كيف حالك يا أخي إذا بلغت القلوب الحناجر ، وقطعت الحشرات الأكباد قطع الحناجر ، واشتد عطش المفرطين من شدة الهواجر ؟ فيا أيها العاصي بادر إلى باب مولاك وهاجر ، وأدرك مواسم الريح قبل أن تمور . ونفخ في الصور :

سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنت إلى إلف بعيد فأزعجت القلوب وأفلقتها
وما زلت تقول لها أعيدى أرى ماء وبى عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

من دونه وما فهم دنى
فيروعه ما يرى عليه من
اللباس فما ينقضى آخر
حديثه حتى يتخيل عليه
ما هو أحسن منه وذلك
أنه لا ينبغي لأحد أن
يحزن فيها ثم تنصرف إلى
منازلنا فيلقانا أزواجنا
فيقلن مرحبا وأهلا لقد
جئت وإن بك من الجمال
أفضل مما فارقنا عليه
فقول إنا جالسنا اليوم
ربنا الجبار وبحقنا أن
نقلب بمثل ما اقلبنا . قال
بعض السادات : رأيت
غلاما في البرية وهو قائم
يتعبد ، وليس معه أحد قد
انقطع عن العبادة والناس
فسلمت عليه ، وقلت له
يا فتى أنت منقطع بلا معين
ولارفيق ؟ فقال بلى وعزته
معى المعين والرفيق . فقلت
فأين المعين والرفيق ؟ فقال
هو فوقى بقدرته ، ومعى
بعلمه وحكمته ، وبين يدي
بهديته ، وعن يميني نعمته
وعن شمالي بعصمته . قال
فلما سمعت منه هذا الكلام
قلت له : هل لك في المرافقة
فقال : هيات مرافقتك

فرد من ماء موعظة ورودا لتلق الأمن للقلب الشريد

ولازم خدمة الولي عسى أن تنال الفوز من رب مجيد

واها على قلوب أقسى من الحديد، واها على نفوس عن طريق الرشاد تحيد، واها عن عيون أجمد من أصلاب الجلاميد يشرب أهل الشهوات شرابا من حديد وتبرز أعمالهم بسوء أفعالهم فيذهلون (فإذا هم قيام ينظرون).

[أخواني] كم خذل التفريط من البطالين، وكم أقعدت البطالة قلوب الغافلين وكم أعمت الآمال بصائر الآملين. وكم قطعت الأسباب قلوب الخائفين وحيل بينهم وبين ما يشتهون (فإذا هم قيام ينظرون) أما لكم عيون من ألم الفراق تسمع، أما لكم قلوب من وحشة الانقطاع تخشع، أما لكم أسماع تصغي إلى اللواعظ فتسمع، أما لكم أكباد من طلب الثأني تشع (تالله لتسئلن عما كنتم تعملون - فإذا هم قيام ينظرون).

[قيل] إن بعض المريدين حصات له فترة فرجع إلى ما كان عليه ثم انه ندم وقال: ترى لو رجعت عن ذنبي كيف حالي مع ربي؟ فسمع النداء: يافق عصيتنا فسترناك وتركنا فأمهلك فإن عدت إلينا قبلناك وإن كنت مارتنا فنحن نبصرك ونراك، عصيتنا في الملا جهرا وغيبتناك وكم تباعدت عنا ثم قرّبناك بارزتنا بالخطايا ثم ساعحنناك ولو رجعت إلينا وطلبت الصلح صالحناك. وكان علي بن الولفوق يقول في مناجاته: سيدي وعزتك لا أبرح عن بابك ولو طردتني ولا أزول عن جنبك ولو أبعدتني ولا أحول عن وصلك ولو قطعتني ولا أسلو عن محبتك ولو عذبتني سيدي وإن كنت محجوبا عن ناظري فأنت في قلبي وخطري وإن كنت مقاطعي ومهاجري فحباك مكنون في سرّي وضائري:

ان حببوا شخصك عن ناظري

قد زارني طيفك من مضجعي

واصلا تني أفديك من واصل

أصبحت ما بين الهوى والنوى

فظاهري ينيك عن باطني

قولوا لمن غيب عن ناظري

يا مالك الروح ترفق بها

تريد أن تقتلني عامدا

* بحرمة الود الذي بيننا

لا تفسد الأول بالآخر

[أخواني] مدّوا أيدي الدّل والافتقار، وأسئلوا من عيونكم دمعها المدرار، ونادوا برفع الأصوات بالسر والاجهار: عبيدك أهل المعاصي والإصرار أتوك يرجون عفوك عن الذنوب والأوزار وقد عثرنا فأقل عثرتنا من النار، إلهنا شفيعنا إليك الدّل والانكسار والندم والرجوع والدموع الغزار، إلهنا إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك فإن حسن الظن قد أطمعنا في ثوابك فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنا لك، إلهي إن كنت لا ترحم إلا المهتدين فمن المقصرين وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن المخطئين وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن المسيئين إلهي ما أعظم حسرتي أذكر غيري وأنا الغافل، مولاي ما أشدّ مصيبي أنه غيري وأنا النائم سيدي ما أبغ قصتي أدلّ غيري وأنا الجائر، إلهي جد بالعفو عن مذكري متكلف وسامع

تشفاني عن خدمته، وما أحب أن يكون هذا لي ولي ملك الدنيا من شرقها إلى غربها. فقلت له أما تستوحش في هذا المكان؟ فقال لي: يا هذا من كان الولي حبيبه وأنيسه كيف يستوحش؟ فقلت من أين تأكل؟ فقال يا هذا الذي غذاني برقعه في ظلمة الأحشاء صغيرا تكفل بي كبيرا ولي عنده رزق معلوم وله وقت محشوم فسألته في الدعاء، فقال لي: حجب الله طرفك عن معصيته وملا قلبك بخشيته ولا جملك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعاقبت به وقلت له يا أخي متى ألقاك؟ فتبسم وقال لي: أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك في الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس فإن كنت ممن تلقاني فاطلبي في جملة الناطرين إلى الله فقلت له ومن أين عرفت ذلك؟ فقال به وعدني ربي وذلك أني غضضت طرفي عن النظر إلى المحرمات ومنعت

متخلف. إلهي إذا دلت السالكين عليك فوصلوا بحسن موغظي إليك أترك تقبل المدلول وترد الدليل ،
إلهي إن لم يكن كلامي خالصا لوجهك ففي مجلسي من حضر خالصا لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك
وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس التاسع والعشرون

في بعض مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي نزه أوصار بشار أوليائه في ملكوته ، وأراهم من آياته عجبا ، وأسرى بأرواحهم إلى
محل قربه وجعلهم من الأتقياء والنجباء ، وشرّفهم بأن جعلهم عبيده جعل لهم شرفا ونسبا ، وأقامهم
على الأقدام في جنح الظلام ، وقدم عليهم من ستوره غيبا ، وأطلعهم على أسرار ما كتبتهم أقلام ولا
أودعت كتبها ، وقذف في قلوبهم أنوارا يشاهدون بها الملكوت فيرون ما كان بعيدا مقربا ، ومن عليهم
بالكشف والاطلاع فيرون ما كان محتجبا ، وكساهم جمالا ومهابة وسمة وأدبا ، وجذب أعنة قلوبهم
إلى جنبه والسعيد من كان له منجذبا ، ونعمهم بطيب خطابه الذي فرّج هو ما وأذهب كربا ، وأراهم
لما تبعوا في خدمته فما وجدوا لذلك تعباً ، ونادهم في خلوة السحر قطعوا بالسر وقتا طيبا ، وناداهم
في سرائرهم ببشائرهم أهلا وسهلا ومرحبا ، وسقاهم من أله مشروب ، وتجلّى عليهم المحبوب وأراهم
جمالا للقلوب قدسي ، فهو حبيب القوم وجليسهم ونديعهم وأنيسهم ، وقدر فع لهم عنده رتبا ، فإذا
غابوا كانوا في الحضرة قربا ، وإذا حضروا حدثوا عجبا ، فهم ينزل الغيث ويشب من الأرض ما لم يكن
معشبا ويغضب منها ما كان مجذبا ، وبهم يستجاب الدعاء ويكشف البلاء وهم أهل الاجتهاد ، تركوا الدنيا
لأجل محبوبهم فساووا عندهم أن يروا حجرا وذوبا . رضوا به بدلا من كل شيء فقالوا قصدا
وبلغوا أربا ، فإذا أقبل الليل تمسكوا بأذياله وأخذوا منهم حسبا وتعلوا بمنادمة حبيبهم عند ما غابت
الرشاة ونامت الرقبا . وإذا هجم الصباح أعلنوا بالصياح وأجروا دمعا منسكبا . وقالوا ياليت الليل
ما ذهب وليته أقام وليت المشرق عاد مغربا :

أيا ليل لا تنفد إلى الحشر دائما	ومدّ على رغم العوازل غيبا	وياصبح لا نهجم علينا بسرعة
وبالله لا تسفر وكن متأدبا	فحبوبنا في آخر الليل زارنا	وقد بشرتنا بالقاء نسمة الصبا
ولما سرى ذاك النسيم معطرا	حسبنا بالمسك العقيق تطيبا	وداخلنا سكر عجيب ونشوة
تخبر أن العشق من زمن الصبا	فيا صاحبا من خمرة الحب خاليا	من الوجد مذاق الغرام ولاصبا
تنج ودع عنك الهوى وحديثه	فان رمت سلوانا تروح مخيبا	بروحى من طاوحت فيه صبا حتى
وخالفت فيه عاذلى شاء أو أبى	وقالت هو المحبوب ديني ومذهبي	ويا جندالى مذهب صار مذهبا

[قال بعض الصالحين] كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدّامى شخصا فسارعت حتى
أدركته : فإذا هي امرأة بيدها عكاز وهي تمشي الهوينا فظننت أنها أعطبت فأدخلت يدي في جيبى
وأخرجت لها عشرين درهما وقلت خذنها وامكئى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم اثنيت الليلة حتى
أصاح أمرك . فقالت بيدها في الهواء هكذا ، فإذا هي في كفها دنائير من الغيب وقالت أنت أخذت
الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنائير من الغيب ثم أنشدت تقول :

كم نعمة لك في الأنام ومنة	موجودة في ذاتها لا تنعدم
كم آية لك في الخلائق والنهى	مشهودة أسرارها لا تفهم
كم حالة حولتها ونحوها	فينا بنا عما نريد ترجم

نفسى من تناول الشهوات
وخلوت بخدمته في الليالى
الظلمات ثم غاب عني فما رأيت
اللهم اجعلنا ممن
اتصف بهذه الصفات
الثلاث فظفر بلقائك يوم
الدين الدين يقول لهم خزنة
الجنة إذا جاءوها (سلام
عليكم طينم فادخلوها
خالدين) وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

تم كتاب : أحاديث
وآثار ومواظ
ويله :
كتاب قرة العيون
ومفرج القلب المحزون

ومفرح القلب المحزون
لأبي الليث السمرقندي
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين .
والعاقبة للمتقين . ولا
عدوان إلا على الظالمين .
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

قال الله عز وجل (إن
الصلاة كانت على المؤمنين
كتاباً موقوتاً) وقال الله
عز وجل (واتبعوا
السموات فسوف يلقون
غيا) وقال الله تعالى (فويل
للمصلين الذين هم عن
صلاتهم ساهون) وقال
ابن عباس رضي الله عنهما
« ويل واد في جهنم تستغيث
جهنم من حره ، وهو
مسكن من يؤخر الصلاة
عن وقتها » . وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« ما بين السلم والمشرق إلا
ترك الصلاة » فإذا تركها
أي جحدتها كان كافراً ،
وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال

ولدي كلامك تستوي أقوالنا
وتقول حقاً إنك الحق الذي

فسيحان من اختص من خلقه عباداً جعل لهم أرض الهدى مهاداً ومنحهم توفيقاً ورشاداً وزادهم
في طريقهم زاداً ، نصب لهم شباك الملائكة فأوقعهم في طريقهم وأدار عليهم كؤوس العاطفة فصرعهم
فقلوبهم في محبة واجلة وأبدانهم من خوف هجره ناحلة فهم في بساتين وصله يرتعون وفي روضات
أنسه يتمتعون ومن أهوال يوم القيامة آمنون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
[قيل] دخل لص على رابعة العدوية ليلاً فنظر في البيت يميناً وشمالاً فلم يجد غير إبريق فلما
هم بالخروج قالت له يا هذا إن كنت من الشطار فلا تخرج بلا شيء . فقال اني لم أجد شيئاً ، فقالت
له يا مسكين توضعاً بهذا الإبريق وادخل إلى هذا الخدع وصل ركعتين فانك لا تخرج إلا بشيء .
ففعّل ما أمرته به فلما قام يصلي رفعت رابعة طرفها إلى السماء . وقالت : سيدي ومولاي هذا قد
أتى إلى ولم يجد عندي شيئاً وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك فلما فرغ من صلاة
الركعتين لذت له العبادة فما برح يصلي إلى آخر الليل فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة
العدوية فوجده ساجداً وهو يقول في عتابه لنفسه :

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني وتخفي الذنب من خلقي وبالعيان تأتيني
فما قولي له لما يعاتبني ويقصيني

فكانت له حبيبي كيف كانت ليلتك ؟ فقال بخير وقت بين يدي مولاي بذلي وقفري فخر كسري
وقبل عذري وغفر لي الذنوب وبلغني المطلوب . ثم خرج هائماً على وجهه فرفعت رابعة طرفها إلى
السماء وقالت سيدي ومولاي : هذا وقف ببابك ساعة قبلة به وأنا منذ عرفتك بين يديك أترى
قبلتني فنوذيت في سرها ياربعة من أجلك قبلناه وبسبك قرّ بناه :

يا سيدي عبدك المسكين في بابك يرجو رضاك فجد بالعفو أولى بك
حاشاك تسدل حجابك دون طلابك أو تبتل بعذابك قلب أحبابك

يا هذا سبقك أهل العزائم وأنت في الغفلة نائم ، قف على الباب وقوف نادم ونكس رأس الذل
وقل عبد ظالم وناد في الأسحار أنا المذنب الهام وقد جئت أطلب العفو والمراحم وتشبه بالقوم
وإن لم تكن منهم فزاحم .

[إخواني] نظر العارفون بعين البصائر وعمل كل منهم لما هو إليه سائر هجروا المنام وقاموا
في لدياجي الدياجر وغسلوا الوجوه بدموع المهاجر فأزعجهم ما يتلونه في القرآن من الزواجر :

خضوع وخوف واحتشام وذلة وهذا لمن يرجو النجاة قليل
فهل لي من الأحزان حظ موفر وهل لي إلى طول البكاء سبيل
أعلى أن أحظى بقرب ولذة ويحصل لي بعد الفراق وصول

[عن أنس بن مالك رضي الله عنه] قال : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى الشام ولا يصحب القوافل توكلًا منه على الله تعالى .
قال فبينما هو جاء من بلاد الشام يريد المدينة ، إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف قال
فوقف التاجر وقال له شأنك بمالي وخلّ سبيلي . فقال له اللص : المال مالي وإنما أريد نفسك فقال
له التاجر ما تريد بنفسى ، شأنك والمال وخلّ سبيلي . فرد عليه بمقالته الأولى فقال له التاجر
انتظرنى حتى أتوضأ وأصلي ركعتين وأدعوني عز وجل ؟ فقال له افعل ما بدا لك قال فقام التاجر

وتوضاً وصلى أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال : ياودود ياودود ياودود
ياذا العرش المجيد . يا مبدئ يا معيد . يا فعال لما يريد : أسألك بنور وجهك الذي ملاً أركان عرشك
وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، أنت الذي وسعت كل شيء رحمة
وعلماً ، لا إله إلا أنت يا معيث أغثنى ثلاث مرات ، فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه
ثياب خضر ويده حربة من نور ، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس ، فلما دنا
منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ، ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله . فقال له
التاجر من أنت ؟ فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسي لقتله . قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ، ثم
رجع إلى التاجر وقال . اعلم أي ملك من السماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء
تقعقة فقلنا أمر حدث ، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت
الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادي من لهذا المكروب ؟ فدعوت ربي
أن يولني قتله ، واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله
تعالى عنه وأغاثه . قال وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وأخبره بالقصة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد ألقنك الله تعالى أسماؤه الحسنی التي إذا دعى
بها أجاب ، وإذا مثل بها أعطى :

لك الفضل يا مولاي والشكر والحمد	فما زلت تولى الخير مذ ضمنى المهد
ولورمت أن أحصى جميلك لم أطق	فما لجيل قد مننت به حد
وكم لك موت لطف أناني مفرج	من الكرب ما لولاه قد كان يشتد
قصداك نستكفي العداة وشرهم	وعند العظيم الجود لم نجب القصد
فليس لعبد غير مولاه ملجأ	فان رده الولي فما يصنع العبد
ومالي شفيع غير جاه محمد	ومن جاهه في الحشر ليس له رد
عليه صلاة الله ما لاح بارق	وما هطلت سحب وما تهقه الرعد

إلهي وصل العارفون بالمعرفة اليك وقام المجتهدون للخدمة بين يديك : إلهي خضع المتكبرون
من هيبة جلالك وخضع المتجربون لسطوة كلالك ، وارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك ، إلهي
وقف السؤال ببابك ، ولاذ المحتاجون بجنابك ، وتقطعت أكباد الحبين في طلبك ، وفاز القائمون
بالذي خطابك ، ورجع العاملون بثوابك ، وحضر الراقبون في حضرة اقترابك : إلهي ندم المفرطون
على تقصيرهم في خدمتك ، وخجل العاصون وأطرقوا حياء من مراقبتك وأطرق المذنبون من جلال
هيبتك وتمزق الخائفون من عظيم سطوتك ، إلهي ان كنت لاترحم إلا القائمين فمن لنا عمين إلهي
إذا لم تنظر إلا للعاملين فمن للمقصرين ، إلهي أجر أنهار المفتقرين من بحر إنعامك ، وروا أكباد
الحزونين من ماء عفوك واكرامك : إلهي رد شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك ، واهد قلوب
الضالين بأنوار رأيتك وأدخلهم جميعاً في ظل عفوك ورحمتك وآوهم إلى ركن تجاوزك ومغفرتك
يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المجلس الثلاثون

في مناقب الأولياء رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي ملاً قلوب أحبته من سر محبته سرورا ، وكسا وجوههم من إشراق ضياء بهجته
نورا ، وتوجههم بتيجان البهاء وكتب لهم بالولاء منشورا ، وهداهم إلى طريق معرفته فداموا على

«من تهاون بالصلاة عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة ستة منها في الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة في القبر وثلاثة عند خروجه من القبر فأما الستة التي تصيبه في الدنيا : فالأولى ينزع الله البركة من عمره ، والثانية يمسح الله سببا الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل لا يأجره الله سبحانه وتعالى عليه ، والرابعة لا يرفع الله عز وجل له دعاء إلى السماء والخامسة تمقته الخلائق في دار الدنيا والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما الثلاثة التي تصيبه عند الموت : فالأولى أنه يموت ذليلاً ، والثانية أنه يموت جائعاً ، والثالثة أنه يموت عطشان ولو سقى مياه بحار الدنيا ماروى من عطشه . وأما الثلاثة التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق الله عليه قبره ويعصره حتى تختلف أضلعه ، والثانية يوقد عليه في قبره نار يتقلب في جمرها ليلاً ونهاراً ، والثالثة يسلب الله

خدمته وماغيروا تغييرا: اطلع على سرائرهم ونجلى على ضمايرهم فصفى خلاصة جواهرهم وزادهم هدى
وتبصيرا، وروق لهم الشراب ورفع لهم الحجاب، وقال مرحبا بالأحباب لا تخشوا اليوم حزنا ولا
تكديرا، فمنهم من ترنح فطرب، ومنهم من باح بالسر إذ غلب، ومنهم من ندب إلى الحضرة وطلب،
وناهيك من ساق أدار سرورا (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) فهم قائمون في
خدمته متلذذون في حضرته متقلبون في نعمته يكسرون جبارا ويجبرون كسيرا (يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أخلاقهم القنوع، وشعارهم الخشوع، وأفعالهم السجود والركوع
يطوون الضلوع على الجوع، ويؤثرون على أنفسهم سائلا وفقيرا (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويقينا وأسيرا) قد غصوا الأبصار وأخرسوا الأفواه، وعفروا الوجوه والجباه، وقالوا لفقرائهم قولا
ميسورا (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) قد شربوا من شراب حبه كؤوسا،
واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسا، وبرزت لهم الدنيا بزينة عروسا، فقالوا (إننا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قطريرا) ذلك يوم يله من يوم يحير من هوله كل قوم، ويطير من شدته عن العيون النوم
(فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) احترقوا حجب الأنوار وفازوا بجوار العزير الغفار
في جنات تجري من تحتها الأنهار، تخدمهم الملائكة فيها مساء وبكورا (ويطوف عليهم ولدان مخلدون
إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة - ولا تلحقهم حسرة ولا ندامة،
يستبشرون بعد طول سفرهم بالسلامة ويسكنون غرفا وقصورا، ثم يقال لهم في الجنة تهنته لهم
وتبشيرا (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أحضرهم في حضرة قدسه وتولاهم بنفسه
وسقاهم بكأس أنسه شرابا طهورا وناداهم عبادي وأحبائي طالما وقفتم بياني ولدتكم بجنابي، وكان كل
منكم على مصابي صورا لأبوتكم دار النعم ولأمتنكم بالنظر إلى وجهي الكريم ولأجعلن جزاءكم
جزاء موفورا:

نالوا بذلك فرحة وسرورا	وسعوا فأصبح سعيهم مشكورا	قوم أقاموا للإله نفوسهم
فكسا وجوههم الوسيمة نورا	تركوا النعيم وطبقوا لذاتهم	زهدا ففوضهم بذلك سرورا
قاموا يناجون الحبيب بأدمع	تجربى فتحكى لؤلؤا منشورا	ستروا وجوههم بأستار الدجى
ليلا فأضحت في النهار بدورا	عملوا بما علموا وجادوا بالدى	وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم	وشهدت وجدا منهمو وزفيرا	
تعبوا قليلا في رضا محبوبهم	فأراحهم يوم المعاد كثيرا	
صبروا على بلاهمو فجزاهم	يوم القيامة جنة وحريرا	

[كان أبو مسلم الحولاني رحمه الله عليه] يحب الصدقة والإيثار وكان يتصدق بقوته ويبيت
طاويا فأصبح يوما وليس في بيته غير درهم واحد، فقالت له زوجته خذ هذا الدرهم واشتر به
دقيقا نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد فانهم لا يصبرون على الجوع فأخذ الدرهم والزود وخرج إلى
السوق وكان بردا شديدا فصادفه سائل فتحول عنه فلاحقه وألح عليه وأقسم عليه فدفع إليه الدرهم
وبقى في هم وفكر كيف يعود إلى الأولاد والزوجة بغير شيء فمر بسوق البلاط وهم ينشرونه ففتح
الزود وملاه من النشارة وربطه وأتى به إلى البيت فوضعه فيه على غفلة من زوجته ثم خرج إلى
المسجد فعمدت المرأة إلى الزود ففتحت، فإذا فيه دقيق حوارى أبيض ففجنت منه وطبخت للأولاد
فأكلوا وشبعوا ولعبوا. فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم، وهو على خوف من امرأته. فلما جلس

عليه ثعبانا يسمى الشجاع
الأقرع عيناه من نار
وأظفاره من حديد طول
كل ظفر مسيرة يوم
فيقول أنا الشجاع الأقرع
وصوته مثل الرعد
القاصف ويقول له أمرني
ربي أن أضربك على تضيق
صلاة الصبح من الصبح
إلى الظهر وأضربك على
تضيق صلاة الظهر من
الظهر إلى العصر،
وأضربك على تضيق صلاة
العصر من العصر إلى
العرب، وأضربك على
تضيق صلاة العرب من
العرب إلى العشاء،
وأضربك على تضيق صلاة
العشاء من العشاء إلى
الصبح وكلما ضربه ضربة
يفوق في الأرض سبعين
ذراعا فيدخل أظفاره
تحت الأرض ويخرجه
فلا يبرح تحت الضرب إلى
يوم القيامة، فعوذ بالله
من عذاب القبر. وأما
الثلاثة التي تصيبه يوم
القيامة فالأولى يسلط الله
عليه من يسجبه إلى نار
جهنم على حر وجهه،

أنته بالمائدة والطعام فأكل ، فلما فرغ قال من أين لكم هذا ؟ قالت من المزود الذي جئت به فتعجب من ذلك وشكر الله تعالى على لطفه وحسن صنيعه .

[إخواني] انظروا إلى لطف الله تعالى بأوليائه ، كيف توكلوا عليه فكفاهم أمر دنياهم ورزقهم من فضله وفعل معهم ما هو أهله :

توكل على الرحمن يحطى برقه
وسلم إلى مولاك أمرك إنه
ومن يتوكل في الأمور جميعها
فيأتي جميع الناس بالرحب والرضا
فذلك الذي قد أذهب الله همه
وكن واثقا منه برزقك بالفعل
سيكفيك أسباب الكريمة والثقل
على الله يحطى بالتبشير والفضل
ويخون على الخيران والصحب والأهل
وجازاه بالاحسان في الضيق والمحل

[كان أبو معاوية الأسود] رحمه الله مكفوف البصر ، وكان يحب قراءة القرآن ، وكان إذا فتح الصحف رد بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فإذا أغلقه كف بصره فودى في سره ما كففتنا بصرك بخلا عليك به ، ولكن غرنا عليك ، أن تنظر إلى غيرنا :

وغضضت طرفي عن سواك فما أرى
يامن له عنت الوجوه بأسرها
يامنتهي سؤلي وغاية مطلبي
أنت المؤمل في الشرائد كلها
ولك التصرف في العباد كما تشاء
فامنن عليّ بتسوية يامن له
في الكون غيرك من إله يعبد
وله جميع الكائنات توحيد
من لي إذا أنا عن جنابك أطرد
ياسيدي ولك التناء السرمد
فلذلك تشقى من تشاء وتسعد
قلب الحب مقدس وموحد

[قال إبراهيم السامح رحمه الله] بينا أنا أطوف بالبيت الحرام ، وإذا بخارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تنادي وتقول : يا وحشتي بعد الأنس ، وباذلي بعد العز ، وبافقرى بعد الغنى وباعظم مصيبي . فقلت لها : يا خارية وما مصيبتك ؟ فقالت فقدت قلبي ؟ فقلت وهذه مصيبتك ؟ فقالت وأى مصيبة أعظم من فقد القلوب واقطاعها عن المحبوب ؟ فقلت لها هلا خففت من صوتك فقالت يا شيخ البيت بيتك أم بيته ؟ فقلت لها بل بيته . قالت فالحرم حرمك أم حرمه ؟ قلت بل حرمه قالت فمن استزارنا إليه ؟ قلت هو ، قالت فدعنا نتدل عليه بين يديه كما استزارنا إليه ودلنا عليه ثم رفعت يديها وقالت سيدي يحبك لي إلا ما رددت عليّ قلبي فقلت لها من أين علمت أنه يحبك قالت لسبق عنايته بي فانه جيش الجيوش في طلي وأنفق الأموال وجهد العبيد حتى أخرجني من بلاد الشرك وأدخلني بلاد التوحيد وعرفني الطريق إليه ودلني بحسن التوفيق عليه فما شعرت إلا وأنا بين يديه :

شغني بذكرك حتى ونعمي
يامن أخاطبه به في خاطري
وأحبنى من قبل أن أحبيته
وعلى بالتوحيد جاد تكريما
وإذا نسيتك فهو عين جحيمي
وأراه وهو محدثي ونديمي
فلذلك أوجب في الهوى تقديمي
والغفو والغفران والتسكريم

[كان الشيخ أبو مدين رحمه الله عليه] كبير القدر وكان من الأبدال صاحب الخطوة والخطوة والكرامات والتصرف ، وكان يتكلم في الحقيقة بعد صلاة الفجر في مسجد الحضرة بمدينة الأندلس فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك وكانوا سبعين نفرا فجاء من أكايرهم عشرة بسبب الامتحان فتفكروا ولبسوا زى المسلمين ودخلوا المسجد فجلسوا مع الناس ولم يعلم بهم أحد . فلما أراد الشيخ

والثانية ينظر الله تعالى إليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه والثالثة يحاسبه الله عز وجل حسابا شديدا ما عليه من مزيد سمرمدا طويلا ويأمر الله عز وجل به إلى النار وبئس القرار وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الصلاة ميزانك ومنتهى كمالك فإذا وفيت نجحت وإذا قصصت عذبت » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح في جماعة أربعين يوما لم تفته ركعة واحدة كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس بنى الله له قصرا في جنة الفردوس الأعلى ، وقيل سبعين قصرا لكل قصر سبعون بابا من ذهب وفضة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل الصلاة كنهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى

أن يتكلم سكنت حتى دخل رجل خياط ، فقال له الشيخ ما بظآك ؟ فقال ياسيدي حتى فرغت العشرة طواقي التي أوصيتني عليها البارحة ، فأخذها الشيخ منه ونهض قائما فألبس كل واحد من الرهبان طاقة ، فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر . ثم شرع الشيخ في الكلام ، فكان من جملة قوله يافقراء إذا هبت نسائم التوفيق من جناب الحق تعالى على القلوب المشرفة أطفأت كل نور ، ثم تنفس الشيخ فانطفأت قناديل المسجد كلها وكانت نيفا على ثلاثين . ثم سكنت الشيخ وأطرق ، فلم يحسر أحد أن يتكلم أو يتحرك اعظم الهيبة ثم رفع رأسه وقال : لا إله إلا الله يافقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب المنيعة عاشت وأضاء لها كل ظلمة . ثم تنفس الشيخ فاشتعلت القناديل وعاد إليها نورها واضطربت اضطرابا شديدا حتى كاد يلحق بعضها بعضا . ثم تكلم الشيخ في تفسير آية سجدة فسجد وسجد الناس فسجد الرهبان مع الناس خشية الفضيحة والاشتهار . فقال الشيخ في سجوده : اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم والسجود لك وأنا قد غيرت ظواهرهم ، ولم يقدر على تغيير بواطنهم غيرك . وقد أجاسهم على مائدة كرمك فأقصدتهم من الشرك والطغيان ، وأخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ، ثم أرفع الرهبان رؤوسهم من السجود ، إلا وقد مضى عنهم الهجران والصدود ، ودخلوا في دين الملك المعبود فأسلموا وبلغوا المقصود ، فأتوا إلى الشيخ ، فتبا على يديه ، وبكوا وتدمعوا على ما كان منهم فكفر الصراخ والبكاء في المسجد ، وكان يوما مشهودا ، ومات ثلاثة أنفس في المجلس وبلغ الملك خبرهم فأحسن إليهم وأنعم عليهم ، وفرح الشيخ بإسلامهم ، هذه والله صفات الأولياء الأخيار السادة الأبرار أمناء الله على عبادته ورحمته لهم في بلاده :

فهو أولياؤه حيث حاولوا وهما للقلوب برد وظل قد تغفنا عن الوجود فعزوا
وأشاروا إلى الطريق فدلوا فلهذا قد أصبحوا في البرايا كل صعب ينالهم فهو سهل
لم يزل ذكرهم على الدهر يتلى ولكل القلوب يحلو ويحلو
فهم يرفع البلاء عن الخلق ويهدوا مخافة أن يضلوا

إلهي وقف السؤال بيباك ، ولاذ المذنبون بجنابك ، رفع ذنوب الحجاج قصص فاقهم إليك
نكس العصاة رؤوس الانكسار بين يديك ، انقطعت حجج المقصرين عن الاعتذار إليك ، أرست
سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك ، وكلهم يرجون الجواز إلى ساحة فضلك ونعمك ، امتدت
أيدي السائلين إلى وابل غيث جودك ، تفلقت قلوب الخائفين من إزعاج وعيدك ، فكيف يحبون
وقد عمّ عفوك ورحمتك سائر عبيدك ؟ إلهي فمن للسائلين إذا ردوا ، ومن للعاصين إذا طردوا عن
بابك وصدوا ، ومن للمتخلفين إذا قطعوا ، ومن غيرك يقبل التسايلين إذا رجعوا . إلهي وصل
العارفون بالمعرفة إليك قام المهجدون للخدمة بين يديك . إلهي خضع المتكبرون من هيبة جلالك
خشع المتجبرون لسطوة كالك ، ارتاح المشتاقون إلى مشاهدة جمالك . إلهي تقطعت أكباد المحبين في
طلابك ، فاز القائمون بطيب خطابك ربح العالمون بشوابك حضر المراقبون في حضرة اقترابك . إلهي
ندم المفرطون على تقصيرهم في خدمتك خجل العاصون وأطرقوا حياء من مراقبتك أطرق المذنبون
من جلال هيبتك تمزق الخائفون من عظيم سطوتك ، إلهي إن كنت لاترحم إلا القائمين فمن للنائمين
إلهي إذا لم تنظر إلا للعاملين فمن للمقصرين إلهي إذا لم تغفر إلا للطيعين فمن للمذنبين إلهي رد
شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك ، اهد قابو الضالين بأنوار رأفتك أدخلهم جميعا في ظل عفوك
ورحمتك ، آوهم إلى ركن تجاوزك ومغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

عليه درن : قال فكذلك الصلاة تغسل الذنوب »
وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من واطب على الصلوات الخمس بوضوئها ومواقبتها وركوعها وسجودها ويعترف أنها حق الله سبحانه وتعالى حرم الله عز وجل جسده على النار » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الصلاة كانت له نجاة يوم القيامة ونورا وبرهانا ومن لم يحافظ على الصلاة لم تكن له نجاة يوم القيامة ولا نورا ولا برهانا ولا أمانا » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يمسح أحدكم وجهه من التراب إذا سجد في الصلاة فإن الملائكة تصلي عليه مادام أثر السجود في وجهه وجهته » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كانت روح النبي صلى الله عليه وسلم في صدره وهو يقول : أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم فابرح بوصي بها حتى انقطع كلامه صلى الله عليه وسلم

المجلس الحادى والثلاثون

في مناقب الصالحين رضى الله عنهم

الحمد لله الذى فتح أنفال الصدور بمفاتيح السرور والأفراح ، وخص نسيم السحر بطيب
الهبوب فأحيابه القلوب وأرواح الأرواح ، سقى بساتين قلوب أوليائه بغيث جوده ونعمائه فانبسط
جزيل عطائه وساح ، انطلق بلايل تمجيدهم على أغصان توحيدهم فأثنت بشكر معبودهم فى السماء
والصباح ، عطر أزهار أسرارهم بأنفاس أذكاهم ففاح أرجها الفياح ، جمعهم تحت خيمة الليل
فى حضرة قربه وروى لهم شراب حبه وسقام بكؤوس السباح ، فلذا صفقت أوراق الأشجار وشبب
النسيم وغنى الهزار بصوته الرخيم حن كل مشتاق إلى عهده القديم وارتاح ، فمنهم من سكر وهجا ،
ومنهم من فنى رسمه وانحى ، ومنهم من هام مترنحا ، ومنهم من كنم ، ومنهم من باح ، ومنهم من
لزم الخضوع والإنكسار ، ومنهم من تهتك ولبس ثوب الاشتهار وكلهم فى خاوة الأسفار قد مزق
الأطمار ، وهتكوا فى محبته الأستار ، فسأعهم صاحب الدار وقال (ليس عليكم جناح) :

إذا غلب الوجد والافتضاح لأهل الهوى والجوى لأجناح

فكم فى المحبة من هائم يطيل النحيب ويبدى النواح

وكم فى دجى الليل من سادة لهم فى الصباح وجوه صباح

وكم فى المحبة من كاتم يتم عليه نسيم الصباح

فمن باح بالوجد فى حبه فذاك الذى فى هواء استراح

فقسم باليبى بباب الحبيب فتم طيب يداوى الجراح

وقم واسهرن فى الدجى واعتذر الى الحب واسمع منادى الفلاح

وإن تك بالذنب مستوحشا فهم فى الحقيقة أهل السباح

[قال عبد الله بن المبارك رحمه الله عليه] حجبت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام ،
فأثنت مكة شرفها الله تعالى فإذا بالناس قد خرجوا يستسقون أول يوم وثانى يوم وثالث يوم
وأنا معهم فلم يسقوا فتركهم ومضيت إلى الحجر فدخلت ، فإذا على البلاطة الخضراء شخص
أسود نحيل الجسم مصفر اللون ، وعليه خاقتان متزريحاهما ومرتد بالأخرى ، وقد بكى
وانتحب حتى بليت دموعه ثوبيه ، وهو رافع طرفه إلى السماء ، ويقول : إلهى أخلقت الوجوه
كثرة الذنوب والعيوب ومنعت عبيدك الفطر من كثرة المعاصي والخطايا ، وأذهبت خلقك بالمحل
والقحط وابتليتهم بالجوع والجهد ، وأنت عالم بالأحوال ، فقد قلت للأطفال ، وهلك الموائى
والعيال ، فأقسمت عليك بحجاء محمد صلى الله عليه وسلم إلا ماسقينا الغيث الساعة ، وقد توسلت
بك إليك ، وجعلت معتمدى عليك ، فهب للحاضرين ذنوبهم ، ولا تؤاخذهم بجرائمهم ، يارباه
يارباه الساعة الساعة ، قال فما استتم كلامه حتى تراكت السحب ، وجادت بالقطر من كل جانب
ومكان جلست أبكى حتى خرج من الحجر فاتبعته حتى عرفت للموضع الذى دخل فيه فملت الباب
ورجعت إلى منزلى ، فلم يأخذنى نوم طول ليلتى . فلما أصبحت صليت الصبح بغلس ، وأثنت
الموضع فدخلت ، فإذا رجل حسن الهيئة فسلت عليه فرد على السلام ، وقال هل لك من حاجة
يا أبا عبد الرحمن ؟ قلت نعم : أريد شراء غلام ، فقال عندى عشرة غلمان فاختر منهم من شئت

وقال النبي صلى الله عليه
وسلم « إذا ترك الرجل
فريضة واحدة متممدا
كتب اسمه على باب النار :
فلان لا بد له من دخوله
النار » وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « قولوا اللهم لا تدع
فينا شقيا ولا محروما ثم
قال : أتدرون من الشقى
المحروم ؟ قالوا لا يا رسول
الله ، قال الشقى المحروم
تارك الصلاة لأنه لاحظ
له فى الإسلام » وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« تارك الصلاة على صحنه
لا يقبل الله توحيد ولا
أمانته ولا صدقته ولا حياجه
ولا شهادته وقد تبرأ الله
منه والملائكة والمرسلون »
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم « تارك الصلاة على صحنه
لا ينظر الله إليه ولا يزكيه
وله عذاب أليم إلا أن
يتوب ويرجع إلى الله
سبحانه وتعالى فيتوب الله
عليه » . وقال النبي صلى
الله عليه وسلم « عشرة
من أمى يسخط الله عليهم

فصاح بأحدهما فخرج غلام ممين ، فجعل يصفه لي ، فقلت ليس من حاجتي . فعرض آخر وآخر إلى أن عرض العشرة ، وأنا أقول ليس من حاجتي ، فقال لم يبق عندي إلا غلام أسود ضعيف الجسم متغير اللون ، إن ضحك الناس بكى ، وإن اشتغل الناس بأشغالهم صلى ، لا ينام الليل ينأى في بعض أوقاته بالحسرة والويل لا يصلح لخدمة أهل الدنيا من كثرة الضعف والبله ، ومع هذا فإن قلبي يحبه ، وقد استبركت بنظره ، فصاح ميمون ، فقال إن شاء الله تعالى ميمون فخرج فظفرت به ، واستبركت بطاعته ومع هذا إنه قد حمل عني مؤنته ، فوالله ما يأكل عندي شيئا إلا يعمل الشريط والحوص فيعمل كل يوم بنصف دانق ، فإن باع أظفر وإلا بات طاويا . وقد أخبرني الغلمان أنه يحى الليل كله . فقلت ، والله لئن لم تبعنيه لأتيتك بسفيان والفضيل فقال إن كان هذا قضيت حاجتك فاشتريته منه ، وأخذت بيده وسرنا في الطريق فالتفت إلى ، وقال لي مولاي ، قلت ليبيك : فقال لا تلبني فإن العبد أحق بالتلبية للمولى ، ثم قال سألتك بالله لم اشتريتني وأنا ضعيف نحيل الجسم لا أقوى على الخدمة وقد أخرج سيدى اليك أجود مني ؟ فقلت والله لا أستخدمك وإنما أكون لك خادما ، فقال سألتك بالله إلا ما أخبرتني بحالك معي فأخبرته بالخبر ، فقال لي ينبغي أن تكون عبدا صالحا ، فإن لله تعالى في خلقه نجباء وأولياء لا يكشف شأنهم إلا لمن ارتضاه من عباده ، قال فتمشينا إلى أن عبرنا على مسجد . فقال لي يا مولاي هل لك أن تأذن لي أن أصلي في هذا المسجد ركعتين ؟ قلت له الساعة نسير إلى منزل الفضيل بن عياض فتركع فيه ما بدالك . قال وما علمي بأن قد بقي من عمرى ما يوصلني إلى منزل الفضيل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فتح له باب خير فليتم فإنه لا يدري متى يعلق عنه» . قال فدخلنا المسجد فركع وركعت وأطال في الصلاة وأنا منتظره ، فلما سلم قال يا مولاي قرب الأجل وانقطع العمل ، يا مولاي إنما كانت المعاملة طيبة بيني وبينه ، وقد علمت أنت وسيعلم غيرك وغيرك ولا حاجة لي في إفشاء السر وقد استودعتك الله وخر ساجدا ، فما زال يبكي ويتشهد إلى أن سكن حسه فركته فإذا هو ميت رحمة الله عليه فركته ومضيت إلى الفضيل وسفيان فأخذنا في أمره ماوجب ودفناه في العلاة وانصرف ، وفي قلبي لهيب النار نجثت إلى منزلي فلما كان الليل وقضيت وردى ونمت فإذا ميمون قد أقبل في شمتلين من الحرير وهو يتبسم وفي يده شيء فسلم علي وقال لي يا مولاي حضرت بين يدي مولاي الكبير فشرحت له حالي ووزنك لئني من غير منفعة انتفعت بها ولا خدمة . فقال لي يا ميمون إني أعلم السر وأخفي ، وأعلم ما في الضمائر والقلوب وإنه لم يشترك إلا لوجهي وإجلالا لكرامتي ، وقد أعتقته من النار بسببك وكرامتك علي وهذا ثمنى نخذه . قال ابن المبارك فبكيت وانتجبت واستيقظت من نومي والدراهم في يدي وأنا أبكي فوالله ما ذكرته قط إلا بكيت على فراقه :

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل	ففي حبه يحلو التهلكة والنذل
تذلل له تحظى برؤيا جماله	إذا رضى المحبوب صح لك الوصل
أدار على العشاق حمرة قربه	فطاب لهم فيها الصباية والقتل
وقال لهم هذا جمالي تمتعوا	وهاخلع الإحسان والجود والفضل
سكاري حيارى واقفين ببابه	وأجفانهم منها للدماع تنهل
فإن شئت أن تحظى برؤيا جماله	تقدم وإلا فالغرام له أهل

يوم القيامة ويأمر الله بهم إلى النار وجوههم عظام بالاحم فليل يارسول الله من هم ؟ فقال : شيخ زان وإمام ضال ومدمن خمر وعاق لوالديه والمأشئ بالنيمة وشاهد الزور ومانع الزكاة وآكل الربا والظالم وتارك الصلاة إلا أن تارك الصلاة يضاعف له العذاب يحشر يوم القيامة وقد غلت يده إلى عنقه والملائكة يضربون وجهه ودبره وجنبه وتقول له الجنة لست مني ولا أنا منك ، وتقول له النار أنا منك وأنت مني ومن أهلي أدن مني فوالله لأعذبك عذابا شديدا فعند ذلك تفتح له نار جهنم فيدخل في بابها كالسهم المسرع فيهموى على أم رأسه فيها إلى فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار وقال صلى الله عليه وسلم «لا تحل الزكاة لتارك الصلاة ولا تسأكنوه ولا تجالسوه فإن اللعنة تنزل عليه من السماء» وقال النبي صلى الله عليه وسلم

فوالله ما في الكون يعشق غيره هو السؤل والمطلوب والقصد والكل

[قال مالك بن دينار رحمه الله] أصابني في بعض أسفاري عطش شديد فملت الى بعض الأودية طمعا في الماء ، فسمعت صوتا يدر فقلت هذه سباع مقبلة فوليت هاربا فناداني هاتف من بين الجبال يا هذا ليس الأمر كما ظننت إنما هو ولي الله سبحانه وتعالى قد عظمت زفرته واشتدت حسرته فارتفع صوته وعلا نحيبه فعدت الى طريق فاذا أنا بشاب قد أذابته العبادة حتى عاد كالخلال فسلمت عليه وأخبرته بعطشي . فقال يا مالك ما وجدت في الملكة قطرة ماء ثم قام الى صخرة ففصر بها برجله . وقال لها اسقنا ماء بقدرة من يحيي العظام وهي رميم فاذا الماء يخرج من الصخرة كما يخرج من العين فشربت حتى رويت ثم قلت أوصني بشيء أنفع به . فقال يا مالك كن لمولك طائعا في الخلوات حتى يسقيك الماء في الفلوات ثم ولي عني :

دمع أضرم بمهجة المشتاق وجرت سوايق دمه المهرق
صب إذا ما الليل أسبل ستره نادى بصوت في الدجى مشتاق
يا عالما بسررتي وبليتي وبما أجن من الأسى والاق
لو صرت نضوا في المحبة مغرما ما حلت عن عهدي ولا ميثاق
فأمنن بعفوك لي فاني مذنب مالي سواك لزلتي من راق

[قال بعض السادة رحمه الله] رأيت غلاما في البادية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد ، منقطعا عن العماراة والناس فسلمت عليه فرد علي السلام ، فقلت له يافتي أنت في مكان منقطع بلا معين ولا رفيق . قال بلى وعزة ربي معي العين والرفيق . قات وأين العين أو الرفيق ؟ قال هو فوق بعزته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدي بهدياته وعن يميني بنعمته وعن شمالي بعظمته . فلما سمعت هذا الكلام ، قلت هل لك في المرافقة ؟ فقال هيات مرافقتك تشغلي عن خدمته وما أحب أن يكون هذا ولي ملك الأرض من مشرقها الى مغربها . قلت له أما تستوحش في هذا المكان . فقال لي يا هذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش . قلت من أين تأكل ؟ قال يا هذا غذائي بطغنه في ظلمة الأحشاء صغيرا أفلا يكفني كبيرا ولي عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء ، فقال لي حجب الله طرفك عن معصيته وملا قلبك بخشيته ولا جعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له يا أخي متى ألقاك فتبسم وقال : أما بعد هذا اليوم فلا تحدث به نفسك في الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس كلهم فان كنت ممن يلقاني فاطلبني في جملة الناظرين الى الله عز وجل قلت له ومن أين عرفت ذلك ؟ قال به وعزته ، وذلك أني غصضت طرفي عن المحرمات ومنعت نفسي من تناول الشهوات وخالت بخدمته في الليالي الظلمات ، فموسى النظر الى وجهه الكريم ، ثم غاب عني فلم أراه بعد ذلك :

أرى عبدكم يرى بالمصلى قبل يقضى أسى بك يتعلمي سمعوني وارسلوا لي جوابا
إن تكن صادقا فأهلا وسهلا قلت أمشي على جفوني إليك فمسي بالحبيب فجمع شملا
ثم أشري منه الوصال بروحي قيل لي وصله من الروح أعلى يا طريدك عن بابنا قبل الأرد
ض لدينا وعفر الحدد ذلا إن ذل الحب خير شفيح بالحبيب قد صدق عنه راوولي
لا تظن الدموع تنفع إن لم تك تجري من القلوب وإلا لا لأنفس للدمع المنعة في هوانا
فابك مهما أردت طلا ووبلا قلت للروح ودعيتي وروحي ثم للجسم دخلي فدخلني
وإذا بالحبيب قد رفع الحجب ب تعالى الجماله وتجنسلي ثم نادى أين الحب عيدي

« رأيت رجلا من أممي جاءه الموت وكان باراً بوالديه فرد عنه بر والديه سكرات الموت ، ورأيت رجلا من أممي قد سلط عليه عذاب القبر فجاءه الوضوء فأقنضه ، ورأيت رجلا من أممي قد احتوشته الزبانية فجاءه الملائكة يذكرون الله سبحانه وتعالى الذي كان يذكروه ويسبح به في الدنيا فخلصته منهم ، ورأيت رجلا من أممي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه صلاته فخلصته ورأيت رجلا من أممي يلهث عطشا كلما جاء إلى حوض لم يصله من الزحام فجاءه صياحه فسقاه ، ورأيت رجلا من أممي قائما والنيبون جلوسا حلقا حلقا كلما جاء إلى حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة لأجل الصلاة فأجلسه إلى جانبي ، ورأيت رجلا من أممي وقد أغمسه ظلمة وعمل عينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، ومن تحته ظلمة فجاءه حجه وعمرته

ادن متى وبالوصال تملئ يا عبيدى أطلت صبرك غنى أنسلت قلت حاشا وكلا
عطف السيد الكريم على العبد وما زال للتعطف أهلا ودعاء في محاسن الأنس جهرا
وعليه كأس التواصل يجلى ومنادى القبول منه ينادى هكذا هكذا يكون وإلا
فعلى أشرف النبيين صلوا فعليه رب الخلائق صلى

[قال إبراهيم الخواص رحمة الله عليه] حجبت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر
والسموم . فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفوت قليلا فلم أشعر
إلا وأنا وحدي في البرية فلاح لي شخص فأسرعت إليه فلحقته وإذا هو غلام لانبأت بعرضيه وجهه
كالقمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترفة ، فقلت له السلام عليك . فقال : وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم . فمجيبت منه أكثر العجب وقلت له : من أين تعرفني ولم ترني
قبها ؟ فقال يا إبراهيم ماجهات منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت ، فقلت له : ما الذي أوقعك في هذه
البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الحر والسموم ؟ فقال يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا وافيت غيره
وأنا منقطع إليه بالكلية مقر له بالعبودية . فقلت له : من أين المأكول والمشروب ؟ قال تكفل لي به
المحبوب ثم أجابني ودموعه تنحدر على خديه كالؤلؤ الرطب ، وأنشأ يقول :

من ذا يخوفني بالبر أقطعه إلى الحب وقد قدمت إيمانا
الحب ألقني والشوق أزعجني ولا يخاف عجب الله إنسانا
فهل لصغيران سنى اليوم تحقرني دع عنك عدلك بي قد كان ما كانا

ثم قال يا إبراهيم أنت منقطع عن الحاج ؟ فقلت له نعم . قال إبراهيم فنظرت إلى الغلام قد ملح
بطرفه إلى السماء وهمهم بكلمات فعند ذلك لحقتني سنة من النوم فلم أفق إلا وأنا في وسط الحاج
ورفقي يقول لي يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحة فما أعرف أن الغلام صعد إلى السماء أم نزل
في الأرض ، فلما انتهيت إلى الوقف ودخلت الحرم الشريف وإذا أنا بالغلام متعلق بأستار الكعبة
وهو يبكي ويقول :

تعلقت بالأستار والقبر زرتي وأنت بما في القلب والسر أعلم أتيت إليه ماشيا غير راكب
لأنني محب في هواك متسليم هويتك طفلا حيث لأعرف الهوى فلا تعذوني إنني متعلم
وإن كان قد حانت إلى منبى لعل بوصل منك أحظى وأغنم

ثم وقع ساجدا وأنا أنظر إليه فأطال السجود فأتيت إليه وحركته فإذا هو ميت رحمه الله تعالى
فتأسفت عليه كل الأسف ومضيت إلى راحتي وأخذت ثوبا واستعنت بمن يغسله فأتيت إليه فلم أجده
فسألت عنه الحاج جميعا فلم أجد أحدا يقول رآه حيا ولا ميتا فعلمت أنه مستور عن الخلق وأنه لم يره
أحد غيري فأتيت إلى مكاني وغفوت فرأيت في المنام وهو في موكب عظيم وهو في أوائلهم وعاليه
أثر الدلال والترفة ، فقلت له : أأنت صاحبي ؟ فقال نعم ، فقلت له : أأنت مت ؟ قال : قد كان ذلك
فقلت له لقد طلبتك حتى أكتفك وأصلي عليك وأدفك فلم أجدك ؟ فقال لي يا إبراهيم : أعلم أن
الذي من بلدي أخرجنى ، ولحجته شوقى ، وعن أهلى غربى ، هو الذى تولانى وكفنى ، فقلت
له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، وقال ما بعتك ؟ فقلت : إلهى أنت أعلم . فقال أنت
عبدى حقا حقا ، ولك عندى أن لا أحتجب عنك أبدا ، ثم قال لي ما تريد ؟ فقلت أريد أن تشفىنى
في القرن الذى أنا فيه . قال قد شفعتك فيه . قال إبراهيم ثم صاحفنى فاستيقظت بعد الصاخة وقضيت
ما كان على من الحج ونسكه ، ثم سرت مع جملة الحاج فما أجد أحدا إلا يقول لي : عجب الناس

فاستخرجته من الظلمة
وأدخله في النور، ورأيت
رجلا من أمى يكلم الناس
المؤمنين ولا يكلمونه
بجاءته صلة الرحم. فقلت
يا مبشر المؤمنين كلوه فإنه
كان أصلا فكلوه ،
وصاخفه وسلوا عليه .
ورأيت رجلا من أمى باقى
النار وحرها وشررها
بيده عن وجهه بجاءته
صدقه، فصارت سترًا على
وجهه وظلا على رأسه
وحجابا من النار . وقال
صلى الله عليه وسلم « إن
في النار واديا يقال له الملم
فيه حيات كل حية منحورقة
الجل طولها مسيرة شهر
تلسع تارك الصلاة في ذلك
الوادى فيغلى سمها في
جسده سبعين سنة ثم
يهرى لحمه وينقع عظمه
يعذون تارك الصلاة في
ذلك الوادى وإن في جهنم
واديا يسمى جب الحزن
فيه عقارب كل عقرب
قدر البغل الأسود له
سبعون شوكة في كل شوكة

من طيب رائحة يدك . قال الناقل لهذا الحديث : ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد إبراهيم حتى قبض رحمة الله عليه :

قلوب بتقوى الله والذكر عامره
يتاجون مولا هم بفسرط تضرع
يناديهم الرحمن أتم أحبى
إذا اجتمعوا في خاوة الله كرفي الدجى
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم
فيأنفس هذا مشرب القوم فاشربني
وتحظى برؤيا من يحسن جماله
رسول أتى والشرك كالليل حالك
رءوف رحيم شاهد متوكل
فلو شاهدت عينك زوار قبره
وتأتى وفود العاشقين صباية
تهدى نفوسا حجبت في ظلامها
وهبت لها من ذلك الحى نسمة
فيا أيها المختار من آل هاشم
أنتنا جميعا في غد بشفاعة
عليك سلام الله ماذر شارق
وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
وأنوارهم من بهجة الحق باهره
وأرواحهم شوقا إلى القرب طائرهم
بمقعد صدق والزجاجات دائره
إلى ذلك الوجه للقدس ناظره
عسى أن تكوني عند ذلك حاضره
غدت ألسن اللداح تسلو مفاخره
فلى بأنوار الرشاد دياجره
سراج منير فاز من كان زائرهم
وأعينهم كالسحب بالدمع ماطرهم
إلى نحوه من كل فج مبادره
وكانت ضلالا قبل ذلك حائرهم
وأنفاسها من طيب رياه عاطره
ومن كرم الله الكريم عناصره
فأنت لكسر القلب مازلت جابرهم
ولاحت نجوم في دجى الليل ناثرهم

المجلس الثاني والثلاثون

في مناقب الإمام أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجودود ، المقدس في ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود ، العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبيل والعنقود ، البصير بحركات الدر في البحر والبر تحت ظلام الديجور والليالي السود . الحكيم الذى فجر الأنهار من صم الجلود ، وأخرج رطب الثمار من يابس العود ، لا تمسله الأفكار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا ينبيه القسار ، ولا تنفيه الأعصار ، ولا تدركه الأبصار وهو الواحد المعبود . المعطى الذى لا مانع لما أعطى ولا دافع لما قضى ، الكريم الذى جاد لعبده بميزيل رفده وكم رآه عن بابه معرضا . الحليم الذى ستر العاصي بخلمه ورأفته وقد رآه لمصيته متعرضا . الغفار الذى يغفر الذنوب ويستتر العيوب ويعفو عما مضى ، القهار الذى قهر الجبابرة وكسر الأكاسرة وضرب بسوط بعاده من سل سيف عناده وانتضى . فسبحان من حير الأفكار في مدارك سبحات جلاله العظيم . وأذهل العقول عن الوصول إلى كنه ذاته القديم . وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سر أفعاله بعد الفصاحة والتكليم . وأدهش الخواطر عن الإحاطة به فلا يرام بالتوهم ؛ فهو الكريم للماجد القديم ! الواحد المنزه من الولد والوالد ! القدس عن المشارك والمساعد ، المتعالى عن الشابه والمماثل والضاد والمعااند ، الشكور على جميع النعم الحمدود بجميع المحامد ، الذى أسبل ستره الجميل على عبده العاصي

ذؤابة من سم تضرب
تارك الصلاة ضربة وتفرغ
سمها في جسده فيجد
حرارة ممها ألف سنة
ثم يهرى لحمه على عظمه
ويسيل من فرجه الصديد
ويلعنه أهل النار « نعوذ بالله
من النار . فلأزم التوبة
أيها العبد الضعيف مادام
باب التوبة مفتوحا إن
الرضا ليلوح . وأنشد
بعضهم في المعنى هذه
الآيات :

قم في ظلام الليل واقصد
مهيمن
يراك إليه في الدجى
تتوسل

وقل يا عظيم العفو لا تقطع
الرجا
فأنت الذى يا غافق والمؤمل
فيارب فاقبل توبى
بفضل
فما زلت تغفو عن كثير
وتعمل
إذا كنت تحفونى وأنت
ذخيرتى
لمن أشتكى حالى ومن
أؤسل

الدليل ، وهو إليه ناظر ومشاهد ، فهو المعروف بالربوبية الموصوف بالإلهية ، المنفرد بحقيقة
الوحدانية ، تترده عن الأوهام الخيالية وتعزز في بقاءه عن الفناء والمثلية ، عالم بكل خفية وجلية ،
حارت العقول في عظمتها فما عرفت له أينية ، وكلت الأفكار عن إدراك صمديته فلا تعرف بالعلوم
العقلية فسبحانه من إله تعالى على المائل والناسب ، وجل عن الشارك والمصاحب ، يقبل التائب
ويجيب الآيب ، وليس على بابه بوابة ولا حاجب ، من أمل سواه فهو الشقي الخائب ومن أناخ
بباب كرمه ظفر بذيئ المآرب . ومن ذاق حلاوة أنسه رأى من لطفه عجائب الغرائب . ومن أعرض
عن سواه رفعه ورفاه إلى أرفع مراتب . يزيل الضرر ويحجر من انكسر وينادي في السحر هل من
مستغفر هل من تائب . ويستعرض حوائج السائلين ويجود على التائبين بخلق القبول والمواهب :

إله جل عن شبه ومثل وعن ندّ يحدّ وعن مصاحب
تفرد في علاه فلا شريك ينازعه ولا ضد محارب
تجرب حيث شاء فلا يداني وجل عن المائل والناسب
تجلى للقلوب فليس يخفى وهل يخفى الحبيب على الحباب

فسبحانه من إله شهدت له السموات ومافيها من العجائب . وأقرت ربوبيته الأرضون في
مشارقها والغارب . واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المبعوث بالدين الواصب الموصوف بأحسن
الأوصاف وأجل المناقب . الذي شرف الله به الوجود وكل به السعود وبلغه أسنى المطالب والمآرب .
واختار أصحابه النجباء وخلفاءه الكرماء الأخيار الأطياب وخص التابعين لهم بإحسان من أمته
القائمين بشريعة الاسلام على توالي الزمان واختار منهم أربعة أقاموا قواعد الإيمان ودعوا العباد إلى
عبادة الملك الذي ان فملثوا بعلومهم الآفاق والبلدان وسارت بها الركبان إلى كل مكان . فمنهم الامام
الشافعي المتصل بنسبه بالشرف إلى عدنان . ومنهم الامام الأصمعي مالك بن أنس الرفيع القدر
والشان . ومنهم الامام أحمد بن حنبل الذي سلك بعلمه الطريق الأحمد في السر والاعلان . ومنهم
الامام الكوفي أبو حنيفة النعمان . فهؤلاء الأربعة السادات الأعيان الذين نفع الله بهم وبعلمهم
الناس فزال عنهم الباس والجهل والغي والطغيان :

فالشافعي له علوم تشرق بين الوري وله ثناء يعبق ولمالك نشرت علومها
حد كبحر زاخر يتدفق ولأحمد تعزى العلوم لأنه يروى الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابق فلاجل ذا آثاره وعلومه لاتسبق
فهم الأئمة خصهم رب العلا بالفضل منه فشأوهم لايلحق

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى رضوان الله عليهم أجمعين . ولد بالأبصار سنة ثمانين .
ومات سنة مائة وخمسين وعاش سبعين سنة وكانت ولادته في عصر الصحابة وتفقه في زمن التابعين
قال أبو بكر بن ثابت المؤرخ رضى الله عنه : ويقال ان أبا ثابت هو الذى أهدى النساودج لعلى
ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم النوروز . وقيل كان ذلك يوم المهرجان وكان ثابت أبو أبى حنيفة يقول
أنا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه فى حق . وقال السيد الشريف الحبيب النسب
أبو عبد الله محمد بن على الحسيني أخبرني أبو العباس بن مسلمة قراءة عليه عن أبى البطي حدثننا ابن
خيرون أخبرنا الضمري . قال كان أبو حنيفة حسن السميت والوجه والثوب والنعل والمواصة لكل
من طاف به ربة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطلقا سقطت في
حجره حية فقام الناس عنه فنفض الحية وهو فى مكانه لم يتغير . وعن أبى نعيم أنه كان يقول : كان

حقيق لمن أخطأ وعاد ما ضى
ويبقى على أبوابه يتدلل
ويبكي على جسم ضعيف
من البلى

لعل يحود السيد المتفضل
قصدت إلهى رحمة وتفضلا
لمن تاب من زلاته يتقبل

الباب الثانى

فى عتوبة شارب الخمر
روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « لعن
الله الخمر وبائعها وشاربها
ومشتريها » وروى عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « ينجى
شارب الخمر يوم القيامة
مسوداً أوجهه مزرقة عيانه
متدلياً لسانه على صدره
يسيل بصاقه مثل الدم
يعرفه الناس يوم القيامة
فلا تسلموا عليه ولا تعودوه
إذا مرض ولا تصلوا عليه
إذا مات ، فإنه عند الله
سبحانه وتعالى كصابد
الوثن » وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « كل
مسكر خمر ، وكل خمر
حرام ، فمن شرب الخمر

أبو حنيفة حسن الوجه والياب طيب الريح حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لآخوانه ، وكان عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله بعباده . [فأما كونه عابدا] فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحكي الليل كله . وقال علي بن يزيد الصدائي رحمه الله : رأيت أبا حنيفة ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار . وقال أبو الجوزية رحمه الله : لقد صحبت حماد بن أبي سليمان وعلقمة بن مرثد ومحارب بن دثار وعون بن عبد الله وصحبت أبا حنيفة فمافي القوم أحسن ليلا من أبي حنيفة لقد صحبتته ستة أشهر فمافيها ليلة وضع جنبه فيها . وروى أنه كان يحكي نصف الليل ، وأشار إليه إنسان وهو عشي وقال لغيره هذا هو الذي يحكي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحكي الليل كله . وقال أنا أستحي من الله تعالى أن أوصف بما ليس في من العبادة :

للامام النعمان فضل عظيم حيث للدين قد أقام منارا منه ضاحك ويعلم حزنا
ألهب الخوف في الحشامنه نارا لم يزل يكتم التهجيد حتى مات من خشية الاله اضطبارا
ليله قائم يصلي ويبكي وإذا جاء الصبح صام النهار لو تراه إذا هدأت كل عين
با كيا يسفح الدموع الغزارا ان هذا هو الكريم على الله له صير الجنان قرارا *

[وأما زهده] فقد روى عن بشر بن الوليد قال : كان أبو جعفر أمير المؤمنين أرسل إلى أبي حنيفة وأراد أن يوليئه القضاء فأبى حلف عليه أبو جعفر لنفعان خلف أبو حنيفة لا يفعل . فقال الربيع لأبي حنيفة ألا ترى أمير المؤمنين يخلف ؟ فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة عيئنه فأمر به إلى السجن فمات في السجن ودفن في مقابر الخيزران . وفي موضع آخر أن أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان الثوري وشريكا فدخلوا عليه . فقال لسفيان : هذا عهدك على قضاء البصرة فالحق بها . وقال لشريك : هذا عهدك على قضاء الكوفة فامض إليها . وقال لأبي حنيفة : هذا عهدك على قضاء مدينتي وما يليها فامض . وقال لحاجبه وجه معهم متوكلا بهم فمن أبي منهم فاضربه مائة سوط . فأما شريك فإنه تقلد القضاء . وأما سفيان فإنه هرب إلى اليمن . وأما أبو حنيفة فإنه لم يقبل فضرب مائة سوط وحبس إلى أن مات رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك . فقال : أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بخدا فبرها فنفرت منها ؟ وروى عن محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم . قال فما رضي أبو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتسكلم جاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه . فقال من حضر لا يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته ، فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه إذا مات ودفنوني نخد هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة . قال ابنه ففعلت ذلك . فقال الحسن : رحمة الله على أيك لقد كان شحيحا على دينه . وأما علمه بطريق الآخرة وأمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فتدل على شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا ، وقد قال ابن جريج : بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف من الله عز وجل . وقال شريك النخعي رحمه الله تعالى : كان أبو حنيفة رضي الله عنه طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس ، وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله :

قد غدا في الزمان أسمى وأعلى راده الله منه نبلا وفضلا صار في مجمع العلوم إلى حد

في الدنيا حرم الله عليه حرم
الآخرة في الجنة » وقال
صلى الله عليه وسلم « ثلاثة
لا يجردون ربح الجنة ، وإن
ربحها يشتم من مسيرة
خمسائة عام : مدمن خمر
وعاق والديه والزاني ان
لم يتب » وقال صلى الله عليه
وسلم « يخرج شارب الخمر
من قبره أثنى من الجيفة
والكوز معلق في عنقه
والقدح في يده وعلا به
جلده حيات وعقارب
ويلبس نعلين من نار يغلي
منهما دماغه . ويكون قبره
حفرة من حفر النار قريباً
من فرعون وهامان »
وروى عن عائشة رضي
الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « من
أطعم شارب الخمر لقمة
سلط الله على جسده حيات
وعقارب ، ومن قضى له
حاجة فقد أعانه على هدم
الاسلام ، ومن أقرضه
فقد أعانه على قتل مسلم ،
ومن جالس حشره الله
أعمى لاجبة له ، ومن

د التناهي فليس يلحق أصلا ذو بيان ما أشكل الخطب إلا حله فضله على القور حلا

وغدا في الصباح مثل سحاب لمعت نار برقه فاستهلا

حل أرض العراق فاعتاض منه أهلها العلم فارتووا منه نهلا

ويروى أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان يوما جالسا في المسجد فدخل عليه طائفة من مقدمي الخوارج شاهرين سيوفهم ، فقالوا يا أبا حنيفة نسألك عن مسئلتين فإن أجبت نجوت وإلا تلتناك قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي قالوا كيف تعمدها ونحن نختب الأجر الجزيل باغمدها في رقبتك فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب : إحداهما رجل شرب الخمر فنفس فمات سكران ، والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أما كافرين أم مؤمنان ؟ والقوم الذين جاءوا يسألون مذهبهم التكفير بذنوب واحد فان قال مؤمنين قتلوه . فقال من أي فرقة ؟ كانا من اليهود قالوا لا ، قال من النصارى ، قالوا لا . قال من المجوس ، قالوا لا ؛ قال من عبدة الأوثان . قالوا لا ، قال من كانا قالوا من المسلمين ؟ قال قد أجبتهم . قالوا وكيف ؟ قال قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين ومن كان من المسلمين كيف يجاونه من الكافرين ؟ قالوا هما في الجنة أو في النار قال أقول فيهما ما قال إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم في حق من هو شر منهما (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وأقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما (ان تعذبهم فاعذبهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فتأبوا واعتذروا إليه . وروى أن امرأة دخلت مسجده وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحا أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فأسألوه عن ذلك ، فقال لهم إنها ترى الدم تارة أحمر مثل أحد جانبي التفاح وتارة أصفر مثل الجانب الآخر أيهما يكون حيضا أو طهرا فشقت التفاح وأريتها باطنها وأردت بذلك أنها لا تطهر حتى ترى البياض مثل باطنها فقامت . وقال أبو حنيفة دخلت البصرة فظننت أن لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا أفارق حمادا فصحبته عشرين سنة قال : وما صليت صلاة إلا واستغفرت لحما مع والدي ولكل من قرأت عليه وحدثنا صالح بن محمد عن يوسف بن رزين عن أبي حنيفة رضي الله عنه قال : رأيت في المنام كأنني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت عظاما فاحتضنتها قال فهالتي هذه الرؤيا فدخلت إلى ابن سيرين فقصصتها عليه فقال إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد صلى الله عليه وسلم . وحدثنا يوسف بن الصباغ قال : قال لي رجل رأيت كأن أبا حنيفة نبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم أخبره من الرجل قال : هذا رجل يحكي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلنا على الرأس والعين وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال . وأما غير ذلك فلا نسمع :

لقد أيد الله الأنام بعلمه وقد رد حزب الجمل بالعلم معروف

وقد ملأ الآفاق فضلا بعلمه وكم جاءه في الكشف للضرر ملهوف

وكم من منامات رآها له الوري وكم تقعتهم من نهاية النصايف

وكم من كرامات حكى الفطر عدها فلا الفضل محجوب ولا الحق مصروف

فهذا هو النعمان حقا وانه له عند رب المرش في القدر تشریف

شرب الخمر فلا تزوجوه وإن مرض فلا تعودوه أبدا ، فوالذي نفسي بيده إنه ما شرب الخمر إلا من كفر في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان بجميع ما نزله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء ، ومن استحل الخمر فإنه يرى مني وأنا يرى منه ، وإن الله سبحانه وتعالى أقسم بعزته وجلاله : إن من شرب الخمر في الدنيا عطشه يوم القيامة عطشا شديدا ويحرق فؤاده ويخرج منه لسانه على صدره ، ومن ترك لأجل سقيته يوم القيامة من حمر الجنة يوم القدس تحت عرشي » وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا شرب شربة من الخمر أسود قلبه وإذا شرب ثمانية تبرأ منه ملك الموت ، وإذا شرب ثالثة تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا شرب رابعة تبرأ منه الحفظة ، وإذا شرب خامسة تبرأ منه جبريل عليه السلام ، وإذا شرب

وأما تأذبه عند مجالسة العلماء فحدثنا أبو هاشم أيوب بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن رشيد صاحب عبد الرحمن بن أبي القاسم عن يوسف بن عمرو عن عبد العزيز الدراوردي : قال رأيت أبا حنيفة ومالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء الآخرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما عن القول الذي قال به أمسك الآخر من غير تعنيف ولا تعبير ولا تخطئة حتى صليا الغداة في مجلسهما ذلك رضى الله عنهما . وأما إنصافه واعترافه فانه رضى الله عنه كان يقول : قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب . وأما قيامه لله تعالى حق القيام فانه كان إذا رأى منكرا ذهب ذلك اللين فظاظة واحمرت عيناه وانقلب في أم رأسه ، وانتفخت أوداجه ، وما رأى منكرا قط إلا أزاله ؛ ولقد خرج يوما فرأى بعض الملاحى مع رجل فهاوشه فأوجعه الرجل ضربا ولم يعرفه وهو مع ذلك يحرص على كسر ذلك حتى كسره ورجع إلى بيته فكث شهرين منقطعا في بيته من شدة الضرب . وقال الخطيب : قيل لسفيان الثوري : ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوا له قط . قال هو والله أعقل من يسلم على حسنة ما يذهب بها . وقال علي بن عاصم رحمه الله : لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم . وأما تأذبه مع السلف فيروى أنه سئل رضى الله عنه عن علقمة والأسود أيهما كان أفضل فقال والله ما بلغ قدرى أن أذكرهما إلا بالدعاء والاستغفار لإجلالهما ولا أفضل بينهما . وأما كرمه رضى الله عنه ، فقال قيس بن الربيع : كان أبو حنيفة يجمع ما يكتسبه من بضائعه فيشتري به الكسوة للشافع المحدثين وما يحتاجون إليه ويقول : احمدا الله تعالى فهو الذي أعطاكم فوالله ما أعطيتكم من مالى شيئا . وكان رضى الله عنه إذا جلس إليه الرجل يسأل عنه فإن كان به فاقة أعطاه مجلس إليه رجل عليه ثياب رثة ، فلما تفرق الناس عنه أمره بالعود حتى خلا به فقال ارفع هذا المصلى وخذ من تحته ألف درهم أصاح بها حالك ، فقال الرجل أنا موسر وأنا في نعمة ، فقال له أما بلغك الحديث « ان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يفتن بك صديقك :

لأبي حنيفة في العالوم منار	ملكت بها الآفاق والأقطار
شيخ البرية في العالوم ومن له	تروى المناقب عنه والأخبار
متعبد لله طول حياته	وعليه منه سكينة ووقار
قد كانت يحى ليله متعبدا	وله بكل وظيفة أذكار
وعطاؤه قد كان سحا في الورى	وله بذلك على الأنام غفار

وكان رضى الله عنه لا يكلمه أحد في حاجة إلا قضاها . وأما ورعه عما دخله الشبه ؛ فعن حفص بن عبد الرحمن وكان شريك أبي حنيفة : أن أبا حنيفة كان يتجر عليه ويبعث إليه بمتاع ويقول له في ثوب كذا عيب فبين إذا بعته فباع حفص المتاع ولم يبين ونسى ، فلما علم أبو حنيفة ذلك تصدق بثمن الثياب كلها ، ومن ورعه رضى الله عنه أن شاة سرقت في عهده فلم يأكل لحم شاة مدة تعيش الشاة فيها . وروى أن الخليفة بعث إلى أبي حنيفة وابن أبي ذئب بمال ، فقال ابن أبي ذئب إني لا أرضى له بهذا المال فكيف أرضاه لنفسى ، وقال أبو حنيفة : لو ضربت على أن أمس منه درهما مامسته ، وروى أن الخليفة دعاه ، فقال يا أبا حنيفة كم يحل للرجل الحر من النساء الحرار فقال أربع فقال الخليفة اسمعى يا حرة ، فقال أبو حنيفة على البديهة يا أمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع ، فقال يا أمير المؤمنين قال الله تبارك وتعالى (فانكحوا ما طاب لكم

سادسة تبرأ منه إسرائيل عليه السلام ، وإذا شرب سابعة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام ، وإذا شرب ثامنة تبرأت منه السموات وإذا شرب تاسعة تبرأت منه سكان السموات وإذا شرب عاشرة غلقت دونه أبواب الجنان وإذا شرب حادية عشرة فتحت له أبواب النيران وإذا شرب ثمانية عشرة تبرأت منه حملة العرش وإذا شرب ثلاثة عشرة تبرأ منه الكرسي وإذا شرب رابعة عشرة تبرأ منه العرش وإذا شرب خامسة عشرة تبرأ منه الجبار جل وعلا ، ومن تبرأ منه الأنبياء والملائكة أجمعون وتبرأ منه رب العالمين فقد هلك في جهنم مع المذنبين ، وإن الله سبحانه وتعالى يسقيه في جهنم قدحا من نار تسقط عيناه وتبرى لحمه من وهج ذلك القدح ، فإذا شربه يقطع أمعاءه ويخرجها

من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) فلما سمعتك تقول اسمي يا حرة عرفت أنك لاتعدل، لهذا قلت لا يحل لك إلا واحدة، فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت شكره وتثنى عليه، فلم يقبلها أبو حنيفة وردها وقال للرسول قل لها أنا ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرتني على الله. وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة، قال الخطيب: كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وإذا اكتسب ثوبا جديدا كسا بقدر ثمنه العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه على الخبز بقدر ما يأكل ثم يطعمه لانس فقير أو لمن في بيته يحتاج إليه، وكان يؤثر رضاربه على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل، وكان دائما يتمثل بهذين البيتين:

عطاء ذى العرش خير من عطاكمو وفضله واسع يرجى وينتظر

تكفرون العطا منكم بمتكم والله يعطى فلا من ولا كدر

وقال محمد بن الحسين اللبي: قدمت السكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدفعت إلى أبي حنيفة ثم قدمتها وأنا شيخ فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى أبي حنيفة. وقال مسعر بن كدام وكان مشهورا بالزهد والاجتهاد: أتيت أبا حنيفة في مجلسه فرأيت يلى العدة ثم يجلس للناس للعلم إلى أن يلى الظهر ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يلى العشاء الآخرة فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدته الليلة. قال فتعاهدته فلما هدا الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ودخل منزله ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد ففعل كفعله اليوم الأول، فلما جاء الليل تعاهدته ففعل كفعله الليلة الماضية. قال فقلت لأزمنه إلى أن أموت أو يموت. قال ابن أبي معاذ فبلغني أن مسعرا مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده. وعن محمد بن الحسن قال: حدثني القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فلم يزل يردها ويبيكي ويتضرع إلى أن طلع الفجر. وقال حفص بن عبد الرحمن كان أبو حنيفة يحكي الليل بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة. وقال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة رضى الله عنه الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. وكان يسمع بكأوه بالليل حتى يرحمه جيرانه. وقيل إنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه ستة آلاف مرة. وقال ابن أبي زائدة: صليت مع أبي حنيفة العشاء الآخرة، وخرج الناس وأنا في المسجد أريد أن أسأله عن مسألة وهو لا يعلم أنى في المسجد فقرا حتى بلغ إلى قوله تعالى (ووقانا عذاب السموم) فلم يزل يردها حتى طلع الفجر. ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئا يقرأ ليلة في المسجد (إذا زلزلت الأرض زلزالها) فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر وهو يقول تجزى بمقال ذرة، فرحمة الله عليه ورضوانه.

ان ترد في أبي حنيفة وصفا فالرواة الثقات عنه تشير أن شمسا يضىء بالعلم حقا وهو في الناس بالعلوم الأمير كان شيخ الاسلام قدوة خلق الله حقا لما اقتضاه القدير لم يزل وجهه جميلا بهيا خاشعا لا يشوبه تكدير معرضا عن حطام دنيا تلهي كل عقل بحبها مأسور قد تساوى لديه تنزيه نفس عن حطام قليلها والكثير وأما وفاته فحدثنا أحمد بن كامل وعبد الباقي بن قانع قالا: توفي أبو حنيفة رضى الله عنه ببغداد في رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وبلغ سبعين سنة. قيل إنه سقى السم فمات رحمه الله، وصلى عليه قاضي القضاة الحسن بن عمارة في جمع عظيم. وأما رؤيته بعد الموت فحدثنا جعفر بن الحسن قال

من دبره، ويل لشارب
الحجر مما يلقي من عذاب
الله سبحانه وتعالى «عن
أسماء بنت زينب قالت:
سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول «من وقع
الحجر في بطنه لم يقبل الله
سبحانه وتعالى منه حسنة
فإن مكث أربعين يوما ولم
يتب ومات قبل الأربعين
مات كافرا وإن تاب تاب
الله عليه وإن عاد كان حقا
على الله أن يسقيه طينة
الجبال، قالوا يا رسول الله
وما طينة الجبال؟ قال صديد
أهل النار والدم والقيح»
وقال ابن مسعود رضى الله
عنه: إذا مات شارب الحجر
فادفنوه ثم انبشوا قبره،
فإن لم يجدوا وجهه
مصرفا عن القبلة فاقتلوني
فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول «إذ شرب
الحجر أربع مرات سخطه
الله سبحانه وتعالى وكتب
اسمه في سجين ولا يقبل الله
منه صومه ولا صلاته ولا
صدقته إلا أن يتوب فإن
تاب وإلا فأتواوه النار
وبئس للصير» وعنه

رأيت أبا حنيفة في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي . وعن علي بن الحسن قال حدثنا علي بن مسلمة قال : سمعت عبد الحميد بن عبد الرحمن الجاني يقول : رأيت في المنام كأن نجما سقط من السماء فقبل أبو حنيفة ، ثم سقط نجم آخر فقبل مسعر ، ثم سقط آخر فقبل سفيان ثلث أبو حنيفة قبل مسعر ثم مسعر قبل سفيان . وحدثنا خلف بن سالم قال حدثنا صدقة وكان صدقة يجاب الدعوة : أنه لما دفن أبو حنيفة رحمة الله عليه في مقابر الخيزران سمعت صوتا ثلاث ليال يقول :

ذهب الفقه فلا فقه لكم فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعان فمن هذا الذي بعد يحيى ليله إن سحفا

وقال بعضهم في وفاته :

ألا كم لعنان علوم سوابق وزهد ولطف زانه وتفرد
فله يوم حان فيه حمامه وغص به كل الأنام فذا شج
ويعلو وقار نعشه وسكينة وقاموا صفوا للصلاة كأنهم
تحفهمو فيها الللائك خشعا وقد حسد السك التراب لطيه
وفتحت الجنات يوم قدومه وكمن منامات رآها أولو النهى
وكم من علوم واجتهاد بفقهه وكم حل إشكالا وكم من أدلة
وحدث عن خير الورى عند قبره وأحيا بعلم الفقه سنة أحمد
نبي الهدى جالى الصدى قانع العدا شفيع الورى خير الأنام محمد
أحن إليه كل وقت وأثنى لئن أوصلتنى أرض نجد مطبق
كلت عيونى من تراب ضريحه عليه صلاة الله ثم سلامه

المجلس الثالث والثلاثون

في ذكر كرامات الأولياء رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى ظهر بالبرهان وتجلي ، وتصرف فى الأكوان فعزل وولى ، ووفق من شاء من عباده بجاهد فى الله حق جهاده وما ولى ، أقامه فى الليل لخدمته بجاهد فى طاعته ، وتلذذ بمناذمته والسعيد من بات بمشاهدة مولاه يتعلّى ، وسقاه من شراب قربه بكؤوس حبه فنادى بلسان ذوقه وقلبه على جمرات شوقه يتقلّى :

صلى الله عليه وسلم أنه قال « يساق أهل الزنا وشارب الخمر إلى النار يوم القيامة فإذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد ويضربونهم فى النار بعدد أيام الدنيا ثم يدفعونهم إلى منازلهم فى النار فلا يبقى عضو حتى تلدغه عقرب وتنشه حية على رأسه أربعين سنة لا يباغ الدرجة ثم يرفعه اللهب إلى رأس الطبقة فتضربه الزبانية فيهبى إلى قعر النار (كما نضجت جلودهم بدّالهم جلودا غيرها ليدوثوا العذاب) ثم يعطشون عطشا شديدا فينادون واعطشاه اسقونا شرربة من الماء فتقدم لهم الملائكة للوكلون بعذابهم أقداحا من جهنم تغلى وتفور ، فإذا تناول شارب الخمر القدح سقط لحم وجهه فإذا وصل الحميم فى بطنه قطع أمعاءه وخرجت من دبره ، ثم تعود لما كانت ثم يضرب فهذه عقوبة شارب الخمر » وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأتني شارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق في عنقه والطنبور في كفه حتى يصلب على خشبة من نار فينادي مناد : هذا فلان بن فلان فتخرج من فمه نكتة ويلعنونه ثم تلقيه الزبانية من الصلب ويطرحونه في النار فيبقى فيها ألف سنة فينادي واعطشاه ، ثم يرسل الله تعالى عليه عرقا ممتنا فينادي رب ارفع عني هذا العرق فلا يرفع عنه حتى تحبى نار تحرقه فيصير رمادا ثم يعيده الله سبحانه وتعالى فيخلق له خلقا جديدا من نار فيقوم مغולה يده مقيدة رجلاه يسحب فيها بالسلاسل على وجهه ، يستغيث من العطش فيسقى من الحميم ويستغيث من الجوع فيطعم من الزقوم فيغلى في بطنه وعند مالك نعال من نار فيلبسه منها نعلين تغلى منهما دماغه حتى يخرج المخ من أرنبته وأضراره من جري يخرج لهيب النار من فمه وتساقط أحشاؤه

هذه الكاسات في الأسحار تجلى ما ترى الساقى علينا قد تجلى قيل يا من يطلب الوصل تجلى دولة الهجر تواتت وانقضت أيها الأحباب هذا وقتكم إن عزمتم فايدلوا الأرواح بهذا والذي تهواه لا يسمع عدلا واحد منفرد في ذاته فسبحان من نظر بحسن اصطفاؤه إلى أوليائه ومنحهم من عطائه نعمة وفضلا ، أعطاهم ومنهم اخترهم وابتلاهم فشكروا على ما أعطى وصبروا على ما أبلى ، سبقت لهم العناية بالسعادة في سابق الإرادة فكانوا من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة إذ صيرهم لها أهلا ، خف منهم معروفا بالمعروف غرق في محبة الصفوف ، وجال في مجال الخوف ، وما زاغ من محبته ولا ولى ، وقفه لمحبه ومنحه من طيب حضرته قربا ووصلا ، وسقاه بكأس الوصال حين رقاؤه إلى رتبة الاتصال ففاز بقربه وعلى :

مذ شهدت الحبيب جهرا تجلى همت شوقا ونلت قربا ووصلا
فلماذا عرفت فيه جهارا بشهود الهوى وكأسى تجلى
وجاد بالمزيد على أبي يزيد ، فازم التجريد وشطط على كل مرید بالمورد الأحلى ونادى بلسان حاله مترجما عن وجدته ولبابه متعجبا بأحواله مدلا :

ومح من لم يكن لوصالك أهلا ذاك عن قصده تباعد جهلا
لو يذوق الغرام في الحب أضحى مستهما بناره يتقل *
وشعشع شمس العناية للشبلى ، فبات لأنوار الهداية يستجلى ، ولأسرار المحبة يستملى ، إذ شرب بين الناس بالكأس الأملى ، وخاطبه في خلوة أنسه ، وقال له بنفسه مرحبا وأهلا وسهلا :

كأس شوقى من دن ذوقى تجلى وعروس الرضى لىنى تجلى
لو ترانى وقد برانى نخول هو عندى أهنى لقلبي وأحلى
وتفضل على الفضيل ، فشمع في خدمته الذيل ، وسار في نيل التحقيق بعد قطع الطريق مستقلا وأصلى بالمصالحة أسرار قلبه وناداه وقد جمع له بقربه شملا :

قد عفونا عما مضى منك فضلا مذ رأيناك للتواصل أهلا
* ثم قلنا لما أتيت منيبا مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا
وأدار صرف الزاج على الخلاج فسكر وهاج ، وخرج عن النهاج ، وبات بنار شوقه يتقل ، ونادى بلسان وجدته ، وقد خرج عن حده لما رأى ساقى شهوده في وجوده قد تجلى :

ساقى الراح لا تزدنى مهلا ما ترى القوم من شراك تجلى
يا حبيب القلوب أنت لقلبي كعبة الحسن للخالق تجلى
جئت أسعى على جفونى إليها قيل لى لن تنال بالسعى وصلا
قلت إن جئت زائرا تقبلونى قيل إن كنت للتواصل أهلا
قلت قد مت في هواكم غراما قيل هكذا يكون وإلا
أيها الخاطب الذى جاء يغبى من حمانا قربا ويطلب وصلا
غض عن غير حسننا كل طرف وتمنى بحسننا وتملى
وإذا جئت فامدد الكف فقرا فى الدياجى وعفر الخد ذلا
واعترف بالذنوب وإبك الخطايا وزمانا مضى وعمرا تولى
ثم لى بالنبي خير البرايا والذي فى الإسرا دنا فتدلى

ثم صلى عليه في كل وقت فعليه رب الخلائق صلى

[عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه] قال مرض رجل من أولياء الله تعالى مرضاً شديداً فكان الناس إذا رأوه قالوا به جنون فأكثرُوا عليه ، فلما عظم كلام الناس في أمره قالوا له نعالجك ؟ فقال لهم يا قوم اعلّموا أن لي طبيباً إذا سألتُه دوائِي لكنني لا أسأله أن يداويني فقل له ولم ذلك وأنت محتاج إلى الدواء ؟ فقال أخشى إن برئت من هذه العلة طغيت . فقل له ان عندنا مجنوناً فاسأل طبيبك هذا أن يداويه ، قال نعم اتتوني به فأتوه برجل في عنقه غلّ عظيم ويذاه مشدودتان إلى عنقه في قيد ثقيل قد استمكنت منه العلة ، فقال لهم خلوا بيني وبينه فنهض جهال القوم إلى يديه فخلوها وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه وأغلقوا عليهما الباب وهم يظنون أنه سيفضي إليه بمكره ، فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وخرج إليهم وسلم عليهم وكلهم بكلام عاقل وهو يبيك بكاء شديداً . فقالوا له أخبرنا بقصتك وما كان منك ومنه ، فقال دخلت على هذا الرجل وأنا على ماقد علمت لأعقل شيئاً كما رأيتموني فقربني منه وأدنانني وجعل يده على صدري والأخرى على رأسي فأحسست بالعاية وزال ما بي فقالوا له : ادخل معنا إليه لنسأله أن يدعو الله عز وجل لنا فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت وستره الله عز وجل عن أعينهم . قال سهل : وهذا رجل من بيت المقدس يقال له إدريس بن أبي خولة رضي الله عنه :

أهل المحبة ما نالوا الذي وجدوا	حتى لرهم في الخلوة انفردوا
تراهم الدهر لا يعضون من بلد	إلا ويسكي عليهم ذلك البلد
لا يعطفون على أهل ولا ولد	ولا ينامون إن كان الوري رقدوا
فأندكر مطعمهم والشكر مشربهم	والوجد مر كهم من أجل ذاسعدوا
لا يبرحون على أبواب سيدهم	ولا يريدون إلا من له عبدوا
فالشوق يضرهم نارا في قلوبهم	ونارهم في دجى الظلماء تنقد
مساجد الله مأواهم ومسكنهم	وعيشهم طيب في قربه رعد

[قال الجنيد رحمه الله عليه] حججت سنة من السنين وجاورت بمكة شرفها الله تعالى فجئت يوماً إلى بئر زمزم لأرتوي منها فلم أجدها حبلاً ولا ركوة ولا سقاء ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عبد أسود ومعه ركوة وحبل فدلاهما في البئر فلم يصلأ فرفعهما وقال : وعزتك لئن لم تسقى لأغضبني فإذا بالماء قد طفق على جانب البئر فتوضأ وشرب وملأ ركوته ثم عاد الماء إلى قعر البئر ، قال الجنيد : فلما خرج تبعته وقلت حبيبي على من كنت تغضب ؟ فقال يا جنيد ما هو كما خطر لك كنت أغضب على نفسي لا أسقيها الماء إلى يوم القيامة ، فلما علم سيدي صدق الدعوى أتبع لي الماء ثم غاب عني فلم أره :

قوم أقاموا وداموا	على اليهود وراقبوا	حبيبهم واستقاموا	في السر والإجهار
طوبى لهم إذ وفوا	إليه من دون الوري	وبادروا بالطاعة	في خدمة الجبار
لبوه لما دعاهم	وقدموا أرواحهم	وأقبلوا لحماهم	من سائر الاقطار
لهم حقائق دقائق	على الخلائق تعجم	محلها من بوارق	خوارق الأفكار
هبت عليهم نسيمة	فاستنشقوا من نشرها	شذا الحبيب ومنها	تنسموا الأخبار
وحين وافت وطافت	تفردوا وتجردوا	من الوجود وولوا	عن سائر الأغيار
قلوبهم معمورة	بحب مولاهم فلا	يضرهم في الظاهر	ملابس الإنكار
باعوا النعم الفاني	وحققوا واستيقنوا	بأن هذى الدنيا	ليست بدار قرار

من قدامه ، ثم يجعل في تابوت من حجر ألف سنة طويل عذابه يضيق مدخله سائل صديده متغير لونه يقول : يارباه قد أكلت النار لحى ، فويل له إذا شكا لا يرحم ، وإذا نادى لا يحاب ، ثم يستغيث من العطش فيسقيه مالاً شربة الحميم فيتناولها فتساقط أصابعه ، فإذا نظرها وقعت عيناه وخدوده ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام فيجعل في سجن فيه حيات وعقارب أمثل من البخت يأخذون بقدميه ثم يوضع على رأسه خرزة من نار ويجعل في مفاصله الحديد وفي يده الأعلال وفي عنقه السلاسل ، ثم يخرج من السجن بعد ألف سنة ، فتأخذه الزبانية إلى وادي الويل ، والويل واد من أودية جهنم أشدها حرا وأبعدها قعرا وأكثرها حيات وعقارب وبيقى في وادي الويل ألف سنة ، ثم ينادى يا محمد يا محمد ، فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم نداءه فيقول :

أباحهم مولايم يوم القيامة والجزا جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
فعند ما يدخلوها تقبل تنادى الملائكة بشراكم اذ صبرتم فنعيم عقبي الدار
[قيل] لمعروف الكرخي رحمة الله عليه يا معروف بماذا أنت معروف ، وبأى وصف في المحبة
موصوف ؟ فقال يا قوم ويحكم هل يجهل المعروف أو ينكر المألوف ، وهل يخفى القمر إلا على البصر
المكشوف ؟ أما تنظرون الى قلبي للشغوف ولبي للمهوف وعقلي المخطوف فكم خرفت في المحبة من
صفوف ، وكم جرعت من كؤوس صروفها من حتوف ، وكم قرأت في رموز مشكلها من حروف ،
حتى صرت بين أهل المحبة معروف ، ولولا أن يكون معروف لكان عن طريق السعادة مصروف
فان المستور بأثواب غروره مكشوف ، والتبهرج بدعواه ترد عليه الزيوف .

جسدي على حكم الضنى موقوف أبدا وطرفي بالبكا مطروف
والقلب حول حماكم ورضاكم يسعى على قدم الصفا ويطوف
فبحسبك قلبي يهيم صباة وبحبكم أبدا أنا موصوف
وبوصلكم قد عدت من هجرانكم فأنا الحزين وقلبي للمهوف
وبكم عرفت فكيف تنسك حالتي والفضل أن لا ينكر المعروف
مالي سوى أبوابكم ياسادتي والقلب من هجرانكم مرجوف
حاشاكمو أن تطردوا عبدكم عن بابكم قد جاء وهو مخوف
يغني الأمان ومنكم ويرجو الرضى والستر فهو لديكم مكشوف

[قيل] للفضيل بن عياض رحمة الله عليه : يا فضيل أخبرنا كيف جذبتك يد التوفيق من قطع
الطريق ، وكيف نقلت من فريق الشقاوة إلى أسعد فريق ؟ فقال يا قوم كنت ضالا عن الطريق
بعيدا عن التوفيق ، فأخذني مولاى من بحر الآنام ، وغمرني بالإحسان والإنعام ، فقالوا كيف كان
ذلك ، وكيف قربت عليك المسالك ؟ فقال بينا أنا يوما قد خرجت لأقطع الطريق على المارة وتقودني
الى الشر نفسي الأمانة غرني الزمان واستحوذ على الشيطان ، فذهبت لأستلب الرقاب وأتهب
الركاب ، وأنا في ظلمة الحجاب أتيه ولا أعرف لطريق الصواب باب ، إذ طلع على من مكامن التوفيق
كئين (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فألقيت له سمعي وأجريت بالبكاء دمعى وطار قلبي
وأمر ذلك في رجوعى الى ربى . فقلت بلى والله قد آن وحن رجوعى الى الرحمن وخوفى من
العصيان ، ولكن لا بد للخائف من أمان ، فجاءت بشار القرآن بترجمان (ولمن خاف مقام ربه
جنتان) فرجعت من قطع الطريق الجادة الى قطع السجادة وخرجت عن طريق الوسادة ودخلت
في طريق أهل السعادة ، فصرت تحت قهر قدرته أسيرا ووقفت على باب رحمته فقيرا ونسكست رأس
ذلى على باب عزته كسيرا . قلت سيدى رجعت إليك رجوع العبد الآبق مستشفعا بفضلك السابق
فعدوت صائدا ورجعت مصادا ، وذهبت قائدا ورجعت الى بابك منقادا ، ثم أنشد يقول :

عبيدك في معاصيه تهادى وبارز إذ طغى وبغى عنادا وها أنا واقف بالباب فردا
كما تأتى العبيد غدا فرادى فكم سوّدت من صحف ولكن ستور الحلم غطين السوادا
فواخجلنى ومالى ثم وجه أواجههم ولا أعددت زادا ولا مال يقربنى إليهم
ولاجاء يلغنى المراداء تراك معذبى يأنور عيني وقابى فيك قد أصفى الودادا
فان يرضيك إبعادى وطردى على رأسى ولو أضنى الفؤادا فيالله ماأهنا محبا *

يارب صوت رجل من
أمتى في جهنم ، فيقول الله
سبحانه وتعالى : هذا
رجل من أمتك شرب
الخمر في الدنيا ومات غير
تائب ، فيقول النبي صلى
الله عليه وسلم : يارب
قد خرج من شفاعتى إلا
أن تغفو عنه « فبأيها
العبد من الذنوب اليه
واعتذر من الخطايا لديه ،
وقال عليه الصلاة والسلام
« يخرج شارب الخمر من
قبره متورمة سيقانه
ولسانه مدلع على صدره ،
وفي بطنه نار تأكل أمعاءه
فيصيح بصوت جهورى
نفزع منه الخلائق
والعقارب تلدغ بين جلده
والحمة ويلبس نعلين من
نار يغلى منهما دماغه
ويكون في النار قريبا من
فرعون وهامان ، فمن
أطعم شارب الخمر لفمة
سلط الله على جسده
حية وعقربا ، ومن قضى
له حاجة فقد أعانه على
هدم الإسلام ، ومن
أقرضه شيئا فقد أعانه على
قتل مسلم ، ومن جالسه

إلى أحبابه ألقى القيادا وما أشقى معنى قد تعنى وسد الباب فأتقلب ارتدادا

فيا مولاي جد بالعفو وارحم كشيئا قد أسأجهرها ونادى

أقلنى عثرى يارب واغفر لعبسدى المعاصى قد تملأدى

حشره الله تعالى أعمى

بلا حجة ، ومن شرب

الحمر فلا تزوجوه ، وإن

مرض فلا تعودوه ، فوالذى

بعثنى بالحق ماشرب الحمر

أحسد إلا كان ملعوناً فى

التوراة والإنجيل والزبور

والفرقان ، من شرب

الحمر فقد كفر بجميع

ما أنزل الله سبحانه على

أنبيائه ولا يستحل الحمر

إلا كافر وأنا برىء منه ،

وإن شارب الحمر يموت

عطشاً فينادى واعطشاه

ألف سنة ، والذى بعثنى

بالحق نبيا إن شارب الحمر

يحيى يوم القيامة ، فيقول

الله سبحانه وتعالى للملائكة

خذوه فيبرز له سبعون

ألف ملك يسحبونه على

وجهه ، وأزيدكم : من كان

فى قلبه مائة آية من كتاب

الله تعالى وصب عليها الحمر

يحيى يوم القيامة كل

حرف من القرآن يخصمه

بين يدى الله عز وجل ،

ومن خصمه القرآن فقد

هلك . وروى عن عمر

ابن عبد العزيز أنه قال :

كنت ذات ليلة ذاهباً إلى

[كان] فى بنى إسرائيل رجل عابد فى كهف جبل لا يراه الناس ولا يراهم وعنده عين ماء يتوضأ منها ويشرب ويقتات من نبات الأرض وهو صائم النهار قائم الليل لا يفر عن العبادة وعليه آثار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده فى النهار فوجده مشغولاً بالصلاة والأذكار وقصده فى الليل فوجده مستغرقاً فى مناجاة العزيز الغفار ، فسلم عليه موسى عليه السلام : وقال له يا هذا ارفق بنفسك : فقال يابنى الله أخاف أن أؤخذ على غفلة فأقضى نحبى وأكون متصرفاً فى خدمة ربى ، فقال له موسى عليه السلام هل لك من حاجة ؟ قال سل مولاك أن يعطينى رضاه ولا يشغلنى بسواه حتى ألقاه ، فصعد موسى عليه السلام إلى المناجاة واستغرق فى لذة كلام مولاه ، فنى قول العابد ، فقال له الحق سبحانه وتعالى ماذا قال لك عبدى العابد ؟ فقال : إلهى أنت أعلم سألنى أن تعطيه رضاك ولا تشغله بسؤالك حتى يلقاك . فقال ياموسى اذهب إليه وقل له يتعبه ما شاء فى الليل والنهار فهو من أهل النار لما سبق له عندى من التذنب والأوزار وأعلم منه ما لا يعلمه غيرى من الفضيحة والعار ، فأتاه موسى عليه السلام فأخبره بقول ربه وما سبق من عظيم ذنبه ، فقال مرحباً بقضاء ربى وحكمه وكل شىء بعينه وعلمه لامرء لأمره ولا معقب لحكمه ثم بكى بكاء شديداً ، وقال ياموسى وعزته وجلاله ما برحت عن بابى ولو طردنى ، ولا حلت عن جنبه ولو أحرقتنى ومزقتنى ثم أنشد :

لو قطعنى الغرام إرباً إرباً ما ازددت على الغرام إلا حبا

لازلت به أسير وجد وضى حتى أقضى على هواه نجا

فلما صعد موسى عليه السلام إلى المناجاة وقال : إلهى أنت أعلم بما قال عبدك العابد ، قال ياموسى بشره بأنه من أهل الجنة فقد أدركته الرحمة والمنة وقل له تلقت قضائى بالصبر والرضى ورضيت منى بأصعب حكم وقضا ، فلو ملأت ذنوبك السموات والأرض والقضا ، وجميع الأقطار لغفرت لك وأنا الكريم الغفار ، فلما بلغه موسى ذلك خر ساجداً وحده ربه ، وما زال فى سجوده حتى قضى نحبه :

نوح الحمام على الغصون شجاني ورأى العذول صابقي فبكاني

إن الحمام ينوح من خوف النوى وأنا أنوح مخافة الرحمن

فلئن بكيت فلا ألام على البكا ولطالما استغرقت فى العصيان

يارب عبدك من عذابك مشفق بك مستجير من لظى النيران

فارحم تضرعه إليك وحزنه وأمن عليه اليوم بالغفران

فيا أيها العبد المريب الى متى يدعوك مولاك وأنت معرض لا تحيب وكفى يتقرب اليك باحسانه وأنت تبارزه بعصيانك وعليك منه رقيب ؟ بادر بالتوبة الى بابك ولد يجنابه فهو منك قريب ، واسأله الهداية والتوفيق وأقصده فى إفراج الهم والضيق فقاصده لا تحيب ، وعامله بما يرضيه واحذر من معاصيه فإنه حاضر لا يغيب ، وادعه حين تناجيه فإنه لداعيه مجيب ، وتب فى هذه الساعة اليه ، وتضرع بين يديه بالبكاء والتحجب ، فعسى يجيبك بعنايته ، ويهديك بهدائه ، فإن الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب .

[كان وكان]

تعصى الإله وتغلق بابك لكيلا تفتضح فكل ماقد عملته عليك فيه رقيب
 تزعم بأنك عاقل وأنت من أهل الوفا وتبتع شهواتك ماذا فعل لبيب
 انهض وداوى سقامك فذا أوان طبه قبل أن تجيك للنه ماينفع الطبيب
 وقم وهي زادك فقد دنا وقت السفر وراع غصن شباك مادام غصن رطيب
 فيا أخى الى متى تضيع عمرك وما نلت منه نصيب ، الى كم يستحضرك الى حضرة جنبه وأنت
 فى الغيب ، الى متى أنت سقيم بعلة زلتك ولا تبدى شرح قضيتك الى الطبيب ؟ [كان وكان]
 ارفع الى محبوبك قصة ذنوبك فى الدجى فهو الطبيب للداوى ومن دعاء يجب
 حيث أجمعت رأيته حاضر معك فى خلوتك وحيث كنت وجدته معك فليس يغيب
 فقم وداوى سقامك واهجر منامك والكرى واخلص قيامك عسى أن تنال منه نصيب
 فيا أيها الغريق فى بحار الخطايا والذنوب ، المشتهر بالقبايح والعيوب ، المعرض عن خدمة علام
 الغيوب ، إن كنت مستوحشا بالذنوب ، فباب الكريم مفتوح لمن يتوب ، [كان وكان]

فانهض وبادر بتوبه ثم اعتذر عما مضى الى متى أنت معرض عن الرضى بحجوب
 وقم وقول ارحمنى وسامحونى سادى فكم عمات فبايح وكم ركب ذنوب
 وها أنا جئت نائب من زلتى ياسيدى فارحم خضوعى وذلى ودمعى للمسكوب
 فيا أيها المرید المنقطع عن جبل حبه المديد لا تستصعب الطريق ، ولا تستبعد التوفيق ، فكم
 من ضعيف محمول ، وكم من منقطع موصول ، اركب جواد همتك وضع قدم أقدامك فى ركاب
 عزيزتك ، فان لم تملك زاداً من التقوى فاجعل لك زاداً من الشكوى ، واقدح به فى حراق قلبك
 المحترق وأرسل عليه سحب دمعك للندفقى ، فاذا صعد دخان زفرائك وعلت أنفاس حسراتك ،
 قف على الباب منتظراً ماذا يكون من الجواب ؟ فان سمعت فى العتاب من ذا الغريب الواقف بالباب
 وقوف للمرب ؟ فقل :

العبد واقف بالباب وقوف سائل مفتقر منكس الرأس يبكى بدمعه المسكوب
 قلب الفقير رأس ماله ورأس مالى قد خرب واحسرتى واعنائى بقاى السساوب
 فان قيل لك فما الذى أبطأ بك عن مطلوبك وما الذى قطعك عن محبوبك ؟ فقل :

ما كنت أعرف بجهلى مقدار وصل أجبى حتى هجرت بقاى
 عن وصلهم محجوب حتى متى بالقطيعة والصد عمرى ينقضى
 عودوا الى الوصل عودوا وحياتكم وأتوب *

فان قيل فكم تتوب وتنقض ، وتعرض لك وأنت عنا معرض ؟ فقل :
 من الساعة إن سمحتم بالصلح قلبى ينصلح وينصلح كل حال من كل العيوب
 ترى نزول الوحشة ونصطليح بعد الغضب ونجتمع بعد فرقة ونباغ المطلوب
 وافرحتى يوم أنظر جمال وجهه أجبى ويشقى بالتلاقى فؤادى المسكوب
 وأزور قبر الهادى خير الأنام المصطفى الهاشمى التهايمى المجتبى المحبوب
 صلى عليه وسلم رب السموات العلى مادام قابى اليه على الدوام طروب
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

للمسجد ، وإذا بنسوة
 يتباكون على الطريق .
 فقات لمن ماقتكن ؟
 قلن مريض عندنا ندعوه
 ونكرره عليه الشهادة فلم
 يقلها ، فتعال اكتسب
 أجره ولقنه الشهادة
 فلقنته لا إله إلا الله محمد
 رسول الله فلم يقلها ،
 فكررتها عليه ففتح
 عينيه وقال كفرت بلا إله
 إلا الله وتبرأت من الإسلام
 وخرجت روحه فخرجت
 من عنده وأعلنت النساء
 بحاله وناديت : يا قوم
 لاتصلوا عليه ولا تدفنوه
 فى مقابر المسلمين فانه مات
 كافراً ، فاسألوا أهله ما كان
 يفعل ؟ فقالوا ما نعلم له
 ذنبا غير أنه كان يشرب
 الخمر ، فالحجر سلب إيمانه
 عند الموت ، فقب أيها
 العبد الضعيف قبل مقاطعة
 الرب اللطيف ، فياويل
 من عصاه وكانت النار
 مأواه ، فبادر الى التوبة
 مادام فى الجسم روح وعلم
 الوصال يلوح والباب
 للتائبين مفتوح . وروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم

المجلس الرابع والثلاثون

في مناقب معروف السرخسي رحمه الله عليه

الحمد لله الرحيم الرؤوف الكريم العطوف ، المعروف بالمعروف ، الواحد الأحد الذي لا يتأثر بالوحدة ولا يتكثر بالآلوف ، التقي في ملكوته عن الوزير المشير والأليف والمألوف ، العالم بما فوق النجوم وما تحت التخوم ، فستر الغيب عنده مكشوف ؛ استوى على العرش استواء منزها عن الحركة والجلوس والوقوف ، أحمد الله سبحانه وتعالى لما دفع من الخوف ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لسانه بالصدق محفوف ، وكفه على الامتداد إلى غير الحق مكشوف ، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أرسله إلى الشريف والمشرف ؛ وبشر بالجنة الدانية البقاع ، وحذر من النار الحامية العسوف ، ولبس الصوف واتحل المخصوف ، وكان من الله بمكان مكيين ومقام موصوف . اللهم صل على هذا النبي الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اسم الأنوف ، وسلم عليه وعليهم ما وصف في الصلوات من الجماعة صفوف :

هذا الولي الذي بالخير موصوف واسمه في الوري لاشك معروف
هو الولي الذي أعطى كرامته حديث سن له بالبر مألوف
له الكرامات عند الله قد جمعت وشوقه زائد والظرف مطروف
مانام عن خدمة الله ليلته وقد غدا السر منه وهو مكشوف

هو معروف وهو والله بالخير موصوف ، وكنيته أبو محفوظ واسم أبيه فيروز وهو منسوب إلى كرخ بغداد ، وكان أواه نصرانيين ، وكان معروف في صغره يصلي بالصبيان فكان يعرض الإسلام على أبيه فيضجانه منه فأسلمه يوما إلى معلم دينهما ليعلمه فأجلسه قدامه وقال له يا بني أنت وأبوك وأمك كم أتم في العدد ؟ فقال ثلاثة ، فقال قل ثلاث ثلاثة ، فصاحت به الغيرة : إياك أن تذكر غيره فتموى في مهاوى الخيرة ، واحذر أن تجاوز من الأحد إلى أحد فتضرب بسياط البعد والكبد ، قل معروف فطاب لى سماع هذا الخطاب ، ثم رفع الحجاب ، وزال الاحتجاب فرأيت كأسا من الحبة والاخلاص ، يكتبوا عليه بقلم القبول والاختصاص ، على الجانب الواحد (والحكم إليه واحد) وعلى الجانب الثاني (لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) وعلى الجانب الثالث (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) وعلى الجانب الرابع (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) فلما شربت ذلك الكأس ، ذهب عني الباس ، وزال العي والالبناس ، فغبت في سكرتي وطبت في حضرتي ، وناديت بلسان فسكرتي :

جسدي على حكم الضنى موقوف أبدا وطرفي بالبكا مطروف
والقلب حول جماكمو ورضا كمو يسعى على قدم الصفا ويطوف
وبكم عرفت فكيف تنكر حالتي والفضل أن لا ينكر المعروف

ثم قال له المؤدب قل ثلاث ثلاثة ، فقال بل واحد أحد فضربه ضربا مبرحاً ثم أحضره وقال له قل ثلاث ثلاثة ، فقال بل واحد أحد فضربه أشد من الأول وأمر أبيه فحبسه في خزانة فمكث فيها ثلاثة أيام كل يوم يرمون له رغيفا وشربة ماء فبكت أمه وقالت لأبيه : إن ولدك صغير وأخاف أن يعتريه في هذه الخزانة جنون فأخرجه منها ففتح عليه الباب فوجدا الثلاثة أرغفة لم تكسر فراوداه على الخروج فأبى فقالا له ما تريد نجيبك في هذه الخزانة ؟ فقال إن الحبيب الذي حبستاني من أجله وجدته عندي فأنتسني :

أنه قال « إذا تاب العبد عرجت الملائكة إلى السماء فيقولون ربنا عبدك فلان قد استيقظ من سنة الغفلة والعب ووقف بين يديك ذليلاً ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي زينوا السموات والأرضين لقدوم أنفاس حضرته وانتحوا أبواب التوبة لقبول توبته ، فإن نفس التائب عندي إذا تاب أعز من الأرضين والسموات » فمن لازم التوبة وقام في الخدمة بدلت ذنوبه حسنات والله تعالى أعلم .

الباب الثالث

في عقوبة الزنا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا الزنا فان فيه ست خصال : ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما الثلاثة التي في الدنيا فانه يذهب البهاء من وجهه ويورث الفقر وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الله وسوء الحساب والخلود في النار » ويقول الله تبارك وتعالى (لئن لم قدمتم لهم

واحد لا شيء يشبهه أبدا قلبي يوجد له لوراء الجاحدون له لأوا لا شيء يشبهه
هو فرد والفؤاد له عن جميع الخلق أفرد أنا معروف بألفته يا عدولي كيف أنكره
حيثما وجهت فهو معي هات قل لي كيف أجده

فلما ألحوا عليه في الخروج خرج وساح على وجهه وبقي أياما لا يأكل طعاما ولا يذوق شرابا
ولا يستظل بجدار وجعل أبواه يبكيان ويقولان ليه يرجع إلينا على أي دين شاء فنتبعه ونوافقه ،
فلما كان بعد مدة طرق الباب فقيل من ؟ قال معروف قال على أي دين أنت ؟ قال على دين الإسلام
فخرج إليه أبواه واعتنقه وأقبلا عليه وأسلما على يديه :

تعالوا بنا نصلح فباب الرضى قد فتح وداووا الفؤاد الذي بسيف الجفا قد جرح
فيامدعي حبنا دع الروح ثم انطرح ووجد جمال الحبيب وقل للعذول استرح

وروى معروف الكرخي بإسناده عن أنس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم «أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال لا تغضب ، قال فإن لم أطق
ذلك يا رسول الله ؟ قال فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر لك ذنوبك
سبعين عاما ، قال فإن لم يأت علي ذنوب سبعين عاما ؟ قال يغفر لأملك قال فإن ماتت أمي ولم يأت عليها
ذنوب سبعين عاما ؟ قال يغفر لأقاربك » . وروى معروف الكرخي أيضا رضي الله عنه بإسناده
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قضى لأخيه المسلم حاجة
كان له من الأجر كمن حج واعتمر» وروى معروف الكرخي رضي الله عنه بإسناده عن عمرو بن
دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «من قال عند منامه : اللهم آمنا مكره ولا تنسنا ذكرك
ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين . اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك
فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا إلا بعث الله تعالى إليه ملكا
في أحب الساعات إليه فيوقظه فان قام وإلا سعد الملك وبعث إليه ملكا آخر فان قام وإلا سعد ذلك
الملك فقام مع صاحبه الأول فان قام بعد ذلك ودعا استجيب له ، وإن لم يقم كتب الله تعالى له ثواب
أولئك الملائكة » .

[ومن كراماته رضي الله عنه] قال ابن مردويه : كنا جالسين مع معروف الكرخي فلما كان
ذات يوم رأيت وجهه متبلا ، فقلت له يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء ؟ قال لي مامشيت على الماء
قط ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها فأخطاها . وقال محمد بن واسع رحمه الله عليه : كنت
عند معروف أذان المغرب وجئت إليه من الغد ، فإذا في وجهه أثر فقلت لشيخ إلى جاني كان أنس
به سلمه ، فقال له يا أبا محفوظ كنا عندك أمس وما بوجهك هذا الأثر وجئت اليوم وهو في وجهك فما
السبب في ذلك ؟ فقال معروف لا تسأل عما لا يعينك عافاك الله ، فقال له الرجل سألتك بالله أي شيء
سببه ؟ فقال معروف : ويحك ما حملك على هذا ! قال ثم تغير وجهه ثم قال : صليت البارحة ههنا العتمة
واشتهيت أن أطوف بالبيت فضيت إلى مكة شرفها الله تعالى ، فطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من
مائها ، فرأيت صورة حسنة فحدثت إليها بالنظر فزلت رجلي في الباب فأصاب وجهي مآري وإذا
أنا بقاتل يقول : يا هذا لوزدت زدناك . وقال حدثنا محمد بن مخلد قال : قرأ على الحسن بن عبد الوهاب
وأنا أسمع . قال قالوا إن معروف الكرخي يمشي على الماء ولو قيل لي إنه يمشي في الهواء لصدمت . وقال
عبد الصمد بن حميد سمعت عبد الوهاب يقول : ما رأيت أزهده من معروف .

أنفسهم أن يسخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الزناة
يأتون يوم القيامة تشتعل
وجوههم ناراً يعرفون بين
الخلائق بنتن فروجهم
يسحبون على وجوههم إلى
النار ، فإذا دخلوها يلبسهم
مالك دروعاً من نار لو وضع
درع الزاني على جبل
شامخ عال ساعة لصار
رمادا ، ثم يقول مالك :
يا مشر الزانية اكوا
عيون الزناة بمسامير من
نار كما نظرت إلى الحرام
وغلوا أيديهم بأغلال من
نار كما امتدت إلى الحرام ،
قيدوا أرجلهم قيود من
نار كما مشيت إلى الحرام ،
فتقول الزانية نعم نعم ،
فتل الزانية أيديهم
بالأغلال وأرجلهم بالقيود
وأعينهم تسكوى بالمسامير
فهم ينادون يا مشر الزانية
ارحمونا خففوا عنا العذاب
ساعة ، فتقول لهم الزانية
كيف أرحمكم ورب العالمين
غضبان عليكم » . وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم

[ومن كلامه رضى الله عنه] قال إبراهيم البكاء رحمة الله عليه : سمعت معروف الكرخي رحمة الله عليه يقول : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل . وجاء يحيى بن معين وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما عند معروف ، فقال يحيى أريد أن أسأله عن سجدتي السهو ؟ فقال له أحمد امسكت فلم يسكت ، فقال له يابا محفوظ ماتقول في سجدتي السهو ؟ فقال له معروف : عقوبة للقلب لما اشتغل وغفل عن الصلاة ، فقال له أحمد بن حنبل رضى الله عنه : هذا من كيسك . وقال : أقام معروف الصلاة يوما ، ثم قال لأحمد ابن أبي توبة تقدم فصل بنا وذلك أن معروفا كان لا يؤم إنما يؤذن ويقم ويقدم غيره ، فقال له محمد بن أنى توبة : إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم صلاة أخرى ، فقال له معروف : وأنت تحدث نفسك أن تعلى صلاة أخرى ! نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل . ومن كلامه أيضا رضى الله عنه الدنيا أربعة أشياء : المال والكلام والنাম والطعام . فالمال يطغى ، والكلام يلهى ، والنাম ينسى ، والطعام يقسى . وقال سري السقطي رحمه الله : سمعت معروفا الكرخي يقول : من كابر الله صرعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره خدعه ، ومن توكل عليه نفعه ، ومن تواضع له رفعه :

تواضع لرب العرش علك ترفع فماخاب عبد للمهمن يخضع وداو بذكر الله قلبك إنه لأش في دواء للتلوب وأنفع ولا تغتر بالمكر منك وبالمنى فمن خادع الله المعظم يخدع [قال معروف رضى الله عنه] بأى شئ يخرج حب الدنيا من القلب ؟ قال بصناء الود ، وحسن المعاملة ، وللفتيان علامات ثلاث : وفاء بالخلاف وعطاء بلاسؤال ومدح بالاجود . وعلامات الأولياء ثلاث : همتهم لله وشغلهم فيه وفرارهم إليه . وجاء رجل إلى معروف الكرخي رضى الله عنه فقال له ياسيدى عرفنى كيف أصل إلى الله تبارك وتعالى ؟ فأخذ بيده وأتى به إلى دار أمير فوجد على الباب عبدا قائما مكسورا الرجل ، فقال لسائله : كن مثل هذا تصل إلى الله تعالى وأشار الشيخ يعنى كن عبدا مكسورا واقفا على الباب :

العبد وانف على أبوابكم مكسور واحسرتى إن أمت في جكم مهجور
يأليت شعرى راكم تعتقوا المأسور عسى إذا ما التقينا ينمحي السطور

[وأنشد آخر]

بالله عليكم دعوا ما بيننا مسطور واحموا باحسانكم ما قد حوى الدستور
لا يسمعون العدا حين ينقرى السطور ترجع فضيحة وقلبي ينثني مكسور

ومما يدل على شدة خرفة رحمه الله قال أبو بكر بن أبي طالب : دخلت مسجد معروف الكرخي وكان في منزله فدخل إلينا ونحن جماعة . فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرددنا عليه السلام فقال : حياكم الله بالسلام في دار السلام ونعمنا وإياكم في الدنيا بالإحسان وفي الآخرة بالغفران ثم أذن فلما أخذ في الأذان اضطرب وارتمد حين قال أشهد أن لا إله إلا الله وقام شعر حاجبيه ولحيته واضطرب حتى خفت أن لا يتم أذانه وانحنى حتى كاد أن يسقط . وقال الثقي سمعت عبد الله بن محمد الوراق رحمه الله يقول : ربما كنا مع أبي محفوظ في المجلس وهو قاعد يتفكر ثم يفرغ ثم يقول : واغوثاه . وقال القاسم البغدادى رحمه الله عليه : كنت جار معروف الكرخي فسمعت ليلة في المسجد ينوح ويبكى وينشد ويقول :

أى شئ تريد منى الذنوب شغفت بى فليس عنى تغيب

« من ملائحته من الحرام ملائحته من جرحهم ومن زنى بامرأة حرام أقامه الله من قبره عطشان با كاخز يناسود وجهه مظلم ، فى عنقه سلسلة من نار وسرايل على جسده من قطران ولا يكلمه الله ولا يزيه وله عذاب أليم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زنى بامرأة متزوجة كان عليها وعليه فى القبر عذاب نصف هذه الأمة ، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله عز وجل زوجها فى حسناته ويحمله ذنوبه ويسوقه إلى النار إذا كان ذلك بغير علمه ، فإن علم زوجها أن أحدا زنى بزوجه ويسكت حرم الله عليه الجنة ، لأن الله كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث الذى يدري القبيح على أهله ويسكت لا يدخل الجنة أبدا ، وإن سموات السبع تلعن الزانى والديوث » . وفى بعض الكتب المنزلة : أن أصحاب القروج الزانية يحشرون

ما يضر الذنوب لو أعتقتني رحمة لي فقد علاني المشيب

وقال يحيى بن الحسن رحمه الله : سمعت معروفا الكرخي رحمه الله عليه يقول : رأيت رجلا بالبادية شابا حسن الشباب وله ذؤابتان وعلى رأسه رداء قطن وعليه قميص كتان وفي رجله طاق نعل قال معروف فتعجبت منه في مثل ذلك المكان فسلمت عليه فرد علي السلام فقالت له من أين أنت ؟ قال : من مدينة دمشق ، قلت له ومتى خرجت منها ؟ قال ضحوة النهار فتعجبت منه وكان بينه وبين دمشق مسافة بعيدة ومراحل كثيرة ، قلت وأين تقصد ؟ قال مكة فعلمت أنه محمول بالغناية فودعته ومضى ولم أره حتى مضت ثلاث سنين ، فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر وإذا بالباب يطرق فخرجت فإذا هو صاحبي فسلمت عليه ، قلت : له أهلا ومرحبا وأدخلته المنزل فرأيت منقطعا والها حافيا حاسرا ، فقلت له : ما الخبر ؟ فقال يا أستاذ لاطفني حتى أذكر الشبهة فرماني ، فمرة يلاطفني ومرة يهددني ومرة يحبيني ومرة يكرمني فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه ثم ليغفل بي ما شاء . قال معروف فأبكاني كلامه ، فقالت حدثني ببعض ماجرى عليك منذ فارتقتي ، فقال هيها أن أيدي هو يريد أن أخفيه . ثم استفرغه البكاء ، فقالت وما فعل بك ؟ فقال جوعني ثلاثين يوما ، ثم جئت إلى قرية فيها مقشاة كم ، أخرجت الورق فقعدت آكل من الورق فنظرني صاحب المقشاة فأقبل يضربني على ظهري وعلى بطني ، ويقول يا لص ما أخرب مقشاتي غيرك وأنا منذ كم أركضك حتى وقعت عليك . والله لأعذبك أنواع العذاب فبينما هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعا وقلب السوط على رأسه . وقال له : ويلك تعمد إلى ولي من أولياء الله تعالى فتقول له يا لص وتضربه وتهينه ولم يأكل من مقشاة غير الورق ، قال فأخذني صاحب المقشاة وقبل يدي ورأسي واعتذر إليّ وذهب بي إلى منزله وأكرمني وأحسن إليّ وسبل مقشاته للفقراء والسالكين من أجلي ، فقلت له أنا من أصحاب معروف ، فقال صف لي معروفا فوصفتك له فعرفك فما استتم كلامه حتى دق الباب صاحب المقشاة ودخل إلينا ، وكان موسرا فخرج عن جميع ماله وفرقه على الفقراء وسحب الشاب سنة ثم خرجا إلى الحج فحجا واعتمرا وماتا جميعا ودفنا بالمعلاة من مكة رحمهما الله تعالى :

يوم القيامة وفروجهم
توقد ناراً ، ويحشرون
وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم
تسحبهم الزبانية وتنادي
عليهم : يا معشر الناس
هؤلاء الزناة قد جاءكم
مغلولة أيديهم إلى أعناقهم
توقد فروجهم ناراً ،
فيتفجرون عليهم فتفجح
النار من فروجهم روائح
مفنة ، فتقول الزبانية
هذه روائح فروج الزناة
الذين زنوا ولم يتوبوا
فالعوهم لعنهم الله تعالى
فلا يسبق عند ذلك بار
ولا فاجر إلا قال اللهم العن
الزناة ، وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « ليلة
أسرى بي إلى السماء رأيت
رجالا ونساء محبوسين مع
العقارب والحيات ،
العقارب تلدغهم والحيات
تنهشهم ، فوضع كل قبلة
جرت بينهما ندمهم العقارب
بمقارنتها ، وفي كل مقارة
من مقارنتها راوية سم
تفرغ في لحم من تقرصه
يسيل من فروجهم الصديد
يصيح أهل النار من نته
وهم معلقون بشعورهم .

الله حسبي في الأكوام آيات
انظر إلى كل مخلوق تعالينه
جمع وفرق وصفو بعده كدر
تصريف رب حكيم مالك صمد
لله أيام أنس قد صحبت بها
قوم مضوا كانت الدنيا بهم نزا
ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتهم
هم الأجنة إن ماتوا وإن رحلوا
أضحت أحاديثهم ما بيننا سمرا
أخي فبادر إلى زاد تحصله
وكم سرررتني من بعده حزن
يارب صل على أعلى الورى شرفا
وآله وعلى الأصحاب كلهم
فيها لمعرفة الرحمن إثبات
إذ تعتربه من التغير حالات
قرب وبعد وإعراض وإخبات
وكل فعل له في الأوح ميقات
قوما هم في سلوك الحق سادات
والدهر كالعيد والأوقات أوقات
ونحن في صور الأحياء أموات
على مضاجعهم منا التحيات
وذكر أوقاتهم للقلب أقوات
ولا تسوق فللتأخير آفات
وكم أنت بعد أحزان مسرات
محمد ماعلت بالذكر أصوات
مني السلام عليهم والتحيات

[ومن دعائه رضي الله عنه] : اللهم يامن وفق أهل الخير لأخبر وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعاننا عليه . وجاء رجل إلى معروف رحمه الله ، فقال ادع الله أن يلين قلبي ، فقال : قل ياملين القلوب لين قلبي قبل أن تلينه عند الموت . قل سرى السقطى رحمة الله عليه هذا الذي أنا فيه مانلتسه إلا ببركة معروف الكرخي رضي الله عنه . وذلك أني انصرفت مرة من صلاة العيد فرأيت معروفا ومعه صبي أشعث وهوباك مكسور القلب ، فقلت مالي أرى معك هذا الصغير يا كيا ؟ فقال لي رأيت الصبيان يلعبون وهذا الصبي واقف مكسور القلب لا يلعب معهم فسألته فقال لي أنا يتيم مات أبي ولم يخلف لي شيئا وليس معي شيء اشتري به جوزا ألعب به مع الصبيان ، فأخذته معي لملي أجمع له نوى يشتري به جوزا يلاعب به . فقلت له أعطني إياه أغير من حاله ما تشعث قال أو تفعل ؟ قلت نعم قال خذه أغني الله قلبك بالإيمان وعرفك الطريق إليه في السر والاعلان . قال السرى فأخذت الصبي ومضيت به إلى السوق فكسوته كسوة حسنة واشتريت له جوزا فلاعب به مع الصبيان نهاره فقالوا من فعل بك هذا المعروف ؟ فقال سيدي السرى ومعروف فلما مضى الصبيان أتى إلي وهو فرحان فقلت له كيف كان يومك ؟ فقال ياعم كدوتني من ملابس الاحسان وفرحتني بين الصبيان وجبرت قلبي بعد الكسر والأحزان فآله تعالى يحبرك بين يديه ويفتح لك طريقا إليه . قال فسررت بذلك سرورا شديدا وجددت لي بالفرح عيدا جديدا .

كرر حديثهم فما أحلاه وألذه عندي وما أهناه
روح به روحي وحدث عنهم فحديثهم للقلب ما أشناه
بالله واهتف مرة أخرى بهم ففسي ينال الصب منه مناه
ولنا رموز ليس يعرف ترحها إلا الذي نشر الهوى وطواه
ولقد تنادينا بكل لطيفة سرا ولم تتلفظ الأنواء

[قال عامر بن عبد الله الكرخي رحمه الله] كان بجواري رجل نصراني . فبينما أنا ذات يوم في منزلي : إذ به قد أتاني وقال لي يا أبا عامر إن لي عليك حق الجوار . وأنا أسألك بحق خالق الليل والنهار إلا ما مضيت بي إلى ولي من أولياء الله الأبرار ليدعولي أن يرزقني الله ولدا فقلبي إليه بالأشواق وفي كبدي منه لوعة واحتراق . قال فأخذته ومضيت به إلى معروف الكرخي رحمه الله عليه فأخبرته بأمره فدعاه معروف إلى الألام . فقال له يا معروف إنك لن تقدر على هدايتي إلا أن تهديني العلام . وأنا أسألك الدعاء فيما جئت فيه والسلام فرفع معروف يديه وقال : اللهم إني أسألك أن ترزقه ولدا يكون بارا بوالديه ويسكون إسلامهما على يديه فاستجاب الله له ورزقه ولدا فاق بكمال عقله على أهل زمانه وعلا بنجاسته على أبناء جنسه وأقرانه . فلما كبر أتى به أبوه إلى معلم دينهم ليعلمه كتابهم ويوضح له أسبابهم فأجلسه المعلم بين يديه ودفع الأوح إليه وقال له قل قال : وما أقول ؟ ولساني عن تليثكم معقول وقلي بحب ربي مشغول فقال له المعلم يا بني ما عن هذا سألتك فقال عم سألتني ؟ قال سألتك عما جئت إلى تعلمه وأتيت تتفهمه فقال له علمني شيئا يقبله عقلي ويدركه ذهني ونقلي : فقال قل يا بني ألف فقال الصغير : ألف الوصل ألقت كل قلب لحبيب صفاته أزيله فقال له المعلم يا بني قل باء فقال : باء عين البقاء أحيا نفوسا لم يدع حبه لها من بقيه فقال له المعلم يا بني قل تاء فقال : تاء توق القلب يكشف عنها كل شك تكون منه بربه فقال له المعلم يا بني قل ثاء فقال : ثاء ثوب الثياب ثبت قوما قد ثووا في المقاعد العنديه فقال له المعلم يا بني قل جيم فقال : جيم نور الجلال تجلي عليهم في تجليه بكرة وعشيه

قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هم الزانون والزانيات
نعوذ بالله من فعل أهل النار ومن غضب الجبار
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صافح امرأة حراما : أي أجنبية جاء يوم القيامة ويده مغולה إلى عنقه بسلسلة من نار ، فإن رزى بها نطق فغده بين يدي ربه يقول ففعلت كذا على كذا في موضع كذا في شهر كذا وكذا فيقع لحم وجهه ويبقى وجهه عظاما بلا لحم فيقول الله عز وجل للحم ارجع باذني ، فيرجع باذنه ويبقى وجه الزاني أشد سوادا من القطران فيكابر الزاني ويقول : ما عصيت قط يارب . فيقول الله سبحانه وتعالى للسان اخرس فيخرس اللسان ، فعند ذلك تطلق الجوارح فتقول اليد : إلهي إني للحرام تناولت وتقول العين وأنا للحرام نظرت وتقول الرجل وأنا للحرام مشيت ويقول الفرج وأنا للحرام فعلت ويقول

فقال له المعلم يابني قل خاء فقال : خاء حمد الإله أحمى قلوبا خفاها من الخصال الدنية
فقال له المعلم يابني قل خاء فقال : خاء خوف الإله أذهب عنهم كل حزن لهم وكل رزبه
وما زال المعلم يلقيه حرفا حرفا وهو يحنيه عنها بكلام منظوم مقفى إلى أن ذهل عقل المعلم ووجد
في قلبه مما سمعه منه انتعاش ، وعلم أن كل دين غير دين الاسلام لاش ، قال له المعلم شاباش لك ياموحد
المحبوب شاباش :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى إلى غير بابيه وضل الذي يوما إلى غيره يدعى
هو القصد لاشيء سواه فمن سعى إلى غير ذلك القصد يا خيبة السعى
هو للماجد البر الرحيم وغيره من الناس لا يستطيع ضرا ولا نفعا
يرى العبد يعصيه ويستر ذنبه ويرزقه من غير ما أنه يسعى
يعامل بالغفران والصفح من عصى ويوصل من يستوجب المحر والقطعا
فسبحانه لا رب في الكون غيره يحب الذي يلقي إلى نوله السمعا

قال فلما سمع المعلم كلامه الذي سبب عقله وشجاء علم أن ما أنطقه إلا الذي خلقه وأنشاه ، فقال
عند ذلك في سر نجواه : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أخذ الصبي وألصقه
إلى أبيه ، فله رآهما أبوه قد أقبلا صار وجهه بالبشرمهالا ، فقال للمعلم كيف وجدت ولدى في كانه
وفطنته ، فقال له المعلم اسع إلى مقالته ، ثم عرض عليه القبال ، فقال أبوه ولدى يغيث المضطر
والملهوف مانال ولدى هذه المنزلة لا يبركة دعوة معروف ثم قال : الحمد لله الذي أقفنا بك يابني
من الضلال بعد أن كنا على أسوأ حال ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
ثم أسلت أم الصبي وكل من في الدار وكسروا الصليب وقطعوا الزنار وأتقدهم الله بدعوة معروف
من النار :

ما مضى لا يعاد منكم فإنما قد عفونا عما مضى واصطلحنا ابشروا بالمنى فان حمانا
من أتاه ينال ما يمتحنى فاز من جاءنا بذل وأضحى من جميع الأنام أعلى وأغنى
والذى جاءنا بزهو وعجب خاب في الناس سعيه وتعنى كم عزيز وفى حمانا مدلا
حجبه أبهى الشقاوة عنا والذي جاءنا باخلاص قلب حاز فضلا ونال عزا وأمنا

[قال أحمد بن العباس رحمة الله عليه] خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلني رجل عليه أثر
العبادة ، فقال لي من أين خرجت ؟ قلت من بغداد هاربا لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخطف
بأهلها ، فقال ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة رجال من الأولياء هم حصن لهم من جميع البليات ،
قلت فمن هم ؟ قال أحمد بن حنبل ومعرف الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار فرجعت وزرت
تلك قبور ، وحصل لي أمر عظيم من الفرح والسرور :

لأحمد أوصاف وبالعالم اشهر ومعروف لانتساء فيمن قد انحصر
وبشر ومنصور ولاسيا هما لهم أعين في الليل ماملت السهر

[وقال أبو الفتح بن بشر رحمة الله عليه] رأيت بشرا في منامى في بستان وبين يديه مائدة
فقلت له أبا نصر ما فعل الله بك ؟ قال رحمني وغفر لي وأياخني الجنة بأسرها ، وقال لي كل من جميع
ثمارها ، واشرب من أنهارها ، وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا
قلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ قال هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن

الحافظ وأنا سمعت ويقول
الآخر وأنا كتبت وتقول
الأرض وأنا نظرت .
فيقول الله عز وجل وأنا
وعزني وجلالى اطلعت
وسترت : ياملائكتي خذوه
وفي عذابي ألقوه ومن
مسخطى أذيقوه فقد اشتد
غضبي على من قل حياؤه
فاستيقظ يا صاحب الزلل
والعوب ، من يستغفر
عنك بعد الموت ومن
يتوب ؟ . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « إن
الله عز وجل يحب من
عبده أن يراه متضرعا بين
يديه راغبا بالدعاء إليه إن
سأله أعطاه وإن دعاه لباه
ألا وإن الله سبحانه وتعالى
يقول : أنا حبيب التواابين
وأنا ماجأ للقطيعين وأنا
غيث المستغيثين من هو
الذى سألتني غييته ، ومن
ذا الذى تاب إلى وما قبلته
ومن ذا الذى قصدني فما
أعطيته أنا الكريم ومنى
الكريم ، وأنا الجواد ومنى
الجود أعطى من سألتني
ومن لم يسألني ما عنى باني
مهرب للخطائين ثم قرأ

كلام الله تعالى غير مخلوق ، قلت له : فما فعل الله تعالى بمعروف الكرخي ؟ فترك رأسه ، وقال هيهات حالت بيننا وبينه الحجب : إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه فرفعه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى ورفع الحجب بينه وبينه فمن كانت له إلى الله تعالى حاجة فليأت قبره وليدع فانه يستجاب له إن شاء الله تعالى :

معروف كل الوري لاشك تعرفه بالبر والخير والانعام توصفه
لقد أتى وله علم ومعرفة وخدمة في جنان الخلافة توقفه

[قال محمد بن عبد الرحمن الزهري رحمه الله عليه] سمعت أبي يقول : قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج . وقال يحيى بن سليمان كانت لي حاجة ، وقد تعسرت علي فأتيت قبر معروف فقراءت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات ، وأهديتها له ولأموات المسلمين ثم ذكرت حاجتي فما رجعت إلا وقد قضيت حاجتي . وقال أبو بكر الخياط رحمه الله : رأيت كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الرياحين ، وإذا بمعروف قائم فيما بينهم يذهب ويحيى فقلت له يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أليس قد مت ؟ قال بلى . ثم أنشأ يقول :

موت التقى حياة لانقاد لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء
ما الفخر إلا لأهل العلم انهمو على الهدى لمن استهدى أدلاء
ماتوا وعشاقهم عاشوا بموتهمو ونحن في صفة الأموات أحياء

[وأما تاريخه] فقال أبو بكر العجوري رحمه الله : سمعت ثعلبا يقول مات معروف الكرخي رحمه الله سنة مائتين ، قال أبو القاسم النضري من بني نصر بن معين قال : حدثني أبي قال بلغني أنه صلى على معروف ثلثمائة ألف إنسان ، قال عبد الرحمن بن محمد الوراق جاء رجل من أهل الشام إلى معروف الكرخي فسلم عليه وقال له إني رأيت في المنام يقال لي اذهب إلى معروف الكرخي فسلم عليه فانه معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء . وبلغني عن بعض القدماء أنه قال مات أخ لي فرأيت في المنام بعد عام ، فقلت له يا أخي ما فعل الله بك ، قال الآن أعنتت ، دفن عندنا معروف الكرخي فأعتق عن يمينه ثلاثون ألفا ، وعن شماله ثلاثون ألفا ، ومن بين يديه ثلاثون ألفا ، ومن خلفه ثلاثون ألفا :

سلك طريق الفقر ظنا بأني
وددت على حسن العبادة عاكفا
ولم أجد يوما للخلائق قصي
فما صح لي فقر ولا صح لي غني
فلم أر لي كالمصالحين وسيلة
رجال إذا ما طبق الأرض حادث
هم العروة الوثقى وهم أنجم الهدى
إذا وجدوا في الوقت كانوا طرازة
صفاتهم أسنى من الشمس في الضحى
فيارب وقفنا كما قد منحتم
وهبنا لهم إذا الجلال فانتا
وليس لنا من شافع غير سيد

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين)

الباب الرابع

في عقوبة اللواط

قال الله تعالى (أتأتون
الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم ربكم
من أزواجكم بل أنتم قوم
عادون) وقال عليه الصلاة
والسلام « من عمل عمل
قوم لوط فاقتلوا الفاعل
والمفعول به » . قال ابن
عباس رضي الله تعالى
عنهما : حدث اللواط أن
يرى صاحبه من سطح
شاهق عال ، ثم يرى
بالحجارة حتى يموت ، لأن
الله تعالى قد رجم قوم لوط
بالحجارة من السماء ، ولو
اغتسل الذي يفعل اللواط
بماء الأرض جميعا لم يزل
نجسا حتى يتوب ، لأن
الشيطان إذا رأى الله كره
على الله كره هرب خشية
العذاب ، وإذا ركب
الله كره على الله كره اهتز
العرش وتكاد السموات
أن تقع على الأرض فتمسك
الملائكة بأطراف السموات

أوافق بشرا أو أصاحب معروفا
وأصبح حسن الظن حولي معكوبا
وما زلت في ثوب الصيانة ملفوفا
بل ازددت في علم التقلب تعريفا
ألك الوري عرفا وأطيب معروفا
رموه بصدق العزم فأنجذب مكشوبا
بهم يذهب الله المصائب تلطيفا
وقد طرزو من قبل ذلك التصانيفا
وأحسن من در القلائد مصفوفا
ووقعهم كى لانحاول تحريفا
أتيناك نخشى منك زجرا وتخويفا
به الضرعنا عاد في الحشر مكشوبا

رسول الهدى جالى الصدا كاشف الردى أنلنا به يارب فى الحشر تخفيفا
عليه صلاة الله مامرت الصبا وزاد حماه من عطاياء تشريفها

المجلس الخامس والثلاثون

فى ذكرى الأولياء والأبرار والصالحين والأخيار

الحمد لله الذى خص بحسن اصطفاائه خواص أوليائه الأبرار، وأسرى بأسرارهم فى ليل نيل
أوطارهم إلى عالم الأسرار، قاموا بواجب حقه فجعلهم أمناء على خلقه العبيد منهم والأحرار، ترفع على
أيديهم قصص السائلين وتغفر بركاتهم للخاطئين الذنوب والأوزار، فهم بأمره متصرفون فى البلاد
لمصالح العباد البادين منهم والحضار، فمنهم النقباء والأبدال، ومنهم النجباء والرجال، ومنهم الأقطاب
الأخيار، ومنهم الغوث الذى يسقى به الغيث وتدرى بركاته الضروع والزرع والثمار، فالنقباء سبعون
وهم بمصر دون سائر الأمصار، والأبدال أربعون: وهم بالشام كالشامة الواضحة لدوى العرفة
والاستبصار، والنجباء ثلثة: استخلفهم بالغرب للقيام بالحرب فهم لدينه حماة وأنصار، والرجال
عشرة وهم بالعراق وشراهم قد راق وصفا من الأكراد، والأقطاب سبعة أركنهم بالأقاليم السبعة
لمنافع العباد فى سائر البلاد والأقطار، والغوث واحد قد أقامه بمكة المشرفة المعظمة الذكر والمقدار،
فهؤلاء أمناء سره المصون، وخزان علمه المسكون، إلى حين انقضاء الأعمار، فلولوا وجودهم لغايت
العيون والأنهار، ولولوا ركوعهم وسجودهم لارتفعت الأمطار، وتغطت الأرض من الزرع والثمار،
فهم فى دائرة إرادته ليس لهم عن مراقبة حضرته غفلة ولا قرار. إذا غلقت للملوك أبوابها رفعت لهم
الأكستار، وإذا أرخت السلاطين حجابها تجلى لهم الواحد النهار، فلو احتجب عن أحدهم طرفه عين
لدكت الجبال وزلزلت الأقطار، ونادى قتيلى الوجد منهم بلسان الاشتياق والاشتهار:

[كان وكان]

من ذا الذى فى الحضرة	يشرب بكاسات الصفا	من صرف صافى المحبة	ويستطيع قرار
قوم تراهم نشاوى	من وجدهم بحبهم	وهم حيارى سكارى	من غير شرب خمار
لهم حقائق رقائق	على الخلائق تعجب	محلها من بوارق	خوارق الأفكار
هبت عليهم نسيمه	فاستشققوا من نشرها	طافت سحيرا ومنها	تنسموا الأخبار
وحين وافت وطافت	تفردوا وتجردوا	عن الوجود وولوا	عن سائر الأغيار
قلوبهم معمورة	بحب مولاها	فلا يضربهم فى الظاهر	ملابس الانكار
فازوا بما قد حازوا	من الكارم والنهى	وأحرزوا بالعناية	نهاية الأوطار
نالوا لنا والحظوة	بقربهم عند الملك	وخصهم بالجلاوة	فى خلوة الأسرار

فسبحان من قرب أقواما لحضرته وحجبه عن الأغيار، وأبعد آخرين فضربهم بسيف البعد
والإتهار، نصب فنج المحبة للصيد فعلق بحبل حبه الجنيد، فحصل له العز والفخر، وأرسل عقبات
التوفيق إلى شقيق خذبه بزيق التمزيق والافتقار، ومن باليزيد على أبى يزيد فزيم التجريد وطلب
الزيادة والإكثار، وجاد بالمعروف على معروف فعمر قلبه بالمعرفة والاستبصار، وتفضل على الفضيل
فشمر فى الخدمة الذيل وأدلى فى طلبه وسار، وسقى صرف الزاج للحلاج فسكر وهاج وباح بالأسرار
ونادى بلسان وجده، وقد خرج عن حده ولم يطق اصطبار.

[كان وكان]

ويقرءون (قل هو الله
أحد) حق يسكن غضب
الجبار، وروى عن عيسى
عليه السلام أنه دخل على
نار توقدت على رجل فى
البرية، فأخذ عيسى ماء
ليطفئها عنه فانقلبت النار
غلاما وقلب الرجل فىكى
عيسى عليه السلام وقال
يارب ردّهما إلى حالهما
الأول حتى أرى ما ذنبهما؟
فانكشفت تلك النار عنهما
فإذا هما رجل و غلام.
فقال الرجل يا عيسى أنا
قد كنت فى دار الدنيا
مبتلى بحب هذا الغلام،
فجاءنى الشهوة إلى أن
نعلت به ليلة الجمعة ثم
فعلت به يوما آخر، فدخل
علينا رجل فقال لنا:
يا أوليكم اتقوا الله فقلت
له أنا لا أخاف ولا أتقى
فلما تم ومات الغلام صيرنا
الله عز وجل نارا فيحرقنى
مرة ومرة أصير نارا
فأحرقه، فهذا عذابنا
إلى يوم القيامة. نعوذ بالله
من النار ومن غضب الجبار
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « سبعة يلعنهم

إذا الذي قد سقاني من صرف كاسات الهوى وقال لي لاتغنى فتهتك الأستار
ولوسقى فرد قطره مما سقاني للجبل غنى وصاح وأضحى بين الجبال غبار
القوم دارت عليهم في الليل كاسات الصفا فأصبحوا في البرايا سكرى بغير خمار
منها الجنيد تروى وبشر بشر بالفرح ومن سناها الشبلى بدت له الأنوار
وكم كتم ابن أدهم حاله وذو النون اختفى فصار بين الندامى معروف بالاشهار
قوم دعوا فأجابوا وطهروا أسرارهم وأخلصوا في الحبه لعالم الأسرار
فهم رجال الحقيقة وهم ملوك الآخرة وهم شيوخ الطريقه لهم سما المقدار
يا فوز من كان سالك طريقهم أو يقتدى أو يهتدى بهدهم ويتبع الآثار
بهم عن الخلق تدفع كل البلايا والمحن لولا سناهم لكنت تزلزل الأقطار
فهم طراز الدنيا وهم شمس للهدى بهم ترى الأرض تنبت وتنزل الأمطار
قوله عز وجل (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال ابن عباس رضى الله عنهما

لاخوف عليهم في الدنيا ، ولا هم يحزنون في الآخرة ، بل يتلقاهم مولاهم بالرحب والتكريم ،
ويعطيهم العيم القيم . وعن أنس بن مالك رضى عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر
الناس إلى ظاهرها ، واهتموا بأجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فأماوتوا منها ماخشوا أن يمتهم
وتركوا منها ما علموا أنه سترتهم ، فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولا خادعهم من رفعها
خادع إلا وضعوه . خلقت الدنيا عندهم فما يجدونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في
صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها ، فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها ، فيشترون بها مايبقى لهم ، نظروا
إلى أهلها صرعى قد خلت بهم الثلاث فما يرون أمانا دون مايرجون ، ولاخوفا دون مايمجدون » :

قوم جفوا لذة دنياهم وآثروا خدمة مولاهم
فلا قرار منهم دونه ولا جنود النوم تغشاهم
واصلهم والناس في غفلة عنهم وقد أكرم مثواهم
فهو ولي لهم دائما أكرم أولاهم وأخراهم

[وقال ابن ظفر رحمه الله عليه] دخل أبو يزيد البسطامي رحمه الله عليه الكتاب وهو صغير
فلما وصل إلى قوله تعالى (يا أيها المزميل قم الليل إلا قليلا) قال لأبيه طيفور بن عيسى : يا أبت
من ذا الذي يقول له الحق سبحانه وتعالى هذا الخطاب ؟ فقال يابني ذاك محمد صلى الله عليه وسلم . فقال
يا أبت مالك مات فعل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يابني أمرخص به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم خفف عنه في سورة طه . فلما وصل إلى قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أذنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) قال يا أبت انى أسمع أن طائفة كانوا يقومون
من الليل ، قال أبوه نعم أولئك أصحابه صلى الله عليه وسلم ، قال يا أبت فأى خير في ترك شيء فعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ قال فكان أبوه بعد ذلك يقوم الليل كله فاتتبه أبو يزيد ليلة
فقال يا أبت علمنى أصلى معك . قال : يابني ارقد فانك صغير بعد . فقال : يا أبت إذا كان يوم
يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وقال لي ربى ما فعلت ؟ أقول لربى قلت لأبى علمنى أصلى معك
فقال لي ارقد فانك صغير بعد ، فقال أبوه : لا والله ما أريد أن تقول ذلك ، ثم علمه يصلى فكان
بعد ذلك يقوم الليل ويصلى غلبه :

الله سبحانه وتعالى ولا
ينظر لهم يوم القيامة
ويقال لهم ادخلوا النار
مع الداخلين : الفاعل
والفعل به في عمل قوم
لوط ، ونالك الأم وبنيتها
والزاني بامرأة جاره ،
ونالك المرأة في دبرها ،
ونالك يده إلا أن يتوب
ومؤذى جاره « قال سليمان
ابن داود عليه السلام
لابليس لعنه الله : أخبرنى
أى الأعمال أحب إليك ؟
قال ابليس ليس لى شيء
أحب إلى من اللواط ولا
أبغض إلى الله عز وجل
من أن يأتى الرجل الرجل
والمرأة المرأة وليس شيء
أحب إلى من ذلك . قال
سليمان لابليس ويلك ولم
ذلك ؟ قال لأنه ليس أحد
يعتاده ولا يكاد يصبر عنه
ساعة لأن الله سبحانه وتعالى
يغضب عليهم غضبا شديدا
ومن اشتد غضب الله عليه
يحجبه عن النوبة . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اللعب بالزرد من
عمل قوم لوط والمخارشة بين
الحجير والمخارشة بين

أيها القامون في حنّس الليل وقد أسدلت ذبول الظلام
قد وصلتكم حتى الوصال فطيّبوا وانزلوا وابشروا بكل مرام
هذه دارنا ونحن كرام ربحتم عندنا ضيوف الكرام
إن طلبتم قرى وجدتم لدينا كل ما تشتهى نفوس الأنام
قد رفعنا حجابنا فاشهدونا وادخلوا خلوة الرضى بسلام

فله در أقوام مازالت نياق وجدهم تسرى في ليل نيل قصدهم حتى بلغوا المنزل وحصلت لهم
العناية . وكان عمر بن عبدالعزيز يأتي المساجد المهجورة في الليل فيصلي فيها ما يسره الله عز وجل فإذا
دخل وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل يبكي إلى طلوع الفجر ،
فلما كان بعض الليالي فعل ذلك على العادة ، فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرعه وجد رقعة
خضراء قد اتصل نورها بالسما مكتوب عليها : هذا براءة من النار من الملك العزيز ، لعبده عمر
ابن عبد العزيز :

طلعت شمس طويلع في الهنا وحني على محجب بالمنحني
وحني على فقري إليه وذلق متعظا متلظفا متحننا
هبت نسيمه قربه لمحبه فكسا الوجود بها المهابة والسنا
رفع الحجاب عن الجمال وقال لي بتلطف أهلا بطارق حينا
وغدت على لطائف موت قربه وأنالي ما أرتجيه من المنا

[وقيل] سعد بن عمار الواعظ يوما منبره بالعراق فأخذ في الواعظ والتخويف والزجر
والتعنيف ، حتى كادت النفوس تهيم قلقا وتموت فرقا ، وكان في المجلس شاب مسرف على نفسه خائف
من حلول رmse ، فانصرف وقد أثرت المواعظ في قلبه ، وندم على ما كان من ذنبه ، وأتى إلى أمه فقال
لها يا أماه : دونك وما تريد من كسر لحو الشيطان وما كنت أعددت لمصيبة الرحمن ، وأخبرها
بحضوره مجلس بن عمار وما حصل له من الندم على الذنوب والأوزار ، فقالت يا ولدي : الحمد لله الذي
ردك إليه ردا جميلا ، وأنت ذلك من ذنوب كنت بها عليلا ، واني لأرجو أن يكون الله تعالى قد رحمك
بيكافي عليك ، وقبلك وأحسن اليك ؟ فكيف كان حالك يا ولدي عند سماع الموعدة ؟ فأشد :

شمرت للتوبة أذبالى وصرت ذا طوع لعذالى لما دعا الواعظ قلبي إلى
طاعة ربى انحل أفضالى يا أم هل يقبلني سيدي على الذى قد كان من حالى
واسوأنا إن ردتني خائبا أو صد عني إقبالى

ثم أقبل الفتى على صيام النهار وقيام الليل حتى نحل جسمه وذاب لحمه ودق عظمه واصفر لونه
فأنته أمه بقدر فيه سويق ، وقالت له : أقسمت عليك يا بنى بالله إلا ما شربته فقد أجهدت نفسك .
فلما صار القدر في يده جعل يبكي ويضطرب ويذكر قوله تعالى (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) ثم صرخ
صرخة عظيمة وخر ميتا ، هذا والله مقام الخوف ، يا من ضيع زمانه في لعل وعسى وسوف :

على باب من أهوى يطيب التخضع وإن أكثر اللوام عذلا وأوسعوا
وفي حبه يحسوا غرام ولوعة ووجد وتبرج وشوق وأدمع
ويحمل تغفير الحدود على الثرى لمرضاته إن كان ذلك ينفع
ومن لم يخاطر في هواه بروحه فذاك برؤيا الحسن لا يتمتع
ومن كان مشتاقا محبا مولها حشاشته من شوقه تتقطع

الكلاب والمناطحة بين
الكباش والناقرة بين
الديوك ودخول الحمام
بلا مزر ونقص المكيا
وبخس الميزان ، كل هذه
أعمال قوم لوط ، ويل لمن
فعلها وذنهم الأكبر
اكتفاء النساء بالنساء
والرجال بالرجال « فلما
كشفوا إزار الحياء عن
رؤوسهم وبارزوا الله عز
وجل بالمعاصى فكسهم
الله عز وجل على رؤوسهم
وقلب مدائنهم : أى جعل
أعلاها أسفلها ورجعهم
بالحجارة من السماء . وقال
جعفر بن محمد رضى الله
عنه : إنه جاء امرأتان
قارئتان للقرآن ، فقالتا
هل في كتاب الله عز
وجل غشيان المرأة للمرأة
قال نعم كانوا على عهد تبع
فأهلك الله سبحانه وتعالى
قوم تبع بسبب ذلك ،
فأخبر الله عز وجل نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم
أنه صنع لمن جلبابا من
نار ودرعا من نار ونظا
من نار وتاجا من نار
وخفين من نار . وفي خبر

إذا قام في جنح الظلام مراقبا رأى النور من طور الأجرة يلمع
وناداه من بهواه فز بجبالنا فدونك عيشا لم يكن عنه مدفع
وشاهد جمالا لا يحد لواصف وبادر إلى رؤياه إن كنت تسرع
حُب ومحبوب وساعة خلوة وقرب ووصل ليس فيه تمنع

فيا أرباب المعاملة في ظلام الليل ، فسبحان من أقامكم وأقعدنا يامعشر التائبين ، سبحان من قرَّبكم
وأبعدنا (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله غني على من يشاء من عباده) .

[قال ذو النون المصري رحمة الله عليه] ضاق صدرى في بعض الأيام فخرجت أتمشى على شط
النيل : فمرَّ بخاطري العبور إلى ذلك الجانب فركبت سفينة وجعلت رأسى بين ركبتي فلم أرفعها حتى
توسطت البحر ، فلما رفعت رأسى رأيت عن يميني جارية ذات حسن وجمال ، وفي حجرها عود وبين
يديها خمر وعن يمينها شاب حسن الشباب نفى الأبواب ، فقلت في نفسي : يانفس بعد عبادة سبعين
سنة وقعت في هذه السفينة بين قوم خمارين يعصون الله بالأجهار ، فالتفت إلى الجارية ؟ وقالت لي :
ياشيخ تشرب شيئا ؟ فقلت : إن سقاني مولاى شيئا شربت ، فأشارت الجارية إلى الغلام أن املا
له الكأس واسقه فلا الكأس وأعطاني . فلما حصل الكأس في يدي لحقني وجد ، فقلت الجارية :
ياشيخ لم لاتشرب من شرابنا تريد أن أغنى لك حتى تشرب ، أو تغنى أنت لنا حتى نشرب ؟ فقلت :
بل أغنى لكم حتى تشربوا ، فقالت عن لنا حتى نسمع غناءك فأنشدت :

أحسن من قينة ومزمار في ظلمة الليل نعمة القارى يا حسن والجليل يسمعه
بحسن صوت ودمعه جارى وخده في التراب عفره وقلبه في محبة البارى
يقول ياسيدى ويا أهلى أشغلتى عنك ثقل أوزارى اغفر ذنوبى لأنها عظمت
ولم تزل يا جليل غفارى ذاك غدا في الجنان مسكنه بدار قدس بقرب جبار

يسكن مع زوجة تشاركه يا حسن مختارة لختار

فلما سمعت الجارية ذلك خرت مغشيا عليها ، فلما أفاقَت خلعت ما كان عليها من الديباج وكسرت
العود ورمت بالبحر إلى البحر وقالت ياشيخ إذا تبت إليه يقبلنى ؟ قال نعم ، هكذا قل في محكم
الآيات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) فكشفت رأسها وقلت يدي ،
وقالت : ياسيدى أنت كنت السبب في المصالحة فأسأله لى فيما مضى العفو والمساخة . قال ذو النون
المصري : ثم نزلنا من السفينة وتفرقنا فلم أرها بعد ذلك . فلما كان في بعض السنين حججت إلى
بيت الله الحرام فينا أنا أطوف بالبيت وإذا أنا بجارية شفاء وهى متعلقة بأستار الكعبة تبكى وتتضرع
وتقول : إلهى بسكرى البارحة وبخارى إلاما غفرت اليوم أوزارى ، فقلت : مه يا جارية في مثل هذا
المقام تقولين هذا الكلام ؟ فقالت إليك عنى يا ذا النون : لما بت البارحة بكأس الهوى مسرورة ،
أصبحت اليوم بحب مولاى مخمورة ، فقلت لها : من أخبرك أنى ذوالنون ، فقالت ياشيخ : أنا
الجارية التى تبت على يديك في نيل مصر . فقلت : وأين ذلك الحسن والجمال ، فأنشدت :

ذهبت لذّة الصبا في المعاصى وبقي بعد ذلك أخذ النواصى
ومضى الحسن والجمال ومالى عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظنى بالله وهو جميل فيه أخلصت غاية الاخلاص

ثم قالت يا ذا النون كف مكانك حتى أعود ، فعابت لحظة ثم أقبلت ومعها طبق وعليه رطب
وتين وعنب في غير أوانه ، فوضعت بين يدي فاخيلج في قلبي أنى بعد عبادة سبعين سنة لم أصل إلى

آخر « أن المرأة إذا
ركبت المرأة يأمر الله
سبحانه وتعالى ملكا أن
يصنع لمن جلبابا من نار
ودرعا من نار وخفا من
نار ومن فوق ذلك كله
حاق من نار ملى عقارب
وإتيان المرأة في دبرها
أعظم اللواط لا يفعله إلا
كافر » وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لعن
الله بيتا يدخله مخنث »
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم « لعن الله المخنثين
من الرجال والمترجلات
من النساء » وقال صلى الله
عليه وسلم « من مات
وهو يعمل عمل قوم لوط
لم يلبث في قبره أكثر من
ساعة ، ثم يبعث الله عز
وجل إليه ملكا هيئته
كهيئة الخطاف فيخطف
رجله ويطره في بلاد قوم
لوط فيقذف معهم في النار
ويكتب على جبهته آيس
من رحمة الله تعالى »
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « يؤتى يوم
القيامة بأطفال ليس لهم
رؤوس ، فيقول الله

ما وصلت إليه هذه الجارية ، فقالت لى ياشيخ : لما تبث إليه ، واعترفت بين يديه ، رزقنى صدق التوكل عليه ، ثم أنشدت :

عش غريبا ولا تذلل لحاق واطلب الرزق فى بلاد الحبيب ثم سر فى البلاد شرقا وغربا
وتوكل على القريب الحبيب فعسى أن تنال ما ترجيه بيد اللطف من مكان قريب
قال ذو النون : ثم التفت فلم أرها . هذه والله صفات التائبين ، وهذه علامات المقرّبين :

* إن لله عبادا طلقوا الدنيا وهاموا فله ذلوا فعزوا وله صلاوا وصاموا
هجروا الأهل وساحوا وعلى الأوراد داموا فاذا ما رقد النسا س ونام الخلق قاموا
فلهم فى الليل أحوا ل إذا جن الظلام وعلى الأفواه منهم حذر اللهو لجام
ركوا الشهوة زهدا وسواهم مستهام فهى للعالم حل وعلى القوم حرام
أخلصوا فى الحب لله وعلى الخير أقاموا فعلى الدنيا إذا لم يوجدوا فيها السلام
يا هذا لا تبرح عن الجنب ولو طردت ، ولا تزل عن الباب ولو منعت :

[قيل] إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة التى نهى عنها ونسى عهد ربه سقط عنه لباس الجنة واستوحش منه كل شىء فيها ، فولى هاربا ، فجعل يستتر بورق الجنة ، فناداه ربه جل جلاله أنفر منى يا آدم ؟ قال لا يارب ، ولكن حياء منك . فقال له الله تعالى : أما خاتمتك بيدي ، أما أسجدت لك ملائكتي ؟ أما نفخت فيك من روحي ؟ أما أسكنتك فى جوارى ؟ أما أبحتك جنتي ، أخرج من جوارى فلا يجاورني من عصائي ، فبكى آدم عليه السلام ماشاء الله ، ثم قال : إلهي ان لم ترحمني أنت فمن يرحمني ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن قل : سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عمات سوء وظلمت نفسي فتب على إنيك أنت التواب الرحيم ، فهذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، هذا قول مجاهد وجماعة من المفسرين :

وإنا ليرضيها رجوع وصالحكم فردوا لنا ذاك الوصال كما كانا
وكنا نعطى فى الدنو غرامنا ونكنم مانلقى فقد كان ما كانا

[وعن كعب الأحبار رضى الله عنه] قال : إذا كان يوم القيامة تخرج نار من قعر بحر عدن تسوق الناس جميعا إلى الموقف ، فبينما هم سكارى حيارى عطاشى مروءعين من هول الموقف إذ تجلى الحق سبحانه وتعالى فتشرق الأرض من نوره فينظر الخلائق بعضهم بعضا وتنظر الوالدة إلى ولدها الذى كانت تشفق عليه فى دار الدنيا فتعرفه فتناديه : يا ولدى أما كان بطنى لك وعاء ، أما كان حجرك لك وطاء ، أما كان يدي لك سقاء ؟ فيقول : يا أماء ما الذى تريدن ؟ فتقول قد أثقلتني ذنوبي فتحمل عني منها ذنبا واحدا ، فيقول : هيات كل نفس بما كسبت رهينة ، يا أماء إذا حملت عنك فمن يحمل عني ؟ فبينما هم كذلك إذا بمناد من قبل الحق ينادى يا فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله سبحانه وتعالى ، فإذا سمع ذلك النداء تغير لونه واضطربت جوارحه حياء من الله تعالى ، فإذا نظرت أمه إلى ما حل به من الوجع قالت له ما حالك يا ولدى ؟ فيقول يا أماء قد نوديت للعرض على الله عز وجل فكيف لى بالهرب منه ، أم كيف لى بالخلاص ؟ فبينما هما كذلك إذ أقبل ملكان يقبضان عليه ويحراثه فإذا نظرت أمه إليهما جذبتة إلى صدرها وغطته بشعرها ودفعت عنه الملكين بجهدهما فلم تقدر على دفعهما عنه ، فلما علمت أن لا طاقة لهما بهما بكت وقالت : والذى بعثني من مرقدى لو وجدت سبيلا لما مكنتكما منه ، ثم تودعه وهى تبكي وتقول : سألتك يا ولدى بالذى استدعاك للعرض عليه والحساب بين يديه إن أنت نجوت فلا تنسني فقد طال وقوفي وعظمت حسرتي

سبحانه وتعالى لهم وهو أعلم بهم من أنتم ؟ فيقولون نحن المظلومون . فيقول الله عز وجل لهم وهو أعلم بهم من ظلمكم ؟ فيقولون ظلمنا آباؤنا ، لأنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين فأتقونا فى الأدبار فيقول الله سبحانه وتعالى سوتوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمى » فاجتنب رحمك الله الإياس من الرحمة وتب إلى الله سبحانه وتعالى من الخطايا والعصيان قبل أن تنطق الجوارح فيخرج اللسان ويناديك بأسمائك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن . فتضرع أيها العبد العاصي إليه وتب من الذنوب بين ربه ، فانه كريم حلیم غفور رحيم .

الباب الخامس

فى عقوبة آكل الربا
نعوذ بالله من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى
(يا أيها الذين آمنوا
لاتأكلوا الربا أضعافا

واشتد كربي وعطشي . قال فيأتي به الملك الموكل بسدرة المنتهى ، فيقول له من أمة أنت ؟ فيقول أنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول له : طوبى لك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يزجه في النور فلا يدري أين يذهب يمينا أو شمالا أو خلفا أو أماما ، وإذا الداء من العلى الأعلى اثبت فأنار بك ، فسكن جوارحك وهدى قلبك ، فوعزتي وجلالي إني لأشفق عليك من أملك حين جذبتك إليها وضمنتك إلى صدرها . ثم يقول له عبدى اقرأ كتابك ، قال فيقرؤه فإذا مر بسبيته أخفأها وإذا مر بحسنة جهر بها ، فيقول الله تعالى : عبدى لم تجهر بالحسنة وتخفى السيئة فينبكى ويقول يارب تعلمت منك أنك تظهر الجميل وتستر القبيح .

أنت الذى لم تزل بالعفو متصفا تجود حلما على العاصي وتستره تخفى القبيح وتبدي كل صالحة وتغمر العبد إحسانا وتشكره

ثم يقول الله عز وجل : عبدى كيف أخفيت ذنوبك وعيوبك عن الخلائق وبارزتنى بها ، أما علمت أنى مطلع عليك وناظر اليك ، فيقول : سيدى وولائى مربى إلى النار ، فلا طاقة لى بالتوبىخ والعار ، فيقول الله عز وجل : إن أمرت بك إلى النار ، فأين جودى وكرمى وأين حلمى ومغفرتى ؟ ياملائكى انطلقوا بعبدى إلى جنتى بفضلى ورحمتى :

من ذاسواك يجود قبل سؤاله ويجود للعاصين بالغفران وإذا أنه الطالبون لعفوه غفر الذنوب وجاد بالإحسان

ثم يقول : إلهى وسيدى إن لى والدة كنت فى الدنيا تشاق إلى وتشفق على وقد رأتنى اليوم واستجارت بى وطمعت أنى أجبرها ، إلهى وسيدى إن كنت قد عفوت عنى فأجعلها موضعى وهى مكانى فلا طاقة لها بماهى فيه ، قال فيقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى ما فرقت بينكما إلا وقد رحمتكما ، ياملائكى انطلقوا بهما إلى جنتى وأنا أرحم الراحمين .

مازلت أعرف بالاساءة دائما ويكون منك العفو والغفران لم تنتقصنى إن أسأت وزدتنى حتى كان إسأتى إحسان تولى الجميل على القبيح تكرما أنت الكريم المنعم اللنان

يا هذا قف على الباب تكتب من الأحباب ، والزم الآداب تحشر مع الطلاب :

يا خجلة العبد من إحسان سيده يا حيرة القلب من أطفاف معناه فك أسأت وبالإحسان قابلى واخجلنى واحبائى حين ألقاه بلطفه وبفضل منه عرفنى فى حبه كيف أرجوه وأخشاه يا نفس كم بخفى اللطف عاملى وقد رآنى على ما ليس يرضاه يا نفس كم زلة زلت بها قدمى وما أقال عثارى ثم إلهو يا نفس توبى إلى مولاك واجتهدى وصبرى فيه إيقانا برؤياه يا نفس من متقذى يوم الحساب غدا سواه أو مشهدى إياه إلهو ومن قلب إذا جال العرام به إلا الذى جملة العشاق تهواه قم يا مشوقا إذا ما الليل جن تجدد قوماسكارى جيارى عند ذكره فى كل شئ له معنى تشاهده وكيف يبعدى عن بابى وإلى ولى شفيع إليه لا يرد وفى

مضاعفة . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله يعنى المرابى يحارب الله ورسوله والله يحاربه ، فويل لمن وقع الحرب بينه وبين الله عز وجل والحق غضبان عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة أسرى بى إلى السماء سمعت فوق رأسى رعدا وصواعق وبرقا ورجالا بطونهم بين أيديهم كالليوت تغلى حيات وعقارب تلوح الحيات فى بطونهم ، فقلت يا أخى يا جبريل من هؤلاء ؟ قال أكلة الربا » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل من الربا ولودرها واحدا فكأتمما زنى بأمة فى الإسلام » : وقال صلى الله عليه وسلم « أكلة الربا تصرعهم الزبانية كما يصرع الحموم » وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا ومطعمه لغيره وشاهده و كاتبه والواشمة والمستوشمة والمحلل والمحلل له ومانع الزكاة »

محمد المصطفى المختار من مضر من طبق الأرض طيبا عرف رياه
أموت شوقا ولم أحظى برؤيته واحسرتى فنى أحظى برؤياه
تالله ما في فؤادي قط جارحة إلا وذكراه فيها لست أنساه
صلى عليه إله العرش مطاعته شمس وغابت حياه من محياه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين .

المجلس السادس والثلاثون

في ذكر النيل المبارك

الحمد لله قاصم الجبابرة قهرا ، وكاسر الأكاسرة جبرا ، الذي فلق الحب وأثبت منه برا ، وأطلع
الأب وعده للأمنام برا (وخلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا) نطقت الكائنات بفضلته فلاغرو
أن فاهت الألسن بذكره شكرا ، (وسلكه ينابيع في الأرض) وقسمه بحكمته مداو جزرا ، فالأنهار
تتخرق ، والغدران تتدفق وجعل لكم نيلكم الآية الكبرى ، فهو أعجبها رفدا ، وأعذبها وردا ،
وأطيبها نشرًا ، وأوفرها وقرا ، جعله دالا على غريب قدرته ، وعجيب حكمته ، فسبحان من خص
به مصرًا ، فأعجب له من بحر هو في الحر في انقضاء ، وفي البرد في انتفاض ، فإذا غاض كل ماء
فاض ، وإذا أخذ الشتاء في الإعراض ، أتى هو بيلوغ الأغراض ، وملا ألقاب فرحا وبشرا ،
فكلما هاج لمفارقة خلجانه ، توحم توحم الغيور ، وماج بمجامل السرور برا وبحرا ، فتأمل كيف
أقبلت قوابل مقياسه في يوم نقاسه ، تعالج فتح رحم انحباسه ، فكلما تنفس نفسا من أنفاسه ،
ملا الوهاد مدا وذخرا ، رغم البلاد بطنا وظهرا ، وعم العباد طيبا ونشرا ، فكم جبر بكسر
خليجه كسرا ، ولكم أطلق بانطلاقه أسرى ، ولكم أبرد عند ورده كبدا حرا :

تراه إذا هبت به نسمة الصبا تجعده نظما وترسله ثرا
هو النيل إلا أنه عند نيله ترى كل قطر قد أسال به بحرا
يجود إذا سنّ السحاب بوبله فتتهزمنه الأرض إذا حمت وقرا
يفيض إذا غاض المياه كأنها يجدوله تسرى فسبحان من أسرى
حكى ملكا كل المياه رعية يفرقهم طورا ويجمعهم أخرى

فإذا أصبحت الرياض فقرا ، وشكت الحياض بعد غذاها فقرا ، وضجت عطاشها في الآفاق
سهلا ووعرا ، وقع غيث الإغاثة والإجابة على رقعة الإنابة : (إن مع العسر يسرا) وبعث من نيل
نيله نوالا مع الجاريات يسرا ، فأصبحت هنالك الأرض باسمه ثغرا ، ووجدت بعد اليبس خضرا ،
واكتسبت بعد الإفلاس حلا خضرا :

وجاد عليها النيل بالنيل فاغتدت بأزهارها تحكي السما أنجمها زهرا
لها كل عام كسوة بعد كسوة فأول ما يمدى لها الكسوة الخضرا

فسبحان من قدرته لاتضاهى ، وحكمته لاتباهى ، ونعمته لاتتناهى ، أوسع للمذنبين عفوا ، وأجزل
المطيعين أجرا ، ما عرض معرض عن جنبه إلا لقي في طريقه خسرا ، ولا انحرف منحرف عن بابه
إلا وجد حلو شرابه مرًا ، فيأيتها الحائم حول حمى عناده لقد جثت شيئا نكرا ، ويأيتها الهائم
في فلوات إلحاده لقد صبرت على ما لم تحط به خيرا ، أما تخاف سطوة : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا)
تالله لقد أوضح لك السبيل فما أبقى لمقصّر عن ذرا وبين في الدليل ، فقال : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

وقال صلى الله عليه وسلم
« يظهر في آخر الزمان
خصال أربع : أكل الربا
والأيمان الكاذبة في البيع
والشراء وقص السكيات
ونحس الليزان . فإذا ظهر
ذلك وقع فيهم الأمراض
وابتلاهم الله سبحانه وتعالى
بالسيف » . قال الله عز
وجل (يوم يقوم الناس
لرب العالمين) إلا الربا
فانه يقوم ويقع مجنونوا
متخططون حتى تفرغ الخلائق
من الحساب . وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« من أكل الربا ملا الله
عز وجل بطنه نارا بعدد
ما أكل منه وإن كسب
مالا لم يقبل الله سبحانه
وتعالى شيئا من عمله
ولم يزل في سخط الله
عز وجل ولعنته مادام
عنده قيراط واحد » .
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الذهب بالذهب
وزنا بوزن والفضة
بالفضة وزنا بوزن والزائد
والستريد يكوى به في
النار ، وإن الربا يحبط
الحسنات ويطل الطاعات

فله در العارفين تيقظوا لخدمة مولاهم من رقذات دنياهم فأفنوا أوقاتهم تسيحا وذكرا ، أضرم قلوبهم من محبته حمرا ، وأدار عليهم من كؤوس محبته خمرا ، فأمدارت السقا ، وغنت الحدا ، مالوا بأصوات نعمات ذكره طربا وسكرا :

أدار عليهم من مداصة حبه كؤوسا من التقوى فأبدت لهم سرا
فاكرم به بحرا جلاظمة الصدا وقد ملا الأقطار والسهل والوعرا
له فرحة عند الوفاء بحقه فمن أمه يلقي التهانى والبشرى
فرؤيته تجلو عن القلب همه وذكره يشفي السقم والقلب والصدرا
فصر له فيها الفخار على الربا وقد أصبحت تسمو على غيرها قدرا
وأمت به الآفاق زهو بحسنه كما قد كسا البلدان من نشرها عطرا

فانظر يا هذا بعين الفكرة كيف ساقته القدرة من البلاد الاسوانية ليعم نعمة البرية فهو أعجب الأشياء وأغربها وأحسنها في النظر وأنسها وأحلاها في المياه وأعذبها ، فسبحان من حقق به الظنون ، وأقر به العيون وجعله حياة للأرواح فانبسط بقدرته ، وساح في فساح الأقطار والجهات لإحياء النبات والعصون وساق من بحر إنعامه الى خلجان اكرامه (ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فهو الذى أجراه بحكمته ، وأنشأه بقدرته ولم يخب الظنون ، وأذن لشهود عموده عند وفاء حقوقه وحدوده بحسن النظام والقانون في كسر سده وفتح كسره فأنجز بكسره قلب كل محزون ، وعمت بركته البرك والخلجان ، وسار بيد القدرة الى البلدان ، فروى به الظمآن وشبعت برؤيته البطون ، (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زراعا تأكل منه أنعامهم وأفلا يبصرون) :

قوت بحمد الله منا العيون مذهطلت سحب وفاضت عيون
وعم لطف الله سبحانه كل الورى فليحمد الحامدون
وأقبل النيل بأمواجه كأنه جيش السحاب الهتون
يحيا به الزرع وينمو به ومنه تكسى عاريات الفصون
وتكسى الأرض به بهجة وتبرز الأرض بحسن الفنون
* فنسأل الرحمن نفعنا به فهو الرجى عند حسن الظنون
وقد تشفعنا بخير الورى ومن له في القلب حب مصون
صلى عليه الله ما غردت حمام الأيك وأبدت شجون

[وحكى] أن فرعون كان يتمرّد ويدعى الفرعنة والطغيان في الأرض وكان يضل قومه بهذا النيل فاذا كان يوم التبروز وقد وفى النيل أجله وبلغ نهايته أمر بأن ينادى في الناس : إن فرعون قد وفى لكم نيلكم فاسجدوا له فكان جهال القوم يعتقدون ذلك ، فلما كان في بعض السنين قصر النيل عن وفائه ولم يأذن الله تعالى له بالطول فاستشعر الناس بالجوع وأحسوا بالقحط فاجتمعوا الى فرعون وقالوا له قد هلكنا وهلك دوابنا وأهلنا وأولادنا فان كنت إلهنا فأجر لنا نيلنا . فقل لكم ذلك ، ثم إنه عمد الى مسح وقلنسوة من شعر وكيس فيه رماد ، ومضى الى مكان المقياس الآن وكانت خربة في الجزيرة المعروفة بالمقياس الآن فأمر أن لا يتبعه أحد من قومه ولا من رعيته ودخل الخربة ونزع ثياب الملك والتاج الذى كان على رأسه ولبس المسح والقلنسوة الشعر وفرش

وبعض الحطيات ، فمن كان صائما وأفطر عليه لم يقبل الله صومه ومن صلى وهو في بطنه لم يقبل الله صلاته وإن تصدق منها لم تقبل صدقته ومامن ساعة تمضى على المرأى إلا والحق يلعبه يوم القيامة فالحق عز وجل يخاربه ولا ينظر إليه ولا يكلمه . فانظر مع ضعفك عن محاربة الله سبحانه وتعالى من هو المغلوب الملقى في النار ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم واديا تستغيث أهل النار من حره في كل يوم خمس مرات ، لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حره يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والطففون في السكيات وأهل بخس الميزان ، فويل لمن باع الجنة التى عرضها السموات والأرض بحبة أو حبتين » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذى يبخس الميزان يحبى يوم القيامة أسود الوجه ألغ اللسان أزرق

الرماد وجعل يتمرغ عليه ويبكى ويسجد لله عز وجل ، ويمرغ وجهه على الرماد وهو يقول : إلهي وسيدى أعلم أنك إله السموات والأرض وإله الأولين والآخرين ، ولكن غلبت على شقوتي وزدت في عصياني وطغياني وأنت إلهي وأنا عبدك وقد حكمت على بما حكمت فلا تفضحني بين قومي وأنت أكرم الأكرمين فما استقم كلامه حتى أذن الله للنيل أن يوفي في تلك الساعة وأن يسير معه حينما سار فكان فرعون يسير بين قومه والماء ييل أذياله فكانوا يغمسون أكتافهم في الماء والطين ويضربون بعضهم بعضا فرحابه فصارت في مصر سنة إلى الآن ويقولون يروى أى طلع النيل ، فيأهنا إذا كان هذا عدو الله وقد أخلص الله طرفه عين فأعطاه الله تعالى ما طلب وستره في قومه ولم يفضحه عندهم فكيف بمن أخلص الله عز وجل عمره كله ولم يبرح في طاعته وخدمته ماذا يريد أن يعطيه في الآخرة ، وكذلك العبد المعاصي إذا تاب من ذنوبه واعترف بعبوبه وتضرع إلى مولاه في سره وجهه فآله تعالى أكرم من أن يعذبه أو يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة .

[وحكى ابن مسعود رضى الله عنه] أنه إذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه كتابه جهرا وقال اقرأه سرا حتى لا يفضحه بين خلقه فيقرأ كتابه سرا فلم يسمعه أحد فتقول الملائكة : إلهنا هذه عناية لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى يا ملائكتي إني أحرقت في الدنيا بنار الجوع والعطش في الحر الشديد في شهر رمضان فلا أحرقه اليوم بالنيران ، وقد عفوت عنه وغفرت له ما أسلف من الذنوب والعصيان وأنا الكريم اللين :

أيها المهائم الشوق إذا ما شئت تبغى الرضا وتهوى لقانا
غض عن غير حسننا كل طرف منك واحذر أن تشتغل بسوانا
وتخضع ببابنا وتضرع وتذل لنا وقف بحمانا *
واعترف بالتقصير والعجز واندب في المعاصي عمرا مضى وزمانا
وتوسل بحاج خسير البرايا وتوصل به تنال رضانا
فهو نعم الشفيع في الخلق والحشر ومن حوضه غدا ملائنا
فعليه الصلاة منا إليه ماشكت أليكة لها أشجانا

[وقيل] إنه كان سنة لفرعون إذا بدت أوحام النيل أن يأمر ببنت من بنات أهل مصر يحملونها بأنواع الحلى ويلبسونها أغفر الحلال ويرينونها بأنواع الزينة كالعروس التي ترف إلى زوجها ثم يأمر بالقائها في النيل كان ذأهم ذلك في كل سنة ، وكان عامة الناس وجههم يعقدون أن النيل ما يطلع حتى يرموا فيه العروس واستمر الأمر على ذلك إلى زمان خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان نائبه بمصر عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ، فلما أنكر عليهم ذلك كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب يخبره الخبر فكتب له عمر كتابا برد الجواب ورقة يقول فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر : أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك لا تجر ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فاسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة في النيل ، وكان أهل مصر قد أيقنوا بالعلاء فأصبحوا وقد أجرى الله تبارك وتعالى النيل وطلع ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، كل ذلك من بركات عمر بن الخطاب وحسن إيمانه رضى الله عنه ، وأراح الله المسلمين من تلك البدعة ، وأمر عمرو بن العاص الناس بالشكر لله والثناء عليه والتوبة من المعاصي وأبطل ما كانوا يفعلونه من المنكر ورعى البنات في الماء ، فلما رأى القبط ما فعله عمر رضى الله

العنين في عنقه ميزان من نار يقال له زن هذا إلى هذا فيعذب بين الجبلين خمسين ألف سنة .

وقال عياض : إنما تسود الوجوه يوم القيامة من نطفيف الكيل ، وقال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس اتقوا خمسا قبل خمس : ما نقص قوم الكيال إلا ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالعلاء ونقص الثمرات ، وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله سبحانه وتعالى عنهم قطر المطر ولولا البهائم لم يستوا قطرة ، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون ، وما حكم قوم بغير القرآن إلا أذاقهم الله عز وجل جورا وأذاق بعضهم بأس بعض » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن على متن الصراط كلاليب من نار فمن تقلد درهما حراما تعلقت كلاليب النار في رجله فلا يستطيع المرور

عنه ساءم ذلك وأرادوا أن يقولوا دينهم ويكون ذلك منسوباً إليهم فاحتالوا بحيلة الشهيد الذي يرمونه في التابوت أو أن الزيادة وانخذله عبداً إلى الآن ، وكذلك أحدثوا الحجة أيام التي يسمونها النسيء . قال الله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) فهذا في دينهم طغيان ، ونحن بحمد الله تعالى قد خصنا الله تعالى بأشرف الأديان وأوضح لنا فيه طرق الإيمان وخصنا بشفاعته سيد الأكوان محمد الصطفى سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله السادة الأعيان ، وأزواجه وذريته صلاة دائمة في السر والإعلان ، ولبعضهم في هذا المعنى :

يا أيها النيل المبارك إن تكن من عند ربك تأت فاجر بأمره
وإن تكن من عند نفسك تأتينا فإله يبسط بره في بره
كم من بلاد ليس تعرف أرضها ملائله يسوتها من بره
إن كان دفعك لا يحى تأديبا إلا ياذن مليكه فبعذره
قال الصليبي اللعين بجهله والكفر يركض في جوانب صدره
ذا العام لم يرموا الشهيد فلم يفي ذا النيل إلا إن رموه بنجره
هوت به وبشهره ونسيته وشهد مسراه وطينة بره
نحن الذين لنا بجاه محمد عند الإله بحمده وبشكره
ما رنجيه غنياً بغيثائه وفقيرنا بالالتذاذ بفقره
ندعو ونستقي الطعام بوجهه فذاك أخبر عمه في شعره
وقد استجرنا بالنبي محمد وبآله وبصحبه وبسره
صلى عليه الله ماسرت الصبا وأنت بطيب ثنائه وبعطره

[إخواني] تفكروا في جريان هذا النيل كيف أمده الله تعالى بالمد الجليل ، والرزق الجليل ، والالطف الجميل ، وجعله حياة للأرواح في السير والليل ، فلم يمنعه منكم مانع أو قطعه عنكم قاطع لضائق بكم الرحاب . وتقطعت بكم الأسباب ، وحلت بكم الأمور الصعاب . ولكن ترحمون بالأطفال الرضع . والشايخ الركع . والدواب الزرع . والحق سبحانه لم يمنعه عنكم بخلا عليكم برؤفه . ولا تعجلاً لعقوبة خلقه . وإنما يرسله رحمة إليكم وإشفاقاً عليكم شفقة لا تشبه شفقتكم على أبنائكم . ويفعل معكم من اللطف والتدبير ما لا يفعله تدبير آبائكم . فانه سبحانه وتعالى يسوقه إليكم في وقت احتياجكم إليه ونفقه . ويصرفه عنكم وقت حاجتكم إلى صرفه ودفعه . ليتنفع كل منكم بفكره وزرع . فكيف يعصى من هذه ملاطفته بعباده في سائر الدهور . أم كيف يبارز بالخطايا وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . وقيل في المعنى :

فيامن بات يغفل بالمعاصي وعين الله شاهدة تراه أما تخشى من الديان طردا
ونحرم دائماً أبداً تراه تبارز بالمعاصي منك مولى على جهل يراك ولا تراه
أنتصي الله وهو يراك جهرا وتنسى في غند حقا لقاءه
وتغفل بالمعاصي وهو دان إليك ولست تخشى من سطاه
وتشكر فعلها وله شهود على الإنسان تكتب ما حواه
فويل العبد من محف وفيها مساويه إذا وافى مساه

على الصراط حتى يرد
ما أخذه إلى أهله من
حسناته ، فإن لم يكن له
حسنات حمل من ذنوبهم
ووقع في النار ، فردوا
المظالم إلى أهلها قبل أن
تؤخذ من الحسنات .
وقل رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من سرق
شيئاً جاء يوم القيامة وفي
رقبه طوق من نار ، ومن
أكل شيئاً حراماً أوقدت
النار في بطنه ولها صوت
يرعب الخلائق ساعة
ما يقوم من قبره حتى يقضى
الله بين الخلائق ما هو
قاض » فداو أيها المسكين
أمراض علك بالتوبة من
ذلك ، واسأل مولاك أن
يشفيك ، ولعله يرحمك ،
وفي قربه يأويك قبل أن
تقع في العذاب يخزيك
ويخزئك ، ويخزس لساك
ويختم على قلبك ، فزود
للرحيل ، فقليل
لا يكفيك :

من قلب أقام فيه الحريق
إن نفسى من الجوى
لا تنفيق

وياحزن السوء لشؤم ذنب
ويندم حسرة من بعد فوت
يعض يديه من ندم وحزن
فكنت بالله ذاتقة وحاذر
وبادر بالمتاب وأنت حتى
ولد بالمصطفى خير البرايا
عليه من المهيمن كل وقت
سلام عطر الدنيا شذاه

اللهم أفض علينا من بحر برك وإحسانك ، واجبر قلوبنا بعفوك وغفرانك ، وأرو عطاش قلوبنا
بنيل نيل رحمتك ورضوانك ، واكتب لنا بالأمن من الخوف توقيع أمانك برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

المجلس السابع والثلاثون

في مناقب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

الحمد لله الذى تعزز في وحدانيته فهو الواحد العزيز ، وتفرّد في أزليته وأغرق العالم في بحر
الحيرة والتعجيز ، أتقن خلق الموجودات فليس في إتقان صنعته نقص ولا تعوز ، زين شقة حلة السماء
بنعوت البهاء وطرزها بالكواكب المشرقة أحسن تطرز ، ورقم كهيها برقم الشمس والقمر كالفضة
القيمة والذهب الإبريز ، وحرسها من استراق السمع بالشهب النواقب أتم حرس وأمنع تحجيز ،
وجلاها على عيون المعتبرين أولى العقل والتمييز ، وسطح الأرض على تيار الماء وأبرزها بقدرته أحسن
تبريز ، وثبتها برواسي الجبال وجعلها مسكنا للرجال والأقطاب والصالحين الأنجاء ، وخلع عليهم
خلع التكريم والتعزير ، صرف عنهم الدنيا فلم يعرفوا الادّخار والتكثير ، وجعلهم قائمين بحقه خلفاء
على خلقه لمن فهم الإشارة والتلغيز ، وخص منهم من شاء بالرفق في بلاده والنصيحة لعباده كالصحابة
ومن تابعهم مثل عمر بن عبد العزيز ، رضوان الله عليهم أجمعين .

قال محمد بن سعد رحمه الله : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية
ابن عبد شمس ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويكنى أبا حفص ، ولد
بالمدينة في سنة ثلاث وستين وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن العباس بن راشد رحمه الله عليه قال : نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لى مولاى
أخرج معه شيعة فخرجت معه فمررنا بواد فيه حية ميتة ملقاة على الطريق فنزل عمر فدفعها ثم ركب
وسرنا فإذا نحن بهاتف يقول يا خرقاء يا خرقاء نسمع صوته ولا نرى شخصه . فقال عمر أسألك بالله
أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر لإمّاظهرت وأخبرتنا ما الخرقاء ؟ فقال هذه الحية التي دفنتموها فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوما يا خرقاء تموتين بفلاة من الأرض فيدفنك خير
مؤمني أهل زمانه . فقال له عمر : من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا من الجن السبعة الذين يبيعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوادى . فقال عمر : آله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ قال نعم فدمعت عيناه ثم انصرف . وعن مجاهد قال : إن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين
سبعة مضى منهم خمسة وبقي اثنان . قال خارجة : أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبد العزيز .
وعن زيد بن أسلم قال : كان لعمر بن عبد العزيز سقط فيه درع من شعر وغل وكان له بيت في جوف

إن عني تفيض بالدمع سكباً
ورثا لى الحميم الصديق
كثرت منى الذنوب وإنى
لقليل الحيا ووجهى صفيق
ماله غير راحم راحم الخـ
ق تعالى نعم الشفيق الرفيق
وغدا تنصب الموازين بالقـ
ط ويغشى العباد كرب
وضيق

نحن نلقى من حرّ نار تلظى
تعرها بالعذاب قعر عميق
يا أهلى أين القرم يحرم
ثم إنى بحملها لا أطيق
الباب السادس

في عقوبة النائحة

قال الله تعالى (وإنّا لنحن
نحسب ونميت ونحرم
الوارثون) فكما لا يحسن
السخط للقصاب عند ذبح
كبشه كذلك لا يحسن
السخط عند إماتته لعبده .
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أنا بريء ممن
خلق أى كذب - وخرق
وسرق » أخرجه مسلم في
الصحيح . وقال الله عز
وجل (والذين لا يشهدون
الزور) قال هي النياحة ،
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « تخرج النائحة

بيته يصلي فيه لا يدخل فيه أحد غيره فلما كان في آخر الليل فتح ذلك السقف ولبس ذلك الدرع ووضع الغل في عنقه فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ثم يعيد الدرع والغل إلى السقف فهذا دأبه مدة حياته رضي الله عنه [مفرد]

ذم للنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

[وقال] الحرث بن زيد جار عمر بن عبد العزيز رحمه الله: تالله لقد سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما أُرخي الليل سدوله، وغارت نجومه وهو يتململ تلمل السقيم، ويبكي بكاء الحزين فكأنني أسمعوه وهو يقول: يا دنيا إلى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات غري غري قد طلفتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، ثم أنشد:

من العار بعد التجدين هجوعى وغدر بهم أن لاتسح دموعى

ولى زفرات كلما هبت الصبا يقوم منهم اعوجاج ضلوعى

سلام على تلك الديار فانها ديارى التى أشتاقها وربوعى

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا صلى الصبح أخذ المصحف في حجره ودموعه تبل لحيته فكلمها مرة بآية تخويف ردها فلا يتجاوزها من كثرة البكاء حتى تطلع الشمس، واشوقاه إلى تلك الوجوه، واطرباه عند سماع أخبارهم، وأأسفاه على محو آثارهم:

وأأسفاه من فراق قوم هم الصاييح والحصون والزن والأمن والتقى

والخير والعقل والسكون بعدهم العيش ليس يصفو كيف تفاجئهم المنون

فكل نار لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

[وعن يزيد بن حوشب] قال: ما رأيت أكثر خوفا من الحسن ومن عمر بن عبد العزيز كان البار لم تخلق إلا لهما، وكان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله. وروى أن عمر ابن عبد العزيز قرأ يوما قوله تعالى (وماتكون في شأن وماتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة زوجته فحاست تبكى لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما فجاء ولده عبد الملك فدخل عليهم وهم يبكون. فقال يا أبت ما يبكيك؟ فقال يابني ود أبوك لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يابني لقد خشيت أن أكون من أهل النار. يا هذا كان عمر بن عبد العزيز يخاف مع عدله وأنت تأمن مع ظلمك وجورك. رؤى في المنام بعد اثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي. اسمع يا من آمن بالأقدار، وليس له عند مولاه اعتذار:

تشاغل بالدنيا أناس فأصبحوا عن الباب محجوبين قد منعوا القربا

وأهل التقى لله تسرى قلوبهم إلى غاية نالوا بها الشرب العذبا

جألوا بنور العلم في روضة التقى بها أنفس الأبرار قد ملئت حبا

هو قطعوا الدنيا بخوف وعيدهم فذكرهمو للموت أورشهم كربا

[وعن عطاء رحمه الله] قال: كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة ويتذاكرون الموت والقيام والآخرة فلا يزالون يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة، وعن ابن حبان رحمه الله عليه قال: صليت الصبح خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ (وقفهم إنهم مسئولون) فجعل يكررها ولا يستطيع أن يتجاوزها من البكاء. وعن سفیان قال: كان عمر بن عبد العزيز ساكتا، وأصحابه يتحدثون

من قبرها شعشاء غبراء

عليها درع من جرب

وجلباب من لعنة الله

وسربال من قطران وهي

واضعة يدها على صدرها

وهي تنادى: واويلاه،

والملك يقول آمين، ثم

تكون أجرتها على النياحة

حظها من النار»، وقال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم «لئن الله النائحة

والستمعة». قال بعض

السادة: سألت الحسن

البصري رضي الله عنه

هل كن نساء المهاجرين

في زمن النبي صلى الله عليه

وسلم يفعلن كهذا الفعل؟

قال: لا والله لقد عبرت

امراة على النبي صلى الله

عليه وسلم وقد قتل أبوها

وولدها وأخوها في الغزاة

وهي تبكى، فقال لها

النبي صلى الله عليه وسلم

«مالذي أصابك؟ قالت:

فقدت رجالي. قال لها

اصبري ولك الجنة»

قالت: والله لأبكي بهذا

اليوم أبدا إذا كانت لي الجنة

وإن نساء هذا الزمان

خشن الوجوه وشققن

فقلوا له : ممالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت مفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يضطربون فيها ثم بكى . وعن شيخ من أهل خراسان قال : لما أراد أبو جعفر بيت المقدس نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس ، فقال ياراهب أخبرني بأعجب شيء رأيته من عمر بن عبد العزيز ، قال نعم يا أمير المؤمنين : بينا عمر ذات ليلة على سطح غرقتي هذه . وكان السطح من رخام ، وأنا مستلق على قفائي فإذا بماء يقطر من الميزاب على صدري . فقلت : والله ما عندي ماء ولا رشت السماء ماء فصعدت لأنظر فإذا هو ساجد ودموعه تنحدر من الميزاب . وعن الحسن بن الحسن رحمهما الله قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يبكي حتى بكى الدم .

[وروى] أن عمر بن عبد العزيز منذ ولي الخلافة لم يضع لينة على لينة ولم يحدث له دابة ولا امرأة ولا جارية حتى لحق بالله عز وجل ، وعن عمر بن مهاجر قال : قال لي عمر بن عبد العزيز إذا رأيتني ملت عن الحق فضع يديك في تلايبي وهزني ، ثم قل ماذا تصنع يا عمر ؟ وأعجب هذا خوف عمر مع كماله فكيف أمنك مع نقصانك ، الدنيا امرأة الآخرة لها عملته في هذه رأيت في تلك ، فأنت اليوم تعمل وغدا ترى ، فإن كنت عاقلا فابك على ماجرى ، وإن كنت نائما فستذهب عنك لذة السكرى :

لو بكت عينك يا هذا دما ما تقدمت إلينا قدما كيف يصفوك ودّ بعدما
نشر الغدر عليك العلما نح علينا أسفا أولاتنج واسكب الدمع علينا والدمما
إنما يصفو وداد لأمري حفظ العهد وراعى الدما لو أردناك لنا ما فتنا *
ووصلنا جيلنا ما انصرما ما رأينا منصفاً عامله منصف في صفقة فاختصما

[إخواني] كانت الدنيا إذا قدمت إلى الصالحين قدموها إلى الآخرة ، فأين نحن من القوم ، كم بين القطة والنوم ، كان عمر بن عبد العزيز يأتيه خراج الين فيدخله بيت المال ويبعث في الظلام ، وكان يقول : إذا سهرت في أمر العامة أشعلت سراجا من بيت المال ، وإذا سهرت في أمر نفسي أسرجت على نفسي من مالي .

[وروى] أنه جاء خراج الين ومعه عتبر حمل على اثني عشر بغلا فأحضر المال بين يديه ثم أمر به إلى بيت المال وأمر بالعبر ، فلما حضر بين يديه سدّ أنفه وأمر به فأدخل بيت المال فقبل له إن هذا العبر لا ينقصه ريحه ، فقال إنما ينتفع منه بريحه . وروى أن ابنة لعمر بن عبد العزيز بعثت إليه بلؤلؤة ، وقالت يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تبعث لي أخنها حتى أجعلها في أذني فافعل . قال فأرسل إليها بجمرتين ، ثم قال إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنك بعثت بأخت اللؤلؤة إليك . وعن عيسى بن سنان رحمه الله قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يبنى بناء ، فقبل له في ذلك ، فقال : ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة . وعن أبي داود الرومي رحمه الله قال : كان لعمر بن عبد العزيز درجة يصعد عليها ، وكانت تتحرك كلما نزل أو طلع يرتاع منها فعمد بعض أصحابه فشدّها بطين ، فلما صعد عمر رآها قد تثبتت ، فسأل عنها ؟ فقبل إن فلانا بناها ، فقال أعيدها إلى ما كانت عليه فإن عاهدت الله تعالى منذ ولت أن لا تضع لينة على لينة ولا آجرة على آجرة . اسمع يا من أفنى في عمارة الدنيا عمره ، وقلل نفعه فيها وكثر ضرره كان السلف يخربون الدنيا فيعمرون بها الآخرة ، وأنتم قد عكستم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة :

زيادة المرء في دنياه نقصان وقلة غير فعل الخير خسران

الجوب ، وتنفن الشعور
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أبغض
الأسوات عند الله سبحانه
وتعالى صوتان قبيحان :
صوت النائحة عند المصيبة
وصوت مزمار في فرح ،
لعن الله الزامر والمستمع
له » قال الله تعالى (وفي
أه والهمس حق للسائل
والمحروم) وهؤلاء جعلوا
أموالهم حنّا لمغنية عند
النعمة وحنّا للنائحة عند
المصيبة ، يموت الميت وعليه
الدين وعنده الأمانة وفي
ذمته المظالم وقد لاقى الهول
في جذب روحه والصاب
عند ربه يتعنى التخفيف
من أوزاره وقد آتاه
الشیطان إلى قبره فيسمع
الملائكة تهتده بذنوبه
وتوعده بالمقوبة ، فيقول
له : يا فلان أتعرفني والله
لأزيدنك عذابا وعقوبة
فوق عذابك حيث تحاسب
بغير ذنب جرى منك فيأتي
أهله فيقول ما كان أعون
ميتكم عليكم ومآته وكآته
زبالة نعل مثل فلان يطول
الحزن ، وعلى مثله يطول
البكاء وعلى مثله يصلح

يا عمرا خراب الدار مجتهدا نأه ما لخراب العمر عمران

فيا مستأنسا بالمازل والدور ، وكاسات الموت عليه تدور ، يامظلم القلب ومالقلب نور ، الباطن خراب والظاهر معمور . لو ذكرت الأحداث والقبور ، لأبطلت عمارة الدنيا أيها المفلور ، ستحاسب على الأيام والشهور ، يامن يصلى بلا حضور ، ويصوم والصوم بالقيية مغمور كم يتلطف بك وأنت نفور ، كم ينعم عليك يا كفور ، كم تبارز بالمعاصي وأنت مستور ، ويمهلك لتوب إليه إنه رحيم غفور ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور :

إلى متى تلهو بدار الغرور وفي تهادى التقي تفتي الدهور
ناسيا للموت يا غافلا عليه كاسات المنايا تدور
حادي السرى ناداك مستعجلا وما تزودت ليوم النشور
فانهض وتب من كل ذنب مضى تحط برضوان العزيز الغفور

[وعن الأوزاعي رحمه الله عليه] قال كان عمر بن عبد العزيز يصوم ويفطر على البقل وكان في غالب أوقاته يغمس الخبز بالدقة ويأكله . وأهدى إليه طبق فيه تفاح وفاكهة فردّه ولم يأكل منه شيئا ، فقيل له ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ؟ قال : بلى ولكن الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية وهي لنا ولبن بعدنا رشوة ، وكان رحمه الله يمنع نفسه الشهوات ويسمح بالعطايا للناس ، قال خزعة أبو محمد النابذ : إن عمر بن عبد العزيز قال ما أعطيت أحدا مالا إلا واستقلت له ، وإنى لأستحي من الله أن أسأله الجنة لأخ من اخواني وأبخل عليه بالدنيا . وعن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رحمه الله تعالى قال : ولي عمر بن عبد العزيز الخلفة سنتين ونصفا ، فمات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم . فيقول اجعلوا هذا حيث ترون من الفقراء فيقوم وماله معه لما أغنى عمر الناس بعبائهم . وعن النضر بن سهل عن أبيه قال : قال عمر بن عبد العزيز لجاريته يوما روتحني حتى أنام فروحتي فنام فغلها النوم فمات فلما انتبه أخذ للروحة يروحها فلما انتهت ورأتها يروحها صاحته فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني فأحببت أن أروحك كما روتحتني . فله درهم جعلوا التواضع لهم شعارا . والتقوى دئارا وجانبوا من الدنيا لها واغتراروا وتزينت لهم فرفضوها لما رأوها ثوبا معارا كم كفت كفا . وكما أعمت أبصارا ، وكما بالخوف راعت راعيها ومارعته ليلا ولانهارا ، فأرحل بعزمك عنها واتخذ غيرها دارا ، واحذر لباس بأسها فكم كست لابسها عارا :

يا محب الدنيا الغرور اغترارا راكبا في طلائها الأخطارا يبتغي وصلها فتأني عليه
وترى أنسه فتبدي نقارا خاب من يبتغي الوصول إليها جارة لم تزل تسمى الجارا
كم محب أرتة أنسا فلما طلب الوصل أبعدته مرارا فتعوض عنها بخلة صدق
والتمس غير هذه الدار دارا فالبدار البدار بالعمل الصالح مادمت تستطيع البدارا

[وعن هلال بن قيس رحمه الله] قال : مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذي مات فيه أول شهر رجب سنة إحدى ومائة وكانت شكواه عشرين يوما . وعن الوليد بن هشام رحمه الله قال : لقيني يهودي وكان قد أخبرني قبل ولاية عمر أن عمر سبى هذا الأمر ويعدل فيه ، قال فلقيت عمر فأخبرته فلما تولى عمر لقيني اليهودي بعد مدة ، فقال لي : ألم أخبرك أن عمر سبى الخلافة وكان الأمر كما أخبرتك فقامت بلى . فقال لي الآن هذا الرجل قد سقى السم فمره فليتناو ويدرك نفسه قال فلقيته فذكرت له ذلك فقال عمر : والله إنني عرفت الساعة التي سقيت فيها السم ولو كان شفا في مس

النذب والنوح اطلبوا لكم
فلانة النائحة ورغبوها
بالمال فعند ذلك يأتي أهل
الميت بناحمة مستأجرة تبكي
بغير شجو تبسع عبرتها
بالدراهم تنقن الأحياء
في دورهم وتعذب الوقي
في قبورهم تمنعهم أجرم
وتعظم عليهم وزرهم وتعدد
على الميت ، فيغضب الله
سبحانه وتعالى عليهم وعلى
الميت ، فيفتح عليه في قبره
سبعون طاقة من نار
وتدخل عليه كلاب سود
تنشه وزبانية تدق رأسه
وتضربه فيقول الميت :
يا ويله من أين جاءني
هذا العذاب ؟ فتقول
الملائكة : هذا هدية أهلك
إليك فيقول الميت لأجراهم
الله عني خيرا ، اللهم
عذبهم كما عذبتني فتقول
الملائكة لا بد لكل واحد
مثل هذا فيقول هم ناحوا
وعددوا ولطموا فأنا أي
شيء ذنب ؟ فيقول الله له
ذنبك أنك ما عاهدتهم أن
لا يحاربوني من بعدك فمن
نسب المساعدة على الوصية
للاقارب أن لا يحاربوا

شحمة أذن لما مسستها أو لو كانت عافية بطيب أرفعه إلى مافته . وعن مجاهد قال سألتني عمر بن عبد العزيز في مرضه : ما تقول الناس في ؟ قال يقولون انه مسحور فقال ما أنا بمسحور ولكن سقيت السم ثم استدعى بسلام فقال ما حملك على أن سقيتني السم ؟ قال : أعطيت ألف دينار ووعدت بالعقوبة فقال هات الألف دينار فجاء بها فألقاها في بيت مال المسلمين وقال للعلماء اذهب حيث شئت فأنت حر . وعن أبي حازم رحمه الله عليه قال شهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقدة على أثر وجد وجدته فبكى ثم ضحك فلما انتبه قال أبو حازم يا أمير المؤمنين : ما الذي اعتراك في منامك حتى ضحكت بعد البكاء ؟ قال رأيت ذلك ؟ قلت نعم وجميع من حولك قال رأيت كأن القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرين صفاً أمامه محمد صلى الله عليه وسلم منهم ثمانون صفاً وإذا نادى أين عبد الله ابن أبي قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عز وجل فحوسب حساباً يسيراً ثم نجا وأمر به إلى ذات اليمين . ثم جرى بعمر بن الخطاب فحوسب حساباً يسيراً ثم نجا ثم أمر به وبصاحبه إلى الجنة . ثم جرى عثمان فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة . ثم نودي بعلي بن أبي طالب فجاء به فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة . قال عمر بن عبد العزيز فلما قرب الأمر مني نودي أين عمر ابن عبد العزيز ؟ قال فتصيبت عرقاً ثم أخذتني الملائكة فأوقفوني أمام الحق سبحانه وتعالى فسألني عن النقيير والطعمير وعن كل قضية قضيتها ثم غفر لي فأمر بي ذات اليمين فمررت بحيفة ملقاة فقلت للملائكة ماهذه الحيفة فقالوا سله يجيبك فسألته ووكزته برجلي فرفع رأسه وفتح عينيه فقلت له من أنت ؟ فقال لي من أنت ؟ فقلت أنا عمر بن عبد العزيز فقال لي ما فعل الله بك ؟ فقلت تفضل علي ورحمني وفعل بي كما فعل بمن سلف من الأئمة فقال ليتهنك ما صرت إليه فقلت له من أنت ؟ فقال أنا الحجاج بن يوسف الثقفي قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب والغضب فقتلني بكل قتيل قتلته قتلة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدي ربي أنتظر ما ينتظره الموحدون من ربه : إما إلى الجنة وإما إلى النار . قال أبو حازم فعاهدت الله تعالى بعد ما سمعت هذا من عمر رضي الله عنه أني لأقطع لأحد بالنار ممن يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فالويل لأهل الظلم من الأوزار ، ذكرهم بالقبايح قد ملأ الأقطار يكفهم أنهم قد سموا بالأشرار ذهبت لقتلهم بما ظلموا وبقي العار داروا إلى دار العقاب وملك غيرهم الدار وخلصوا بالعذاب في بطون تلك اللهود والأحجار ، فلا راحة لهم ولا مسكون ولا قرار ، دموعهم تجري على التفريط كالأنهار ، شيدوا بنيان الأمل فإذا به قد انهار ، كم قتل الحجاج من قتل وكم ظلم من جار ، أما علم أن الله ينتقم ممن تعدى وجار ؟ فإذا قاموا في القيامة حشروا في جهنم مع الفجار (سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) :

ويحك يا نفس البدار البدار ما هذه الدنيا لحي بدار منزلة والناس سفروكم
خانهمو صرف الليالي وجار قد نقد العمر وقل البقا إلى متى يا نفس ذا الاعتار

من كان في الدنيا يرى راحلا كيف له فيها يقر القرار
أم كيف ينال العيش فيها لمن عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها الناس قم وانتبه قد فأتك المطالب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظم الرجا يغفر في الليل ذنوب النهار

[قيل] إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، فقال له يا أمير المؤمنين من توصي بأهلك ؟ فقال إذا نسيت الله فذكرني ، ثم عاد وقال له من توصي بأهلك ؟ فقال ان ولي فهم الله وهو يتولى الصالحين . وعن رجاء بن حيوة قال : قال لي عمر بن

رهم عذبه الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن النائمة إذا لم تنب قبل موتها بسنة لم تقبل توبتها لأن ذنوبها عظيم فإن ماتت غير تائبة تقوم يوم القيامة عليها ثياب من قطران ودرع من جرب ليس أحديعذب بذنب أحد إلا لئلا يات فانه يعذب بقدر بكاؤه أهله عليه إذا قالوا من لنا بعدك يا عزنا وجاهنا فيقعد في قبره فنضربه الزبانية على كل كلمة ضربة حتى تنقطع مفاصله وتقول له الزبانية أنت كما قال أهلك هل أنت كنت رازقهم أو أميرهم أو كفيلهم فيقول لا والله يارب إني كنت ضعيفاً وأنت سبحانه الذي ترزقني وترزقهم فيقول الله سبحانه وتعالى إنما عاقبك لأنك مانهتهم عن هذا » وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « توقف النائمة يوم القيامة على طريق بين الجنة والنار وثيابها من

عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يار جاء : كن أنت فيمن يسلمني ويكفني ويلجئني في قبري فإذا وضعوني في الحدي خل العقدة وانظر إلى وجهي فاني قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا وضعته في لحده حلت العقدة . ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو مسود دححول إلى غير القبلة . قال رجاء : فلما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كنت ممن غسله وكفنه ودفنه فلما أُلحِده حلت العقدة ونظرت إلى وجهه فإذا هو بضوء كأنه من النير متوجها إلى القبلة ففرحت له بذلك . وعن عبيدة بن حسان ، قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجوا عني فلا يبقين عني أحد وكان عنده مسلمة بن عبد الملك فخرجوا وقعد مسلمة بن عبد الملك وفاطمة أخته زوجة عمر على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا بوجوه جن ، قال وسمعت صوتا من ناحية البيت يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) قال ثم دخلوا عليه ، وقد مات رحمه الله ، وقد استقبل القبلة وغمض عينيه وطبق فاه . وعن الأوزاعي قال : قال عمر بن عبد العزيز . ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت فانه آخر ما يدفع للمؤمن من الأجر ، وفي رواية قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت فانه آخر ما يكفر به عن المؤمن . وروى أن عمر بن عبد العزيز لما نقل مرضه قال لمسلمة بن عبد الملك خذ من مالي دينارين فاشتر لي بهما كفنا فقال يا أمير المؤمنين ان الدينارين لا يحصل بهما كفن لملك ، فقال يا مسلمة ان كان الله عني راضيا فسيبدلني بما هو خير منه ، وإن كان ساخطا فإنما يكون خطبا للناس . وروى أنه كفن في ثياب سحرولية ، وقيل في يمنية ، وكان قبره بدير سمعان من أرض حمص ، وكان قد أرسل إلى صاحب الأرض يسأومه على موضع قبره ، فقال له يا أمير المؤمنين والله إنني لأتبرك بقبرك ، وقد حاللتك منه فاني عمر أن يقبله إلا بشعني ، وفي رواية أنه يابعمهم يعني أصحاب الأرض على موضع قبره بدينارين . وقول لهم إنما أريد بطن الأرض فإذا دفنت فاحرثوا أرضكم وازرعوا فيها وابنوا واتفعلوا بها فلا يضرن ذلك . وروى أن ولاية عمر كانت ثلاثين شهرا إلا عشرة أيام . وتوفي وهو ابن خمس وأربعين سنة . وعن خالد الرقي قال مكتوب في التوراة : إن السماء والأرض لتبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا [وروى] أن رسول عمر بن عبد العزيز كان إذا وصل البصرة تلقاه الناس بالرحب والسعة فانه كان لا يأتي إلا بزيادة عطاء وإفاد مال يتفقد به أحوال الفقراء ، فلما وصل الرسول بموته خرج الناس إليه على جرى عادتهم فلما أخبرهم بموته ضج الناس بالبكاء والعويل وغم ذلك أهل البصرة بأسرهم لعظم مصيبتهم به [وقيل] إن بعض الجن رثاه فقال :

عنا جزاك ملك الناس صالحة في جنة الخلد والفردوس يا عمر أنت الذي لا نرى عدلا نسر به من بعده ماجرى شمس ولا قمر

ولما مات عمر بن عبد العزيز رثاه جرير فقال :

تبعى النعاة أمير المؤمنين لنا مفضلا حج بيت الله واعتبرا حملت أمرا عظيما فاستطمت له وسرت فيه بأمر الله مؤتمرا

[وقال مسلمة بن عبد الملك] رأيت عمر بن عبد العزيز بعد موته في المنام ، فقلت له إلى أي الحالات صرت يا أمير المؤمنين ؟ فقال يا مسلمة هذا أوان فراغى والله ما استرحت إلى الآن فقلت يا أمير المؤمنين فأين أنت ؟ فقال أنا مع أئمة الهدى في جناب عدن وكان عمر بن عبد العزيز يأتي للمساجد المهجورة في الليل فيصل في فيها ما يسر الله عز وجل فإذا كان وقت السحر وضع وجهه على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل يبكي إلى طلوع النهار ، فلما كان في بعض الليالي فعل ذلك

قطران ، وعلى وجهها غشاء من نار وتجيء الملائكة باليت وقدر الله روحه إلى جسده فيمد بين يديها وتقول لها الزبانية نوحى كأنحت عليه في الدنيا فتقول إنني أستحي اليوم فتضربها الملائكة ويقولون لها يا معاونة لم لم تستحي من الله في دار الدنيا؟ أما علمت أن الله سبحانه وتعالى يسمعك فتقول النائحة كلمة أخرى فتقطع رجلها فتقول كلمة أخرى فتقطع يدها فتصيح واويلاه ويقول الميت ما ذنبى ؟ فتقول الزبانية ذنبك أنك مانهيتهم قبل موتك ثم تضربه الزبانية ضربة فلا يبقى معه عضو يلزم الآخر إلا وهو طائر عن جسده وكما ضروء ضربة يصيح صيحة تبكي منها الحلائق فلا يبرح يصيح ، وهو ينقطع سبع مرات ثم إن كان من أهل الخير يبعثه الله إلى الجنة ، وإن كان من أهل الشر يبعثه الله تعالى إلى النار ثم يعطى النائحة حربة من نار

على العادة ، فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرع له وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسما
مكتوب فيها هذه براءة من النار من الملك العزيز أبده عمر بن عبد العزيز . وقال الفرزدق لما
مات عمر رضى الله عنه برثيه :

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقع له
كم من شريعة حق قد بعث لها
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي
ثلاثة ما رأت عيني لهم شياً
وأنت تنعمهم إذ كنت مجتهداً
لو كنت أملك والأقدار غالباً
صرفت عن عمر الرضى مصرعه
فأله يكرم مشواه ويرحمه
وفي مصاب رسول الله تسلياً
هو الرسول الذى من الإله به
وخير من ولدت عدنان قاطبة
للصطفى المرتضى للخلق ينقذهم
أعطاه مولاه ما لم يعطه أحداً
هو الحبيب الذى أسرى به عجلاً
صلى عليه إله العرش ما طلعت
لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كادت تموت وأخرى منك تنتظر
على الحبيب الذى يسقى به المطر
تضم أعظمهم فى المسجد الحفر
للحق والأمر بالمعروف تبتدر
تأتى رواحاً وتبيناً وتبتكر
بدير سمعان لكن يغلب القدر
ما أوجب الحج بل ماسنت العمر
فيمن يموت وفى أنبيائه عبر
على البرية وازدادت به السير
وخير من شرفت من أجله مضر
من الضلال الذى فى طيه الخطر
خزائن الغيب منها الخير ينتظر
إلى السماء وجنح الليل معتكر
شمس وما خلقها الأنجم الزهر

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم .

المجلس الثامن والثلاثون

فى مناقب الامام الشافعى رضى الله عنه

الحمد لله الذى رفع العلماء إلى أشرف المناصب وأعلى وأسمى ، وخفض لهم المناصب حين
نصهم لفهم أسرار صفات ذاته والأسماء ، وعظفهم على حال العرفة ونظم درة عقولهم فى سلك التمييز
بالأيدى نظماً ، نشر فى الأقاليم أعلامهم وأجرى بالحكم أقلامهم فكل بمذهبه يرقم سطر الطروس
رقماً ، فنعمان النعمة ملسمهم علماً وفهماً ، وفاضلهم مالاً وطأ لهم الحديث ورسم نصيبه الأحكام رسماً ،
وشافعى سائلهم وفر لهم من العلم نصيباً وقبلاً ، وأحمدهم لسيدهم مسنداً إليه فلا يخشى لديه هما ،
ونكلمهم طامع من الولي يباوغ سؤله متأدب بما قال تعالى فى تنزيله لرسوله (وقل رب زدنى علماً) .

إذا ماشئت أن تسمو وتسمى
فقم لطريق أهل العلم سعياً
فان حصلت لك الدنيا وإلا
فأكرم ما حواء للراء علم
وليس يفيد ملك الكون عبداً
فكم أبدى ضياء العلم رشداً
وتدرك راحة روحاً وجسماً
لتقفو معهم أثراً ورسماً
ظفرت بأكبر الشرفين قبلاً
به يهدى ويهذى من المأ
إلى العلياء يسرى وهو أعمى
وأذهب ظلمة وأزال ظلاماً

ويابسها درعا من نار ،
وخسوة من نار
ونعائين من نار ، وتقول
لها الزبانية يا ملعونة حاربي
ربك اليوم كما حاربتيه فى
الدنيا لتنظري فى هذا اليوم
من هو المغلوب الدليل
الحائب الملقى فى النار فتقول
الناخبة واويلاه ثم تداق
هى ومن حضرها ورضى
بفعلها إلى النار وهم
يسحبون على وجوههم «
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من عدت
من النياحة ولوسيع كلات
تبعث يوم القيامة وعليها
سربال من قطران ودرع
من جرب وجلباب من لعة
الله وهى واضعة يدها على
رأسها وتقول واويلاه
وللك الذى يسحبها يقول
آمين حتى يسلمها إلى مالك
خازن النار «وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
«يجعل الله سبحانه وتعالى
النوائح صفين فى النار
صفاء عن يمين أهل النار
وصفا عن شمالهم ينبحن كما
تنبح الكلاب على أهل
النار « وروى أن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه سمع

فثحمد ربنا إذ منّ لطفاً به في رشدنا وأزال غمنا

أحمد حمدنا أنال به من الإخلاص حظاً وقبلاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أمحو بها ذنباً وإثماً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أذهب الله بشريعته عن القلوب هما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين أطلع الله لهم في سماء الفضل والشرف نجماً . قال أصحاب التاريخ : ولد الامام الشافعي رضي الله عنه بغزة من بلاد فلسطين ومات عنه أبوه وهو ابن سنتين ، خملته أمه إلى مكة شرفها الله تعالى ، فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره حتى كان مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة يحثه على الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة . وهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، ويتصل نسبه إلى عبد مناف ، وعنده يلتقي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وسافر إلى بغداد فأقام بها سنتين ، ثم عاد إلى مكة فأقام بها أشهراً ، ثم خرج إلى مصر ومات بها رضي الله عنه ، وكان يقسم الليل على ثلاثة أقسام : ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم . وقال الربيع رحمه الله : كان الامام الشافعي رحمه الله عليه يختم القرآن في كل يوم مرة ، وقل الربيع أيضاً : كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وقال الحسن الكرايبي : بت مع الامام الشافعي رضي الله عنه غير مرة فقرأته يصلي نحواً من ثلث الليل فقرأته يزيد على خمسين آية فإذا أكل كثير فثأته ، وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الإنابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين ، وكان الشافعي رضي الله عنه يقول : ماشعت منذ ست عشرة سنة لأنه يتقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويحلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وكان الشافعي رضي الله عنه يقول : ما حلفت بالله في عمري لا كاذباً ولا صادقاً وسئل رضي الله عنه عن مسألة فسكت ، فقيل له لم لا تجيب ؟ فقال حتى أعلم الفضل في سكوتي أو في جوابي . وقال المزني ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم : جاء الشافعي إلى مالك رضي الله عنهما ، فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ ، فقال مالك امض إلى حبيب كاتبي فإنه يقول قراءته فقال له الشافعي تسمع مني رضي الله عنك صفحاً ، فإن استحسنت قراءتي قراءته عليك وإلا تركتك ، فقال له اقرأ فقرأ صفحاً ثم وقف ، فقال له مالك هيه فقرأ صفحاً ثم سكت ، فقال له الامام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك ، فقال له مالك : اطلب من يقرأ لك ، فقال له الشافعي : أحب أن تسمع قراءتي فإن خئت عليك وإلا طلبت من يقرأ لي ، فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، ثم قال اقرأ فقرأت عليه من الموطأ من أوله إلى آخره حفظاً فدعا لي وسرّ بذلك . قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : حملت عن محمد بن الحسن حمل جمل بخفي ليس عليه إلا سماعي منه . وقال محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم : قل الشافعي : لم يكن لي مل وكنت أطلب العلم في الصغر فسكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور فاكتب فيها .

[إخواني] بهذا الاجتهاد بلغوا المراد ، وبهذا الطلب حصل لهم التوفيق والسداد ، وبهذه المهمة صاروا قدوة للعباد ، يا هذا المهم العلية تدني إلى المراتب السنية ، وكل من تعب استراح ويحك يا مضياع عمره في البطالة ، وقد فاز غيره بنجح الطالب ، يامهملاً نظره في العواقب ، احذر فوات الفضائل والمناقب ، أما كان فما مضى من عمرك من اللعب ما كفالك ، ولا فما رأيت من تغير أحوالك ما وعظك ونهاك ؟ ذهب العمر في كسب ما يضر ، وأتيت إلى الآخرة بما لا يسر : مازلت في ضرر تسكبه حتى قطعت العمر خسرانا وأتيت بالأوزار تحملها

امرأة تقول أياتنا فضررها بالدره حتى انكشف خمارها فقيل له : يا أمير المؤمنين أما لها من حرمة ؟ قال لا والله ، لأن الله عز وجل يأمرنا بالصبر وهي تنهى عنه وينهانا عن الجزع وهي تأمر به وتأخذ الأجرة على عبرتها . وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من الكفر بالله : شق الجيوب وحلق الشعور ، أو قال لطم الحدود ، والنيابة ، وإن الملائكة لاتصلي على نائحة ولا مغنية لأنه سبحانه وتعالى لعن النائحة والمغنية والواشمة والمستوشمة ولعن اللاطعة خذنها والصارخة بويلها ولعن النائحة والمستمعة » وقال : « ليس للنساء في اتباع الجنائز من أجر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس هنا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وقال الله سبحانه (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وقال صلى الله عليه وسلم :

لا كان ماقد كان لا كانا وركبت آثاما أسرت بها ورأيت في عقبك أحزانا
فغسى الكريم يتم نعمته ويعيد ذلك سوء إحسانا

وكان الشافعي رحمه الله يقول : من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالفها في قلبه فقد كذب .
وأما زهده رضي الله عنه في الدنيا وسخاؤه فروى الحميدي أن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى
اليمين في بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة
فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعا ، وخرج يوما من الحمام وقد أتى بمال كثير
فدفعه للحامي ، وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين دينارا .
وروى عنه أنه خاط قبيصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره ففرزأ به الخياط وجعل له الكم اليميني
ضيقا لا يخرج منه يده إلا بجهد والسك . الآخر كأنه رأس عدل ، فلما جاء الشافعي رأى كما ضيقاجدا
والآخر متساعجا . فقال جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشعير الوضوء وهذا الكم الواسع
لأجل الكتاب ، وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعي بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط ،
فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته في تفصيله ، فسأل عنه الخياط فقيل له هذا
الامام الشافعي فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه . وقال الربيع : تزوجت
فسألت الشافعي كم أصدقها ؟ فقلت ثلاثين دينارا . قال كم أعطيتها ؟ قلت ستة دنانير ، فأرسل إلى
بصرة فيها أربعة وعشرون دينارا ، وجعل لي معلوما على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين . وقال
الشافعي رحمه الله : أظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف
بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل ، وقرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون . ولا
يؤذن لهم فيعتذرون) فغير لونه واقتصر جلده واضطربت مفاصله وخر مغشيا عليه ، فلما أفق
قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض العافلين : اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت
لهيئتكم نفوس المشتاقين ، إلهي هب لي جودك وجللي بستره وأعف عني في تفصيري بكرمك .
يا هذا إذا كان هذا خوف الشافعي مع علمه فكيف أمك مع جهلك ؟ ويح الجاهلين العافلين
أعمارهم تنهب وأيامهم تذهب وآثامهم تكتب ، أصم عن الناصح أم عمى والأمر واضح (فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا) أهل القلوب القاسية يخرجون من مجالس الذكر كما دخلوا
(سواء عليهم ما نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) المواعظ تحوم حول القلوب ولا تجد طريقا إليها (ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ومع هذا فلا يقطع الرجاء فإن الحجر ينقلب خلا
في ليلة واحدة (يقلب الله الليل والنهار) خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام وهو
أقصى قلبا من الصفا ، فأسلم ولان عند الصفا :

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خلقته أمر

ويحك إن اغتالك الظلام فاقتد بعماء الإسلام . قال عبد الله بن محمد البكري : كنت مع الامام
الشافعي رضي الله عنه بشط بغداد فرأى شابا يتوضأ ولا يحسن الوضوء ، فقال له يا غلام أحسن
وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة ثم مضى ، فأسرع الشاب في وضوئه ثم لحق الامام
الشافعي ولم يعرفه فالتفت إليه الامام وقال له هل من حاجة ؟ قال نعم تعلمني بماءك الله ، فقال له :
اعلم أن من عرف الله نجا ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما
يرى من ثواب الله غدا ، أفلا أزيذك ؟ قال نعم . قال : من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان
من أمر بالمعروف واثمر به ، ونهى عن المنكر واتقى عنه ، وحافظ على حدود الله تعالى . قال

« إن الصراط ينصب على
متن جهنم كما ينصب الجسر
على يمينه وشماله فإن كان
الإنسان يصلي نصب له ستر
عن يمينه وإن كان صابرا
على الشدائد ينصب ستر
عن يساره ، وإن كان غير
مصل ولا صابر يأكل لهب
النار جنبه وقت العبور
على الصراط فاستعينوا
بالصبر والصلاة ليدفع عنكم
لهب النار . » وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا كان يوم القيامة
ينادي مناد من له على الله
دين ؟ فتقول الخلائق ومن
ذا الذي له على الله دين ؟
فتقول الملائكة من ابتلى
بما يحزن قلبه وبكى عينيه
فصبر احتسابا لله سبحانه
وتعالى فليقم يأخذ أجره
من الله في هذا اليوم فتقوم
خلائق كثيرة من أهل
البلاء فتقول الملائكة
ليست الدعوى بلا بينة
أرونا صحائفكم فينظرون
في صحائفهم فمن وجدوا
في صحيفته سخطا وكلاما
فاحشا يقولون أفسد فما
أنت من الصابرين وكذلك

أفلا أزيدك؟ قال بلى. قال: كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى في جميع أمورك تنجح مع الناجحين ثم مضى، فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقبل له هذا الامام الشافعي رضى الله عنه، وكان يقول رضى الله عنه: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلى منه شيء، وقال أيضا رضى الله عنه: ما نظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل، وما كنت أحدا قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالي أن يبين الله عز وجل الحق على لسانى أو على لسانه. وقال أيضا: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته، وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه، ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي. وقال له ابنه يابن: أى رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال الامام أحمد: يابن كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للناس، فانظر يابن هل من هذين خلف؟ هكذا العلماء الصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس، وليس منهما خلف، فان بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة، فله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأتم تفرون من الله إلى الدنيا. كان السلف يسخرون من الشيطان وأتم يسخر بهم، كم بينكم وبينهم في القدر، ملكتم الدنيا وملكوها فأتم عبيد لها والقوم أحرار، كانت لهم أشفة فما احتملوا العار وعرفوا قدر الزمان فاتموا الأعمار، لو اطلعتم عليهم في وقت الأسجار لرأيتهم نجوم الهدى، لا بل هم الأقدار، قاموا في الدجى على قدم الاعتذار، وأتم في بحر النوم والغفلة في التيار

طال والله بالذنوب اشتغالى وتماديت في قبيح الفعال
ليت شعري إذا أتيت فريدا والموازين قد نصبت حوالى
والدواوين قد نشرن جميعا ثم لم يغنى هنالك مالى
ما احتيالى وما أقول لربى في سؤلى وما يكون مقالى

[كان] الشافعي رضى الله عنه كثير الزهد في الدنيا غنيفا عن اللغو والكلام الفاحش. ومرو يوما برجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي رضى الله عنه إليه، فقال تزهوا أسباعكم عن سماع الحنا كما تزهون ألسنتكم عن النطق به فان السمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أجبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لشيء رادها كما يشق قائلها. وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه، فقال للشافعي: أيما أفضل: الصبر أو المحنة أو التحسن؟ فقال الشافعي رضى الله عنه التحسن درجة الأنبياء ولا يكون التحسن إلا بعد المحنة فإذا امتحن وصبرمكن، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم آناه ملكا عظيما، والتحسّن أفضل الدرجات.

[وقل عبد الملك بن عبد الحميد الميموني] كنت عند أحمد بن حنبل وجري ذكر الشافعي فرأيت أحمد يعظمه، فقال بلغنى أو قال يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها» فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى:

[وقل هرون بن سعيد بن الهيثم الأيلي] ما رأيت مثل الشافعي قط، ولقد قدم علينا مصر فقاموا قدم رجل من قريش فقيه جفاء وهو يصلى فما رأينا أحسن منه وحما ولا أحسن صلاة فافتنا،

إذا وجدوا في صحيفة
للرأفة سخطا يردونها من
بينهم وتأخذ الملائكة
الصابرين من الرجال
والنساء حتى يوصلوهم
إلى تحت العرش فيقولون
ياربنا هؤلاء عبادك
الصابرون فيقول الله عز
وجل ردوهم إلى شجرة
البلى فيردوهم إلى شجرة
أصلها ذهب وأوراق
حلل وظلها يسير الراكب
فيه مائة عام فيجلسون
تحت ظلها، ويجلى عليهم
الحق سبحانه وتعالى
واحد بعد واحد وواحدة
بعد واحدة يعتذر إليهم
كما يعتذر الرجل إلى
صاحبه يقول لهم يا عباي
الصابرين إنما ابتليتكم
لا لهوائكم على بل
لكرامتكم عندي وقد
أردت أن أحط عنكم لبلاء
في دار الدنيا ذنوبكم
وأوزاركم وأبلعكم درجات
عالية ما كنتم تصلون إليها
بأعمالكم فصبرتم لأجلي
واستحييت منى ولم
تسخطوا قضائي فألوم
استحي منكم لأنصب لكم

لما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقاً منه ، وكان يتكلم في الحقيقة أيضاً وفي الزهد وفي أسرار القلوب ، وكان يقول : كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة ؟ وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب ؟ وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده ؟ وكيف ينال الحكمة من لا يريد بقوله وجه الله عز وجل ؟ وسأله بعض الناس عن الرياء ، فقال له : أنت إذا خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ، وأي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ؟ وله رضى الله عنه :

ولما قسا قلبي وضائق مذهبي جعلت الرضا منى لعفوك سلماً
تعاضمتنى ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فلله در العارف الذندب إنه تسح لقرط الوجد أجفانه دماً
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه على نفسه من شدة الخوف مأتماً
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه وفيما سواه في الوري كان معجماً
ويذكر أياماً مضت من شبابه وما كان فيها بالجبهة أحمرماً
فصار قرين لهم طول نهاره ويخدم مولاه إذا الليل أظلاماً
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي كفى بك للراحلين سؤلاً ومغناً
ألست الذي غديتي وكفلفتي ومازلت منساناً علي ومنعماً
عسى من له الاحسان يغفر زلتي ويستر أوزاري وما قد تقدماً

وله أيضاً رضى الله عنه نظم كثير يحتوي على الحكمة والمواعظ ، وسنذكر منها ما وصل إلينا وصح عنه رضى الله عنه ، وله أيضاً كلام في الحقيقة ومعان دقيقة . فمن ذلك ما رواه سويد بن سعيد رحمه الله ، قال كان الشافعي جالساً بعد صلاة الصبح في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخل عليه رجل ، فقال له : إني خائف من ذنوبي أن أقدم على ربي وليس لي عمل غير التوحيد ، فقال الامام الشافعي رضى الله عنه يامؤمن لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك في منفرة الذنوب عليه ، حيث يقول (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ولو أراد عقوبتك في جهنم وتخلدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك ، ثم أنشد :

إن كنت تغدو في الذنوب جليداً وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أنالك من الميمن عفوه وأتاح من نعم عليك مزيداً
لاتياسن من لطف ربك في الحشا في بطن أمك مضغة ووليداً
لو شاء أن تصلى جهنم خالداً ما كان ألهم قلبك التوحيداً

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه رضى الله عنه ، وله شعر كثير وأدعية ، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مروان ، قال كنت أجلس في حلقة العلم عند الامام الشافعي رضى الله عنه وأكتب ما أفهمه منه فأثبته سحراً فوجدته في المسجد وهو قائم يصلي فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظها منه فكان من جملة ذلك : اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل ما يقر بنا إليك مقرونا بعوائى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين . قال فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد :

بموقف ذلى دون عزتك العظمى بخفي سر لا أحيط به علماً
باطراق رأسي باعترافي بذلتي بمد يدى أستعطر الجود والرحماً

ميرانا ولا أنثر لكم ديواناً
(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فلا أحاسبكم ، ثم يعتذر الله سبحانه وتعالى إلى الفقراء ويقول : يا عبادى الفقراء إني ما ابتليتكم بالفقر لهوانكم علي ولا لعزة الدنيا عندي ، ولكن قضيت أن من ملك من ملك الدنيا شيئاً أحاسبه عليه وأسأله من أين اكتسبه ، وفي أي شيء أخرجه فأحببت لكم الفقر ليخفف عنكم حسابكم وتستوفوا نصيبكم موفراً فمن كان قد سقاكم في دار الدنيا شربة أو أطعمكم لقمة أو كساكم خرقة فهو في شفاعتي ، ثم يمتدح الله إلى امرأة فقدت ولدها وصبرت فيقول لها يا أمتي قضيت أجل ولدك في الوح المحفوظ كذا ثم قبضته إلى فما جزع لك قلب ولا ضاق صدر فأبشري اليوم برضاى وجمع شمالك بولدك في دار حياه لاموت فيها ، ومقام لارحيل منه ولا هم

بأسائك الحسنى التى بعض وصفها لعزتها يستغرق النثر والنظما
بمهد قديم من ألت برىم بمن كان مجهولا فعلته الأسا
أذنا شراب الأنس يامن اذاسقى محبا شرابا لا يضام ولا يظما

[ومن جملة مناقبه رضى الله عنه] قال الربيع رحمه الله : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول :
رأيت وأنا باليمن كأتى جالس فى فضاء الطواف إذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقامت اليه
مسرعا وسلمت عليه فصاحته فعاتفنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى ، فلما أصبحت قصصت
ذلك على المعبر ، فقال لى أبشر ياأبا عبد الله ؛ أما رؤيتك لعلى بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو
النجاة من النار ، وأما مصاحفك اياه فهو الأمان يوم الحساب ، وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ
اسمك فى الدنيا ما يبلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه . ومن جملة دعائه رضى الله عنه : اللهم
إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس
والجن إلا طارقا يطرق بخير . اللهم أنت عيادى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ ، يامن ذلت له
رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراغة ، أعوذ بحلالك وكرمك ، من خزيك وكشف سترك ،
ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظنى
وأسفارى ، ذكرك شعارى وثناؤك دئارى ، لا إله إلا أنت تنزيها لاسمك ، وتكريما لاسمك
وجهك ، أجرنى من خزيك ، ومن شر عبادك وفقى سيئات مكرك ، واضرب على سرادقات حفظك ،
وأدخلى فى حفظ عنايتك ، يا أرحم الراحمين .

[اخوانى] ذهب الصالحون والعلماء المجتهدون ولم تذهب آثارهم ، وبحيت رسوهم ولم تمح
محاسنهم وأخبارهم . كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيرا
ويثنى عليه ، وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتحب أخبار الصالحين الأخيار ،
وتود أن ترى الشافعى تعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت
ففرحت البنت بذلك طمعا أن ترى أفعاله وتسمع مقالته ، فلما كان الليل قام لإمام أحمد إلى وظيفة
صلاته وذكره والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره والبنت رقبته إلى الفجر فقالت
لأبيها رأيتك أنت تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لاصلاة ولا ذكر ولا ورع ، فبينما هم فى
الحديث إذ قام الشافعى فقال له أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك
ولا أرحم . فقال كيف ذلك ؟ قال لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهري كلها
فى منافع المسلمين ثم ودعته ومضى ، فقال أحمد بن حنبل لابنته هذا الذى عمله الليلة وهو نائم
أفضل مما عملته وأنا قائم . يا هذا كانت حركاتهم وسكناتهم لله ، وأفعالهم وأقوالهم لله ، وذكركم
وفكرهم فى الله ، فقيامهم طاعة ، ونومهم صدقة ، وذكركم تسبيح ، وسكوتهم فكر ، وعلمهم
شفاء ورحمة للأمة ، لاجرم أن الله تعالى منحهم ومدحهم وجعلهم أئمة للإسلام وقادة للأئمة ،
وقيل فى المعنى :

قوم إلى الله ساروا بالعلوم على نجائب الفكر ركبانا ووجدانا
وفارقوا الأهل والأولاد واعتربوا وقد جفوا فى طلاب العلم أوطانا
حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة وذكركم عطر الأكوان إعلانا
هم الأئمة لازالت علومهم تبنى لناشقة روحا وربحانا

[وقيل] إن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يقطع الليل وظائف العلوم والأذكار ويجول

ولا حزن ، ثم يعتذر الله
سبحانه وتعالى لأهل
العمى والبرص والجذام
وسائر الأمراض فيفرحون
غاية الفرح بما حصل لهم
من الأجر ما يعقد لهم
رايات كرايات الصناجق
والأمراء ، فمن صبر على
بلية من البلاء نصبت له
راية ، ومن ابتلى بنوعين
من البلاء فصر نصبت له
رايتان ، ومن صبر على
ثلاثة أنواع من البلاء
نصبت له ثلاث رايات ،
ومن ابتلى بأكثر نصب
له أكثر ، ثم تأخذهم
الملائكة ركبانا على
الجانب والرايات بين
أيديهم وهم سائرون إلى
الجنة فينظر الناس إليهم
ويقولون : هؤلاء هم
الشهداء والأنبياء ، فتقول
لهم الملائكة : والله ليس
هؤلاء شهداء ولا أنبياء
ولكن هؤلاء قوم من
عوام الناس قد صبروا
على شدائد الدنيا فنجوا
فى هذا اليوم ، فيقول
الناس ياليتنا قد وقعنا
فى أشد البلاء وقرضت

في روض الحقائق والأسرار ، ويتنزه في حدائق لطائف الأفكار ، فاذا هبت عليه نسبات الأسفار اضطرب كونه وتغير لونه وهاج وجده ولحقه حال لا يدركه إلا أرباب الأحوال فسهل عن ذلك ، فقال لوتنشقون في السحر ما أنشق لشغلتم عن دنياكم ولم تهتم لأخراكم ، ولسان حاله يقول :

لكم بجنى الروح والجسم والقلب وكلى لكم ملك وإنى بكم صب
وأتم أحيانى على كل حالة قيا فرحى إن صح لى فيكم الحب
نأتم فعبنى دمعها متواصل عليكم وقلبي لا يفارقه الكرب
وكم آتمنى أن أسير اليكم فيمنعنى حظى وما تنفع الكتب
وأشواق وادى الرقتين لأجلكم وقلبي إلى وادى قبا والنقا يصبو
مق أنظر الأعلام من نحو أرضكم وقد ظهرت تلك العالم والكتب
ويطربنى نوح الحمام على الرنى وبان الحمى الأثل والمزلز الرحب
مق تجمع الأيام شمل برامة وأنظر من أهوى وقد زلت الحجب
وإنى لاشتاق الى قبر أحمد نبي اليه ترحل العجم والعرب
هو القرشى الهاشمى الذى له مناقب فضل لا تبديد ولا تحبو
ولولا كان الناس فى النى والعمى ولكن هداة قد جابنا به الرب
عليه سلام الله ملاح بارق وما هتفت ورق وما هطلت سحب
وعم جميع الآل والصحب كلهم سلام فقيهم دائما وجب الحب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

المجلس التاسع والثلاثون

في مناقب الإمام مالك رضى الله عنه

الحمد لله الذى جعل العلم للعلماء سببا ، وأغناهم به وإن عدموا مالا ونسبا ، ولأجله فاز إدريس عليه السلام بالجنة ورفع الله واجتي ، ولطلبه قام الكليم ويوشع وانتصبا فسارا إلى أن لقيا في سفرهما نصبا (إذ قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا ، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى ، واستخرج من ذريته قبائل وشعبا ، وأجرى عليهم قلم القضاء وجعل لكل شىء سببا ، وفق أهل العلم بعنايته تقاموا فى خدمته رغبا ورهبا ، وفقهم وعرفهم أحكامه فأحرزوا به مزايا وربيا ، وجعلهم فى الدنيا كالأعلام وهداة لأنام فاكتمسوا به مجدا وأدبا ، وقذف فى قلوبهم أنوارا يرون بها من المشكلات ما كان بعيدا محتجبا ، وكساهم به عزا وجلالة وسما ومهابة ففدا كل منهم مكرما ومجتي ، وأذاقهم حلاوة أحكامه فما وجدوا فى سفر طلبه تعب ، فاذا وفدوا اليه فى القيامة ألبسهم تيجان الكرامة وناداهم أهلا وسهلا ومرحبا :

تقدم وقدم فى الهوى النفس إن ترد رضاهم إذا أحببت منهم تقربا
ولا تخش من طعن القنا إن أردتهم ورمت تلاقيهم فلا تخف الظبا
هم العلماء المخلصون لربهم نخذ واقتبس منهم وكن متأدبا
فان كنت أهلا حزت كل فضيلة ونلت مقاما فى الأنام ومنصبا
وساعدك الرحمن منه بفضلته وصار لك الدين الحنيفى مذهبا

لحومنا بالمقاريض فكان لنا مع هؤلاء نصيب . فاذا وصلوا الى باب الجنة قرعوا بابها فاجبى رضوان فيقول من هذا ؟ فتقول الملائكة لرضوان افتح فيقول لهم فى أى وقت حوسبوا هؤلاء وخلصوا وبعض الناس قيام من التراب وإلى الآن ما نشر الحق عز وجل ديوانا ولا نصب ميزانا ؟ فتقول الملائكة هؤلاء الصابرون ، ليس عليهم حساب افتح لهم يارضوان أبواب الجنان ليقعدوا فى قصورهم آمنين ، فعند ذلك يفتح لهم رضوان الجنة فيدخلون إلى منازلهم فيتلقاهم الخدم بالفرح والسرور والتهيل والنكير فيجلسون على شرف الجنة خمسمائة عام يتفرجون على حساب الخلق حتى يفرغوا من الحساب ، فطوى للصابرين قالوا يا رسول الله : ما الذى يتفصل الميزان ؟ قال الصبر ، فكل من كان صبره أكثر كان صراطه أعرض .

أحمد حمداً اتخذته للنجاة سبباً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعز بها طرباً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبي ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته البررة النجباء ، صلاة وسلاماً دائماً ما هطلت السماء بوبلها وأبدت سبحاً [روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الأنساب] أن الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي رضي الله عنه : كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر ، وقام الدين واشهر ، ومنها فتحت البلاد ، وتواصلت الأمداد ، وسمى عالم المدينة ، وانتشر علمه في الأمصار واشتهر في سائر الأقطار ، وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، فاحتاج أشياخه إليه وعاش قريباً من تسعين سنة ، ومكث يفتي الناس ويعلمهم نحواً من سبعين سنة وشهد له التابعون بالثقة والحديث ، وروى عنه من الأئمة المشهورين والعلماء المذكورين محمد بن شهاب الزهري إمام السنة ، وربيعة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، وهؤلاء كلهم أشياخه ورووا عنه ، وتأول فيه التابعون وتابعوهم أنه العالم الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة » ، وفي حديث آخر « ليس على ظهر الدنيا أعلم منه ، فتضرب إليه أكباد الإبل » ، وفي حديث آخر « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة » قال ابن عيينة كانوا يرونه مالكا . وقال عبد الرزاق كذا ترى أن مالكا لا يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت أكباد الإبل إلى أحد مثل ما ضربت إليه . قال أبو مصعب : كان الناس يزدهجون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم . وقال يحيى بن شعبه . دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والس حولة سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتي أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره جلست بين يديه فسأله فحدثني فاستزدته فزادني ثم غمزني أصحابه فسكت . وقال مالك رضي الله عنه : ماجلست للفتيا والحديث حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم إني مستحق لذلك . وقال حماد بن زيد لرجل جاءه في مسألة اختلف الناس فيها يا أخى إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واخضع إلى قوله فإنه حجة : مالك بن أنس إمام الناس . وقال حماد بن سلمة : لو قيل لي اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماماً يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك موضعاً وأهلاً ورأيت ذلك صلاحاً للأمة . وقال الليث بن سعد : علم مالك علم تقي ، علم مالك أمان لمن أخذ به من الأنام ، وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول إنما أقتدى في ديني برجلين مالك في علمه وسليمان بن القاسم في ورعه فله درهم نصبوا أنفسهم لنفع الناس فعبت بأنفاسهم الأكوام واجتهدوا في طلب العلم فوقهم الرحمن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماسلك عبد طريقاً إلى العلم إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، والعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولو أن عبداً مات في الإسلام ماتت من أمة من الناس ، وماتت من أمة من الأرض إلا نلت في الإسلام ثلعة لا يسدها أحد ما اختلف الليل والنهار ، ألا وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، ولمداد جرت به أنامل العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء وليودن رجال قتلوا في سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء لما يرون من فضل أهل العلم ، فمن أصاب عالماً فقد أصاب خيراً الدنيا والآخرة ومن آذاهم فقد بارز الله تعالى بالحاربة » :

عليك بعلم الفقه في الدين إنه سيرفع فاستدركه قبل صعوده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس كل الناس يجدون صراطاً أرق من الشعرة وأحد من السيف ، ما يجد الصراط على هذه الحالة إلا الهالكون إنما الناس يجدون الصراط على قدر أعمالهم منهم من يجد على عرض جزيرة ، ومنهم من يجد على عرض ذراع ، ومنهم من يجد على مقدار صبرهم على الشدائد وصبرهم على الطاعات ، فمنهم من يجد أرق من الشعرة وأحد من السيف وذلك الذي لا صبر له ، ومن لا صبر له لا دين له » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ مات الولد وعرجت الملائكة بروحه يقول الله عز وجل : يا ملائكتي كيف تركتم أمي وقد أخذتم ولدها ومرة فؤادها وهو أعلم بذلك ، فيقولون يا ربنا راضية ببلاتك شاكرة لنعمائك ، فيقول الله سبحانه وتعالى : ابنوا لها بيتاً من ذهب تحت عرشى

فمن نال منه غاية بلغ النبي وصار محمداً في روح صعوده

[وقال محمد بن ربيع رحمه الله] حججت مع أبي وأنا صبي لم أبلغ الحلم فتمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروضة بين القبر والنبر فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من قبره وهو متوكئ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقامت فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت: يا رسول الله أين أنت ذاهب؟ فقال أقيم لملك الصراط المستقيم فانتبهت فأتيت أنا وأبي فوجدت الناس مجتمعين على مالكي وقد أخرج الموطاء، وكان أول خروجه:

[وحدث محمد بن عبد الحكيم] قال سمعت محمد بن أبي السري العسقلاني يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك. فقال صلى الله عليه وسلم إني قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أحدث به عنك فقال إني أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله حدثني بعلم أحدث به عنك فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن السري إني قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطاء، ألا وليس بعد كتاب الله ولا سني في إجماع المسلمين حديث أصح من الموطاء فاسمعه تنتفع به. وقال عتيق بن يعقوب الزبيري رحمه الله عليه: قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطاء يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكي، فقال أقرئه السلام وقل له يحمله إلى الكتاب فيقرؤه علي، فأتاه البرمكي فقال له أقرئه السلام وقل له إن العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فأخبره. وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بن أنس في أمر يخالفك أعزم عليه فينباهم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس، فقال له الرشيد يا ابن أبي عامر أبعث اليك فيخالفني، فقال مالك: يا أمير المؤمنين أخبرني الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، قال «كنت أكتب الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فكتبت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون)، وكان ابن أم مكتوم عند النبي صلى الله عليه وسلم. فقال يا رسول الله إني رجل ضريب، وقد أنزل الله تعالى في فضل الجهاد ما قد علمت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أدري وقل لي رطب ما جف حتى تقل غثخد النبي صلى الله عليه وسلم علي ثم أغشى علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا زيد أكتب غير أولى الضرر» يا أمير المؤمنين حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة آلاف عام ألا ينبغي لي أن أعزه وأجله؟ وإن الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع فلا تسكن أنت أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك. قال فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله ليسمع منه الموطاء وأجلسه معه على المنصة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لملك تقرأه علي؟ قال يا أمير المؤمنين ما قرأته على أحد منذ زمان قال الرشيد فيخرج الناس حتى أقرأه أنا عليك. فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضي الله عنه لهرون الرشيد: يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليجنون التواضع للعلم فقل لهرون الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه. وسئل مالك رضي الله عنه عن طلب العلم؟ فقال حسن جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تسي فإلزمه. وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى إذا أراد أن يحدث تواضعاً وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمسك في الجلوس على وقار وهيبته ثم حدث فقيل له في ذلك. فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يكون تعظيم العلم، فالعلماء إذا عظموا

وسموا بيت الصبر، وفي حديث آخر «سموه بيت الحمد» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فقد واحداً من الولد وصبر على فقده كتب الله له عز وجل في ميزانه من الأجر كوزن جبل أحد، ومن فقد اثنين وصبر على فقدهما أعطاه الله نوراً يسعى بين يديه ينور له في ظلمة الموقف، ومن فقد ثلاثة من الأولاد وصبر على فقدهم غلقت عنه أبواب النار إذا عبر عليها، ومن صبر على فقد إحدى عينيه كان أول من ينظر إلى وجه الحق تبارك وتعالى ويخلق الله الخلق على أهل العبي وتتنصب راياتهم قبل أهل البلاد جميعهم، ومن صبر على فقد عينيه جميعاً بنى الله له بيوتاً تحت العرش فيها من الملك ما لا يصفه الواصفون، ومن صبر على الغسل والوضوء احتسب على الصلاة كتب الله له بكل شعرة على جسده حسنة وبخلق الله

العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار في قلوب الملوك ومن دونهم ، فيا أيها الطالب للعلم تواضع له ، فمن تواضع له تواضع لله ، ومن تواضع لله رفعه الله ، فان التراب لما ذل لأخص القدمين صار طهورا للوجه كما قال (فامسحوا بوجوهكم منه) يا هذا دم على حضور مجلس العلم فالعلم يحتاج كل ساعة إلى الرضاع . فاذا صار رجلا صبر على الفطام . واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنت العزم :

ولأن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
أغرسه عزا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

فيا أيها الشاب جوهر نفسك بدراسة العلم وحلها بحيلة العمل ، فان قبات نصحي لم تصلح إلا لصدر سرير أولدوة منبر .

تعلم فليس للره يخاق علما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

[قيل] لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره في البلاد حملت إليه الأموال لا تشارع له فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها في وجوه الخير موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول : ليس الزهد فقد المأل ، وإنما الزهد فراغ القلب عنه . وقال أيضا : ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب إلا متعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خرف . وقال عمر بن أبي سلمة رحمه الله : ما قرأت كتاب الجامع من وطأ مالك إلا أتاني آت في المنام فقال لي هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا . وقيل إن ملكا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقي متفكرا في أى شيء يسمى به تأليفه ، قال فتمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال وطئ للناس هذا العلم فسمى كتابه اللوطا . وقال عبد الله بن المبارك : كنا عند مالك ، وهو يحدثنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ، ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا . قال نعم صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مصعب بن عبد الله رحمه الله : كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ف قيل له في ذلك ؟ فقال : لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم ما رآه . وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل ويقول : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الدراوردي رحمه الله : رأيت في المنام أني دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعظ الناس إذ دخل عليه مالك فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال إلى إلى فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه من أصبعه فوضعه في خنصر مالك رضى الله عنه فأولته العلم قد وضعه النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، وكانت العلماء تقتدى به ، والأمراء تستضيء برأيه ، والعامة متفادة إلى قوله فكان يأمر فيمثل أمره بغير سلطان ، ويقول فلا يسأل على دليل على قوله ، ويأتي بالجواب فلا يجسر أحد على مراجعته ، ولذلك قال فيه بعض محبيه :

يأتي الجواب فلا يرجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

لبس الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

هذه والله صفات العلماء الذين تبكى على قدومهم الأرض والسما وترحم بهم العباد ، وتؤمن بهم البلاد ، فهم العلماء الزهاد أهل الإخلاص والسادات حنت إليهم القلوب ، وانقادت إليهم النفوس ،

عز وجل من كل قطرة
تقطر منه ملكا يسبح الله
تعالى إلى يوم القيامة وأجر
تسبيحه له ، ومن صبر على
أذى الناس كف الله عنه
أذى جهنم ودخانها . وإن
لجهنم بابا اسمه باب التشقى
لا يدخله إلا كل من شقى
غضبه ، ومن لم يشف
غضبه وترك حقه لله
سبحانه وتعالى يغلق الله
عنه ذلك الباب إذا عبر على
العراط وينقل الله سبحانه
وتعالى حصنات من آذاه
إلى كتابه وينقل ذنوبه
إلى كتاب من آذاه ونعم
الحاكم ، ومن صبر على فقد
الأولاد الصغار وقال في
سبيل الله (إنا لله وإنا إليه
راجعون) لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم تصلى
عليه لللائكة ويرضى
عنه الجبار جل جلاله ويجعل
لله ذلك الولد الصغير
ذخرا له على الخوض يسقيه
يوم القيامة يوم العطش
الأكبر » وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « يقوم
الناس يوم القيامة من
القبور جياعا عطشى ، فمن

وذلت لهم الصعاب وخضعت لهم الرؤوس ، فهم في الأقطار كالأقمار والشموس ، لاجرم صار ذكركم مدونا في الطروس . وأما من تصنع بالرياء وعمل لأجل الدنيا وغرته أمانيه ، واشتغى أن يمدح بما ليس فيه فذاك من أهل الأذهان المعكوسة ، والأفكار المنكوسة إذا سمعوا مالا تدركه فهمومهم ، وتقصر عنه علومهم فسدت أصولهم والتبس عليهم محصلهم فعملوا بالمعاصي في صور الطاعات ، وجاءوا بالسيئات في صفات الحسنات ، خافوا في العمل ، وخابوا في الأمل ، وليس العجب من عاى بجهله قد اقترف ، وبذنبه قد اعترف ، فهو على هدف (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وإنما العجب ممن يدعى العلوم ، ولطلب الدنيا يروم ، وهو عند الله ملوم ، وعند الناس مذموم ، ومن الأجر محروم ، فهؤلاء اتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، وجعلوا المواعظ فرحة وطربا يسمعون ولا يلقون للقول ممعا ، ويوعظون فلا يؤثر الوعظ في قلوبهم صدعا ، ولا في العيون دمعاً (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن سمعوا بدلوا وحرفوا ، وإن وزنوا أوكالوا بخسوا وطفقوا ، هذا والله حرام شرعا (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) إن تواجدوا بغير عزم ، وإن جادلوا بغير علم ، وإن سألوا بغير فهم لاجرم أنهم بسيوف الجهل صرعى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) كان مالك رضى الله عنه كثير الصلاة والأذكار ، والأوراد في الأسحار ، والدروس في العلوم والتكرار ، فجاء مدحه على لسان النبي المختار : مامدح مالك بذلك ، حتى سلك إليه أصعب المسالك ، واقتحم في طلبه جميع المهالك ، وأنت أيها الغافل في لجة الجهل بارك ، ولأوامر الرب تارك :

واحر قلبى من العلوم	من جاهل في الورى ظالم
لم يدرك فيما ادعاه فرقا	بين صحيح ولا سقيم
بذلت جهدى وحسن قصدى	والصفو من قلبى السليم
غواص فكرى يبحر سرى	يحتلب الدر للفهم *
واخية السعى إن لم يكن لى	قصد سوى وجهك الكريم
وإن تكن هجرى لثى	سواك يا خيبة القدم
لله من خلقه خواص	لهم خصوص من العموم
قد خصهم منه إذ جباهم	بالفضل من جوده العميم
علومهم بالفهم تقرا	لابسطور ولا رقوم

[وعن الشافعى رضى الله عنه] قال : رأيت على باب مالك دواب من أفراس خرسان جاءت هدية ، وقيل من مصر ، مارأيت أحسن منها فقلت له ما أحسن هذه . فقال هى هدية منى إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها ؟ فقال لى لأستحي من الله أن أطأ ربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بخافر دابة . وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول : مالك رحمة لهذه الأمة . وقال أبو قدامة : مالك أحفظ أهل زمانه ، وقال أبو عبد الله المنتاب : حفظ مالك مائة ألف حديث . وقال الليث بن سعد : والله ما على وجه الأرض أحب لى من مالك . وقال : اللهم زد من عمرى فى عمره . وكان الأوزاعى معظما لمالك ، وإذا ذكره يقول : قال عالم العلماء . قال عالم المدينة . قال مفتى الحرمين . وقال الثنى ابن سعيد القصير : سمعت مالكا يقول : مابت ليلة إلا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها . [فأما ذكر وفاته] فقال ابن القاسم رحمه الله عليه : كنا عند مالك فى مرضه الذى مات فيه فدخل ابن الدراوردى ، فقال يا أبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها منى ؟ فقال قل ، قال : رأيت رجلا ينزل من السماء عليه ثياب بيض ويده سجل ينشره ما بين السماء والأرض ثلاث مرات يقول :

كان له صيام تطوع فى أيام الحر فى الدنيا يبعث الله تعالى له موائد الطعام وشرابا من الجنة ويأتى صومه فيزاحمه الناس على الخوض ويملا ويسقيه ، ومن كان له ولد وقد مات وهو دون البلوغ فيزاحم ويسقيه إن صبر على فقده ولم يسخط على الله عز وجل ومحاربه ، فإن أطفال المسلمين كلهم حول الخوض مع الجوارى والفلدان وعليهم أقبية الدياج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأقداح من ذهب وهم يستقون آباءهم وأمهاتهم إلا من حارب الله عز وجل فى فقدم لم يأذن الله لهم أن يستقوهم ، وقد ورد فى الخبر الآخر « إن أطفال المسلمين يجتمعون فى موقف القيامة فيقول الله تعالى للملائكة : اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فتقول الحزنة مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا الجنة لاحساب عليكم ، فيقولون أين آباؤنا

هذه براءة مالك من النار فيينا أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير ، فقال يا أبا عبد الله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك ، فقال مالك : الله المستعان ما شاء الله كان ، وعن أبي زكريا قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : قالت لي عمتي ونحن بمكة رأيت في هذه الليلة رؤيا قلت : وما هي ؟ قالت رأيت قائلا يقول : مات الليلة أعلم أهل الأرض حسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذي مات فيه مالك .

[وقال يونس بن عبد الأعلى] سمعت بشر بن بكر يقول : رأيت الأوزاعي في المنام مع جماعة من العلماء في الجنة . فقلت له أين مالك ؟ فقيل رفع . قلت بماذا ؟ قال بصدقه . ورأى بعض الصالحين مالكا بعد موته في المنام ، فقال له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ، قال بماذا ؟ قال بكلمة سمعتها من عثمان أنه كان إذا رأى ميتا يقول : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، سبحان الحي الذي لا يموت ، فأدمت قولها فأدخلني الله الجنة .

[وقال عبد العزيز] توفي مالك رضي الله عنه لعشرة أيام خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، ومرض يوم الأحد ، ومات يوم الأحد ، وعاش تسعين سنة ، وأوصى أن يكفن في بعض ثيابه ، ويصلى عليه بموضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس ، فمن ذلك ابن عياش وهاشم وابن كنانة ، وشعبة بن داود وكان به حبيب وابنه ، ونزل جماعة في قبره وأنشد أبو عمار الأرجواني في مالك ، وفي موطئه :

لقد بان للناس الهدى غير أنهم
فلو أحدثت في بلدة الصين بدعة
فمن رام أن ينجو بمهجة نفسه
أترك دارا كان بين ييوتها
وكان رسول الله فيها وبعده
وفرق سبل العلم في تابعيهم
خلفه بالسبك للناس مالك
فأبرى بتصحيح الرواية داءه
ولم يؤث هذا العلم من غير أهله
أيا طالبا للعلم إن كنت طالبا
فبادر موطأ مالك قبل فوته
ودع له موطأ كل علم تريده
هو الحق عند الله بعد كتابه
هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه
لقد أعربت آثاره بثباتها
ومما به أهل الحجاز تفاخروا
وكل كتاب بالعراق مؤلف
ومن لم يكن هذا الموطأ بيته
ولو بالموطأ يعمل الناس كلهم
جزى الله عنا في الموطأ مالكا

وأمهاتنا ؟ فتقول لهم الخزنة
إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا
مثلكم لأن عليهم ذنوبا
ومطالبة وسيئات فهم
يحاسبون ويطالبون بها .
فيقولون قد صبروا على
قصدنا رجاء للثواب عند
ذلك اليوم فما ترد عليهم
الخنزنة جوابا ، قال فيقفون
على باب الجنة ويصيحون
صيحة واحدة فيقول الله
سبحانه وتعالى لللائكة
وهو أعلم ماهذه الصيحة ؟
فيقولون : ياربنا هذه
أطفال المسلمين قد قالوا :
لاندخل الجنة إلا مع آبائنا
وأمهاتنا ، فيقول الله
سبحانه وتعالى ليدخل
الجميع فتأخذ الأطفال
بأيدي آبائهم وأمهاتهم
فيدخلون الجنة « فطوبى
للصابرين ، وبأخية
للجازعين القليلين الصبر
على ما يفوتهم من الأجر .
وقفنا الله وإياكم لما يرضيه ،
وجنبنا وإياكم السخط بما
يقضيه ، وجعلنا وإياكم ممن
يحبه ويؤاياه بفضلنا وامتنانه
(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين) .

الباب السابع

في عقوبة مانع الزكاة
قال الله تعالى (وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة)
وقال الله عز وجل (الذين
يقيمون الصلاة ومما
رزقناه ينفقون أولئك
هم المؤمنون حقا لهم
درجات عند ربهم ومغفرة
ورزق كريم) وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إن المسلم إذا ملك
نصابا وهو عشرون مثقالا
من الذهب لزمه أن يركبه
ب نصف مثقال، ومن ملك
من الفضة مائتي درهم
يلزمه زكاتها حيث تبقى سنة
في يده، فإذا دار عليها
الحول وجبت فيها الزكاة،
فإن لم يركبها صارت كلها
مسامير من نار، قال الله
تعالى (والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنتم
لأنفسكم تكدسون ما كنتم
تكنزون)»

فقد جاد بالاحسان في كل ما روى
لقد رفع الرحمن بالعلم قدره
لقد فاق أهل العلم شرقا ومغربا
وما فاتهم إلا بتقوى وخشية
فلا زال يسقى قبره كل عارض
ويسقى قبورا جاورته كسقيه
وما فيه بخل إذ سقاهم بسقيه
ولكن حق العلم أولى وأوجب

ولما بلغ أهل العراق موت مالك ارتجت له العراق وعظمت مصيبتهم بموته، وقال رجل لسفيان
ابن عيينة يا أبا محمد رجل أراد أن يسأل عن مسألة رجلا من أهل العلم يكون له حجة بينه وبين
الله تعالى، فقال مالك لمن يجعله الرجل حجة بينه وبين الله تعالى، فقيل له قد مضى مالك؟ فقال
هيأت ذهب الناس.

[وأما زهده في الدنيا] فقد كان زاهدا فيها راغبا في الآخرة مجتهدا في العلم ونصيحة للؤمنين.
وسأله المهدي أمير المؤمنين، وقال له هل لك دار؟ فقال لا ولكن أحدئك: سمعت ربيعة بن أبي
عبد الرحمن يقول نسب المرء داره. وسأله الرشيد هل لك دار؟ قال لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار
وقال له اشتر لك بها دارا فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد، قال له ينبغي لك
أن تخرج من هنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللوطا كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن
يقال له أما حمل الناس على اللوطا فليس إلى ذلك سبيل، لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انتركوا
بعده في الأمصار فخذوا عند كل أهل مصر علم، وقد قل رسول الله صلى الله عليه وسلم «اختلاف
أمتي رحمة» وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «للمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون»، وقال «المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكبر خبث الحديد» وهذه دنائيركم كما هي
إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها، يعني أنك إنما كلفتني مفارقة المدينة بما اصطنعتك لدى من أخذ
هذه الدنانير فالآن خذها فاني لا أؤثر الدنيا وما فيها على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.

[وقال بعض الصالحين] رأيت في النوم أني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عمودا من نور
ورأيت أربعة يجرّونه بأربعة سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقالت بالله العجب
لوجره هؤلاء من جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك. فقال لي هذا
العمود هو دين الاسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرّونه هم أئمة الاسلام
الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم أجمعين فاتفقوا في فرض، وتولم حق واختلافهم
رحمة للمسلمين:

هم الفقهاء والمعلماء حقا	وعنهم في البرايا فارو ذكرا	وهم أهل التقى والدين فاعلم
وعنهم فاستمع خبرا وخبرا	فهم أهل الهداية حيث كانوا	ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
بهم تحمى البلاد ومن عليها	من أسباب الردي برّ أو بحرا	فكل منهمو في الخلق أضحي
لقاب الحارّ السكين جبرا	إذا وافاهم المضي فيشفي	وان مرّ السقيم بهم فيسيرا
وان وافي الفقير إلى حماهم	تراه بنيل فضل العلم يثرى	وان نامت عيون الخلق قاموا
يراعون الدجى سهر او فكرا	فهم في الليل في استغراق فكري	إذا اضطجعوا وما يخشون نكرا
وجدوا في تصانيف اليها	تشدر حال أهل الأرض طرا	فذكرهمو يعطر كل أرض
ونشرهمو طيب المسك أزرى	فان وجدوا فلادنيا انتاج	وان فقدوا أعيد العيش مرا

وكلهمو بدين الله حقاً وسنة أحمد المختار أدري أجل العالمين رسول صدق
به الرحمن جنح الليل أسرى هو الهادي البشير ومن هدايا لدين قد سما شرقاً وقدرها
شفاعته لأرباب الخطايا وأوها عند رب العرش ذخراً
عليه من المؤمنين كل وقت صلاة عملاً الأنظار نشراً
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

المجلس الأربعون

في مناقب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

الحمد لله الذي أوضح الطريق إلى معرفته لكل سالك، توحيد بالكبرياء والعظمة والممالك، إليه
لازير له ولا صاحبة ولا مشارك، صمد ليس يحسم ولا جوهر ولا عرض ولا فان ولا هالك، يعلم
ما كان وما يكون وما يخطر وما لا يخطر، نصير يبصر أغذية الجنين من البطون في ظلمة الأحشاء في سواد
الليل الحالك، سميع يسمع دعاء كل داع وماتحرك به شفتاك من ألف ذلك وأقوالك، مرید لما كان
من خير وشر وما يكون بعد ذلك، استوى على العرش كما قال لا كما يخطر ببالك، لا ينزل ولا
يحركة ولا انتقال ومهما خطر في النفس كان الله بخلاف ذلك، فهذا اعتقاد البشر وهو الذي اتفق
عليه أبو حنيفة وأحمد والشافعي ومالك، فقم أيها العاصي، وتذلل لمالك الواسي، وأقبل بافتقارك
واشك حالك إليه فهو أعلم بحالك، أحمد على السراء والضراء وأشكره في الشدة والرخاء، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العزة والبقاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه أنبي برك وعمر وعثمان وعلى السادة الأتقياء.

[قال إدريس الحداد] كان الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه صاحب
رواية في الحديث ليس في زمانه مثله :

وأحمد المعروف في كل مشهد وقد رفع الله العظيم له قدراً
وآتاه علماً في الوري ومهابة وجاد عليه بالكرامة في الأخرى

وكانت له حالة الصالحين وشعار المؤمنين . قال : وكان له على ولده عبد الله رغيف خبز وشيء
من الأدم ، فلما ولي ولده القضاء امتنع عن قبول الرغيف ، وقال والله لا آكل له طعاماً أبداً .
وكان كما قال إلى أن مات ، وقال إدريس الحداد : ما رأيت أحمد قط إلا مصلياً أو يقرأ في الصحف
أو وكتاب ، ما رأيت في شيء من أمور الدنيا . قال وكان إذا اشتد به الأمر بقي اليوم واليومين
والثلاث لا يأكل شيئاً إلا رأى أهله شرب الماء يومهم أنه شبعان .

[وقال المروزي] لما حبس أحمد بن حنبل في سجن الوائق على أن يقول إن القرآن مخلوق جاءه
السجان يوماً ، فقال له : يا أبا عبد الله الحديث الذي يروى في الظلمة وأعوانهم صحيح ؟ قال صحيح
قال السجان فاني من أعوان الظلمة قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال لأن أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك
ويغسل ثوبك ويصلح طعامك وأما أنت فمن الظلمة . قال إدريس الحداد : لما زالت المحنة وصرف
أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فردّ جمع ذلك ولم يقبل منه قليلاً
ولا كثيراً فجعل عمه إسحاق يحسب ماردته في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار ، فقال له أحمد
يا عم أراك مشغولاً بحساب ملاييفك . فقال له قد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج إلى حبة .
قال يا عم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه . وقال على بن سعيد الرازي : سرنا مع أحمد بن حنبل
يوماً إلى باب التوكّل ، فلما أدخلوه من باب الخاصة . قال لنا أحمد انصروا غاناكم الله فما مرض

وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
ملك نصيباً ولم يركه جاء
يوم القيامة في صفة ثعبان
عنه تنقدان نارا وأسنانه
من حديد فيجرى خلف
مانع الزكاة فيقول له
أعطني عيّنك البخيلة حتى
أقطعها فيهرب مانع الزكاة
فيقول له وأين المهرب من
الذنوب ؟ فيأخذه ويقطع
عيّنه بأسنانه ويذمه باسم
تعود كما كانت ، ثم يقطع
اليسرى ، وكذا مع ألسنانه
صاح صيحة من لوجع
فيرتعد منه أهل الموقف
ثم لا يرج يأكل يده
ويقطعها وهي تعود حتى
يتف بين يدي ربه
مقطوع اليدين فيحاسبه
حساباً شديداً ، ثم يأمر به
إلى النار فيقول من أنت ؟
فيقول أنا مالك الذي بخلت
بزكاتي صرت عدوك
اليوم نأنا أعدبك إلى
الأبد إلى أن يعفو الله عنك
ويسامحك الفقراء فيكبه
على رأسه في النار » وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « والذي نفسي بيده
مامن أحد ملك غر

منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه. وقال هلال بن العلاء : أربعة لهم على الاسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القرآن ، وأبو عبد الله الشافعي حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة ، وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم. وقال محمد بن موسى : حمل إلى الحسين بن عبد العزيز ميراثه من مصر وكان مبلغا عظيما فحمل منه إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار . وقال له يا أبا عبد الله استعن به على عيالك ، فقال لا حاجة لي بها أنا في كفاية من الله تعالى وردها عليه ، وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل كان أبي يقرأ كل ليلة سبع القرآن ويحتم في كل سبعة أيام ختمه ثم يقوم إلى الصباح . وكان يصلي في كل يوم ثلثمائة ركعة . فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة . وكان له في الليل ثلاث هدآت وثلاث صبحات . قال وكان ذات يوم جالسا عند الشافعي فرأى بهما شيبان الراعي عليه مدرعة صوف ، فقال أحمد للشافعي يا أبا عبد الله ألا أنه هذا الجاهل على جهله ؟ فقال له الشافعي لا تفعل دعه في شأنه . فقال أحمد لا بد ثم إنه استحضر شيبان وقال له يا شيبان ماتقول في رجل نسي صلاة من يوم لا يدري أي صلاة هي ما الواجب عليه أن يفعل ؟ قال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل : الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبدا ، ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردا علي قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف . وقال إدريس كان أحمد لا يلبس ثوبا مكفوقا بل كان يشله ويقور وسطه ويتركه في رأسه ويقول هذا لمن يموت كثير . قال وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض ويقول هذا والله هو الحلال الذي ليس له حساب ولا تبعه . قال وكان يوما جالسا وعنده جماعة نساء من أصحابه فجاءت إليه امرأة . وقالت له يا سيدي إننا جماعة نساء نقعد على سطوحنا بقطن الغزل فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن ننزل في ضوئها وشعاعها ، فقال لها أحمد من أنت ؟ فقالت له أنا أخت بشر الحافي ، فقال لها أحمد من بيتكم خرج الورع لا تنزلي في ضوئها . وقال إدريس الحداد لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلا كان معه فدفعه إلى بعض البقالين رهنا على شيء يأخذه . فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ما كان له وطلب السطل . فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة . وقال قد اشتبه علي سطلك فخذ أيهما شئت . فقال أحمد وأنا أشكل علي أيهما لي والله لا أخذه ، فقال البقال وأنا لا أتركه أبدا فاتفقا على بيده والتصدق به . قال وكان إذا شهد جنازة لم يفطر ذلك اليوم ولم ينم تلك الليلة وكان إذا رأى قبرا يصرخ كما تصرخ النكلى قال وخرج يوما من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه ، فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحلف أن لا يخرج إلا معطى الوجه لئلا يبصر أحدا . وكان إذا وقعت الحادثة أو المسألة لا يكتنها حتى يوردها على الفقهاء فان وافق رأيهم رأيها كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله قال وكان من زهده وورعه إذا جف القلم بيده مسح في رأسه ولم يمسحه في ثوبه فقيل له في ذلك فقال ان هذا مداد أثر العلم فلا أضعه في خرقه لئلا ترمى في نجاسة . وقال محمد بن موسى ولد أحمد بن حنبل في سنة أربع وستين ومائة ومات وهو ابن سبع وسبعين سنة ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة وحضر الناس لجنازته وصلى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر وحسبوا من صلى عليه ذلك اليوم وحضر جنازته فكانوا ثمانمائة ألف رجل وستين ألف امرأة ومسح الموضع الذي صلى عليه فيه فكان أربعة وستين جريبا مكسرة وجلس المتوكل ، وقيل الواثق وأمر القواد والخاصة أن يعزوه

أو بقرا أو بالأفلم يركها إلا جاءت يوم القيامة أقوى ما كانت في دار الدنيا لها قرون من نار فتنتطحه بقرونها وتدوسه بأظفارها حتى تشق بطنه وتقصظ ظهره وهو يستغيث فلا يغاث ، ثم تصير سباعا وذئبا تعاقبه في النار » وقال بعض السادة : كنت في شباني جاهلا أمتنع الزكاة فكانت لي غم ما كنت أخرج زكاتها فجاءني ذات يوم فقير فشكالي من الحاجة والضرورة فأعطيته منها كبشاً فتمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن الغنم جميعاً أقبلت بهم علي وتنطحني وأنا أبكي ولا أقدر على الهرب ولا أجد مغشياً فجاء ذلك الكبش الذي تصدقت به على الفقير فبقي يردهم عني كلما جاء كبش منهم ينطحني يقوم ذلك الكبش وينطحه ويرده عني فغلبوه لكثرتهم وهو بمفرده وكادوا أن يهلكوني فانتبهت ، وقد انقطع قلبي من الفزع فقلت والله

قال وكان أحمد بن حنبل أزهد أهل زمانه وأورعهم وأفقههم وأتقاهم وأعرفهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر بصحيحها من سقيمها وأعلم رجال الحديث والصادق منهم والمنتحل وقد روى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والتون مائة ألف وخمسون ألفا . وقد روى أنه لما ضرب وجري عليه ماجرى وثبت إلى الجنة حبيه ذلك إلى أهل الشرق والغرب ، ولم يزل أحمد بن حنبل بعد ذلك في رفعة وعلوّ وزيادة في أعين الناس حتى إذا رأوه كأنهم رأوا أسدا . قال ودخل عليه مجاهد في مرضه الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فبكى وقال له يا أبا عبد الله أوصني فأشار إلى لسانه وقال (لمثل هذا فليعمل العاملون) ثم مات رحمه الله عليه :

وللحافظ المعروف بالحفظ والتميز
هو العالم المضروب ظلما ولم يحل
رأى الله رب العرش تسعين مرة
وقال لئن أكلتها مائة لأسألن
ولم يدخر قوتا سوى قوت يومه
لقد فك منه عند ضرب لباسه
فهذا الذي قلناه من بعد ماجرى
فهم علماء المسلمين وذكرهم
سقى الله رب العرش منهم مضاجعا
وأدوا عن الله المهيمن دينه
إلهي كما أرشدتنا لطريقهم
ومن قتن الدنيا أجرنا تكرمنا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المجلس الحادي والأربعون

في مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي رفع السماء بقدرته ، وأدار دوائر الأفلاك وبسط الأرض بمشيئته ، ومهداها للسلوك ، وسخر الفلك ومهد الملك ، ودبر الأملاك ، ألهم القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي خلق الموت والحياة ، وقدر النجاة والهلاك القديم الخلاق ، الذي له الخلق والأمر ، وبه الإطلاق والإمساك ، الذي أنشأ اللوح والقلم ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وهب له العقل الكامل والفهم والادراك ، منقذ العرق من لجج البحار بعد معاينة الأخطار والهلاك ، ومنجى الهلكي بعد انقطاع الحيل والاستدراك ، ومطلق الأسرى من القيود الشديدة الوثاق ، ومسهفهم بالاطلاق والفكك ، الغني عن العباد يأمرهم بالطاعة والإيمان ، ولا يرضى لهم الكفر والاشراك ، الذي لا تنفعه الطاعة ، ولا تنصره العصية ، وإنما يأمرك أيها العاصي بطاعته وعن معصيته ينهك ، ليريك بعين يقينك وبين لك أمر دينك ودنياك ، فراقبه واتقه واحذر من معاصيه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحافظ على الصلوات التي بها أمرك وأوصاك ، وقف بين يديه في الأسجار بالدلة والانكسار وقد جاد عليك بنعمه الغزار وبلغك مقصودك ومناك ، أما حفظك في ظلمات الأحشاء وبلطفه غذاك ، أما أخرجك ضعيفا وجعل لك رزقا وقواك ، أما أحسن منشاك ومرباك ، أما أعزك وأكرم مثواك ، أما ألهمك رشدا وتقواك ، أما وهب لك العقل وإلى الإيمان هداك ، أما خولك في نعمه وأعطاك ،

لأجعلن أتباعك كثيرة
فتصدقت بثلثي غنمي
وقبت من منع الزكاة ،
ولقد رأيت عجا من التي
تصدقت به ومن عداوة
الباقى معي . وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« مكتوب على باب الجنة
أنت حرام على البخيل
ومانع الزكاة والديوث ،
قيل يا رسول الله وما
الديوث ؟ قال الذي يعلم
القيس على أهله ويسكت »
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من أدّى زكاة
ماله تاما وافيًا بطيب نفس
سمى في سماء الدنيا كريما
وفي الثانية جوادا وفي الثالثة
مطيحا ، وفي الرابعة سخيا
وفي الخامسة مقبولا وفي
السادسة محفوظا ، وفي
السابعة مغفورا له ذنوبه
وعلى العرش حبيب الله ،
فمن لم يؤد زكاة ماله يسمى
في سماء الدنيا بخيلا ، وفي
الثانية شحيحا ، وفي الثالثة
ممسكا ، وفي الرابعة مفتونا
وفي الخامسة عاصيا ، وفي
السادسة منوعا منزوع
البركة لاحظ له في مال ولا
في بر وفي السابعة مطرودا

أما أمرك بطاعته ووصاك ، أما حذرَكَ عن معصيته ونهاك ، أما دعاك إلى بابه وناداك ، أما أيقظك في السحر بلطيف خطابه ونجاك ، أما وعدك بالفوز والجزاء في أخراك ، أما سأله ودعوته فأجاب سؤالك ودعاك ، أما استغثت به في الشدائد فأغاثك منها ونجاك ، أما عصيته فمسترك بذيل حلمه وغطاك ، أما أغضبته مرارا وأرضاك ، أفيستحق منك أن تبارزه بذنوبك وخطاياك ، وبمدك برزقه وتمد إلى معصيته خطاك ، وتستخفي من الناس ولا تستخفي من الله وقد شاهدك ورآك ، إلى متى أنت غريق في بحر غيك وهواك ، ان أردت النجاة فاركب سفينة الندم واقلع برنج التوبة إلى مولاك ، وألق نفسك إلى ساحل الاخلاص وقد جاد عليك بالخلاص ونجاك .

[كان وكان]

يا من يعاهد وينكث	خف من إلهك واستحي	واذكر هجوم الناي
فما للراد سواك	إلى متى أنت غافل	تنسى مصيرك في الزرى
وأنت في الأحد وحدك	وقد جفاك أخاك	إن كنت عاصي مثلي
وافق وتم وابكي معي	على الذنوب والخطايا	عسى تنال منك
عند استماع الملامح	تحضر بنية صادقة	وفي صلاة توسوس
قل لي فمن أغواك	احذر مصايد ذنوبك	فكم رمت لك من شرك
تروم صيدك وكيدك	وشقوقتك وأذاك	ويحك تنبه لنفسك
واعمل لما تلقى غدا	إذا أتيت القيامة	وقامت الأملاك
وقمت تقرأ كتابك	خجلان من قبس الزلل	وما كفى ذلك حتى
تشهد عليك أعضاك	وان أتيت جهنم	استقبلك زبائسه
وقل مالك مالك	غفلت عن مولاك	تذكر غرور الدنيا
وتذكر الذنب الردى	لم لاسبقت بتوبة	هذا العذاب يدك
كم كنت تجنى وتأن	ولم تخف رب السما	هذا الذى تد لقيته
بما جنته يدك	كم قد سمعت المواعظ	تلى وما عندك خبر
ولاجرت لك دمعة	ويحك فما أقساك	ان كنت أضمرت توبه
فهذه أوقاتها	فانهض بعزم صادق	وتب إلى مولاك
وقل إلهى إلهى	أخطأت فاغفر زلتى	فمن يجبر العاصي
من الذنوب سواك	وليس لى من وسيله	إليك إلا المصطفى
ومن إليك رفعت	دون الورى ورآك	صلى عليه وسلم
رب السموات العلى	وآله والصحابه	السادة النساك

سبحان من نظريهين اصطفاؤه إلى خاصة عبيده ، وجعل تلوهم بيوت توحيد ، وسراهم مقرا تفريده ، وصدورهم مصادر ذكره وتعجيد ، فكلم طلع لهم من أنق التوفيق طالع ، أولم لهم من بروق التحقيق لامع ، انشرفت القلوب لذكر المحبوب ، فطاب لها للشروب وكشف لها المحبوب قال أبو يزيد رحمه الله : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهى تبكى إلى أن سقها إليه وهى تضحك فمن عرف الله ذل له كل شيء . وقال الأصمعى رحمه الله : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون ، إذ خرج علينا أسد عظيم الحلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق . فقلت لرجل إلى جانبي : أما فى هذا الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد؟ فقال

وصلاته مردودة لا تقبل بل يضرب بها وجهه » وروى أن شابا حسن الوجه دخل على داود عليه السلام وهو عروس ليلة عرسه وملك الموت جالس عند سيدنا داود ليسلم عليه فقال : أتعرف هذا يا داود؟ قال نعم إنه شاب مؤمن يحبني وما يجب أن يدخل بيته إلا إن جاء ينظرني ويسلم على فقال ملك الموت يا داود قد بقي من عمره ستة أيام فاغتم داود لذلك فبقي الشاب سبعة أشهر بعد ذلك اليوم ولم يمت فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال لملك الموت أنت قلت إنه ما بقي من عمر ذلك الشاب إلا ستة أيام قال نعم ولكنه لما انقضت الستة أيام مددت يدي لأقبض روحه قال الله سبحانه وتعالى : يا ملك الموت خلّ عبيد فلانا فإنه خرج فوجدا فقيرا مضطرا فأعطاه من رزقه ففرح بها فدعاه بطول العمر وأن يجعله رفيق داود عليه السلام في الجنة فرضيت عنه ،

أما رجل فلا أعرف ، لكنني أعرف امرأة ترده بغير سيف ، فقلت وأين هي ؟ فقام وقت معه إلى هودج قريب منا ، فنادى يابنية اتزلي فردي عنا هذا الأسد ؟ فقلت يابنت أيطبق قلبك أن ينظر إلى الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ؟ ولكن يابنت قل للأسد ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم إلا ما عدلت عن طريق القوم . قال الأصمعي : فوالله ما استتم كلامها حتى رأيت الأسد ذاهبا أمامها ، هذه والله دلائل الصالحين ، وهذه أمارات العارفين .

فاز قوم رقوا سماء للعالي باجتهاد لهم وحسن الفعال فبهـم تدفع الخطوب عيانا
وبهم قد بدت شمس الجمال كل من لم تكن دعاويه حقا فضحته شواهد الأحوال
ويك يا قاصر العزيمة هذا مورد الأسد مرتع الأشبال ما وصال الحبيب سهل ولكن
إن ترد فابذل العزى العالي يا ضعيف السلوك هذا طريق فيه دون الوصال حد النصال
فتجرد عن الدنيا وتفرد ذاك زاد من خالص الأعمال ثم لا بد من دليل بصير
ومعين على صروف الليالي فإذا خفت من إلهك خافت منك أسد الثرى مع الأبطال

[قال سعيد بن إسحاق البصري رحمه الله] دخلت في السحر إلى بر زمزم ، فإذا شيخ قد أتى البئر فلا الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا هو سويق وسكر لم أذق قط أطيب منه ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد في السحر إلى بر زمزم فإذا الشيخ قد دخل وملا الدلو وشرب فشربت فضلته فإذا الماء مضروب بالعسل والطيب لم أذق أطيب منه ، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ، ثم عدت من الغد في السحر إلى بر زمزم فإذا الشيخ قد دخل فلا الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا لبن مضروب بالسكر لم أذق أطيب منه ، فقلت له يا شيخ بحرمة هذا البيت عليك من أنت ؟ قال أو تسكنم ذلك حتى أموت ؟ قلت نعم . قال أنا سفيان الثوري :

بذكرك يارب الورى نتنعم فقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
ألسنت الذى قربت قوما فوافقوا ووقفهم حتى أنابوا وأسلموا
وقلت استقيموا منه وتكرما فأنت الذى قوتهم فتقوتوا
لهم فى الدجى أنس بذكرك دائما فهم فى الدياجى ساجدون وقوتهم
نظرت إليهم نظرة بتعطف فعاشوا بها والخلق سكرى ونوتم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله وسامع وسلمنا فأنت المسلم

[قال أبو يوسف الغسالى رحمه الله] كنت يوما جالسا بمسجد بالشام فدخل على إبراهيم بن أدهم ، فقال لى : يا غسالى لقد رأيت اليوم عجا . قلت ما هو يا أبا إسحاق ؟ قال وقفت على قبر من هذه المقابر ، فانشق لى عن شيخ خضيب . فقال لى يا إبراهيم سل فان الله عز وجل قد أحياى من أجلك . قلت له ما فعل الله بك ؟ قال أتيت الله عز وجل بعمل قبيح ، فقال لى قد غفرت لك ثلاث : لقيتني وأنت تحب من أحب ، ولقيتني وليس فى صدرك مثقال ذرة من شراب حرام ، ولقيتني وأنت خضيب وأنا أستحي من شية الخضيب أن أعذبها بالنار . قال ثم التأم القبر على الشيخ . قال الغسالى : قلت يا أبا إسحاق ألا توافقتى فى زيارة هذا القبر . فقال ويحك يا غسالى عاى الله يرك العجايب ، واشتغل بحبه عن جميع الأجانب .

لو يعلم الناس عمن اشتغلوا لما تنهوا بما به اشتغلوا بالأهل جادوا وكل ما ملكت أرواحهم
والمال فى حبه وما غفلوا عاشوا وقازوا هم الملوك وإن ذلوا وإن أمقوا وإن خملوا
فه قوم بالروح قد ممحوا واستصغروا قدرها وما جهلوا ذاقوا مدام الهيام فيه ولم

وإلى قد كتبت له تلك
الستة أيام ستين سنة
وزدتها عشر سنين فلا
تقبض روحه إلى انقضاء
المدّة وقد كتبتة رفيق داود
فى الجنة فسبحان الكريم
الوهاب . وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« ينزل من السماء كل يوم
اثنان وسبعون لعة منها
واحدة على اليهود وأخرى
على النصار وسبعون على
مانع الزكاة وكل مال
تؤدى زكاة فصاحبه
حبيب الرحمن ، وإذا مات
صاحبه ووقع فى يد الورثة
زكوه أو لم يزكوه لم تزل
الملائكة يكتبون حسنة
لصاحبه الى يوم القيامة ،
وكان ناجيا من عذاب
القبر ومن عذاب النيران
داخلا إلى الجنان ، وكل
مال لا تؤدى زكاة فهو
خيبت وصاحبه خيبت
ولا يزال وزره يجرى على
صاحبه الى يوم القيامة ،
ولو وقع عند من يزكيه
من بعده ومامن عبد
أدى زكاة ماله بطيب
نفس إلا جاءه عقد من

يحل لهم منزل ولا طلل ومانفانوا عن الوجود سدى إذ هم على قصدهم لقد حصلوا
 [قال الليث بن سعد رحمه الله] حجبت في بعض السنين . فلما أتيت مكة صليت العصر ثم
 طلعت إلى جبل أبي قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو ، فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ،
 ثم قال يا الله يا الله حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا حي يا قيوم حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا رحمن يا رحمن
 حتى انقطع نفسه ، ثم قال يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه . فلما فرغ قال : اللهم إني أشتي
 العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلق فأكسني . قال الليث : فوالله ما استم كلامه حتى نظرت إلى سلة
 مملوءة عنباً وليس على الأرض عنب يومئذ وبردن موضوعين فأراد أن يأكل فقالت أنا شريكك .
 فقال ولم ؟ فقلت لأنك لما دعوت كنت أنا أو من . فقال لي تقدم وسم الله تعالى وكل ولا تدخر
 منه شيئاً فتقدمت فأكلت فإذا عنب لا عجم فيه لم أكل قط أطيب منه ، فأكلت حتى شبعت والسلة
 لم تنقص شيئاً ثم قال لي خذ أحب البردين إليك . فقلت أما البردان فأنا غنيّ عنهما ، ثم قال لي
 توارعني حتى ألبسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتنى بالآخر ، ثم أخذ البردين اللذين كانا
 عليه فجعلهما على يديه ومضى فتبعته حتى أتى المسعى فلقية رجل . فقال له اكسني كسك الله يا ابن عم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفعهما إليهما فليحقت الرجل . فقلت له من هذا يرحمك الله ؟
 قال هذا جعفر بن محمد ، قال الليث فطلبت فلم أجده فتأسفت على فراقه :

أسأل الشمس عنكم كلما طلعت وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
 لو من دهرى على طرفي رؤيتكم لكان أحسن إذ ما بيننا جمعا
 لا تحسبوا أنني بالغير مشغول إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا
 مالي سوى عفوك يا سادتي كرما فالعبد في حبكم ثوب الهوى خلعا
 منوا عليه بغو منكو كرما فالذنب قطع منه قلبه قطعا

[قال أبو نصر الصياد] مررتي بشر الحافي رحمه الله وأنا على باب الجامع وقد انصرف الناس
 من صلاة الجمعة ، فقال مالي أراك في هذا الوقت ؟ قلت ما في البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شيء
 يباع ، فقال بالله المستعان احمل شبكتك وتعال إلى الخندق . قال فحملتها وذهبت معه ، فلما وصلنا
 إلى الخندق ، قال لي توضع وصل ركعتين ففعلت ، فقال سم الله تعالى وألقى الشبكة ، فسميت الله
 تعالى وألقيتها فوق وقع فيها شيء ثقيل ، قال فجعلت أجرو فصعب عليّ ، فقلت له ساعدني وأعني فاني
 أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجر الشبكة معي فإذا فيها سمكة هائلة ، فقال لي خذها وبعها واشتر
 بشئها مصالح عيالك ، قال فحملتها إلى الباب فاستقبلني رجل ، فقال بكم هذه السمكة ؟ فقلت بعشرة
 دراهم ، فقال اشترت فوزن لي عشرة دراهم فاشترت لأهلي ما يحتاجون إليه ، ثم أخذت رقاقتين
 وجعلت فيهما من الحلوى وأتيت بهما إليه فطرقت الباب ، فقال من ؟ فقلت أبو نصر ، فقال افتح
 الباب وضع مامك في الدهليز وادخل ، قال فدخلت إليه وحدثته بما صنعت ، فقال الحمد لله على
 ذلك ، فقلت إني هيأت للبيت شيئاً ، وقد أكلوا وأكلت معهم ومعى رقاقتان فيهما حلوى ، فقال
 يا أبا نصر لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرج السمك ، اذهب فكله أنت وعيالك :

حاشاك يا ذا الفضل والامتنان أخاف ضيقاً وبك المستعان قد سودت العصيان وجهي وقد
 رحت أسير القاب رهن اللسان فمن مجيرى من ذنوب بها قد انتضى العمر وضاع الزمان
 مالي سوى عفوك يا سيدي ومن رجا عفوك نال الأمان

[قال محمد بن أبي الحواري رحمه الله] كان بالموصل رجل موله يسرى سعدون ، وكنت

نور في رقبته بشرق ذلك
 النور على المؤمنين يوم
 القيامة حتى يمشي في نوره
 على انصراف ويدخل به إلى
 الجنة ، وما من عبد منع
 زكاته إلا جاء ماله طوقاً
 من نار في عنقه لو أن
 ذلك الطوق وضع في الدنيا
 لاحتزقت الدنيا كلها
 وتقطعت جبالها وبيست
 بحارها « نعوذ بالله من
 سخط الرحمن ، ونسأل
 الله القبول والعفوان
 والنجاة من النار آمين .

الباب الثامن
 في عقوبة قاتل النفس
 وقاطع الرحم
 قال الله تعالى (ومن يقتل
 مؤمناً متعمداً فجزاؤه
 جهنم خالداً فيها وغضب
 الله عليه ولعنه وأعد له
 عذاباً عظيماً) وقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 « أعظم الكبائر قتل
 النفس ، فمن قتل نفسه
 بسكين لم تزل الملائكة
 تطعه بتلك السكين في
 أودية جهنم إلى أبد الأبد
 وهو خالد في النار وهو
 أبس من شفاعتي .

أحسن إليه فقلت يوما أخبرني ما كان سبب تولئك ؟ فقال مررت يوما في سياحتي لعل أصادف من يجلو قلبي ويعرفني الطريق إلى ربى فرأيت رجلا راكبا على أسد شفت منه فناداني أخاف من مخلوق مثلك ؟ ثم طرد الأسد ومشى فتبعته وسلمت عليه فرد علي السلام ، فقلت له بالذي أعطاك هذه المنزلة والقرب لديه إلا ما دللني على الطريق إليه ، فقال اجعل الدنيا لك سجنًا والآخرة سجنًا وحسنًا وعود عينيك البكاء والسهر والزم الخدمة في السحر وكن منه على حذر ، قلت سيدي زدني . قال يأسعدون أنت عاقل أم مجنون ؟ والله إذا عرفك الطريق إليه سخر لك الوجود وأذل لك الأسود ، قلت : سيدي بالذي أطلعك على الأسرار وملا قلبك بالأنوار إلا ما أذنت لي أن أصحبك بقية هذا النهار ، فقال على شرط أن تكلم عني ما تراه مادمت في الحياة . فقال سمعًا وطاعة ، فقال امض معي نخضر موت بعض الرجال فسار وسرت معه حتى أتى البحر ففرش رداءه وأمسك يدي فجلسنا عليه حتى وصلنا إلى جزيرة في وسط البحر فوجدنا رجلا ملقى على ظهره وهو يعالج الموت ، فلما قضى نحبه غسله وكفنه وصلينا عليه ودفناه مكانه فقلت له سيدي من يكون هذا الرجل وما اسمه ؟ فقال هذا عبد الوهاب وهو من السبعة الأقطاب ، وقد أعطيت مكانه فهمت أن أسأله عن نفسه وعن اسمه فنهزني ثم سار وتركني فبكيت بكاء شديدا إذ صرت في الجزيرة وحيدا فسمعت قراءة القرآن على القبر وأنا لأرى أحدا فاستأنست بذلك وجلست عند القبر وأنا بين النائم واليقظان فرأيت الشيخ في المنام على هيئة حسنة فقلت له يا سيدي بالذي جاد عليك بخلع القبول والرضا ما اسم هذا الشخص الذي تركني في هذه الجزيرة وحيدا ومضى فقال هذا صاحب العلم الرباني عبد الله اليوناني ، وقد أعطى مكانى وفي غد يأتيك ويبلغك أمانك ولكن إذا اجتمعت به قل له لا تنس العهد الذي بينك وبينه . قال سعدون : ثم انتبهت ، وقد طاع النجر فتوضأت وعلبت وقرأت شيئا من القرآن ورتقت فلم أشعر إلا وصاحبي ينهني فقبلت يديه واعتذرت إليه فأخذ يدي ومشى إلى البحر إلى أن وصلنا إلى البر . فلما هممت بالانصراف قل وأين وصية الشيخ ؟ فقلت يا سيدي تدعيتها وهي العهد الذي بينك وبينه ، قال لك لا نفسه . فقال ما كنت بالساسي لعهدك ، فقلت يا سيدي احمانى في هذه ما كان العهد الذي بينك وبينه ؟ قل عهد إلى أن أزوره في كل يوم ، فقلت : بالذي خصك بمعرفة وشرفك بمحبته زودنى بشيء أنتفع به في الدنيا والآخرة . فقل اساك سبيل الهدى ، وجانب أهل القى والردي ، واقع برزق اليوم ولاتهم برزق غدا ، وعامل مولاك بالرضا ، والصبر على البلاء والقضا ثم تركني ومضى . قال سعدون فهذا كان سبب تولي عليه وشوقى إليه :

من عرف الله هم جدا	وجاء في حبه مجدا	تملك الحب منه قلبا
صيره لاله عبدا	فدمعه فيه ليس يرقا	وقلبه منه ليس يهدا
يحسه الجاهلون فما	يرونه جاهدا مكدا	جانب كل الورى جميعا
وعاش في العالمين فردا	قد ألف الوحش لآتراه	يا هو بعلوى ولا سعدى
لكنه للحبيب عبدا	مشمرا جاء مستعدا	إن كنت تبغى بهم لحوقا
فأبذل لمولاك منه جهدا	ولا تسكن طامعا بفوز	ولم ير الله منك كدًا
ولم يحياه الذى رقى	الى السماء ثم زاد مجدا	محمد المصطفى رسول
الى جميع الأنام فردا	صلى عليه الإله حقا	ما قصد القاصدون نجدا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا :

(صل) الحمد لله الذى قرب بعيدا وأبعد قريبا ، وأقصى عدوا وأودى حبيبا ، وأذل عاصيا وأعز

وإن ألقى نفسه من مكان عال حتى يموت فلا تبرح الملائكة تلقيه من شاهق عال إلى واد في النار إلى أبد الأبد والقانون محبوسون في آبار من نار ، وإن ألقى نفسه بحبل فمات فلا يزال معلقا جذوع من نار إلى أبد الأبدى أيا من رحمته عز وجل ، وإن قل نفسه بغير حق فذلك هو الضلال المبين لا تبرح الملائكة تذبحه بسكاكين من نار كلما ذبحوه يسيل من حلقه دم أسود من قطران ثم يعود كما كان ثم يذبح ، هكذا تكون عقوبته إلى أبد الأبد والناتلون محبوسون في آبار من نار خالدين فيها إلى أبد الأبد» نعوذ بالله من ذلك ، وكذلك المرأة إذا طرحت نفسها . قل الله سبحانه وتعالى (وإذا اللوءودة سئلت بأى ذنب قتلت) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بأى المطروح يوم القيامة وله صوت مثل موت الرعد وهو يستغيث أنا

طامعا منيبا ، الذي مادعاه داع إلا وكان بالثلية مجيبا ، ولاسأله سائل إلا وأعطاه سؤله ووفر له من فضله نصيبا ، فيا أيها العاصي تذكر حلول رمسك وكن على نفسك رقبيا ، واعمل ليوم عرضك ومآلك مادام غصن شبابك غضا رطبيا ، فإلى متى أنت سقيم بداء زلتك ولا تجد لعلتك شافيا ولا طبيبا ، انهمض في ظلم الدياجي وناج من لم يزل سميعا قريبا ، وتضرع بين يدي مولاك وكن في دنياك غريبا والتجىء إلى ظل رحمته مساء وصباحا وقف على بابك تجده بابا مباحا وجنابا رحيبا ، وناد في الأسحار بلسان الاعتذار وقل مقالة من أصبح على ذنوبه حزينا كئيبا :

أنا العبد الذي كسب الذنوبا وصدته المعاصي أن يتوبا أنا العبد الذي أضحي حزينا
على زلاته دنقا كئيبا أنا العبد الذي سطرت عليه صحائف لم يخف فيها الرقبيا
أنا العبد المسوء عصيت ربى فمالى الآن لأبدي النجيا أنا العبد المفرط ضاع عمرى
ولم أزع الشيبية والشيبا أنا العبد السقيم من الخطايا وقد أقلت ألتمس الطيبيا
أنا العبد المخاف عن أناس حووا من كل معروف نصيبا أنا العبد الشريد ظلمت نفسى
وقد وافيت بأبكى منيبا أنا العبد الفقير مددت كفى اليكم فادفعوا عنى الخطوبا

أنا العبد أركم عاهدت عهدا وكنت على الوفاء به كذوبا

أنا المهجور هل لي من شفيح يكلم فى الوصال لى الحيبا

أنا المقطوع فارحمنى وصلنى ويسر منك لى فرجا قريبا

أنا المضطر أرجو منك عفوا ومن يرجو رضاك فلن يجيبا

فوا أسفا على عمر تقضى ولم أكسب به إلا ذنوبا

وأحذر أن يعاجلنى ممات يحير هول مصرعه اللبيا

وواحنزاه من حشرى وشرى ليوم يجعل الولدان شيبا

فيا مولاي جد بالعفو وارحم عبيدا لم يزل يشكو الذنوبا

وسامح هفوتى وأجب دعائى فانك لم يزل أبدا مجيبا

وشفع فى خير الحق طرا نبيا لم يزل أبدا حيبا

هو الهادى المشفع فى البرايا وكان له رحما مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة عملا الأكوان طيبا

[إخوانى] ما أحسن حال من التجأ إلى رب العالمين ، إخوانى ما أطيب حال من أتمنى إلى

عباده الصالحين ، إخوانى ما أحسن حديث الحين ، إخوانى ما أطيب أخبار التقين ، إخوانى

ما أريج بضائع العاملين ، إخوانى ما أصبح وجوه المجتهدين ، إخوانى ما أعطر أنفاس الذاكرين ،

إخوانى ما ألد عتاب الشقاين . إخوانى ما أنفع بكاء المحزونين . إخوانى ما أعذب مناجاة القائمين ،

إخوانى ما أمر عيش المجبوبين . إخوانى ما أذل نفوس الخاطئين . إخوانى ما أسوأ حال المحرومين ،

إخوانى ما أعظم حسرة الغافلين ، إخوانى ما أشنع عيش الطرودين ، إخوانى ما أعمى قلوب

الظالمين ، إخوانى ما أقبح وجوه العصاة والمذنبين . كان فى زمان بنى إسرائيل رجل مذنب كلما

زاد فى ذنوبه وعصيانه أمده الله بوافر رزقه واحسانه ، فلما سمع كلام موسى عليه السلام

وتوبيخه لأهل الذنوب والآثام ، قال يا موسى ما أرى ربى إلا كلما زدت فى معصيته زادنى من فضله

ونعمته فتعجب موسى من كلامه الذى أبداه ثم صعد إلى المناجاة ، فقال : إلهى أنت أعلم بما قال

عبدك العاصي إنه كلما زاد فى العصيان زدته أصناف البر والإحسان ، فقال يا موسى أنا أعذبه

المظلوم ثم يتعاقب بأمه ويقول

يارب اسأل هذه لم تقتلنى ؟

فيقول الله سبحانه وتعالى

لأمة الطرود : لم تقتليه

أتظنين أنى ما أرزقه ؟

فانى قد حرمت قتل

النفس إلا بالحق ،

يا ملائكتى سلوا هذه

المرأة إلى مالك خازن النار

يجسها فى جب الأحزان ،

فتستلها ملائكة غلاظ

شداد لا يعصون الله ما أمرهم

ويعصون ما يؤمرون

فيضعون الطوق والسلسلة

فى عنقها يسجنونها على

وجهها إلى النار فيرميها

مالك فى جب الأحزان ،

وهو جب عميق فيه نار

تسمى نار الآبار إذا خمدت

جهنم يفتح ذلك الجب

فتنقد جهنم من حره ،

فيه سباع وذئاب وحيات

وعقارب تنهش العذابين

وزبانية بأيديهم حراب

من نار تطعن القاتلين

فتبقى فى ذلك الجب خمسين

ألف سنة تعذبها حتى

يقضى الله فيها بما يشاء»

نعوذ بالله من غضبه وعقابه

ولا يدري ، فقال يارب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهله ؟ فقال يا موسى عذبه ببعده عنى وترك
نفسه منى ، أغفلته عن طاعانى ، وأتمته عن لذة مناجاتى ، وأحرمته فى السحر لذة عتابى . وطيب منادى
وخطابى ، فوعزنى وجلالى لأذيقنه وييل عذابى ، ولأحرمنه جزيل ثوابى ، يا هذا إذا رأيت المبارزين
بالخطايا قد اتسع لهم مجال الإمهال فلا تستعجل لهم إنما على لهم لقد فرحوا بما يوجب لهم من اللذات
(أي تحسبون أنما نمد لهم من مال وبنين نساوع لهم فى الخيرات) بينا أرض إعراضهم قد أخذت زخرفها
وازينت (جعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) يا معشر الغافلين فى لذاتهم (إننا أنذرناكم عذابا قريبا)
واخجلتهم يوم ينبئهم الله بما عملوا ، والله بكل شئ عليم :

واخجلة العبد من إحسان سيده	واحسرة القلب من ألطاف معناه
وكم له من أباد غير واحدة	عندى وأعصيه جهرا ثم أنساه
وكم أسأت وبالإحسان قابلى	واخجلت واحياى حين ألقاه
وكم عكفت على العصيان مستترا	من سواه وما فى الكون إلا هو
يرعى الدمام ويولى الفضل مبتدرا	لا كان فى الناس عبد ليس يرعاه
يا نفس كم بغفى اللطف عاملى	وقد رآنى على ما ليس يرضاه
يا نفس كم زلت بها قدمى	وما أقال عثارى ثم إلا هو
يا نفس توبى إلى مولاك واجتهدى	عسى تنالى مناكى عند لقاءه

[إخوانى] تفكروا فى عواقب الذنوب ، كيف تفتى اللذات وتبقى العيوب ، بالله عليكم احذروا
طلب المعاصى فبئس المطالب ، ما أقبح آثارها فى الوجوه والقلوب ، فقله در من أحسن سريره وأخلى
من الذنوب صحيفته ، وأخلص لله سره وعلايته . روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام خرج ليستسقى
بالناس فأوحى الله تعالى إليه لا تستسقى ومعك خطاءون فأخبرهم عيسى بذلك ونادى فيهم : ألا من كان
معنا من أهل الذنوب والخطايا فليعتزل . قال فاعتزل الناس كلهم إلا رجلا مصاب بعينه اليمنى ، فقال له
عيسى عليه السلام لم لا تعتزل مع الناس ؟ فقال يا روح الله إني لم أعص الله طرفه عين ، ولقد التفت
فنظرت بعيني هذه إلى قدم امرأة من غير قصد فقلعتها ولو كنت نظرت بالعين الأخرى لقلعتها . قال
فبكى عيسى عليه السلام حتى ابتلت لحيته من دموعه ، ثم قال له : فادع الله لنا قال : معاذ الله أن أدعو
وأنت روح الله وكنيته فرفع عيسى عليه السلام يديه ، وقال : اللهم إني قد خلقتنا وتكفلت بأرزاقنا
فأرسل السماء علينا مدرارا فما استتم عيسى عليه السلام دعاءه حتى نزل الغيث وعم العباد والبلاد .

يا من عليه مدى الأيام معتمدى	إليك وجهت وجهى لآلى أحد
أنت المحيى لمن يدعوك يا أسمى	يا عدنى يا شفا دأى وبأسندى
يا مالك الملك يا معطى الجزيل لمن	يرجو نداء بلا حصر ولا عدد
مالى سواك ومالى غير بابك يا	مولائى فامح بعفو ماجنته يدي
وأنعم وأمطر علينا رحمة فلنا	عوائد منك بالإحسان والسدد
وانظر إلينا فكم أوليتنا نعمنا	ما إن تمر على بال ولا خلد
يا من أجاب دعائى عند مسئلتى	ومن عليه وإن أخطأت معتمدى
ثم الصلاة على المختار من مضر	ماناحت الورق فى غصن مدى الأبد

[إخوانى] لقد وعظمتنا الدهور ، بعمر الأيام والشهور ، ورأينا الحزن عقب السرور ، وعلمنا
أن الزمان بأهله عثور ، وثيقنا أن آخر الأمر إلى القبور ، فالعامل بالتقى مشكور ؛ كم كسفت الدنيا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكبر الكبائر
عند الله قتل النفس التى
حرم الله قتلها بغير حق
ولا يحل تعذيب النفس
بغير حق ، وإن العصفور
إذا لعب به إنسان حتى مات
ولم يذبحه بغير حاجة يأتى
يوم القيامة وله دوى مثل
الرعد القاصف ، فيقول :
يا رب أسأل هذا لم عذبني
بغير حاجة ولم قتلتني ؟ فيقول
الله سبحانه وتعالى : أنا
أخذت حقك وعزتي وجلالى
أذهب لا يحاوزنى ظلم ظالم
لأعذب كل من عذب
روحا بغير حق وإلا فأنا
الظالم إذ ألم أستوفى للظالم
من الظالم ، ثم يقول الله
سبحانه وتعالى : أنا الملك
الديان لأظلم اليوم أحدا
وعزتي وجلالى لا يحاوزنى
اليوم ظلم ظالم ولو لظمة
بكف أو ضربة بكف أو
يد على يد لأقصن من
القرناء للجماء ولأسألن
النود لم خدش العود ؟
ولأسألن الحجر لم خدش
الحجر ولا يدخل الجنة من
عليه مظلمة حتى يؤديها

من بدور ، وكم أخلت من أهلها من دور وقصور ، أعمى في الأبصار أم هي عور ؟ (فإنها لا تسمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) :

تصرمت الحياة بغير نافع فما صنعى وقد وافى نذيرى
وأعمالى وطاعانى وبرى غرور فى غرور فى غرور
وصبرى والأمانة وارتجاعى عسير فى عسير فى عسير
وجرمى والإساءة والتعدى كبير فى كبير فى كبير
وسعى واجتهادى واعتذارى صغير فى صغير فى صغير
ورحمته وعفو واغتفار كثير فى كثير فى كثير

قيل كان بالبصرة شاب يقال له رضوان ، كثير اللهو والعصيان ، والته والطغيان ، بيت الليالى
الخمر سكران ، قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان ، فبينما هو فى بعض الأيام معتكف على شرب
الدم ، ومعه جماعة من أصحابه الموافقين له على الذنوب والآثام ، إذ سمع رجلا فقيرا ينشد فى الطريق :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل لحظة ولا أن ما يغنى عليه يغيب

فبكى الشاب وقال : بالله عليك يا فقير إلا ما أعدت إلى قولك فأعاده فأقسم عليه الشاب أن
يحضر مجلسهم فحضر فقال له : والله يا سيدى لقد سعدنا برؤياك وأعجبنا صوتك وحسن غناك ، ففن
لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال :

تعصى الإله وأنت تأكل رزقه ويراك إذ من خلقه تتكتم
فاحذر فما حاولت أمرا منكرا إلا وينظره لديك ويعلم

فبكى الشاب وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق من غشيته كسر أوانى الخمر وأقبل على الفقير وقال :
يا سيدى هل من توبة ؟ فأنشد :

هذا زمان الصاح ما أقعدك عن باب من لا خير قد عودك
فإن محوت اليوم ماسطرت أيدى خطاياك فما أسعدك

فصرخ الشاب ورمى نفسه إلى الأرض مغشيا عليه ، فلما أفاق قال يا سيدى هل يؤخذنى بما
ضى ؟ فأنشد وقال :

لله ما أطيب صفو الوداد وما ألد القرب بعد البعاد وما أشد الهجر من بعدما
فدكنت من جملة أهل الوداد يا ناسيا للعهد عاملتنا ثم تملأت بطيب الرقاد
بمن تشاغل وأين الذى حصلت كلا بل حرمت المراد
شمر من اليوم ودع ماضى وكن فقيرا ماضى لا يعاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه ثم تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى
ربه وندم على قبيح ذنبه وبات ليلته بحضرة الفقير فى بكاء ونحيب وحسرات وزفرات ، فلما كان
وقت السجود ذكر ذنوبه والسيئات فصرخ وأسبل العبرات ، ثم غشى عليه فخره الفقير فآذابه قدم مات :

أجل ذنوبى عند عفوك سيدى حقير وإن كانت ذنوبى عظائما
فما زلت غفارا وما زلت راحما وما زلت ستارا على الجرائما
لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى وقضيت أوطار البطالة هائما
فها أنا قد أفررت يارب بالذى جنيت وقد أصبحت حيران نادما

من حسناته ، فإن لم تكن
له حسنات حمل من ذنوب
المظلومين ومضى إلى
النار » وقال صلى الله عليه
وسلم « أكبر الكبائر
الشرك بالله ، وقتل النفس
بغير حق ، فكما لا أشفع
فى الشرك بالله عز وجل
كذلك لا أشفع فى قتل
النفس » وكما أن الشرك
مخلد فى النار كذلك قاتل
النفس مخلد فى النار ، وكما
أن غضب الله سبحانه
وتعالى على المشركين شديد
كذلك غضبه على قاتل
النفس شديد ، وكما يلعن
الله سبحانه وتعالى للمشرك
يوم القيامة كذلك يلعن
قاتل النفس ، وإذا وقعت
على القاتل لائمة الحق يقتل
على طبقات جهنم حتى
تنخسف إلى الدرك
الأسفل من النار ، وكما
أعد الله للمشركين عذابا
عظيما أعد الله لقاتل النفس
عذابا عظيما ، لأن الله عز
وجل قال (ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب

فتب واعف عني يا لمحي تسكرما وكن لي يارب البرية راحما
[إخواني] إلى كم تضيعون السنن والفرائض ، إلى متى تقيمون بالتراب والماء فائض ، يا كسلان

في الطاعة وهو في المعصية ناهض ، تالله من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ :

لا ينفع الوعظ قلبا قاسيا أبدا ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر

ولا أرى أثرا للذكر في جسدي والحبل في الحجر القاسي له أثر

[روى أن سفيان الثوري رحمه الله] كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله تعالى ويرغبهم في ثوابه ويحذرهم من عقابه ، وكان الناس يختلفون إليه فصعد يوما منبره على عادته ، فلما استقر به الجالس وأراد أن يتكلم رفعت إليه امرأة رقعة ، فلما قرأها تغير لونه وبكى بكاء شديدا ثم نزل ولم يتكلم . فسأله أصحابه ومن يمز عليه أن يخبرهم بما في الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب :

يا أيها الرجل العلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى كما تصبح به وأنت سقيم

ونراك تلقح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد عديم

فابدأ بنفسك فانها عن غيبها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهنالك يقبل ماتقول ويقتدى بالوعظ منك وينفع التعليم

لأنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما قرأ ذلك بكى بكاء شديدا حتى أغشى عليه ، فلما أفاق قالوا له ياسيدي أنت كلامك موزون وعرضك مصون ، تشفى القلوب بوعظك وتسلي الحزون ، فكيف يؤثر في قلبك هذا الكلام وأنت إمام وأى إمام ؟ فبكى وقال : أنا ما أصلح أن أتكم على رؤوس الناس فأنا أعرف بنفسى من غيرى ثم فاضت عيناه ، واشتغل بوجده وجواه ، وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمع كلامه ولا يراه ، حتى مات رحمه الله . إخواني أفلا تنتظرون إلى قلوب هؤلاء الأقوام ؟ كانت قلوبهم كالزجاجة رقيقة يؤثر فيها الكلام ، ويقدح زناد الموعظة في إحراق قلوبهم نار الوجد والهرام ، وأتم تسمعون المواعظ فلا تؤثر في قلوبكم ولا تغسلون بماء الدمع درن ذنوبكم بل تتركون ما ينفعكم وراء ظهوركم وتقبلون على اللهو والأباطيل كما قيل :

قلوب بذكر الوعظ تزداد قسوة فلا الوعظ يجدى لا ولا العتب ينفع

ألين مقالا في الكلام لعلها تلين فلا تصغى ولا تتخشع

إذا قلت هذا مدرج القوم فادرجى يقول الهوى حدثت من ليس يسمع

وإن عرضت يوما إلى الناس شهوة تراها إلى ما يغضب الرب تسرع

وأن ليس للانسان إلا الذى سعى وكل مجازى بالذى كان يصنع

[إخواني] استجودت عليكم الغفلة وغرتكم أيام الهمة ، فيامغترأ في ظلمه بإمهاله (فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) ليست الهمة على الإطلاق (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) إذا انتهى أمدها طلبوا زيادة (أخرنا إلى أجل قريب) فيقابلون بتوبيخ (أولم نعمركم) نلو رأيتم يوم العرض ، وقد خرجوا من قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار ترجف ابواذرهم يوم ترجف الراجفة ، عليهم أمارات الشقاء (يعرف المجرمون بسيماهم) إذا اشتد جوعهم (ليس لهم طعام إلا من ضريع) إذا قوى عطشهم (سقوا ماء حليا قطع أمعاءهم) العرى خير من كسوتهم سرايلهم من قطران إذا استعانوا (يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) أترأهم لم يسمعوا (إن يوم الفصل ميقاتهم

الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) إلا من تاب فقد قال الله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) إلى قوله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأوئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) فإذا تعمدت السرأة وأسقطت نفسها ثم اعترفت بذنبها وتضرعت إلى الله عز وجل قبلها لقوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) ودية الجنين إن كان مصورا مستائة درهم للورثة أبوه وإخوته ، وتستوهب منهم دية أو تعق لله سبحانه وتعالى رقبة مؤمنة (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله علما حكيم) قال الله تعالى (أنه من قتل نفسا بغير نفس أوفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن

أجمعين) إذا شاهدت النار من اشترى لمدة ساعة بعذاب سنين (تسكاد تميز من العبط) من أراد النجاة فليتب (من قبل أن يتأسا) :

ما حل من غلقت أبواب رحمة وخلقت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه إن لم يفق من قبل صرخته فسوف يعثر في أذيال جفوته
يا من ينادى ولا يصغي لصاحته كأنما قلبه في غير جسته
إن كان جسمك لا يقوى على ألم فالنار أعظم من آلام عله

[إخواني] إذا كان صفاء المواعظ لا يؤثر في قلوبكم الكدرة ، ومعاول التخويف لا تقطع في نفوسكم التحيرة ، فهذا كلام ربكم يتلى عليكم في آياته المطهرة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يا غافلا عما نهى وأمره ، يا ضيعا في البطالة عمره ، إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة مسطرة ، كيف حالك في سفرك وطريقك خطرة ، وشاهدت ميزانك الذي يرجع بالذرة الحقة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يا غافلا والموت يقفو أثره ، كيف بك إذا شاهدت السماء منفطرة . وحافظك قد أحصى ماعصيات من خير وشر وحصره ، وقد تركت عليك الحجة وتعذرت المعذرة ، فهناك يجد الإنسان من الإحسان أو العصيان ما أحضره (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) :

يا نفس توبى عن فعال منكروه واسعى إلى دار البقا مستبصره
يا نفس فاز القوم من رب العلا بالعباد عن زلاتهم والمغفره
يا نفس قد قطوا النهار لربهم صوما وفازوا بالعلا في الآخرة
يا نفس ويحك للتاب فبادري من قبل أن تأتي الذنوب مسطره
يا نفس إن القوم زادوا خيفة من مكره وقلوبهم متسكره
يا نفس جدى في التقى وتزودى عملا وكونى للقا مستشعره
يا نفس كم قوم على الدنيا احتوا وظلما ومالهمو إذا من آخره
يا نفس كم أمم تفتنوا في البلا وعظامهم أضحت عظاما ناخره
يا نفس توبى اليوم من قبل الردى فعسى تكونى من غد مستبشره
يا نفس آه من الذنوب وكلها يوم القيامة في الكتاب محرره
يا نفس ما ينجيك في يوم اللقا من عظم أهوال الحساب للنكره
يا نفس جدى في المسير لقبره يرجى لديه العفو عند المقدره
يا نفس الهاشمي المصطفى والمجتبى من خلقه إذ طهره
يا نفس جدى في المسير لقبره واسعى إلى أبوابه مستبصره
يا نفس بجعله ووصاله كي لا تكونى في الورى متحسره
يا نفس وإذا وصلت إلى رباه فعظمى تلك المواقف وادخلى متوقره
يا نفس تنال الفوز من رب العلا وتعود زلات الذنوب مكفره
يا نفس شاهدى ذاك الضريح وقد بدت أنواره للكائنات منوره
يا نفس هو صفوة الرحمن من كل الورى وبأحسن التكوين حقا صوره
يا نفس أسرى به البارى إليه جهره في جنح ليل صبحه ما أسفره

أحيائها فكأنما أحياء الناس جميعا) يعنى لو اشترك ألف نفس في قتل واحد كان على كل واحد منهم القتل ويكون عليهم وزر من قتل الناس جميعا ومن أحسن إلى نفس مضطرة بكسرة أو طعمة أو سقاها شربة ماء في وقت عطش أو كربة فرجها على أخيه المسلم فكأنما أحياء الناس جميعا ، وكأنما أحسن إلى خالق الله سبحانه وتعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم للنساء وأولاده وما ملكت يمينه » وقال صلى الله عليه وسلم « المحسن إلى نسائه وعياله وأولاده يعطى درجة المجاهد في سبيل الله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة بعد الزكاة درهم تنفقه على نفسك تصونها عن مسئلة الخلق ، ودرهم تنفقه على ولدك وما ملكت يمينك تصونها عن الحاجة إلى الناس يكتب الله له أجره مضاعفا سبعين ضعفا »

ورقى على ظهر البراق معظا
فاستبشرت بقدمه أهل السما
وهو الذي جلبت عروس جماله
وهو الذي بالحق جاء وبالهدى
صلى عليه الله ما سرت الصبا
وأنت بطيب ثنائه متعطره
الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثاني والأربعون

في فضائل يوم عاشوراء

الحمد لله الذي عزت عزته أولا وآخرا ، وكفأت نعمته مؤمنا وكفورا ، وأظهرت قدرته ضياء
ومهجورا ، ووسعت رحمته من ضيع زمانه تقصيرا . كم أقفر غنينا وأغنى فقيرا ، ورحم مسكينا وجبر
كسيرا ، وغفر ذنوبا وعمر قلوبا وشرح صدورا ، وأباح جنابه وفتح بابه لمن كان مهجورا ، يخافه الملك
فيكثر تهليلا وتكبرا ، ويحمرى بأمره الملك فيسيره تسيرا ، كتب كتاب رحمته وسطره تسطيرا ،
وأشهد على نفسه ملائكته أنه لم يزل غفورا ، معظما مقدسا مذكورا معبودا محمدا مشكورا ، يحمر
ماتحت التخت ، وكان الله سميعا بصيرا ، ويعلم ما يختلج في الفكر وكان الله علما خبيرا ، وفيه الكل
ويبقى ؛ وكان الله على ذلك قديرا ، يخرج الحي من الميت وخالق كل شيء بقدره تقديرا ، أعطاك مع
علمه بذكرك (وما كان عطاء ربك محظورا) ليس عليه حجاب فيكون مستورا ، ولا هو جسم فيكون
محصورا . اختار قوما قواما فكسا وجوههم نورا ، وملا قلوبهم بحجته بهجة وسرورا ، شرفهم إذ عرفهم
طريق معرفته وجعل حظهم حظا موفورا ، رفعوا إليه قصة الشكوى من المجران فكتب لهم بالأمان
منشورا ، أيقظهم من بين النائمين وجعل بينهم وبين الغافلين حجابا مستورا ، نصبوا في خدمته الأقدام
وستروا وجوههم بأستار الظلام فجعلها بين الأنام شموسا وبدورا ، فقههم خطابه ولتدغم بعبابه وسقاهم
بكأس اقترابه شرابا طهورا ، وأدناهم من الجناب وفتح لهم الباب ورفع لهم حجابا مستورا ، فسبحانه
من إله صرف أعواما ودهورا ، وشرف أياما وشهورا ، وفضل مواسم الطاعات على جميع الأوقات ،
وخص بالفضل والبركات يوم عاشوراء ، وخاطب فيه نبيه موسى وسقاه من شرابه كؤوسا ، وجعل له
عند سماع مناجاته طورا ، وقربه واجتباؤه خطبه فيه ونجاه . وأعطاء فضلا غزيرا ، واقتضى صيامه
على بني إسرائيل وأعد لمن صامه من الفضل الجزيل أجورا ، وفيه تاب الله على آدم ولقاه نضرة
وسرورا ، وأخرج نوحا من السفينة ، وجعل له من السكينة حظا موفورا ، وقد نجى الخليل من نار
التمرد ووقاه لهيبا وسعيرا ، وفيه أخرج يوسف من السجن إذ كان صبورا ، وفيه رد بصريعتوب
وكشف ضرايوب وغفر لداود فأصبح ذنبه مغفورا ، ولسان الاحسان يبشرهم في القرآن بقول الملك
الديان (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

لأنك مما أرتجيه سرورا
إن كان قلبي عن هواك نقورا
والمرء ليس بصادق في حبه
أن لم يكن في النايبات صبورا
أشغلتني بهواك عن كل الوري
فلذا راح القلب فيك أسيرا
لله قوم أخلصوا في حبه
فكسا وجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا دنياهم
زهذا فمؤضهم بذاك أجورا

وقال صلى الله عليه وسلم
« من أمسى تعباً من طلب
الحلال ليصون نفسه عن
مسألة الناس أمسى مغفورا
له » وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من أحاطت
بده على شيء فليحسن إليه
فقل رجل يا رسول الله
إنني ليس لي زوج ولا
ولد ولا عائلة سوى دجاجة
فقال صلى الله عليه وسلم
لو أنك قصرت في علقها
يوما واحدا لم يكتبك الله
من الحسينين » وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « عليكم باللطف
والرفق بنسائكم
لا تظلموهن ولا تضيقوا
عليهن ، فإن الله عز وجل
يغضب للمرأة إذا ظلمت
كما يغضب لليتيم » . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « خيركم خيركم لأهله
وأنا خيركم لأهلي ما أكرم
النساء إلا كريم ولا
أهانن إلا لئيم » . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أول ما يحاسب
الرجل على صلاته ، ثم بعد
ذلك على نسائه وما ملكت

قاموا يناجون الحبيب بأدمع
سترو وجوههم بأستار الدجى
عملوا بما علموا وجادوا بالذى
وإذا بدا ليل سمعت حنينهم
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم
صبروا على بلاهمو فجزاهم
يا أيها الصب الكتيب إلى مقى
بأدر فهذا يوم عاشورا الذى
فاضرع إلى مولاك فيه وناده
إن لم أكن أهلا لعفوك سيدي
مالى سواك وأنت غاية مقصدي
تجربى فتحكى لؤلؤا مشورا
ليلا فأضحت فى النهار بدورا
وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
فأراحهم يوم اللقاء كثيرا
يوم القيامة جنة وحريرا
تفنى زمانك باطلا وغرورا
من صامه لله نال أجورا
يا واحدا فى ملكه وقديرا
كن أنت أهلا ساترا وغفورا
وإذا رضيت فعممة وسرورا

يمينه إن أحسن عشرتهن
أحسن الله إليه ، وأول
ما تحاسب المرأة على صلاتها
عن حق زوجها وجيرانها
وجاء رجل فقال يا رسول
الله أتى سىء الخلق أذى
زوجتى وأهل بيتى بلسانى
فقال صلى الله عليه وسلم
« المؤذى لأهل بيته لا يقبل
الله عز وجل عذره ولا
حسنة من حسناته ، ولو
صام الدهر وأعتق الرقاب
وكل أول من يدخل النار
وكذلك المرأة إذا آذت
زوجها لا تقبل صلاتها ولا
حسنة من حسناتها حتى
ترضيه وتعاشره بالمعروف
فإن الله سبحانه وتعالى
يسألكم عن بعضكم بعضا
يوم القيامة » وبالن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« يجب على الرجل أن
أهـ أهل بيته الصلابة
ويصبرهم على تركها » .
وقال صلى الله عليه وسلم
« تقوا الله فى النساء
فإنهن أسرى فى أيديكم
أخذتموهن بعهد الله
واستحلتم فروجهن بكلمة
الله ، فأرسلوا عليهن

[وروى أبو قتادة الأنصارى رضى الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صوم
يوم عاشوراء يكفر العام الذى قبله » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله عز وجل افترض على بنى إسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو
اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على عيالكم فيه فإنه من وسع فيه على عياله وأهله من ماله
وسع الله عليه سائر سنته » فصوموه فإنه اليوم الذى تاب الله فيه على آدم فأصبح صفيا ، ورفع فيه
إدريس مكانا عليا ، وأخرج نوحا من السفينة ونجى إبراهيم من النار وأزل الله فيه التوراة على
موسى ، وأخرج فيه يوسف من السجن ورد فيه على يعقوب بصره ، وفيه كشف الضر عن أيوب
وفيه أخرج يونس من بطن الحوت ، وفيه فلق البحر لبنى إسرائيل وفيه غفر لداود ذنبه وفيه أعطى
الله الملك لسليمان ، وفى هذا اليوم غفر ل محمد صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهو
أول يوم خلق الله فيه الدنيا وأول يوم نزل فيه المطر من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت
إلى الأرض يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الأنبياء ومن
أحيا ليلة عاشوراء بالعبادة فكأنما عبد الله تعالى مثل عبادة أهل السموات السبع ومن صلى فيه أربع
ركعات يقرأ فى كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين
عاما ، ومن سقى يوم عاشوراء شربة ماء سقاه الله يوم العطش الأكبر كأنما لم يظأ بعثها أبدا
وكأنما لم يعرض الله طرفه عين ومن تصدق فيه بصدقة فكأنما لم يرد سائلا قط ومن اغتسل وتطهر
يوم عاشوراء لم يعرض فى سنته إلا مرض الموت ومن مسح فيه على رأسه يقيم أو أحسن إليه فكأنما
أحسن إلى أيتام ولد آدم كلهم ، ومن عاد مريضاً فى يوم عاشوراء فكأنما عاد مريضاً أولاد آدم كلهم
هو اليوم الذى خلق فيه العرش والروح والقلم ، وهو اليوم الذى خلق الله فيه جبريل ورفع فيه عيسى
وهو اليوم الذى تقوم فيه الساعة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله عز وجل
(موعدكم يوم الزينة) قال يوم عاشوراء فطوبى لمن قدم فى هذا اليوم الشريف عملاً صالحاً ،
وانجبر فيه بالخيرات للأخرة متجراً رابحاً ، وتاب من ذنوبه وخطاياهم وأقبل إلى مولاه صالحاً واتعظ
بغيره وقبل ممن أصبح له ناصحاً ، وترك الكبر والدعوى ، وسلك إلى التقوى طريقاً واضحاً .

يا غاديا فى غفلة ورائها إلى متى تستحسن القبائح وكما أخى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا وأعجباً منك وأنت مبصر كيف تجنب الطريق الواضحا

كيف تكون حين تقرا في غد صحيفة قد حوت الفضائل وكيف ترضى أن تكون خاسرا
يوم يفوز من يكون راجعا فاعمل لميزانك خيرا فاعسى يكون في يوم الحساب راجعا
وصم بهذا يوم عاشورا الذي مازال بالتقوى شذاه فأثما
يوم شريف خصنا الله به يافوز من قدّم فيه صالحا

[وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انقرد به مسلم . وسئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء ؟ فقال : ما علمت أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يطلب فضله في الأيام إلا هذا اليوم يعني يوم عاشوراء ، ولا شهرا إلا هذا الشهر . يعني رمضان متفق عليه . وروى ذلك بن أنس رضي الله عنه عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج وهو على المنبر يقول : يا أهل المدينة أين علمواكم ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذا يوم عاشوراء لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر » متفق عليه . وروى ابن عباس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلث عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فيحتمل أن يكون أراد نقل الصيام إليه ويحتمل أن يكون أراد أن يصومه مع العاشر ، ولهذا استحباب الامام الشافعي وغيره صيام اليومين احتياطا وهو مروي عن ابن عباس أنه قال « صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود » وروى عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام أيام العشر إلى يوم عاشوراء ورث الفردوس الأعلى » وإلى هذا العشر أشار الله تعالى بقوله (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمناها بعشر) . ولعشر المحرم فضائل كثيرة : وآثار غزيرة . فمن ذلك ما روى معاوية بن قرة أن نوحا عليه السلام صام هو ومن معه في السفينة يوم عاشوراء شكرا لله تعالى إذ نجاهم يوم استوت على الجودي وكان يوم عاشوراء . وعن طاوس في قوله تعالى إخبارا عن يعقوب عليه السلام في قوله (سوف أستغفر لكم ربي) قال أخرهم إلى ليلة الجمعة فوافقت ليلة عاشوراء . قال ابن شهاب ومما باعنا عن الصحابة والتابعين أنه كان يصوم يوم عاشوراء على بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أجمعين ، وقد ذكرنا مما يستحب من الأعمال في يوم عاشوراء ما ذكرناه فيما تقدم ، ومنها ما لم نذكره فمنه أنه يستحب أن يستعمل فيه الاغتسال ، وقد ذكر أن الله تعالى يخرق في تلك الليلة زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذ أمن من المرض في جميع السنة ومن ذلك الصدقة ، ومن ذلك مسح رأس اليتيم ، ومن ذلك تفضير الصائم ، ومن ذلك إسقاء الماء ومن ذلك زيارة أخ في الله ، ومن ذلك عيادة المرضى ، ومن ذلك الصوم ، ومن ذلك التوسعة على الأهل ، ومن ذلك إكرام الوالدين والبر بهما ، ومن ذلك تشييع الجنائز ، ومن ذلك إمطة الأذى عن الطريق ، ومن ذلك كظم الغيظ ، ومن ذلك العفو عمن ظلم ، ومن ذلك التنفل وكثرة الذكر ومن ذلك ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال « من قرأ في يوم عاشوراء ألف مرة قل هو الله أحد نظر الرحمن إليه ، ومن نظر الرحمن إليه لا يعذبه أبدا » .

[وعن ابن مسعود رضي الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « أزل الله تعالى على موسى بن عمران في التوراة : من صام يوم عاشوراء فسكأنما صام الدهر كله » وعن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أن ينادي في الناس ألا من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يأكل فليصم فان اليوم يوم عاشوراء » . وعن ابن عباس

الكسوة والنفقة يوسع الله عليكم في الأرزاق ويفسح لكم في الأعمار كما تكونون يكون الله لكم » روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام : شكى إلى الله خلق سارة فأوحى الله له أني خلقتها من ضلع أعوج فان جميع النساء خلقن من ضلع آدم عليه السلام الأقصر اليسار . وان الضلع لأعوج إن قوته كسرت فاصبر عليها وتحملها على ما فيها إلا أن يرى نقصا في دينها . ومما جاء في حق المرأة على زوجها قال رسول الله لي الله عليه وسلم « يلزم الرجل تعليمه لأهله ومما ملكت يمينه الوضوء ونيتته والتميم والغسل من الحيض والغسل من الجنابة والغسل من النفاس وحكم الاستحاضة وفرائض الوضوء والصلاة وسنتها ، واعتقاد أهل السنة وترك الغيبة والنميمة وتوقى النجاسة والصمت عما لا يعني وملازمة الذكر والآداب واجتناب الإثم

رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء قال لهم ما هذا؟ فقالوا هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكرا لله، ونحن نصومه لأجله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه». وأما الصدقة فيه فإنها مضاعفة والبر والايثار والاحسان إلى ذوى القربى وصلة الرحم والرحمة والرافة للفقراء والمساكين. ومما روى أن فقيرا كان له عيال في يوم عاشوراء فأصبح هو وعياله صياما ولم يكن عندهم شيء فخرج يطوف على شيء يفترون عليه فلم يجد شيئا فدخل سوق الصرف فرأى رجلا قد فرش في دكانه التطوع الثمينة وسكب عليها أكوام الذهب والفضة فتقدم إليه وسلم عليه، وقال له ياسيدي أنا فقير لعل أن تقرضني درهما واحدا أشتري به فطورا لعيالي وأدعو لك في هذا اليوم فولى بوجهه عنه ولم يعطه شيئا فرجع الفقير وهو مكسور القلب وولى ودمعه يجري على خده فرآه جاره له صيرفي وكان يهوديا فنزل خلف الفقير وقال له أراك تكلمت مع جاري فلان؟ فقل قصدته في درهم واحد لأفطر به عيالي فردني خائبا وقلت له أدعوك في هذا اليوم، فقال اليهودي وما هذا اليوم؟ فقال له الفقير هذا يوم عاشوراء وذكر له بعض فضائله فناوله اليهودي عشرة دراهم وقال له خذ هذه وأنفقها على عيالك إكراما لهذا اليوم فمضى الفقير وقد انشرح لذلك ووسع على أهله النفقة، فلما كان الليل رأى الصيرفي في المنام كأن القيامة قد قامت وقد اشتد العطش والكرب فظفر فاذا قصر من لؤلؤة بيضاء أبوابه من الياقوت الأحمر فرفع رأسه، وقال يا أهل هذا القصر اسقوني شربة ماء فنودي هذا القصر كان قصر ك بالأمس، فلما رددت ذلك الفقير مكسور القلب محي اسمك من عليه وكتب باسم جارك اليهودي الذي جبره وأعطاه عشرة دراهم فأصبح الصيرفي مذعورا ينادى على نفسه بالويل والبور فجاء إلى جاره اليهودي وقال أنت جاري ولى عليك حق ولى إليك حاجة. قال وما هي؟ قال تبني ثواب العشرة دراهم التي دفعتها بالأمس للفقير بمائة درهم. فقال والله ولا بمائة ألف دينار ولو طلبت أن تدخل من باب القصر الذي رأيته البارحة لما مكنتك من الدخول فيه. فقال ومن كشف لك عن هذا السر الصون. قال: الذي يقول للشيء كن فيكون، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

[إخواني] كان هذا يهوديا فأحسن الظن بيوم عاشوراء وما كان يعرف فضله فأعطاه الله ما أعطاه ومن عليه بالسلام فكيف بمن يعرف فضله وثوابه ويهمل العمل فيه:

ما حال من ظل على باب الرضى مطرود وعن موارد ساعات اللقا مردود وقد حكم في القصد أن ينجز الموعد هذا بحكم القضاء يشقى وذا مسعود فيامن ضيع أوقات الملكة والالة دار، ونسى الآخرة وأس بهذه الدار، وجانب الصالحين وصاحب الفجار؟ وآثر على صفاء الاخلاص كدر الأسرار، وصار عبدا للهوى وقد كان من الأحرار، ولم يذكر في حلاوة الشهوات مرارة الأوزار:

يا غافلا في نومه ومنته متساعلا باللهو في غفلاته لا يستفيق من الذنوب وكما وعظوه جازا الحد في زلاته قد ضل عن طرق الهداية والقي والشيب وافي منذرا بوفاته فلو استقال إلى الكريم فرما يغفو بفضل منه عن هفواته

[وقيل] كان بالبصرة رجل له مال وثروة وكان في كل سنة يجمع الناس في بيته ليلة عاشوراء يقرءون القرآن ويذكرون ويهللون ويسبحون ويحسون تلك الليلة بالقراءة والذكر وبعد لهم الطعام ويشهد المساكين ويحسن إلى الأراامل والأيتام. وكان له جار وله بنت متعدة، فقالت لأبيها يا أبت

والسوء، فإن قصر عليه عن تعليمهن سأل وأخبرهن وإلا تركهن يسألن عن ذلك إذنه ولا يحل للرجل أن يمنع أهل بيته عن مقام يسمعن فيه المواعظ من قول الله وقول رسوله ليعرفن بذلك أمور دينهن ويحذرن دخول النار، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» يعني علم فرائض الدين.

[فصل] ويلزم الرجل أيضا حسن القيام على زوجته وأولاده وما ملكت يمينه. فيلزمه إطعامهم وكسوتهم وتعليمهم أمور دينهم ويكون ذلك كله من وجه خلل ولا يحل له انتقريط في شيء من ذلك بوجه من الوجوه كما قل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويقومون ما يؤثرون)

ما بال جارنا يجمع الناس في كل سنة في هذه الليلة ويحيونها بالقراءة والدكر ؟ فقال لها هذه ليلة عاشوراء ولها حرمة عند الله وفضائل كثيرة ، ثم ناموا وسهرت الصبية تسمع القرآن والذكر إلى وقت السحر ، فلما ختموا القرآن ودعوا رفعت رأسها إلى السماء وقالت سيدي ومولاي بحرمة هذه الليلة عندك وبهؤلاء الأقوام الذين باتوا يتلون ذكرك مساهرين في طاعتك إلا ما عافيتني ومسحت ضري وجبرت قلبي بعد كسري فما استتمت الكلام إلا وقد زالت عنها الأوجاع والأسقام ونهضت قائدة على الأقدام . فلما نظر أبوها إلى قيامها بعد ضررها وسقامها . قال يا بنية من كشف عنك هذه النعمة والبلية ؟ قالت الذي جاد لي بالرحمة ولا ييخل بالنعمة ، يا أبت إنني توسلت بهذه الليلة إلى سيدي فأزال ضرري وعافى جسدي .

فلا تجزع لريب الدهر واصبر فان الصبر في العقبى سليم فما جزع بفن عنك شيئا ولا ما فات ترجعه الهموم إذا ضاق الحناق فكُن صبوراً كريماً فالشدائد لا تدوم فبالصبر الجليل تنال أجراً وتعطى بعد ذلك مازوم فكُن من محنة عظمت ودامت وخان مواسل وجفاحيم أنى فرج الإله لها صباحاً فما أمست وأقلعت الهموم

فسلم قالذي أبلى يعافى وثق بالله فهو بنا عظيم

[إخواني] اغتنموا زمان الأربع فأيام اللواسم معدودة ، واتهزوا الفرص فأوقات السلامة مشهودة ، وبادروا للعمل مبادرة مجتهد محق وارفضوا فضول الدنيا وتخلصوا من الرق قبل أن تلقوا ساعة حسرة تلقوا بعدها في ظلمات حفرة كم من صحح قل هذا اليوم فسقم وكُم مظمئن أزيجته حداة النون فرحل ولم يقم ، وكُم ركن شيد بالشهوات والذات فهدم ، وكُم وجود لم يأت عليه هذا اليوم حتى عدم ، وهذا حالك عن قريب لكن الغرور يخفيه وهذا ما لك فتدبر ما أنت فيه فكأنى بك وقد تبدلت الصحة بالسم وعدمت العافية وجرى بالبلاء القلم وانقضى العمر كما قضى الله وحكم ، وأقبل الموت الذي قدره الله وحتم وبلغت الروح التراقي فنسيت لذة النعم وتحسر القلب لفراق الأحباب وأظهر الدمع ما كنتم وما كانت إلا ساعة حتى ذهبت الروح وسكن الألم ثم تنقل إلى منزل وعمر شديد الظلم فيا أسفاً إن جازاك مولاك بالمعاصي وانتقم ويتعساك إن زلت عن الصراط منك القدم ، فيا من حاله هذه إلى كم هذه النفلة في الهوى وكُم :

تفنى اللذات ممن نال شهوته من الحرام ويبقى الائم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

[قيل] إنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له عطية بن خلف ، وكان من أهل الثروة ثم انتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته . فلما كان يوم عاشوراء صلى التمسح في جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع أن لاة خاله النساء إلا في يوم عاشوراء لأجل الدعاء فوقف يدعو مع جملة الناس وهو يعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام ، فقامت يأسدي ما أنك بالله إلا ما فرجت عني وآرتني بشئ ، أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوه وما ترك لهم شيئاً وأنا شريفة ولا أعرف أحداً أقصده وما خرجت في هذا اليوم إلا عن ضرورة أحوجتني إلى بذل وجبى ، وليس لي عادة بذلك . فقال الرجل في نفسه أنا ما أملك شيئاً وليس عندي غير هذا الثوب وإن خالته انكشفت عورتى وإن رددتها فأى عذر لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها اذهبي معي حتى أعطيك شيئاً فذهبت معه إلى منزله فأوقفتها على الباب ودخل وخلع ثوبه وأزرع الحاق كان عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب ، فقالت ألبسك الله من حلال الجنة ولا أحوجك

وقد أمر الله عز وجل الانسان أن يحذر على نفسه من النار ويحذر على أهله منها كما يحذر على نفسه . قال النبي صلى الله عليه وسلم « كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة فالرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية في مال زوجها وهي مسئولة عنه » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يلقى الرجل ربه بذنوب أعظم من جهالة أهل بيته » ويقال : أول ما يتعاق بالرجل زوجته وأولاده فيوقفون بين يدي الله سبحانه وتعالى . فية ولون ياربنا خذلنا حقنا من هذا الرجل فانه لم يعلمنا أمور ديننا وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيضرب على كسب الحرام حتى يتجرد لحمه ، ثم يذهب به إلى الميزان فتجىء الملائكة بحسناته مثل الجبل فيجىء هذا فيقول وزنت لى ناصاً فيأخذ من حسناته ويحجى هذا فيقول له انك رايت

بأق عمر ك ففرج بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل ثم نام فرأى في المنام حوراء لم ير الراءون أحسن منها ، ويدها تفاحة قد عطرت ما بين السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة لا تقوّم بها الدنيا بما فيها فألبسته الحلة وجلست في حجره ، فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا عاشوراء زوجتك في الجنة . قال بئ نلت ذلك ؟ قالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس فانتبه وعنده من السرور ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد عبق من طيبه المكان فتوضأ وصلى ركعتين شكر الله عز وجل ثم رفع طرفه إلى السماء . وقال إلهي إن كان منامي حقا وهذه زوجتي في الجنة فأقبضني إليك فما استتمّ الكلام حتى عجل الله تعالى بروحه إلى دار السلام :

من عامل الله لم تخسر تجارتك وكل ما كان منها كاسدا تقفا والله حقا يجازي الحسنيين وقد جاء الكتاب بهذا المعنى وقد نطقا فاطلب رضا الله فيما ترجيه وثق به تنال المني والفوز والسبقا وقف على الباب واطرق بالثياب تنل أما ترى الباب مفتوحا لمن طرقا

[إخواني] هذه بعض بشارات المؤمن عند الموت فأين الاستعداد ، أين من يزرع الخير في دنياه ويحمد في عقبه الحصاد ، ما ينقص مال من صدقة بل يزداد ، أين الذين كنزوا الكنوز وعمروا البلاد ، أين الذين قادوا الجيوش واستبدوا العباد ، أين من بنى وشاد ؟ أين الآباء والأجداد ؟ .

غدا توفي الفرس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

فله در من عمل وبادر شهوره وسنينه ، وتدرّع الحياء والوقار والسكينة وعمل ليوم فيه (كل نفس بما كسبت رهينة) وعرف قدر هذا اليوم الشريف الذي نجى الله تعالى فيه نوحا وأخرجه من السفينة ، وذلك أن نوحا عليه السلام لما نزل من السفينة هو ومن معه شكوا الجوع وقد فرغت أزوادهم فأمرهم أن يأثوا بفضل أزوادهم فجاء هذا بكف حنطة ، وهذا بكف عدس وهذا بكف فول ، وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبع حبوب ، وكان يوم عاشوراء فسمى نوح عليها وطبخها لهم فأكلوا جميعا وشبعوا ببركات نوح عليه السلام فذلك قوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم من معك) وكان ذلك أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان فاتخذته الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين [وقيل إن موسى عليه السلام] لما وعده الله سبحانه وتعالى أن يخاطبه ويكلمه ويليقي إليه التوراة في الألواح أمره بصيام ثلاثين يوما فصاها وهي شهر ذى الحجة ، فلما أنكر خلوف رائحة فمه استاك بعود خروب ، وقيل زيتون ، وقيل غير ذلك فقبل له أيها الصائم عن أمرنا كيف أفطرت برأيك ؟ أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمر بصيام عشرة أيام آخر كفارة لما فعل ، قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعممناها بعشر) وهي عشر المحرم ، وقيل عشر ذى الحجة ، وعلى الوجه الأول يكون آخرها يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي كلم الله فيه نبيه موسى وأنزل عليه التوراة ، وهو يوم عظيم فضيل فيه تضاعف الحسنات ويغفر عن كل ذنب ثقيل ، فيه تاب الله على آدم وأخرج نوحا من السفينة وحمله ومن معه بالزاد القليل ، وفيه نجى من النار إبراهيم الخليل ، وشق من البلاء أيوب ، وردّ يوسف على يعقوب بعد حزنه الطويل ، وفيه أخرج يونس من بطن الحوت وقلق البحر لبني إسرائيل وغفر لداود ذنبه ، وفيه ردّ سليمان ملكه الردّ الجميل ، وفيه خاطب الله تعالى موسى ورفع فيه عيسى ، وفيه ينزل بالرحمة

فيأخذ من حسناته فيهبونها ، فيلتفت إلى أهله ويقول لهم : قد ثقّت للظالم في عنقي لأجلكم ، فتنادى الملائكة هذا الذي أكل أهله حسناته ويمضى لأجلهم في النار ، فيجب عليه أن يجتنب الحرام ويحسن إلى أهله .

ومما جاء في صلاة الرحم وقطعها . قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الرحم توسع الرزق وتزيد في العمر ، وإن الرحم تعلقت بالعرش وقالت : اللهم صل من وصائي واقطع من قطعني فقال الله سبحانه وتعالى وعزّي وجلالي لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك » وروى عن بعض الصالحين أنه قال : كان لي صداقة برجل صالح في بلاد العجم وكان مجاورا بمكة وكان يطوف بالبيت طول الليل ويعكف على قراءة القرآن وكان له على هذه الحالة مدة سنين فأودعته ذهابا وسرت إلى بلاد اليمن ثم جئت فوجدته قد مات

جبريل ، وفيه غفر ل محمد صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وناهيك به من يوم شريف فضيل من صامه فكأنما صام الدهر ومن قام ليلة فاز بالأجر الوافر والعطاء الجزيل ، ومن كسا فيه عاريا أو أجرى فيه من المعروف جاريا أجاره الله من العذاب الويل ، ومن جبر فيه يتينا أو أطعم جائعا عبدنا أو سقى فيه شربة ماء أطعمه الله من موائد الجنة وسقاه من الرحيق المختوم والسلسبيل ومن تصدق فيه بصدقة كان يوم القيامة تحت ظلها الظليل ، ومن وسع فيه على عياله وسع عليه رزقه وحسن خلقه وخلقه الجميل ، فأكثرُوا فيه التسييح والتهليل وبادروا فيه بالتوبة إلى الملك الجليل وتزوّدوا فيه من الأعمال الصالحة للسفر الطويل فقد ورد في فضله من الإنعام والاحسان ما يقصر عن وصفه كل لسان ويقصر عن حصره كل فضيل .

[كان وكان]

يا من يروم الفضائل في يوم عاشورا استمع فانه في الحقيقة يوم شريف فضيل فنب إلى الله واغنم صيامه تلق السنى وإن نويت الانابه بادر إلى التعجيل وحصل الزاد واغنم هذى الليالى بالتقى وابكى بدمع هامى على الحدود يسيل طوبى لعبد يتقظ وقام في وقت السحر وقال يارب انى مذنّب عليل ذليل فامتن على بشوبة فأكثر العمر انفضى ولا تحب رجائى فالظن فيك جميل وليس لى من وسيلة إلا النسي المصطفى الهاشمى المفضل بالوحى والتزويل رسول رب البرايا ماحى الخطايا والزلل هو النبي المخلص بالقرب والتبجيل صلى عليه وسلم رب السموات العلى مادامت الورق تبدى على العصور هديل اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل ، وخصنا بالأجر الوافر والعطاء الجزيل واغفر لنا فيه كل ذنب عظيم ، وخفف ظهورنا من كل وزر ثقل ، وتقبل فيه يسير أعمالنا فانك تقبل العمل القليل ، وأجرنا فيه من عاداتك على كل حسن جميل ، واحشرنا تحت لواء من أنزلت عليه وحكم التنزيل : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الثالث والأربعون

في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الواحد فلا يحجد . الأحد الذى في سرمدية توحّد . الفرد الذى في ربوبيته تفرّد الشكور الذى لا يشكر غيره ولا يحمد ، الغفور الذى يغفر الذنوب لمن يتوب ولا يتردد ، الملك الذى أفنى الممالك والملك وملسكه سرمد ، العلى الذى إليه الحكم الطيب يصعد ، الحاكم الذى حكم بالموت على أهل الدنيا فليس فيها أحد يخلد ، أرسل الرسل ليرشدوا الناس إلى الطريق الأحمد . وجعلهم حجابا بين يدى من له الشفاعة ولواء الحمد في القيامة يعقد ، وجعله آخر الأنبياء ليبين لهم الطريق الأرشد . فلذلك قال تعالى في كتابه المجد (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنا رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فتوّه بذكره تشريفا لقدرة وتوقيرا ، وأطفأ به للمشرّكين نارهم وأظهر به للمؤمنين نورا . وأكمل به لأمتة فرحا وسرورا . وأرسله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا . وجعله داعيا إليه باذنه وسراجا منيرا . وبعثه رحمة لكل موجود ونور به الوجود تنويرا . فقال في حقّه الملك العلى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) فهو سيد الرسلين وإمام المتقين ، ومن شرفه الله على جميع مخلوقين . ونبأه وآدم بين الماء والطين . وأرسله إلى كافة الخلق . فقال تعالى في

فسألت أولاده عن الودعة فقالوا لى والله ماندرى ماتقول ولا لنا بذلك من علم ، فوقفت حزينا فلقيني مالك بن دينار رحمه الله تعالى . فقال لى ما بالك يا أخى ؟ فحدثته فقال إذا انتصف الليل وكانت ليلة الجمعة ولم يبق بالمطاف أحد فقم بين الركن والمقام وصح يا فلان ، فإن كان صالحا مقبولا عند الله سبحانه وتعالى فإن روحه تكلمك ، لأن أرواح المؤمنين كلهم تجتمع بين الركن والمقام . قال فلما كانت ليلة الجمعة نصف الليل وقفت بين الركن والمقام وصحت يا فلان فلم يكلمنى أحد ، فلما أصبحت حدثت مالك بن دينار بذلك . فقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) كان ذلك العجمى من أهل النار ولكن امض إلى أرض اليمن ، فإن فيها بئرا يسمى ببر رهوت تجتمع فيه أرواح المعذنين وهو على قم جهنم ، فقف على جانب البئر وناد يا فلان في وقت

كتابه المبين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وجعل مقصده رفيعا وحسنه بديعا ومولده للمؤمنين ربيعا ، فما برح دين الاسلام به مرفوعا ، ودين الشرك به موضوعا . نقله من الأصلاط الطاهرة إلى الأرحام الزكية قطاب أصولا وزكافروعا ، أرتج ميلاده إيوان كسرى فأنهار بنيانه وتداعى وقوعا ، شفعه الله تعالى في العصاة من أمته تعظيما لقدره ، وجعل كلامهم لقوله سامعا ولأمره مطيعا ، واختاره لهم في الدنيا رسولا وفي الآخرة شفيعا ، وأمره بإظهار شرفه عليهم ، فقال له : (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) توجه الله بتاج الوقار ونوره بجميع الأفطار ، وشرف به البادين والحضار ، وصفاه من جميع الأكراد ، وأحمد لنوره نار فارس وأضاء بمولده غياهب الحنادس وخلع عليه خلع الهيبة والوقار ، وختم به النبيين وتمم به المرسلين ، وأنزل عليه في كتابه المبين ، تشريفا له ولأصحابه الأخيار (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) نبي بؤاه مقاما جليلا ، وأعطاه عطاء جزيلا ، بشرت بنبوته الأخبار والرهبان ، وأخبرت بظهوره الكهان ، وأظهرت له في الأكوان وصفا حسنا وثناء جميلا ، وأوجده الله في مثل هذا الشهر الشريف وفضله على سائر الخلق تفضيلا ، وكساه من حال الوقار ثوبا جليلا ، وأنذر الناس برسالته ، فقال في محكم آياته : (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا)

ربيع السرور أنار السبيل وأهدى لنا كأسه السلسيل
له الله كات وليا كفيلا ترى قبل موتى أزور الحمى
وأنظر وادي قبا قد بدا لعيني وأشهد ذاك النخيل
بمن طاب فرعا وأصلا أصيلا وأتم ذاك الضريح الذي تضمن خير الأنام الرسولا

نبي الهدى ماجيا لاردي ويجلو الصدا وهو يهدي السبيل

عليه من الله طول المدى سلام إذا رام حاد رجلا

فيأذو العقل الراجح والذهن السليم ، انظروا ما أعد الله تعالى لهذا النبي الكريم من العطاء الجزيل والتبجيل والتكريم ، واحظ الوافر والفضل الجسيم ، فهو النبي الكريم المخصوص بالخلق العظيم الموصوف بالتبجيل والتعظيم ، المنزل عليه في الآيات والذكر الحكيم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) إن أولى ما استفتح به الإنسان ونطق به اللسان ، كلام من خلق الخلق والأنام للتفضل عليهم والاحسان إليهم ليس ذلك حاجة ألجأه إلى إيجادهم ، ولا ضرورة أوجته إلى إتيانهم ، إذهو الغنى على الإطلاق والذي لا تنفى خزائنه بكمثرة الاتفاق ، ومن أعظم احسانه وأكثر امتنانه على عباده أن أرسل إليهم صفيه الكريم ، ونبيه الجليل العظيم ، ورسوله الصادق الأمين ، الذي قال سبحانه في صفة إبلاغه (وما هو على التيب بضنين) فأطفا بنور وجوده دياجي الكفر ، وأطاع في سماء الإيمان زهر الدراري ودراري الزهر ، وأضاء بأنواره غياهب الحنادس ، وأحمد به نار فارس ، وشق إيوان كسرى انذارا بزوال ملكه ، ورأى قيصر رؤياه الدالة على هلكه ، فيجب على أمته التي رفعها الله به على الأمم ، وطأ طأ لها بسيف عزمه شوامخ القمم ، أن يتخذوا ليلة ولادته عيدا من أكبر الأعياد ، ويحتدوا في الفرح به غاية الاجتهاد ، ويتقربوا إليه بكرام القرباء والفقراء ، ويمثلوا وصيته في إسعاف اليتامى والأرامل والضعفاء ، ويتلوا قصة مولده على أسماع الأمم ، ويتحققوا عندهم ما أوجده الله بوجوده من الكرم ومحاسن الشيم ، ليتقرر في خواطرهم ماله عند الله من المكانة والامكان ، وأنه ما خلق الله مثله من إنسان وها أنا أذكر مولده مسندا عن الأئمة الصادقين وأتلو قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين)

نصف الليل فانه يكلمك
قال قصيت إلى تلك البر
فلما انتصف الليل تعدت
عند البر فإذا أنا بشخصين
قد جآ وزلا في تلك البر
وهما يبيكان فقال أحدهما
للآخر من أنت ؟ قال أنا
روح رجل ظلم كان
يضمن الجهات للسلطان
وبأكل الحرام فرماني
ملك الموت إلى هذه البر
أعذب فيها ، وقال الآخر
أنا روح عبد الملك بن
مروان قد كنت رجلا
عاصيا ظالما جئت أعذب
في هذه البر ، فسمعت
لها صراخا فقامت كل
شجرة في جسدي من شدة
الفرح قال فنظرت في تلك
البر وسمعت يافلان يجأ إلى
من تحت الضرب والعقوبة :
ليكن . فقلت يا أخي أين
الودعة التي أودعتك إياها
فقال انها مدفونة تحت
العتبة الثلاثية في الموضع
الفلاني . قلت يا أخي بأي
ذنب جئت إلى منازل
الأشقياء ، قال بسبب أختي
لأنه كان لي أخت وهي
فقيرة منقطعة بأرض العجم

فقد روى عن مخزوم بن هاني عن أبيه وكان قد بلغ من العمر مائة وخمسين سنة قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، ولأثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان ، ولثمان سنين وستة أشهر من ملك عمرو بن هند . وذلك أن عبد المطلب نام ليلة في الأبطح فرأى كأنه خرج منه سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف : طرف بلغ مشارق الأرض ، وطرف بلغ مغاربها ، وطرف بلغ إلى عنان السماء ، وطرف رجع حتى صار شجرة خضراء ، فلما أصبح سأل عن ذلك ؟ فقالوا : إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك من يؤمن به أهل السموات والأرض . وروى كعب الأحبار رضي الله عنه قال : لما أراد الله عز وجل خلق الموجودات ، وخفض الأرض ورفع السموات قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا فصارت عمودا من نور وأشرق حتى انتهى إلى حجاب العظمة فسجد وقال : الحمد لله ، فقال الله تعالى : لهذا خلقتك وسميتك محمدا منك أبدا الخلق ، وبك أختم الرسل . ثم إن الله عز وجل قسم نوره على أربعة أقسام : خلق من القسم الأول اللوح ، ومن القسم الثاني القلم ، ثم قال الله تعالى للقلم اكتب ، فارتعد من الهيبة ألف سنة ، فقال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله فكتب القلم ذلك فاهتدى إلى علم الله تعالى في خلقه فكتب : أولاد آدم لصلبه ، من أطاع الله أدخله الجنة ، ومن عصى الله أدخله النار ، أمة إبراهيم كذلك ، أمة موسى كذلك ، أمة عيسى كذلك حتى انتهى القلم إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكتب أمة محمد من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصى الله أراد أن يكتب أدخله النار ، فإذا النداء من العلى يا قلم تأدب فانشق من الهيبة وانقطع بيد القدرة فصار ذلك عادة في القلم لا يكتب إلا أن يكون مشقوقا مقطوطا ، فقال له اكتب : أمة مذبذبة ورب غفور . ثم خلق الله عز وجل من القسم الثالث العرش ، ثم قسم القسم الرابع على أربعة أقسام : خلق من القسم الأول العقل ، ومن الثاني المعرفة ، ومن الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار والنهار ، فكل هذه الأنوار من نور النبي المختار فكان هو أصل المخلوقات كلها ، ثم بقى ذلك القسم الرابع من النور مستودعا تحت العرش حتى خلق الله عز وجل آدم عليه السلام فوضع ذلك النور في ظهره وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفوا ينظرون إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال آدم : يارب ما هؤلاء الملائكة يقفون صفوا خلف ظهري ؟ قال الله تعالى : يا آدم ينظرون إلى نور حبيبي وصفوتي من خالق محمد خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك ، فقال آدم : يارب اجعل هذا النور في مقدمي حتى يستقبلوني ولا يستدبروني فجعل الله ذلك النور في جبهته فكانت الملائكة تقف قبالة آدم فيسلمون على نور محمد ويصلون عليه ، فقال آدم : يارب أريد أن يكون لي نصيب من هذا النور كما للملائكة فاجعله مني في مكان أراه فنقل الله ذلك النور من جبهته إلى السبابة من يده اليمنى فكانت الملائكة تسبح فيسبح نور محمد صلى الله عليه وسلم في أصبع آدم ، فلذلك سميت من بين الأصابع المسبحة ، ثم قال آدم : يارب هل بقي من هذا النور شيء في ظهري ؟ فقال بلى بقي نور بقية صحابته ، فقال يارب اجعله في بقية أصابعي فجعل الله نور أبي بكر في أصبعه الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر ، ونور علي في الإبهام فما زالت هذه الأنوار تتلأل في أصابع آدم مادام في الجنة حتى أصاب من الشجرة ما أصاب فرد الله تلك الأنوار إلى ظهره ، ثم إن الله عز وجل عرف آدم قدر ما أودعه من السر ، وقال له تطهر وسبح وقدس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها ، فاني مخرج منك نورى ، ففعل آدم ما أمر به ربه فنقل الله ذلك النور من آدم إلى حواء فكان يرى في جبهتها دائرة كدائرة الشمس ، فلما وضعت شيئا عليه السلام انتقل النور إلى جبين شيث عليه السلام ، فلما

فاشتغلت عنها بعبادة الله عز وجل والمجاورة بمكة وما كنت أتفقد لها في تلك المدة بشيء ولا أسأل عنها . فلما مت عاتقني ربي عليها ، فقال لي : كيف نسيته ، تعري وأنت مكتس ؟ وتجموع وأنت شعبان ؟ وتظلم وأنت مروى ؟ وعزنى وجلالى لأرحم قاطع الرحم اذهبوا به إلى بربرهوت فأتى بي ملك الموت إليها . وها أنا معذب يا أخى اذهب إليها واطلب لي منها المسامحة واجعلني في حل منها فلعل الله عز وجل أن يرحمني لأنني ليس لي ذنب عند الله سبحانه وتعالى غير مقاطعتي للرحم وجفائي لها ، قال الرجل : فضيت إلى الموضع الذي قال لي عليه فنشسته فوجدت الصرة وفيها وديعق مثل ما ربطتها بيدي فأخذتها ومضيت إلى بلاد العجم فسألت عنها واجتمعت بها وحدثتها بحديثه من أوله إلى آخره فبكت وجعات أخاها في حل وشكت إلى الله القلة والضرورة

كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ آدم عليه العهد والميثاق أن لا يودع هذا السر إلا في المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال ، فانتقل ذلك النور من شبت إلى أنوش ، ثم إلى قينان ، ثم إلى مهلائيل ، ثم إلى يرد ، ثم إلى أخنوخ ، ثم إلى متوشلخ ، ثم إلى ملك ، ثم إلى نوح عليه السلام ، ثم إلى سام ، ثم إلى أرغشذ ، ثم إلى شالخ ، ثم إلى عابر ، ثم إلى قانع ، ثم إلى راغو ، ثم إلى ساروغ ، ثم إلى ناحور ، ثم إلى تارخ ، ثم إلى آزر ، ثم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم إلى إسماعيل ، ثم إلى قيدار ، ثم إلى نبت ، ثم إلى سلامان ، ثم إلى الهاميسع ، ثم إلى اليسع ، ثم إلى أدد ، ثم إلى أد ، ثم إلى عدنان ، ثم إلى معد ، ثم إلى نزار ، ثم إلى مضر ، ثم إلى إلياس ، ثم إلى مدركة ، ثم إلى خزيمية ، ثم إلى كنانة ، ثم إلى النضر ، ثم إلى مالك ، ثم إلى فهر ، ثم إلى غالب ، ثم إلى لؤى ، ثم إلى كعب ، ثم إلى مرة ، ثم إلى كلاب ، ثم إلى قصي ، ثم إلى عبد مناف ، ثم إلى هاشم ؟ ثم إلى عبد المطلب ؟ ثم إلى عبد الله والد محمد صلى الله عليه وسلم :

ما زال نور محمد متقلّا في الطيبين الطاهرين أولى الملا

حق لعبد الله جاء مطهرا ومكرما ومعظما ومبجلا

فلما أراد الله عز وجل إخراج تلك الوديعه من خزائن الأصلاب الرقيقة . إلى كنز أحشاء آمنة النيرة . وظهرت لانتقال نوره الآيات . وتباشرت به جميع الخسوفات . نودى في جميع الأرض والسموات : يا عرش تبرقع بالوقار . يا كرسي تدرع بالبخار . يا سدرة المنتهى اتهجي . يا أنوار المهابة تبلجي . يا جنان تزخرفي . يا حور من القصور أشرفي . يا ملائكة الله اصطفي وتغنطق بالعرش وحق . يا رضوان افتح أبواب الجنان . وزين الحور والولدان . أطلق مجامر الطيب وعطر الأكوان . يا مالك أغلق أبواب النيران . فان النور للكون والسر للصون المخزون . الذي في خزائن قدرتي في هذه الليلة من عبد الله ينفصل . وإلى آمنة يتصل . وإلى أحشائها في هذه الساعة ينتقل . التي فيها يتم خلقه تماما جليا . ويخرج إلى الناس بشرا سويا . فلما أذن الله سبحانه وتعالى في انتقال نور محمد صلى الله عليه وسلم انتقل عشية الجمعة أول ليلة من شهر رجب الفرد . وقيل منتصف جمادى الآخرة وهو قول الواقدي ولم يبق في تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور . ولاداة إلا نطقت . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب السكبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها . قالت آمنة : لما مر لي من حملي ستة أشهر مات أبوه عبد الله وأنا في المنام فوكزني برجله ، وقال يا آمنة أبشري فقد حملت بخير العالمين طرا . فاذا ولدته فسميه محمدا واكتمي شأنك . قالت : وفي مدة حملي به ماشكوت وجعا ولا ألما ولا نقلا ولا مغصا . ولقد حملت به تسعة أشهر كمالا . فلما حان وقت ولادتي أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من قومي وإن لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فمددت كف السؤال إلى من لا تخفى عليه خافية . فاذا أنا بالأخت الواسية : امرأة فرعون آسية . ثم نظرت نورا أضاء منه المكان . فاذا هي مريم ابنة عمران . ثم شاهدت وجوها كاليدور . فاذا هم جماعة من الحور . فاشتد بي الطلق فاستندت على النساء . ثم أعانني عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة . فوضعت الحبيب معتمدا على يديه شاخصا إلى السماء بعينه . حنت آسية عليه . بادرت مريم إليه ، قبلت الحور قدميه ، نزل إلى المنزل جبريل ، حف به ميكائيل . جاء إلى خدمته إسرافيل أخفوه عن الأبصار . طافوا به جميع الأنطار . غمسوه في الجنة في سائر الأنهار . كتبوا اسمه على أوراق الأشجار . ثم عادوا بالفضل على الكونين . في أسرع من

فوهيتها شيئا من حطام الدنيا وانصرفت عنها . فينبغي لكل مؤمن أن يصل رحمه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت في الجنة قصرا من ذهب ودر وياقوت وزبرجد يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره . قلت : لمن هذه المنازل يا أخى يا جبريل ؟ قال لمن وصل الأرحام وأنشئ السلام وألان الكلام وأطعم الطعام ورفق بالآيتام وصلى بالليل والناس نيام » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صبر على خاق زوجته مع طاعة الله ورسوله أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب صلى الله عليه وسلم . ومن صبرت على خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل من قتل في سبيل الله عز وجل . ومن ظلمت زوجها وكلفته ما لا يطيق وأذته لعنتها ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ووعي في النار . ومن صبرت على أذى زوجها أعطاه الله ثواب آسية

طرفة عين ، أخذته آسية تكحله فوجدته مكجولا بكحل الهدي ، أرادت مريم أن تقطع سرتة فوجدته مقطوع السرة قد زال عنه الردي ، قدمت الجوار العين أنواع الطيب ، طيبت به شمائل هذا الحبيب ، سارعت إلى طلعه المباركة ، ثلاثة من الملائكة ، مع أحدهم طست من الذهب الأحمر ، ومع الثاني إبريق من الجوهر ، ومع الثالث منديل من السندس الأخضر ، فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من الحرقمة خاتم النبوة والتصديق ، وله لمعان وبريق ، وختموا به ظهر هذا النبي الشفيق ، فتم بذلك سعده والتوفيق ، وقيل لأمه آمنة لاتدعى أحدا من العالمين ينظر إلى محمد الصادق الأمين ، حتى تنقضي عنه زيارة الملائكة المقرئين . ولما ولد صلى الله عليه وسلم وسقط اهتر العرش طربا ، وزها الكرسى عجبا ، ومنعت الجن عن السماء ، وقالوا لقد لقينا في طريقنا نصبا ، وضجت الملائكة بالتسبيح رغبا ورهبا ، ونشرت الرياح وأبدت سحبا ، وأماتت في الحدائق من النصوصن قضا ، ونادت الكائنات من جميع الجهات أهلا وسهلا ومرحبا :

نسيم الصبا أهلا وسهلا ومرحبا قدمت فأندمت السرور إلى الربا
وجدت في كل القلوب مسرة ونشرك أضحي في الوجود مطيا
متى أنظر الأعلام يأسعد قد بدت ويصبح قلبي من حماء مقربا
فقد زمزم الحادي بذكر محمد نبي كريم للشفاعة مجتبي
رسول عظيم مصطفي ذو مهابة له الله بالهكر المرفع قد جبا
فلولاه ماسار الحجاج لمسكة ولاحن مشتاق لنجد ولا صبا

فسبحان من أطلع كواكب مسعوده في الأكوان فطلعت ، وألع بوارق جوده فلمت ، وبث أنوار أثمار شهوده فتلاأت وسطعت ، وقطع آمال الكفار من مرادهم فانقطعت ، وأذل ملوكهم بعزه فذلت لهيبته وخضعت ، فالانس بقدمه قد تأنست وارتفعت ، والجن من استراق السمع قد نمت ، والأمل في الألاك قد سجدت وركعت ، وآمنة قد فازت بما حازت حين لجل هذا الحبيب قد وضعت ، وحليمة الحليمة تنسرت إذ له أرضعت ، وألسنة اللداح قد أننت بشكره في الآفاق وأسمعت :

قلوبنا بالفراخ قد ولت ما فترت عنه لا ولا رجعت وأذنا شرفت ومسمعا
من طيب أذكاه التي سمعت طلعت تخرجل الدور إذا ما ظهرت للعيون أو طلعت
وقد ينجل النصوصن إذا ما نظرت قده له ركعت كل مليح له أقر كما
جوامع الحسن فيه قد جمعت محمد سيد الأنام ومن أعناق أعدائه له خضعت
جاءت لنا رحمة بمولده ومذ أمدت به فما انقطعت وفي ربيع جاءت بشائره
فمد أتنا أسواؤنا دفعت فثله في الأنام سائرة ما حمت حامل ولا وضعت
أفي الدنا غيره بمولده أشرفت الأرض والسماسطعت وينزل الغيث والغيث به
ومن سناه البروق قد لمعت يامولد الصطفي جمعت لنا أنواع بشر في القلب قد زرعت
وياربعا لنا بمرعبه أوقات أنس بالخير قد رفعت ليتك لو كنت دائما أبدا
فان أعداءنا بك انصرفت ياسيد المرسلين خذ بيدي فأدعني من جناتي هممت
واشفع لنا في المعاد يا أملي من حر نار الجحيم قد لندعت فمنك نرجو أن لا تخيبتنا
يامن به الكائنات قد نفعت عليك صلى الإله ماسهرت عين وما في منامها هجعت

وآلك الطهر والصحاب ومن تحب من أمة لك اتبعت

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

امراة فرعون ومريم ابنة عمران فان الله يقول وهو أصدق القائلين : من وصل رحمه أزيد في عمره وأتمر ماله وأعمر داره وأهون عليه سكرات الموت وتناديه أبواب الجنة : هلم إلينا وقال عليه الصلاة والسلام « لا تنزل الرحمة على قاطع الرحم » نسود بالله من الحرمان . ونسأل الله القبول والعفوان . ونسأله الأمان من النيران .
الباب التاسع

في عقوبة عاق والده
قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلو علم الله عز وجل في الكلام شيئا أقل من أف ما قال الله عز وجل (إما يبلغن عندك الكبر أحداهم أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان في الكلام شيء أقل من أف ما قال الله فلا تقل لهما أف » فقد بالغ الله سبحانه وتعالى في الوصية بالوالدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عاق والده لو سام وصلى حتى بقي مثل الوتر

المجلس الرابع والأربعون

في التنزيه ، وذكر الصالحين

الحمد لله الذي اعترف بفضل كل حاضر وبادي ، واعتترف من بحر بره كل رافع وغادي ، وسمعت بفضل وجوده عيون السحب الغواذي ، وسبح بحمده النهار الزاهر والليل الهادي ، ونطق بحكمته الكائنات لذوى البصائر والعقول ، والسموات تقول : سبحان من رفعني بقدرته وأمسكني بقوته فهو ركني وعمادي ، والأرض تقول : سبحان من وسع كل شيء علما ، وفرش فراشه على الماء ومهد مهادي ، والجبال تقول : سبحان من قوَّى أركاني وثبت بنياني وأوتادي ، والبحار تقول : سبحان من بعثته أجزائي وأسأل عيوني وغدراي لورادي وقصادي ، والعارف يقول : سبحان من دلي عليه وجعل إليه مرجعي ومعادي ، والعالم يقول : سبحان من فتح مسامع أقباهي ووقفني في أحكامي واجتهادي ، والعابد يقول : سبحان من أيقظني في الليل لنيل أوطاري وأقامني لأذكري وأورادي ، والمذنب يقول : سبحان من اطاع علي في العصية ورآني فسترني وغطاني وتاب علي لما تبت وهداني وأصلحني بعد فساد ، فسبحانه من إله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا وينادي : هل من تائب فاتوب عليه ؟ وأنظر إليه بعين ودادي ، هل من مستغفر فأغفر له ، وأريه طرق رشادي ، هل من داع فأستجيب له وأنجز له بالفضل ميعادي ؟ هل من سائل فأعطيه ماسأل وأجود عليه بانعامي وإرفادي ، فيا أيها الغافل إلى متى هذه العفلة والتمادي ؟ انهض على قدم الندم والاعتذار ، وداو بمدومة الأذكار قلبك الصادي ، وقف في الأسحار بالذلة والانكسار بين يدي الملك الجبار ونادي :

أثبت إليك يارب العباد بافلاسي وذلي وانفرادي وهأنأنا واقف بالباب أبكي زمانا ما بلغت به مرادي عسى عفو يبلغني الأمانى فقد بعد الطريق وقل زادي فأنت ذخيرتي وبك انتصاري وفيك توكلني وبك اعتبادي وعنك إشارتي وإليك قصدي ومنك مسرتي ولك انقيادي ومالي حيلة إلا رجائي وفيك على المدى حسن اعتقادي ولو أقصيتني وقطعت حبلي وحققك لأحول عن الوداد فجد بالعفو يا مولاي وارحم عبيدا ضل عن طرق الرشاد وقد وافى ببابك مستنجرا يخاف من القطيعة والبعداد

توسل بالنبي الطاهر حقا شفيع الخلق في يوم العاد

عليه من المهيمن كل وقت صلاة ماحدا بالركب حادي

[وعن ثوبان رحمه الله] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا . أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هم الشعث رءوسا الذين لا يشكحون المتعتمات ولا تفتح لهم السدد أولئك أهل الله وخواصه من عباده .

رجال لهم حال مع الله صادق فلا أنت من ذلك القبيل ولا أنا

تحوم على الدنيا وتبغى زهدا فلا أنت معدود هناك ولا هنا

[مرسئ السقطي رحمه الله] رجل ملق على الأرض ، وهو سكران والخر يطع من فيه ، وهو يقول : الله الله فرفع السري طرفه إلى السماء . وقال إلهي إنسان يذكرك لا يكون هكذا ثم دعا بقاء ففعل فمه ، ثم تركه ومضى . فلما أفاق الرجل قالوا : إن الشيخ السري قد رآك ، وفعل

ومات ووالده غضبانان عليه لقي الله عز وجل وهو غضبان عليه » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس بين عاق والديه وبين إبليس في النار إلا درجة واحدة » وقال صلى الله عليه وسلم « ليلة أسري بي إلى السماء رأيت أقواما معلقين في جذوع من نار قلت لأمين الوحي يا أخى يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : العاقون لو الله بهم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سب والديه نزل على رأسه في جهنم بعدد كل قطرة نزلت من السماء إلى الأرض » نعوذ بالله من النار ، ومن غضب الجبار ومن كل عمل يدخل النار ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتبعني شيء مثل ما أتعب مع العاقين لأبائهم وأمهاتهم أكون في الجنة فأسمع صراخهم من الضرب والعقوبة وأسمع بكاءهم فيوجعني قلبي الرقيق عليهم فأسجد تحت العرش أشفع فيهم ، فيقول الله عز وجل : يا محمد ارفع رأسك فإن العاقين

معك خيرا وغسل ثك خجل واستحي ولام نفسه ووخها . وقال ويحك يا نفس إن لم تستح من الله ، ومن أوليائه فمن تستحين ؟ ثم ندم وتاب مما كان فيه وبات السرى فرأى في منامه قائلا يقول له ياسرى أنت طهرت فمه لأجلنا ، ونحن طهرنا قلبه من أجلك ، فلما أصبح السرى سأل عن ذلك الرجل فوجده في بعض المساجد وهو قائم يصلي ، فلما فرغ قال له السرى يا أخى كيف حالك ؟ فقال ياسيدى كيف تسأل عن حالى ، وقد أخبرك الكريم أنه طهر قلبى من أجلك وأصلح بالى ! قال ومن أعلمك بهذا ؟ قال الذى طهر قلبى من سواه ، وجاد علىّ بعفوه ورضاه :

من مثل ربك تعصيه وتهجره ويسبل الستري اذا القدر فارتدع
ياناقض العهد يامن حاله قبحت مع الإله بلا خوف ولا جزع
ضيعت عمرك تسويها بلا عمل تسمى وتصيح بين الحرص والطمع
وتسمع الوعظ لانهك زاجرة بل أنت في غفلة عن ذاك فاستمع
فقم لتقرع بابا للذى كثرت للسائلين عطاياها وأنت معى
لعله أن يرانا تائبين له بمنّ بالعفو عن عصياننا الشنع

[قال ذوالنون المصرى رحمه الله تعالى] رأيت غلاما نحيفا مصفر اللون دقيق الساقين عشى في البرية بلا زاد ولا ماء ولا نعل فسلمت عليه وقلت له مالى أراك على هذه الحالة ؟ فيبكي وأنشد :

ذاب مما يفؤادى بدنى وفؤادى ذاب مما فى البدن اقطعوا حبلى وإن شئتم صلوا
كل شئ منكم وعندى حسن صح عند الناس أنى واله غير أن لم يعلموا حجبى لمن

قال ذوالنون المصرى : ثم لأدرى أين ذهب . يا هذا أطيب المعاملة ما طاب منهلا ، وأعذب الموارد مارق وحلا ، ماصفا عيش القوم حتى قلبهم فى قلب الابتلا ، سكن قلوبهم بسكنية للسكنة وقطع منها أربا وأملا ، ونادى عليهم فى سوق الشوق بين الملا ، أنصبرون على البلاء قالوا بلى . فسقام رحيق التوفيق ختامه مسك التصديق ، فعابوا على النفس وغابوا فى فلولات التحقيق ، وتلذذوا بالفقر والفاقة فى سلوك الطريق ، فأنسوا بخلواتهم فى البرّ الأقفر ، لهم تهافت عند ذكر الحبيب الأكبر ، ولهم تواجد عند سماع « رب أشعث أغبر » كان أويس القرنى رحمه الله إذا جاع يأتى الزابل فأثاها يوما فاذا كلب ينبس عليه ، فقال له لا تؤذ من لا يؤذيك أنت تأكل مما يليك ، وأنا آكل مما يلينى ، فان دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير منى :

ذلّ الفقى فى الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف
وإذا تذلل عز قدرا فى الهوى وأتته بعد الفاقة التحف

[وقال سرى السقطى رحمه الله] دخلت القبرة فرأيت بهلولاً المجنون على قبر يتعمرغ على التراب فقلت له ماجلوسك ههنا ؟ فقال أنا عند قوم لا يؤذونى ، وإن غبت عنهم لا يعتابونى فقلت له الحبز قد غلا . فقال والله ما أبالى ولوجه بدينار ، علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرقنا كما وعدنا . وقيل إن رابعة العدوية رحمها الله مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها . فقالت له يا هذا إلى متى تشغل بالأغيار عن الواحد الجبار ؟ ويحك عليك بالجوار ثم الدار . فقال لها اذهبي يا مجنونة فقالت أنا لست بمجنونة ، وإنما المجنون من لم يفهم ما أقول يامسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه ، والنار بستان من كان الله مؤنسه وجليسه ، ألا ترى الى آدم لما كان فى الجنة كان يرتع ويتهى فلما تعرض للأكل من الشجرة صارت عليه سجنا ، وإبراهيم الخليل لما حفظ سره لمولاه قربه واجتباها ، فلما طرح فى النار صارت عليه بردا وسلاما :

لوالديهم لا أخرجهم من النار حتى يرضى عليهم
آباؤهم وأمهاتهم فأرجع إلى مكاني وأشتغل عنهم
ثم أعود فأسمع صراخهم وبكاءهم فأمضى وأسجد نائى مرة تحت العرش ، فيقول الله عز وجل : يا محمد ارفع رأسك . فمهما طلبت أعطيتك إلا العاقين فانهم لا يخرجون من النار حتى يرضى آباؤهم فأمضى إلى مكاني وأنسام ثم أعود أسمع نحيبهم وبكاءهم ، فأقول : اللهم مر مالكا أن يفتح باب طبقتهم حتى أنظر إلى عذابهم فأنسى أسمع صراخهم عظما ، فيقول الله عز وجل إني قد أمرته بذلك فعند ذلك أمضى إلى مالك فيفتح لى فأنظر رجلا معاقين فى جذوع من نار والزبانية تضربهم بسياط من نار على ظهورهم وأخذهم وحيات وعقارب تسعى تحت أرجلهم فتلدغهم فأبكي رحمة لهم فأرجع فأسجد ثلاث مرات تحت العرش .

فروحي وربحاني إذا كنت حاضرا وإن غبت فالدين على محاسب
إذا لم أنافس في هواك ولم أغر عليك فقيمن ليت شعري أنافس

[قيل كان حبيب النجار رحمه الله] من الأولياء الأخيار الأتقياء الأبرار يقوم الليل ويصوم
النهار ، ويؤثر بطعامه عند الإفطار ، ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار . فإذا كان وقت الأسحار
ناجى ربه ، وقال بلسان التلذذ والانكسار : غرقت في بحر غفلك ، وركضت في ميدان صبوتي ،
وعثرت بأذيال ذلتي ، وتحيّرت في يدياء شقوتي ، ومالي غيرك أعتد عليه ، ولا أعرف بابا غير بابك
فالتجّيت إليه ، وها أنا عبدك الدليل المذنب العليل قد وقفت ببابك ولدت بجنابك . فان لم ترحمني
فيأذلي وباشقوتي ، وإن لم تعف عني فيأطول حسرتي ، ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر ،
فاذا صلى وفرغ شرع في القراءة من أول الحزمة إلى آخرها بقية يومه فلما مات كان آخر آية تلاها
في سورة يس قوله تعالى (إني إذا لفي ضلال مبين) فلما دفن سأله ملائكة ربه عن الإيمان .
فقال (إني آمنت بربكم فاسمعون . قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين) فله درهم من أقوام قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ، يتحملون أثقال الوجد
والغرام ؛ ويفرحون بالليل إذا جنّ الظلام ، فهم غدا في جنان الخلد يتمتعون ، وإلى وجه الحبيب
ينظرون ، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون :

لله قوم بذكره اشتغوا وفي حمى قربه لقد نزلوا ليس لهم غير ذكره فرح
فهم حقيقا عليه قد حصوا من ذاق وصل الحبيب هام ولم يحل له منزل ولا طلل
بروحهم في وصاله سمحوا وحققوا ربهم وما جهلوا قاموا يناجونهم وقد علموا
بأنهم للمعاد قد عملوا فاستعدوا الصعب في هواه وقد لته لهم في رضاه ماحموا

[قال أبو بكر بن عبد الله رحمه الله] : انتهت في بادية العراق أياما فلم أجد شيئا أرتفق به فبينما أنا
سائر إذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب الخيمة ستر مسبل فسلمت فردت
عليّ السلام عجوز من داخل الحباء ، وقالت من أين الرجل ؟ قلت من مكة قالت وأين تريد ؟ قلت
الشام ، قلت أرى سيحك سيح البطالين هلا لزمّت زاوية تعبد الله فيها إلى أن يأتيك اليقين ثم
تنظر في هذه الكسرة التي تأكلها إن كانت من حلال فتجوهر باطنك ثم قالت لي أتقرأ القرآن
قلت نعم قالت فاقرأ عليّ آخر سورة الفرقان فقرأتها فصرخت وأغمى عليها فلما أفاقَت قالت لما
قرأت هذه الآيات اقشعرّ جلدي لقراءتها ثم قالت لي اقرأها ثانيا فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها
في المرة الأولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي ترى ماتت أم لا ؟ فرجعت ذاهبا مقدار نصف ميل
فأشرفت على واد فيه عرب فابتدرني غلامان ومعهما جارية . فقال لي أحد الغلامين يا هذا أتيت
على الخيمة الشعر التي بالقلاة ؟ قلت نعم قال قرأت القرآن عند العجوز ؟ قلت نعم قال ماتت ورب
الكعبة ، فضيت مع الغلامين حتى أتينا الخيمة فدخلت الجارية وكشفت عن وجه العجوز فاذا هي
ميتة فعجبت من خاطر الغلام ثم قلت للجارية من هذان الغلامان ؟ فقالت ها شريفان جعافرة وهذه
أختهم منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس وإذا نزلوا بواد انفردت عنهم وضربت
خيمتها في القلاة وحدها ، وكانت تأكل في كل ثلاثة أيام مرة واحدة :

[إخواني] إلى متى تشغلون بالذات القانيات عن الباقيات الصالحات ، بادروا الأوقات
واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات ، أما أيقظكم منادى الشتات ، أما هزكم حديث الصالحين

فيقول الله عز وجل
ليس لهم خروج إلا برضا
والدينهم . فأقول يا رب
وأين والدوم ؟ فيقول
الله عز وجل في منازلهم
في الجنة . ومنهم جماعة
على الأعراف ، ومنهم
جماعة في جنة المأوى ،
ومنهم جماعة في غيرها .
فأقول : إلهي وسيدى
عرفني بكل من له والد
في الجنة فيعرفني الله
سبحانه وتعالى بهم فأذهب
إليهم وأقول لو رأيتم
أولادكم وقد وكلت بهم
زبانية تعاقبهم قد أحزن
قلبي بكاؤهم وصراخهم
فيذكر آباؤهم ماجرى
من الأولاد في دار الدنيا
فتقول واحدة من
الأمهات دعه يعذب
يا رسول الله لأنه كان قد
أهاتني وشتمني وكسر
قلبي ، وقد كان قادرا على
المال والدنيا وأنا أبيت
جوعانة ويكسو زوجته
المليح الغالي وأنا عريانة ،
ثم يقول الآخر دعه
يعذب . فقد كان يضربني
إذا كلمته في مصلحة حاله

والصالحات ، إذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات ، وإذا أقبل الليل ضجروا فيه بخين الأصوات ،
ليس لهم الى غير محبوبهم التفات ، فهم الأبطال والسادات :

حياتنا باطل غرور وعمرنا ذاهب قصير
والناس في غفلة نيام وقد دعهم لها القبور
والعمر يمضي وليس ندرى مثل سفين بنا تدور
يا نفس ماسر فهو حزن لا تحسبي أنه سرور
تذكرى الموت واستعدى له فقد جاءك النذير

ويطردني عن بيته وقد
كان يفعل وكان يصنع
فيبقى في قلوبهم الحقد
مما مضى فأقول لهم إن
الدنيا قد مضت ، وقد

مضى ماضى فامضوا لهم
واصفحوا عنهم كرامة
لحيث إليكم فيقول الله
عز وجل يا حبيبي يا محمد
لا تشق عليهم فوعزني
وجلالى ما أخرج أولادهم
من النار إلا برضا قلوبهم
فيقول يارب مرهم أن
يمشوا معي إلى جهنم
لينظروا عذابهم عسى
أن يرجعهم فيأمر الله
عز وجل بمشيهم معي
فيأتون إلى جهنم فيفتح
مالك عليهم أبواب جهنم
فاذا نظروا إلى أولادهم
وعذابهم يكون ويقولون
تالله ما علمنا أنهم في العذاب
الشديد فتصيح كل
واحدة من الأمهات لبتها
أولائها ، وإن كان والدها
فيصبح لولده . فاذا مع
الأولاد أصوات آبائهم
وأمهاتهم يكون ويقول
كل واحد لأمه يا أمه
النار أحرقت كبدي

[قال عبد الرحمن القرشي] كنت أحب إبراهيم بن أدهم وأسوح معه فسرنا في طريق الحجاز
ثلاثة أيام لم نستطع فيها بطعام ولا شراب فقلقت فعرف ماني من الجوع فجلس ورنق وجلست إلى
جانبه ، وإذا برغيف سخن قد سقط في حجرى فرفع إبراهيم رأسه وقال لي كل . فأكلت نصفه
نشبت ثم سرنا فمررنا بقافلة قد حبسها الأسد عن السير فتقدم إبراهيم إليهم وقال له يا قسورة
إن كنت قد أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فاذهب فولى الأسد هاربا وسار القوم فقالوا
له بالله عليك ياسيدي إلا مادعوت لنا فنحن نخاف في السفر . فقال لهم قولوا : اللهم احرسنا بعينك
التي لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذي لا يضام ، وارحمنا بقدرتك علينا . لانهلك وأنت رجاؤنا . قال
عبد الرحمن فقليت رجلا من أهل القافلة بعد مدة فسأله . فقال والله مذكنا ندعو بهذا الدعاء
الذي علمنا الشيخ مامرا بنا سبع ولاص ولا مرجف ثم ركب معنا ذلك الرجل في مركب في البحر
فصفت الريح وهاجت الأمواج واضطرب المركب وخفنا الغرق فبكى الناس وضجوا فقال الرجل
يا قوم معنا في السفينة شيخ صالح كان من أمره كيت وكيت فسأله أن يدعو لكم فأثناه وهو نائم
في ناحية السفينة ملفوف رأسه في الكساء فأيقظناه وقلنا له ياسيدي : أما ترى ما الناس فيه من
الشدة فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أرينا قدرتك فأرنا عفوك . قال فما استكمل كلامه
حتى سكنت الريح وهادأ الموج وسارت السفينة . قال عبد الرحمن فلما نزلنا من السفينة سرنا أياما
فهلكت من الجوع فشكوت إليه فأخذ الزود ورقى الى شجرة البلوط فلما المزود ثم أتى به فاذا
هو رطب جنى فما أكل شيئا ألد منه ولا أطيب . قال وعطشت معه في بعض السياحات ليلا
فشكوت إليه ذلك . فقال لي اشرب فنظرت فاذا دلو قد دلى من الهواء وفيه ماء لم أذق أطيب منه
طعما ولا أحسن ريحا فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك أصوم في الهواجر فلا أجوع
ولا أعطش ، هؤلاء والله الأقوام صفوة الملك العلام :

قوم إذا عبث الزمان بأهله كان الفر من الزمان اليهم وإذا أتيتهمو لدفع مله
جادوا عليك بما يكون لديهم فإذا أتيتهمو أنخ بجانبهم أولاتنخ فافر السلام عليهمو
نقد درهم من رجال متركوا في قلوبهم لغير محبوبهم من مجال قد أسبلوا العبرات على الوجنات
ووصلوا الزفرات بالحسرات ، ونادوا : يا من لا تحيط به الصفات ، أنقذنا من ظلم الآفات ، فلو تراءم
وقد براهم الوجد ، وأنخلهم الشوق ولم يشكوا ألما ولا ضررا ، وناجهم الحبيب وناداهم بالترحيب
سحرا ، وركبوا خيل الليل وساروا فحمدوا عند الصباح السرى :

شه در رجال واصلوا السهرا واستعذبوا الوجد والتبرع والفكرا
قوم نجوم الهدى في الليل تعرفهم هم الملوك هم السادات والأمرا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا عن سواه وللذات قد هجرا

يمسى ويصبح في وجد وفي قاق
يقول ياسيدى قد جئت معترفا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له
عصيته وهو يرخى ستره كرما
ياطلما كان لى فى كل نائبة
ولانى تائب مما جنيت وقد
لعلّ تقبل عذرى ثم تجبرنى
وقد أتيت بذلى راجيا كرما
وقد تشفت بالهادى البشرومن
تالله لولم يكن فى الأرض مانبت
مضى أسير إلى ذاك الجنب متى
صلى عليه إله العرش ماركض
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

المجلس الخامس والأربعون

فى محبة الله عز وجل

الحمد لله ذاكر من كان له ذاكر ، وشاكر من كان له شاكر ، الذى عمت رحمته أولا وآخرا ، وكفلت نعمته مؤمنا وكافرا ، وأسهر عيون أهل محبته فى خدمته ، فالسعيد من بات فى طاعته ليلا ساهرا ، شغلهم بحبه ولذهم بعته فأصبح شذاهم بتقواهم فى الأكوان عابقا عاطرا ، سامرهم فى خلوة التقرب عند غفلة الرقيب ، وبافوز من له الحبيب مسامرا ، سقوا بسائين أشجانهم بماء دموع أحزانهم فأصبح روض إيمانهم زاهيا زاهرا ، وخبوا ربوع هوامهم زهدا فى دنياهم ورغبة فى آخرهم فأضحى وربيع تقواهم بمولاهم عامرا ، دعاهم إلى مشاهدة جماله وجعل لهم من جزيل نواله وأفضاله نصيبا وافرا :

فهم الذين تمزقوا فى حبه
فوجوههم بضياؤه قد أشرفت
ركبوا أنجائب شوقهم تحت الدجى
قد خصهم بالقرب منه وبالرضا
مولى إذا العاصى ألم بيبابه
وإذا أتاه الطالبون لفضله
وتهتكوا فرأوا جمالا باهرا
وشذاهم فى الكون أصبح عاطرا
فلاجل ذا حمدوا سراهم باكرا
وكسا وجوههم ضياء مزهرا
غفر الذنوب له وأضحى ساترا
أعطاهم منه نصيبا وافرا

فسبحانه من إله لم يزل عظيما قادرا حلما غافرا ، كريما ساترا حاكما على الخلائق بسطوته قاهرا ، عادلا فى حكمه لاحثفا ولا جائرا ، من عامله أربحه بعد ما كان خاسرا ، ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحما ، ولكسره جابرا ، ومن عصاه بجمله ثم تاب إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافرا ، ومن ذكره فى نفسه كان له بين ملائكة قدسه ذاكر ، ومن تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا وافرا ، من طلبه عند شدته ودعاه عند كربه وجده لضره كاشفا ولخذلانه ناصرا :

أنت الذى مازلت منى حاضرا
ولقلبي اللهوف شغلا شاغلا
فلذا نظرت فأنت قبلة ناظرى
حيث اتجهت رأيت نورا باهرا
ولناظرى يأنور عيني ناظرا
ولمسمعى أبدا حديثا سائرا

والعقوبة أهلكنى يا أماء
ما كنت يهون عليك أن
أقعده فى الشمس وحرها
ساعة واحدة ولا تشكنى
شوكة يا أماء كيف سمعت
بعذابي وصبرت عني أما
ترحمين جلدى وعظمى
فعند ذلك تبكى الآباء
والأمهات فيقولون
يا حبيبنا يا محمد اشفع فيهم
فيقول الله عز وجل إني
لا أخرجهم إلا بشفاعتكم
لأني قد غضبت عليهم
لأجلكم فيقولون إلهنا
وسيدنا تفضل علينا
يا خراج أولادنا من النار
فيقول الله عز وجل للوالدة
والوالد رضيتما عن
أولادكما ؟ فيقولان نعم ؟
فيقول الله عز وجل كل
من رسم له والده بخروجه
فأخرجه ، وكل من
لا يطلبه فدعه يعذب حتى
أنضى ما أشاء فأخرجهم
وقد صاروا خفا فيجربى
عليهم الماء من نهر الحيوان
فينبت عليهم اللحم والجلد
والشعر ويدخلون الجنة
وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «أوصيكم بالصلاة

وإذا سمعت فمك أسمع دائما
أنت الذي مازلت لي في وحدتي
مارمت منك على الحقيقة نصرة
كلا ولا ناديت في غسق الدجى
أبدا يناجيك الضمير وطالما
فلأنت سرى في الفؤاد ولم تزل
يا من غدا مأوى الطريد ومن له
أنهم وجد فرضاك غاية مقدي
فأمنن على بتوبة المحو بها
وزرى وكن لي بعد كسرى جابرا

أحمده أولا وآخرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصه ليس فيها شك ولا مرا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابعه وجرى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما حدا الحادى إليه وسرى .

[إخوان] اعلموا أن المحبة معنى يدق عن الأفكار، ويغنى عن الأسرار، فهي للخواص نور، وللعوام نار، معلق الحب بقلب امرئ ولا حل إلا بالاشئ واضمحل، فالحب حرفان حاء وباء، خاؤه حتف وباؤه بلاء، فهو في الحقيقة داء، يستخرج لذائقه من صفو رائقه دواء وشفاء، فأوله فناء وآخره بقاء، وظاهره تعب وغناء، وباطنه سرور وهناء، هو لمن جهله شقاء، ولمن عرفه شفاء (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عصى) فلباس في المحبة على أنواع وأجناس . ومحبو الله هم خلاصة الناس . قال الله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) قال ابن عباس: أثبت وأدوم . وذلك أن للشركين كانوا إذا عبدوا صنما ورأوا شيئا أحسن منه تركوا ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن . وقل عكرمة: أشد حبا لله في الآخرة . وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء، ويقبل على الله تعالى وذلك قوله تعالى (إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) وقوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه . وقال الحسن: إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة . وذلك قولهم للأصنام (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) والؤمنون عبدوا الله تعالى بلا واسطة . وذلك قوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقيل لأن الشركين يحبون أندادا كثيرة فحبهم مشترك . وأما المؤمنون فحبهم غير مشترك لأنهم يحبون إلها واحدا . وقيل إن الكفار يتخذون معبودهم مصنوعهم، والؤمنون يرون الله تعالى صانع كل مصنوع وخالق كل مخلوق . وقيل لأنهم أحبوا الأصنام وعابنوها، والمؤمنون يحبون الله تعالى ولم يعابنوه بل آمنوا بالغيب فلاجل ذلك وعدهم بالظر إليه في الآخرة؛ وقيل إنما قال الله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) لأن الله عز وجل أحبهم أولا ثم أحبوه ثانيا ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وأصح . قال الله تعالى (يحبهم ويحبونه) .

[وقال سفيان الزورى] في قول الله عز وجل (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال هو الحب وقيل أبو الدرداء رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذى يباغى حبك . اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد» .

وبر الوالدين فإنه يزيد
في العمر، والذي نفسى
بيده إن العبد يكون
قد بقى من عمره ثلاث
سنين فيحسن إلى والديه
فيجعلهما الله عز وجل
ثلاثين سنة، وبسء إلى
والديه فيجعلهما الله عز
وجل ثلاث سنين أو ثلاثة
أيام «والاحسان إلى
الأهل والأقارب يزيد
في العمر، والحقاء عليهم
ينص في السر والزرق
ويغضب الرب سبحانه
وتعالى . وإن لم يعاتب الله
سبحانه وتعالى قاطع الرحم
في الدنيا يؤخر الله عذابه
بعد الموت فيسجن روحه
في بربرهوت على ثم جهنم
إلى يوم القيامة . وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «من عقى والديه
فقد عصى الله ورسوله»
والعاق لوالديه إذا دفن
في قبره عصره القبر حتى
تختلف أصلاعه، وأشد
الناس عذابا يوم القيامة
في جهنم ثلاثة: العاق
لوالديه والزاني والمشرک
بالله «وقل بعض الصالحين

[وعن أنس بن مالك رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب الله تعالى فليحبني ، ومن أحبني فليحب أحب أحبائي ومن أحب أحبائي فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد فاتها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهي ميمونة ميمون أهلها محبوب محبوب أهلها فزهم في صلاتهم والله تعالى في حوائجهم ، وهم في مساجدهم والله تعالى في نجح مقاصدهم » .
[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل » وفي رواية « قال لجبريل عليه السلام ناد في أهل السماء والأرض أن الله عز وجل يحب فلانا فأحبوه فعند ذلك يلقي حبه في الأرض ويقع في الماء فيشربه البر والقاهر فيحبه البر والقاهر . وإذا أبغض الله عبدا أمر الله تعالى جبريل أن ينأى لكس من ذلك فيبغضه البر والقاهر » .
في هذا الخبر حكاية عن ثابت البناني رحمه الله أنه دخل على خليفة من الخلفاء . فقال له الخليفة ما كان يدعو صاحبك صالح البجلي رحمه الله في دعائه ؟ فقال ثابت كان يقول في دعائه : اللهم حببني إلى قلوب عبادك ، فقال الخليفة على سبيل الاستخفاف : وهذا كان دعاءه ؟ فقال ثابت : أنستخف بهذا الدعاء وقد سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام أني أحب فلانا فأحبوا » إلى آخره ، فقال الخليفة تبت إلى الله تعالى وأنت ، قال ثابت فرجعت إليه من الغد فقام بين يدي وعاتقني وقبل رأسي ، وقال نهك الله كما نهيتني ، ثم رأيت البارحة في المنام كأنني دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده ، فقال دم على قولك : اللهم حببني إلى قلوب العباد ، فإن أولياء الله لا يحبون عبدا إلا بعد أن يحبه الله ، ثم سلمت عليه وانصرفت .

[وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله] يقول في مناجاته : إلهي لست أعجب من حي لك وأنا عبد حقير ، وإن أعجب من حبك لي وأنت ملك قدير . وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته : إلهي ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا ، بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا .
[وقال بعض العارفين] الحب حب يندثر في أرض القلوب ويسقي بماء القول يشمر على قدر طيب الأرض وصفو الماء ، فالله الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا .
[وعن أنس بن مالك] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلافة الإسلام : أن يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .
[وعن معاذ] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطيتهم النبيون والسهداء » .

[وقيل] كانت لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية . قال فكانت ذات ليلة نائمة فرائتها قامت توضأت ، ثم قامت تصلى ، فلما فرغت خرت ساجدة ، وهي تقول : سيدي بحبك لي إلا ما غفرت لي فقلت لها وبحبك لا تقول هكذا ، ولكن قلولي بحبي لك فربما هو لا يحبك . فقالت لي بإبطال لولا حبه لي لما أنامك وأوقفتني بين يديه ، وبحبه لي أخرجني من دار المشركين وكنتني في ديوان المؤمنين ، فقالت لما : اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى ، قالت يا مولاي : أسأت إلى أجرين فصار لي أجر واحد ، ثم صرخت صرخة ، وقالت هذا عتق مولاي الأصغر فكيف عتق مولاي

دخلت في الليل بين القبور
فرايت قبرا يخرج منه
دخان فظرت إليه فأنق
وخرج منه زباني أسود
في يده عمود من حديد
يضرب به حمارا في رأسه
وذلك الحمار ينق ثم
خرج الحمار بسلسلة من نار
فأدخله الزباني في القبر
ودخل حلقه وانطبق قبره
فعميت وبقيت متفكرا
لمقت امرأة فسألته عن
ذلك فقالت هذا كان يزني
ويشرب الخمر كانت أمه
مخاصمة له فيقول لها انتهى
كما تنق الحمار ، فلما مات
مسجده الله حمارا في قبره
وفي كل ليلة يخرج له لزام
من قبره ويضربه ويقول
له انتهى وحمار ثم يحرقه
بسلسلة ويرده في القبر ،
ثم تطبق عليه . فعوذ بالله
من السار ومن غضب
الطيبار ومن عمل أهل
النار ؛ فالؤمن يحمل نفسه
للمشقات والأمور الصعبة
فرعا من الطبيعة والبعد
والعذاب كما قال المؤلف :
عسى أرى عطفك يا سيدي
وساء الموقف يوم الحساب

الأكبر، ثم خرت ميتة. هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بحب رب العالمين :
الحب فيه حلاوة ومرارة وتنسك وتهتك يشاء
ماشاء يصنع بالحب فأعما حكم الهوى بيد الحبيب الأمر
لو كنت أملك في الهوى أمر الذي أهوى لكان مؤانسي ومسامري
لكن قيادي في يديه فتارة يحفو وطورا حين يحنو زأري

[وقيل] لبعض المحبين كيف رأيت المحبة ؟ فقال وقفت على ساحل بحر زاخر ماله من آخر
قرب مني قارب : « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » ، فركبت موافقة له واتباعا . فأجابني روح
من دعاها : (بسم الله مجراها ومرساها) ، فلما توسطت الأجرة توعدت سبل المحبة فما زلت حتى جمعتني
في مجمع محرى : (يحبهم ويحونه) فأنا بين البقاء والفناء ، حتى أصل ذلك البناء :

حروف المحبة مروها يبدننا يسألون للشي فمات وحاء الحياة
وباء السلاء وهاء لهننا فلا تطمئن بطيب اللقاء وطول البقاء بدون الفناء
حمينا الوصال بحد اتصال فن تاق سمر القنسا تاهنا فلا تجزعن لمز النكال
وحر الؤل فمه لهننا ومث مثل مامات أهل الهوى وذاوا اشتياقا فقالوا التي

[وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله] نه كان يقول في بعض مناجاته . سيدي ثمن طلبتي
ذوق لأطالك موك . ثمن البتي يخلي لأطالك بخودك وكرمك . ولئن طلبتي باسائي
لأطالك أحاسك . لئن دخلتني النار لأخبرن أهل النار أنني أحك . فودى أن يأأسايمان
ندحك النار بل ندخلك الجنة نخبر هلها بمحبتنا . ولا تخبر هل النار بمحبتنا فن مكان المحبين
الجنة . ومكان أعداء النار :

من ألم المحر إليك الفرار يا سالي في الحب طاب البرار عذب غير المحر قلبي تجدد
له على غير جفاك اصطبار النار مع أنسك لي جنة وروضة الجنة إن غبت نار
يهواك ط في وفؤادي معا والروح من هذا وهذا تغار فان دخلت النار أخبرتهم
أني محبك لكن أغار عليك أن قالوا محب له عذابه بين الأعادي جهار

[إخواني] المحبة عروس ، مهرها الذنوس ، ولها تخضع الرقاب والرؤوس ، فهي تجلي على
الأسرار وتصفو بها الأكدار ، فهي للعارف نور وللجاهل نار . إذا مزجت خمرة المحبة على أهل
الصفاء حضرت ثلوب أهل الوفاء ، فالذكر ألحانها ، والتوحيد ريحانها ، والشكر ترجمانها والمهية
سلطانها ؛ فأمل المحبة فتحت لهم أبواب جنة الوصال يتمتعون فيها بالعدو والآصال . والحبيب يتجلى
عليهم بلا حجاب . وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب . فالذين يتلون الكتاب طوبى لهم
وحسن مآب . والذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب متكئون فيها على الأرائك نعم الثواب
[كان وكان]

ما كل واصل مواصل ولا العنا يدني التي هذي سوابق لواحق لمن يشا الوهاب
كم قد رأينا عاشق صادق واخريدعي هذا مجالس مؤانس وذاك برا الباب
لا تدعى الحب فينا وفي فؤادك غيرنا نخاف عليك ينادي يامدعي كذاب
لكن إذا شئت فاصبر على مرارات الشقا واخضع إذا شئت تحسب من جملة الأحباب

[وعن يوسف بن الحسين رحمه الله] قال : سمعت ذا النون المصري يقول : بينما أنا مار في
شوارع مصر ، إذ رأيت جارية مسفرة بغير خمار : فقلت لها : يا جارية أما تستحيين أن تمشي

والله لازلت على بابيه
ولوضي جسمي فيه وذاب
وتجبر المكسور الملتجى
ويشتقي القلب بحلو الناب
عندك يارب تزيل الشقا
وتجبر العبد بكشف الحجاب
ويفرح المهجور ياسيدي
ويسمع المسكين رد الجواب
الباب العاشر

في النهي عن الزامير والفتاني
قال صلى الله عليه وسلم
« يندى يوم القيامة من
تحت العرش : أين الذين
كاوا ينزهون أسماعهم
عن الذم الزامير والباطل
في الدنيا ؟ أسمعهم حمدي
وثنائي وأخبرهم أن
لاخوف عليهم ولاهم
يعززون » ونال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« بعثت بإبطال الزامير
وإن الله عز وجل لا ينظر
في ليلة القدر إلى أصحاب
الزامير » وأما الشبابة
فخرام . روى عن نافع
قل : مشيت مع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ،
فسمع زمارة راع فدا
أذنه بأبعيه وعدل عن
الطرق وأسرع في الشيء

بغير خمار؟ فقلت ياذا النون، وما يصنع الحمار بوجه قد علاه الاصفرار؟ فقال ذو النون: ومن أي شيء علاه الاصفرار؟ قالت من محبته. فقلت يا جارية عساك تناولت شيئا من شراب القوم. فقلت: اسكت يا بطل شربت بكأس وذهت مسرورة، فأصبحت بحب مولاي مخمورة. فقلت يا جارية عسى فائدة أنتفع بها منك أو وصية أرويهها عنك. فقلت: ياذا النون عليك بالسكوت حتى يتوهموا أنك مبهوت، وأرض من الله بالقوت بين لك بيتا في الجنة من ياقوت، ثم أنشدت: تهنك ولا تخش في الحب عارا وإياك إياك تبسدى استتارا وبادر إلى الباب مع فتية لهم في الظلام عيون سهارى وإن خفت عند المسير الضلال فوجه حبيك يهدي الحيارى أيها العارف إذا سرى نسيم المحبة إلى مسام القلوب، ارتاحت إلى لقاء المحبوب، فسمعت النجاة في الأسرار لأهل القلوب والأسرار، فكل أجاب على حسب ما حصل له من الأحوال للترجمة على لسان الحال: أيها الحزين علينا كيف وصلت إلينا؟ قال ركب جواد توكل على الله واشتياق إليه فما شعرت إلا وأنا بين يديه: أيها الخائف من القوت كيف رأيت القوت؟ قال استعذبت التعذيب في رضا المحب، فرأيت فضله سابقا، وجواد عزمي لاحقا. فكيف لا أرجو أن أنجو وأنا برحمته رائق: أيها الزاهد كيف عهدك بتلك المعاهد؟ قل سمعته يقول: في البذل والافاق (ماعندكم ينقد وما عند الله باق) فتركت ما عندى لما عنده وغضت عني على الفاني فما فتحتها إلا على الباقي: أيها المحب لنا كيف كان اتصالك بنا؟ قال وهل كانت إلا شربة شربتها في حضرة: يحبهم. فسكرت بها في خلوة: ويحبونه. فما أفقت من ذلك الشراب إلا بشاهدة المحبوب:

لما علمت بأن قلبي فارغ ممن سواك مسلاته بهواك
ولمأت كل منك حتى لم أدع منى مكانا خاليا لسواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه والنطق لايفك عن ذكراك
والطرف حيث أجليه متافتا في كل شيء يحتلى معناك
والسمع لا يصنى إلى متكلم إلا إذا ماحدثوا بحلاك

[وروى عن الربيع بن خيثم رحمه الله] أنه كان يديم السهر فقالت له ابنته يا أبت من أفضل خلق الله عز وجل؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قلت بحمرة محمد بن هذه الليلة. فقال يارب أنت تعلم أن السهر أحب إلي من النوم ولكن لأجل ما أقسمت ابنتي علي بمحمد أنام هذه الليلة فنام فرأى في المنام أن في البصرة أمة يقال لها ميمونة تكون زوجتك في الجنة. فلما أصبح خرج إلى البصرة. فلما سمع أهل البصرة بقدومه تنقوه. فلما دخل قال عندكم امرأة يقال لها ميمونة؟ قالوا وما تصنع بميمونة المجنونة هي ترعى الغنم بالنهار وتشتري بأجرتها تمرا فتفرقه على الفقراء وتصدق في الليل على سطح لها فلان دع أحدا ينام من كثرة البكاء والصياح قال لهم فما تقول في صياحها؟ قالوا تقول عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

فقال والله ما هذا كلام المجانين، دلوني عليها، فقالوا هي في البراري ترعى الأغنام فخرج إليها فوجدها قد اتخذت محرابا وهي تصلى فيه ورأت النعم ترعى والذئاب تحرسها فتعجب من ذلك. قال الربيع فلما فرغت من صلاتها قلت: السلام عليك يا ميمونة قالت وعليك السلام يا ربيع، قلت كيف عرفت اسمي؟ قالت سبحان الله عرفني باسمك الذي أخبرك البارحة في المنام أنني زوجتك ولكن ليس للوعد ههنا، الوعد بيننا غدا في الجنة فقلت لها كيف اجتماع الذئاب والغنم؟ فقالت لما تعلق جبه بقلبي واحتكم، تركت الدنيا عن قلبي فأصاح ما بين الذئاب والغنم، ثم قالت يا ربيع اسمعني شيئا من كلام

ثم قال يا نافع انقطع حسن الزمارة؟ فقلت نعم. فأخرج أسبغيه من أذنيه ورجع إلى الطريق وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع، ماسمعا زممارا أو شبابة أبدا. (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) ل أهل التفسير المكاء هو شبابة والتصدية التصفيق والعناء، قالوا كانت الجاهلية يغنون ويصفرون في المسجد بالشبابة إذا كان يوم عيدهم فسمهم الحق سبحانه وتعالى وذنم فعلمهم وأوعدهم على ذلك العذاب الأليم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ملعون الزامر والمستمع» فمن سمع الطربيات في الدنيا لا يسمع مطربات الجنة أبدا إلا أن يتوب، وإن صوت داود عليه السلام يعدل تسعةائة زممار، وهو لقري يوم مشاهدة الحق، فتركوا هذا الطرب لذلك الطرب قال الله عز وجل: (لهم ما يشاءون فيها ولدينامزيد)

سیدی فقد اشتاقت نفسی إليه فقرأت (یا أيها الزمّل قم الليل إلا قليلا) وهي تسمع وتبكي وتضطرب إلى أن وصلت إلى قوله تعالى (إن لدينا أنكالا وججيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصرخت صرخة وخرّت ميتة فتحيّرت في أمرها فجاءت جماعة من النساء فقالت نحن نقسلها ونجهرها نقلت من أين عرفتن موتها ؟ قلن كنا نسمع دعائها وهي تقول : اللهم لا تمتني إلا بين يدي الربيع . فلما سمعنا بحضورك إليها علمنا أن الله استجاب دعائها . إخواني إذا أصاح الله أرض قلب قلبها بعجرات الخوف وبذر فيها حب الحب وسقاها بماء الدمع فأنبئت زرع (بحبهم ومحبونه) سبحوا في بحر حبه وعاموا ولازموا الخدمة على بابهم وقاموا وواظبوا على أمثال أوامره وداوموا وتولّوا فيه فلاجل ذلك سهروا في الليل ولم يناموا إذا ما نوا من حبه شوقا إليه لم يلاموا :

أهل المحبة بالمحجوب قد شغلوا وفي محبته أرواحهم بذلوا
وخربوا كل ما فيهم وقد عمروا ما كان يبقّي فياحسن الذي عملوا
لم تلهمهم زينة الدنيا وزخرفها ولا جناحا ولا حلي ولا حلل
هاموا على الكون من وجد ومن طرب وما استقلّ بهم رعب ولا طلل
داعى التشوق ناداهم وألقهم فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
من أول الليل قد سارت عزائمهم وفي خيام حمى المحجوب قد نزلوا
وانت لهم خلق التشريف يحملها عرف النسيم الذي من نشره ثملوا
هم الأجابة أدناهم لأنهمو عن خدمة الصمد المحجوب ما غفلوا
سبحان من خصهم بالقرب حين تضوا في حبه وعلى مقصودهم حصلوا

[وقال عبد الله بن الفضل رحمه الله] لما توفي يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ، قيل بماذا ؟ قال كنت أقول في مناجاتي إلهي إن كنت مقصرا في خدمتك ، فما كنت مقصرا في محبتك .

[وقال ذو النون المصري رحمه الله] سمعت رجلا باليمن قد سما على المحبين وفاق على المجتهدين وعرف بالعلم والحكمة فخرجت حاجبا . فلما قضيت نسكي مضيت إليه لأسمع كلامه وأنفع بموعظته أنا وأناس معي يطلبون مثل ما أطلب ، وكان معنا شاب عليه سبيل الصالحين وشعار المحبين ، فخرج الشيخ إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام والكلام ؟ فصاحه الشيخ ، وأقبل عليه . فقال له الشاب يا سیدی قد جعلك الله طيبيا لأستقام القلوب وبني جرح قد أعيا الأطباء ، فإن رأيت أن تتلطّف بي ببعض مراحمك فافعل . فقال الشيخ عما بدالك فاسأل . فقال ما علامة الحب لله ؟ قال أن تنزل نفسك منزلة السقيم ألا تراه يحتّم عن الطعام حذارا من السقام ، فصاح الفتى صيحة فأنفاس روحه قد خرجت فلما أفاق قال : يرحمك الله فما علامة المحبين ؟ قال إن درجة المحبين رفيعة . فقال صفها لي ، فقال إن المحبين لله تعالى نظروا إلى نور جلال الله فصارت أبدانهم روحانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة البعيا ، وتشاهد تلك الأرواح بالعين فعبوده بمناجاة استطاعتهم لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره . قال فشهِق الفتى شهقة خرجت فيها روحه فقبل الشيخ بكي وقبله ويقول : هذا والله مصرع الخائفين ، وهذه درجة المحبين :

يا ذلك الناب رقا رقا بعددك رقا قد لده فيك وجدي فليست بالوجد أشقى

فلا أرى للتشكي بما أنا منك ألقى فان أمت فسروري بأن أموت وتبقى

[وعن الحسن البصري] قال : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن يداود أحبني وأحب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش أملح وينادي مناد يا أهل الجنة أشرفوا ويا أهل النار أشرفوا فيشرفون كلهم فيقول لهم أتعرفون هذا ؟ فيقولون بلى ، فيقول لهم هذا هو الموت فيذبح بين الجنة والنار وينادي مناد يا أهل الجنة خلودوا فلاموت ويا أهل النار خلودوا فلا موت ، فعند ذلك تعظم حشرات أهل النار ويرجعون باكين ويشهد نوح أهل الجنة ويرجعون إلى قصورهم فيبعث الله سبحانه وتعالى لهم معاني من الجوارعين فيجلسون في رياض الجنة في إيوان من درة بيضاء طوله مائة عام وعرضه خمسون عاما والنساء كلهن عند فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ، وأرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم في إيوان آخر ، وتصب لهم

من يحبني وحبيبي إلى عبادي . فقال يارب أحبك وأحب من يحبك فكيف أحبيك إلى عبادك ؟ قال :
ذكرهم الآتي ونعمائي فانهم لم يعرفوا مني إلا الحسن الجميل :

يا من له فضل على جميل هل لي إليك إذا اعتذرت قبول
فأنا المقر بسوء فعلي سيدي وبحسن ظني عندك للمقبول

[وقيل] إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام : انك لي خليل ، وأنا لك خليل
فاحذر أن أطلع على ابك فأجده مشتتلا بغيري فأقطع حبك مني فاني إنما أختار لحبي من لو أحرقت
بالنار لم ياتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري ، فإذا كان لي كذلك أسكنت محبتي في قلبه فتوالت عليه
الطافى فحبه مني ووهبت له محبتي فأني نعم يعدل ذلك عندى وأنى شرف أشرف منه عندى فوعزنى
وجلالى لأشفيين صدره من النظر إلى وذلك أنى محب لمن أحبنى .

[إخواني] إذا كانت محبته سقت للعبد بالعناية القدسية كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة ؟
يا جبريل أم فلانا و قم فلانا ، فالحب بين يدي محبوبه قائم ، ولخدمته ملازم ، وفي حبه هائم فاعاياه
من عتب العاذل واللائم :

يا عال القلب في صباهه ولائم الصب في تصايه اترك ملاهى وصد عن عدلى
فالحب معنى وليست تدرى وفي ضمري من لا أوحى وفي فؤادي من لا أسمى
قد أدعش الطرف ومحاسنه وحر القلب في معايه محجب وقلوب تشهد
مغيب والعرام يسديه ووجهه حيث قمت واجهنى لاشئ يخفيه أو يواريه
إن قلت يا بغيق ويا أملى يقول ليك في تعاليه ها أنا دان ليك مقرب
نفذ من الوصل صرف صائيه واغمر زمان الرضا فما أحد يدري الذى في عدى يلاقيه

[وقول أوجان رحمه الله] حضرت مجلسى النون رحمه الله في صلاة مصر فحسبت أن حظ
فكان عددهم سبعين ألفا ، فكلم في محبة الله تعالى وما يتبعه بالحبين وصفاتهم ، فمات في مجلسه أحد
عشر نفسا ، وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع إلى الأرض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يقفوا ذلك
النهار ، فساداه بعض مرديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر محبة الخالق وأورثتها الأحزان
والنيران ، فلو بردت القلوب بذكر محبة المخلوقين ، فتأوه ذوالنون تأوها شديدا وشق قميصه نصفين
وقال آه ثم أواه علقت قلوبهم واستعبرت عيونهم ، وحالتوا السهاد وخالفوا الرقاد ، فليلهم طويل
ونومهم قليل ، أحزنهم لا تنفد وهمومهم لا تنفد ، أورهم عسيرة ودموعهم غزيرة ، باكية عيونهم
قريحة جفونهم ، قد عاداهم الزمان وجفاهم الأهل والجيران ، قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من
الكدر مشروبهم ، لاجرم أنهم بشروا بالهنا وبلوغ النى :

فلله قوم أخلصوا لحبيهم فأوسعهم فضلا وأنحفهم منا
هنيئا لهم لما تملوا بحبه وفازوا من الرضوان بالمنزل الأسنى
وذو الرش في فردوسه يستزيدهم فياحبذا الولي وياحبذا المعنى
يقول عبادى هل رضيتم بعمق فها أنا معكم اب قوسين أو أدنى
تملوا بوجهي وانظروا ما منحتكم فمن نال منى نظرة فقد استغنى

[إخواني] للجنة رجال ، ماتركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال ، فما في الحب عضو ولا جراحة
إلا وعليه شواعد المحبة فالألسن قد شعلتها أنيس : (فأذكرونى أذكركم) الأسماع منصتة لاسماع
كلام الحبيب بالحن (وإذا سألك عبادى عني فأنى قريب) والأبصار شاخصة لا تنظر (وحوه) مثذ

المراتب والساند ثم يتقدم
الخور العين تغنى لهم
بتحميد الحق بأصوات لم
يسمع السامعون أحسن
منها ، وفي ذلك الليدان
أشجار تحمل الزامير في
كل غصن من أغصان
الشجرة تسعون زممارا
فتصوب الملائكة تلك
الأشجار أمام الخور ويقول
الله سبحانه وتعالى للخور
أسمعن عبادى الذين زهوا
أسماعهم عن الطربات
في الدنيا فجلى وثلثوا
في الدنيا بسماع كلامي
وأحدث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوم لهم
الفرح والكرامات عنى
فتغنى لهم الخور العين
بتسبيح الحق وتحميده
وتمجيده وتوحيده وتهب
ريح من تحت العرش على
تلك الزمائر فيطرب القوم
طربا عظيما فرحا بالوصول
ويهمون فتقدم إليهم
الملائكة كراسى من ذهب
عليها مراتب منسوجة
بالذهب وهى من السندس
الأخضر بطائها من
إستبرق فيجلسون على

ناصرة إلى ربها ناظرة) والأبدان قائمة بوظيفة (إياك نعبد وإياك نستعين) ، والقلوب مرتبطة برباطة (بهم ويحبونه) ، والأسرار مستغرقة في مشاهدة حضرة (شاهد ومشهود) ، والأرواح ترتاح لأذكار (فروح وريحان) ، فما للعارف غفلة عن مشهوده ، ولا للعابد غفلة عن معبوده :

لما علمت بأن قلبي فارغ ممن سواك ملائمة بهواك
وملائت كل منك حتى لم أدع مني مكانا خاليا لسواك

قال ذو النون : رأيت في ظاهره الجنون ، وباطنه الفنون ، فعلمت أنه بحب مولاه مفتون ، فسمعتة يبكي ويقول في مناجاته : مولاي قربت المحبين وطردتني فما ذنبي ، وخصصتهم بالوصال منك وهجرتني فواكرني . أيقظتهم للقيام بين يديك وأغميتي فوادعني ، لذتهم في السحر بمناجاك وما لذتني فوالئي ، ثم أخذ في البكاء . قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا ، وهيج من شوقي ما كان كامنا ، فقلت له يا فتى ما هذا البكاء ؟ فقال يا ذا النون أخبرني سواد الثوب بزول الماء والصالون وسواد القلب بماذا يزول ؟ فقلت والله أنا في طلب ما أنت فيه ، وما وقعت منه إلا في الحيرة والتهيه :

رأى سوادى فقلت وبلى أشد منه سواد قلبي طليت منه لذلك غسلا
فقال لي ليس ذا بصعب كذا قلبي به سواد فازددت كربا لعظم كربى

[إخواني] إذا سكنت المحبة في القلوب أثارته بأنوار المحبوب فأثمرت وأثمرت في القلب سبعة أشياء لا يتم مصباح معرفة الرب إلا بها : إخلاص النية لله ، والخوف من الله ، ورجاء ثواب الله ، والصدق مع الله ، والكل على الله ، وحسن الظن بالله ، والشوق إلى الله . فهذه السبعة لا يتم مصباح معرفة ربك إلا بها : كما أن المصباح لا يوقد إلا بسبعة أشياء لا بد منها : الزناد والحجر والحراق والكبريت والسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه الأشياء لا سبيل إلى إيقاد المصباح ، فإن أردت يا هذا إيقاد مصباح قلبك لمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الأشواق وكبريت المحبة ومسرجة النواكل وزيت الفكر وفتيلة الصبر ثم تغلق المصباح في سلاسل الضرع إلى ربك عند ذلك يتوقد نوره في قلبك ، فتشاهد جمال ربك :

كشف الحجاب وزالت الأستار وصفا العتاب وطابت الأسفار
وأتى النسيم مبشرا ومخبرا فصفا النعيم وزالت الأكدار
وروت حديثا عن شذاك معطرا فصفت بلطف صفاتك الأسرار
شهدت معانيك القلوب بصفوها فتجريت في حسنك الأفكار
وتولجت أهل الهوى وتحيروا مذ شاهدوك وكيف لا يختاروا

[وحكى] عن محمد بن أحمد اللقيد . قال : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : كنت نائما عند سرى رحمه الله فأيقظني وقال يا جنيد رأيت كأنى وقعت بين يدي الله عز وجل ، وقال لي يا سرى : خلقت الخلق وكلهم ادعوا بحبتي خلقت الدنيا فهرب مني تسعة أشهر ، وبقى العشر ، وخلق الجنة فهرب مني تسعة أشهر العشر ، وبقى معنى عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أشهر عشر العشر ، فقلت لا يقين لا لدنيا أردتم ، ولا للجنة طلبتم ، ولا من البلاء هربتم فما الذي تريدون وما الذي تطلبون ؟ قالوا أنت الراد ، لو قطعنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم إنى مساط عليكم من البلاء والأهوال مالا تقوم بحمله الجبال أنصبرون على البلاء ؟ قالوا بلى : إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ما شئت بنا ، فهؤلاء عبادى حقا وأحبائى صدقا :

بما شئتمو في الهوى عذبوا فتعذبكم عندنا يعذب ومهما أردتم بنا فافعلوا

تلك الكراسى وتقول
الملائكة : الحق يقول لكم
لا ترجعوا أعضاءكم بالرقص
فقد كفى ما كنتم في الدنيا
بالصلاة والعبادة اجلسوا
على هذه الكراسى وهي تنال
بكم على مقدار طرفة عين
فيها روح وأجنحة فيطلعون
على تلك الكراسى تدور
بهم على مقدار طرفة عين
إن خففوا معاني الجنة
خفت وإن ثقوا ثقلت
فيغيثون عن وجودهم من
الطرب فيعطهم الحق
سبحانه وتعالى على مقدار
درجاتهم عنده ويخلع عليهم
خلعا مصقولة مطوسة
بنور الرحمن طرازها
بالذهب مكتوب في وسط
الطراز بسم الله الرحمن
الرحيم هذه الخانة نسجت
برسم ثلاثة بنت فلانة أو
فلان بن فلان ، وإذا وقعت
الخلع عليهم هالوا وكبروا
فيسلم عليهم الحق رجلا
رجلا وامرأة امرأة
ويقول لهم : مرحبا بعبادى
وأهل طاعتى رضيتم عكم
فهل رضيتم عنى ؟ فيقولون
ياربنا لك الحمد والشكر
كيف لارضى وقر
أكرمنا غاية الكرامة
فيقول الله عز وجل

وفينا فدونسكم جربوا فمن كان فينا محبا لكم فقد فاز منكم بما يطلب
[إخواني] البلاء. وكل بالمحبين قد أضى منهم الأجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك
حتى يصلوا إلى المحبوب. قال إبراهيم الخواص: كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص
وكان يزورني في بعض الليالي وكان صائم الدهر فبات عندي ليلة تقدمت له عشاء ليفطر عليه فلم
يفطر إلا على الماء، فلما صلى العشاء الأخيرة تحزم وقام يصلي إلى وقت السحر فسمعتة يقول
في مناجاته: سيدي إن تعذبني فاني لك محب وإن ترحمني فاني لك محب، ثم بكى وشق شهقة عظيمة
وخر مغشيا عليه، فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك؟ فصرخ صرخة ثم قال: يا إبراهيم
ذكر العرض على أسرع الحاسبين، قطع أوصال المحبين، ثم غشى عليه، فلما أفاق رفع رأسه وقال
يا سيدي أترك تعذب من أحبك بالنيران، أو تبثلي قلبه بالهجران، فسمع هاتما يقول حاشا
أن يعذب من أحبه واجتبه، واختاره واصطفاه:

في وصف حبك ما يغني عن العدل وفي حديثك ما يلبي عن الغزل
ملككت فاحكم فكل منك محتمل الأمر أمرك ليس الأمر من قبلي
وحق حبك ما قلبي بمنقلب إلى سواك ولا جبي بمنزحل
ولو سفتك دمي عمدا بلا سبب لكان أهدأ من الأغناء لقل
أنا الذي ما قلبي عك من عوض كلا ولا لولائي فيك من بدل
من خان عهدك أو أوى على بدل واضعة العمر بل ياخية الأمل
من لي سواك إذا أدرجت في كفي ومن أنيسي إذا أفردت عن خولي
مالي سوى حسن ظني عند منقابي فلا تلني على النقوص من عملي
ولي شفيع إذا حان اللقاء غذا هو الشفع في جرمي وفي زلالي
خير الوري نسباً أركاهو حسبا أصفاهو عرباً في السهل والجبل
أقراهو سبباً أو ذمهم أديا أعلاهم رتباً في العلم والعمل
بحقه يا إلهمي جد بمغفرة على عبيد غذا بالذنوب في خجل
واسمح له منك يوماً بالمسير إلى جنبه الرحب من قبل انقضاء الأجل
يارب بالمصطفى المختار من مضر اغفر لنا سائر الزلات والخطل
يارب بالمصطفى خير الأنام ومن له الشفاعة أقتدنا من الوجل
يارب شفعه فينا يوم تبعثنا فنحن من خوفنا في غاية الحجل
يارب واغفر كل الذنوب به وامنن وسامح فهذا غاية الأمل
يارب بلغه عنا أننا أبدا نحبه بدليل في الأنام جلي
يارب صل عليه كلما طلعت شمس النهار وما لاحت على جبل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السادس والأربعون

في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي خیر ألباب أرباب العقول بالدهول عن الوصول إلى تحقيق تدقيق معرفته
وأغرق سفن الأفهام في تيار بخار الاستفهام عن دوام سرمديته، وقص أجنحة أطيار الأفكار
عن المطار إلى أوكار معرفة صديته، وهدم أساس مقياس الخواص بفأس الإيأس فلا سبيل إلى

اجتنبتم ما حرمت عليكم
وفعلم ما أمرتكم، وصنتم
لأجلى وصليتم لأجلى
وبكيتم خوفاً من قطيقتي
ولم تخالفوني فوعزتي
وجلالتي أرى أني لو
أعطيتكم مهما أعطيتكم
ما وفقيتكم، يا أحبائي وأهل
طاعتي ومودتي أرجو
إلى قصورك فيفتخرونها
فيجد كل واحد له داراً
لها سبعون ألف باب على
كل باب سبعون ألف شجرة
في كل شجرة سبعون ألف
غصن في كل غصن سبعون
ألف نوع من الثمر، كل
ثمرة لها لون لا يشبه
الآخر، وساق كل شجرة
من ذهب وأوراقها حلل،
كل ثمرة قدر الزاوية،
وبين كل صفيين من
الشجرة سبعون سرياً
من ذهب، طول كل
سري ثلثمائة ذراع. فإذا
أرادوا أن يطلعوا فوقه
تفاصرت حتى يبقى قدر ذراع
فإذا استوا فوقه طال
حتى يبقى شاهقاً في الهواء
فإن خطر لهم أن يمشی بهم
مشی بهم في أرض الجنة،

قياس تحديد صفاته وقدرته ، وأوقع أطياف الأذهان في شباك معرفة ذاته فعجزت الأنلاك والأملاك عن إدراك أحديته ، وحجب العقول عن الوصول إلى حصول سرّ فرديته ، فهو الأول الذي لا أول لأوليته ، الآخر الذي لا آخر لآخريته ، الظاهر بالدليل لأهل ودّه ومحبته ، الباطن الذي لا يكتفه الحاطر بفكرته ، السميع الذي يسمع أنين الجنين تحت غشاء الحشا وأغطيته ، البصير الذي يبصر أثر ديبب النمل على الصخر إذا أخفاه الليل بسواده وظلمته ، العليم بما تخفيه العبد في سريره ، الجبار الذي خضع كل متجبر لعظيم هيئته ، القهار الذي قهر كل متكبر بسلطان سطوته ، تقدسه الكائنات وتمجده جميع المخلوقات ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته :

تعالى المهيمن في عزته وجلّ عن النقص في قدرته إله تعزّز في ملكه فكل الخلاق في قبضته تفرد في ملكه بالبقا وحذرهم من سطا قمته له الخلق والأمر سبحانه فكل يخافون من سطوته

فيا أيها السالك إلى الطلب الأعلى كم في الطريق من مهالك صعبة المسالك ، فان حصات بتوفيقه هنالك فزت بوصالك وثلت غاية آمالك وشهدت جمالا لا يمتثل في خيالك ، وسمعت جوابا لا يخطر ببالك وشربت شرابا يرويك ويفنيك عن أهلك ومالك ، وإن أردت الوصول إليه بقياسك ومثالك تقطعت أوصالك دون وصالك وحظيت بخبيتك ونكالك ، فاقصر عن كشفك وسؤالك واكف عن بحثك وجدالك ، واعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك :

طريق الحب كم فيها مهالك وما فيها لباغى الوصل سالك فان رمت النجاة سلمت حقا وإلا كنت يامغرور هالك وإن وجدت حزن طريق وصل فباشراك إذ تمشي هنالك مطالب وصله جلت وعزت فكم فيها لطالها مهالك

كم سارت قفول العقول ، الى يبداء معرفة ذاته فتاهت ولم تحصل على الوصول ، كم قصدت الأبواب الدخول ، في هذا الباب وهو لا يزال مقفول ، كم بحث العقل من رسول ، فرجع وهو بالحيرة مفصول فالعقل واقف على الباب لا يحول ، والفكر ملازم لهذا الجنب لا يزول ، واللهم حائر في إدراك الصعديّة لا يفارقه الدهول و حير العقول فلا يعرف بالمعقول ، وأذهل الأذهان فلا يدرك بالمنقول :

تخيرت البصائر والعقول فما يدري المحدث ما يقول
تجنب عزة وعلا اقتدارا وجلّ فلا يصاب له مثل

فسبحانه من إله كيف السكيف وتزه عن الكيفية ، وأين الأبن وتقدس عن الأينية ، أول كل شيء وليس له أولية ، وآخر كل شيء وليس له آخرية ، لا يقاس بمثل ولا يوصف بموهرة ، ولا يعرف بحسمية خالق الشر وقضاء ، وخلق الخير وارتضاء ، ورحم من أطاعه وعذب من عصاه ، ولا يسئل عن قضية . لا يحتاج عن أحبابه ، ولا يحجبهم بحجاب ، وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية (بأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) :

ألف الوصل ألفت كل قلب الحبيب صفاته أزليه وبياء البقاء أفنى نفوسا لم يدع جبه لها من بقيه ثم تمت له بناء تعالى كل ماشاء من أمور عليه قما صادقا بياء يقينى ليس لى في سواء ماعشت نيه

فسبحان ذى الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، وهو الحى الذى لا يموت ، يعلم خفيات السرائر . وحركات الحواطر ، واختلاج الضمائر ، أغرق العقول في معرفته ببحر زاخر ، ليس له أول ولا آخر ، سار يريد الأفكار ، فاقطع وحرار في طريق معرفته فهو أبدا سائر ، جاء جاسوس الحس

وإن أرادوا أن يطير بهم
طارين الأشجار فيقطفون
ما أرادوا من فوق
رؤوسهم ، وعلى كل سرير
سبعون ألف فراش ومخدة
ومساند من السندس
والإستبرق ، وحول كل
سرير سبعون خادما ،
في يد كل خادم قدح من
ذهب مكلل بسبعين ألف
لؤلؤة ، في كل قدح لون
من الشراب ، ولكل وليّ
سبعون جارية من الحور
العين سرارى ، على كل
حورية سبعون حلة يكاد
نور تلك الحلل يخطف
بالأبصار ، وسبعون ألف
نوع من الحلى مكلل بالدر
واللؤلؤ يتمتع ولىّ الله
بمن أراد منهم قال الله
سبحانه وتعالى « ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا » .
وقل رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا كان
وقت الصبح يأتي ملك

ليدرك بعض صفاته فناده القدر الى أين يا حائر ، الأبواب مردودة والطريق مسدودة ، ليس الى إدراكه سبيل ، وليس له شبه ولا مثل ، بحر لا يتمكن منه غواص لاستخراج الجواهر ، وليل لا يتبين للعين فيه كوكب زاهر :

تحيرت في أمر الوصول إليكم وهددني التعجز من كل جانب
وعدت وما أدركت ما كنت أتبعي وما نلت مما أرتجيه ، أربي

فسبحان من كَوْن الأكوان ، ودبر الزمان ، وخلق الإنسان وعلمه البيان ، وأنزل القرآن ، وقدر الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، لا يمر عليه النسيان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، لا تغيره الدهور ، ولا تختلف عليه تصارييف الأمور ، مقدر المقدور ، ومالك يوم النشور ، له المثل الأعلى وله الأسماء الحسنى والصفات العليا (خلق السموات والأرض وما بينهما - الرحمن على العرش استوى) لا تبليه الأعصار ، ولا ينهيه المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار (يكور الليل على النهار ، وكل شيء عنده بمقدار) ذاته لا كالدوات ، وصفاته لا كالصفات ، رفيع الدرجات بحيث الأحياء ، ومحبي الأموات ، لا تشبهه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، لا يقاس بمقياس الخواص ، ولا يأخذه نوم ولا نعاس ، الأولياء في حذر من مكروه ، والملائكة من خيفته لا يفترقون عن ذكره ، والإنس والجن في دائرة قهره ، والجنة والنار تحت نهييه وأمره ، لا يصفه الواصفون ، ولا تسكفه الظنون ، ولا يلحقه النون ولا تراه العيون ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون . فالخلاق في قبضة إرادته محصورون ، خلقهم وما يعملون وهو يعلم بما يفعلون (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) :

عز ليس تراه العيون وجل فلا يعتريه للنون تفرد في ملكه بالبقا
وكل الوري بالفنا ذاهبون ويفعل في خلقه ما يشاء بغیر اعتراض وهم يسئلون

فسبحان من وعر طرائق الحقائق ، الى معرفة ذاته فوق السالكين في التيه ، وحير إدراك الخلاق ، غارت الخلاق فيه ، فأوقدوا مصابيح العرفان ، بأدهان الأذهان ، واستدلوا بنور برق الإيمان (كلما أضاء لهم مشوا فيه) فاقبلوا الى القلوب . فقالت إيمان نحن بيوت التنزيه ، وصاحب البيت أدري بالذي فيه ، فتعلقوا ، بالصفات . فقالت لا تطبق نبديه ، فأشاروا الى العقل فزادهم من سكرة تغاشيه ، وحيرة تلاشيه ، أنا مثلكم متحير فيه ؛ لست بالمدرک له فأحكيه ، ولا بالواصف له فأصفه وأسميه ، ولا أعرف من أي جهة آتية فقد سألتهم عن أمر لا أدريه ، وكشفتم عن سر ما برحت أستمليه وأستقره ، فما وقعت منه إلا على الحيرة والتولي ، ولسكن أيها السكيب للتحير فيه ، السليب في حسن معانيه ، إن أردت معرفته فاسلك طريق التوفيق به بغیر تمويه فهو القريب الذي متى شئت تلاقيه ، البعيد الذي لا بالمسافة توافيه ، فان صافيته سقاك من كأس صفوة صافيه ، وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه ، وإن أردت أن تسمع ألحان ذكره ومثانيه ، فقل بلسان التوحيد والتنزيه ، وإياك وإياك والتشبيه :

تبارك الله في علياء عزته وجل معنى فليس الوهم يحويه
وجوده سابق لأشياء يشبهه ولا شريك له لا شك لي فيه
لا يكون يحصره لا عون ينصره لا كشف يظهره لا جهر يبديه
لا دهر خلقه لا قص يلحقه لا ثقل يسبقه لا عقل يدره
حارث جميع الوري في كنه قدرته وليس تدرك معنى من معانيه
سبحانه وتعالى في جلالته وجل لطفاً وعز في تعاليه

يدق باب القصر فيقول
الخادم من هذا ؟ فيقول
ملك من عند الله عز وجل
قد جئت لسيدكم أو
لسيدتكم بهدية صلاة
الصباح في الدنيا ، فيفتح
الباب ويدخل عليهم
الملك ويقول لهم : السلام
يقرئكم السلام ، ويقول
لكم إنكم كنتم في دار
الدنيا ترفعون إلى صلاتكم
فأقبلها منكم ولا أرى
لكم جزاء ، وهذه الهدية
قد أرسلها الله عز وجل
إليكم جزاء صلاة الصباح
ثم يحط ذلك الملك سفرة
من الذهب وعليها سبعون
زبدية : عشرة من الذهب
وعشرة من الفضة ،
وعشرة من الياقوت ،
وعشرة من الزمرد ،
وعشرة من الدر ، وعشرة
من المرجان ، وعشرة
من العقيق ، في كل زبدية
لون من الطعام لا يشبه

فسبحانه من إله خلق آدم بيد قدرته ، وأسجد له جميع ملائكته ، وأسكنه فسيح جنته ، ثم حكم عليه بالموت وعلى ذريته ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم يخبره بقضيته (كل نفس ذائقة الموت) فأبلغ في تسليته ، ونجى نوحا من الطوفان ، وأغرق أهل مخالفته صيانة لأهل الإيمان ، وقضى عليه بالموت للكتاب على الإنس والجان ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (كل من عليها فان) واتخذ إبراهيم خليلا ووقفه وسدده ، وأراه ملكوت السموات والأرض وأشهدده ، وفوق إليهم الموت المرصدة ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إذ أعلمه بحاله وأيده (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) واختار موسى نجيا وأسمعه كلامه وبلغه من لذيذ خطابه قصده ومرامه ، وأثقف فيه من الموت سهامه ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) وخلق عيسى من غير أب بلا شك ولا عي فأبرأ الأكمه والأبرص باذنه وأعاد الميت في قبره وهو حي ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إخبارا عن عيسى عليه السلام (إني متوفيك ورافعك إلي) واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم النبي العربي الأمين المأمون ، صاحب الجاه العريض والعرض المصون ، ومع هذا القرب والمنزلة التي لا يصل إليها الواصلون ، نعى إليه نفسه الكريمة ، وأندره برب للنون ، وسلاه بمن مات قبله من الأنبياء والمرسلين ، فقال في كتابه للمكون (إنك ميت وإنهم ميتون) :

لما نعى المختار خير الورى من بعده كل مصاب يهون مازلت أبكى بعده حسرة
حتى جرت من جفن عيني عيون وقلت لما أن قضى نجسه ياليتني لاقيت ريب للنون
لا تطمعي من بعده بالبقا يا نفس هذا أبدا لا يكون أبعد موت للمصطفى خالد
أم في البقا نطمع أم في السكون صلى عليه الله ما غردت حمائم الأيك وأبدت شجون

[روى عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وكانت مدة مرضه اثني عشر يوما . وكان مرضه بالصداع ، وقال ابن أبي يزيد رضي الله عنه : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، وخرج من مكة يوم الاثنين . ودخل المدينة يوم الاثنين . وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول بين ارتفاع الضحى واتصاف النهار لإحدى عشرة سنة مضت من الهجرة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعت إلى نفسي » فأقبل إلى منزل عائشة رضي الله عنها والحجى عليه . قال بلال : فلما أصبحت أتيت إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فناديت : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها : مرى بلالا يقرئ أبا بكر السلام ويقول له يصلي بالناس . قال بلال فرجعت بأبيا وأنا أطوف في أزقة المدينة وأنادي : واسيدها وانبياه واسوء منقلبها ليت بلالا لم تلده أمه . قال ثم أتيت المسجد فوجدته غاصا بالناس فلقيت أبا بكر فبلغته السلام والرسالة ، ثم ناديت : الصلاة رحمكم الله فأقمت الصلاة فلما قات : الله أكبر الله أكبر ، قال المسلمون : كبرناه تكبيرا وعظمتناه تعظيما . فلما قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال المسلمون : شهدنا بها مع كل شاهد . فلما قلت : أشهد أن محمدا رسول الله غلبني البكاء فبكيت وبكى الناس . فتقدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه قائم

الآخر ، وعليها خبز
أيض من الثلج بقدره
من يقول للشيء كن
فيكون ، مجللة بمناديل
من السندس الأخضر ،
ويدخل ملك آخر ومعه
طبق آخر من الذهب
فيه فواكه من عند
الحق جل وعلا وتيجان
وعقود وأساور وخلائيل
وخواتم فيعطى لكل
إنسان عشرة خواتم من
ذهب مكتوب على فصوصها
بالنور الأخضر على القصر
الذي في خاتم الإبهام :
يا عبادي أنا عنكم راض ،
وعلى فص السبابة : أتم لي
وأنا لكم ، وعلى النص
الثالث : لا براح لكم من
جوارى ، وعلى النص
الرابع : تلذذوا بقربي في
دار قرارى ، وعلى النص
الخامس : زرعت في الدنيا
وحصدتم في الآخرة ، وعلى
النص السادس : طالما

بالناس فلما قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) ونظر إلى موضع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم خنفته العبرة فبكى الناس فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ضجة الناس . قال لفاطمة : ماهذه الضجة التي في المسجد ؟ قالت : إن المسلمين فقدوا وقت الصلاة فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال : اللهم مر ملك الحمي أن يخفف عن نبيك حتى أخرج وأصلي بالناس وأودع أصحابي قبل فراق الدنيا . قال فوجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة في يده فتوضأ وخرج . وتوكتا على الفضل بن العباس وأسامة بن زيد وعلى رضي الله عنهم . فلما رأى المسلمون أنوار النبي صلى الله عليه وسلم تشرق في المسجد وأحسوا بمجيئه جعلوا يتفرجون صفوا صفوا والنبي صلى الله عليه وسلم يشرق الصفوف حتى وصل إلى محرابه فوقف بازاء أبي بكر الصديق فصلى بالناس ، فلما فرغ رقى المنبر فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كلودع لهم . فقال أيها الناس : ألم أبلغكم الرسالة وأود لكم الأمانة والصيحة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا أفضل ما جزى به نبيا عن أمته ، ثم نزل فودع أصحابه وصالحهم وهم يبكون ، ثم أقبل إلى منزل عائشة ، ولم يزل متمرضا حتى أتى إليه ملك الموت في زى رجل أعرابي فوقف بباب حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نادى : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لي في الدخول على الرسول ؟ فقالت فاطمة يا أعرابي : إن نبي الله بنفسه عنك مشغول ، ثم نادى الثانية فرمق النبي صلى الله عليه وسلم الباب فنظر إلى ملك الموت . فقال لفاطمة : أتدريين من يخاطبك ؟ قالت يا أبت رجل أعرابي ، فقال هذا ملك الموت هذا هاذم اللذات ائذنى له فدخل فسلم ، وقال يا رسول الله : إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك ؟ فقال أكفف حتى يأتيني جبريل فهذه ساعته . قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا له جواب وكأنا ضربنا بصاخة ولم يتكلم أحد من البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملائكة أجوافنا . قالت : جاء جبريل . فقال إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول كيف تجددك ، وهو أعلم بالذي تجدد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا . فقال يا جبريل : إن ملك الموت استأذن علي ، وأخبره الخبر . فقال جبريل : يا محمد إن ربك إليك مشتاق . أما أعلمك ملك الموت بالذي يريد منك ؟ والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط إلا أن الله متم شرفك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تبرح إذا حتى يجيء ، وأذن للنساء ، ثم قال ادنى مني يا فاطمة فأكبت عليه ففاجأها طويلا فرفعت رأسها وعيناها تدمعان وماتطيق الكلام ، ثم قال ادنى مني رأسك فأكبت عليه ففاجأها فرفعت رأسها ، وهي تضحك وماتطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا ففسألناها بعد ذلك ، فقالت قال لي إنى ميت اليوم فبكيت ، ثم قال دعوت الله تعالى أن يلحقك بي أول أهلي وأن يجعلك معي فأضحكني . قالت : ثم جاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له . فقال الملك : ماتا أمرني يا محمد . قال ألحقني بربي الآن . قال بلى من يومك هذا ، ولكن ساعتك أمامك ، ثم خرج وخرج جبريل . فقال يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض قد طوى الوحي ، وطويت الدنيا ، وما كانت لي في الدنيا حاجة غيرك ولا لي فيها حاجة إلا مودتك . قالت عائشة فوالذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يجيب في ذلك بكلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله أعظم ما سمع من حديثه ووجدنا وإشفافنا . قالت : فقامت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين يدي ، وأمسك بصدره فجعل يغمي عليه حتى يغلب ، وجبهته ترشح ترشحا ما رأيت من إنسان قط فجعلت أرسل ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فسكنت أقول له إذا أفاق بأبي وأمي

سجدتم لي والناس
غانلون ، وعلى الفص
السابع : اليوم أبحث لكم
مشاهدتي ، وعلى الفص
الثامن (مثل هذا فليعمل
العاملون) وعلى الفص
التاسع (سلام عليكم بما
صبرتم فنعمة عقي الدار)
وعلى الفص العاشر (سلام
قولا من رب رحيم)
فيلبس جبريل عليه السلام
كل رجل وامرأة منهم
عشرة خواتم وثلاث
أساور واحدة من ذهب
واحدة من فضة واحدة
من لؤلؤ ، مكتوب بالنور
الأخضر على كل سوار :
لا إله إلا الله محمد رسول
الله ، أنا الله أرفعوا إلى
حواليكم بلا حاجب
ولا وزير ، يا عبادي (طبتم
فادخلوها خالدين) ثم
يضع على رؤوسهم تيجان
الكرامة ، وليس لحي

ونفسى وأهلى ومالى ماتلقه جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة : إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ، ونفس الكافر تخرج من شدة كنفه الحمار فعند ذلك ارتعنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه إلى أبى ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد ، وإنما صدم الله عنه لأنه ولى أمره جبريل وميكائيل وإسرافيل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أغشى عليه قال : الرقيق الأعلى . قالت عائشة رضى الله عنها : وكان قد دخل على أخى عبد الرحمن ويده سواك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك . فقلت آخذه لك ؟ فأومأ إلى رأسه أن نعم فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت : أليته لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم فليته له ، وكان بين يدي ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : لا إله إلا الله إن الموت لسكرات ، ثم نصب يده ، وهو يقول : اللهم الرقيق الأعلى اللهم الرقيق الأعلى . قالت : حتى قضى نحبه صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتي ، وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ربي ورفقه عند الموت فكان أول من أعلم الناس بموته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو أول من دخل عليه ، وهو مسجى بيردة مينة فكشف عن وجهه وقبله ، وقال وهو يبكى بأبى وأمى أنت يا رسول الله طبت حيا ، وطبت ميتا . أما المودة التى كتبها الله عليك فقدمتها جزارك الله عن نصيحتك للإسلام خيرا ، ثم خرج إلى الناس فأخبرهم بوفاته . قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته : من لأمتى من بعدى ؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أنى لأخذله فى أمته ، وبشره أنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فقال الآن قررت عني ، وطاب قلبى . ودخل عليه أبو بكر رضى الله عنه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : سل يا أبا بكر ، فقال أبو بكر يا رسول الله دنا الأجل ؟ قال قد دنا وتدنى . فقال ليتهلك يا نبي الله ما أعد الله لك فليت شعري أين منقلبنا ؟ فقال إلى الله تعالى ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى والرفيق الأعلى والعيش الأهنى ، والحد الأدنى . فقال يا نبي الله من يلى غسلك ؟ قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى . قال فقيم نكفك ؟ قال فى ثيابي هذه ، وفى حلة مينة ، وفى بياض مصر . قال كيف الصلاة عليك ؟ ثم بكى وبكى ، ثم قال مهلا غفر الله لكم ، وجزاكم الله عن نبيكم خيرا ، إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري فى بيتي هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلى على الله عز وجل ، وهو قوله (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على . فأول من يدخل على من خلق الله تعالى ويصلى على جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل مع جنود كثيرة من الملائكة ، ثم أتم فدخلوا على أفواجا أفواجا وزمرا زمرا وسلموا تسليما ، ولا تؤذوني بصيحة ولا ضجة ولا رنة ، وليبدأ منكم بالصلاة الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان . قال فمن يدخل القبر ؟ قال أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا تزورهم وهم يرونكم ثم قوموا فأدوا عني السلام إلى من بعدى من أمتي . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الناس فى المسجد وضجوا بالبكاء والنحيب ، وأظلمت الدنيا ونادى بلال : وانيباء ، ونادت فاطمة : وأبته ، ونادى الحسن والحسين : واجداه ، ونادى كل من المسلمين : واحزناته وأول من بكاه ورثاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه . ولسان حاله يقول :

كيف تلتذ جفوني بالمنام بعد شرب الصطفي كأس الحمام

الجنة تقل مثل حلى الدنيا
حلى الدنيا يشخشخ
وحلى الجنة يسبح الله
سبحاته وتعالى بصوت
خفى وحنين يطرب
السامعين ، ثم يقول الله
تعالى : مرحبا بعبادى
وأهل طاعتى ياملائكتي
أطربوهم فتمشى الملائكة
وتأتى لهم بغفاني الجنة
وهي من الحور العين . وتأتى
لهم الملائكة بشبابات
ناشئة فى الأغصان وفى
الأشجار ، كل شجرة
تحمل فى كل غصن سبعين
ألف مزار وتهب ريح
من تحت العرش فتدخل
فى تلك المزمار فيسمع لها
تعمات لم يسمع السامعون
أحسن منها ، ثم يقول
الله تعالى للحور العين :
أطربوا عبادى كما نزهوا
أسماهم عن المطربات
فى الدنيا لأجل وتلذذوا

أم قلبي راحة من بعده
إن يكن غاب عن الدنيا ففي
لكن المقدر حتم لازم
ليس في الدنيا بكاء لأمري
أحمد الهادي الشفيع المرتضى
فعليه الله صلى
وجفوني بالبكا سحت دوام
جنة الخلد له أعلى مقام
مالنا من بأسه من اعتصام
بعد موت المصطفى خير الأنام
في البرايا سيد الرسل الكرام
بكى السحب بأجفان القمام

وبكاه عمر بن الخطاب ورثاه . وقال بلسان حاله وجواه :

ليس البكاء وإن أطيل بمقنعى
يا للرجال بحادث لم يحتسب
تالله ما جار الزمان ولا اعتدى
خطب يريج بالخطوب وقادح
فقد الرسول فأظلمت كل الدنيا
ما زال بالمعروف فينا آمرا
صلى عليه الله جل جلاله
الخطب أعظم قيمة من أدمعى
ولنازل ما كان بالمتوقع
باشد من هذا المصاب وأوجع
من لم يكن جزعاه لم يجزع
والحزن عم لكل قلب موجع
يهدى الأنام بنوره المتشعشع
ملاح نور في البروق اللع

ورثاه عثمان بن عفان رضى الله عنه وزاد في البكاء وأطال وناداه بلسان حاله وقال :

ويحك يا نفس البدار البدار
ما هذه الدنيا لحي بدار
كم كدرت صفوا وكم ألبست
من تاه عزائب ذل وعار
أيطمنن المرء في منزل
يرى كؤوس الموت فيه تدار
قد فقد العمر وقل البقا
إلى متى يا نفس ذا الاغترار
ما بعد موت المصطفى خاله
وليس في الدنيا لحي قرار
صلى عليه الله ما أشرفت
كواكب الصبح وناح الهزار

ورثاه علي بن أبي طالب رضى الله عنه وبكى بالدمع المموم ، ونادى بلسان حاله يقول :

لو جرى الدمع على قدر المصاب
ولو أن الدمع يشفى من بكا
يا صروف الدهر قد كان الذى
لم أزل أحسب ما أخجله
مات خير الخلق من قد خصه
كل حى ذائق كأس الفنا
أينها الناس لكم بالمصطفى
فتقوا بالله وارضوا وخذوا
واعلموا أن النبي للمصطفى
فعليه الله صلى دائما
شابهت أجفانا سح السحاب
لم نزل بين رحاب الانتحاب
كنت أخشى من عواديك الصعاب
فأتى الدهر بما لا فى حساب
ربه بالصحب من خير محباب
هكذا المسطور فى أم الكتاب
أسوة فالموت يدنى للذهاب
ما قضى الله بصبر واحتساب
ذخرنا الشافع فى يوم المآب
كلما أمطر قطر من سحاب

[إخواني] كيف يطمع بالبقاء فى هذه الدار ، وقد فقد النبي المختار ، فالأحشاء عليه محترقة
والأجفان بالدمع غارقة ، والصبر زائل والدمع سائل ، مصابه هون جميع المصائب ، وفقده نقص
عيش الحباب ، وفرض عقد الدموع وشب النار بين الضلوع ، وأذاب الدموع الجامدة وأثار المموم
الحامدة ، فيا أيها الحزين ، أتطمع فى البقاء بعد موت سيد المرسلين ؟ أمالك عبرة فيمن قرضتهم
الشهور والدهور ، فى الماضى من السنين ، أمالك فكرة فيمن صرع قلبك من الأنام ، من شيخ

بذكرى وسباع كلابى
فأسمعهم بأصواتكم حمدي
وثنائى فتغنى لهم الحور
العين وتجاوبهم تلك الزامير
فيطرب القوم فرحا
بذلك السماع فى حضرة
الوصال ، فإذا أفاقوا من
الوجد وشبعوا من الطرب
يقولون : يا ربنا إنا كنا فى
دار الدنيا نجب ذكرك
وكلامك العزيز ، فيقول
الله عز وجل لهم : نعم إن
لكم عندي ما تشتهي
أنفسكم فى الجنة وأتم فيها
خالدون . ثم يقول الله
عز وجل : يا داود فيقول
ليك يا رب العالمين ،
فيقول : قد أمرتك
يا داود أن تقوم على النبر
وتسمع عبادى وأجباى
عشر سور من الزبور ،
فيرتق داود عليه السلام
على النبر ويقرأ العشر من
الزبور فيطرب القوم

وكهل وشاب وطفل وجنين ، أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشفيق ، و خليل وقرين ، إلى متى تلتفت إلى العلائق ، كأنك ما أنت من الموت على يقين ، أغرتك المهلة أم جاد الزمان لك يقين بالله عليك اقبل نصحي ، قبل أن يعرق منك الجبين ، ويشتد نزعك والأنين ، ويكي عليك بماء الدمع المعين ، وتحصل في قبر مظلم لا يظهر فيه النور ولا بين ، ويبقى فيه كل امرئ بما كسب رهين أما سمعت آيات الله المبينة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أما أنذرك ما جاء في القرآن : (كل من عليها فان) ، أما وعظك الدهر ، وأسمعك الصوت (كل نفس ذائقة الموت) فإذا كان قد مات صاحب المقام المحمود ، والخوض للورود واللواء العقود ، ومن له الشفاعة في اليوم للوعود فكيف بك وكيف حالك أيها المظروء ، المتخاف المذود الذي كل صحافته سود ، وعمله عليه مردود ، يامن يغتر بدهر لا يدوم ، يامصرًا على للظالم والظلم والله شوم ، يامن يروع الناس بظلمه وعند الله تجتمع الخصوم :

[إخواني] شوقتم لما رغبتم ، وخوفتم لما رهبتم ، وأيقظكم الموت بمن أخذ قبلكم ، فما اتبهم ووعظكم القرآن فما انزجرتم ولا انعطتم ، كأنكم بمنادى الرحيل يتناديكم في ناديك ، انتبهوا يا نيام فقد طلبتم ، أما كان لكم في موت المصطفى عبرة ، أما أجرى لكم عظيم مصابه عبرة ، أما أيقظكم فقهه من هذه السكره ، أما جالت لكم في قرب آجالكم فكرة ، أما اعتبرتكم بمن مضى قبلكم من السادات ، أما تحسرتكم على من دفتهم من الآباء والأمهات ، والبنين والبنات ؟ كيف تلتذنون بالذات وقد قال صاحب العجرات « ان للموت لسكرات » أما تمرر حلو عيشكم والحياة ، حين قال عند الموت واكرهه ، أما أبكاكم توجع فاطمة البتول ، حين قالت لأبيها الرسول ، واكرهني لكرهك يا أبتاه ؟ فأين أرباب العقول ، أين من هو بما يعنيه مشغول ، أين من اغتر بالبقاء في هذه الدار الفانية . وقد فقد الرسول ؟ :

أسفى على فقد الرسول طويل	أسف مدى الأيام ليس يزول
رزه تكاد الأرض منه والسا	هذى تيمسده له وتلك تمل
غمر القلوب بحزنه وبوجده	فلكل قلب لوعة وغليل
وبكل ناد نادب متحسر	وبكل ناحية عليه عويل
بأنى وأنى من نوى في تربة	والحزن في قلبي عليه يحول
والأرض بدل صفوها بتكدر	وجرت بحار بالبكا وسيل
والجو أظلم بعد موت المصطفى	والسحب أدمعها عليه همول
أسفا على من جاءنا بهداية	وعليه حقا أنزل التنزيل
وله الإله أنى بتأييد له	وعليه منه شاهد ودليل
يانفس لا بالموت تعتري ولا	تصغى لقول الدهر حين يقول
يانفس بعد المصطفى أفتطمع	في الخلد كلا ما إليه سبيل
يانفس كم تعصى إلهك جهرة	والقلب منى بالذنوب عليل
يانفس توبى من ذنوبك انه	من يعص رب العرش فهو ذليل
يانفس كم تعصى وربك ناظر	ورى فعالك والدجى مسدول
يانفس قد أوقعت في شرك الردى	حقا ومالك للخلاص وصول
يانفس لا ترجى البقاء فانه	سيف المنايا في الورى مسلول

من صوت داود عليه السلام أعظم من طربهم على مغاني الجنة ويسكرون من الطرب ، وصوت داود يعدل تسعين زممارا فإذا أقافوا يقول الله سبحانه وتعالى : يا عبادى هل سمعتم صوتا أطيب من هذا قط ؟ فيقولون لا والله ياربنا ما طرقت أسماعنا مثل صوت نبيك داود عليه السلام ولا أطيب منه ، فيقول الله عز وجل : وعزى وجلالى لأسمعكم صوتا أطيب من هذا ، يا حبيبي يا محمد ارق للنبر واقراطه ويس فيقرأ النبي صلى الله عليه وسلم فيزيد في الحسن على صوت داود عليه السلام بسبعين ضعفا ، فيطرب القوم وتطرب الكراسى من تحتهم وقناديل العرش والملائكة توج من الطرب والحرور العين والغله ان

كيف الطريق إلى النجاة واني بقيود ذنبي دائما مغلول
ماحيلى إلا البكاء وقد عدا حزنى على قبح الذنوب بطول من بعد موت المصطفى هل لامرئ
في الدهر يوما للبقاء سبيل وهو النبي المصطفى والمحجبي ونبي حق لاورى ورسول
صلى عليه الله جل جلاله ماحن مشتاق وسار دليل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السابع والأربعون

في مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين ، وفيه قصة أبي يزيد البسطامي
الحمد لله الذي اختار لخدمته من اصطفاه من عباده ، وجذب إلى جنبه من أحب فأسرع إليه
في انجذابه واقتياده ، حرك سوا كن هم الريد فكان ذلك سببا لحصول مراده ، وأخذ منه وسلبه
عنه وقربه بعد إبعاده ، وناداه في الأسفار ، وأطلعه على الأسرار ، وما نال ذلك بحرصه ولا اجتهد
وأوصله إلى ما يوصل إليه وسلك به سبيل رشاده ، وملا قلبه بحبه ووده لما رآه حافظا لعهد
ووداده ، وتجلي عليه بانضاله وإنعامه ، والغافل مشغول بطيب منامه ورقاده ، وقال له يا عبدى ها أنا
متجل عليك وناظر إليك ، ومن حصلت له فقد ظفر بقصده وإسعاده :
ما لجفنى ورقاده هو راض بسهاد أنا صب قد تجافى فجفا طيب رقاده
ياخلى القلب دع من ذاب من طول بعاده أنت ما تدرى وجد وغرام فى فواده
ان ترى هذا ضلالا إنه عين رشاده

لو علم الغافل ما فاته لأكثر من نوحه وتعداده ، ولو سمع الحبيب وهو يخاطب أحبابه لم تخرج
تلك الحسرة من فواده ، ولو شاهد جمال الحبيب لاغترل عن العالم باقراده ، سبقت السابقة وقضى
الأمر ، والله يختص برحمته من يشاء من عباده :

قف يباب الحبيب ليلا وناداه وتشكى من هجره وبعباده وعلى الباب عفر الحد ذلا
ولتكن حافظا قديم وداده ثم قل طالت الفطية والمجسر وجفنى لم يكتحل برقاده
فالحبيب الذى ترجيه أضحى جوده فائضا على قصاده

[روى أبو هريرة رضى الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما اجتمع قوم في
بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة
وذكروهم الله فيمن عنده » :

فهم خواص الله أين تجموا والذاكرون الله في الآصال القاتنون المخلصون لربهم
الناطقون بأصدق الأقوال لم تخل أرض منهمو قد حكموا ذات اليمين بها وذات شمال
[وروى رافع بن عبد الله] قال قال لى هشام بن يحيى السكتاني : ألا أجدنك حديثا رأيت
بعينى ، وشهدته بنفسى وتفعنى الله به فعسى أن ينفعك ؟ قلت حدثنى يا أبا الوليد . قال غزونا أرض
الروم في سنة ثمان وثمانين ، وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من العبادة يصوم
النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن . وان أقمنا ذكر الله تعالى لجأت ليلة خفنا فيها فخرجت
أنا وإيأس نحرس ، ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استعصب علينا أمره فرأيت من سعيد
من العبادة في تلك الليلة . وصبره على النصب ما تعجبت منه . فلما طلع الفجر قلت له رحمك الله ان
لنفسك عليك حقا فلو أرحتها فبكى وقال : يا أخى إنما هى أنفاس تعد ، وعمر يفنى وأيام تنقضى

والولدان ولا يبق في الجنة
شيء إلا طرب لحسن
صوت النبي صلى الله عليه
وسلم من قراءة طه ويس
فيقول الله سبحانه وتعالى
يا أحيائي هل سمعتم أطيب
من هذا ؟ فيقولون يا ربنا
وعزتك وجلالك ما سمعنا
منذ خلقتنا صوتا أحسن
ولا أطيب ولا أحلى من
صوت حبيبنا محمد صلى
الله عليه وسلم ، فيقول الله
سبحانه وتعالى : وعزنى
وجلالى لأسمعكم أطيب
من هذا ، فيقرأ الحق
سبحانه وتعالى سورة
الأنعام ، فإذا سمعوا كلام
الحق سبحانه وتعالى غابوا
من الطرب والوجد
واضطربت الأملاك
والحجب والستور
والقصور والأشجار
والخور وبحار النور
وماجت الجنان واهتزت

وأنا رجل أرتقب الموت ، وأنتظر خروج نفسي ، قال فأبكاني ذلك . فقلت له أقسمت عليك بالله إلا ما دخلت الحباء واسترحت ، فدخل فنام وأنا جالس ظاهر الحباء فسمعت كلاما في الحباء . فقلت ما فيه أحد سواء فقدمت قليلا فإذا به يضحك في نومه ويتكلم خففت من كلامه وهو يقول ما أحب أن أرجع ، ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ، ثم ردها ردًا رقيقا وهو يضحك ، ثم وثب من نومه وهو ينتفض فاحتضنته إلى صدرى مليا ، وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهال ويكبر . فقلت ما الخبر ؟ قال خير ، قلت حدثني فقد سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ، ثم رددتها ردا خفيفا . فقال لا أخبرك فأقسمت عليه ، قال أوتكنم عنى ما حيت ؟ قلت بلى ، قال رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فينبأ أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر أحسن منهما وجهها فسلما عليّ فرددت عليهما السلام . فقالا لي ياسعيد أبشر فقد غفر ذنبك ، وشكر سعيك ، وقبل عملك واستجيب دعاؤك ، وعجت لك البشرية فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم . قال فانطلقت معهما حتى أخرجاني عن جملة الموقف ، وإذا بخيل لا تشبه خيل الدنيا إنما هي كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فالتفتنا إلى قصر شاقق ما يباغ الطرف منهاه كأنه صبيغ من فضة وله نور يتلأأ فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لا يباغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم ، فلما رأونا أخذوا في ألوان من القول الحسن بأنعام مختلفة يقولون هذا وليّ الله قد جاء فرحبا وأهلا . فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب مكحلة بالجواهر مخنوفة بكراسى من ذهب وعلى كل سرير منها جارية لا يستطيع أحد من خلق الله تعالى أن يصفها ، وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكملها وجمالها . فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقيلك ، ثم انصرفا عنى فوثب الجوارى إلى بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ، ثم حملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب الجارية وقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ، وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتني فقلت أين أنا ؟ فقلت في جنة المأوى فقلت من أنت ؟ قالت أنا زوجتك الخالدة ، قلت فأين الأخرى ؟ قالت في قصرك الآخر فقلت أقيم اليوم عندك وأتحول في غد إلى الأخرى ، ثم مددت يدي إليها فردتها ردًا رقيقا ، وقالت أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثا . فقلت ما أحب أن أرجع . فقلت لابد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ، ثم نهضت من مجلسها فنهضت لوداعها فاستيقظت . قال هشام فغلبني البكاء ، وقلت هنيئا لك ياسعيد جدد الله شكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك . فقال هل رأى أحد غيرك ما رأيت ؟ قلت لا . فقال بالله عليك اكتم عنى مادمت في الحياة . ثم قام فتطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه ومار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ، ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت في نفسي لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله . ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشد من اليوم الأول ، ثم مكث قائما إلى آخر الليل ، ثم أصبح صائما فقاتل أبغ من كل يوم . قال أبو الوليد فانطلقت معه لأنظر ماذا يكون منه ، فلم يزل يلقى نفسه في المهالك غاب النهار ولا يصل إليه شيء حتى إذا دنا غروب الشمس جاءه سهم في نحره فخر صريعا وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه فلما رأته قالت له هنيئا لك ياسعيد فيما تفطر عليه الليلة باليتى كنت معك . قال فعرض على شفته السفلى وهو يضحك ، ثم قال الحمد لله الذى صدقنا وعده .

الأشجار والأنهار طربا
لكلام العزيز الغفار
وتواجدت الجنة ودارت
أركانها من الطرب واهتز
العرش والكرسى والملائكة
الروحانيون واهتزت الجنة
بجمع ما فيها حبا واشتياقا
ثم يكشف الحجاب عن
وجه الكريم وينادى :
يا عبادى من أنا ؟ فيقولون
أنت الله مالك رزقنا .
يا عبادى أنا السلام وأنتم
المسلمون ، وأنا المؤمن
وأنتم المؤمنون ، وأنا
الحبيب وأنتم المحبون هذا
كلامي فاسمعوه وهذا
نورى فانظروه ، وهذا
وجهى فانظروه ، فمسند
ذلك ينظرون إلى وجهه
الحق جل وعلا بلا واسطة

ثم مات قال هشام فصحت : يا عباد الله (مثل هذا فليعمل العاملون) واسمعوا ما أخبركم عن أخيك هذا فأقبل الناس فحدثهم بالحديث على وجهه وما كان منه . ثم رأيت باكيًا كالساعة . ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث ، وبلغ الخبر إلى مسلمة بن جندب وقد وضعناه لنصلي عليه . فقلت صل عليه أيها الأمير . فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف . قال فصلينا عليه ودفنناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به . فلما طلع الصبح تذكرنا حديثه فصاحوا صيحة واحدة وحملوا على العدو ففتح الله الحصن في ذلك النهار ببركته رحمه الله تعالى :

بالروح جد في هواهمو كرما وادخل حمام نجد حمى حرما
واخلع عذار الوقار مطرحا اللهم واحذر بأن ترى سنا
وغب عن الكون إن أردت بأن تحظى فهذا به الهوى رسما
واشرب بكأس الغرام إن رد السكر وتبقى من جملة الندما
ولا تبالي من العذول إذا قال بجمل هذا الغرام لما
وكن محبا يرى الوجود إذا شاهد محبوب قلبه عدما
يرضى بما يرتضى الحبيب له في حكمه حيث صح أو سقما
يستعذب الموت حين بان له ما قد رآه في حبه كرما

[وعن أبي يعقوب الطبري] قال خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه أياما حتى أشرفت على الهلاك ، فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين سائرين كأنهما قد خرجا من مكان يريدان ذيرا لهما قريبا فلت إليهما وقلت لهما أين تريدان ؟ قال لا ندرى قلت فمن أين أقبلتما ؟ قال لا ندرى قلت أو تريدان أين أتيا ؟ قال نعم نحن في ملكه وبين يديه فقلت في نفسي راهبان يتحققان التوكل دونك فقلت لهما أنأذنان لي في الصحبة قالا ذاك إليك فسرنا . فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقت إلى صلاة المغرب فتممت وصليت فنظر إلى وقد تجمعت وصليت فتعجبا من ذلك . فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما في الأرض فانفجرت عين ماء وإلى جانبها طعام موضوع فتعجبت من ذلك . فقالا لي ادن وكل واشرب فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء وقاما إلى صلاتهما وأنا أصلي وحدي حتى أصبحنا وصليت الفجر . ثم قاما وسارا إلى الليل وأنا معهما . فلما أهسينا تقدم أحدهما فصلى برفيقه إلى ناحية دبرهما ، ثم دعا بدعوات وبحث في الأرض فظهر الماء وحضر الطعام فقالا لي ادن وكل فدنوت فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء . فلما كانت الليلة الثالثة قال لي يا مسلم الليلة نوبتك . قال محمد بن يعقوب فاستجيت من قولهما وداخلني هم شديد وأمر غريب فقلت في نفسي اللهم إن ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكني أسألك بحاج محمد عندك أن لا تنفضني عندهما ولا تشمتنهما بي ولا بدني نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فإذا بعين ماء قد انفجرت وطعام كثير فأكلنا وشربنا ولم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم أملك رده وأصابهما مثل ما أصابني وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما أفقت قال ما يبكيك ؟ فقلت أنا رجل مسرف على نفسي ، وليس لي عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغ هذه الكرامة ، قال فكيف ظهر لك هذا ؟ قلت : توسلت إليه بحاج محمد صلى الله عليه وسلم وقلت : رب أنا مسرف على نفسي وهذان عدوان لدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فلا تشمتنهما بدينه فظهر ما رأيتهما فكانت الكرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم لا لي . فقالا والله ونحن كذلك لما رأيناك عجبنا من حالك . فلما جاء وقت الوضوء والأكل فكلنا دعونا بدعواتك وقلنا : اللهم إن كان دين هذا حقا ونبه حقا فبحرمة نبه

ولا حجاب ، فإذا وقع على وجوههم نور وجه الحق أشرقت وجوههم بالنور وتمتعوا بالنظر إلى وجه العزيز الغفور فتبقي الخلائق ثلثا ثم قام شاخصين إلى وجه الحق سبحانه وتعالى ولا يطبق أحد منهم أن يطبق جفنا على جفن من شدة لذة النظر إلى وجه الحق سبحانه وتعالى فمن لذة نظرهم يغيون في جماله وتشخص أوصافهم في كماله فيخاطبهم الحق سبحانه وتعالى بلبديد الخطاب ويناديهم : السلام عليكم يا معشر الأحياء تمنوا على ما شئتم واشتهيتهم فقد كشف لكم عن وجهي الحجاب ، ثم يعطى

عندك أظهر لنا ماء وأحضر لنا طعاما فحضر ما رأيته وكل ذلك ببركة نبيك ، وقد عرفنا أن دينه الحق ، وهو عند الله عظيم فامدد يدك فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال فأسلما وخرجنا جميعا إلى مكة فأقمنا بها مدة وخرجنا إلى الشام ففترقنا : فوالله ما ذكرتهما إلا وهانت على الدنيا وصغرت في عيني :

لما رأيته حاضرا في القلب زادي الخمار وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار فامزج كؤوسا بالرضا جهرها فما عنها اصطبار
دارت على أحبابه فإلهم ابدا يشار لطفتم فلما ذاقها الأحبا
ب نحو الحب طاروا بذلوا إليه نفوسهم وعلى نفوس القوم غاروا
وإليه في بحر الهوى ركبوا وبالأرواح ساروا طلبوه حقا بالقوا
بوعندما نظروهم حاروا هاموا به حتى لقد أنست بقرينهم الديار
ورأوا إشارات الهدى لاحت لديهم فاستناروا

[إخواني] هذان كانا من جملة الرهبان ، فلاح لهما قدر خرم الابرة من الايمان ، فرأيا الطريق وسلكا منهج التصديق ، وأنت يامسكين عمرك قد مضى في العvisان ، وزمانك قد ذهب في الحسran ، وأنت في بحر الغفلة غريق ، وقد ذهبت نسائم القبول وأنت سكران بخمر المعاصي لاتفيق ، فبادر إلينا بالاخلاص والتصديق ، فقد فتحنا لك الطريق : وهديناك إلى التوفيق .

[كان وكان]

يامن زمانه يذهب في كل ما لا ينفعه إلى متى ذا التواني والمجبر والتعويق
انهض فمبي زارك قبل أن تسير القافله وانهمض فحصل لنفسك على الطريق رفيق
وإن منعت فنادى ياواصلين بحقكم عطفا على من أضحي من الذنوب غريق
ياراحلين بقاي ونازلين بمهجتي حملتموني بضعتي في الحب مالا أطيع
وحقكم لست أنسى ماعشت عقدودكم وعندكم ميثاق مدى الزمان وثيق

[وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله عليه] كنت يوما في بعض سياحي متلذذا بخلقوتي وراحتي مستغرقا بفكري مستأنسا بذكري إذ نوديت في سرى : يا أبا يزيد امض إلى دير سمعان واحضر مع الرهبان في يوم عيدهم والقربان ، فلنا في ذلك نأ وشان . قال فاستعدت بالله من هذا الحاضر ، وقلت لست أخاطر ، فلما كان الليل أتاني الهاتف في المنام ، وأعاد عليّ ذلك الكلام فانتبهت وأنا أرجف وأرعد وعندي من هذا الكلام ما يقيم المقعد فنوديت في سرى لأبأس عليك أنت عندنا من الأولياء الأخيار ، ومكتوب في ديوان الأبرار ، ولكن البس زى الرهبان واشدد من أجلنا الزنار وما عليك في ذلك جناح ولا إنكار . قال أبو يزيد فقممت من باكروبادرت إلى امتثال الأوامر ، ولبست زى الرهبان وحضرت معهم في دير سمعان ، فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا إليه ليسمعوا أريج عليه المقام فلم يطق الكلام كأن في فيه لجام . فقال له القسيسون والرهبان : ما الذى يمنعك من الكلام أيها الربان ؟ فنحن بقولك نهتدى وبعلبك نتقضى . فقال ما معني أن أتكلّم وأبتدى ، إلا أن يبينكم رجلا محمدي ، وقد جاء لدينكم ممتحنا وعليكم معتدى ، فقالوا أرنا إياه نقتله الآن ؟ فقال لا تقتلوه إلا بدليل وبرهان ، فاني أريد أن أمتحنه وأسأله عن مسائل في علم الأديان فإن أجاب عنها وأبان تركناه ، وإن عجز عن تفسيرها قتلناه ، وعند الامتحان يعز الرء أو يهان ، فقالوا له افعل ما تريد فنحن محاضرننا إلا لنستفيد فقام كبيرهم على قدميه ونادى يا محمدي بحق محمد

الحق سبحانه وتعالى لكل واحد وواحدة رمانة قشرها من ذهب ، وفي وسطها حلل ملونة عدد ما في الرمانة حلة خضراء وحلة صفراء وحلة بيضاء وحلة مقصبة بالذهب على ألوان مختلفة ، ثم يرخي الحجاب ويقول لهم : يا عبادى ارجعوا إلى منازلكم فأننى راض عنكم وقد زدت في حسنكم سبعين ضعفا ، وبين جميع الرجال والنساء حصن واحد ، ولكن بين الرجال والنساء حجاب من نور حتى لا ينظروا حریم بعضهم وجل مايم للرجال يتم للنساء ، فإذا تجلى الحق شاهده الرجال والنساء

عليك إلا ما نهضت قائما على قدميك لتنظر العيون إليك فقام أبو يزيد ولسانه لا يفتر عن التقديس والتجديد . فقال له البطرك يا سمعدي أريد أن أسألك عن مسائل فإن أجبت عنها وفسرتها اتبعناك وإن عجزت عن تفسيرها قتلناك . فقال له أبو يزيد سل عما تريد من المنقول والمعقول والله شاهد على ما نقول . فقال له البطرك أخبرني عن واحد لا ثاني له ، وعن اثنين لا ثالث لهما ، وعن ثلاثة لا رابع لهم ، وعن أربعة لا خامس لهم ، وعن خمسة لا سادس لهم ، وعن ستة لا سابع لهم ، وعن سبعة لا ثامن لهم ، وعن ثمانية لا تاسع لهم ، وعن تسعة لا عاشر لهم ، وعن عشرة كاملة ، وعن أحد عشر ، وعن اثني عشر ، وعن ثلاثة عشر ، وعن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة ، وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأين مستقر اسمك من جسمك ، وعن الذاريات ذروا ، وعن الحاملات وقرا ، وعن الجاريات يسرا ، وعن المقسمات أمرا ، وعن شيء تنفس بغير روح ونسألك عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين ، وعن قبر مشي بصاحبه ، وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض . وعن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم . وعن أول دم أهرق على وجه الأرض . ونسألك عن شيء خلقه الله ثم اشتراه . ونسألك عن شيء خلقه الله ثم أنكره . ونسألك عن شيء خلقه الله واستعظمه . وعن شيء خلقه الله وسأل عنه ، وعن أفضل النساء ، وعن أفضل البحار . وعن أفضل الجبال . وعن أفضل الدواب . وعن أفضل الشهور . وعن أفضل الياالي وعن الطامة . وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة وفي كل ورقة خمس زهرات اثنتان في الشمس وثلاثة في الظل . وعن شيء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة . وكمن من نبى خلقه الله . وكمن منهم مرسل وغير مرسل . وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها . والأصل واحد . وعن النقيير والقطمير والفتيل . وعن السبد واللبد وعن الظم والرم . وأخبرنا ما يقول الكلب في نبيجه . وما يقول الحمار في نهيقه . وما يقول الثور في نفييره . وما يقول الفرس في صهيله . وما يقول البعير في رغاءه . وما يقول الطاووس في صياحه . وما يقول الدراج في صفيره ، وما يقول البلب في تغريده . وما يقول الضفدع في تسيجه . وما يقول الناقوس في نقييره . وأخبرنا عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة وأخبرنا أين يكون الليل إذا جاء النهار . وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فقال أبو يزيد هل بقي أسئلة غير هذه ؟ قال لا فإن فسرتهما لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله ؟ قالوا نعم . قال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون . ثم قال : أما سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله الواحد النهار ، وأما سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار . لقوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وأما سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لهم فهم العرش والكرسي والقلم . وعن أربعة لا خامس لهم فهم الكتب المنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وأما سؤالكم عن خمسة لا سادس لهم فهم الصلوات الخمس المفروضة على كل مسلم ومسلمة . وأما سؤالكم عن ستة لا سابع لهم فهم الستة أيام التي ذكرها الله في قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام) وأما سؤالكم عن سبعة لا ثامن لهم فهم السبع سموات لقوله تعالى (سبع سموات طباقا) وأما سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وأما سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط المفسدون لقوله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) وأما سؤالكم عن عشرة كاملة فهي العشرة أيام يصومها المتمتع عند فقد الهدى لقوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) وأما سؤالكم عن أحد عشر فهم إخوة يوسف لقوله تعالى حكاية عنه (إن رأيت أحد عشر كوكبا) وأما سؤالكم عن اثني عشر

جملة واحدة كما إذا طلعت الشمس نظرها الخالق جملة واحدة ، جل الله عن التشبيه فليس لله مثل ولا شبهة ، ثم يقول الله عز وجل : يا ملائكتي قدموا لعبادي نجائب غير التي قدموا عليها فتقدم إليهم الملائكة خيلا من ياقوت أحمر سروجها منها وأجنحتها خضر مكللة بحلل خضر ، ثم يقول الله عز وجل لهم : يا عبادي اعبروا سوق المعرفة فيعبرون فيقول بعضهم لبعض ويقول هذا لهذا أين أنت يا أخي ساكن في أي الأماكن من الجنان . فيقول أنا ساكن في الجنة الفلانية في الموضع الفلاني

فهي عدة الشهور لقوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله) وأما سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤيا يوسف لقوله تعالى (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) وأما سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم إخوة يوسف لقوله تعالى (قالوا يا أيها إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب) فكذبوا وأدخلوا الجنة ، وأما سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) فصدقوا وأدخلوا النار ، وأما سؤالكم أين مستقر اسمك من جسمك فمستقره أذنالك : وأما سؤالكم عن الداريات ذروا فهي الرياح الأربع وأما سؤالكم عن الحاملات وقرا فهي السحب لقوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) وأما سؤالكم عن الجاريات يسرا فهي السفن الجاريات في البحر . وأما سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم من نصف شعبان إلى نصف شعبان ، وأما سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهم السبع سموات والسبع أرضين لقوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وأما سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام ، وأما سؤالكم عن شيء تنفس بلا روح فهو الصبح لقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) وأما سؤالكم عن ماء لا تزل من السماء ولا تنبع من الأرض فهو الماء الذي بعثته بلقيس في قارورة من عرق الخيل إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وأما سؤالكم عن أربعة لامن ظهر أب ولا من بطن أم فهم كبش إسماعيل وناقاة صالح وآدم وحواء ، وأما سؤالكم عن أول دم أهرق على وجه الأرض فهو دم هابيل لما قتله قابيل ، وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم اشتراه فهو نفس المؤمن لقوله تعالى (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله وأنكره فهي صوت الحمار لقوله تعالى (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى (إن كيدكن عظيم) وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله وسأل عنه فهي عصا موسى لقوله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) وأما سؤالكم عن أفضل النساء فهي حواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين ، وأما سؤالكم عن أفضل البحار فهو سيجون وجيخون والدجلة والفرات ونيل مصر ، وأما سؤالكم عن أفضل الجبال فهو جبل الطور ، وأما سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل ، وأما سؤالكم عن أفضل الشهور فهو شهر رمضان لقوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وأما سؤالكم عن أفضل الليالي فهي ليلة القدر لقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وأما سؤالكم عن الظامة فهي يوم القيامة ، وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل : أما الشجرة فهي السنة ، وأما الأغصان فهي الشهور ، وأما الأوراق فهي الأيام ، وأما الخمس زهرات فهي الصلوات الخمس في اليوم واليلة ثلاثة في الظل المغرب والعشاء والصبح واثنان في الشمس وهما الظهر والعصر ، وأما سؤالكم عن شيء حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة فهي سفينة نوح عليه السلام ، وأما سؤالكم كم خلق الله من نبي وكم منهم مرسل فأما الأنبياء فهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، وأما المرسلون منهم فثلاثمائة وثلاثة عشر ، وأما سؤالكم عن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد فهي العينان والأنف والفم والأذنان ، فماء العينين مالح وماء الفم حلو وماء الأنف حامض ،

منها فيتعارفون ، ثم تقول لهم للملائكة انكم قد كنتم في دار الدنيا تعبرون في أسواقكم فتعجبكم القطعة القماش أو غير ذلك فأتصح لكم إلا بشئ ، وربكم عز وجل قد وضع لكم في هذا السوق كل شيء فمن اشتبه منكم شيئا فليأخذه بلائعن . قال فينظرون إلى مساند وفرش ووحدات ذات ألوان وحلل وأوان فكل من أراد شيئا ينظر إليه بعينه فتحمله الملائكة له من خلقه ، ثم يعبرون على صورة نبي آدم ، فكل صورة يراها في عينه أحسن من صورته فلا ينظر إليها إلا وقد صار مثلها ، فكل من أراد صورة نظر

وماء الأذنين مرة . وأما سؤالكم عن النقر فهى النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير هى القشرة البيضاء ، والفيتل الذى يكون فى بطن النواة . وأما سؤالكم عن السبد والبد فهو شعر الضأن والعز ، وأما سؤالكم عن الطم والرم فهم الأمم الماضية قبل آيينا آدم عليه السلام ، وأما سؤالكم عما يقول الحمار فى نهيجه فانه يرى الشيطان فيقول لعن الله الحمار وهو المكاس ، وأما سؤالكم عما يقول الكلب فى نهيجه فانه يقول : ويل لأهل النار من غضب الجبار ، وأما سؤالكم عما يقول الثور فى نعيه فانه يقول : سبحان الله وبمحمد ، وأما سؤالكم عما يقول الفرس فى صهيله فانه يقول سبحان حافظى إذا التقت الأبطال واشتغلت الرجال بالرجال ، وأما سؤالكم عما يقول البعير فى رغاءه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيفا ، وأما سؤالكم عما يقول الطاوس فى صياحه فانه يقول (الرحمن على العرش استوى) ، وأما سؤالكم عما يقول الببل فى تغريده فانه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وأما سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسيحه فانه يقول سبحان العبود فى البرارى والقفار سبحان الملك الجبار وأما سؤالكم عما يقول الناقوس فى نقيه فانه يقول سبحان الله حقاً حقاً انظروا ابن آدم فى هذه الدنيا غرباً وشرقاً ماترى فيها أحداً يبق ، وأما سؤالكم عن قوم أوحى الله إليهم لامن الإنس ولامن الجن ولامن الملائكة فهم النحل لقوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشن) وأما سؤالكم عن الليل أين يكون إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فإنهما يكونان فى غامض علم الله تعالى ما أظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، بل كل ذلك فى غامض علم الله تعالى ، ثم قال أبو يزيد هل بقى لكم سؤال ؟ قالوا لا ، قال فأخبرنى أنت عن مفتاح السموات ومفتاح الجنة ما هو ؟ فسكت كبيرهم فقالوا له أنت سألته عن مسائل كثيرة فأجاب عنها جميعها ، وقد سألك عن مسألة واحدة فعجزت عن جوابها ؟ فقال ما عجزت ولكنى أخاف أن أجيبه عن سؤاله فلا توافقونى . فقالوا بلى نوافقك إذ أنت كبيرنا ومها قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه . فقال مفتاح السموات والجنة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما سمعوا ذلك منه أسلموا عن آخرهم وأخربوا الدير وبنوه مسجداً وقطعوا زنا نيرهم فهناك نودى أبو يزيد فى سره : يا أبا يزيد أنت شددت من أجلنا زنا را واحداً فقطعنا من أجلك خمسة زنا را :

يارب إني راض	ما شئت فضلاً وعدلاً	سيرتني تحت أمر	رضيته لم أقل لا
هديت قوماً وكانوا	نصبوا إلى الشرك جهلاً	قومهم فاستقاموا	جمعت لأقوم شمالاً
حول الجنب تراهم	قد عفروا الخذلان	أصواتهم زينوها	بقوله أشهد أن لا
وشاهدوا الحق جهراً	لما بدا وتجلي		

[إخواني] هؤلاء كانوا كفاراً فى ظلمات العمى فأنقذهم الله بنور الهدى وحماهم من الردى ، كل ذلك ببركة قول لا إله إلا الله ، فانظروا إلى كلمة الإخلاص ما أعظم ركانها وأنجح حاجاتها فرطبوا ألسنتكم بها لتناولوا بركة إحسانها وتظفروا بحلاوة امتناسها وتدخلوا حرم أمانها ، فإنها حصن منيع ودرع رفيع ، وقد قال تعالى فى بعض كتبه المنزلة : أكثرُوا من قول لا إله إلا الله ، فإنها حصن ، ومن دخل حصنى آمن من عذابي . وقال بعض الصحابة : من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب . فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة

إليها وبقيت صورته فى صفتها وزها وحسنها وتزول تلك الصورة عنه بقسرة الله تعالى ثم ينظرون فيجدون فى ذلك السوق حلالاً وأجنحة فتقول الملائكة كل من اشتبه أن يطير فليأخذ من هذه الأجنحة والحلل ويلبس فيطير فليبسونها فتطير بهم أجنحتهم حيث أرادوا ، ثم يسرون إلى منازلهم فيدخلون قصور فتقول للمرأة لزوجها ما أشد حسنك اليوم وما أكثر نورك ، فيقول لها إني قد نظرت إلى وجه ربى فوق نوره على وجهى وأنت أيضاً والله العظيم لقد عظم نور

وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً ، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبق عليه ذنب إذا قالها في كل يوم مرة ، فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شغله ؟ .

[إخواني] إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فانها تكفر الذنوب والعصيان ، وإن كنتم طامعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله ، فانها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والنفوس والغفران من الملك المنان :

ماضٍ عبد وأنت ترشده وكيف يشق من أنت تسعده أم كيف يطفى الالهيب من كبدي
والشوق مني إليك يوقده عليك لالوم في مهاجرتي الذنب ذنبي فلا أعده
من أين لي الصبر عنك يا أملي فصبري اليوم فيك أفقده والله ماخاب في توجهه
من أنت من ذا الوجود مقصده كلا ولا ضل عن طريق هدى من كان بالمصطفى تقيده
المتجني المرتضى الذي سعدت زواره منه حين تقصده
عليه منا الصلاة دائمة ومن إله ماخاب قاصده

المجلس الثامن والأربعون

في زواج علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله تعالى عنهما وشفعهما فينا

الحمد لله العظيم المحمود ، الكريم المقصود القديم للوجود ، الذي أطلع من آفاق التوفيق لأهل التحقيق نجوم السعد ، وجلى عرائس الوجود في مرآة الشهود ، فمن فهم المطلوب بلغ المقصود زين زمان الربيع بعروس غروس الأشجار تخطر في حلق البهاء والبهار بقدود كل غصن أملود وأقام في غرسها خطباء الأطيار على منابر الأشجار تنثي في الأسجار بحمد الملك العبود ، وجعل العقل حاكماً على الجوارح والعينين من جملة الشهود ، وأمرهم بالنفكر في عجائب مصنوعاته فشهدوا عقد حبات السنبيل والعنقود ، فأعجب لصانع القدرة بعد النظر والفكرة كيف كَوَّن هذه الأكوان المختلفة الأعيان القاطنة لأهل الطغيان والجحود ؛ فسبحان مفجر الأنهار من صم صخر الجلود ومطلع الأزهار من خلال الأشجار ومخرج ثمرها من عود ، زين السماء بالنيرين ، والبطحاء بالعميرين والزهرات بالسبطين ، وجعل جدهما أشرف الجدود ، فكلم مشتاق إليه لطفان عليه كدحت نجائب الشوق إليه بالسوق الكدود ، فقطعت به مفاوز الهجر والصدود ، فاذا وصلت إلى ذلك النادى تراها تنود وإذا حدا لها الحادى أرخت الدموع على الحدود :

عج على الوادى ونجد وزرود أيها الحادى وأنجز بالوعود ثم عرج بالمطايا فلها
بين وادى الشيخ والزند ورود خلها ترعى بكثبان الحمى فلها فيها هبوط وصعود
لا تسقى أيها الحادى فما ترك الشوق بها إلا الجلود لوتشاهدها إذا ما استنشقت
نمات الحمى بالنفس تجود وإذا لاح لها دار النى مدت الأعناق بالسعى الكدود

للنبي الهاشمي المصطفى صفوة الرحمن من كل الوجود

فعليه الله صلى كلما صدحت قرية من فوق عود

[روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاطمة بضعة مني فاطمة حوراء إنسية» وروى عن بعض الرواة الكرام أن خديجة الكبرى رضي الله عنها تمت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السلام ، فأتى جبريل إلى المفضل على

وجهك وحسنك فتقول
له كيف لا يشرق وجهي
بالنور ؟ وقد وقع عليه
نوربه ، فتشرق وجوههم
بالأنوار ويدوم نعيمهم
في دار القرار ، قال الله
تعالى (الذين آمنوا و عملوا
الصالحات طوبى لهم
وحسن مآب) وقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إن طوبى شجرة
في الجنة أصلها في داري
وأغصانها مظلة على قصور
الجنة ، وليس في الجنة قصر
ولا دار إلا وعليها غصن
من أغصانها يحمل كل
غصن منها كل ثمرة كانت
في الدنيا ، وكل زهر كان
في الدنيا ينبت في ذلك
الغصن لأنه أكثر وأخضر

السكونين من الجنة بتفاحتين وقال يا محمد يقول لك من جعل لكل شيء قدرا كل واحدة وأطعم
الأخرى لحديجة الكبرى ، وأغشها فأنى خالق منكما فاطمة الزهراء ، ففعل المختار ما أشار به الأمين
وأمر ، فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر ، وقد بان لحديجة حملها بفاطمة وظهر ، قالت
حديجة وأخية من كذب محمد وهو خير رسول ونبي ، فنادت فاطمة من بطنها يا أماء لا تحزنى
ولا ترهبى فإن الله مع أبى ، فلما تم أمد حملها وانقضى وضعت فاطمة فأشرق بنور وجهها الفضاء
وكان المختار كلما اشتاق إلى الجنة ونعيمها قبل فاطمة وشم طيب نسيمها . فيقول حين ينشق نسباتها
القدسية إن فاطمة لحوراء إنسية ، فلما استقارت في سماء الرسالة شمس جمالها وتم في أفق الجلالة
بدر كالمها امتدت إليهم مطالع الأفكار ونمت النظر إلى حسنها أبصار الأخيار وخطبها سادات المهاجرين
والأنصار ، ردهم المخصوص من الله بالرضا ، وقال إنى أنتظر بها القضا :

من مثل فاطمة الزهراء في نسب وفى فخار وفى فضل وفى حسب

والله فضلها حقاً وشرفها إذ كانت ابنة خير العجم والعرب

ولقد خطبها أبو بكر وعمر ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمرها إلى الله تعالى ؛
ثم إن أبابكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتذاكروا
أمر فاطمة رضي الله عنها . فقال أبو بكر قد خطبها الأشراف ، فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقال إن أمرها إلى الله عز وجل ، وإن علياً لم يخطبها ولم يذكرها ولا أرى ما يمنعه من ذلك إلا قلة
ذات اليد وإنه ليقع في نفسي أن الله تعالى ورسوله إنما يحبسانها لأجله ، ثم أقبل أبو بكر على عمر
وعلى سعد ، وقال لهما : هل لسكنا في القيام إلى علي كرم الله وجهه فنذكر له أمرها فإن منعه من
ذلك قلة ذات اليد واسيناه . فقال سعد وفتك الله يا أبابكر فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً
في مسجده فلم يجدوه ، وكان ينضح الماء بيبعير على نخل لرجل من الأنصار بأجرة فانطلقوا نحوه
فلما رأهم قال ما وراءكم ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا أبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير
إلا ولك فيها سابقة وفضل وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان الذي عرفت من القرابة ،
وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ، فردهم وقال
إن أمرها إلى الله تعالى فما يمنعك أن تذكرها وتخطبها فأنى أرجو أن يكون الله عز وجل ورسوله
يحبسانها لك ؟ قال ففرغرت عينا على بالدموع . وقال يا أبا بكر لقد هيئت على ما كان ساكناً
وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً والله إن لى في السيدة لرغبة ، ومما مثلى من يقعد عن مثلها ولكن
يمعنى من ذلك قلة ذات اليد . فقال أبو بكر لا تقل كذا يا أبا الحسن فإن الدنيا وما فيها عند الله ورسوله
كهباء منشور . ثم إن علياً كرم الله وجهه حل عن ناضحه وقاده إلى منزله فشده فيه وأخذ نعله
وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة فطرق الباب فقالت من بالباب ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قومي وافتحى الباب له ، هذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما ، فقالت . فذاك
أبى وأمى ومن هذا ؟ فقال هذا أخى وأحب الخلق إلى . قالت أم سلمة فقممت مبادرة أكاد أعر
في مرطى ففتحت الباب . فاذا أنا بعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فوالله ما دخل حتى علم
أنى قد رجعت إلى خدرى فدخل وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم السلام ، ثم قال له اجلس
فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يطرق إلى الأرض كأنه قاصد حاجة يستجى منه ،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا على كأنك قاصد حاجة فأبدأ بما في نفسك فكل حاجتك عندي
مقضية . فقال على رضي الله عنه فذلك أبى وأمى يا رسول الله إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك

من عمر الدنيا وأحسن
من زهر الدنيا ، وتحمل
شجرة طوبى عنباً ، كل
عنقود طوله مسيرة
شهر ، كل عنبه بقدر
القربة إذا ملئت ماء .
فتبيل للنبي صلى الله عليه
وسلم : يا رسول الله إن
العنب الواحد تكفينى
وتكفى أهلى وبيتى
وعشيرتى . قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إن
العنب الواحد تكفيك
وتكفى أهل بيتك
وعشرة من قومك وإن
فيها أيضاً عمراً كل عمرة
بقدر الراوية وكل تمرتين
حمل حمل لها برق مثل
الشمس ، وذكر أن
في طوبى أيضاً سفر جلا

أني طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي لا أعقل شيئا ، فهديتني وأدبتني وهذبتني فكنت لي أفضل من أبي طالب وفاطمة بنت أسد في البر والشفقة وإن الله عز وجل هداني بك واستغنيتني عما كان عليه آباي وأعمامي من الشرك ، وإنك يا رسول الله ذخرى ووسيلتي في الدنيا والآخرة وقد أحبيت مع ما شئت الله عز وجل بك من عضدي أن يكون لي بيت وزوجة أسكن إليها وقد أتيتك خاطبا ابنتك فاطمة فهل تزوجني يا رسول الله ؟ قالت أم سلمة فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تهلل فرحا وسرورا ثم تبسم في وجه علي ، وقال : يا علي هل معك شيء تصدقها بإياه ؟ قال والله ما يخفى عليك حالي ولا شيء من أمري ما أملك غير درعي وسيفي وناضحي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما سيفك فلاغني لك عنه تجاهد به في سبيل الله ، وأما ناضحك فتتضح عليه لأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكني زوجه منك على درعك ورضيت به منك وأبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجك بها في السماء قبل أن أزوجه بك في الأرض ، ولقد هبط علي ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أر قبله من الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى . فقال لي : السلام عليك يا رسول الله أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فقلت : وما ذاك ، أيها الملك ؟ فقال يا محمد أناسب طائيل الوكل باحدى قوائم العرش سألت الله تعالى أن يأذن لي ببشارتك وهذا جبريل عليه السلام أت علي أترى يخبرك عن ربك بكرامة الله عز وجل . قال النبي صلى الله عليه وسلم فما استتم الملك كلامه حتى هبط جبريل عليه السلام ، فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع في يدي حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور فقلت حبيبي جبريل ماهذه الخطوط ؟ قال إن الله عز وجل أطلع على الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالة ثم أطلع إليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وحبيبا فزوجه ابنتك فاطمة ، قلت حبيبي جبريل ومن هذا الرجل ؟ فقال أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإن الله تعالى أوحى إلى الجنان أن تزخرفي وإلى الحور أن تريني وإلى شجرة طوبى أن أحملني إلى الجنة وأمر الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور فهبطت ملائكة الصفيح الأعلى وأمر الله تعالى رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وهو المنبر الذي خطب عليه آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء وأمر الله عز وجل ملكا من ملائكة الحبب يقال له راحيل فعلا ذلك المنبر وحمد الله بجميع محامده وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحا وسرورا . قال جبريل وأوحى الله تعالى إلي أن أعقد عقدة النكاح فأتى زوجت عليا وليي فاطمة أمي بنت رسول الله وصفوتي من خلقي محمد صلى الله عليه وسلم فعقدت عقدة النكاح وأشهدت علي ذلك الملائكة ، وكتبتهن شهدتهن في هذه الحريرة ، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك وأختتمها بخاتم من مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان . ثم إن الله تعالى لما أشهد علي تزويج فاطمة ملائكة أمر شجرة طوبى أن تنثر ما فيها من الحلل والخلل فنثرت ذلك والتقطته الحور العين والملائكة وإن الحور العين ليتهدونه إلى يوم القيامة ، وقد أمرني أن أمرك بتزويجها عليا في الأرض وأن أبشرها بسلامين ذكيين محبين فاضلين طاهرين خيرين في الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرج الملك يا أبا الحسن حتى طرقت الباب ، ألا وإني منقذ فيك أمر ربي فامض يا أبا الحسن أما هي فأتى ذاهب إلى المسجد ومزوجه علي رؤوس الناس ، وذاكر من فضلك ما تقر به عينك . قال علي كرم الله وجهه فخرجت من عنده مسرعا وأنا لا أعقل من شدة الفرح فاستقبلني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا لي ما وراءك يا أبا الحسن ، قلت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأخبرني

وتفاحا ورمانا وخوخا
ومشمشا ، كل ثمرة قدر
حمل حمل ولا يعلم وصف
شجرة طوبى غير الذي
خلقها ، ولكل مؤمن
في الجنة غصن من أغصانها
واسمه مكتوب على ذلك
الغصن يحمل ذلك الغصن
كل نوع من أنواع الثمر
حتى الخيول بسروجها ،
النوق بأزمتها ، والجواري
والعلماء ، ويحمل
الغصن والعنقود الأساور
والخواتم والتيجان والحلل
وكل ذلك من ورق

أن الله تعالى زوجني بها في السماء وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أت على أثرى إلى المسجد فيقول ذلك في حضر من الناس ، ففرحا بذلك ودخلا المسجد : فوالله ما توسطاه حتى لحق بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يهال سرورا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال اجمع المهاجرين والأنصار فانطلق بلال لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس النبي صلى الله عليه وسلم قريبا من منبره حتى اجتمع الناس ثم قام فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين إن جبريل أتاني آتفا فأخبرني أن الله عز وجل استشهد الملائكة عند البيت المعمور أنه زوج أمته فاطمة ابنتي من عبده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على أني زوجته بها . ثم جلس وقال لعلي قم يا علي واخطب لنفسك فقام علي رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه . فقال الحمد لله وشكرا لأنعمه وأياديه : وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيهه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله نبيه النبي ورسوله الوجيه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وبنيه صلاة دائمة ترضيه . وبعد ، فإن النكاح سنة أمر الله به وأذن فيه وقد زوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت ورضى فأسألوهم واشهدوا . فقال المسلمون بارك الله فيكما وعليكما وجمع شملكما . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فأمرهن أن يدفنن لفاطمة رضي الله عنها فضرب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالدفوف على رأس فاطمة ، قال علي رضي الله عنه فأخذت درعي ومضيت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم من عثمان ابن عفان رضي الله عنه . فلما قبضت الدراهم وقبض الدرع قال لي يا أبا الحسن ألت الآن أولى بك بالدرع وأنت أولى مني بالدراهم ؟ قالت بلى قال فان الدرع هدية مني إليك . قال علي فأخذت الدرع والدراهم وأتيت بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من عثمان فدعا له بخير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الدراهم . ثم دعا بأبي بكر رضي الله عنه . فقال يا أبا بكر اشتر بهذه الدراهم ما يصلح لفاطمة وأرسل معه سلمان وبلالا يعينانه على حمل ما يشتريه . قال أبو بكر رضي الله عنه كانت الدراهم التي دفعها إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين درهما فاشترت فراشا من خيش محشوا بالصوف ونظما من أديم ووسادة من أديم حشوها من ليف النخل وقربة للماء وكيزانا وستر صوف رقيق فحمت أنا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه وأقبلنا فوضعا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نظر إليه بكى . ثم رفع رأسه إلى السماء . وقال : اللهم بارك لقوم شعارهم الخوف منك قال علي ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة . وقال ارفعي هذه الدراهم عندك فمكثت بعد ذلك شهرا لا أعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه غير أني كنت إذا خلوت برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا أبا الحسن زوجتك سيدة نساء العالمين . قال علي فلما كان بعد شهر دخل علي أخي عقيب بن أبي طالب . فقال يا أخي ما فرحت قط بشيء كفرحتي بزواجك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تدخل عليها قرت أعيننا باجتماع شملكما ، فقلت والله إنني لأحب ذلك وما يمنعني إلا الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أقسمت عليك إلا ما قمت معي فقامت معه يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيتنا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا لها ذلك فقالت أمهلا ودعانا نحن نكلمه في أمرها فان كلام النساء أوقع في النفس من كلام الرجال . ثم اتشت راجعة إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعت أمهات المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في بيت عائشة ، فأحدثن به وقلن : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدينك بأبائنا

انصن ، وكما قطع المؤمن حلة نبت ، وضعها حلتان ، وإن قطع ثمرة نبت موضعها ثمرتان ونحت شجرة طوبى ميادين يسير الراكب تحت ظلها مائة عام لا يقطعها ، وفي تلك الميادين أنهار الجمر وأنهار الفسل وأنهار اللبن ، وفي تلك الأنهار سمك وحياتان ، جلد تلك الحياتان من الفضة . وقشرها من الذهب مثل الدنانير ، ولحمها أبيض من الشاح وأنعم من الزبد ، وهو

وأما هنا إنا قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت عينها بذلك قالت أم سلمة : فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : وأين مثل خديجة صدقتني حين كذبني الناس وأعاتقني على ديني ودنياي بما لها . فقالت أم سلمة يا رسول الله إن خديجة كانت كذلك غير أنها مضت إلى ربها فآله تعالى يجمع بيننا وبينها في درجات الجنة ، وهذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب على بن أبي طالب يحب أن يدخل على زوجته فاطمة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة أرسلني إلى أم أيمن وأمرها أن تتطلق إلى علي فتأنيبني به فخرجت أم أيمن فاذا علي ينتظرها . فقالت له أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال علي فانطلقت معها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجرة عائشة رضى الله عنها فقامت أزواجه . فدخلن البيت فجلست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرقا . فقال أتحب أن تدخل على زوجتك ؟ فقلت نعم فذاك أبي وأمي . فقال حبا وكرامة تدخل عليها في ليلتنا هذه إن شاء الله تعالى . قال علي ثم قلت من عنده فرح مسرورا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزين فاطمة وتطيب ويفرش لها ودفع النبي صلى الله عليه وسلم لعلى عشرة دراهم من الدراهم التي كانت عند أم سلمة وقال له اشتر بهن تمرا وسمنا وأقطا . قال علي فاشتريت ذلك وأتيت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر عن ذراعيه ودعا بسفرة من آدم فجعل يشدخ التمر بالسمن ويخلطه بالأقط حتى جعله حيسا . ثم قال يا علي ادع من أحببت فخرجت إلى المسجد فوجدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أجيئوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام القوم بأجمعهم فأقبلوا نحوه فأخبرته أن القوم كثير فجعل السفرة بمنديل . ثم قال ليدخلن عشرة عشرة ففعلت ذلك فجعلوا يأكلون ويخرجون والسفرة لاتنقص حتى أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل بركة النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلي فأخذ عليا بيمينه وفاطمة بشماله وجمعهما إلى صدره وقبلهما بين عينيهما ، ثم دفعهما إليه . وقال يا أبا الحسن نعم الزوجة زوجتك ثم قام يمشي معهما إلى البيت الذي لهما ، ثم خرج وأخذ بعضادتي الباب ، وقال جمع الله شمالكما استودعتك الله واستخلفته عليكما فأقبل علي رضى الله عنه على فاطمة يلاطفها بالكلام حتى جن الظلام فأخذت في البكاء . فقال ما يبكيك يا سيدة النساء ألم ترضي أن أكون لك بعلا وتسكوني لي أهلا ؟ . فقالت يا ابن العم كيف لا أرضى وأنت الرضا وفوق الرضا ، وإنما فكرت في أمري وحالي عند ذهاب عمري وزولي في قبري فشبهت دخولي إلى فراش عزي وغفري بدخولي إلى لحدي وقبري ، وأنا أسألك يا ابن العم بحق أبي إلا ما بلغتني قصدي وأرني وقت بنا إلى محرابنا نتعبد في هذه الليلة فهو أحق وأحرى بنا فنهضا إلى المحراب ، وقاما إلى التهجدة في خدمة رب الأرباب .

[إخواني] ما كانت هم القوم في الدنيا ولداتها ، ولا في راحة النفس وشهواتها ، ولا كانت تسموهمهم العالية إلا إلى الدار الباقية لاجرم جعل ذكرهم في الكتاب مسطورا ، وكتب لهم بالبخارة منشورا (إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فترك فراش لداتها واشتغلا بعبادتهما فكانا يقطعان الليل بالقيام والنهار بالصيام حتى مضت ثلاثة أيام ، ثم رقدا على فراشهما ، فهبط الأمين جبريل عليه السلام في اليوم الرابع على سيد الأنام وقال له ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إن عليا وفاطمة الكرام ، تركا فراشهما وهجرا المنام في هذه الثلاثة أيام ، وأقبلوا على الصيام والقيام ، فافض اليهما وسل عنهما وقل لهما إن الله تعالى قد باهى بكما للملائكة القرين ، وإنكما تشفعان يوم القيامة في العصاة والمذنبين ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم

بغير عظم ولا شوك ، وفي تلك الأنهار مراكب من الياقوت الأحمر يركب الأولياء فيها فيسيرون إلى قصورهم في تلك الميادين ، وحائط القصر الأول أخضر ، والقصر الثاني أصفر ، والقصر الثالث أحمر ، والقصر الرابع أبيض فاذا كان وقت الضحى رجعت القصور كلها لونا واحدا ، وقد كان كل قصر فيه لون من الألوان التي ذكرت ، فاذا كان وقت

وأتى إلى منزلهما ودخل فصادف في البيت أسماء بنت عميس ، فقال لها ما يوقفك ههنا وفي البيت رجل ؟ فقالت فذاك أبي وأمي يارسول الله إن البنت إذا زفت إلى زوجها احتاجت إلى امرأة تعيها وتقوم بأمرها وبحوائجها فقمتم ههنا لأقضى حوائج فاطمة فتغرغرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدموع ، وقال : يا أسماء قضى الله لك كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة . قال على رضى الله عنه وكانت غداة قرء وبرد شديد ، وكنت أنا وفاطمة تحت العباءة ، فلما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم هممنا أن نقوم فنظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سألتكما بحق عليكما لا تتفرقا حتى أدخل عليكما فرجع كل واحد إلى صاحبه ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجله فيما بيننا فأخذت رجله اليمنى وضمتها إلى صدرى وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمتها إلى صدرها ، وجعلنا ندق رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البرد حتى دفننا ثم دعا لنا بخير ، ثم أمر عليا بالخروج فخرج . فقال لفاطمة كيف رأيت بعلك يا بنية ؟ فقالت إنه خير بعلي يا أبت ثم دعا بعلي . فقال له ارفق بزوجتك والطف بها فإن فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرنى ما يسرها استودعتكما الله واستخلفته عليكما ، وأذهب عنكما الرجس وطهركما تطهيرا . قال على كرم الله وجهه فوالله ما أغضبتهما ولا أكرهتهما بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله تعالى إليه ، ولا أغضبته ولا عصت لي أمرا ، ولقد كانت تكشف عنى الموموم والأحزان كلما نظرت إليها ، رحمة الله عليها :

من مثل فاطمة البتول وبعليها أعنى عليا سيد الفرسان
نالا من المختار أعلى رتبة فلاجل ذا فاقا على الأقران
زكا فراشهما وقاما في الدجى يتلذذان بطاعة الرحمن
قد آثرا الأخرى على الدنيا وما فيها من العيش اليسير الفانى
والله قد باهى ملائكة السما بهما وخضعهما بكل أمان
هم آل بيت المصطفى والعروة الوثقى لمن يبغى سنا الإيمان
وبهم يزول الهم عنا والأذى وبهم يزول غواية الشيطان
ماذا يقول المادحون لوصفهم ومدحهم قد جاء في الفرقان
يا فوز من أضحى به متمسكا وغدا له نور من المنان
فبهم غدا أرجو النجاة وأتقى سوء العذاب وزفرة النيران
هم آل طه الطاهرون ومن لهم شأن عظيم ياله من شان
قاموا وصاموا في المواجر والدجى وترغوا في الليل بالقرآن
قالهم تسعى الوفود وترجى منهم قرى الإكرام للضيافان
آل النبي ورهطه وصحابه والتابعون له على الإحسان
هم آل بيت المصطفى علم الهدى خير الورى المبعوث من عدنان
صلى عليه الله ماسرت الصبا وتناغت الأطياف في الأغصان

المجلس التاسع والأربعون

في ذكر الموت والتفكير فيه

المجدد المتوحد بأنواع الصنوعات ، المنفرد باختراع المخلوقات ، المنزه عن التجسيم والتقسيم
والسمات ، المتعالى عن الأشكال والأمثال والأماكن والجهات ، المقدس عن الأعيان والألوان

الظهر رجع بناء تلك
القصور طوبة من ذهب
وطوبة من فضة وطوبة
من ياقوت وطوبة من در
فاذا كان وقت العصر
رجع حائط أصفر وحائط
أبيض تتلون تلك القصور
بقدره من يقول للشئ
كن فيكون فيفرحون بها
فرحا عظيما ، وكل مؤمن
في الجنة له مساكن وديار
وأمالك عظيمة واسمه
مكتوب عليها وعلى أبوابها
وفيها له خدم وجوار
وعلمان فيتلقونه بتليل

والكيفيات ، الوصوف بقدم الأسماء والصفات ، القريب بمن دعاه لاقرب المسافات ، المحيى لمن
 نجاه بإخلاص الدعوات ، الذى يغفر الذنوب ويستتر العيوب ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
 السيئات ، العالم بمكنون الأسرار ومصون الأفكار والحفيا ، الخبير فلا يخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض
 ولا فى السموات ، السميع فلا يعزب عن سمعه اختلاف الأصوات ، البصير فلا يعزب عنه دبيب النمل
 على الرمل فى الظلمات ، الواحد الأحد فلا ثانى له فى الكائنات ، الفرد الصمد المنزه عن البنين والبنات ،
 الباقي على الأبد ويفنى كل أحد ويقضى عليه بالممات ، فسبحان مبيت الأحياء ومحى الأموات . بينا
 للمرء يغتر فى دنياه بلذيق الشهوات ، غرق فى بحار الغفلات ، إذ أتاه الموت فجراً من مره كاسات ،
 وألقى عليه من غمه غمرات ، فغشيت من كربه سكرات ، وأورثه من شدته حسرات ، فرحل عما
 كان فيه من اللذات ، وأبكى الآباء والأمهات ، وأتم البنين والبنات ، وجرت على مصائبه العبرات ،
 وحمل على الأعناق إلى القلاو ، وصار فى قبره من جملة الرفات ، وخلا بعمله من الحسنات والسيئات ،
 ولم ينفعه فى لحده من بعده غير التقوى والطاعات ، وما قدم من بر وصداقات ، وأسلف من صلوات
 ودعوات ، أفلا يعتبر العاقل بمصرع من قد مات ، وقد حوته القبور للدارسات ، أين العبيد والسادات ،
 فكيف يطمع فى البقاء ، وقد قال صاحب الدلائل والمعجزات ، « إن للموت سكرات » فانتبه بما أنت
 فيه يا أسير الغفلات ، وتزود للسفر الطويل فقد بقي القليل وضربت للرحيل الكاسات :

وتكبير وفرح تقدموه
 ويأتى رضوان ويحلى
 للأولياء لكل ولى منهم
 قبة مع عروس عليها الحلل
 والحلى . فتقول للولى :
 يا ولى الله قد طال شوقى
 إليك فالحمد لله الذى قد
 جمع بينى وبينك . فيقول
 للمؤمن : يا أمة الله من أين
 تعرفينى وأنت ما رأيتينى
 قبل هذا اليوم أبداً ؟
 فتقول العروس : إن الله
 سبحانه وتعالى خلقنى لك
 وكتب اسمك على صدرى
 وخلق هذه النازل لك

قد مضى العمر وفات يا أسير الغفلات حصل الزاد وبادر مسرعا قبل الفوات
 فالى كم ذا التعامى عن أمور واضحات وإلى كم أنت غارق فى بحار الظلمات
 لم يان قلبك أصلا بالزواج والغطات بينا الإنسان يسأل عن أخيه قيل مات
 وتراه حملاه سرعة للغفلات أهله يبكوا عليه حسرة بالعبرات
 أين من قد كان يفخر بالجياد الصافات وله مال جزيل كالجبال الراسيات
 سار عنها رغم أنف للقبور الموحشات كم بها من طول مكث من عظام ناخرات
 فاعظم العمر وبادر بالتقى قبل الممات وأنب وارجع وأقلع من عظيم السيئات
 واطلب الغفران بمن ترتجى منه الهبات ثم نادى فى الدياجى بإحبيب الدعوات
 اعف عنا يارحما وأقلنا العثرات ما وجدنا من شفيح فى مضيق الكربات
 غير جاه المصطفى لها دى بهى المعجزات فعليه صلوات زاكيات طيبات
 وعلى الآل جميعا وصحاب طاهرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصف ثواب
 المجاهدين ، وما أعد الله لهم من الأجر والفضل فى الجنة . فقالت يا رسول الله أ يكون لغير المجاهدين
 من أمتك مثل أجرهم ؟ فقال نعم : من يذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة » . وعن أنس بن مالك
 رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن بيت إلا وملك الموت يقف على بابه
 كل يوم خمس مرات : فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غم الموت ، فغشيت
 كربات وغمرته سكراته . فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكى لشجوها والصارخة
 بويلها . فيقول ملك الموت : ويلكم ممّ الفزع وفيه الجزع ؟ فما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت
 له أجلا ، ولا أتيت حتى أمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت . وإن لى فيكم عودة ثم عودة حتى
 لا أبقي منكم أحدا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فوالذى نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون

كلامه لدهاوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على شمه رفرفت روحه فوق النعش ، وهو نادى : يا أهلى ويا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيرى فالمال لكم والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى » :

لو كلم الميت من بشيعه اقال لا تترق فأنت أنا
قد كنت أرجو وغرنى أملى عاجلى الموت ما بلغت منى
مالى لغيرى جمعته وبقي على من وزره شقا وعنا
وهو بما قد جمعت فى رغد يأكله لذة له وهنا
فاعتبروا يا ذوى العقول فقد شرحت حالى لكم وفيه غنى

[وقيل] إن الموت له ألم لا يعلمه إلا الذى يعالجه وينذوقه ، وهو أشد من الضرب بالسيف وأعظم ألما من النشر بالناشير والقرض بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة فى البدن فلذلك يستغيث المضروب ويصيح بخلاف الموت فإن الميت ينقطع صوته وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب ، فإن الموت قد هدد كل جزء من أجزاء البدن وأضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة للاستغاثة . أما العقل فقد غشيته وسوسة ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأعين والصياح ولكنه ما يقدر على ذلك فإن بقيت له قوة سمع له عند نزول الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه وترتفع الأثنيان إلى أعلى موضعهما وتصفّر أنامله ويموت كل عضو منه على حدته . فأول ما يموت قدماه ثم ساقاه ثم خذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى تبلغ روحه إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وتحيط به الحسرة والندامة . وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مريض ، فقال : إني لأعلم ما يلقي ليس فيه عرق إلا وهو يتألم بالموت على حدته » . وروى «أنه صلى الله عليه وسلم لما احتضر كان عده قدح من ماء يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن الموت لسكرات » وفي رواية كان يقول : «اللهم هوّن على سكرات الموت » وفي رواية «أعنى على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول : واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيبك بعد اليوم » ذكره البخارى ومسلم ، وكان على رضى الله عنه يحرض على القتال ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش . وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمنين وهو أشد ألما من نشر الناشير وقرض المقاريض وغليان القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت لما انتفعوا بعيش ولا تندوا بنوم . وروى أن موسى عليه السلام حين مات وصارت روحه إلى الله عز وجل قال الله عز وجل : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسى كالصفر حين يقلى على القلى وهو حى فلا هو يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وفي رواية قال : وجدت نفسى كشاة تسليخ وهي حية وقال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أى بالحق من أمر الآخرة حين ينتبه ويراه عيانا ، وأمام شهادة ملك الموت وما يدخل على القلب منه من الروح والفرع فهو أمر قصرت عن كنهه عبارة كل فصيح وضاق عن سعة هوله كل فسيح ولم يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتراعى له فى تلك الحال ، كما روى أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال لملك الموت : هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ فقال لا تطيق ذلك . قال بلى قال له فأعرض بوجهك عني

وكتب اسمك على أبوابها ، وخلق هذه العلمان والجوارى جميعهن لك واسمك مكتوب على خندودهن أحسن من الشامة على الخد ، وأنت قد كنت فى دار الدنيا تعبد الله سبحانه وتعالى وتصلى وتقوم فى طول الأيام ، وقد كان الله عز وجل يأمر رضوان فيحملنا على جناحه فنشرف عليك وعلى أفعالك للمليحة ويقول لنا هذا سيدك فرأيناك وعرفناك ، وكلما اشتقنا

فأعرض بوجهه عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود مهول ثيابه سود قائم الشعر منتن الريح يخرج لهيب النار من فيه ومن مناخره كالمدخان ، فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لولم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكفاه . ونظر إبراهيم عليه السلام إلى أناس يكون على ميت لهم . فقال لو بكيتم على أنفسكم لكان خيرا لكم فإن ميتكم قد نجا من ثلاثة أهوال : وجه ملك الموت وقدرآه ، وحرارة الموت وقد ذاقها ، وخوف الحائمة وقد أمانها ، فينبغي للعاقل أن يبكي على نفسه فهو أولى به ويعلم أن الموت خلفه وفي طلبه :

ليبك على نفسه العاقل لينتبه النائم الغافل يؤمل ذو الجهل آماله
فيفجؤه موته العاجل علام الجدال وهذا المال وفيه القتال ولا طائل
ودنيا كمو هي معشوقة ولكن حقيقتها باطل

إليك نخرج من أبواب
القصور فنقول له : والله
ماندخلة في قصورنا حتى
ترينا سادتنا فيحملنا
رضوان إلى الدنيا فتنظر
كل حوراء سيدها وهو
لا يعلم ، فإن وجدته في
ظلام الليل يصلي تفرح
وتقول له : اخدم تخدم
وازرع تحصد ، ياسيدي
رفع الله درجتك وتقبل
طاعتك وجمع بيني وبينك
بعد أن تعيش عمرا طويلا
وتفنى بعد ذلك في خدمة
الملك الجليل ونبل أشواقنا

وبرق ولكنه خلب وودق ولكنه ماحل وطيف ولكنه هاجر
وشهد ولكنه قاتل منام وأضغاث أحلامها أمانى يؤملها الجاهل
فأين الشريف وأين الضعيف وأين الفضل والفاضل وأين الشجاع وأين الجبان
وأين المهذب والعاقل فكل يشرب كأس الفنا وكل بهذا الفنا نازل
[إخواني] لا واعظ كالموت وما تتعظون ، وهو طالب لكم وأتم عنه غافلون ، أنظنون أنكم
في الدنيا مخلدون ، ولا بد من ورود كأس المنون ، تزودوا للرحيل فقد سارت القافلة ولا تغتروا بزهرة
الدنيا فانها زائلة ، وإياكم والآمال الباطلة ، فإن سموها قاتلة ، إلى متى أنت مقبم على غفلتك وجهلك ،
إلى متى تغتر بمالك وأهلك ، إلى متى تؤثر الدنيا الدنيئة وهي تسعى في قتلك ، إلى متى تنسى لحاقتك
بمن كان من قبلك ، إلى متى لا يؤثر فيك كثير عتابك وعذلك ، إلى متى لا تذكر رحيلك عن جميع
ممالك ؟ حتى متى لا تفهم المواعظ ؟ وقد قيلت من أجلك تيقظ يا غافل فكلم لعب الهوى بمثلك :

يا نفس مالك عن حمامك غافله وأراك في ثوب الأمانى رافله

دنياك منزلة أقت بظلمها فتزودي منها فانك راحله

إن لم يزل عنك الذي تحبونه منها وإلا كنت عنه زائلة

قوله تعالى (أهلأكم التكاثر حتى زرتم المقابر) يعني شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد
للموت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استعيذوا بالله من عذاب القبر» (كلا سوف تعلمون) عند
سكرات الموت وأهواله (ثم كلا سوف تعلمون) بعد الموت معاينة منكرو ونكير في القبر .

[وروي] عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن المؤمن إذا وضع في القبر وسع عليه
قبره سبعين ذراعا طولا ومثله عرضا وتنثر عليه الرياحين ويستتر بالحرير فإن كان معه شيء من القرآن
كفاه نوره في قبره ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهل إليه فيقوم من نومته كأن
لم يشبع منها ، وإن الفاجر والفاسق والكافر يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلعه في جوفه ويرسل عليه
حيات كأعناق الإبل فتأكل لحمه حتى لا تذرك على عظمه لحما وترسل عليه شياطين صم بكم عمى معهم
طارق من حديد فيضربونه بها لا يسمعون صوته فيرحمونه ولا يبصرون ما هو فيه فيرقون له ويعرض
على النار بكرة وعشيا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك
يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ؟ ما غرك بى إذ
كنت عمر بى ، وإن كان صالحا أجاب عنه محيب القبر فيقول : أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر فيقول القبر إذا تحول عليه روضة من رياض الجنة ويعود جسمه نوراً وتصعد روحه إلى

الله عز وجل . وعن كعب رضى الله عنه أنه قال : ما من يوم إلا والقبر ينادى خمس مرات بهذه الكلمات : يا ابن آدم تمشى على ظهري ومصيرك في بطني ، يا ابن آدم تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وتأكلك الديدان في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري وتحزن في بطني .

[وسئل] بعض الزهاد كيف حالك ؟ فقال : كيف يكون حال من يريد سفرا بلا زاد ويقدم على ملك الموت غدا بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس :

أيامنا غدا في باطن الأرض نازلا أتأنس بالدنيا وأنت غريب
وما الدهر إلا مثل يوم وليلة وما الموت إلا نازل وقريب
كأنك والأيام ما بين أن ترى تساء بمال أو يبيت حبيب

[وروى] أن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقف على قبر فبكى فقبل له : إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » :

حق على من يكون الموت مورده وظلمة القبر بعد الموت ملحده
أن لا يرى قط إلا خائفا وجلا طوى السرور وأقصاه وأبعده
يبكى لما قد جرى في الدهر من زلل بكاء من كان جسر النار مرصده

يا هذا احذر أن تصبح عن طريق الهدى حائرا ، أو أن تعاهد على التوبة فتضحي غادرا ، وقم إلى إخلاص نفسك مبادرا ، وكن لعواقب الأمور في كل حال ذا كرا ، ولازم خدمة مولاك حامدا له شاكرا ، واحذر أن تكون عند ربح المتقين خاسرا ، فكأنى بك وقد أقبل إليك الموت متسلطا قاهرا :

آه للموت زائرا قد أباد العشائرا كم سعى الدهر باطنا ورأينا ظاهرا
وعما من محاسن قد طواهن سائرا كم جمال بقهرة قد أحل المقابرا
ثم أفنى أوائلها وأباد الأواخرها آه للناعم النصير طوى منه ناظرا
آه للغصن إذ سما حله الموت كاسرا كم أتى من أكابر وأباد الأصغرا
فاز من كان خائفا منه في الأمن حاذرا واتقى الله حينما منه قد كان حاضرا

وجاء في الآثار : إن الروح إذا خرجت من الجسد ومضى عليها سبعة أيام تقول : يارب ائذن لي حتى أنظر إلى جسدي ما حاله ؟ فيقال لها اذهبي فتأتي الروح إلى القبر فتتظر إليه من بعيد فتراه متغيرا يسيل من منخره ماء ، ومن فمه ماء ، ومن عينيه ماء ، ومن أذنيه ماء ، فسكأنه في وسط لجة فتقول له صرت إلى هذا الحال بعد نضارة جسمك ثم تمضي حتى إذا كان بعد سبعة أيام آخر تقول : يارب ائذن لي حتى أنظر إلى جسدي ما حاله ؟ فيقول الله تعالى اذهبي فتأتي إلى القبر فتتظر إليه من بعيد فتراه قد تغير ، وقد صار الماء الذي في فيه صديدا والذي في عينيه قيحا والذي في أنفه دما ، فتقول له صرت إلى هذا الحال ثم تمضي حتى إذا كان بعد سبعة أيام قالت يارب ائذن لي حتى أنظر إليه هذه المرة ما حاله ؟ فيقول لها اذهبي فتأتيه فتتظر إليه من بعيد فتراه وقد صار الصديد دودا وقد سقطت حدقاته على وجهه والدود يدخل في فيه ويخرج من منخره ، فتقول صرت إلى هذا الحال بعد النعيم والدلال .

منكم وترجع بعد ذلك إلى منازلنا في الجنة وأنتم في الدنيا لا تعلمون ، وما من مؤمن في الدنيا إلا وله في الجنة خدم وغللمان وجوار يروونه وهو لا يعلم ، فإذا وجدوه في الخدمة يفرحون ، وإذا وجدوه غافلا حزنوا ، ثم يؤتون بها كالبساتين التي لهم ويدخل ملك آخر ومعه بقعة فيها ألف من الخلل بطراز من الذهب مكتوب عليها من أسمائه العظيمة ، فيقول ذلك

[إخواني] انظروا إلى أحوالكم كيف تصيرون بعد الموت ، وكيف تطلبون العود وقد حصل الموت ، فأنتم عما يراد بكم غافلون ، وفي بحار الأمل غارقون ، أصمم في الآذان عن النصائح ، أعمى في القلوب عن جميع الصالح ؟ تالله ما ينفع المرء في قبره غير التقى والعمل الصالح :

الموت بحر موجه طافح يحار فيه العالم السابح بانفس إلى ناصح فاقبلي
منى فأنى مشفق ناصح لا ينفع الانسان في قبره إلا التقى والعمل الصالح

[وقيل] لإبراهيم عليه السلام عظما بما ينفعنا . فقال : إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة ، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنهم ، وإذا اشتغلوا بعبارة اللسانين والقصور فاشتغلوا أتم بعبارة القبور ، وإذا اشتغلوا بعبود الناس فاشتغلوا بعبود أنفسهم ، وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة الخالق رب الخلائق أجمعين ، فتبسط يا هذا لنفسك قبل أن يناديك المنادي ، وتدرع دروع الصبر وجهاد الأعادي ، وثمر في طلب خلاصك واقطع علق التماذي ، وعليك بما يفيدك وما تنجو به يوم التنادي :

الملك يا ولي الله انظر إلى
هذه الحلل ، فان أعجبك
شكلها وإلا انقلبت إلى
الشكل الذي تريده أنت
وتشتهيه ، ثم يدخل ملك
آخر ومعه أصناف الحلل ،
وحلى الدنيا يشخص
وحلى الآخرة يسبح الله
سبحانه وتعالى تسبيحا
يطرب السامعين فيسجد

فما لك ليس يعمل فيك وعظ ولا زجر كأنك من حماد ستقدم إن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المنادي فلا تأمن لدى الدنيا صلاحا فان صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه فانك فيه معكوس للداد وتب مما جنيت وأنت حى
وكن متنبها قبل الرقاد أرضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرم المرء ويشب معه اثنان الحرص وطول الأمل »
فالحرص أحد المهلكات . وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما
ثالثا ولا يملا عين ابن آدم إلا التراب » وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال « أخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من
أصحاب القبور » يا حريصا على ارتكاب الآثام وعن هجوم الموت غافل ، وقد تحققت مفاجأة الأجل
فما الحرص على المال والزلل فعل عاقل ، تعجل الذنب قدما وتأخر التوبة إلى قابل ، أما علمت أن
مطل الغنى ظلم وقد أغناك الله بالشباب والصحة والفراغ وأنت بالتوبة تماطل ؟ أين من ملك الدنيا
ودوَّخ الجبارة وقاد الجحافل ، أين التائه للعجب على العباد كبرا ، أين القائل أين الصائل ؟ رشقتهم
والله النون بسهامها فأصاب المقاتل ، وصرعتهم بعد الفرش والتمارق بين الصفائح والجنادل :

يا عاشق الدنيا أما في حادث الأيام عاذل أنت القتييل صباية
بخطامها والحب قاتل خيمت في ظل النوى والعمر يا مغرور راحل
وركنت للدنيا وكم غدرت بذى وذم موصل أمع التنصص والأذى
يلتذ في دنياه عاقل قف واعتبر بمنازل درست وقد كانت أو اهل
أين الذين تدبروا الدنيا وما فازوا بطائل قادوا الجيوش وذللوا
أهدأ الشرى بظي النواصل فجرت عليهم حادثا ت الدهر فاقبلوا كلائل

قد فصلت أوصالهم بين الصفائح والجنادل

قوله عز وجل (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أى معالجة سكرات
الموت ورؤية ملك الموت وأن يكشف للعبد عن مقعده في الجنة أو النار فهذه أمور مهولة ، وذلك
عند مجيء سكرات الموت وهو الحق الذى ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالغيب ، ثم
بعده سؤال منكروك ، وهو أول ما يلقى اليت إذا لحد ، وأما سكرة الموت فهي ما تقدم ذكره

لأن الموت سكرات ، وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل في دار الدنيا ؛ وميت سكرة لأنها تذهل العقول وتغيب الذهن كحال السكران في سكرته ، وذلك أن العبد تظهر له أعماله عند الموت من الحسن والقيح وجزاء عمله ؛ فالمغتاب تفرض شفاهه بمقاريض من نار ، والسامع لاغية يسلك في أذنيه نار جهنم ، والظالم تفرق روحه بكل مظلوم ، وآكل الحرام يقدم له الزقوم كذلك إلى آخر أفعال العبد كل هذه الحالات تظهر عند سكرات الموت ، فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة وعند آخرها تقبض روحه ، وقوله تعالى (ذلك ما كنت منه تحيد) يعني تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء في الدنيا . وروى عن عيسى عليه السلام أنه مرّ على قبر سام بن نوح ، فقال له بنو إسرائيل ياروح الله : ادع الله أن يحيي لنا صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت ، فصلى عيسى عليه السلام عند قبره ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيي سام بن نوح فأحيياه الله تعالى فقام سام ينفض التراب عن رأسه وقد شاب رأسه ولحيته ، فقال له عيسى عليه السلام ما هذا الشيب الذي لم يكن في زمانك ؟ قال يائي الله سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة . فقال له عيسى عليه السلام منذ كم أنت ميت ؟ قال منذ أربعة آلاف سنة وإلى الآن ما ذهبت عنى سكرة الموت ولا مرارتها :

[إخواني] ماهذه الغفلة وإلى البلى المصير ؟ وما هذا التواني والعمر قصير ، وإلى متى هذا التماهى في البطالة والتقصير ، وما هذا الكسل وقد أذكرك النذير ، خلفك والله عن باب الحبيب سوء التدبير ، فإلى متى تتبجح والناقد بصير :

هي النيات والقبور ثم إلى ربنا المصير والناس في غفلة نيام
أضغاث أحلامهم غرور والعمر عصى ولست تدري مثل سفين بنا تسير
ياتقن ماسر فهو حزن لا تحسى أنه سرور
تذكرى الموت واستعدى له فقد جاءك النذير

[إخواني] تذكروا القيامة فالأمر شديد ، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد ، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد ، وتأهبوا للموت فكأنكم به وقد أخذ الأحرار والعميد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أين أحبابكم الذين سلفوا ، أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا ، أين أرباب الأموال وما خلفوا ؟ ندموا على التفريط في ألبانهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) واعجبا كيف دعيت إلى الله فتوانيت ، وكلما دعتك للوعظ إلى الله أبييت وتماديت ، وكلّم نهارك مولاك عن غيك فما انتهيت ، يامن جسده حتى وقلبه ميت ، ستعين عند الحشرات والسكرات ما لا تريد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ياهذاكم أزعج الموت نفوسا من ديارها ، وكلّم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها ، وكلّم تقل إلى الحفائر أرواحا بذنوبها وأوزارها . وكلّم أذل في التراب خدودا بعد تضاريتها واحرارها . فابك ياهذا على نفسك قبل أن تبكي فلا يفيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فانتبه ياهذا فالدنيا أضغاث أحلام ، واعلم أنها دار فناء لا تصلح للمقام . ستفهم قولي بعد قليل من الأيام وما غاب عنك مسترا على النمام ، إذا انكشف الغطاء وتحقق الوعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ويحك أما علمت أنك رحل كل يوم مرحلة . أما علمت أنه يحصى عليك من أعمالك الخردلة ، وكلّم من مؤمل خانه في الحساب ما أمله ولم يبلغ من القاصد ما يريد (وجاءت

للمؤمن شكرا لله سبحانه
وتعالى ثم تسلم عليه الملائكة
الذين جاءوا بهدية صلاة
الصبح وهدية صلاة الظهر
وهدية صلاة العصر وهدية
صلاة المغرب وهدية صلاة
العشاء الأخيرة كذلك
فيجمع المؤمن الأطباق
والأواني إذا فرغت
ويسلمها للملائكة فتضحك

سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامضيها عمره في الخسران ، يامطقتا بهواه نور الايمان .
 متى تفيق من خمار الهوى أيها السكران ، أما أن لك الرجوع إلى الله أما أن ، كأنك قد أخذت بالأمان
 منه التقليد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يامعرضا عن الولي إلى متى هذا
 الإعراض ، ذهب شبابك وولي في طلب الأغراض ، أما علمت ويحك أن عمرك في انقراض وقواك
 كل ساعة في انتقاض ، فتزود لسفرك فالسفر والله بعيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
 منه تحيد) يامن يحضر مجالس الوعظ يحسده وقلبه في الأسباب ، يامن مضى أكثر عمره وماتاب ،
 يامن كسسته المعاصي ظلمة الحجاب ، يامن أغلق الهوى في وجهه من التقوى كل باب ، منح على نفسه
 وعدد فرما ينفعك النوح والتعديد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) أما علمت
 أن الموت لك بالمرصاد ، أما صاد غيرك ولك سيصطاد ، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد ، أما حذر
 غفلتك عنه في كل موطن وواد ، أما سمعت قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
 منه تحيد) فيامقبلا على ما يضره ومعرضا عما يفيد ، وياضيها عمره ، وهو يحصى عليه بريق وعتيد ،
 أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد ، أين التكبرون من كل جبار عنيد ؟ أما أخرجهم الموت
 من قصورهم ، وقطع جبل ألهام المديد ، أما أصبح منهم ذو الشدة والبأس في ظلمة الأرماس وحيد ،
 أما سمعوا قول الملك المجيد (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[كان وكان]

اغتم وجودك بجودك وازرع عسى تحصد غدا فالموت يأتي بغتة وليس عنه عييد
 من لك إذا ماملك من كان يهوى صحبتك وحزت لحذك وحدك مفلس غريب وحيد
 إن كنت يا صاح نائم يوم القيامة تتنبه إذا رأيت الخلائق في موقف التهديد
 يقل اقرأ كتابك كفى بنفسك شاهده وقد أتيت الموقف بسائق وشهيد
 فدع دموعك تجري قبل أن يقال لمن عصي ألم تكن قبل تدري أن الحساب شديد
 ترى الخلائق حيارى من هول ما قد شاهدوا وليس يعلم من هو منهم شقى وسعيد
 فمن أطاع الولي فذاك منه قد قرب ومن عصاه وخالف فذاك منه بعيد
 كل القلوب قد لانت لكن قلبك قد قسا كأن قلبك أضحي بين القلوب حديد
 ويحك فنبه قلبك واسمع كلاي واتعظ عسى قساوة قلبك تلين بالتشديد
 وإن تخف في قيامه من شؤم ذنبك والزلال فلذ بحياه الهادي وصاحب التأييد
 فهو النبي المشفع فيمن عصي من أمته في يوم يسجد وتظهر بدائع التحميد
 يقال ارفع رأسك واشفع تشفع ثم قل يسمع وعل تعطيني ما تشتهي وتريد
 صلى عليه وسلم رب السموات العلا ماسارت النوق تطلب قطع القلا والبيد
 اللهم كن لنا إذا أودعنا الأخاد ، وجفانا الأهل والعواد ، وتخلت عنا أهل الصفا والوداد ،
 ولم يبق إلا عفوك يا كريم يا جواد ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
 وصحبه وسلم .

المجلس الخمسون

في ذكر الصالحات الثابتات الصابرات من النساء

الحمد لله الذي تميز في ربوبيته أزلا وأبدا ، وتقدس في سرمدية فلم يزل فردا صمدا ، الذي

الملائكة وتقول له تحسبون
 أنفسكم في دار الدنيا
 تأكلون الهدايا وتردون
 الأواني إلى صاحب الهدية
 لأن صاحب الهدية في دار
 الدنيا مقل يحتاج إلى
 الذي بعث لكم فيه ، وهذه
 الأواني من عند الرب
 العظيم الغني الكريم الذي
 لا ينقص ملكه ولا تفنى

لا تدرك سرمدية أبدا ، ولا تحصى الأفكار لفردية عددا ، جل عن الأضداد والأنداد ، والصاحبة والأولاد (تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) فمن شبهه أو مثله فقد استحق عذابا رصدا . ومن ألد في وصفه فلن تجد له من دونه ملتحدا ، ومن نظر إلى ساحل بحر التوحيد بعين التشبيه والتجديد مات حسرة وكدا . ومن نظر بعين التنزيه والتحميد اطلع على غوامض الحقائق وحاز حكما وزبدا ، فالعارفون طاشوا في يبداء معرفته فعاشوا عيش السعداء . والخائفون ذابوا بنار قهر سطوته فماتوا موت الشهداء . والمحبون قد أدير عليهم راح الارتياح في زجاجات المناجاة فعاشوا عيشا رغدا . فلو رأيتهم وعليهم آثار القبول وقد كساهم التحول أثوابا جديدا . وسقاهم الدهول كأسا لا يستعذبون بعده موردا . فعونهم دامعة . وقلوبهم خاشعة . وأكبادهم تذوب كندا . أولئك قوم أراد بهم ربهم رشدا . نظروا إلى الدنيا بعين اليقين فعملوا أن الانسان لن يترك سدى . ففتحوا سمع اليقظة فسمعوا حادي الرحيل قد حدا . فخرجوا من ناديتهم وخرجوا على حاديتهم فإذا الدليل يناديتهم : (إن علينا للهدى) . فأول قدم في سلوكهم أن خلع على صلوكتهم خلعة شرفوا بها على ملوكهم فخرا وسوددا حصلوا الزاد للسفر وحشوا رواحل السهر فلما هبت عليهم نسائم السحر أدر كوا أربا ومقصدا :

قد لاح نور الهدى من حين وبدا وقد تغنى حمام المنحنى وشدا
وقد تعطر عرف البان حين سرى من الحمى ورأى المشتاق ما قصدا
فصارعى الله صبا هام من حرق ومغرما بات يقضى ليله سهدا
يدعو إلى الله والأبصار هاجعة عساه يمنح من إرشاده رشدا
من قد أطاع النبي الهاشمي ومن رأى سنا هديه الواضح حين بدا
هو البشير النذير المستضاء به من جود إحسانه عمّ الوجود ندى
صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس وما سار سار في الفلا وحدا

قوله عز وجل (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما : فالصالحات قانتات : أى مطيعات حافظات للغيب : أى لفروج غيبة الأزواج . وقيل حافظات لسرهم بما حفظ الله . والمرأة إذا حفظت فرجها وضانت نفسها لزوجها ابتغاء مرضاة الله وطالب ثوابه فقد وجبت لها الجنة والكرامة على الله عز وجل لقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) إلى قوله (أولئك في جنات مكرمون) .

[وروى] عن بعض الصالحين أنه رأى جارية في البادية وهى تمشى وتخرج ، وليس عندها ولا معها أحد ، فقال لها من أين أقبات ؟ فقالت من عند الحبيب . فقال وإلى أين ؟ قالت إلى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك في هذه البادية والفلاة ؟ فرفعت صوتها ونادت بأعلاه (يعلم ما يابح في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) ثم قالت يا بطل من استأنس بالله استوحش ممن سواه ، ومن طاب رضا صبر على قضاء :

يامؤنس الأبرار في خلواتها ياخير من حطت به التزال من ذاق حبك لم يزل متلهجا
أنت الحبيب وما سواك محال أنشأتني ورحمتني وسرتني أحسن فأنت الحسن المفضل
مالي سواك وأنت غاية مقصدي والكل أنت وما عداك ضلال
آنست قلبي يا حبسبي والمنى يامن له الإنعام والإفضال

[وعن عثمان الجرجاني] قال خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت في الطريق امرأة عليها جبة صوف وخمار من شعر وهى تمشى وتقول : لى وسيدى ما أبعد الطريق على من لم تكن

خزائنه وهو الذى يقول
للشيء كن فيكون وإن
هذه الأوائى والذى فيها
لكم لأنكم كنتم في دار
الدنيا ترفعون إلى الله في
كل يوم وليلة خمس صلوات
والآن خذوا لكم جزاء
من الله سبحانه وتعالى في
كل يوم وليلة خمس هدايا
ومن كان في الدنيا يرفع له

له دليلا ، وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا ، قال : فدنوت منها وسلمت عليها فردت على السلام ، وقالت : من أنت يرحمك الله ؟ فقلت عثمان الجرجاني . فقالت حيالك الله يا عثمان أين تريد ؟ قلت البصرة ، قالت وما تصنع فيها ؟ قلت حاجة لي فقالت يا عثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة يوجه بها إليك ولا يتعبك ؟ . قلت ليس بيني وبينه تلك المعرفة ، قالت يا عثمان وما الذي قطعك عن معرفته ؟ قلت كثرة الذنوب ، قالت بشئ والله ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب ، فلما سمعت منها ذلك بكيت وقلت أريد منك الدواء ؟ فقالت أعانك الله على طاعته وحبك عن معصيته ، فلما عازمت على الانصراف أخرجت من جيب دراهم كانت معي فقسمتها بيني وبينها . وقلت استعني بهذه على حالك ، فقالت من أين لك هذه الدراهم ؟ قالت أنا رجل أضعد إلى الجبل فأحطط منه خطبا وأحملة على عنقي وأبيع في أسواق المسلمين وأرتفق بشمنه ؟ قالت نعم الكسب الحلال أحل ما أكل الرء من مكسب يده لكن يا عثمان لو صححت معاملتي ذى الجلال ، واتكلت عليه حق الاتكال لكفأك مؤنة حمل الخطب من رؤوس الجبال . قالت فإذا لم يكن لي سبب فمن أين الطعام والمشرب ؟ قالت يا عثمان أتريد أن أريك كيف صححت مع سيدي عقد التوكل عليه ؟ قلت بلى ، فمدت يديها وهممت بشفتيها . فإذا يدها مملوءة دنائير ، ثم قالت خذ هذه يا عثمان ، فواقه ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان ، واعلم أنك لو أحيت مولاك لأغناك عن سائر الخلق وكفأك .

إلى الله عز وجل أكثر
من الفرائض والنوافل
يبعث له الحق أكثر من
خمس هدايا على قدر
ما يعمل ، يا حيي
خدم يخدم ، ومن زرع
حصد ، ومن خسر ندم ،
قالت الصحابة يا رسول الله
هل في الجنة ليل ونهار ؟
قال النبي صلى الله عليه وسلم

توكل على الله الكريم فانه	سيأتيك بالرزق الكفاف وبالجزل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه	سيكفيك أسباب الكريمة والنقل
ومن يتوكل في الأمور جميعها	على الله يحظى بالتبشير والفضل
ويلقي جميع الناس بالرحب والرضا	ويحنو على الجيران والصحب والأهل
فذاك الذي قد أذهب الله همه	وجازاه بالاحسان في القول والفعل
فله در القوم فازوا بقصدهم	من الله رب العرش في العقد والحل
إذا كان حقا راضيا بعذابهم	فذلك أحلى عندهم من جنى النحل
فسبحانه من عالم بصلاحهم	ومن خالق فرد ومن حاكم عدل

فله درهم من قوام ، قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ، بادبار النهار وإقبال الظلام ، ويحتشدون في خدمة الملك العلام ، فلا جرم جاء مدحهم في الكتاب العزيز البديع الأحكام . فقال تعالى في محم الآيات (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) قيل كان في البصرة جارية يقال لها أسماء العابدة ، وكانت ذات حسن بديع وقدر رفيع حسنة العينين حلوة اللسان ، وكان مولاهما ذائعة ويسار ، وسطوة وانتدار ، فمرت الجارية يوما بتجلس صالح المرءى وهو يعظ الناس فوقفت إلى جانب النساء تسمع وعظه وكان لموافقة الأقدار ، يتكلم في أهوال القيامة وصفة النار ، وما أعد الله فيها لأهلها من الأهوال والأنكال ، والسلاسل والأغلال ، فنظرت الجارية إلى الرجال والنساء وهم يتصارخون ويكون فرق قلبها وطاش عقلها ولها فأجرت الدموع وتزايد بها القلق والولوع ، فالتفت صالح المرءى إليها فرأى دموعها جارية فسأل عنها ، فقالوا هذه أسماء الجارية فالتفت إليها بوجهه وقصدها برشق سهام وعظه ، وناداه أيتها الصارخة برخيم صوتها أرى عليك خوفا من الآزفة كأنك عظيم جرمك عارفة ، وأنت من ذلك خائفة ، فقد اتعبت الحفاظ والكتابة سنين وسهرت في المعاصي حيناً بعد حين ، فكلم من فنى برخيم صوتك فضحيتي ، وبخسنتك وجمالك قد فتنيتي

وبعملك القبيح أسهرتني ، وعن طاعة ربه وصلاته شغلته ، فحفاظك بسوء فعلك يشهدون ، ومن قبيح آثامك يضجون ، فبادري بالتوبة قبل حلول الندم ، والخوف قبل زلة القدم ، وابكي على نفسك ومصابك ، لقد كانت السبحة والحراب أولى بك ، فقالت يا صالح إني كنت فيما مضى جاهلة غافلة ، وعن صلاح حالي ذاعلة ، ولم أعلم أن الأمر يكون هكذا ، بل كان سيدي يحب من الغناء واختلاف الألحان على طول المدى ، وإني نائية إلى الله عز وجل لم أنطق منها بشيء أبدا . فقال صالح : يا أسماء اعلمي أنه من رفع صوته بالغناء ، وأصر على معصية المولى كان مأواه نارا سوداء ، تذيب الأجسام والقوى وتورثه الدل والعناء ، فنادت يا صالح قد برح الحقا وذهب الباطل واختفى ، وجاء الحق وقرب الوفا ثم ذهبت إلى منزلها فلقيت غلاما كان مولاه ، فقالت له يا غلام أنت تعلم أنني كنت عليك مشقة فاكنتم عليّ أمري وخذي بي هذه وأعطني جبتك ولا تكشف لأحد سرى فخلعت ما كانت عليها ولبست جبة الغلام وقطعت شعرها ودخلت منزلا خفيا من منازل مولاه فصارَت تقوم الليل وتصوم النهار وتتضرع في الأسحار بالبكاء والاستغفار . هذا ومولاه يطوف عليها ألما كن وهو حزين على فراقها فلما خالطها الاصفرار والذبول واكتست أثواب النحول أقبلت إلى مولاه وقد أنحلت الصيام والقيام وأطفأ حسنها الوجد والغرام فسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها من أنت ؟ فقالت أنا سرور قلبك وراحة سرك وإليك ، أنا جارياتك أسماء . فقال لها وما الذي بلغ بك إلى هذا الحال ؟ قالت شؤم المعصية والخوف من جهنم وما فيها من الأهوال . فقال والله لئن لم ترجعي عن هذا الأمر وتلبسي ثيابك وتركي التشويه بنفسك لأوثقنك كتافا ولأذيقنك أنواع العذاب . فقالت ياسيدي إن ضربك يفتي وعذاب مولاي لا ينقطع ولا يفتي أبدا فاصنع ما شئت ، فلما سمع ذلك من مقالها أمر الغلمان فشدوا وثاقها وضربوها بالسوط ضربا شديدا فرفعت رأسها إلى السماء ونادت : يا عظيم العظماء ، يا من له الأسماء الحسنى ، ويا مولاي أغثنى وأجرني يا مجير الملوك ، ومنعت المكرويين في السر والنجوى ، فلما رفع السوط ليضربها خدرت يده وأحس بمن جذبه من ورائه فالتفت فلم ير أحدا ، وإذا بمناد يناديه يا عدو الله خل عن ولاية الله فخر مغشيا عليه ، والدم يسيل على يديه ، فقامت أسماء تمسح الدم عن يديه ، وتقول له يا مسكين عليك بطاعة مولاك وتب من ذنوبك وخطاياك ، فلما أفاق قال لها يا منيعة النفس ما ظننت أنك وصلت إلى هذه المنزلة فواقه لا خالفت لك طريقا ولا برحت لك ماعشت رفيقا ، ثم اتفقا على العبادة والطاعة ورضا من دينهما بالقناعة :

ليس في الجنة ظلمة أبدا
وإن العرش سقف الجنة
كما أن السماء سقف الدنيا
والعرش يتلأ لأنوارا وهو
مخلوق من نور أخضر ،
ومن نور أحمر ، ومن نور
أصفر ، ومن نور أبيض ؟
فمن ألوان نور العرش
انصفت الأنوار جميعها
بالأخضر والأصفر والأحمر

* لله در السادة العباد في كل كهف قد ثووا ووادي
ألوأهم تنبيك عن أحوالهم ودموعهم عن حرقه الأكباد
كتموا الضنى حفظا لهم وتحملوا سقم الهوى ومشقة الأجساد
هجرُوا المراقد في الظلام لربهم واستبدلوا سهرًا بطيب رقاد
ورأوا علامات الرحيل فبادروا تحصيل ما التمسوا من الأزواد
فإذا استأل قلوبهم داعي الهوى ذكرُوا البلى في ظلمة الأحقاد
نظروا إلى الدنيا تغرباً أهلها بوصالها وتكبر بالإجماد
فتجنّبوها عفة وترهدا واستهنوا بالأهل والأولاد
ومضوا على منهاج هبب فنبهم فنجوا غدا من هول يوم معاد

[إخواني] إذا كان النساء عمان لمن همّة كالرجال ، وقصدن باب ذي الجلال ، وظهر منهن

صالح الأعمال حتى حسنت منهن الأحوال ، وبلغن المقاصد والآمال ، فكيف حالك أيها البطال ،
المصر على قبائح الأفعال ، السوف بالتوبة بكثرة الإهمال . قال السري السقطي : أرقّت ليلة فلم
أستطع النعمض فيها . فقلت في نفسي : أخرج إلى المقابر لعل برؤية القبور والتفكير في البعث
والنشور ، يزول همي وغمي ، فخرجت إليها فوجدت قاي منشراحا إليها . فقلت أدخل الأسواق
لعل باختلاط الناس يزول غي الباس ، ففعلت ذلك فما انشرح قلبي هناك ؟ فقلت أدخل إلى
البيارستان وأنظر إلى المجانين وإلى أفعالهم لعل أعتبر بأحوالهم فدخلت إليه فوجدت قلبي مقبلا
عليه فقلت : إلهي وسيدي إلى ههنا سيرتني ولأجل منامي أيقظتني فتوديت في سري ما أتينا بك إلى
هذا المكان إلا ولنا فيه نأ وشان . قال السري فتقدمت إلى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة
اللون ويدها إلى عنقها مغולה ، وهي يذكر الله مشغولة ، فسمعتها تنشد وتقول :

أعيذك أن تغل يدي بغير جنابة سبقت تغل يدي إلى عنقي وما خانت ولا سرقت
وبين جوانحي كبد أحسن بها قد احترقت وحقق يامني قلبي يميناً برة صدقت
لئن قطعها قطعاً غراماً فيك مانطقت

قال السري فقلت للقيم على المجانين : ماهذه الجارية ؟ فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولايها
فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشأت تقول :

معشر الناس ما جننت ولكن أنا سكرانة وقاي صاحي قد غلّتم يدي ولم آت ذنباً
غير هتكي في حبه وافضاحي أنا مفتونة بحب حبيب لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحي الذي رأيتم فسادى وفسادى الذي رأيتم صلاحى

قال السري فلما سمعت كلامها أبكاني وأفلقني وأشجاني ، فلما رأيت دموعي تنحدر على وجهي
قالت ياسري هذا بكأوك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ؟ فقلت يا الله العجب من أين تعرفني
هذه الجارية ؟ ولم يكن بيني وبينها معرفة سابقة . فقالت ياسري ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ
خدمت ، ولا قطعت منذ وصلت ، ولا حجت منذ وقعت ، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً ثم
أنشأت تقول :

تحقق حق الحق في نور باطنى فأصبح قلبي للحبيب مصافيا
قدمت على وصف وصفت لسيدى وهل ينعت العبد الضعيف الواليا

فقلت يا جارية أراك للمحبة تذكرين ، وللوجد تظهري ، فلن تحبين ؟ فقالت لمن تعرف إلينا
بآلائه ، وتحب إلينا بنعمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ، فهو قريب إلى القلوب ، مفرج للكروب
حليم على من عصاه ، قال فقلت لها من حبسك في هذا المكان ، فقالت حاسدون ومبغضون تعاونوا
على ورموني بالجنون ، وهم أحق بهذا الاسم مني ثم أنشدت تقول :

يامن رأى وحشقى فأنسنى بالقرب من وصله فأنعشنى
ياساكني لاخلوت من سكنى دهرى وياعدنى على الزمن
أوحشنى ما فقدت منه فقد عاد باحسانه يقربنى *
وعاد أيضاً وجاد منعطفاً كذلك منذ كنت حين عودنى
حسبى من الكون من شغفت به أحببه مؤنسا وبصحبى
وكننت في غفلة فنهينى وكننت في رقدة فأيقظنى

فقلت لها ما الاسم ؟ فقالت دع الاسم عنك يكفيك فما سمعت يغنيك ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل

والأبيض في الدنيا
والآخرة والشمس فيها
قدر خردلة من نور
العرش ، ولكن علامة
الليل والنهار في الجنة إذا
مضى النهار وآتى الليل ترد
أبواب القصور وترخى
الستور ويختل المؤمن مع
الخور العين في الحدور مع
نساءهم الآدميات ، ومنهم

سيدها ، فقال للموكل بها أين تحفة ؟ فقال قد دخل عندها الشيخ السرى فكلما يكلام أضعت إليه
فدخل سيدها فرأى السرى عندها فظلمه وقبل يده ، وقال ياسيدى لقد رحمت ببركتك ، فقال
له السرى أى شئ أنكرته منها ؟ فقال ياسيدى هذه جارية تضرى بالعود فأعجبتنى فاشتريتها بجميع
مالى ، وهو عشرون ألف درهم لفرط حسننها وحسن ضريرها بالعود وأملت أنى أريح فيها مثل ثمنها
فدخلت عليها فى بعض الأيام والعود فى حجرها وهى تنفى وتنشد وتقول :

وحقك لا تنقض الدهر عهدا ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحي والقلب وجدا فكيف أقرأ وأسلو أو اهدا
فيامن ليس لى مولى سواه تراك رضىتنى فى الناس عبدا

فلما فرغت من غنائها بكت طويلا وضربت الدود فى الأرض فكسرتة وجعلت تهم وتصبح
وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا ، فقال لها السرى
باجارية أهكذا جرى ؟ فأنشأت تقول :

خاطبنى الحق من جناني فكان وعظى على لسانى قربنى منه بعد بعد
وخصى منه واصطفانى أجبت لما دعيت طوعا مليسا للذى دعانى
وخفت مما جئت قدما فوقع الحب بالأمانى

قال السرى لسيدها أطلقها وعلى ثمنها أنا أزنه لك فصاح سيدها وقال واقفاه من أين لك ثمن هذه
الجارية فقلت لا تعجل تكون فى هذا المكان حتى أزن لك ثمنها . قال السرى فضيت إلى منزلى وعيناي
تدرفان بالدموع وقلبي يسبها موجوع وبنت لياق أتضرع إلى الله عز وجل وأتوجه إليه وأتوكل فى
قضاء حاجتى عليه ، فلما كان وقت السحر إذا بقارع يقرع الباب فقلت من بالباب ؟ فقال حبيب من
الأحباب ، جاء فى سبب من الأسباب ، من عند الملك الوهاب ، ففتحت له الباب فإذا هو شاب حسن
الاثياب نقى الأثواب ، ومعه خادم وشعلة وخمس بدر على رأس جمال . فقلت من أنت يرحمك الله ؟ فقال
أنا أحمد بن المثنى قد أعطانى الجبار وما بخل على بالعطاء ورزقنى من الأموال ما يعجز عن حمله الرجال
فبينما أنا نائم إذ هتف بى هاتف من قبل الحق تعالى . فقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا ؟ فقلت وقد
زال النوم عنى : ومن أولى بذلك منى ؟ فقال احملى إلى الشيخ السرى خمس بدر يعطيكها
لمولى تحفة ليفك أسرها من الرق ، وتحظى منا بالعق ، فلما بها عناية ، ولطف ورعاية ، فخلت إليك
المال وأطلعتك على الحال ، قال السرى فسجدت شكرا لله عز وجل ، فلما صلينا الصبح وأضاء النهار
أخذت بيد أحمد ومضينا إلى البيمارستان ، وإذا للموكل بها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآنى ، قال مرحبا بك
ادخل إليها فإنها عليك لهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة ، فانه البارحة أتانى هاتف وقال لى :

إنها منى بيمال ليس تخلو عن نوالى قربت ثم تسامت وعلت فى كل حال
فالتفت وحفظت ما قاله الهاتف ، وكررت حتى رأيتكم . قال فدخلنا عليها فسمعنا
تنشد وتقول :

قد تصبرت إلى أن عيل فى حبك صبرى قد كتبت الوجد لىكن
ليس يخفى عنك أمرى ضاق من قيدي وغلى وامتهان فيك صبرى
إن تكن عني راض لا أبالى طول دهرى أنت لى خير أنيس
يامنى سؤلى وذخرى من ترى يعتق رقى ويفك اليوم أسرى
غيرك اللهم ربى أنت لى كاشف ضرى

من يغتلى بعشادة الملك
الغفور . فإذا طلع النهار
تفتح أبواب القصور ،
وترفع الستور ، وتسبح
الطيور ، وتسلم عليهم
اللائكة وتأتيهم بالهدايا
بأمر الحق سبحانه وتعالى
كما ذكرنا وأولادهم
وأخواتهم وأقاربهم
يزورونهم ، فيأويل من

قال السرى فيينا هي تنشد إذ أقبل مولاها ، وهو يبكي وينتحب فقلت له لا بأس عليك
قد أتيناك بمالك الذى وزنته فى الجارية وتربع خمسة آلاف درهم . فقال لا والله ، فقلت تربع
عشرة ، فقال لا والله ، فقلت تربع المثل . فقال لا والله ولوأعطيتنى الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيئا
هى حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له أخبرنى ما الخبر ؟ فقال يأستاذ أنانى آت البارحة فى المنام فوجئنى
فى الملام ، وأغلظ على فى الكلام ، وقال تهين ولىة الله يا عدو الله فانتبهت مرعوبا مذعورا قد هانت
على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه وأنا هارب إلى ربى . ثم بكى وخرج على وجهه هائما .
قال السرى فالتفت إلى ابن اللثى فرأيت يبكى وينتحب ودعوه تجرى على وجنتيه ، وقد ظهرت
آثار القبول عليه . فقلت له ما يبكيك ؟ ، فقال مريضنى مولاى لما ندبني اليه ولا وجدت لمالى قبولا
بين يديه ، أشهدك أنى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله البديع والجلاله الرفيع ، فقلت ما كان
أعظم بركات تحفة على الجميع . ثم قامت تحفة فزعت ماعليها ولبست جبة صوف وخمارا من شعر
وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهى تنشد وتقول :

هربت منه إليه بكيت منه عليه وحقه وهو مولى لازلت بين يديه
حق أنال وأحظى ما أرتجيه لديه
فمازلنا تتبعها حتى خرجت إلى ظاهر المدينة وهى تنشد وتقول :

ياسرور السرور أنت سرورى يا حياة النفوس أنت حبورى
أنت نارى وجنتى ونعيمى وأنيسى وأنت نور النور
كم ترى يصير المحب على البعد وكم يابث الهوى فى الصدور

قال السرى : ثم مضت حتى غابت عنا . ثم أتى مولاها وحجبنى ، وكذلك ابن اللثى برهة من
الزمان إلى أن توفى سيدها وقضى نحبسه وبقيت أنا وابن اللثى فعزما على الحج إلى بيت الله الحرام
فبينما نحن نطوف بالكعبة ، وإذا بصوت مقرح من كبد مجروح ، وهو يشد ويقول :
قد تهتكت بحبك كيف لي منك بقربك فترفق بفؤاد يشتكى شدة بهدك
خبت يا نفس إذا آخذك الله بذنبيك فسل العفو جهرا والرضا من عند ربك
قال السرى ، فاتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال . فلما رأيته قالت : السلام
عليك ياسرى ، فقلت وعايك السلام من أنت ؟ فقالت : لا إله إلا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنت
إلى الآن محجوب وقابك غير مسلوب . ثم قالت : أنا تحفة . فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد
انفرادك عن الخلق ؟ فقالت :

أفادنى كل اللثى وخص قاي بالغنى وقد أزال سيدي عن باطنى ثقل العنا
إن لم يداركنى بما أرجو وإلا من أنا

فلما فرغت من إنشادها بكيت وانتحبت وهاجت واضطربت . ثم رفعت رأسها وقالت سيدي
ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى ، وخاب من كان حظه الطرد والشقا ، فأسألك ياسيدي
إلا ما قربت الوصل واللقاء ، فقد تولت عليك فخذنى إليك فلا حاجة لى فى البقا . ثم صرخت ووقعت
على الأرض فركناها فإذا هى ميتة فنظر إليها أحمد بن اللثى فطار قلبه وحار له . ثم بكى وانتحب
واهتز واضطرب وصعد الزفرات ، وأظهر الحشرات . ثم صرخ ووقع على الأرض فحركته فإذا به
قد مات . قال السرى فجهرت بهما وصليت عليهما ودفنتهما ورجعت ، وقد عجبت من حالهما وقرب
آجالهما ، رحمة الله عليهما :

دخل النار والجحيم ،
وحرم من هذا النعيم
المقيم ، وإذا أراد المؤمن
أن يرى صاحبه يمضى به
السرى الذى هو أسرع
من البرق الخاطف ،
وإذا خطر لآخر أن يرى
صاحبه مشى سريه
كالفرس الجواد فيلتقيان
فى ميادين الجنة فيتحدثان

لله رجال قد صبروا وبسعدهم سبق القدر قاموا لله بأمر الله
 ولولا الله لما قدروا كسروا بالذل نفوسهم جبروا والله وما كسروا
 بحديثهم وبذكرهم للسك يفوح وينتشر وبقاع الأرض لفقد هو
 تبكي فريق لها الحجر ناحوا أسفا صاحوا لهفا باحوا وبجهم اشتروا
 رفوا تضوا وشكوا غصصا ورسول القوم بها السحر لو تسمع فرط أنينهم
 في ليلهم لما اعتذروا صدقوا والله بما وعدوا ووفوا والله بما نذروا

جادوا بالروح فما أبقوا وكذا بالمال فلم يذروا

نظروا ذهبا وعحق لهم من مثلهم وبه ظفروا

فله درهم من أقوام امتثلوا ما به أمروا ، ونظروا إلى الوجود بعين الاعتبار وتفكروا ،
 وتذكروا ما فعلوا من الزلل فتدبروا ، واعتبروا فأبصروا ، فهم الذين بمحبوبهم اتصلوا . وعلى
 مطلوبهم حصلوا :

على أبوابكم عبد ذليل قليل الصبر ناصره قليل له أسف على ما كان منه
 وحزن من صدودكم طويل يمد إليكم كفاف افتقار ودمع العين من أسف يسيل
 يرى الأحباب قد وردوا جميعا وليس له إلى ورد سيل وكيف يضام جاركو وأتم
 كرام لا يضام لكم زيل فان يرضيكم وطردي وبعدي فصبري في محبتكم جميل
 وحق ولاتكم وشديد شوق سلوتي عن هواكم مستحيل قطعت بحكم أيام عمرى
 فلا أسلو وقد بقى القليل يحدثنى الصبا عنكم حديثا يصح بنشره الجسم العليل
 فأسكر من شذاها حين هبت وأنظر حينما مالت أميل وتروى عن شفيع الخلق طرا
 حديثا فيه للمضى دليل هو المختار من كل البرايا هو الهادى البشير هو الرسول
 عليه من المهيم كل وقت صلاة دائما فيها القبول

وصلاة الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

المجلس الحادى والخمسون

في ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأوسع مما تقدم

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، اللز
 في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود ، المقدس في ذاته عن الصاحبة والمصحب والولد والولود
 العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود ، البصير بحركات النور في البحر والبر تحت
 ظلام حنادس الليالى السود . الحكيم الذى فجر الأنهار من صم الجدود ، وأخرج رطب الثمار
 من يابس العود ، لآتمشله الأفكار ولا تحويه الأقطار ، ولا ينهيه القسار ، ولا تنفيه الأعصار ،
 ولا تدركه الأبصار ، وهو الواحد المعبود ، المعطى الذى لا مانع لما أعطى ، ولا دافع لما قضى ،
 الكريم الذى جاد لعبده ، يجزل رفده وثوابه ، وكمر آراه عن بابه معرضا ، الحليم الذى يستر
 العاصي برحمته ، وقد رآه لمصيته متعرضا ، الغفار الذى يغفر الذنوب ، ويستر العيوب ويعفو
 عما مضى ، القهار الذى قهر الجبابرة ، وكسر الأكاسرة ، وضرب بسهم بعاده من سل سيف
 عناده وانفضى ، حير الأفكار في مدارك سبجات جماله العظيم ، وأذهل العقول عن الوصول إلى
 أصول كنه جلالة القديم ، وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سر أنعاله بعد الفصاحة والتكليم ،

ويتفرج في تلك البساتين
 ثم يرجع كل واحد منها
 إلى مكانه وإلى قصره
 ولكل قصر غرف مشرفة
 لكل غرفة سبعون بابا
 لكل باب مصراعان من
 الذهب على كل باب شجرة
 ساقها من المرجان الأحمر
 فيها سبعون ألف غصن يحمل
 كل غصن سبعين ألف لؤلؤة
 بعضها مثل البيض وبعضها

وأدعش الخواطر عن الإحاطة به فلا يرام بالتوهم ، فهو القديم الماجد ، الكريم الواحد ، المنزه
عن الولد والوالد ، القدس عن المشارك والمساعد ، المتعالى عن المشابه والمائل ، والمضاد والمعاذ ،
المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد ، الذى أسبل ستره الجميل على عبده الدليل ، العاصى
وهو ناظر إليه ومشاهد ، فهو المعروف بالربوبية ، الموصوف بالإلهية ، المنفرد بحقيقة الوجدانية ،
تنزه عن الأوهام الخيالية ، وتميز في بقائه عن الفناء والثلثية عالم بكل خفية وجلية ، حارت العقول
في عظمتها فما عرفت له أيدية ، وكلت الأفكار عن إحصار صمديته فلا يعرف بالعلوم العقلية ، تعالى
عن المائل والمناسب وجل عن المشارك والمصاحب يقبل التائب ويحب الآيب ، وليس على بابه بواب
ولاحجاب ، من أمل سواه ، فهو الشقى الخائب ، ومن أناع يباب كرمه ظفر بنيل المآرب ، ومن
ذاق حلاوة أنسه رأى العجائب والغرائب ، ومن أعرض عمن سواه رفعه ورقاه الى أرفع المراتب
يزيل الضرر ، ويتجلى في وقت السحر ، وينادى : هل من مستغفر ، هل من تائب ، ويستعرض
حوائج السائلين ، ويجود على التائبين بخارج الجود والمواهب :

إله جلّ عن شبه ومثل وعن نديعد وعن صاحب تفرد في علاه فلا شريك
ينازعه عليه ولا محارب تحجب حيث شاء فلا يدانى وجلّ عن المائل والمناسب
تجلى للقلوب فليس يخفى وهل يخفى الحبيب على الحجاب

فسبحانه من إله شهدت بوحدانيته السموات وما فيها من العجائب ، وأفرّت ربوبيته
الأرضون في مشارقها والغارب ، واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه المبعوث بالدين الواصب
للموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب ، الذى شرف الله به الوجود ، وكل به السعود ، وبلغه
أسمى المراتب ، أوجده في مثل هذا الشهر الشريف . وأخرجه مطهرا سالما من جميع المعاييب ، خدمت
لولادته النيران ، وخرت لمبعثه الأوثان ، وارتج إبوان كسرى ورمى بالخن والمصاب ، ومنعت
الشياطين من الصعود الى السما ، وصمت آذانهم عن خطاب العلا (لا يسمعون الى الملأ الأعلى ،
ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصل) فهو النبي الكريم والرسول العظيم المزل
عليه في الآيات والذكر الحكيم (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) نبي استخرجه الله من
عنصر لؤى بن غالب ، وفضله على أهل المشرق والغارب ، سمعه يسمع صرير القلم ، بصره الى
السبع الطباق ثاقب ، لسانه مانطق بالهوى ، ولا يحدث قط بحديث كاذب ، يدها بركاتها في المطاعم
والمشارب ، قلبه لا يغفل ولا ينام ، ولكن للخدمة على الدوام مراقب ، قدمه قبلها البعير فزال عنه
ماشكاه من المخاوف والمعايب ، آمن به الضبّ وسلمت عليه الأشجار ، وخطبته الأحجار وحنّ
إليه الجنح حنين حزين نادب :

حداة العيس رفقا بالنجائب فقلبي سار في إثر الركائب وجسمي ذاب من سقم ووجد
ومن شوق إلى لقاء الحباب فهل لي من سبيل للتلاقي قدمي قد غدا مثل السحاب
لئن سمح الزمان بطيب وصل وبلغت المقاصد والمآرب لألتعن هذا الترب جهرا
وأرويه بأدمعي السواكب وأحظى بالعقيق وساكنيه ومن قد حلّ في تلك المضارب
قباب قد حوت بدرا منيرا إذا ماماس في تلك الدوائب تخرّ له بدور الحسن طوعا
سجودا في المشرق والغارب فقل ماشئت عمن ليس تحصى فضائله يحصر أو يكاتب

فمن ذا يستطيع له انحصارا
عليه من المهين كل وقت
وخص الآل والاصحاب جهرا
جميعهم وعسترته الأطياب

مثل الحصص وبعضها أصغر
من ذلك ، فان شاءوا
أخذوا من الكبار ، وإن
شاءوا أخذوا من الصغار ،
ولا يأخذون لؤلؤة إلا بنت
مكانها لؤلؤتان ، وشجرة
تحمل زمرذا ، وشجرة
تحمل ياقوتا ، فمهما
أرادوا أخذوا ولبسوا
وفوق تلك الأشجار

[روى] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وذكر أبو محمد المسكي ، وأبو الليث السمرقندي رحمهما الله : أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ، وتقبل توبتي . فقال له الحق جل جلاله : من أين عرفت محمدا ؟ قال إلهي لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا منه عندك . فتوسلت إليك به . فلما دعا آدم تاب الله عليه وغفر له بركة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

دمعي على وجنتي من أجلكم يسفح وناظري لسواكم قط ما يطمح

إن كنت أذنبت من لي غيركم يصفح فالصلح عند اللقاء بعد الجفا أصلح

ثم إن الله تعالى أودع نور محمد صلى الله عليه وسلم في ظهر آدم وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته ، ثم عرفه قدر ما أودعه من السر . ثم قال له يا آدم تطهر وسبح وقُدّس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها فاني مخرج منك نورى ، ففعل آدم ما أمره به ربه فنقل الله نور محمد صلى الله عليه وسلم إلى حواء وكان ذلك ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من رجب فكان يرى في وجه حواء دارة كدارة الشمس ، فلما وضعت شيئا عليه السلام انتقل النور إلى جبينه ، فلما كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ عليه آدم العهد والميثاق أن لا يضع هذا السر إلا في المظهرات من النساء ، ليصل إلى المظهرين من الرجال ، فما زالت تلك الأنوار تنقل من أصلاب الأخيار إلى المحصنات من النساء الأطهار وتدنو وتقرب إلى أن وصلت إلى عبد الله بن عبد المطلب :

ما زال نور محمد متنقلا في الطيبين الطاهرين ذوى العلا

حق لعبد الله جاء مطهرا وبوجه آمنة بدا متهللا

ولما انتقل النور إلى آمنة ، أمنت به من المخاوف الكامنة ، ظهرت لانتقال نوره الآيات ، تباشرت بقدمه جميع المخلوقات ، نودى في جميع أقطار الأرض والسموات ، ياعرش تبرقع بالوقار ، يا كرسى تدرع بالخازر ، ياسدرة المنتهى ابتهجي ، ويأ أنوار المهابة تبلجي ، يا جنان تزخرفي ، يا حور من القصور أشرفي ، يامعشر الملائكة تمنطقى واصططفى بالعرش حفي ، يارضوان افتح أبواب الجنان ، يامالك أغلق أبواب النيران ، فان النور الخزون والسر المكنون الذى هو فى خزائن قدرتي من الأزل ، فى هذه الليلة الى بطن آمنة قد انتقل ، ظهر عند ذلك صفاء يقينها ، انطوت الأحشاء على جنينها . فأول شهر من شهور حملها تزلزل قصر كسرى . الشهر الثانى امتلات الأكوام بالبشرى . الشهر الثالث غاضت بحيرة ساوه . الشهر الرابع انقطع وادى ساوه . الشهر الخامس وقفت بحيرة طبرية . الشهر السادس مات أبوه عبد الله للأسرار الخفية . الشهر السابع خمدت النيران . الشهر الثامن انشق الايوان ، وذل كسرى وهان . الشهر التاسع سقط عن رأس كسرى التاج ، وعظم كربيه وهاج ، فسأل عن ذلك الكهان والرهبان . فقيل له قد آن مولد سيد ولد عدنان ، وهو نبي آخر الزمان ، المبعوث بالدليل والبرهان ، المنعوت فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، الذى يظهر دينه على سائر الأديان :

شهر ربيع فاق كل الزمان إذ جاءنا فيه الهدى والأمان لأن فيه مولد المصطفى

الحجبي الهادي لطرق البيان محمد المبعوث من هاشم إلى جميع الخلق إنس وجان

صلى عليه الله رب العلا ماسار كعب منه يطلب أمان

طيور خضر كل طير بقدر
الناقة يسبح الله تعالى على
تلك الأغصان ويقول
يا ولي الله أكلت من ثمار
الجنة وشربت من أنهارها
فكل منى فيقع على المائدة
بقدره الله تعالى بعضه
مشوى وبعضه مقلّى
وبعضه مطبوخ بخلو وبعضه
مطبوخ بخاض على ألوان

[وقال ابن زيد] ولدرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، فابتهجت الأكوان لتقدم هذا النبي الجليل . ففي أول ليلة منه حصل لآمنة السرور والمهنا ، وفي الليلة الثانية بشرت بنيل النى ، وفي الليلة الثالثة قيل لها قد حملت بمن يقوم بحمدنا وشكرنا ، وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنا ، وفي الليلة الخامسة رأت في منامها الحليل وقال لها أبشرى بهذا النبي الجليل صاحب النور والسنا ، وفي الليلة السادسة دام السرور والفرح وما قر ولا ونى ، وفي الليلة السابعة سطع نور الرضا وعم ذلك الفنا ، وفي الليلة الثامنة طافت الملائكة بيت آمنة لما قرب وضعها ودنا ، وفي الليلة التاسعة بدا سعدا والغنى ، وفي الليلة العاشرة زال عنها التعب والنصب والعنا ، وفي الليلة الحادية عشرة وضعت الحبيب المصطفى ، فأشرق البيت وصفا ، وزال عنها الشك وانتفى ، وابتهجت الروة والصفاء . وخر عند وضعها ساجدا للعلی الأعلى ، رافعا أصبعه إلى السماء كالمضرع المبتهل لمولاه ، وفاح في السكون عطره وشذاه ، ضجت للملائكة بالتكبير والتهليل وأشرق السكون بنور وجهه الجليل . قالت آمنة : ورأيت سحابة بيضاء قد نزلت من السماء فغيبته عنى ، وسمعت قائلا يقول : طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها ، ومروا به على أهل البحار كلها ، وعلى الوحوش في فلاتها ، والجن في خلواتها ، واعرضوه على كل روحاني ليعرفوه باسمه وصفته ، وطوفوا به على موالد الأنبياء لتعهم آثار بركته . قالت آمنة : ثم تجلت عنه السحابة فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض وتحت حريرة خضراء ، تسارع إلى خدمته ثلاثة أنفس : مع أحدهم طشت من ذهب أحمر ، ومع الثاني إبريق من الجوهر ، ومع الثالث منديل من سندس أخضر ؛ فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من المنديل خاتم التصديق ، ختموا به على ظهر النبي الشفيق ، فتم بذلك سعده والتوفيق ، وقائل يقول : خذوه عن أعين الناظرين ، وأعطوه صفوة آدم ، ومعرفة شيث ، ورقة نوح ، وخلة إبراهيم ، واستسلام إسماعيل ، وصبر أيوب ، وحلم يعقوب وجمال يوسف ، وصوت داود وأمر سليمان ، وحكمة لقمان ، وقوة موسى ، وزهد يحيى ، وبشر عيسى ، وأغمره في أخلاق النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . فسبحان من جعل هذا النبي الكريم سلطان الأنبياء ، ونشر له ذكرا ، ورفع له قدرا ، خمدت لولادته النيران ، وأضاءت قصور بصرى وخرت الأصنام له والأوثان وأرتج إيوان كسرى ، فهو صاحب الشفاعة الكبرى ، وبه شرف الله الوجود وجعله رحمة لكل موجود دنيا وأخرى :

مختلفة فإكل منها
الؤمنون والمؤمنات
والحور العين حتى تبقى
عظامه ، ثم يعود كما كان
بقدره الله عز وجل
ويقعد ذلك الطير على
العصن يسبح الله تعالى ،
وتلك الحلال تشتاق إلى
أولياء الله سبحانه وتعالى
حتى يلبسونها ، وإن الفصور

لشهر ربيع آية لم تزل كبرى
تبدى ونور الحسن فوق جبينه
وأظهر جبريل البشارة معلنا
وقد وضعت أمه وهو ساجد
فكم ملك من حول منزل أمه
وطاف به جبريل شرقا ومغربا
وزفوه والأملاك قد أهدت به
فياليت كل الدهر عندى مولد
به أطلع الرحمن في ليله بدرا
فنور منه الأرض والسهل والوعرا
يقول لأهل الأرض جاءكم البشرى
وقدملا الأكوان من نشره عطرا
يعظمه سرا ويشكره جهرا
بخير فيه العقل والذهن والفكرا
وقد ملثوا برأ كما ملثوا بحرا
لخير الورى والخلق أجمعهم طرا

[وعن أنس بن مالك رضى الله عنه] قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس ، وأجود الناس ، وأحلم الناس ، وأكرم الناس ، وأزهد الناس ، وأفصح الناس ،

وأكثر الناس تواضعا ، وأصحهم إيمانا ، وأكثرهم إنصافا ، وأوسعهم صدرا ، يشكركم سيرا ، ويرحم أسيرا ، ويوقر كبرا ، ويبدى بشرا وسرورا ، ويصوم هجيرا ، ويقوم ديجورا ، وناداه العلى الأعلى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) :

أهدى النسيم إلى الوجود عبيرا لما أتانا بالنذير بشيرا وافى بمولد أحمد الهادي الذي أهدى إلينا فرحة وسرورا لما بدا وجه النبي تهلت كل البقاع وقد نطقن شكورا

وانشق إيوان وغاضت ساوة وانكف كسرى في الأنام كسيرا

وتساقط الأصنام عند ولاده وتساعد الكهان منه زفيرا

خمدت له نار المحوس تذلا وغدا به صوب القمام مطيرا

كم آية في حملة ظهرت فما تخفى وزادت في الزمان ظهورا

ورأته آمنة يسبح ساجدا عند الولاد إلى السماء مشيرا

قالت رأيت عجائبا في وضعه ويظل فيها ذو الحساب حسيरा آيات أحمد لا تحدر لواصف

ولو أنه أملى وعاش دهورا بشرا كمو يائمة المختار في يوم القيامة جنة وحريرا

فضلتمو حقا بأشرف مرسل خير البرية باديا وحضورا

صلى عليه الله ربى دائما مادامت الدنيا وزاد كثيرا

[إخواني] لما ولد المصطفى راق العيش وصفا ، وزهق الباطل واختفى ، وظهر مصباح الإيمان

وما انطفا ، وهب نسيم مولده في جميع الأقطار فاكنت من نوره عزّا وشرفا ، فلما هب بأرض

فارس أطفأ النيران . فأول من نشقه سلمان ، فجاء مسرعا إلى الإيمان يقطع المراحل والكتبان ، حتى

فاز برؤية سيد الأكوان ، وأقر بالوحداية للرحمن ، وأدرك من المختار ما معنى ، وماخاب سعيه

ولا تعنى ، وفاز من المصطفى بقوله صلى الله عليه وسلم «سلمان منا» .

سواك في الكون لا يسمى ولا يكتفى لما تجلى لقلبي حسنك الأسنى

من هند من دعد من علوى ومن لبى الكل عنك رووا يا كامل المعنى

ولما هب ذلك النسيم بأرض الروم ، نشقه المزكوم ، ورحمه المرحوم . فأول من نشقه بلا شك

ولاربيب ، سيد أهل الروم صهيب ، فجاء منقاد الزمام إلى الإسلام ، وفاز برؤية خير الأنام ، ونال

بصحبه كل القصد والمرام :

ما أومض بارق وما فاح خزام إلا وهاج لى إلى الحب غرام

يانسمة حيهم خذنى لى خبرا قالت لى قد أتيت منهم بسلام

ولما هب ذلك النسيم بأرض اليمن أول من نشقه أويس القرنى في السر والعلن ، فبذل نفسه

للمصطفى من غير ثمن ، وآمن به على بعد الوطن ، وأثنى عليه الرسول المؤتمن ، بقوله عليه السلام «إنى

لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» وما كفاه هذا الوصف الحسن حتى خرج له المنشور بياوغ الوطر

بقول المصطفى سيد البشر لعمر رضى الله عنه «يا عمر إذا رأيت أويسا فسلم عليه واطلب منه أن

يستغفر لك فإنه يشفع في مثل ربعة ومضر» :

هذه نسمة حب من سحق المسك أعطر مالزكوم هواها من شذاها قط مخبر

أنا مجنون هواه واله فيه محير أنا عبد لحبيب هو فى العبد مخبر

دائما أرجو لقاء فعى بالوصل أظفر هكذا قد قال حقا سيد الكون وبشر

كل من يهوى حيا فمع المحبوب يحشر

والحجر كلها صناعة من

يقول لشيء كن فيكون

ليس فيها قطع ولا وصل

فيدخل المؤمن ويتفرج

فيها ويسكن فيها سبعين

عاما وهو يتنعم ويتفرج

من قصر إلى قصر ومن

بستان إلى بستان، وخيول

الفرديس ياقوت أحمر

سروجها زمرد أخضر

ولما هب ذلك النسيم على بلاد الحبشة وجال ، فأول من نشقه بلال ، فجذبه عناية التوفيق بالتصديق إلى الإيمان فأعلن بالأذان وصار شاويشا لدين الإسلام ، ونشر للمصطفى الرايات والأعلام ، فخسه النبي التهامي بالمدح السامي بأن قال يا بلال : أنت تنشر بالذكرا أعلامي وترفع به قدرى ومقامى فلاجل ذلك مادخات الجنة إلا وسمعت خشختك قدامى :

عبد دعاه لقربه مولا جهرا فباح بسر ما أولاه لاغرو أن خلع العذار ممزقا
أطماره فرحا بما آتاه إن الحب إذا دعى لوصال من يهوى ويأبى كذبت دعواه
قف وقفة العبد الدليل عساه أن يرضى ويرفع حجبته لتراه وإذا سئلت وقيل من هذا الذى
يشكو على أبوابنا بلواه فقل الفقير المستجير بعفوكم يرجو رضاكم كي يناله مناه
[إخوانى] سبقت العناية للعبد الحبشى ، وغابت الشقاوة على العم القرشى ، واستنشق صهيب
بالروم ريح العرفة ، فراح سائحا فى القفار هائما بحب المختار ، وهبت نسبات القبول والإيمان على
سلمان ، فهجر الأهل والأوطان ، وجاء من فارس لرؤية سيد الأكوان ، وسبق لأويس وصفه
الحسن بقول الصادق المؤمن : إني « لأجد نفس الرحمن من قبل العين » وينشد مفردا :

ذمّ للنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

ولما مرّ باليمن ذاك النسيم الغامر نشقه عامر ، فاهتدى إلى الإسلام بعد عبادة الأصنام ، وفاز
بتقبيل أقدام سيد الأنام ، ومات على محبته موت الكرام ، وقصته تحير العقول والأفهام . وذلك أن
عامرا كان يعبد صنما من الأصنام ، وكانت له ابنة مبتلاة بالفالج والجذام ، وكانت مقعدة لاستطيع
النهوض ولا القيام ، وكان عامر ينصب الصنم ويضع ابنته أمامه ودية قول له : هذه ابنتى سقيمة فداوها ،
وإن كان عندك لها شفاء فاشفها من بلائها وعافها ، وأقام على ذلك سنين وهو لا يطلب لها من الصنم
حاجة فيقضيها ، فلما هبت عليه نسبات العناية بالتوفيق والمهذبة : إلى متى نعبده هذا
الحجر الأصم الأكم الذى لا ينطق ولا يتكلم وما أظنه على دين أقوم ؟ فقالت له زوجته : اسلك بنا سبيلا
عسى نرى إلى الحق دليلا ، فلا بد لهذه الغارب والمشارق من إله خالق ، فبينما هو على سطح داره
معتكف على صنم اغتراره إذا شاهد نورا قد طبق الآفاق وملا الوجود بالضياء والإشراق ، ثم كشف
الله عن عين بصيرته لينتبه من نوم غفلته ، فرأى للملائكة قد اصطفت وباليات قد حفت ، ورأى الجبال
ساجدة والأرض هامدة والأشجار قد تمايلت والأفراح قد تكاملت ، وسمع مناديا ينادى : قد ولد النبي
المهادى . ثم أتى إلى الصنم فإذا هو منكوس وقد علت الذلة ووافت إليه العكوس . فقال لزوجته :
ما الخبر ؟ ثم حدى إلى الصنم بالنظر فسمعه يقول : ألا إن النبا العظيم قد ظهر ، وولد من تشرف به
الكون وافخر ، وهو النبي المنتظر الذى يخاطبه الحجر والشجر ، وينشق له القمر ، وهو سيد ربعة
ومضر . فقال لزوجته : أسمع من ما يقول هذا الحجر ؟ فقالت له سلمه ما اسم هذا المولود الذى شرف الله
به الوجود ؟ فقال أيها المهاتف المتكلم على لسان هذا الحجر الجلود بالذى أنطقك كما أنطق الجلود
فى اليوم المشهود ما اسم هذا المولود ؟ فقال : محمد المصطفى ابن زهزم والصفاء ، أرضه تهامة ، بين
كفنيه علامة ، تظله من الهجير غمامة . فقال لزوجته أخرجى فى طلبه لنهتدى إلى الحق بسببه وكانت
ابنته السقيمة فى أسفل دار مقيمة ، فلم يشعر إلا وهى معهما على سطح الدار قائمة . فقال لها يا بنية وأين
أملك الذى كنت تجدينه وسقمك الذى كنت تكايدينه ، وسهرك الذى كنت تواصلينه ؟ فقالت يا أبت
بينما أنا نائمة فى طيب أحلامي إذ رأيت نورا أمامى وشخصا قد أتانى . فقلت ما هذا النور الذى أراه

لها جناحان من ذهب
فخذاها من فضة ولها يدان
ورجلان ، فتقول اركبني
ياولى الله إن أراد أن تمشى
مشت وإن أراد أن تطير
طارت ، وفيها نوق وهيجان
كذلك ، فيركب المؤمن
على واحدة من تلك الخيول
فتفتخر على الباقي ويركب
معه من أراد من نسائه

والشخص الذي أشرق على نوره وسناه ؟ فقيل لي : هذا نور سيد ولد عدنان الذي تعطرت بمولده
الأكوان . قلت أخبرني عن اسمه ؟ فقال اسمه محمد وأحمد ، رحم العاني ويعفو عن الجاني ، فقلت فما
دينه ؟ قال حنيف رباني . قلت فما نسبه ؟ قال قرشي عدناني . قلت فمن يعبد ؟ قال المهيمن الوجداني ،
قلت فمن أنت أيها المخاطب الروحاني ؟ قال أنا من الملائكة الذين بشروا بحاله الداني . قلت فما شاهد
مأنا فيه من الألم وتراني ؟ قال توسلى بحاجه فقد قال ربه القريب الداني : قد أودعته سرى وبرهاني .
فلأجيبن من به دعائي ، ولأشفعنه يوم القيامة فيمن عصاني ، فمددت يدي وبناني ، ودعوت الله بحاجه
كما بصرتني وهداني ، ثم مررت يدي على جسدي وجسماني . فاستيقظت وأنا صحيحة كما تراني :

لما دعوت بحاجه رب العلا سمع الدعا مني به وشفاني وعلمت أني قد شفيت بنوره
لما تبدي سيد الأكوان وبحاجه قد زال عني كل ما أشكوه من ألم ومن أحزان
فقال عامر لزوجته : إن لهذا المولود لسرا ونا . ولقد سمعنا ورأينا من آياته عجبا ، فلا قطعن في محبته
أودية وربا ، ولأجدن في رؤيته طلبا فساروا مجدين ولمكة قاصدين إلى أن وصلوا إليها وقدموا عليها
ثم سألوا عن دار آمنة فطرقوا عليها الباب . فبادرت بالجواب . فقالوا لها أرينا هذا المولود الذي نور
الله به الوجود ، وشرف به الآباء والجدود . فقالت لن أخرجه لكم فاني أخاف عليه من اليهود . فقالوا
نحن قد فارقنا في حبه أوطاننا وتركنا أدياننا وأتبعنا أبداننا لنرى جمال هذا الحبيب الذي من قصده
لا ينجب . فقالت إذا كان ولابد من رؤياه فأمهلوا واصبروا قليلا ولا تعجلوا . ثم غابت ساعة وقالت لهم
ادخلوا فلما دخلوا في البيت حصلوا ، رأوا أنوار الحبيب فذهلوا وكبروا وهلموا ، ثم كشف عن وجهه
الغطاء فأشرق نور ضيائه وأضاء وطلع عمود نور من وجهه إلى السماء فصاحوا وشهقوا وكادوا أن
يصعقوا ، ثم قبلوا أقدامه وأكبوا عليه وأسلموا على يديه . ثم قالت لهم أسرعوا فإن جده عبد المطلب
قلدني الأمانة أن أخفيه عن الناس وأكتم شأنه . فخرجوا من عند الحبيب وفي قلوبهم من الشوق
نار ولهب . ثم وضع عامر يده على قلبه وقد غاب عن عقله ولبه . ثم صاح وقال ردوني إلى بيت آمنة
واسألوها أن تريني جماله ثانية فرجعوا إلى المنزل . فلما رآه بادر إليه وأكب على قدميه ثم شهق شهقة
ومات في شهقته وعجل الله بروحه إلى جنته . هذه والله أحوال المحبين العاشقين وصفات الصادقين .
فيا أيها اللبيب اسمع هذا صفات الحبيب الذي قد ملأ الكون عزا وجمالا . وأضحى نوره في الآفاق
يتلالا ، وكساه الإله من ملابس فضله هيبه وجلالا ، وخفف عن آمنة يركته من الكروب أثقالا .
وعطر بمولده الأقطار فتعطرت عينا وشمالا :

يامولد المصطفى قد حزت إقبالا	بذكره يباغ المشتاق آمالا	يامدعي الحب فيه وهو ذو وله
وفي هواه جفا أهلا وأطلالا	مت في محبته إن كنت تعشقه	موله القلب شتاقا وإلا لا
فالنوق تعشقه وجدا وتقصده	شوقا وتطلب من نعام إفضالا	أما تراها إذا لاحت قباب قبا
تخط عنها حداة العيس أثقالا	بحقه يا إلهي جد لنا كرما	بالغفو والصفح إكراما وإجلالا
فقد لجأنا إلى باب الكريم ومن	يلجأ إليه يرى رحبا وإقبالا	هو النبي الذي ضاء الوجود به
وفيه خالفت لواما وعدالا	صلى عليه إله العرش ثم على	أهليه والصحب أبادا وآزالا

ثم إن آمنة حصل لها على أثر النفاس ضعف وألم شغلها عن رضاع هذا النبي المحتشم ، فسأل
رضاعه الوحش والطيور والريح كل يقول رب دعني أرضع صفوتك من خلقك وأكرم خلقك عليك
وقالت الملائكة : ربنا أنت تعلم أننا نحبه فرنا بتربيته لتتشرف بنور طلعته ونحظى ببركته ، فقال
الله تعالى : أنا قادر على أن أربيه من غير رضاع ولا سبب ، ولكن سبقت كلني وتمت حكمتي وكتبت

وخدمه تفسير بهم مسيرة
سبعين عاما في ساعة واحدة
إلى وسط جنته فينظر إلى
قصر من ذهب ودر في
شجرة من جوهر حاملة
خللا وورقها خلل ،
وفيها ثمر كل ثمرة قدر
شقة الراوية وهي أحلى من
العسل ، فإذا أكلوا تلك
الثمرة بقيت حبثها فيخرج

على نفسى أنى إذا أعطيت أحدا شيئا فلا أعود فيه ، وقد كتبت في الأزل من الحكمة القديمة أنه لا يرضع هذه الدرة القيمة والنفس الكريمة غير حليلة الحكيمة ، وكانت حليلة في بلدها مقيمة ولسان القدر يناجيها في ناديتها ، وقد حدا بسعدها حاديتها :

سيرى حليلة وارضى هذا الغدى هذا الذى فى حسنه مازال فردا
هذا الذى لولاه ماعشق الحمى كلا ولا كان السرور إليه يهدى
هذا الذى فى الحسن أضحى مفردا وله قطعنا فى السرى عنقا ووخدا
هذا الذى لولاه ماكان النسا يهوى ولا كان الحب بهم وجدا
وإذا تبدى يا حليلة فابصرى بالقرب لائقين بعد اليوم صدّا
فلك الهنا برضاعه فهو الذى عن وجهه قمر الملاحه ماتعدى
وإذا رأيت شمس طلعة وجهه ورأيت خدا قد حكى خزا ووردا
ورأيت ثغرا باللجين مرصعا ورأيت معنى من معانى الحسن فردا
قولى لبعلك لا تخف هذا الذى تلقى به فى كل مانغيه قصدا

من وسط كل حبة جارية
أو غلام مكتوب على خدها
اسم صاحبها أحسن من
الشامة على الحد وتقول :
السلام عليك يا ولى الله
قد طال شوقى إليك ، ثم
ينظرون بين تلك القصور
إلى أنهار من لبن وأنهار
من عسل مصفى ، وعلى تلك
الأنهار قباب من ياقوت

وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا بالأطفال إلى المراضع . قالت حليلة فأصابتنا سنة لم يأت الغيث فيها ولم تنبت الأرض شيئا فحفتا فى أربعين امرأة نلتبس الرضاع ليواسونا بالرفد . فدخلنا مكة وأتى أهل مكة بأولادهم عند الكعبة ، فوقف كل والد إلى جانب ابنه ، فتقدمت كل امرأة فأخذت مولودا فنظرت أنا فلم أرى بقى غير مولود ، وليس إلى جانبه أحد . فسألت عن أبيه فقيل لى إنه يتيم مات أبوه وأمه حامل به وهى الآن ضعيفة . فقلت لبعلى لم يبق إلا هذا المولود وهو يتيم لأب له . فقال ويمك خذيه ولا ترجع خائبين ، فاعل الله تعالى أن يرزقنا بأجره وثوابه ، وكان الأمر كذلك . قالت حليلة فأخذته وإنى لضعيفة على أثر تقاسى ، وليس فى ممدى قطرة لبن من الضعف والجوع ، قالت : فلما حملته قوى ضعفى واشتدت قوى . ثم وضعت ثدى فى فمه ، فسال اللبن وتدفق فشرب حتى روى وسميت قائلا يقول : طوبى لك أيها السعدية بهذه النسمة الهاشمية . قالت ثم ركبت الدابة وكانت ضعيفة لا تستطيع المشى . فجعلت تسبق الدواب فى القسافة ، فعجب الناس من ذلك . قالت وكنا إذا نزلنا به تحت شجرة يابسة اخضرت لوقتها ، وإذا جملناه فى البيت المظلم أضاء وجهه كالصباح حتى يغلب نوره نور السراج ، فقلت لبعلى أرأيت ما أرى . فقال أو ما أخبرتك أنه نسمة مباركة . قالت فلما وصلنا به إلى المنزل كان عندنا شياه عجاف ، فأخذنا يده ومررنا بها عليها فدرت لوقتها ، قالت وكثر الرزق والخير علينا ببركته حتى حسدتنا عليه جميع المراضع ، قالت وكنت إذا أعطيته ثديه أخذه ، وإذا أعطيته ثدى أخيه لم يأخذه ، فعلمت أنه منصف عادل ، قالت وانقطع عنا الغيث ، فقالوا يا حليلة : إن هذا المولود الذى عندك على وجهه نور ، فلو أخذته معك حتى نستسقى به الغيث لكان خيرا لنا ، قالت فأخرجته لهم ، فأخذوه وحملوه على أيديهم وخرجوا إلى ظاهر البلد فدعوا به ، وإذا السحب قد جاءت بالغيث حتى خفنا العرق ، قالت ولم يزل عندنا حتى قضيت رضاعه ، فعرزنا على الرحيل به إلى أمه ، فقال لى بعلى كيف ترده ، وقد وجدنا الخير والبركة على وجهه ، قالت فأتينا به إلى أمه فقلت لها إنا وجدنا الخير والبركة على وجهه ولدك ، ونحن نسألك أن تدعيه لنا سنة أخرى . فقالت خذاه ، فأخذناه وفرحنا به ، وكان يخرج هو وأخوه لرعى الأغنام ، فكان أخوه يقول لحليمة يا أماه : إن أخى الحجازى إذا وقف بقدميه على الوادى اليابس يخضر لوقه ، وإذا جاء إلى البئر لسقى الأغنام يعلو الماء إلى فم البئر ، وإذا نام فى الشمس جاءت غمامة

فظلته من حر الشمس ، وتأتى إليه الوحوش وهو نائم فتقبل أقدامه . فقالت له توص بأخيك . فلما كان في بعض الأيام خرجا على عادتهما يلعبان . فجاء أخوه وهو مصفر اللون وقال : يا أماء أدركي أخى الحجازي فقد أصيب . فقلنا وما شأنه ؟ قال بينما أنا وأخى نلعب إذ جاء ثلاثة نفر كأن وجوههم القمر عليهم ثياب خضر معهم طست وإبريق من الذهب والفضة فاخطفوه ، ثم أضجموه وشقوا فؤاده فأدركاه . قالت فقمنا إليه مسرعين فوجدناه سالما آمنا فرحنا مسرورا ليس به ألم ولا بفؤاده أثر . قال ابن عباس رضي الله عنهما . وكان الله سبحانه وتعالى قد بعث إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام . ومعهم طست وإبريق . وماء من الجنة . وماء من الرحيق المحتوم ومنديل من السندس الأخضر فأضجمه جبريل فشق صدره بأمر الملك الجليل . وشق قلبه وأخرج منه علقة سوداء وقال : هذا حظ الشيطان منك يا سيد المرسلين ثم صب عليه الماء وأتم غسله . ثم أعاد فؤاده كما كان أول مرة فكان يرى أثر الخيط في صدره حتى مات صلى الله عليه وسلم . وهو أحد الأقوال في قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) ثم قال جبريل لميكائيل زنه بعشرة من أمته فوزنه فرجهم . ثم قال له زنه بعشرين فوزنه فرجهم . فقال له زنه بأهل الأرض كلهم فوزنه فرجهم فهو بدر الكمال وتاج الجمال وواسطة العقد وهلال الشرف ودررة تاج الكون جميع الفضائل والمفاخر منسوبة إليه وهو المشفع غدا فيمن يصلي ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم :

هذا ربيع أتى بالبشر مبتسم
خير الأنام حبيب الله شافنا
في يوم الاثنين أنوار الحبيب بدت
وأصبح الكون مسرورا وبتهجا
تقول آمنة في يوم مولده :
ميمت أحمد والباري الكريم كذا
في لوح قدرته باسم الحبيب جرى
وعند وضعي رأيت الطير عاكفة
وجاءني طائر أرخى بأجنحة
وما لقيت بحملى فيه من ألم
وخرت فوق الثرى لله خالقه
أصنام مكة خرت عند مولده
وقد غدا هاربا إبليس منذعرا
مانال نحر النبي المصطفى أحد
ماذا أقول بوصفي في الرسول وقد
صلى عليه إله العرش ما طلعت
شمس وملاح نحر البرق يتشم

وقباب من در و قباب من
مرجان ، فيها من الخدم
والخوارج والولدان شيء
كثير . فيقولون كلهم
يا ولي الله قد طال شوقنا
إليك ، فيمكث المؤمن في
نعم ولذة مع كل زوجة
من زوجاته يتمتع بجبالها
وتتمتع بجباله ، مكتوب
اسمه على صدرها واسمها

اللهم إنا قد حضرنا مولد نبيك الكريم . فأفرض علينا بركته لباس العز وأسكننا بجواره في دار
النعم ومتعنا في الجنة بالنعيم المقيم . اللهم إنا نسالك بجاه هذا النبي المصطفى وبآله أهل الصدق والوفا
كن لنا معينا ومسعفا وبوئنا من الجنة غرضا وارزقنا بركته قبولاً وعزا وشرفاً . اللهم إنا نتوسل إليك
بنبيك المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار كفر عنا الذنوب والأوزار وأحرسنا من جميع المخاوف
والأخطار ومتعنا برؤيته في دار القرار وتقبل منا ما قدمناه من يسير أعمالنا في السر والاجهار

وارحمنا بقدرتك واغفر لنا إنك عفوف غفار ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما :

المجلس الثاني والخمسون

في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي دعا عباده الأبرار ، إلى أشرف بيت وأعظم مزار ، يسر لهم الطريق ، وجعل دليلهم التوفيق ، فبلغوا المقاصد والأوطار . أقامهم على بابهم وقرَّبهم من جنبه فصل لهم العز والنفار وعدم بالضيافة والقرى ، فقطعوا المسافير إلى أم القرى ، ولت لهم قطع القفار ، كتب في قلوبهم الإيمان وعاملهم بالرضوان ، فطافوا بالبيت والأركان والأستار . بشرهم في منى بفيل المنى وأراحهم في الحيف من الخوف والعنا وسائر الأخطار . رقاهم إلى عرفان عرفات ، ليكفر عنهم السيئات والأوزار ، نفروا من ذنوبهم إليه ، وثابوا بالمزدلفة بين يديه في فرح واستبشار ، كتب لهم رضوان الإعام ، عند الشعر الحرام ، بالنجاة من النار . كشفوا رؤوسهم وحلقوا شعورهم ، وأكثروا تسبيحهم وتقديسهم للكریم الغفار . قربوا هداياهم ونحروا ضحاياهم فوعدهم بالأجور الغزار ومحا عنهم صحائف الذنوب وأراحهم من الكرب عند رمي الجمار فإذا طافوا للوداع وعزموا على الارتجاع حشوا نجائب الشوق بسرعة السوق إلى النبي المختار يا له من نبي أرسله الله تعالى بالمعجزات والدلائل واستخرجه من أشرف القبائل وشرف به مضر وتزار وجعل دينه الأقوم وشرعه المعلم فكل حرف من حروف المعجم يشهد له برفع الرتبة والمقدار قوم ألف قامته فأشرق بيا بهجته الشمس والأقمار حرسه بقاء التأييد من كل شيطان مرید وثبته في سائر الحركات بقاء الثبات فعدل وما جار توجّه به بجم الجود والوفاء وجاء بجاء الحلم والاصطفاء . وخصه بخاء الاختصاص والصفاء من سائر الأكداد داواه بدال دوام الاحسان . غرت لهيبته الأصنام والأوثان . وأصبحت بذال الذل والهوان في انتكاس واحتقار أرسله براء الرحمة وزاى الزهادة والفناعة . وميزه بسين السيادة وشين الشفاعة في أهل الذنوب والأوزار . صانه بصاد الصيانة . وقلده بسيف الأمانة . وأخفه بضاد الضياء والأنوار . فتح له طاء طريق الإقبال وأتقنه أتمته به من ظاء الظلم والضلال . فأصبحت مسرورة بفاء الفرح والاستبشار وشرفه بقاف قاب قوسين . وأكرمه بكاف كلامه المنزه عن الريب والمين . ولاطفه بلام لطفه المقدس عن الشك والشين . ومن عليه بيم منه فأطلعه على الأسرار . أحمده لنوره نار فارس وأذل لهاء هيئته الفرسان العوايس . وتوجه بواو الوقار وميزه في العالمين بياء اليقين . وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين . وأنزل عليه في كتابه المين . بالفضل والفخار (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) :

على صدره أحسن من الشامة ، يرى وجهه في نور وجهها وفي صدرها وترى وجهها في نور وجهه وصدره من كثرة الأنوار التي عليهم ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الهدايا من ربهم وهم يقولون : السلام عليكم يا أولياء الله هذه هدية من عند ربكم

يا حاديا يحدو خير الورى	هيبت في قلبي من الشوق نار	سرى رعاك الله مع فتية
مالى عنهم منذ ساروا اصطبار	يا جيرة حلوا بوادى قبا	رمىتمو في القلب منكم جمار
أتم كرام يا عريب النقا	وجاركم من كل جور ينجار	نلت بكم كل المنى في منى
وليس لى ما عشت عنكم قرار	في عرفات قد عرفت الهوى	وقد غدا سر التدانى جهاز
مقى أرى الأحباب قد واصلوا	ويجمع الشمع بقرب المزار	ويبعد البعد ويدنو اللقا
ويفرح القلب وتدنو الديار	وأعزم السير إلى من به	تمحى الخطايا وتقال العثار
المصطفى المختار خير الورى	وخير من تطوى إليه الففار	وخير من تأتى ملوك الورى

لبابه بالذل والانكسار صلى عليه الله مارتمت حماسة الأيك وغنى الخزار
 [روى] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه
 الدارقطني رحمه الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد
 الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «من زارني بعد وفاتي فسكنا زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني» رواه الإمام
 علي كرم الله وجهه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من زارني في قبري فسكنا زارني في حياتي
 ومن مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين ، وإن بين قبري ومنبري روضة من رياض
 الجنة» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من زارني بعد وفاتي وسلم علي رددت عليه السلام عشرة
 وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه ، ومن سلم علي في بيته رد الله تعالى علي روحه حتى أسلم
 عليه» وقال صلى الله عليه وسلم «من حج وزار قبري بعد وفاتي فسكنا زارني في حياتي» رواه
 عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وفي المعنى :

زر من تحب وإن شطت بك النار وحال من دونه ترب وأحجار

لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن بهواه زوار

[وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه] قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفننا النبي صلى الله عليه وسلم
 بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من تراه على رأسه ، ثم قال يا رسول الله السلام عليك علي الله عليك
 قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك (ولو أنهم إذ ظلموا
 أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسي وجنتك
 لتستغفر لي فنودي من داخل القبر يا هذا قد غفر لك :

إن كنت تغدو في الذنوب جليدا وتخوف في يوم المعاد وعيدا

فلقد آتاك من المهيمن غفوه وأباحك الإيمان والوحيد

[وعن أبي الحسن الصوفي رحمه الله] قال وقف حاتم الأصم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال : يارب إنا قد زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودي يا هذا ما أذن لك في زيارة قبر نبينا إلا
 وقد طهرناك أرجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فإن الله عز وجل قد رضي عنك وعمن زار
 قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

[وعن أبي الفضل رحمه الله] أن أعرابيا أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : اللهم إنك
 أمرت بعق العبيد على رؤوس قبور الأحياء ، وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعطني على رأس قبر حبيبك
 من النار ، قال فهتف بي هاتف تسأل العتق لك وحدك هلا سألت الجميع الخلق لأعتقهم على رأس
 قبر هذا الحبيب ، اذهب فقد أعتقناك يا أعرابي :

استغفر الله مما كان من زلالي ومن ذنوبي وإفراطي وإصراري

يارب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أحسكت جبل الرجا يا خير غفار

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقهم عتق أحرار

وأنت يا سيدي أولى بهذا كرما قد شبت في الرق فاعتقني من النار

[وعن أبي عبد الله محمد بن العلاء رحمه الله] قال : دخلت المدينة وقد غلب علي الجوع فزرت قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم وسألت عليه وعلى الشيعين رضي الله عنهما ، وقلت يا رسول الله جئت وبني من الفاقة
 والجوع ما لا يعله إلا الله عز وجل وأنا ضيفك في هذه الليلة ، ثم غلبني النوم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم

(سلام عليكم بما صبرتم فنه)
 عقي النار) فحمل الخدم
 الموائد بعضها من الدر
 وبعضها من الياقوت
 وبعضها من الذهب وعليها
 أوان فيها ألوان من
 الأطعمة (ولحم طير مما
 يشتهون) وفوقها مناديل
 خضر مكللة بالؤلؤ فبدأ كل
 هو وزوجته الأدمية معه

في المنام فأعطاني رغيها فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفي يدي نصفه الآخر فتحقق عندي قول النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى في المنام فقد رأى حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » ثم نوديت يا عبد الله لا يزور قبري أحد إلا قد غفر له ونال شفاعتي غدا :

من زار قبر محمد نال الشفاعة في غد بالله كرر ذكره وحديثه يامنشدني واجعل صلاتك دائما جهرا عليه تهدي فهو الرسول المصطفى ذوا الجود والكف الندي وهو المشفع في الوري من هول يوم الموعد والحوض مخصوص به في الحشر يوم الموعد صلى عليه ربنا ملاح نجم الفرقد

[وعن أبي الفضل محمد بن نعيم رحمه الله] قال كان محمد بن يعلى الكنانى رحمه الله يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ويراه في المنام كثيرا فخرج لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم يوما فاندقت رجله فتعوق عن زيارته فخرج الحاج ، فكتب الكنانى رقعة وناولها لبعض الحاج وقال له إذا وصلت إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فارق بهذه الرقعة إلى القبر وقل يا رسول الله إن الكنانى يقرئك السلام ويقول لك قد عرفت العذر الذى عاقه عنك ، فلما فعل الرجل ذلك رأى الكنانى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : كنانى قد وصلت رقعتك وعذرتك :

يا حبيب القلوب يا خير ذخري ضاق من أجل عاقبي عنك صدرى
عوقفتي الأعذار عنك فيامن هو قصدى وعساك تقبل عذرى

[وحكى العتي رحمه الله] قل : كنت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت أعرايا قد أقبل على بغير له فنزل عنه ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا صفوة الله أنت الذى أنزل الله عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) وقد ظلمت نفسى وها أنا قد أتيتك أستغفر من ذنبي فاشفع لى عند ربى ، ثم أنشأ يقول :

ياخير من دفت بالقاع أعظمه فطاب من طيبن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذى ترجى شفاعته عند الصراط إذا مازلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم
تخصمهم بنعيم لانقاد له والحور فى جنة المأوى لهم خدم
تعطى الوسيلة يوم العرض مغبطا عند المهيمن إذ ماتحشر الأمم
والحوض قد خصك الله الكريم به يوما عليه جميع الخلق تزدحم
تسقى لمن شئت ياخير الأنام وكم قوم لعظم الشقا والبعد قد حرموا
صلى عليك إله العرش ما طلعت شمس وحن إليك الضال والسلم

قال العتي ثم غلبنى النوم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال يا عتي أدرك الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له :

سلام على قبر النبي محمد نبى الهدى والمصطفى والمؤيد
وكان رسول الله أفضل من مثى على الأرض إلا أنه لم يخلد
شهدت على أن لا نبوة بعده وأن ليس حى بعده بمخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه وخير الورى الهادى المشفع فى غد

لأن نصف الهدية له ونصفها لها بما جاهدت فى طاعة الله عز وجل وهم يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم ، فيكتفى الولي وزوجته والحور والولدان والخدم ولم تنقص تلك الموائد ولم تتغير ، وتلك الأطيار على الأغصان من فوق رؤوسهم يتجاوبون

وأكوابه مثل النجوم وحوضه لوراده فازوا بأعذب مورد
فياخير مبعوث إلى خير أمة ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك ياخير الأنام شفاعته بها أرتجى سؤلى وأبلغ مقصدي
عليك سلام الله ياخير مرسل وأشرف مخلوق وأكرم سيد

[وقال بعضهم] رأيت أنس بن مالك رضى الله عنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرف رضى الله عنه . وروى ابن وهب رضى الله عنه عن مالك رضى الله عنه أنه كان إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يدنو من القبر ويوجه وجهه إلى القبر ويسلم ويدعو ولا يعس القبر بيده . ولزائر قبر النبي صلى الله عليه وسلم عشر كرامات : إحداهن يعطى أرفع المراتب ، الثانية يبلغ أسنى المطالب ، الثالثة قضاء المسأرب ، الرابعة بذل المواهب ، الخامسة الأمن من المعاطب ، السادسة التطهير من المعاييب ، السابعة تسهيل المسائب ، الثامنة كفاية النوائب ، التاسعة حسن العواقب ، العاشرة رحمة قرب المشرق والمغرب . وقال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت له يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك يعنى الحجاج وغيرهم أنفقهم قولهم ؟ قال نعم وأرد عليهم . فيا أيها الكتيب انظر ما أجل صفات هذا الحبيب ، وما أكرمه على القريب الحبيب ، تسلم عليه من البعيد الأقصى فبرء عليك السلام ، وتطلب شفاعته فيشفع لك عند الملك العلام ، وتنقطع عن زيارة قبره فيتشوق إليك على الدوام ، وتبعد عن السير إليه لاشتغالك بالدنيا وجمع الحطام ، فيأتى إليك زائرا في المنام ، فإن عزمت على السير إليه ركب ظهور الأنعام ، ولو أنصفت لسعيت على الرأس لاعلى الأقدام ، وهو سترك في الدنيا من الذنوب والآثام وشافئك غدا وقائداً إلى دار السلام ، فهل رأيت حبيبا يعامل أحبابه بهذه الأوصاف ، أو يلاطفهم بمثل هذه الألفاف ؟ تالله إنك مارأيت مثله ، ولا ترى فكيف تطيق منه مصطبرا ، أم كيف لا تظهر عليه تلهفا وتحسرا ؟ هذا وقد بصرك بالكتاب والسنة فأصبحت متبصرا ، ووعدك بالجنة وكان لك مبشرا ، فيا من يدعى جبه وقد كذب في دعواه واقترى ، أين موافقتك لأفعاله ، أين اتباعك لأعماله وأقواله ؟ إنك والله لن تقفو من أثره أثرا ، أما بلفك أنه كان يبيت من الجوع طاويا ويصبح من التهجذ ذاويا ، ومن الصيام خاويا ؟ وقد عرضت عليه الكوز فلم يعرها نظرا . كان يقطع الليل سهرا ويبسط لمولاه كفا مفتقرا ، وينكس رأسا معتذرا ، ويسأل في خلواته لأمته أن تدخل الجنة زمرا :

ياساتقا يطوى السباب والثرى مهلا فإن الخير في أم القرى
لأنزلن بغير طيبة إنها سطعت بأنوار الرسول كما ترى
عجبا لتربتها تداس ولو درى السامشى بها ماداس مسكا أذفرا
شوقى لتلك الأرض شوق موله ولع البكاء بطرفه فاستعبرا
ذو صبوة مهابت ربح هواكو إلا وحن طيبة ونذكرا
يهوى الضريح ويشتهى لوزاره ويود ذلك أنه لو قدرا *
ياعيشنا الماضى القديم يثرب خلفت عندى حسرة وتفكرا
أترى يساعدنا الزمان ونلتقى ويعود غض العيش غصنا أخضرا
وأفوز بالحرم الشريف فانه حرم ضياء صباحه قد أسفرا
وأمرغ الحدين في الأرض التي اختار مدفنه بها وتخيرا
هى خير أرض شرفت وتقدست بحاول من هو فى الورى خير الورى

بتحميد الحق وتمجيده
بأصوات تطرب الوجود
لم يسمع السامعون أحسن
منها والملائكة يحذونهم
عن أيمانهم وعن شمائلهم
ويشرونهم ببشائر من
رهبهم ، فإذا أكلوا يأكلون
أكلهم من غير جوع وإذا
شبعوا لا يبولون ولا
يتغوطون بل إذا شبعوا

المصطفى المختار أكرم مرسل
هذا الذي ظهرت معاجزه قفل
من كفه نبع الزلال وعاد من
وكذلك عين قتادة قد ردها
وأنى لأخصه البعير مقبلا
نسجت عليه العنكبوت فبابه
وكذلك أشجار الفلاة أتت له
وجريدة رجعت بكف محمد
ورفاعة قفل الحديث منعما
وعليه سلمت الغزاة مثل ما
والشاة لما أنجفت وهزالها
عجزت عن للرعى فلم ترعى وقد
وأمر راحته على ضرع لها
وله حنين الجذع أعظم شاهد
وكذا ذراع الشاة خاطبه فان
والذئب جاء إلى النبي محمد
وبثله في البئر بعد ملوحة
وانشق في أفق السماء لأحمد
والغار فيه عجائب مشهورة
وأناه جبريل الأمين باذن من
ناداه قم وارق في البراق باذن من
وإذا الصباح تبلجت أنواره
فرقى على متن البراق وجال في
وبسائر الأملاك صلى قائما
ثم انتهى للنتهى من سدره
ولاحمد جبريل قام مخاطبا
فتقدم المختار وهو مقدم
قطع المسافة والتقامات التي
مازال إذ سمع الخطاب فلا تكن
والله خص محمدا بسلامه
فهو البشير الشاهد العلم الذي
قسما لقد أعطى مواهب لم تكن
الله أعطاه الفضائل كلها
في حضرة الملكوت بان محله
وعليه قد دارت كؤوس محبة

للعالمين وخير من وطئ الترى
ماشت عنه محدثا ومخبرا
بين الأصابع سائلا متفجرا
بعد العمى فرأى بها وتبصرا
وشكا إليه وقد أطلال وأكثرا
من بعد ذلك للبرية لا يرى
سعيًا وإنكارا على من أنكرا
سيفا وعاد كما علمت مجورها
وبكل ما أخبرته لك أخبرا
أبدى البعير له السلام بلا مرا
للجسم أصبح مسقا ومغيرا
طوت الفؤاد من الطوى فتضمرا
فجرى ومسح كمرنة وتحدرا
فاشهد ودع من قال زورا وافترى
أنكرت ذاك فقد فعلت النكرا
قصدا ومرغ خده فوق للثرى
من ذاق منها ذاق حلوا سكرًا
قمر وخر من الثريا الثرى
ظهرت وحق لمثلها أن يظهر
خلق الخلائق كيف شاء وصورا
رفع الطباقي نأنت أكرم من سرى
فلتحمدن هناك عاقبة السرى
الملكوت ليلا والضحي ما أسفرا
شكرا وسبح ربه واستغفرا
والصدر حيث أقام زاد تصدرا
سر آمتا سيرا سريعا أكبرا
دون الأنام ومن عداه تأخرا
وقف التفكر دونها وتخيلا
فيا سمعت مقدما ومؤخرا
لما رقى ولقد رقى أعلى النذرا
للناس أنذر حين جاء وبشرا
لسواء فافهم سرها وتدبرا
وأنا له ماقد أنال وأكثرا
ولقد حوى قدرا هناك ومفخرا
وبها تخصص وحده دون الورى

عرفوا عرفا أطيب رائحة
من السك تشربه الحلل
التي عليهم ولا تتسخ ثيابهم
ولا يفتنى شبابهم ولا يفرغ
نعيمهم بل هو دائم أبد
الآبدين، ثم يدعوهم الحق
تبارك وتعالى إلى زيارته
كل يوم جمعة مرة، ومن
القوم من يدعوهم في كل
سنة مرة، ومن القوم

هبت على الأكوام منها نفحة
من كان ساقية الحبيب فكيف لا
طوبى لمن قد ذاق منها قطرة
هي خمرة العهد القديم فمن سقى
قوموا ندأى الزاح في غسق الدجى
ولحانها جدوا السير وشمروا
للسكر أقوام له صلحوا لقد
قطعوا العلائق من سواء تلذذا
باعوا الذى يغنى بما يبقى فقد
وجميع ما نالوا بجاه محمد
صلى عليه الله ما اخترق العلا
وعليه صلى الله جل جلاله
وعليه صلى الله مالمع الضيا

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : اللهم ارزقنا في الدنيا زيارته وفي الآخرة
شفاعته ، وأجنا على محبته ، وأمتنا على سنته ، واحشرونا في زمرة ، وأرنا وجهه ، واسقنا من
حوضه ، واجعلنا ممن فاز بصحبته ولا تخالف بنا عن طريقته وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا .

المجلس الثالث والخمسون

في مناقب الخلفاء الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الكريم الغفار ، الحليم الستار ، مكور الليل على النهار . وكل شئ عنده بمقدار ،
حارت في قضايا العقول والأفكار ، وتاه في بيده أبعده أولو البصائر والاعتبار ، قهر الجبابرة بقهر
عزته فهو الواحد القهار ، وكسر الأكلسة بقوة سطوته فهو العظيم الجبار . كوت الأكوام ودبر
الزمان فلا يحتاج إلى أعوان وأنصار ، لا يقادر قدره ولا يستحق العبادة غيره ، قد عم إحسانه سائر
الأماكن وجميع الأقطار ، يعلم ديبب الخلة السوداء في الليلة الظلماء ، ولا يخفى عليه شئ في الأرض
ولا في السماء ، ولا في قرار البحار . يعلم سر العبد عند مآله ومنقلبته ، ويطلع على ضميره عند قصده
وطلبه (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) فسيجانه
من إله اصطفى واجتبي وانتقى وارضى واختار (وربك خالق ما يشاء واختار) واصطفى محمد صلى الله عليه
وسلم نبيه المنتخب ورسوله المختار ، واجتبي أبى بكر الصديق وخصه بالتصديق والهبة والوقار ؛
واتقى للصواب عمر بن الخطاب خلا ذكره وطاب للبادين والحضار ؛ وارضى عثمان بن عفان لجمع
القرآن فجعه ما بين أخماس وأعشار ؛ واختار على بن أبى طالب لتفريق السكتائب وإظهار العجائب
وإشهار ذى الفقار ، فهم الذين نزل في حقهم على لسان رسوله المختار (محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار) فأبو بكر مؤنسه في العار ، وعمر وزيره وأمينه على الأسرار ، وعثمان المقتول بيد
العدوان شهيد الدار ، وعلى بن أبى طالب ابن عمه ووارث علمه الفارس الكرار فهو لاء خلفاؤه ووزراؤه

من يدعوهم في كل شهر
مرة ، ومنهم من يشاهده
كل ثلاث سنين ، ومن
القوم من يراه في المدة
كلها مرة واحدة وذلك
على قدر منازلهم عند الله
ومحبته وخدمتهم في الدنيا
لربهم وأما الذين يشاهدونه
في كل جمعة فالقوم الذين
كسروا شباههم وأنفسوا

الأئمة الأبرار ، الذين وفوا للنبي صلى الله عليه وسلم بمهودهم وقد جرت بسعودهم الأقدار ، وتابعوه
وبابيعه على ما يحب ويختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار ، وفي المعنى :
الطرف في معنك حار يامن له أبدا يشار وحياة حبك لاسلو ت وإن سلوت على عار
كيف السلو وأنت في قلبي وإن نأت الديار يأيها الهادي البشير الهاشمي المستنار
قد خصك الله الكرم بصحبة الشيخ الوقار وكذلك في عمر الذي عمر الشريعة باشتهار
والبر عثمان الذي نال الشهادة والفخار وعلى البطل الرضا مردى الطغاة بذى الفقار
فهم صحاب المصطفى ماخاب من بهم استجار فعليه صلى ربنا ماناح في الصبح الهزار
وعلى الصحابة بعده مازمزم الحادي وسار

[وروى أبوذر رضى الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أدخل السرور على
أصحابي فقد أدخل السرور على » ومن أدخل السرور على فقد سر الله ، ومن سر الله كان حقا على الله
أن يسره ويدخله الجنة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا
في قلب مؤمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى » رضى الله عنهم أجمعين . وقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « أجىء يوم القيامة وأبو بكر عن يميني وعمر عن شمالي وعثمان من ورائي ، وعلى
بين يدي ومعه لواء الحمد وعليه شقتان شقة من السندس وشقة من الإستربق ، فقام إليه أعرابي
فقال فذاك أبي وأمي يا رسول الله على يستطيع أن يحمل لواء الحمد ؟ قال كيف لا يستطيع حمله ، وقد
أعطى خصالا : صبرا كصبري وحسنا كحسن يوسف وقوة كقوة جبريل ، وإن لواء الحمد بيد علي بن
أبي طالب وجميع الخلائق يومئذ تحت لوائى » . روى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أبا بكر زوجتي ابنته وحملني على ناقته الى دار الهجرة
وأعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا ، رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة
رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار » . وفي المعنى :

همو صحابة خير الخلق أيدهم رب السماء بتوفيق وإيثار
غهم واجب يشفى السقم به فمن أحبهمو ينجو من النار

[وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم] أنه قال لأبي بكر رضى الله عنه « يا أبا بكر خلقتني الله
عز وجل من جوهرة من نور ، فنظر إليها الرب جل جلاله وتقدس أسأوه ، فأوقضى بين يديه
فاستحييت منه فمرت فسقط مني أربع قطرات خلقت يا أبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية
وخلق عثمان من الثالثة وخلق عليا من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثمان وعلى من نورى » .
وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، فاختار
من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبي طالب » رضى الله عنهم أجمعين . وروى عن
علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل افترض
عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أبغض
واحدا منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجا ويحشر من قبره إلى النار » . وروى
أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لحوضي أربعة أركان فأول ركن منها
في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي » ، فمن أحب أبا بكر وأبغض
عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض عثمان لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه
عثمان ومن أبغض عثمان وأحب عليا لم يسقه علي » ، فمن أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب

أعمارهم في خدمته من
البلوغ إلى يوم الرحيل ،
والذين يشاهدونه في كل
شهر مرة واحدة فهم
القوم الذين أطاعوه
وفهم رمق الشباب ،
والقوم الذين يرونه
في كل سنة مرة واحدة
فهم الذين خدموا ربهم
في آخر عمرهم ، والقوم
الذين يرونه في المدة كلها

عمر فقد كتب من المؤمنين ، ومن أحب عثمان فقد استنار بالنور المبين ، ومن أحب عليا فقد أحسن والله يحب المحسنين ، ومن أحسن الظن فيهم فهو مؤمن ، ومن أساء الظن فهو منافق . وفي المعنى :

من أحسن الظن في الله الكريم وفي رسوله كان مكتوبا من الشرفا

ومن أحب صحاب المصطفى فله جنات عدن يرى في ظلها غرفا

ومن يكن باغضا فيهم فان له نار الجحيم ويضحي با كيا أسفا

فهم نجوم الهدى في كل مظلمة والله حسي فيما قاتله وكفى

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] قال « كننا جالوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل

أبو بكر الصديق رضي الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مرحبا بالمواصي بماله مرحبا

بالمؤثر على نفسه . ثم أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال : مرحبا بالمفرق بين الحق والباطل

مرحبا بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين . ثم أقبل عثمان بن عفان رضي الله عنه . فقال :

مرحبا بصهرى وزوج ابنتي التي جمع به نوري ، السعيد في حياته الشهيد في مماته ، ويل لقاتله من

النار . ثم أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال : مرحبا بأخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو

من نور واحد » معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق جهم إلا في قلب مؤمن ولا يتفرق إلا في قلب منافق

فمن أحبه الله ومن أبغضه أبغضه الله . وفي المعنى أيضا :

حب النبي على الإنسان مفترض وحب أصحابه نور يبرهان

من كان يعلم أن الله خالقه لا يرمين أبيا بكر بهتان

ولا أبيا حصص الفاروق صاحبه ولا الخليفة عثمان بن عفان

ولا عليا أبيا السبطين نعم فتي وصى به الله في سر وإعلان

ركن الشريعة بحر العلم منتخب والبيت لا يستوى إلا بأركان

شاعت مناقبه في الناس كلهم مابين علم وأحكام وتبيان

لاستطيع العدا منه محاربة ولو أتوه بأبطال وشجعان

فهم صحابة خير الخلق خصمهم رب العباد بخبات ورضوان

فمن أحبه قد نال منزلة عند الإله وجازاه باحسان

عليهم من سلام الله أطيبه مانحت الورق في أوراق أغصان

[وروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « دخلت الجنة

فبينما أنا أطوف في رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت يدي إلى شجرة فأخذتها فانقلقت

في يدي على أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات

والأرض ولو أخرجت كفها لقلب ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملائت ما بين السماء

والأرض مسكا من راحتها . فقلت الأولى لمن أنت ؟ قالت لأبي بكر الصديق . فقلت امضي إلى قصر

بعلك فمضت . وقلت الثانية لمن أنت ؟ فقالت لعمر بن الخطاب فقلت امضي إلى قصر بعلك فمضت .

وقلت الثالثة لمن أنت ؟ قالت لخصم بدمه المقتول ظلما عثمان بن عفان فقلت لها امضي إلى قصر

بعلك فمضت . وقلت الرابعة لمن أنت ؟ فسكتت . ثم قالت ، والله يا رسول الله إن الله تعالى خلقتني

على حسن فاطمة : ولقد سماني على اسمها وإن الله تعالى زوجني من علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قبل أن يتزوج فاطمة بألفي عام » ، فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأصحابه ، وهم

حافون به يوم القيامة إلى دار الكرامة :

مرة واحدة فهم الذين قد
أفوا أعمارهم في المعاصي
ما أحبههم ربهم ولكن
لما تابوا لم ينجبهم فهم أقل
درجة أهل الجنة فبادروا
أيام شبابكم بالطاعة
واخدموا شوقا إلى لقائه
فان له يوما يتجلى فيه
لأوليائه ، وذلك أنه إذا
كان يوم الجمعة واسمه عند
أهل الجنة الزيد يبعث

فهم صحاب المصطفى وهم الخواص من الأمم أهل المآثر والمفاخر والفتوة والسكر
وبعدلهم سادوا الورى وبورهم تجلى الظلم خلفاء أفضل شافع للخلق فى يوم الندم
صلى عليه ربنا ماسح دمع وانسجم وعلى صحابته السكراء الطاهرين أولى الشيم
وقين إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانا فى بعض أشغال النبي صلى الله
عليه وسلم فأدركتهما صلاة العصر . فقال عمر بن الخطاب لعثمان رضى الله عنهما تقدم فصيل بنا .
فقال عثمان رضى الله عنه : أنت أولى منى بالتقدم يا عمر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمك
وأثنى عليك . فقال عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول « نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نورى » . فقال عثمان رضى الله عنه :
أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عمر أكمل الله به الإسلام » . فقال
عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عثمان تستحي
منه الملائكة » . فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « عمر كل الله به الدين وأعز به المسلمين » ، فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن » . فقال عثمان رضى الله
عنه : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم الرجل عمر يتفقد الأراميل
والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام » . فقال عمر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « غفر الله لعثمان مجيئ جيش العسرة » . فقال عثمان
رضى الله عنه : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « اللهم
أعز الإسلام بعمر بن الخطاب وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق وفرق الله تعالى بك
بين الحق والباطل » ، فإمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما
بعضهما مع بعض :

طوبى لمن قلبه بالله مشغول يبكى النهار وطول الليل يبتهل
خوف الوعيد وذكر النار أذهله والدمع منه على الخدين ينهمل
يهوى صحابة خير الخلق كلهم فحبهم واجب يرجى به الأمل
الله فضلهم حقا وشر فهم بالمصطفى وبه قد ضاعت السبل
صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب ما حست له الإبل

[وروى أبو هريرة رضى الله عنه] أن أبا بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما
قدما يوما إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما تقدم فكن
أول قارع يقرع الباب وألح عليه . فقال أبو بكر تقدم أنت يا على . فقال على رضى الله عنه ما كنت
بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « ما طلعت الشمس ولا غربت
من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما كنت بالذى يتقدم
على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خير النساء خير الرجال » . فقال على
رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينظر
إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبى بكر الصديق » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا
لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام

الله عز وجل إلى أبواب
المقابر تفاحا من عنده
فيسلمون إلى كل ولى تفاحة ،
فإذا أمسكها الولى فى يده
انشقت نصفين ويخرج
من وسطها جارية
معه كتاب محتوم .
فتقول : السلام يقرئك
السلام ، وهذا كتابه
إليك فيفتحه فإذا فيه
مكتوب هذا كتاب من

والى يوسف وحسنه والى موسى وصلاته والى عيسى وزهده والى محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه
 فلينظر الى على . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : «إذا اجتمع العالم في عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عز وجل»
 يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوبك الجنة . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخيبر وقد أهدى اليه تمر ولبن : « هذه هدية من الطالب
 الغالب إلى على بن أبي طالب » . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « أنت يا أبا بكر عني » . فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : « يحى على » كرم الله وجهه على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد يا محمد
 كان لك في الدنيا والد حسن وأخ حسن . أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل . وأما الأخ فعلى
 ابن أبي طالب رضى الله عنه . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة يحى رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار
 ويقول : يا أبا بكر الرب جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار .
 ابعت من شئت إلى الجنة وابعت من شئت إلى النار » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على
 رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن جبريل عليه السلام أتاني فقال لي يا محمد إن الله
 عز وجل يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا فسجدت شكرا ، وأحب فاطمة فسجدت
 شكرا ، وأحب حسنا وحسينا فسجدت شكرا » . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم
 على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض
 لرجح عليهم » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إن عليا يحى يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن ،
 فيقول أهل القيامة : أي نبي هذا ؟ فينادى مناد ، هذا جيب الله ، هذا على بن أبي طالب » .
 فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غدا
 يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر » . فقال
 أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين
 قصرى وقصر إبراهيم الخليل قصر على بن أبي طالب » . فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على
 رجل قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل السموات من السكروبيين والروحانيين
 والملائكة الأعلى لينظرون في كل يوم إلى أبي بكر الصديق » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : أنا لا أتقدم
 على رجل قال الله تعالى في حقه وحق أهل بيته (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيم وأسيراً)
 فقال على رضى الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى في حقه (والذى جاء بالصدق
 وصدق به أولئك هم المتقون) فترى جبريل عليه السلام إلى الصادق الأمين ، من عند رب العالمين .
 وقال يا محمد صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ، ويقول لك إن ملائكة السبع السموات لينظرون
 في هذه الساعة إلى أبي بكر الصديق وإلى على بن أبي طالب ويستمعون ما جرى بينهما من حسن
 الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض اقم إليهما وكن ثالثهما فإن الله تعالى قد حفهما بالرحمة
 والرضوان ، وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهما
 فوجدهما كما ذكر له جبريل ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم وجه كل واحد منهما . وقال :

الله العزيز العليم إلى فلان
 ابن فلان : إني قد اشتقت
 إليك فزرتني إن كنت
 تشاق إلى ، فيقول ومن
 أنا حتى يسأل عني إنما
 ذلك من تفضله سبحانه ،
 فإذا كان سيدي ومولاي
 يشاق إلى فأنا إليه أشد
 شوقا ، فيركب الرجال
 النجائب والنساء الهودج
 وتسير جميع الرجال إلى

وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مدادا ، والأشجار أقلاما ، وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما :

من ذا يطبق بأن يحصى الثناء على محمد وعلى الصديق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة وحاز عزا وغرا في مراتبه
وحاز عثمان فضلا بالنبي وقد أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار على الرضى فله بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا ضاقت عليه أمور في مذاهبه
عليهم صلوات الله مالمعت في الليل أنوار برق في غياهبه

[وروى عن محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه] قال: رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة. فقامت مالهدي رغبتك عن دين آبائك؟ فقال بدات خيرا منه. قلت: فكيف كان ذلك؟ فحكى لي أنه ركب في البحر. قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب بنا فتعلقت على لوح فما زالت الأمواج تدافني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب. قال فقلت الحمد لله على ذلك، فها أنا آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله بالفرج، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن منها، فلما كان في وسط الليل إذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى، وتقول بلسان فصيح: لا إله إلا الله العزيز الجبار، محمد رسول الله النبي المختار، أبو بكر الصديق صاحبه في القار، عمر الفاروق فاتح الأمصار، عثمان القتيل في الدار، علي سيف الله على الكفار، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار، ومأواه النار وبئس القرار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر، فلما طلع الفجر قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد، محمد رسول الله الهادي الرشيد، أبو بكر للوفيق السديد، عمر بن الخطاب سور من حديد، عثمان الفضيل الشهيد، علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد، فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد، فلما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعامه ووجهها وجه إنسان وقوائمها بغير وذنبها ذنب سمكة خفت على نفسي الهلكة فهربت منها، فالتفتت إلى وقالت قف وإلا تهلك، فوقفت. فقامت لي مدينك؟ فقلت النصرانية اقفالت ويحك يا خاسر ارجع إلى الخنيفة فإنك قد حلت بفناء قوم من مؤمنى الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما! فقامت وكيف الإسلام؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها! فقامت كل إسلامك بالترضى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. قلت ومن أنا كم بذلك؟ قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول «إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادى بلسان طلق: إلهي قد وعدتني أن تشيد أركانى؟ فيقول الجليل جل جلاله: قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين» ثم قالت لى الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك؟ قلت الرجوع إلى أهلى، فقامت امك مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكانى ونزلت الدابة البحر فما غابت عن عيني حتى مر على مركب وفيها ركاب، فأشرت إليهم فخلعوا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فأخبرتهم خبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم، فعلمت أن لهؤلاء الأقوام سرا عند الملك العلام، إذ يبركهم حصل لى الإسلام وثلت أعلى مقام:

قوم لهم عند رب العرش منزلة وحرمة وبشارات وإكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا بوصفه فهمو للناس أعلام

سيدنا محمد للصطفى صلى
الله عليه وسلم ، والنساء
عند فاطمة الزهراء ؟
ويركب النبي صلى الله عليه
وسلم البراق ويعقده لواء
الحمد وهو أربعة آلاف
شقة من السندس الأخضر
مكتوب عليه بالنور : أمة
مذنبه ورب غفور ، ويعقد
اللاء فترفعه الملائكة على
أعمدة من نور فوق رأس

ففي أبي بكر الصديق قد وردت آثار فضل لها في الذكر أحكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه به تكل في الآفاق إسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له في الليل ورد وبالقرآن قوام
وللامام علي المرتضى منح له احترام وإعزاز وإكرام
هم الصحابة للهادي بهم وضحت طرق الهدى وعلى الخيرات قدما
عليهم من سلام الله أطيبه ما أظفر الناس يوم الشك أو صاموا
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الرابع والخمسون

في ذكر الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي أنشق أهل صفوته من طيب محبته نسبا ، ونادهم في الأسفار بلذات الأذكار
فأصبح لهم نديما ، وسقامهم من الكؤوس المصفاة في خلوة المناجاة شرايا صرفا قديما ، وتجلي عليهم فهاموا
وجدا به وحق لواجدهم أن يكون لهيأمة عليا ، وبصرهم بهداهم وآتاهم تقواهم وهداهم صراطا مستقيما ،
وأرسل إليهم رسولا كريما ، ونبيا مبجلا عظيما ، وأنزل عليه في كتابه العزيز تفضيلا له وتكريما (هو
الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) ياله من نبي شرف
الله به زمزم وحطيا ، وخصه باجتماعه واصطفائه سماء اسمين من أسمائه رءوفا رحيما ، فمن تمسك بشريعته
نال فضلا جسيما ، وحاز في الجنة نضرة ونعما ، كم أطلق أسيرا وآنس مسكينا عديما ، وكم جبر كسيرا وأغنى
فقيرا ورحم يتيما ، توسل به آدم فألهم الصلاة عليه فعاد عزيزا كريما ، ودعا به نوح فأضحى من العرق
سائما ، واستغاث به الخليل فصارت النار عليه بردا وسلاما ، لما أكثر عليه صلاة وتسليما ، واستجار
به إسماعيل فأغيث بالفداء وكان للنعم بعد الردى مستديما ، وصلى عليه موسى فأضحى مخاطبا وكليما ، وبشر
به عيسى فنال رفعة وتقديما ، وسلمت عليه الأشجار والأحجار وصلت عليه الملائكة الأبرار فحصل
لهم الفخار عند من لم يزل عظيما ، فيامعشر العصاة ما غفلكم عن الصلاة عليه فانها تكفر ذنبا عظيما ،
وتورث عزا وتكريما ، فأكثرُوا من الصلاة عليه وافعلوا ما نديكم مولاكم إليه تلقوا الجنة ونعما وتجنبوا
عذابا وجحما . فقد قال في حقه من جمع بين خلقه وخلقه (وكان بالمؤمنين رحيما) وبشر من صلى عليه
من أمته بالفضل في جنته . فقال تعالى (يحييهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) فأكثرُوا من
الصلاة عليه فانها تجلو هموما وتشفي سقما ، وقد أمركم الله تعالى بالصلاة عليه تنبيها لكم وتفهيما ،
وتذكيرا لكم وتعلينا (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) :
جل الذي بعث الرسول رحيما . ليرد عنا في العاد جحما وبه ترجى جنة ونعما
أضحى على الباري الكريم كريما صلوا عليه وسلموا تسليما

ماض عن وحى الإله وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى الصادق الثقة الأمين بما روى
قد نال من رب السماء علوما صلوا عليه وسلموا تسليما
وإني له الروح الأمين مبشرا نادى به يا خير من وطئ الثرى أجب المهيمن يا محمد كي ترى
ملكك كبيرا في السماء عظيما صلوا عليه وسلموا تسليما

النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم تسير خلفه السادات من
أمته صلى الله عليه وسلم وهو
عسكر عظيم على خيولهم
بأيديهم رايات الوصال
فيسيرون حتى يصلوا إلى
قصر آدم عليه السلام .
فيقول آدم ما هذا ؟ فتقول
الملائكة هذا ولدك محمد
صلى الله عليه وسلم وأمته
دعاهم الله تعالى إلى زيارته

فأجاب المختار حين دعا به رب السموات العلى لخطابه ركب البراق وقد أتى لجناحه
أمسى له الروح الأمين نديما صلوا عليه وسلموا تسليما
فتى أرى الحادى يبشر باللقا ويضمننا بان المحصب والنقا وأرى ضريح المصطفى قد أشرفا
مولى رحيا لن يزال حليا صلوا عليه وسلموا تسليما
وأقول للزوار فزتم بالمنى يهناكمو طيب السرة والهنا فاستبشروا من بعد فقر بالغنى
فالله زادكمو به تكمربما صلوا عليه وسلموا تسليما
ثم الرضا عن آله الكرماء وكذلك عن أصحابه الخلفاء فهوهمو دينى وعقد ولائى
قوم تراهم فى المعادنجوما صلوا عليه وسلموا تسليما

[وروى أبو طلحة رضى الله عنه] قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق
فقات يارسول الله مارأيتك كاليوم أطيب نفسا ولا أظهر منك بشرا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: وما لى لاتطيب نفسى وقد جاءنى جبريل عليه السلام الساعة فقال يارسول الله من صلى عليك
صلاة من أمتك كتبت له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات وقال
له الملك مثل ما قال». وفى لفظ آخر «ورد الله تعالى عليه مثل قوله».

[وروى عن عائشة رضى الله عنها] قالت: «كنت أخيط شيئا فى وقت السحر فسقطت الإبرة
منى وانطقا الصباح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الإبرة
فقات ما أضوأ وجهك يارسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال يا عائشة الويل لمن لم يرنى يوم القيامة. قالت
فقات: ومن الذى لم يرك يوم القيامة؟ قال البخيل. فقلت ومن هو البخيل يارسول الله؟ قال الذى
إذا ذكرت عنده لم يصل على».

[وروى أبو هريرة رضى الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلوا على» فان
صلاتكم على زكاة لكم، وسلوا الله تعالى لى الوسيلة. قالوا يارسول الله وما الوسيلة؟ قال: أعلى
درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»
أحمد المصطفى سراج منير خاتم الرسل صادق الأنباء خص بالحوض والشفاعة فى الحى
مر لكل الورى ورفع اللواء وال مقام المحمود والسبق لنا س دخولنا فى الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة وهى أعلى درجات الجنان دار البقاء
فعليه الصلاة فى كل وقت وزمان يسبق على الآناء

[وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على
عشية الخميس زلت الملائكة وبأيديهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب يكتبون عشية الخميس ليلة
الجمعة ويوم الجمعة وعشية الجمعة صلاة من صلى على فأكثرها من الصلاة على يوم الجمعة». وعن أنس
ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على صلاة واحدة ليلة الجمعة
أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ويبعث إلى ملكا
يدخل على قبرى ويخبرنى باسمه ونسبه وعشيرته فأكتبه عندى فى صحيفة بيضاء» وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إن لله ملائكة سياحين يبلغون إلى صلاة من صلى على فى مشارق الأرض ومغاربها
فمن صلى على كل يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة». وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «تباهوا بالصلاة على فانها تبلغنى». وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال

فيقول آدم يا حبيبي يا محمد
قف حتى أجيء، فإن الله
سبحانه وتعالى قد دعانى
فينزل آدم عليه السلام
وتركب أولاده شيث
وهاييل وإدريس
والصالحون تلك الحبول
ثم يسرون إلى موسى
فيسمع موسى عليه السلام
صهيل الخيل وخفص
أجنحة الملائكة، فيقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة ، وما جلس قوم مجلسا ولم يصلوا فيه علي إلا كانت عليهم حجة يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم بها » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة تحت ظل عرش الرحمن عز وجل يوم لا ظل إلا ظله ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : من فرّج عن مكروب من أمي ، ومن أحيا سني ، ومن أكل من أكل » الصلاة على » .

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب » .

صلوا على هذا النبي الكريم تحظوا من الله بأجر عظيم وتظفروا بالنور من ربكم وجنه فيها نعيم مقيم طوبى لعبد محض في الوري صلى على ذلك الجناح الكريم وقد غدا من فرط أشواقه بحبه في كل واد بهم

[وروى] أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علي تعظيما لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكا أحد جناحيه بالشرق والآخر بالغرب ورجلاه مغروزان في الأرض السابعة وعنته تحت العرش فيقول الله تعالى : صل علي عبدي كما صلى علي نبي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ، ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى وكل بقبري ملكين فلاذكر عند مسلم فيصل علي إلا قال للملكان مجيبان له : غفر الله لك . فيقول حملة العرش والملائكة جوابا للملكين آمين ، ولا أذكر عند أحد فلا يصلي علي إلا قال للملكان له : لا غفر الله لك ، ويقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير الصلاة علي إلا تفرقوا على آتئين من جيفة الحمار وما من مجلس يصلي عليه إلا فاحت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه علي محمد صلى الله عليه وسلم » وإن للصلاة عليه رائحة تفوق روائح جميع الطيب تعرفها الملائكة فتميزها من سائر الطيب :

إن الصلاة على المختار إن ذكرت في مجلس فاح منه الطيب إذ تفحا
فأسكر القوم رياه فتعرفه السامك لما تبدى النور واضحا
والقوم في حضرة بالله كرت طيبة هذا ومحبوبهم في القلب مبرحا
محمد أحمد المختار من مضر أركي الخلائق جمعا أفصح الفصحا
صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب نعم السادة النصحا

[وروى أنه صلى الله عليه وسلم] قال « إن يلع النار من صلى علي » . وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى علي مائة مرة ترحمت النار عنه مائة عام » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « أكثركم على صلاة أكثركم في الجنة أزواجا » ، وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تبارك وتعالى يا محمد من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » :

سلام على نور هدينا بنوره وعز سمو قدره عن مناله سلام على من لم أذق صد بعده ولم أرتقب في النوم طيف خياله سلام على من عمننا لطف فضله ولم نخل من إكله وجماله عليه سلام الله ماذر شارق وما لاح برق مخبرا عن وصاله

ما هذا ؟ فتقول الملائكة هذا أخوك محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول يا حبيبي يا محمد صف حتى أجيء ، فإن الله تعالى قد دعاني ، فهبط موسى عليه السلام والصالحون من قومه فيصلون إلى روح الله عيسى عليه السلام ، فيقول عيسى ما هذا الضجيح ؟

[وروى أنه صلى الله عليه وسلم] قال «إن العبد ليسأل الحاجة ولا يصلي على عقيب سؤاله فترفع الحاجة على سحابة فإذا صلى على قضيت حاجته واستجيبت دعوته وفتحت له أبواب السماء» وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال «من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظه أن لا يكتب عليه عمل ثلاثة أيام» وروى «أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله عز وجل يرض على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله عز وجل هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة» :

لأحمد فضل لا يحصى وليس له في الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلي مذنباً ومقصراً جاء رسول الله قد جبر النقصا
فيافوز من صلى عليه من الورى فذاك بتثقيل لميزانه خصا
هو القرشى الهاشمى الذى سرى من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبي دنا من قاب قوسين مذ دنا فسبحان من وصى إليه بما وصى
عليه صلاة لا انتهاء لوصفها من الله ربي لا تعد ولا تحصى

فتقول الملائكة هذا محمد
صلى الله عليه وسلم قد دعاه
الله إلى زيارته ، فيطلع
عيسى عليه السلام من
قصره ويقول يا حبيبي
يا محمد اصبر حتى أجيء
إليك ، فإن الله سبحانه
وتعالى قد دعاني ، ثم
يسرون إلى مشاهدة
الحق عز وجل تحت لواء

[وروى] جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أصبح وأمسى وقال : اللهم يارب محمد وآل محمد صل على محمد وآل محمد واجز محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أهله أتعب كاتبيه ألف صباح ولم يبق لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حق إلا أداه إياه وغفر له ولوالديه وحشر مع محمد وآل محمد» وعن وهب بن منبه رضي الله عنه أنه قال : لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وفتح فيه من روحه ففتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فرأى عليه مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقال : أي رب هل تخلق خلقاً هو أعز عليك مني ؟ فقال نعم نبياً من ذريتك ، فلما خلق الله تعالى له حواء وركب فيه الشهوة قال يارب زوجني بها ؟ قال الله تعالى أد مهرها . قال رب وما مهرها ؟ قال أن تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة ، قال إن فعات زوجنيها . قال نعم فصلى آدم على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها :

أنت الذى صلى عليك الله يا خير الورى في ذكره وكذا قرى
وأبوك آدم إذ رأى حوا وقد زينت بأنواع الحلى والجواهر
صلى عليك فكان ذلك مهرها والخور بين مهلك ومكبر
أنت الذى حقا عليه سلمت وحش الفلا في كل بر مقفر
صلى عليك الله يا خير الورى مانح قمرى بغصن أخضر

[وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال «جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ ناقته على باب المسجد ، ثم دخل فقعده بإزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى أمره وأراد أن يقوم قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله الناقة التي مع الأعرابي مسروقة فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليه ، ثم قال له ماتقول ؟ فأطرق رأسه وجعل يضرب الأرض بسبائه فأنطق الله تعالى الناقة من وراء الباب . فقالت يارسول الله والذى بعثك بالحق بشيراً ونذيراً ما سرقني هذا الرجل ، وإنما سرقني غيره وإن هذا ابتاعني بماله وإنه لبريء غير آثم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي : بالذى أنطقها ببراءتك ما قلت حين أطرقت برأسك وضربت الأرض بسبابتك ؟ فقال يارسول الله قلت : اللهم لست برب استحدثناك ولا معك شريك في ملكك أعانك على خلقنا ، أنت كما تقول وفوق ماتقول أسألك يارب أن تصلي على محمد

وعلى آل محمد وتبرئني براءة مما أنا فيه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق لقد رأيت للملائكة ازدحموا على أنواء السكك يكتبون مقاتلك ، فمن أصابه مثل ما أصابك فقال مثل مقاتلك برأه الله تعالى مما نزل به :

هذا النبي محمد خير الوري ونبيهم وبه تشرف آدم
وله البها وله الحياء بوجهه كل السنا من نوره يتقسم
هو في المدينة ناويا بضريحه حقا ويسمع من عليه يسلم
وإذا توسل مستضام باسمه زال الذي من أجله يتوهم
يافوز من صلى عليه فانه في جنة المأوى غدا يتنعم
صلى عليه الله جل جلاله مراح حاد باسمه يتنعم

[وروى] أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحاربهم ، فيقول الله تبارك وتعالى لجبريل يا جبريل اقض حوائجهم فانهم كانوا يصلون كثيرا على النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة . وقال بعض الصوفية : كان لي جار مسرف على نفسه ، فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام . فقالت له بم نلت هذه المنزلة ؟ قال حضرت مجلس الله كرفسمعت الحديث يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليه ورفع صوته بها وجبت له الجنة فرفع الحديث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته معه وجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام يوما . فقال لي يا محمد قد جئت بك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك ولا بعدك وهي أن الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر له إن كان قائما قبل أن يقعد وإن كان قاعدا قبل أن يقوم فعندها خسر النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا لله تعالى شكرا على ذلك » :

ألا يا رسول الله ياخير مرسل عليك صلاة الله لا تنهاى
فيا فوز من صلى عليك من الوري صلاة يعم الكون منك سناها
عليك صلاة الله يا أشرف الوري محلا ويا أعلى البرية جاها
عليك صلاة الله ماسار راكب إلى طيبة بالذكر طاب رباها
عليك صلاة الله ماهبت الصبا وفاح بعرف المسك طيب شذاها

[وروى] أن امرأة رأت ولدها بعد الموت يعذب فخرت لذلك وبكت ، ثم رآته بعد ذلك وهو في النور والرحمة فسألته عن ذلك ؟ فقال مر رجل بالمقبرة فضلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبي من ذلك المغفرة فغفر لي . وقال بعض العارفين : صليت ليلة ، فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلبتني عيناى فتمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي نسيتنا من الصلاة علينا . فقلت يا رسول الله اشتغلت بالثناء على الله عز وجل . فقال : أما علمت أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه إلا بالصلاة على ولا يجاب الدعاء إلا بالصلاة على ولا تقضى الحاجات إلا بالصلاة على ، ألم تسمع قوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليما) :

صلوا على من أتت حقا بشأره الهاشمي الذي طابت عناصره
هو الرسول الذي عاشت رسالته في الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو النبي الذي تأتي الملوك له على الرؤوس فتأتهم مفاخره

سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم الرجال على الخيول
والنساء على المهادج ،
فإذا وصلوا تمضي الملائكة
النساء إلى فاطمة الزهراء
رضي الله عنها ، والرجال
عند النبي صلى الله عليه
وسلم ، فينزلون إلى ميدان
أرضه من المسك يسمى
حضرة القدس وفيه
كراسي منصوبة من
ياقوت ، وكراسي من

هو الطبيب لدهاء الناس كلهم يشفي السقيم وللكسور جابره
صلى عليه إله العرش ما طاعت شمس وماناح فوق العنن طائرته

[قال سفيان الثوري رضي الله عنه] بينما أنا في الطواف إذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما ، إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا هذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء ؟ . فقال من أنت عافاك الله ؟ فقلت أنا سفيان الثوري . فقال لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام ، حتى إذا كان في بعض المنازل مرض والدي فقممت لأعالجه . فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسود وجهه فقلت (إنا لله وإنا إليه راجعون) مات والدي واسود وجهه فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناي فتمت ، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهها ، ولا أنظف ثوبا ولا أطيب ريحا ، يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه ومرة بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض . ثم ولي راجعا فتعلفت بشوبه وقلت من أنت يرحمك الله ، فقد من الله بك على والدي في دار الغربة . قال أو ماتت فرفني ، أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن . أما إن والدك كان مسرفا على نفسه ، ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به منازل استغاث بي ، وأنا غياث من أكثر الصلاة على ، فانتبهت فإذا وجهه أبيض

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبؤى مع السقم
شفع نبيك في ذلي ومسكنتي
واستر فالك ذو فضل وذو كرم
واغفر ذنوبي وسامحن بها كرمي
تفضلا منك إذا الفضل والنعم
إن لم تغثن بغفو منك يا أملي
واخجأني وأحيائي منك واندني
وقد وعدت بأن تدعو تجيب لنا
وقد دعونا نجد بالغفو والكرم

[إخواني] أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم ، فإن الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدى إلى الصراط المستقيم ، وتقي قائلها عذاب الجحيم ، ويحظى في الجنة بالنعم المقيم ، وقد قيل في بعض الروايات : إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات : إحداهن صلاة الملك الغفار ، الثانية شفاعته النبي المختار ، الثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار ، الرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، الخامسة محو الخطايا والأوزار ، السادسة قضاء الحوائج والأوطار ، السابعة تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة النجاة من النار ، التاسعة دخول دار القرار ، العاشرة سلام العزيز الجبار :

يارب صل على الهادي البشير ومن
له الشفاعة في المعاصي أخى الندم
يارب صل على المختار من مضر
أزكى الخلائق من عرب ومن عجم
يارب صل على خير الأنام ومن
ساد القبائل في الأنساب والشم
يارب صل على مولى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم
صلى عليه الذي أعطاه منزلة
علياء إذ كان حقا أفضل الأمم
صلى عليه الذي أسرى به فرقى
لقاب قومين لم يدرك ولم يرم
صلى عليه الذي أعلاه مرتبة
ثم اصطفاه حبيبا يبارى النسم
صلى عليه صلاة لا انقطاع لها
مولاه ثم على محب وذى رحم

اللهم صل على سيدنا محمد الذي شرفته على سائر الأنام ، ورفعتني إلى أشرف محل ومقام ، وجعلته هاديا إلى دين الإسلام ، ودليلا إلى دار السلام ، اللهم فكنا أمرتنا بالصلاة عليه فبلغ اللهم

ذهب ، وكراسي من فضة
وفوق تلك الكراسي
مراتب خضر وكراسي من
نور ، فتأخذ الملائكة
بأيديهم فيجلس كل واحد
منهم على مرتبة ويجلسون
قوما منهم على تلك
الكراسي ، وقوما منهم
على كسبان من السك على
قدر منازلهم عند الله عز
وجل ودرجاتهم ، ثم يله

صلاتنا مناعليه اليه يارب العالمين ، اللهم احشرننا في زمرة ، واجعلنا ممن فاز بمتابعته ، واثمر بشريعته
واهتدى بسنته ، واتقى بصحابه . اللهم أوردنا حوضه ، وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته ، واجمع
بيننا وبينه ، في مستقر الرحمة والرضوان ، ودار السلام برحمتك يا ذا الجلال والإكرام .

المجلس الخامس والخمسون

في فضل قول : لا إله إلا الله ، جعلنا الله وإياكم من أهلها وتقبل منا ومنكم قولها
الحمد لله الذي لا يعلم ما هو إلا هو ، ولا يغفر الذنوب ويستتر العيوب إلا هو ، ولا يكشف الكروب
ويجبر القلوب إلا هو ، جل عن النظائر والأشياء ، وتقدس عن الالتباس والاشتباه ، وهو الله لا إله
إلا هو ، فهو المحمود الذي لا يحمد على المنكاره إلا هو ، الشكور الذي لا يشكر على السراء والضراء إلا
هو ، الكريم المقصود الذي لا يعرف بالكرم والجود إلا هو ، الرحيم الودود الذي لا يقصد بالركوع
والسجود إلا هو ، القديم الذات البديع الصفات الذي لا يدعى لكشف الكربات إلا هو (وإن يمسك
الله بضر فلا كاشف له إلا هو) إليه أمركم وعليه رزقكم وهو حسبكم (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو) لانت
لعظمته الجلامد ، وقامت على وحدانيته الشواهد (وإلهمكم إله واحد لا إله إلا هو) كيف ينكر وجوده
أهل الطغيان والغي وهو الحي الذي لا إله إلا هو ، كيف تجحد وحدانيته ، أم كيف تنكر فردانيته ،
وقد (شهد الله أنه لا إله إلا هو) قدر بحكمته الأشياء ، وخلق بقدرته الظلام والضياء ، (هو الذي
يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو) سائر العيب وراحم الشيب (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها
إلا هو) ، كيف لا يجوز بالكتاب لمن أناب وهو (غافر الذنب وقابل التوب) شديد العقاب ذي الطول لا إله
إلا هو) ، فاضرب أيها الواحد بسيف التنزيه رقاب أهل التشبيه ، واحذر بأن تفوه بمثل ما فاهوا ،
(فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو) الأولياء في حذر من مكروه لا يغفلون عن خدمته ولا يفترقون
عن ذكره ، والكافرون عسر عليهم ذلك وشق (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو) فلا يغرنك يا هذا
شيطانك العرور ولا تركزن إلى الجاحد الكفور ، ولا تتكاثر بدنياك وتتفاخر (ولا تدع مع الله إلها آخر
لا إله إلا هو) :

عليهم الحق سبحانه وتعالى
رجال رجالا وامرأة امرأة
والنساء الصالحات يجلسن
جميعهن عند السيدة فاطمة
الزهراء في إيوان من درة
بيضاء تحت شجرة طوبى
وتنصب لهم كراسى على
قدر درجاتهم . نسأل الله
الله أن يمتعنا بذلك من
فضله وكرمه ، ويسلم عليهم
الحق امرأة امرأة ورجلا

الله ربى لا أريد سواه
يا من له وجب الكمال بذاته
أنت الذى لما تعالى جدّه
أنت الذى امتلا الوجود بحمده
سبحان من خرق الحجاب لعبده
سبحان من ملأ الوجود أدلة
سبحان من ظهر الجميع بنوره
سبحان من أحيا قلوب عباده
فالعارفون مشاهدون لصنعه
مولاي أنسك لم يدع لى وحشة
مولاي أنت الواحد الفرد الذى
عجز الأنام عن امتداحك إنه
من كان يعرف أنك الحق الذى
هل فى الوجود حقيقة إلا هو
فالكل غاية فوزهم لقيه
قصرت خطا الألباب دون سناه
لما اغتدى ملائ من نعمه
وهدها منهج قصده فراه
ليلوح ما أخفى بما أبداه
فيه يرى الأشياء من صافاه
بلوانح من فيض نور هدها
مستغرقون بذكرهم إياه
إلا محاذ ظلماتها بسناه *
ملأ الوجود صفاته وهدها
تصاغر الأفكار دون مداه
بهر العقول غيبه وكفاه

وإذا أردت بأن تفوز وترتقى درج العلا وتنال منه رضا
أدم الصلاة على محمد الذي لولاه مافتح لكبر قاه
وله الوسيلة واللواء وكوثر يروى الورى وكذا يكون الجاه
صلى عليه الله ماشرت الصبا وتعطرت بمدححه الأفواه

قال الله تبارك وتعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام) . قال سعيد بن جبير : كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنبا . فلما نزلت (شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية) خرّت ساجدة ، وعن ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب ، وصنعه المتقن الغريب ، وأموره المحكمة - لنفسه عند خلقه أنه لا إله إلا هو . وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعشى فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة ، فقام يتجعد من الليل ثم بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ، ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لى عند الله وديعة ، (إن الدين عند الله الاسلام) ، قالها مرارا . فقلت فى نفسى : لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته . ثم قلت له سمعتك رد هذه الآية ، فما بلغك فيها ؟ قال والله لا أحديثك إلى سنة ، فكتبت على بابي ذلك اليوم وأقت سنة . فلما مضت السنة ، قلت له يا أبا محمد : قد مضت السنة . فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يجاء بصاحبها يوم القيامة ، فيقول الله تعالى إن لعبدى هذا عندى عهدا ، وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبدى الجنة : وقيل إن من قرأ (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة الآية) : عند منامه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة :

ما فى الوجود سواك رب يعبد
يا من له غنت الوجوه بأسرها
أنت الإله الواحد الفرد الذى
يا من تفرّد بالبهاء وبالسنا
يا من له وجب الكمال بذاته
فلذا تشقى من تشاء وتسعد

[وقال ابن عباس رضى الله عنهما] فى قوله تعالى (غافر الذنب) يعنى لمن يقول لا إله إلا الله (وقابل التوب) لمن يقول لا إله إلا الله (شديد العقاب) لمن لم يقل لا إله إلا الله . وقال تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال ابن عباس : العهد شهادة أن لا إله إلا الله . وقال تعالى (وأنهم كلمة التقوى) قال على رضى الله عنه : كلمة التقوى قول لا إله إلا الله . وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب) أى قول لا إله إلا الله . وقال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى من جاء بقول لا إله إلا الله . وقال بعض أهل العلم : قول لا إله إلا الله حرز منيع وحصن حصين ، فمن قال لا إله إلا الله تحصن من كل سوء لقوله عليه السلام « مجدوا ربكم يقول لا إله إلا الله فإن الله تبارك وتعالى يقول هى حصنى ، ومن دخل حصنى أمن عذابى » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لو يعلم المذنبون ما فى قول : لا إله إلا الله لأكثروا من ذكرها فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا إله إلا الله أربعة وعشرون حرفا كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة . وقيل إن العبد إذا قال لا إله إلا الله فى ساعة من نهار أوليل طاش ما فى صحيفته من الذنوب والخطايا حتى

رجلا ، يقول الله سبحانه
وتعالى : مرحبا بعبادى
وأوليائى وأهل طاعتى
وخدمتى ومحبتى ياملائكة
أضيفوهم ، فتقدم لهم
الملائكة موافقهم والبرعيلها
ألوان الأطعمة ، فإذا
أكلوا يقول الله سبحانه
وتعالى : مرحبا بعبادى
ياملائكتى اسقوهم فتقدم
إلهم الملائكة أفداها من

تسكن إلى أمثالها من الحسنات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » [وعن أبي هريرة رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في بعثهم ولا في نشورهم ، وكأني بهم وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم ، وهم يقولون : لا إله إلا الله حتى يدخلوا الجنة ، فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الأعمال أفضل ؟ قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى للملائكة قربوا مني أهل لا إله إلا الله فاني أحبهم » .

[إخواني] إن أهل التوحيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر سبقت محبته لهم قبل خلقهم وطاعتهم له قبل إيجادهم فصاروا أولياء بالموهبة القديمة ، لا جرم جاء مدحهم في الآيات الكريمة للمينة المكنونة (يحبهم ويحبونه)

نالوا مرادهمو بحب حبيبهم وتمتعوا بدنوته ووصاله
وعلمهم ظهر الجمال لأنهم بقاؤهم نظروا لحسن جماله
وبه قد اشتغلوا وباطوني لمن قد أصبح المحبوب من أشغاله

[وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم] « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدماً » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وعن الصنابحي رحمه الله قال : دخلت على عبادة بن الصامت رحمه الله وهو في الزرع فبكيت ، فقال مهلاً لم تبكي فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن استشفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك ، ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط نفسي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله حرم الله عليه النار » وعن أبي الاسود الدؤلي أن أباً ذر رضي الله عنه حدثه أنه قال « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيت ثانياً فإذا هو نائم ، ثم أتيت ثالثاً وقد استيقظ فجلست إليه ، فقال : مامن عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زني وإن سرق ، قال : وإن زني وإن سرق ، قلت وإن زني وإن سرق ، قال وإن زني وإن سرق ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر ، فخرج أبو ذر وهو يقول على رغم أنف أبي ذر » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دخل السوق وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذي رحمه الله فلما سمع قتبية بن مسلم بهذا الحديث كان يركب كل يوم في موكبته وهو يومئذ أمير ويأتي السوق فيقول هذا الحديث ثم يرجع :

تهتك ولا تخش في الحب عارا وإياك إياك تبسدي استئارا
ونزه حبيبك عن مشبه وعطر بذكراه ربعا ودارا
ويج باسمه ثم صرح وقل حبيبى يا قوم يهذى الحيارى
وجهرها فوحده بين الملا لعطيك منه أجورا غزارا

ذهب كل قدح مكال
بسبعين ألف لؤلؤة ،
وأقداحا من بلور مكاله
بالياقوت الأحمر في كل قدح
لون من الشراب الطهور
قال الله تعالى (وسقاهم
ربهم شراباً طهوراً)
في تناول كل واحد منهم
سدحاً في شرب من ذلك
الشراب الطهور حتى
يكتفى فيقول القدح ياولي

[إخواني] انظروا إلى فعل هؤلاء الوحيدين كيف لا يمنعمهم الحياء عن إشهار ذكر رب العالمين ولا يستنكفون عن تنزيه الحق بين سائر المخلوقين ، وقد قال تعالى (فاذكروني أذكركم) .

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ؛ وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتقوا موتاكم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم العليم من الرجال والنساء يتخير عند ذلك المصراع » فانظروا رحمكم الله إلى كلمة الإخلاص ما أعظم شأنها وما أرفع عند الله مكانها فأكثرها من ذكرها لتتأوا جزيل أجرها ، فيها يحصل الثواب الكامل والأجر الوافر ويقولها يتميز المؤمن من الكافر وما من عبد يسمع المؤذن فيقول : مثل ما يقول فإذا قال : لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله ومسح وجهه بيديه تبركا بها ومر بهما على لحيته إلا كتب الله تعالى له بكل شعرة أصابها يده حسنة وحط عنه بها سيئة » وقال بعض الصحابة رضي الله عنه : من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته تعظيما لها غفر الله له أربعة آلاف ذنب ، قيل فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب قال يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقيل يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج قرطاس مثل الأتملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع في الكفة الأخرى فترجح على خطايا وذنوبه ويسامحه الله تعالى ويأمر به إلى الجنة كل ذلك بفضل قول لا إله إلا الله ؛ وفصل لا إله إلا الله كثير لا يحصى ، وعظيم لا يستقصى ؛ وينشد لمؤلفه :

الله إن كنت شربت مني
لبنافا شرب مني حمرا وإن
كنت شربت مني حمرا
فاشرب مني عسلا مصفى
فيشرب من ذلك حتى يكتفى
نم تقول الملائكة : قد
أمرنا ربنا أن نسقيكم بهذه
القداح من أنواع الشراب
سبعين لونا ، كل لون الله
من الآخر فإذا اكتفوا
يقول الله سبحانه وتعالى :

الكل في بحر حبه تاهوا	وقد تفانوا في سمرعناه
ومحجوا العقد مخلصين له	بقولهم لا إله إلا هو
يا معشر الذاكرين كلكم	قولوا معي لا إله إلا هو
وراقبوا من يعممكم كرما	بفضله لا إله إلا هو
فالكون قد فاح نشره عبقا	بذكره لا إله إلا هو
والعرش تسبيحه له أبدا	سبحان من لا إله إلا هو
وكل مافي السماء من ملك	تسبيحه لا إله إلا هو
وكل مافي الجبال من عظم	تسبيحه لا إله إلا هو
وكل مافي الرياض من شجر	تسبيحه لا إله إلا هو
وكل مافي البحار من سمك	تسبيحه لا إله إلا هو
وكل مافي الوجود من بشر	تسبيحه لا إله إلا هو
وكل مافي الزمان من عجب	أعجبه لا إله إلا هو
وكل شيء تراه من حسن	أحسنه لا إله إلا هو
وكل شيء يلوح من مالح	زينته لا إله إلا هو
وكل أهل العلوم قد علموا	بأنه لا إله إلا هو

وكل أهل العقول قد فهموا بأنه لا إله إلا هو
والانس والجن كلهم شهدوا بأنه لا إله إلا هو
والرعد والبرق إذ يسبحه فقوله لا إله إلا هو
وكل من ضل عن طريق هدى دليله لا إله إلا هو
وكل من يشكى أذى سقم شفاؤه لا إله إلا هو
ومن أتاه بالذل مفتقرا غناؤه لا إله إلا هو
ومن أتى بانسا ومنكسرا فخيره لا إله إلا هو
يا غارقا في بحار غفلته انهض وقل لا إله إلا هو
تعصيه جهرا وحله كرما يستره لا إله إلا هو
يا قوم لاتغفلوا بحملكم عن ذكره لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك سبحانه لا إله إلا هو
تنسوه في الليل والنهار ولا ينساكم لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد يشهد أن لا إله إلا هو
سبحانه ما أعم رحمته لمذنب تاب من خطاياہ
وها أنا مذنب عصيت وقد كان الذي كان حسبي الله
قد ضاع عمري وليس لي عمل في يوم حشري رضى به الله
وقد أتاني المشيب ينذرني بقرب موتي وما سألقاه
من كان مثلي في المذنبين أسا يسكن على ذنبه وينعاه
من كان مثلي قد شاب وهو على قبيح ما لا يحبه الله *
من كان مثلي يأتي الذنوب ولا يخاف مما جنى ويغشاه
يأتي إلى الله وهو معتذر عساه يمحو له خطاياہ
يا من عصى الله وهو ينظره في الذنب إذ لا يخاف عقباہ
إن كنت مثلي مقصرا وجلا من قبح ذنب في الحشر تلقاه
فلذبحاه الشفع أفضل من يشفع في الحشر عند مولاه
محمد المصطفى الرسول ومن شرفه الله ثم نباه *
صلى عليه الإله خالقہ ما سار سار وطاب مسراه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس السادس والخمسون

في سعة رحمة الله تعالى ، غمرنا الله وإياكم والمسلمين برحمته ، وعاملنا بلطفه ورأفته
الحمد لله الرحيم الذي يرحم من عباده الرحما ، الكريم الذي يسبل على العاصي ذيل حلمه
جودا وكرما ، الحليم الذي يرى المذنب ويستره إذا أبدى على ذلته حسرة وتندما ، العليم الذي
يعلم ما في الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السما ، العظيم الذي
لا يتعاضمه ذنب إلا غفره ولا يرى عيبا إلا استره فضلا منه ونعما ، سبقت رحمته غضبه ، وقد قال تعالى

مرحبا بعبادي وأهل
طاعتي وخدمتي ومحبي
يا ملائكتي فكهروهم فتقدم
إليهم الملائكة أطباقا من
الذهب فيها ألوان الفاكهة
فإذا أكلوا يقول الله عز
وجل مرحبا بعبادي وأهل
طاعتي ومحبي يا ملائكتي
طيبوهم فتحمل إليهم
الملائكة المسك الأذفر
الأبيض من تحت العرش

لينقذ المؤمنين من العصيان والعتي (ورحمته وسمت كل شيء) اغفر زللا ومأثما، من لجأ الى حمى جنبه احتفى، ومن تاب إليه نجاه ومن توكل عليه كفاههما وغما وألما؛ فيامعشر التائبين أبشروا بالصيانة والعصمة واشكروا على هذه النعمة فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأجرى لكم بالسعادة قلنا، فالعارفون قد نشروا لهم بنيل المقصود في الوجود علما، والمجون قد أباحهم في الجنة النظر إليه وسقامهم بكؤوس أنسه فأضحوا لحضرة قدسه ندما، والخائفون قد لزموه ذلا وخضوعا وأبدوا على ما أسلفوا بكاء وخشوعا فأخرج لهم توقيع (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فألبسهم من الأمان بالغفران تاجا معلما قيامن أيامه في الغلة ضائعة، وصحافته لزلاته جامعة، أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة، فقد قال تعالى لئنبي صاحب الشفاعة الشائعة (فإن كذبوك نقول ربكم ذو رحمة واسعة) فكم غفر ذنبا، وكم جبر قلبا، وكم قبل متندما ؟

قل للذي ألف الذنوب وأجرما	وغدا على زلاته متندما
لاتيأسن من الجحيم فندنا	فضل بنيل التائبين تكمرا
يامعشر العاصين جودى واسع	توبوا ودونكم المني والغنا
لا تخشوا من قبح ذنب سالف	إني أحب بأن أجود وأرحما
ها قد أبحتكمو جنباني فادخلوا	بالأمن فهو لمن أتى بابي حمى
يأيها العبد المسيء إلى متى	تفنى زمانك في عسى ولربما
بادر إلى مولاك يامن عمره	قد ضاع في عصيانه وتصرما
واسأله عفوا ثم لد متوسلا	بمحمد جالى الضلالة والعمى
خير الأنام الهاشمي المجتبى	واللرضى وهو الكريم المنتمى
أزكى البرية عنصرا وأجل من	قد خص بالتقريب من رب السما
صلى عليه الله ماسرت الصبا	وشدا المزار على الربا وترما
وعلى الصحابة والقراة بعده	ما سبج الداعي الإله وعظما

قوله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إنه هو الغفور الرحيم (خاطب الله سبحانه وتعالى عباده السرفين على أنفسهم بالتحذير وبما اكتسبوا من الذنوب والعصيان، وبما اقترفوا من النسق والطغيان، فظنوا أنهم لا يغفر لهم وقنطوا من رحمة الله عز وجل، فقال الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) يعنى لاتيأسوا من عفو الله وكرمه ومغفرته (إن الله يغفر الذنوب جميعا) لمن أناب وتاب من ذنبه ورجع عن ظلمه واستغفر من قبيح فعله (إنه هو الغفور الرحيم) الغفور لمن تاب وتندم على ما فعل من الذنوب، الرحيم لمن رجع عن الأعمال الذمومة إلى الأعمال الحمودة وروى عقيل بن أحمد بإسناده عن ابن سيرين، قال: قال على رضى الله عنه: ما في القرآن آية أوسع من قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، وروى عبد الله ابن حامد بإسناده عن أسماء بنت يزيد قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) ولا يزال» وفي مصحف عبد الله (إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء) وروى الأعمش عن أبي سعيد الأزدي

فيذرونه عليهم ثم يقول
الله تعالى: مرحبا بعبادي
وأهل طاعتى يا ملائكتى
اكسوهم فناء ولهم الملائكة
خلعوا خضرا وحمر او صفرا
بيضا مصقولة بنور الرحمن
ولولا أن الله سبحانه

عن أبي السكون قال : دخل عبد الله بن مسعود المسجد فإذا واعظ يعظ الناس وهو يذكر النار والأغلال فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية) ، وروى ابن فتحويه بإسناده عن زيد بن أسلم أن رجلا كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ، فلما مات رؤى في المنام وهو بين يدي الله تعالى ، وقد قال يارب مالي عندك ؟ قال النار ، قال يارب فأين عبادتي واجتهادي ؟ فقال له إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا ، وأنا اليوم أفنطك من رحمتي :

لا تقنطن فإن الله منان وعنده للورى عفو وغفران

إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك إفضال وإحسان

يا هذا لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المساحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه ، فقال تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ثم قال سبحانه وتعالى لما رأى عفو وسيعا (إن الله يغفر الذنوب جميعا) . وروى عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشى يدعو إلى الإسلام فأرسل إليه يقول : يا محمد كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفسا أو أشرك أو زنى يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا وإنى قد فعلت ذلك كله فهل تجدى رخصة ؟ فأرسل الله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآية فبعث بها إلى وحشى وأصحابه ، فقال وحشى هذا شرط شديد لعل لا أقدر عليه فهل غير ذلك ؟ فأرسل الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث بها إلى وحشى ، فقال وحشى أرأيت بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فهل غير ذلك ؟ فأرسل الله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) فبعث بها إلى وحشى وأصحابه ، فقال وحشى : نعم هذه جفاء فأسلم هو وأصحابه ، فقال المسلمون يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة » :

إن كان ذنبك قد خيفت عواقبه فما سجدت لطاغوت ولا ون

أو كنت ذا سيئات جل موقعها فإن ربك ذو فضل وذو منن

إن لم يكن عفو له لذنبيين غدا فعفو ليت شعري بعد ذلك لمن

[إخواني] لو أراد الله تعالى عقوبة للمؤمن في جهنم وتخليده لما ألهمه معرفته وتوحيده وقد قال تعالى (لا يضلها إلا الأشقي . الذي كذب وتولى) :

يا من أما فيما مضى ثم اعترف كن محسنا فيما بقي تعط الشرف

وابشر بقول الله في تنزيله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

[وقال قتادة] ذكر لنا أن أناسا أصابوا ذنوبا عظيما في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أشفقوا وخافوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية . وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » ، رواه ابن ماجه رحمه الله . وروى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أأبى فاستغفروني أغفر لكم » وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تبارك وتعالى

وتعالى يحفظ أبصارهم لا تختطف من نور تلك الخلق ، فيلبس كل واحد منهم خلعة ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى : مرحبا بعبادي وأهل طاعتى ومحبتى يا ملائكتى حلوهم

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ، رواه مسلم رحمه الله ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده لو لم تذبوا وتستغفروا لله بكم ولجاء بكم يوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم» رواه مسلم رحمه الله . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » :

واخجلة البدم من إحسان سيده واحسرة القلب من ألطاف معناه
وكم له من أياذ غير واحدة على لطفنا لعلمي أنه الله
وكم عكفت على العصيان مستترا مما سواه وما في الكون إلا هو
يولي الجميل ويبدى الفضل مبتدئا لا كان في الناس عبد ليس يرعاه
يا نفس كم يخفى اللطف عامي وقد رأي على ما ليس يرضاه
يا نفس كم زلة زلت بها قدي وما أقال عشاري ثم إلا هو

[وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمتي أمة مرحومة عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب ، فقبل هذا فداؤك من النار » وقال صلى الله عليه وسلم « يتجلى الله تبارك وتعالى لنا يوم القيامة ضاحكا يقول أشيروا يا معشر المسلمين فإنه ليس أحد منكم إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا » وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ، ثم وضعها على العرش ، ثم نادى . يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ، أعطيكم من قبل أن تسألوني وغفرت لكم من قبل أن تستغفروني ، من لقيني منكم وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبدي ورسولي أدخلته الجنة . »

[وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم] أنه قال « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد : أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوها الجنة برحمتي . »

[وعن الحسن رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى مائة رحمة أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعهم إلى آجالهم ، وإن الله تبارك وتعالى قابض تلك الرحمة إلى يوم القيامة فيضيفها إلى التسعة والتسعين فيكاملها مائة رحمة لأوليائه وأهل طاعته . » [وروى عن عمر رضي الله عنه] « أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي . فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال جاءني جبريل عليه السلام ، وقال لي إن الله تبارك وتعالى يستحي أن يعذب أحدا قد شاب في الإسلام ، فكيف لا يستحي من شاب في الإسلام أن يبص الله تعالى » وحدثنا هرون بن محمد عن أحمد بن سهل رضي الله عنه قال : رأيت يحيى بن أكرم في المنام فقلت يا يحيى ما فعل الله بك قال دعاني ؟ فقال لي يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، فقلت : ما هكذا حدثت عنك ، قال فبم حدثت عني ؟ قلت : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله

فتقدم اليهم الملائكة الحلواء ،
من جميع الأصناف ،
وسبب حبس الخور على
أصحابهن اطلاعهن عليهم
في سائر الأحوال فتقول
لصاحبها ما الذي وجدت
سيدك عليه من العمل ؟

عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عنك يا رب أنك قلت «إني لأستحي أن أعذب شبيهة شابت في الإسلام ، وأنا شيخ كبير . فقال الله تبارك وتعالى : صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبي وصدق جبريل وصدقت أنا ثم أمر بي ذات اليمين إلى الجنة » :

أستغفر الله مما كان من زللي ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت جبل الرجا يا خير غفار
إن السالك إذا شابت عييدهم في رقبهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا خالق أولى بهذا كرما قد شبت في الذنب فأعتقني من النار
وقد روي عنك خير الخلق من مضر للصطفى المجتبي من خير أطهار
بأنك الله رب العرش قلت لنا وقولك الحق في نقل وأخبار
أنا الذي من أتاني ليس يشرك بي أغفر له ما جنى من قبح أوزاري
وإني شبت في الإسلام يا أُملي فأغفر ذنوبي واسبل حسن أستار

وخرج مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تبارك وتعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فأُنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض حتى إن الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، فإذا كان يوم القيامة ردّ الله تعالى هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين فأكلها مائة رحمة فيرحم بها عباده يوم القيامة » .

[إخواني] لا رحيم أرحم من الله ، ولا كريم أكرم من الله فاشكروه على هذه النعمة :

جل رب أمضى على الخلق حكمه وله في قضائه كل حكمه
قسم السعد والشقاء فطوبى للذي كانت السعادة قسمه
كم له رحمة على الخلق عمت كم له في اللعاب أثمل رحمة
عفوه واسع لمن قد أثم بمتاب وعنه كفر إثمه
كل من جاء تابيا قبل التوبة منه وكان أهلا لنقمه
عظموا شأنه فقد فاز عبد عن صفات الأنام قدس إسمه
وارحموا أرحموا فطوبى لعبد أسكن الله قلبه منه رحمة

وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط «إن الله تبارك وتعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون ربنا لم نر فيها أحدا ممن أمرتنا ، فيقول الله تعالى : (رحمى وسعت كل شيء) فكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) فيقول الله تبارك وتعالى : شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء فلم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط إلا التوحيد قد عادوا خفا فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم ، فيعرفهم أهل الجنة ، فيقولون : هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . فيقال لهم ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم . فيقولون

فتقول قد وجدته يصلي ويبكي وينزع إلى الله سبحانه وتعالى ، فتقول الأخرى وأنا قد وجدت سيدي نائما ، فتقول الأخرى إن سيدي كثير المجاعدة وسيدك

ربنا قد أعطينا ما لم تخط أحدا من العالمين . فيقول الله تبارك وتعالى : ولكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا »
رواه البخاري ومسلم رحمهما الله :

رضاك خير من الدنيا وما فيها يمنية القلب قاصيها ودانيها
وما ذكرتك إلا همت من طرب كأن ذكرك ألحان أغانيها
وحق جبك ما قصدى الديار ولا الأموال من عرض الدنيا فأقنيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى أشهى إلى من الدنيا وما فيها
وليس للنفس آمال تؤملها سوى رضاك فذا أقصى أمانها
وفي الخبر « إن الله تبارك وتعالى يشفع آدم يوم القيامة من جميع ذريته في ألف ألف وعشرة آلاف ألف » .

[وروى] جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « شفاعتى لأهل الكبار من أمتي » ، قال جابر : فمن لم يكن من أهل الكبار ثقله ولا شفاعته ؟ يعنى لا يحتاج إلى الشفاعة .
يامن شفاعته تنجى العصاة غدا من العذاب الأليم الراجع الشر
أنت النبي الشفيع المستضاء به يوم القيامة يوم الروع والحذر
فاشفع لنا عند رب العرش خالفنا ياسيد الخلق من أنثى ومن ذكر
[وفي الخبر] « أن أعرابيا قال يا رسول الله من يلى حساب الخلق ؟ فقال : الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم فتبسم الأعرابي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا أعرابي ؟ فقال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حسب سامح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا لا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين » ثم قال الأعرابي :

إن الكريم إذا تعين حقه عند امرئ أعفاه منه تسكرما
ويسامح الجاني ويغفر ذنبه ويكون حقا قد أساء وأجرما

وفي الخبر المشهور « إن الله تبارك وتعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتى تغلب غضبي » وروى « أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تبارك وتعالى كتابا من تحت العرش فيه مكتوب : إن رحمتى سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة » :

ذنوبى كثير ما أطيق احتمالها وعفوك عن ذنبي أجل وأكبر
وقد وسعتنى رحمة منك ههنا وإنى لها يوم القيامة أفقر

[وروى] أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) . فقال الأعرابي : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : خذوها من غير فقيه . وقيل إن الله تعالى إذا أراد أن يستر عبده يوم القيامة ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد فيعطيه كتابه يمينه وهو مشحون بالسيئات وذلك العبد خائف مما فى الكتاب لعله أن ذنوبه كثيرة فيقرأ فى الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقول فى نفسه سبحان الله ليس لى حسنة واحدة . وتقول الخلائق سبحان الله ليس فى كتاب هذا العبد سيئة واحدة ، فاذا فرغ من قراءته سرا يقول الله تبارك وتعالى : عبدى هذه حسناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى وسترت عنهم سيئاتك فى الدنيا والآخرة ياملائكتى امضوا به إلى الجنة بعفوى ورحمتى .

يامن له ستر على جميل هل لى إليك إذا اعتذرت قبول

كثير الغفلة عسى تصير
ميراثا لسيدي فتقول لها
حاشا سيدي من القطيعة
ما فرق الله عز وجل بيننا
وبينه أبدا ولا جعله من
المحرومين ، فان قصر
العبد عن طاعة الله

أبديتني ورحمتني ومسترتني كرما فأنت لمن رجالك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك واسعا وعلى سترك دائما مسدول
فلك الحمد والمحسن والنسا يامن هو المقصود والسؤل

[وعن أنس بن مالك رضى الله عنه] «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوئهم غيري ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه هم أمتك وأنا أرحم بهم منك فلا أجعل حسابهم إلى غيري ثلاث ينظر في مساوئهم أحد غيري » :

يامن له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذلك سماح أخفيت ذنب العبد عن كل الوري
كرما فليس عليه ثم جناح فلك الفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح
[وعن معاوية بن قره] قال قال ابن مسعود رضى الله عنه : أربع آيات في سورة النساء خير
لهذه الأمة من الدنيا وما فيها ، قوله عز وجل (إن الله لا يغير أن يشركه به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء) وقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقوله تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) .

[وقال أبو غالب] كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت على مريض من جيرانه ، وهو يعاتبه ويقول له يا ظالما نفسه ألم أمرك ألم أنهمك . فقال الفتى يا عمه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي وجعل أمرى إليها ما كانت صانعة بي ؟ قال تدخلك الجنة . قال فان الله تعالى أرحم بي من والدتي ثم قبض الفتى فدخل معه عمه القبر يلحده ، فلما سواه صاح وفرح . فقلت له مالك ؟ قل فسبح له في قبره وملى نورا . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي تسعى ، وقد وجدت صبيا في السبي فأخذته وألصقته بطنها وأرضعته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آتروا هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا والله ، فقال : الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها » رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما :

لم لأرجى العفو من ربنا أم كيف لانطمع في حمله
وفي الصحيحين آتى أنه بعبدته أرحم من أمه

[إخواني] إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقطع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه . وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)

قدم لنفسك خيرا مادمت مالك مالك واعدد جوابا سريعا إذا سمعت سؤالك
فكل ما قد فعلته تراه ثم ينالك

[وقال أبو بكر بن سليم الصواف رحمه الله] دخلنا على مالك بن أنس رضى الله عنه في العشية التي قبض فيها . فقلنا له يا أبا عبد الله كيف تجددك ؟ قال لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من لطف الله وعفوه ما لم يكن لكم في حساب ، فما برحنا من عنده حتى غمضناه .

[وقيل] إن الله تعالى ألطف وأرحم ما يكون بعبد إذا نزل في لحده ووضع خشن التراب على لين خده ، وجفاه من كان يرغب في قربه ووده فاذا وضع الميت على المغتسل أولا وجرى من ثيابه وأيس من أحبابه فينادى واسواتاه وافضيحتاه ولا يسمع نداء غير مولاه فيجيبه الحق سبحانه وتعالى ويقول : عبدى أنا سترتك في الدنيا وأنا أسترك في الآخرة .

واقبل إلى العصية يحى
اسمه من القصور ويتوارث
أهل الجنة منازلهم وخدمه
وإن داوم على طاعة الله
عز وجل وصل إلى النعيم
المقيم ، فلازم الباب
وجدد الثياب وتضرع

يا من له السر الجليل على الوري ويجود بالافصال منه وبالقرى
أبديتني ورحمتني وسترتني وهديتني لطفا فكنت مقصرا
فأرحم بمفوك زلتني ياسيدي ومصون وجه في التراب معفرا
فإذا أخرج الميت من الدار وحمل على النعش فانه يصيح واغربتاه فيقول الله سبحانه وتعالى
يا عبدي إن كنت اليوم غريبا فاني منك لازلت قريبا ، يا عبدي لا تخف فاني مقبل عثرتك وراحم
غربتك ومؤنس وحدتك :

يا راحم الغرباء يا من جوده قدعني يا مؤنس في وحدتي
أسميت من أهلي غريبا مفردا ولأنت يا مولاي راحم غربي
فإذا أزلوه في لحده ووضعوا على خشن التراب لين خده ، ثم تركوه وانصرفوا ، ومضوا عنه
وانحرفوا فيصيح : واوحدتاه ، فيناديه الرب الكريم الرؤوف الرحيم : عبدي عليّ تستوحش وأنا
أنيستك هل تشكي الوحدة وأنا جليستك ، يا عبدي أليست بربك ؟ فيقول بلي يارب فيقول يا عبدي
كيف تركت ما أمرتك به واتبعت ما نهيتك عنه ، أما علمت أن مرجعك إليّ ، وأعمالك معروضة
بين يديّ ، أنسيت عهدي أم أنكرت وعيدي ووعدى ، فالآن تخلي عنك الصاحب والصديق ،
وتجردت عن المال الوثيق ، فلا المال تفك في مآلك ، ولا الصديق خلصك من قبيح أفعالك ،
فما حاجتك وما معذرتك ؟ فيقول : يارب احتوى قلبي على حب الدنيا وحب المال فملاني على الذنوب
والانقار ، وها أنا قد صرت في جوارك ، وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبنى بشارك وإن لم ترحنى فمن
يرحمني ؟ فيقول الله تعالى : يا عبدي مضوا عنك وتركوك ، ولو أقاموا عندك ما تفعلوك ، وإلى بابي
وجهوك وعلى كرمي خلفوك ، يا عبدي طب تساوقر عينا فأنت الليلة ضيفي والكريم لا يغيث ضيفه ،
يا ملائكتي أحسنوا في ضيافته ، وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته :

إذا ما الموت في جسمي السقيم سرى وأنى على عظمي الرميم وبت مجاور الرب الرحيم
فقولوا لي وقد وافى نيمي لك البشرية قدمت على كريم
تولى العمر واقترب الرحيل وزادى للتي زاد قليل وفي لحدي إذا حان النزول
فهونني أحبابي وقولوا لك البشرية قدمت على كريم

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أخطأتم حتى تبلغ
خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » رواه ابن ماجه رضي الله عنه . وقيل إن موسى عليه السلام
قال في بعض مناجاته : يارب ، فقال الله تعالى ليبيك يا موسى ، فقال موسى عليه السلام : يارب أنت أنت
فمن أنا حتى أجاب بالتلبية ؟ فقال يا موسى اني آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية
إلا أجبته بالتلبية . فقال موسى يارب هذا لكل عبد طائع ؟ قال ولكل عبد مذنب ، قال يارب أما الطائع
فبطاعته فما بال المذنب ؟ فقال الله تعالى يا موسى اني إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسيء
لإساءته فأين جودي وكرمي ؟ :

تعصى وتجهر بالعصيان إعلانا وأستر الذنب إنعاما وإحسانا
ولا أجازي مسيئا بالفعال ولا أجزى النى تاه عصيانا وعدوانا
ومن أنى تابا بالذل منكسرا نعطيه من فضلنا عفوا وغفرانا

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ان وليا من أوليائي قد مات في أرض كذا
فأذهب إليه وغسله وكفنه وصل عليه ووارده تحت التراب فهو جارك في الجنة ، فأنى موسى عليه

إلى الله العزيز الوهاب تحفظ
في الجنان بعلاقة الأحباب ،
والله أعلم بالصواب وإليه
الرجع والمآب .
وقد تم هذا الكتاب
المرتب على عشرة أبواب

السلام فوجده ميتا في خربة وليس عنده أحد ولا يملك شيئا في الدنيا والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل فسق وعصيان فغسله موسى وكفنه وصلى عليه ودفنه ، وقال يارب إنى امثلت ما أمرتني به في حق هذا الميت والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل قبيح ، فقال الله تعالى : يا موسى صدق عبادى ، وأنا أعلم منه بما لا يعلمون ، ولكن لما دنت وفاته ناجاني بخمس كلمات وقد غفرت له بها . فقال موسى يارب وما هن الكلمات ؟ قال يا موسى : الكلمة الأولى قال : يارب أنت تعلم أنى أحب الصالحين وإن لم أكن صالحا . والثانية قال : يارب أنت تعلم أنى أبغض الفاسقين وإن كنت فاسقا . والثالثة قال يارب لو أعلم أن دخولى الجنة ينقص من ملكك شيئا لما سألتك جنتك . الرابعة قال يارب لو أعلم أن دخولى النار يزيد فى ملكك شيئا لما سألتك الجيرة منها . والخامسة قال يارب إن لم ترحمنى أنت فمن رحمنى ؟ فرحمته يا موسى ، أفكان يليق بكرمى أن أردّه خائبا وقد تكلم بهذه الكلمات فعفوت عنه وغفرت له وأنا الغفور الرحيم :

فكم لبيت عبدى إذ دعانى	وراعيت الوداد ومارعانى
أنا المرخى السور على المعاصى	على عبدى الجسور إذا عصانى
أيجمل بى إذا العاصى أتانى	وعاتب نفسه فيما جفانى
وجدد توبة منه وأبدى	تضرعه بدمع منه قانى
أقطه وأمنعه جنانى	وقد وافى كتيب القلب عانى
فكم أعددت للتوابع عندى	من الخيرات فى غرف الجنان
وان نادانى العاصى بسرّ	وإخلاص حوى كل المعانى
ومن يطع الرسول ينال عزا	ويحظى بالمسرة والأمانى *
شفيع المذنبين رسول حق	ومن قد خص بالسبع الثانى
عليه من المهيعن كل وقت	صلاة مائتى غصن بان

[للامام العلامة أبى الليث
السمرقندى] رحمه الله تعالى .
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
تسلما كثيرا إلى يوم
الدين ، والحمد لله رب
العالمين .

اللهم فقهننا فى الدين ، وعلمنا التأويل ، ولا تذلنا باملك يا حقيق يامبين ، واجعلنا من عبادك
للفلاحين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

بحمد الله تعالى تم طبع [الروض الفائق فى المواعظ والرفائق] للعلامة الشيخ « شعيب الحريش »
وبهامشه كتابان : الأول يتضمن [أحاديث ومواعظ وآثارا تتعلق بالموت وما بعده] للعلامة
« زين الدين بن عبد العزيز المليبارى » . والثانى كتاب [قرة العيون ومفرح القلب المحزون] للامام
« أبى الليث السمرقندى » .

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برئاسة : أحمد سعد على

31/9/97

القاهرة فى يوم الخميس ١١ / رمضان سنة ١٣٦٨ هـ
٧ / يولييه سنة ١٩٤٩ م

مدير المطبعة

ملاحظ المطبعة

رستم مصطفى الحلبى

محمد أمين عمران

فهرس

الروض الفائق في المواعظ والرقائق للحريفيش

مصحفة	
٢	خطبة الكتاب
	المجلس الأول
	: في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،
	وفضل بسم الله الرحمن الرحيم
٦	المجلس الثاني
	: في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن)
١٥	المجلس الثالث
	: في ذكر الموت وزيارة القبور والترحيم على أهلها
٢٥	المجلس الرابع
	: في مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين
٣١	المجلس الخامس
	: في فضل شهر رمضان وصيامه
٣٧	المجلس السادس
	: في وداع شهر رمضان
٤٢	المجلس السابع
	: في فضائل ليلة القدر
٤٦	المجلس الثامن
	: في ذكر حجاج بيت الله الحرام وما أعد الله لهم من الأفضال والإنعام
٥٥	المجلس التاسع
	: في فضائل الكعبة التي شرفها الله تعالى
٦٠	المجلس العاشر
	: في ذكر ما جاء في البكاء والبكاكين من خشية الله تعالى
٦٦	المجلس الحادي عشر
	: في فضائل الفقراء رضي الله عنهم
٧٠	المجلس الثاني عشر
	: من كلام الشيخ عز الدين المقدسي
٧٣	المجلس الثالث عشر
	: في ذكر جهنم ، أعاذنا الله منها
٧٩	باب صفة الفقير
	المجلس الرابع عشر
	: في ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء والأولياء
٨٥	المجلس الخامس عشر
	: في مناقب الأولياء رضي الله عنهم
٨٩	المجلس السادس عشر
	: في قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت) الآية
٩٤	المجلس السابع عشر
	: في إثبات كرامات الأولياء رضي الله عنهم
٩٧	المجلس الثامن عشر
	: في قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الآية
١٠٠	المجلس التاسع عشر
	: في مناقب الصالحين رضي الله عنهم
١٠٥	المجلس العشرون
	: في قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر) الآية
١٠٨	المجلس الحادي والعشرون
	: في قوله تعالى (ألم تأم التكاثر) إلى آخر السورة
١١١	المجلس الثاني والعشرون
	: في صدقة التطوع
١١٥	المجلس الثالث والعشرون
	: في صدقة الفطر وما أعد الله لخروجها من الأجر
١١٩	المجلس الرابع والعشرون
	: في ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم
١٢٥	المجلس الخامس والعشرون
	: في حكايات الصالحين وما فيها من الرقائق
١٣١	المجلس السادس والعشرون
	: في مناقب الصالحين رضي الله عنهم

- ١٣٦ المجلس السابع والعشرون : فيما يجلو القلوب من المقسوة الخ
 ١٤٢ المجلس الثامن والعشرون : في قوله تعالى (وتفخ في الصور فصعق من في السموات) الآية
 ١٤٧ المجلس التاسع والعشرون : في بعض مناقب الصالحين رضي الله عنهم
 ١٤٩ المجلس الثلاثون : في مناقب الأولياء رضي الله عنهم
 ١٥٣ المجلس الحادي والثلاثون : في مناقب الصالحين رضي الله عنهم
 ١٥٧ المجلس الثاني والثلاثون : في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه
 ١٦٣ المجلس الثالث والثلاثون : في ذكر كرامات الأولياء رضي الله عنهم
 ١٦٩ المجلس الرابع والثلاثون : في مناقب سيدنا معروف السكري رحمه الله عليه
 ١٧٦ المجلس الخامس والثلاثون : في ذكر الأولياء والأبرار والصالحين والأخيار
 ١٨٢ المجلس السادس والثلاثون : في ذكر النيل المبارك
 ١٨٦ المجلس السابع والثلاثون : في مناقب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 ١٩٢ المجلس الثامن والثلاثون : في مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه
 ١٩٨ المجلس التاسع والثلاثون : في مناقب الإمام مالك رضي الله عنه
 ٢٠٥ المجلس الأربعون : في مناقب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه
 ٢٠٧ المجلس الحادي والأربعون : في مناقب الصالحين رضي الله عنهم
 ٢١١ فصل : في جملة نصائح
 ٢١٧ المجلس الثاني والأربعون : في فضائل يوم عاشوراء
 ٢٢٣ المجلس الثالث والأربعون : في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٢٢٨ المجلس الرابع والأربعون : في التنزيه وذكر الصالحين
 ٢٣٢ المجلس الخامس والأربعون : في حجة الله عز وجل
 ٢٤٠ المجلس السادس والأربعون : في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٤٨ المجلس السابع والأربعون : في مناقب الصالحين ، وفيه قصة أبي يزيد البسطامي
 ٢٥٥ المجلس الثامن والأربعون : في زواج علي بن أبي طالب بالسيدة فاطمة رضي الله عنهما
 ٢٦٠ المجلس التاسع والأربعون : في ذكر الموت والتفكير فيه
 ٢٦٧ المجلس : الخمسون : في ذكر الصالحات الخ
 ٢٧٤ المجلس الحادي والخمسون : في ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأوسع مما تقدم
 ٢٨٣ المجلس الثاني والخمسون : في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٨٨ المجلس الثالث والخمسون : في مناقب الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم
 ٢٩٤ المجلس الرابع والخمسون : في ذكر الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
 ٣٠٠ المجلس الخامس والخمسون : في فضل قول لا إله إلا الله
 ٣٠٤ المجلس السادس والخمسون : في سعة رحمة الله تعالى

فهرس

كتاب يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ ، لزين الدين المليباري الذي بالهلمش

مصحفة

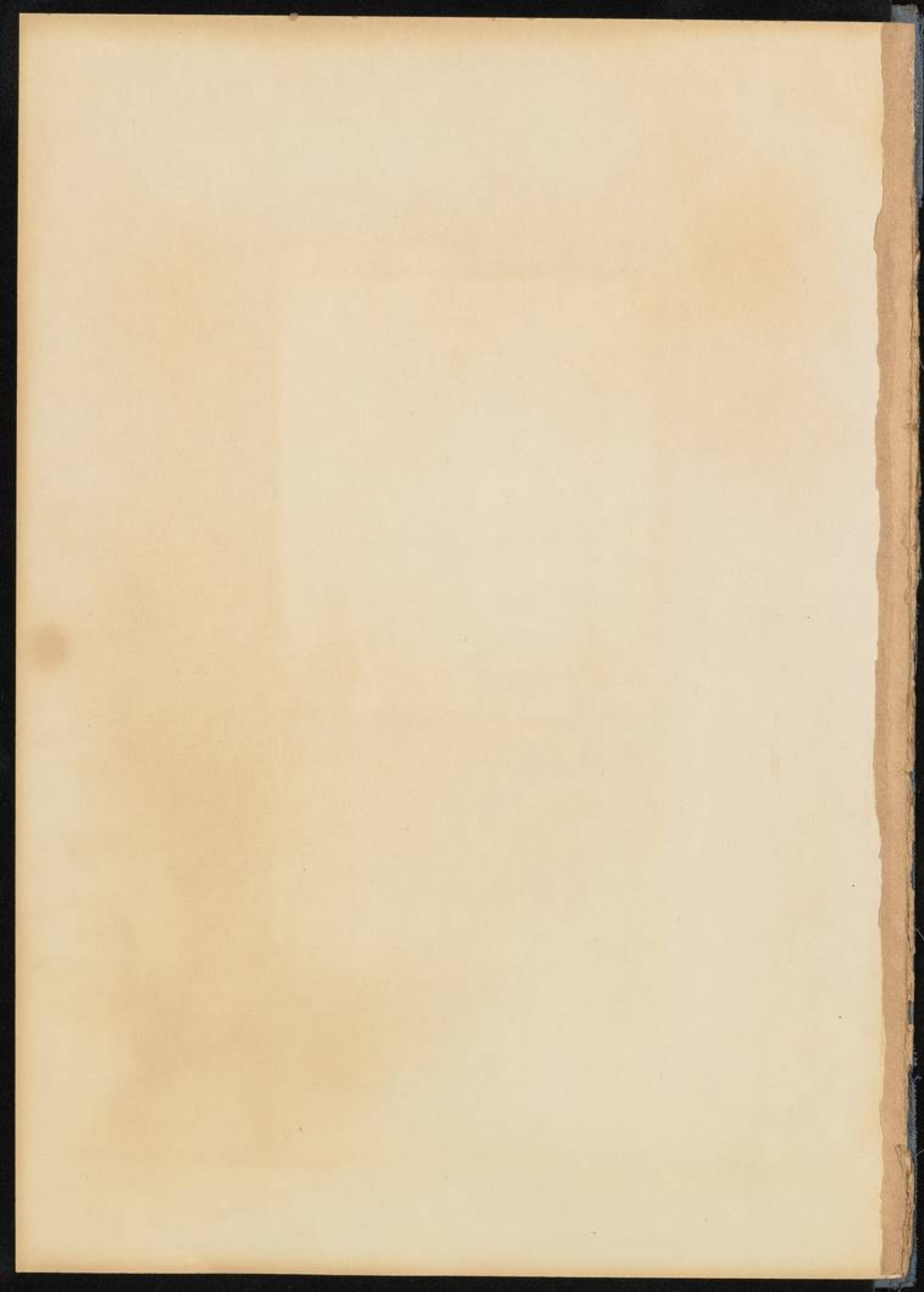
خطبة الكتاب	٢
فصل : قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم) الآية	
فصل : قال الله تعالى (حق إذا جاء أحدكم الموت) الآية	٩
فصل : في طول الأمل	١٨
فصل : في تقصير الأمل الخ	٢٤
فصل : في سكرات الموت	٣٠
فصل : في عذاب القبر للكفار ، ولبعض عصاة المؤمنين	٣٧
فصل : في أحوال بعض الموتى	٤٤
فصل : في أشراط الساعة	٥٢
فصل : في ذكر علامات إذا ظهرت لا ينفع نفسا إيمانها	٥٥
فصل : قال الله تعالى (وتفتح في الصور) الخ	٦١
فصل : في الشفاعة المختصة بمحمد عليه الصلاة والسلام	٦٦
فصل : في الحساب	٧١
فصل : في الميزان	٧٧
فصل : في المرور على الصراط ، والخوض	٨٥
فصل : في الشفاعة	٩٤
فصل : قال الله تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) الآية	١٠٣
فصل : في الخلود في النار	١١٥
فصل : في الجنة وما لأهلها من النعيم	١٢٣
فصل : في صفة الحور العين	١٣٢
فصل : في لقاء الله عز وجل	١٤١

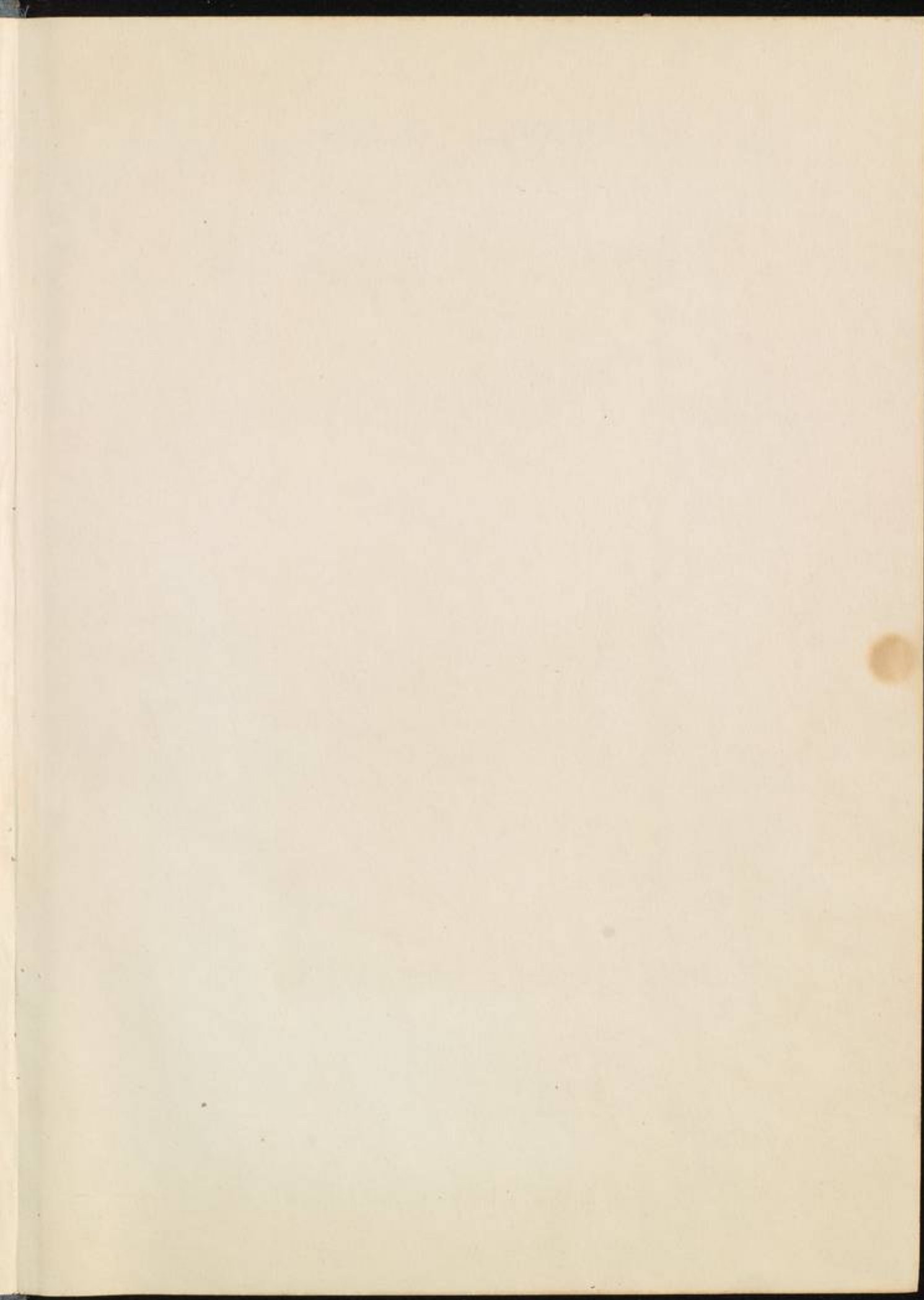
فهرس

كتاب « قرّة العيون ومفرح القلب المحزون » للسمرقندی الذی بالهامش

صحیفة

- ١٤٨ الباب الأول : فی عقوبة تارك الصلاة
١٥٨ الباب الثاني : فی عقوبة شارب الخمر
١٦٩ الباب الثالث : فی عقوبة الزنا
١٧٥ الباب الرابع : فی عقوبة الاواط
١٨٠ الباب الخامس : فی عقوبة آكل الربا
١٨٦ الباب السادس : فی عقوبة النأحة
٢٠٤ الباب السابع : فی عقوبة مانع الزكاة
٢١٠ الباب الثامن : فی عقوبة قاتل النفس وقاطع الرحم
٢٢٠ فصل : فیما یلزم الرجل من حسن القيام علی زوجته وأولاده الخ
٢٢٧ الباب التاسع : فی عقوبة عاق والديه
٢٣٥ الباب العاشر : فی النهی عن اللزامير والمغاني
-





893.7991
H93

151169
09911731

MAR 10 1961

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58868399

893.7991 H93

Ra'ed al-faiq li al-m